



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

أخبار البلدان

لابن الفقيه الهمداني
أحمد بن محمد بن إسحاق
القسم الثاني



مراجعة
أ.د. أيمن فؤاد سيّد

نشرة نقدية أعدتها
د. سهير يوسف الحداد

المجلد الأول

المجلد
الأول

مراجعة
أ. د. أيمن فوزاد سيّد

نشرة نقدية أعدتها

د. مهير يوسف الحداد

أخبار الطائفة

لأئمة الفقه الحنفية
أخص من مخلص من أئمة

القسم الثاني





أخبار البُلُكَان

لابن القَهِيبِ الهَمَمَانِي
أَخْبَرَهُ بِنُ مَخْمَرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
القسم الثاني

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. هشام عزمي

ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن اسحاق بن إبراهيم الهمداني،
٩٥١ - نحو ٩٥١.

أخبار البلدان/ ابن الفقيه الهمداني أحمد بن محمد بن
اسحاق، نشرة نقدية أعدتها سهير يوسف الحداد؛ مراجعة أيمن
فؤاد سيد.. القاهرة؛ دار الكتب والوثائق القومية الإدارة المركزية
للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث، ٢٠١٨.

مج ١ : ٢٤ سم.

المحتويات: [القسم الثاني]

تدمك 4 - 1335 - 18 - 977 - 978

١ - تقاويم البلدان

أ - الحداد، سهير يوسف (معد)

ب - سيد، أيمن فؤاد (مراجع) ج - العنوان.

٩١٠،٣

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى
طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى
من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٤٩٢ / ٢٠١٨

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1335 - 4

أخبار البلدان

لابن الفقيه الهمداني
أحمد بن محمد بن إسحاق
القسم الثاني

مراجعة
أ.د. أيمن فؤاد سيّد

نشرة نقدية أعدتها
د. سهير يوسف الحداد

المجلد الأول



الأمانة العامة للثقافة والفنون
الإدارة المركزية للمراكز العلمية

مركز تحقيق التراث

أخبار البلدان

لابن الفقه المصنوع
أحمد بن محمد بن إسحاق
القسم الثاني

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. هشام عزمي

مدير النشر

محمود عبد الحميد

مدير المطبعة

محمود يونس

المسئول التنفيذي

رمضان عطية

تصميم الغلاف

محمد عماد

فهرست الموضوعات

صفحة

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

١١ مُقَدِّمَةٌ
١٥ أَهْمِيَّةُ الْكِتَابِ
٢٢ مَوْضُوعُ الْكِتَابِ وَمَا أَلْفَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ
٢٤ مُؤَلَّفِ الْكِتَابِ
٣١ تَرْتِيبُ الْكِتَابِ وَمَنْهَجُهُ
٣٩ مَضْمُونُ الْكِتَابِ
٤٧ مَصَادِرُ الْكِتَابِ
٦٧ نُقُولُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْكِتَابِ
٧١ نُسَخَةُ الْكِتَابِ
٧٣ نَشْرَاتُ الْكِتَابِ
٧٧ عِلَاقَةُ الْمُخْتَصَرِّ بِالنَّصِّ الْأَصْلِيِّ لِلْكِتَابِ
٧٩ طَرِيقَةُ إِخْرَاجِ النَّصِّ
٩٤-٨٥ اللَّوْحَاتُ

فصول القسم الثاني من كتاب أخبار البلدان

٩٧ مُقَدِّمَةُ النَّاسِخِ
١١٦-٩٩ مَا جَاءَ فِي دَمِّ الْكُوفَةِ
٩٩ قَتْلُهُمْ عَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ
٩٩ قَتْلُهُمْ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

١٠٢ الوليد بن عتبة والكوفيون
١٠٣ تَغْيِير الكُوفِيِّين والبَصْرِيِّين
١٠٩ أقوال علي بن أبي طالب
١١٠ كَلَام زَيْنَب بنت علي
١١٣ عُيُون الكُوفَةِ
١٩٥-١١٧	القَوْلُ فِي البَصْرَةِ
١١٩ تَمْصِير البَصْرَةِ
١٢٢ اسم البصرة القديم
١٢٣ بِنَاء المَسْجِد الجامع ودار الإمارة
١٣٧ فِي مَدْحِ البَصْرَةِ
١٣٩ دَمُّ أَهْلِ البَصْرَةِ
١٤٨ مَجْلِس الكُوفِيِّين والبَصْرِيِّين عِنْد المَأْمُون
١٥٨ مُحَقِّق الأَخْتَف
١٦١ مُحَقِّق أَهْلِ البَصْرَةِ
١٧٤ تَفَاوُضُ البَصْرَةِ وَالكُوفَةِ
٢٢٩-١٩٥	القَوْلُ فِي وَاسِط
٢١٥ ذِكْر النَّبِط وَمَا جَاء فِيهِمْ
٣٩٨-٢٢٩	القَوْلُ فِي مَدِينَةِ السَّلَامِ بِبَغْدَاد
٢٣١ تَأْرِيخُ بِنَاءِ بَغْدَاد
٢٥٠ تَخْطِيطُ الأَسْوَاقِ
٢٥٨ أَبْوَابُ بَغْدَاد
٢٦٣ أَنهَارُ بَغْدَاد

٢٦٥	قطائع بغداد
٢٨١	رحا البَطْرِيقِ
٢٨٦	أسواق بَغْدَاد
٢٩٨	خَصَائِص بَغْدَاد
٣٠٩	ما فَضَّلَتْ به بَغْدَاد على مِصر
٣٣٥	بِخْرُ الرُّومِ
٣٤٣	إقْلِيم بَابِل
٣٧٩	ما ذُكِرَ في ذَمِّ بَغْدَادِ وكِراهَةِ نَزْوِهَا
٣٩٥	مَنْبَعِ دِجْلَةَ ومَجْرَاهِ
٤١٢-٣٩٨		القول في سُرْمَرَى
٤٤٣-٤١٣		القول في السَّوَادِ وصفته وأعلام حدوده
٤٢٣	كُورِ وطَسَائِيسِ السَّوَادِ
٤٢٣	الجانب الشَّرْقِي سَقِي دِجْلَةَ وتَامَرًا
٤٢٤	سَقِي دِجْلَةَ والفُرَاتِ
٤٢٥	سَقِي الفُرَاتِ ودُجَيْلِ
٤٢٦	تَقْدِيرُ السَّوَادِ الجانبِ الغربي سَقِي الفُرَاتِ ودُجَيْلِ
٤٣٠	سَقِي دِجْلَةَ والفُرَاتِ
٤٣٠	الجانبِ الشَّرْقِي
٤٣٢	هَيْتُ وَعَاتَاتُ
٤٥٧-٤٤٤		القول في الأهواز
٤٤٧	أَنْهَارُ الْأَهْوَازِ

٤٧٤-٤٥٨	القول في فارس
٤٧٠	كُور ورساتيقي فارس.....
٤٧٥	القول في كزمان
٤٨١	القول في الجبل
٥٠١-٤٨٢	القول في قرميسين
٤٨٩	رجع القول إلى قرميسين وذكر عجائبها.....
٤٩١	صورة الفرس شبيذ.....
٥٤٨-٥٠٢	في ابنة البلدان وخواصها وعجائبها
٥٢٢	ما جاء في دم البناء.....
٦٦٠-٥٤٩	القول في همدان
٥٥٧	فضل الماء وخواصه.....
٥٧٥	مجاراة عبد القاهر والحسين بن أبي السرح في مدح همدان والعراق ودمها
٥٩٥	في حب الأوطان.....
٦١١	عجائب همدان.....
٦١٥	من عجائب نهاوند.....
٦١٨	من عجائب همدان.....
٦٢٢	مملحة فرامان.....
٦٢٣	في فضل النار.....
٦٣٤	رساتيقي همدان.....
٦٣٦	ذكر ما خص الله به كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها.....
٦٤٨	ذات الخوافر.....

٦٥٤ ناووس الطَّيِّبَة وقصرُ بَهْرَامِ جُور
٦٦٧-٦٦١	القَوْلُ فِي نِهَاوَنْدِ وَأَصْبَهَانَ وَقُمْ
٦٦٣ القَوْلُ فِي أَصْبَهَانَ
٦٦٨ القَوْلُ فِي قُمْ
٦٧٨-٧٠٧	القَوْلُ فِي الرَّيِّ وَدُبَاوَنْدِ
٦٩٧ أَخْبَارُ الْبِيورَاسْفِ
٧٠٨-٧١٨	القَوْلُ فِي قَزْوِينَ وَأَبَهْرَ وَزَنْجَانَ
٧١٩-٧٤٣	القَوْلُ فِي طَبْرِسْتَانَ
٧٢٤ مَدَنُ طَبْرِسْتَانَ
٧٢٦ الْمَكَارِيَارِ بْنِ قَارَانَ
٧٢٨ فَتْحُ طَبْرِسْتَانَ
٧٣٤ حِصْنُ الطَّاقِ
٧٣٧ ذِكْرُ وِلَاةِ طَبْرِسْتَانَ
٧٤٤ مِنْ عَجَائِبِ طَبْرِسْتَانَ
٧٤٨-٧٩٩	القَوْلُ فِي خُرَاسَانَ
٧٦٨ مَرَوْ الشَّاهِجَانَ
٧٤٤ إِقْلِيمُ خُرَاسَانَ
٧٧٨ النُّوْبَهَارِ
٧٨١ تَهْرَ جَيْخُونَ
٧٨٥ طَرِيقُ الشَّاشِ وَالتُّرْكَ
٧٨٦ مِنْ أَخْبَارِ سَمَرْقَنْدِ
٧٩٣ الطَّرِيقُ مِنْ رَامِينَ إِلَى قَرَعَانَةَ

٧٩٥	خُراج خُرَاسَانَ
٨٢٥-٨٠٠		القَوْلُ فِي التُّرْكِ
٨٠١	بُلْدَانَ التُّرْكِ
٨٠٥	مِنْ خَصَائِصِ بُلْدَانَ التُّرْكِ
٨٠٦	خَبْرُ تَمِيمِ بْنِ بَحْرِ الْمُطَوِّعِيِّ
٨٠٨	ذَكَرَ نَوْشَجَانَ الْأَعْلَى
٨٠٩	طَرِيقُ الكَيْمِيَاكِ
٨١٠	خَبْرُ أَبِي الفَضْلِ الوَاشِعِجَرْدِيِّ
٨١٨	ذَكَرُ بَعْضُ مُدُنِ الْأَتْرَاكِ وَعَجَائِبُهَا
٨٢٣	أَلْقَابُ مُلُوكِ خُرَاسَانَ وَالمَشْرِقِ وَالتُّرْكِ وَالنَّوَاجِي المُلْتَصِقَةِ بِهِمْ
٨٢٥	أَلْقَابُ مُلُوكِ التُّرْكِ
٨٢٥	المَلاحِقُ
٩٩٠-٨٤٣	الكَشَافَاتُ
٩٩١	ثَبَتِ المَصادرِ وَالمَراجِعِ
١٠١٧	الخِرائِطُ

مُقدِّمة

الحمد لله، خلق الإنسان علمه البيان، وهداه أقوم سبل البحث، وسر له أسباب الفكر والنظر في ملكوت السموات والأرض، ووصولاً إلى المعرفة، وطلباً للحقيقة، وصلاة وسلاماً دائمين على خاتم رُسُلِهِ ومُصْطَفَاهِ، مُحَمَّد بن عبد الله، الذي أرسله بالرَّسالة الهادية، والمعرفة النَّقيَّة الصَّافية، والحكمة البالغة، ففتح الله بنورها الأبصار والبصائر، وأذهب بها الضلالات، ومحا بها الغشاوات، فكانت فتحةً مُبيناً للبشريَّة حطَّت به نحو التَّقْدُم والتَّحَضُّر، وعمرت به الأرض، ومَحَضَّرت به الإنسانيَّة، وسَعَتْ حَيْثُما نحو البحث والنظر لتَحَقِّق مُراد الله منها،

وبعد

فمنذ انبثاق عصر التدوين في مُتَّصَف القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، صنَّف المسلمون في مُختلف العلوم والفنون، وبخاصَّة في علمي التاريخ والجغرافيا، بحيث أصبحا من الفروع الرَّئيسة للمعرفة الإسلامية، وباتت مُصنَّفات المسلمين المخطوطة فيهما تحتلُّ المكان الأكبر على أرفف المكتبات العالمية، حتَّى إنَّه من الصَّعوبة بمكان إعداد قائمة كاملة بالمؤلَّفات التاريخيَّة التي أنتجها الفكر العربي الإسلامي على امتداد ثلاثة عشر قرناً من التدوين، والتي يظهر تفاوت الباحثين في معرفتها تبعاً للعُصور والمناطق الجغرافيَّة المُختلفة، خصوصاً وأنَّ ما وصل إلينا منها مقارَنة بما تذكَّره كتب التراجم والطبقات وفهارس الكتب يُعدُّ نزرًا يسيرًا.

وتنقسمُ مصنّفاتُ المُسلمين في هذا الحقلِ إلى نوعينِ أساسيين:

◆ مصادرُ أصيلةٍ كتبها شُهودُ عيانٍ لأحداثٍ عاصروها وبلدانَ زاروها.

◆ مؤلفاتُ مجمّعة يستمد مؤلفوها معلّوماتهم عن طريق مؤلّفين أقدم.

وهذا القسمُ الأخيرُ هو الأكثرُ عددًا بين المخطوطات العربية المتناثرة في مكّبات

العالم، على أنّه لا تُوجد علاقةٌ مباشرةٌ بين قيمةِ أيِّ كتابٍ كمصدرٍ تاريخيٍّ، وأهميتهِ في

علمِ التاريخ، لأنَّ أيَّ كتابٍ يكتسبُ أهميتهُ من الشهادةِ التي يحملها لإعادةِ بناءِ الماضي.

كما أن الصّفةَ الموسوعيّةَ التي اتّسمت بها أعمالُ المصنّفين المُسلمين جعلت

الحدودَ بين العلومِ المُختلفةِ من الضّعفِ بحيثُ يَنساحُ بعضها على بعضٍ، ففي إطار

التاريخِ تطوّرت المعارفُ الجغرافيّةُ، وازدهرت فنونُ الأدبِ، بل وظهرت أنماطُ

متنوّعةٌ من التدوينِ التاريخيِّ نفسه، ما يؤكّد على حيويّةِ علمِ التاريخِ وقابليّتهُ

الدائمة للتطوُّر.

وبالتالي كان لا بُدَّ من ظهورِ مدارسٍ جديدةٍ ومناهجٍ أفضلٍ، فكلّما تطوّر العلم

تطوّرت المناهجُ؛ ولذا اتّجهت الدّراساتُ التاريخيّةُ في الأونةِ الأخيرةِ اتّجاهًا جديدًا

نحو تاصيلِ المعارفِ من مصادرِها، وإعادةِ النّظرِ في المصادرِ الثّرائيّةِ ذاتها وفق

منهجيةٍ أكثر التّزامًا بقواعدِ التّحقيقِ العلميِّ للنّصوصِ .

ولعل أهمّ العوائق التي تُحُدُّ من عمليّة نشر التراث التاريخيّ والجغرافيّ العربيّ الإسلاميّ عدمُ اهتمام الأوساط الجامعيّة بقضيّة التحقيق، واعتباره عملاً غير إبداعيّ، رغم أنّه عملٌ يحتاج إلى دراية واسعة بالمكتبة العربيّة، ومعرفة كبيرة بعلاقات نُصوص المُصنّفات فيها، كما أنّ آية دراسة علميّة جادة لا يُمكن أن تقوم إلاّ على أصول مُحقّقة خضعت لأعمال النّقد المنهجيّ للنُصوص^١.

ولقد أدّى إدراك أساتذتي، متّعهم الله بالصّحة، لهذه المشكلة إلى توجيهي نحو العمل على إخراج نصّ من نُصوص التراث الإسلاميّ يجمع ما بين التاريخ والجغرافيا، وبعد بحثٍ غير طویل وقفتُ على القسم الثاني من المُسوّدة الكُبرى لكتاب أخبار البُلدان لابن الفقيه الهمدانيّ، فقمتُ بتصوير مخطوطة الكتاب، وخضتُ غمار تحرير النصّ قبل أن أشرع في مُقابلته على مصادره الكُبرى، التي كان اكتشافها والتّقيب عن نقول المؤلّف منها عملاً بالغ الصّعوبة، احتاج إلى قِراءاتٍ مُطوّلة لمُصنّفات أدبيّة ولغويّة وتاريخيّة وجغرافيّة متنوّعة؛ واستغرقت أعمال إقامة النصّ والمُقابله وقتاً طويلاً، واستلّزمت عناية خاصّة نظراً لأنني أعملُ على مخطوطةٍ وحيدة.

^١ للمزيد عن هذا الموضوع راجع أيمن فؤاد سيد: نشر التراث التاريخي ودراسته، ضمن كتاب قواعد تحقيق المخطوطات الإسلامية ومناهجها، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ٢٠١٣م. ص ٩-١٩.

واستقام النص بعد مقابله على مصادره وعلى نُقول المتأخرين منه، وبعد كثير من المراجعة والمقارنة، عملت على التعليق على النص وشرح غوامضه والتعريف بالأعلام الجغرافية والبشرية في رحلة علمية قاربت الخمس سنوات من أجل الثبوت من كل كلمة والتأكد من كل معنى، وتبيان كل حفي، وتجليه كل مبهم في هذا النص الغني المثقل بالألفاظ الفارسية والعربية الغريبة.

إن اقتحام ميدان التحقيق العلمي مثل لي تحديًا خاصًا، ليس فقط لِثقل المهمة وصعوبات العمل، ولكن لأنه تجربتي الأولى في ميدان النشر النقدي للنصوص، ورغم كل ما واجهني من عقبات كانت الفوائد أكثر، لأن هذا العمل فتح عيوني على جوانب أخرى من التراث الإسلامي لم يكن لي بها سابق معرفة، ووضع قديمي على بداية طريق سار فيه قبلي أعلام شوامخ، أسأل الله أن يجعلني ممن يُحسِن التأسي بهم.

ولابد من تقديم واجب الشكر إلى الزملاء الباحثين بمرکز تحقيق النصوص بجامعة الأزهر الشريف على ما أسهموا به من جهود لمراجعة نص الدراسة، وما بذلوا من نصح وما أشاروا به علي من تصويبات، ولا أنسى ما بذله من أخلي جميع العاملين بمكتبة معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان الذين ساعدوني ولا يزالون، فلهم خالص الشكر وصادق العرفان.

وليس لي إلا أن أقول إن ما كان من توفيق فمن الله، وما كان من تقصير فمن

نفسي، فما هو إلا جهد المقل، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

أهمية الكتاب

يحتل الأدب التاريخي الجغرافي مكانة مرموقة فيما أسهم به المسلمون في ميدان المعارف البشرية. لقد أحدث تراث الإسلام في هذا الفرع من المعرفة ردة فعل شديدة على المستشرقين الأوربيين بمجرد تعرفهم عليه، وأقروا منذ البداية أنه المصدر الوثيق لدراسة تاريخ وجغرافية العالم الإسلامي في حدود الزمان والمكان. وأن أوروبا الوسيطة لم تنتج شيئاً يمكن أن يضارع ما أنتجه المسلمون في هذا المجال.

وتشكل نصوص التراث الجغرافي العربي ركنًا رئيسًا من أركان تراث الإسلام الحضاري، فهي مصدر أساسي لدراسة الحضارة العربية الإسلامية: أدبًا وتاريخًا وإدارةً واقتصادًا، فضلًا عن محتواها الجغرافي. وغالبًا ما تكون نصوص هذا التراث هي المنطلق لاستعادة تركيب صورة المجتمعات في ظلال بيئتها وحدودها الزمنية والمكانية ورسم شبكة علاقاتها وتعاملاتها ومراكز استقرارها ومسالك الاتصال الرابطة بينها.

ذلك أن الأدب الجغرافي تركز بصورة أساسية على وصف دار الإسلام وما يجاورها من الأقاليم المعنوية المألوفة لأهل هذا العصر، وأمدنا بمعلومات من الدرحة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها المسلمون من غير بلدان دار الإسلام، وقد تمثل المادة الجغرافية العربية المصدر الوحيد أو المصدر الأهم في معرفتنا بقطر ما خلال حُفية معينة من تاريخه؛ يتجلى هذا بوضوح في ما بلغنا من كتابات الجغرافيين الأوائل الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم.

لقد سار الأدب الجغرافي في اتجاهين متميزين، فهو من ناحية يقترُب من العلوم الدقيقة، وذلك عندما تعرّف المسلمون على التراث اليوناني في الجغرافيا والفلك، ونقلوه إلى العربيّة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد.

أمّا الاتجاه الثاني: فكان في مجال الجغرافيا الوصفية وهو الذي غلب على الجغرافية التاريخية العربيّة ومنحها طابعها الخاص وشكلها المتميز الذي يصعب إيجاد مثيل له بين آداب الأمم الأخرى.

كما مرّت المعرفة الجغرافية في العالم الإسلامي بحقب مختلفة، فلم تتبلور كعلم قائم بذاته إلا مع أوائل القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وقبل ذلك لم توجد مصنفات جغرافية قائمة بذاتها، وإنّا تقابلنا من وقتٍ لآخر معلومات متناثرة حفظها لنا الأدب اللغوي، أو تردّد صداها في الرحلات الخيالية.

ولذا يعدّ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد بحق هو عصر الإنشاق، إذ تمت فيه ترجمة التراث اليوناني في الجغرافيا والفلك إلى اللغة العربيّة، وقرب نهاية هذا القرن ظهرت المداخل الجغرافية والتي وضع بعضها لكتاب الدواوين، وبعضها للمشتغلين بالأدب، كذلك الأتباط التي عرفت بأدب الرحلات الواقعي منها، أو ما احتفظ بالطابع القصصي^١.

^١ إغناطيوس بوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، طبعة تونس، ٢٠٠٨م المصورة عن طبعة بيروت ١٩٨٧م ص ٢٠-٢٨؛ أيمن فؤاد سيد: النصوص الجغرافية غير المنشورة حصر وتقييم، منشور ضمن أعمال المؤتمر الخامس لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٥، ص ٢٠٣-٢٠٤.

ومع الأزدهار الحلاق للأدب الجغرافي العربي الذي بلغ أوجه في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، بظهور المؤلفات الكبرى في ميدان الجغرافيا الوصفية والتي تميّزت باهتمامها بوصف المسالك والممالك، وصاحبها ظهور المصوّرات الجغرافية أو الخارطات لدى المسلمين.

ولكى هذه المرحلة الباكورة من مراحل تكون الثقافة الإسلامية، يعود كتاب «أخبار البلدان» لأحمد ابن الفقيه الهمداني الذي يعدّ واحداً من النصوص الفريدة في ميدان تراث الأدب الجغرافي العربي، حيث جمع ابن الفقيه في هذا الكتاب مادة غزيرة تشمل العديد من الأخبار والمعلومات التاريخية والطبوغرافية والجغرافية والحكم والأمثال والعجائب.

لقد أوضح ابن الفقيه طريقة تصنيف هذا الكتاب إذ يقول:-

« فكتابي هذا، يشتمل على ضروب من أخبار البلدان، وعجائب الكور والبيتان، فمن نظر فيه من أهل الأدب والمعرفة، فليأمله بعين الإنصاف، وليعرفنا فيه حُسن تحضره وبجمل رأيه،...، ويب زلي لاغترافي، وإغفالي لإقراراي. فإني إننا ألحقت في هذا الكتاب ما أذكره حفظي، وحضره سماعي من الأخبار والأشعار والشواهد والأمثال»^١.

وهذا الاستهلال القيم يكشف عن طبيعة الكتاب ومحدد عناصر القوة والضعف في هذا المصنّف، ويؤكد من الوهلة الأولى أن هدف الكتاب ليس

^١ مختصر كتاب البلدان، تحقيق: ميخائيل جان دي خويه، طبعة ليدن، ١٨٨٥م، ص ٢-٣.

جُغْرَافِيًّا بَحْثًا، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْعَايَةُ مِنْ تَأْلِيفِهِ تَسْجِيلَ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ حَوْلَ بَعْضِ مِنْ مُدُنِ دَارِ الْإِسْلَامِ، فَالرَّجُلُ أَخْبَارِي أَدِيبٌ وَاسِعُ الْإِطْلَاعِ وَالْحِفْظِ، يُشَارِكُ بِمَعْلُومَاتِهِ حَوْلَ بُلْدَانِ الْعَالَمِ الَّذِي يَحْيَا فِيهِ وَيَتَّوَمَّى إِلَيْهِ.

إِنَّ أَهْمِيَّةَ كِتَابِ «أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ» وَالتِّي تَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ مُسَوِّدَتِهِ - التِّي بَيْنَ أَيْدِينَا - تَكْمُنُ لَيْسَ فَقَطْ فِي مَوْضُوعِهِ وَمُحْتَوَاهِ، وَإِنَّمَا فِي بَيَانِ الْمُسْتَوَى الثَّقَافِيِّ السَّائِدِ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَالْمَوْضُوعَاتِ التِّي تَسْتَرَعِي اهْتِمَامَ الْقُرَّاءِ وَتَسْتَلْفِتُ انْتِبَاهَهُمْ عَصْرِنَا.

فَلَا يَكْتَسِبُ هَذَا الْكِتَابَ قِيَمَتُهُ وَأَهْمِيَّتُهُ مِنْ مَوْضُوعِهِ فَحَسْبُ، بَلْ مِنْ بِنُوعِ مَصَادِرِهِ، حَيْثُ يَحْتَفِلُ الْكِتَابُ بِنُقُولِ مَطْوَلَةٍ مِنْ مَصَادِرَ مَفْقُودَةٍ أَوْ شِبْهِ مَفْقُودَةٍ، لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا سِوَى أَسْمَائِهَا، أَوْ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ بَعْضِهَا نَتْفٌ وَشَذَرَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي مَصَادِرَ شَتَّى، كَكِتَابِ (فَضَائِلِ بَغْدَادِ) لِيزْدَجُردِ الْكِسْرَوِيِّ، وَكِتَابِ (قِسْمَةُ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ وَهَيْئَتِهِ الدُّنْيَا) لِابْنِ بَاغَارِ الرَّقِّيِّ، وَ(رِحْلَةَ تَمِيمِ بْنِ بَحْرِ الْمَطْوَعِيِّ).

كَمَا حَفِظَ لَنَا ابْنُ الْفَقِيهِ فِي كِتَابِهِ عَدَدًا مِنَ الْمُنَاطَرَاتِ الْأَدَبِيَّةِ، كِتْلَكَ التِّي جَرَتْ بَيْنَ بَعْضِ أَدْبَاءِ بَغْدَادِ فِي حَضْرَةِ الْحَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ، وَمِنْهَا مُنَاطَرَاتُ جَرَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهِ مِثْلَ الْمُنَاطَرَةِ التِّي جَرَتْ بَيْنَ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ حَمْزَةَ الْوَاسِطِيِّ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ. وَعَنْ هَذَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ أَخَذَ ابْنُ الْفَقِيهِ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَخْبَارِ شَفَاهَةً وَعَاعْتَمَدَ عَلَى رِوَايَتَيْهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْكِتَابِ.

إِنَّ كِتَابَ «أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ» يُمَثِّلُ مَرَحَلَةً فَائِضَةً مِنْ مَرَاكِجِ أَزْدِهَارِ الْأَدَبِ التَّارِيخِيِّ الْجُغْرَافِيِّ الْعَرَبِيِّ بِمَفْهُومِهِ الشَّامِلِ بِسَبَبِ تَنْوَعِ مَوْضُوعَاتِهِ وَغِنَى مَادَّتِهِ، فَهُوَ تَارَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَتَارَةٌ سَعْيِيَّةٌ، وَهُوَ طَوْرًا وَاقِعِيٌّ وَآخِرُ أُسْطُورِيٍّ، تَكْمُنُ فِيهِ الْمُتَعَةُ كَمَا تَكْمُنُ فِيهِ الْفَائِدَةُ؛ إِذْ يَخْتَوِي مَضْمُونًا غَنِيًّا مُتَعَدِّدَ الْجَوَانِبِ، فِيهِ تَقَابُلُنَا الْمَدَاخِلِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي وَضِعَتْ مِنْ أَجْلِ عَمَّالِ الدَّوَاوِينِ وَجُمْهُرَةِ الْمَسَافِرِينَ، كَمَا نَجِدُ فِيهِ الْحِكَايَاتِ التَّارِيخِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالْمُخْتَلَقَةَ، وَيُقَدِّمُ مَتْعَةً ذَهْنِيَّةً كُبْرَى إِذْ نَجِدُ فِيهِ تَمَازِجَ أَدْبِيَّةٍ فَنِيَّةٍ رَائِعَةٍ صِيغَتْ بِالسَّجْعِ أَحْيَانًا وَبِالشُّعْرِ أَحْيَانًا أُخْرَى، وَلِأَنَّهُ مِنْ الْمُصَنَّفَاتِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْجَاهِيرِ الْقُرَّاءِ يَتَرَاوَحُ فِيهِ الْعَرَضُ بَيْنَ الْجَفَافِ وَالصَّرَامَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَالْإِمْتَاعِ وَالْحَيَوِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، مَا يُظْهِرُ بَرَاعَةَ الْمُصَنِّفِ وَقُدْرَتَهُ الْفَائِضَةَ كَوَاحِدٍ مِنَ التَّأَثِيرِينَ الْأَفْحَاحِ، وَالْأَدْبَاءِ ذَوِي الْمَهَارَاتِ الرَّفِيعَةِ^١.

وهو ما أهَّلَ ابنَ الفَقِيهِ لِيَسَارِسَ تَأْثِيرًا حَاسِمًا وَغَيْرَ مَتَوَقِّعٍ فِي عِلْمِ الْبُلْدَانِ نَجِدُ صَدَاهُ وَاضِحًا فِيهَا تَلَاهُ مِنْ كِتَابَاتِ الْجُغْرَافِيِّينَ الْآخَرِينَ.

^١ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٢٨؛ أندريه ميكيل: جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، ترجمة: إبراهيم خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣م، ص ٢٥٩-٢٦٠؛ أندريه ميكيل، مادة (الجغرافيا)، منشور ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، بإشراف رشدي راشد، وبمعاونة ريجيس مورلون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٣،

ولعلَّ المُستعرب الفرنسي أندرية ميكيل كان أكثر من تنبّه لقيمة كتاب «أخبار البلدان» لابن الفقيه، ولذا منحه قدرًا كبيرًا من اهتمامه وتركيزه، إذ يرى - والحقُّ معه - أنه «يُعبر عن واقعٍ جديدٍ نتج عن تغيّراتٍ كثيرةٍ في الثقافة الإسلاميّة، فللمرّة الأولى تُهيمنُ مُعطيات الجغرافيا على الأدب، ورغم ما يظّهر في الكتاب من عدم تبويب المعلومات إلّا إنّه تناول كل بلدٍ على حدة، وشكّلت كل بلدٍ الحيز الذي كُتبت في حدوده أغلب العناصر، ما يُكسبه استقلاله ووحدة موضوعه.

لقد طبع ابن الفقيه الأدب الجغرافي بطابعه الخاص رغم ما وُجّه إليه من انتقادات عن أتوا بعده، فقد كانوا يلجئون للاستشهاد به، إمّا لمضمونه أو لمنهجه، واستعارة مقاطع من كتابه، ذلك لأنّه في هذا السياق من الأدب والثقافة السائدة لا يُمكن إغفال ابن الفقيه لموهبته التي تظّهر في شروعه لوضع نهج جديد في علم الجغرافيا بكل ما تحمّل الكلمة من معنى.

لم تظّهر الجغرافيا كعلمٍ مُستقلّ قبل ابن الفقيه إلا في حدود ضيقة كتب المسالك والممالك التي تُمثل نوعًا ظريفًا من جغرافيا الموظفين كأعمال ابن خردادبه، وقدامة بن جعفر التي اتّسمت مضامينها الجغرافية بالمتحنى الإداري الشامل، لكن لا يُمكن تسميتها بعلم الجغرافيا، لكن مع ابن الفقيه تبدو الأمور واضحة، إذ تمكّن في ذلك الوقت من كتابة الجغرافيا بشكلٍ مختلفٍ وتقدمها كعلمٍ مُستقلّ، إنَّ ابن الفقيه يُشكل مرجعًا لا يُمكن إنكاره أو تجاهزه^١.

^١ أندرية ميكيل، الجغرافيا، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج٣، ص ١٠٢٠-١٠٢١.

إن الحقيقة التي تتجلى في هذا الكتاب هي أنه نصٌّ حافلٌ بالكثير من المعلومات والأخبار التي تُمثل في مجملها ثقافة العصر الذي كتبت فيه. يصحُّ النظرُ إليه باعتبارِه نمطًا خاصًا من التأليف الجغرافي مُتعدد الروافد و الفوائد، ونموذجًا قيمًا تادر المِثال بين مُصنِّفات الأدب العربيّ.

وهذه التركيبة الفريدة من الأدب والتاريخ والجغرافيا والأمثال والحكم والعجائب والأشعار التي تُشكل بنية هذا النص هي التي تُعلي من قيمته الأدبية والعلمية والتاريخية، وتجعل منه نصًا مُصدرًا مهمًا، يستحقُّ عن جدارة كل الجهد الذي بُذل في تحقيقه.

*

* *

مَوْضُوعُ الْكِتَابِ وَمَا أُلْفَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ

يَدْخُلُ مَوْضُوعَ كِتَابِ «أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ» فِي مِيدَانِ الْجُغْرَافِيَا الْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ التَّأْلِيفِ ذُو نَزْعَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ خَاصَّةٍ يُعْنَى بِدِرَاسَةِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَبَيْتِهَا، وَيَرْبِطُ بَيْنَ الْبَشَرِ وَالْوَسْطِ الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ، وَيَسْتُخْدِمُ مَلَاَحِظَاتٍ ذَكِيَّةً لِيَدْرُسَ الْعَالَمَ مِنْ خِلَالِ الْإِنْسَانِ، فَيَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ جَدِيدَةً لِلتَّعْرِفِ عَلَى نَوَامِيسِ الْكَوْنِ.

وَيَرَى الْمُتَخَصِّصُونَ أَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ التَّأْلِيفِ الَّذِي يُرَكِّزُ عَلَى صِفَاتِ الْبُلْدَانِ وَخَصَائِصِهَا السِّبْئِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، وَيَتَحَدَّثُ عَنِ الْبَشَرِ أَكْثَرَ مِنْ حَدِيثِهِ عَنِ الْبِلَادِ نَفْسِهَا، عُرِفَ فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْذُ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، وَأَزْدَهَرَ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ^١.

وَيُعْتَبَرُ «الْجَاحِظُ» رَائِدَ هَذَا الْمَنْهَجِ، حَيْثُ وَضَعَ الْحُطُوطَ الرَّئِيسَةَ لِهَذَا النَّمَطِ مِنَ التَّأْلِيفِ «فَهُوَ لَا يَكْتَرِثُ بِالْمَسَافَاتِ وَالْمَسَالِكِ وَلَا بِالْمَلُوكِ وَالْمَمَالِكِ، وَلَا بِالْأَعْرَاضِ وَالْأَطْوَالِ، وَالْفَرَاسِخِ وَالْأَمْيَالِ، بَلْ يُعْنَى بِالْحَلْقِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْخَالِقِ، وَبِالْعَجَائِبِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى»^٢، وَعَلَى هَذَا «فَالْجَاحِظُ» هُوَ مُؤَسَّسُ هَذَا الْإِتِّجَاهِ الْجَدِيدِ فِي الْكِتَابَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ، يَتَجَلَّى ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ «الْأَمْصَارِ وَعَجَائِبِ الْبُلْدَانِ» إِذْ «رَسَمَ فِيهِ الْحُطُوطَ الرَّئِيسَةَ اللَّازِمَةَ اتِّبَاعَهَا لِتَحْقِيقِ بَرُنَائِجِهِ الْوَاسِعِ، الَّذِي يَتَضَمَّنُ الْبَحْثَ الْعَمِيقَ عَنِ جَمِيعِ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ، وَأَشَارَ إِلَى الْمَنْهَجِ الْوَاجِبِ تَطْبِيقَهُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُعَمِّمَ عِلْمَ الْجُغْرَافِيَا وَيُوسِّعَ نِطاقَهَا بِإِذْخَالِهِ فِيهَا تَسْمِيَةَ الْعَرَبِ بِالْأَدَبِ أَوْ بِإِذْخَالِ الْأَدَبِ فِيهَا»^٣.

^١ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٤٠-١٤١.

^٢ شارل بلا: الجاحظ رائد الجغرافية الإنسانية، مجلة المشرق، العدد ٦٠ بيروت، ١٩٦٦م، ص ١٦٩.

^٣ نفسه: ص ١٦٩.

ثمَّ «جاء ابنُ الفقيه الهمداني» ليضع أفكار «الجاحظ» موضع التنفيذ، ويُقدِّم من خلال كتاب «أخبار البُلدان» طرحاً جغرافياً إنسانياً فريداً طبع فيه الجغرافياً بطابع الأدب، وتمثّل خصائص مدرّسة الجاحظ الرائدة، فأتى كتابه على غيرِ مثالٍ سبق، بل وكان آخر من صنّف في هذا النمط من التأليف.

والموضوعات التي يُعالجها هذا الاتجاه لم تَلق استحسان الجغرافيين التقليديين الذين لم يجدوا فيه فائدة كبيرة، حين كانوا يرعّبون في الكتابة عن المسالك وصفة الأُمصار، ولذا تجاهلوه ولم يُعيروه كثير اهتمام، ويغلب على الظن أن الورّاقين أغضوا الطرف عن كتاب «الجاحظ» ومن بعده كتاب «ابن الفقيه» وتركوا انتساحها لعدم فائدتهما في نظر زبائنهم، ولعلّ هذا ما يُفسّر عدم وصول كتاب «ابن الفقيه» إلينا كاملاً، واختصاره فيما بعد، كما يوضح سبب خُفوت هذه النزعة الإنسانية في التأليف الجغرافي العربي بعد «ابن الفقيه».

*

* *

مؤلف الكتاب

لا نُمَدُّنا المَصَادِرُ التي تَرَجَمَت لابن الفقيه بالكثير عنه، فَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا عن مَجْرَى حَيَاةِ صَاحِبِ «أَخْبَارِ البُلْدَانِ»، ولَقَلَّةُ المَعْلُومَاتِ والوَاقِعِ التي بَقِيَتْ عن حَيَاةِ الرَّجُلِ، ظَلَّتْ مَعْرِفَتُنَا به مُتَسِمَةً بِالغُمُوضِ فِي مُعْظَمِ جَوَانِبِهَا، فَلَا نَعْرِفُ سِوَى أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى الأَرْجَحِ فِي مَدِينَةِ هَمْدَانَ - فِي فَارِسِ - لِأُسْرَةٍ اشْتَهَرَ أَفْرَادُهَا بِعِلْمِ الدِّينِ والأَدَبِ، واسْمُهُ: أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ بنِ إِبرَاهِيمَ بنِ الفقيهِ الهَمْدَانِيِّ، يُكْنَى: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كَمَا تَرَجَمَ لَهُ مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ المتوفى سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) حيث قال:

« واسمُهُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ، من أَهْلِ الأَدَبِ لا يُعْرِفُ من أَمْرِهِ أَكْثَرَ من هَذَا، له من الكُتُبِ كِتَابُ البُلْدَانِ نَحْوُ ألفِ وَرَقَةٍ أَخَذَهُ من كُتُبِ النَّاسِ وَسَلَخَ كِتَابَ الجَيْهَانِيِّ. وَكِتَابُ ذِكْرِ الشُّعْرَاءِ المُحَدِّثِينَ والبُلَغَاءِ مِنْهُمْ والمُفْجَمِينَ^١ ».

وهذه التَّرْجِمَةُ المَوْجِزَةُ نَقَلَهَا يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ: فِي «إِرْشَادِ الأَرِيبِ» إِلَّا أَنَّهُ أَضَافَ إِلَيْهَا مَا وَجَدَهُ لَدَيْ مُصَنِّفِ كِتَابِ تَارِيخِ هَمْدَانَ "شَيْرُويَةَ بنِ شَهْرَدَارِ الدِّيْلَمِيِّ" المتوفى سنة [٥٠٩هـ/ ١٥٠٠م]، إِذْ يَقُولُ:-

^١ النديم: محمد بن إسحاق الوراق البغدادي، ت. ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، كتاب الفهرست، قابله على أصوله أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٤٧٣-٤٧٤.

^٢ أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه فخرسروا الديلمي الهمداني، المحدث الحافظ، سمع من أصحاب أبي بكر بن لال الهمداني، ومن جماعة من شيوخ العربية ببغداد وبأصبهان وقزوين والجيل. له تصانيف مشهورة منها كتاب تاريخ همدان ووارديها. توفي ٥٠٩هـ/ ١٥٠٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن نقطة البغدادي: إكمال الإكمال [تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا] تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢؛ ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٤٨٦-٤٨٧؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، بيروت، ١٩٨٩م، ج ٤، ص ٣٨-٣٩.

«وقال شيرويه: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأخباري أبو عبد الله، يُعرفُ بابن الفقيه ويُلقبُ بحالان، صاحبُ كتابِ البُلْدان. رَوَى عن أبيه، وإبراهيم بن الحسين بن ديزيل، ومحمد بن أيوب الرّازي، وأبي عبد الله الحسين بن أبي السّرح الأخباري، وذكر جماعة وقال: ورَوَى عنه: أبو بكر بن لال، وأبو بكر بن روزنة، ولم يُذكر وفاته»^١.

ومن المؤكّد أنّ والدَه مُحَمَّد بن إسحاق بن إبراهيم، كان فقيهاً اشتهر بين النّاس بهذا اللقب فضلاً عن كونه أديباً أخبارياً. هذا ما قرّره ياقوت الحمويّ - فيما نقله عن شيرويه أيضاً حيث قال:

«وقال شيرويه: مُحَمَّد بن إسحاق بن إبراهيم الفقيه أبو أحمد والد أبي عبيد، الأخباري، روى عن إبراهيم بن محمد البصريّ وغيره، روى عنه ابنه أبو عبد الله». وعلى هذا فإنّ أباه كان شيخه الأوّل.

أمّا شيخه ابن ديزيل: فهو الحافظُ الرّحال أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين الكسائيّ الهمدانيّ الملقبُ بدابة عفان، أو سيفته^٢، المُحدّث الثّقة المأمون الذي طبقت شهرته الآفاق، له كتابٌ في أخبارِ صيفين، تُوفي بهمدان سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م^٣.

^١ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤٥٩-٤٦٠.

^٢ اسم طائر مصري لا يحط على شجرة إلا أكل ورقها كله لا يُبقي منها شيئاً، وكذا كان إبراهيم لا يأتي شيخاً إلا واستترفه، إذ كان يتناول مشاهير المحدثين يأخذ كل ما عندهم. راجع الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ١٣٨.

^٣ انظر في ترجمته وأخباره: ابن ماکولا: سعد الملك، الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، بيروت، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٢٦٥؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٦، ص ٣٩٠-٣٩٢؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ١٣٨.

وابن ضريس: أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى البجلي الرّازي، إمام الرّي ومُسندها ومُحدثها. وصفه الصّفدي بقوله: « شَيْخُ الرّي ومُسندها روى عنه ابن أبي حاتم ووثقه وكان ذا معرفة وحفظ وعلو رواية^١. له تصانيف منها كتاب فضائل القرآن، وهو مُحدث ابن محدث جدّه يحيى بن الضريس من أصحاب سُفيان الثوري. توفى بالرّي سنة ٢٩٤هـ/٩٠٧م^٢.

ومن شيوخه الحسين بن أبي السرح، أبو عبد الله، الأخباري الأديب، له ذكر وأخبارٌ ومجالساتٌ أدبية وعلمية، اعتمد على بعضها ابن الفقيه في غير موضع من كتابه؛ ولعل أهمها، ما انفرد بذكره في المجازاة التي دارت في بيت أبيه بين عبد القاهر بن حمزة الواسطي، وعبد الله بن الحسين بن أبي السرح في مدح العراق وهمدان وذمها [ورقة ١٢٠ ظ].

وما من شك في أن قائمة شيوخ ابن الفقيه تضم آخرين غير هؤلاء العلماء الحفاظ الذين أسهموا بشكل مباشر في تكوين ابن الفقيه، بيد أنه لم يحظ بشرف التواجد في كتب الترجمات التي خصصت لعلماء السنة، وإن ترجم له ولأبيه ياقوت الحموي في معجم الأدباء، ما يؤكد على شهرتهما بالأدب، والأدب فقط، ولعل هذا هو الذي دفع النديم لأن يضع ابن الفقيه في مصافّ الندماء الذين كانوا يجالسون

^١ انظر في ترجمته وأخباره: الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ١٦٨.

^٢ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ج ١٣، ص ٤٤٩-٤٥٠.

الخُلَفَاءَ وَالْأَمْرَاءَ يَقْصُونَ عَلَيْهِمُ الْحِكَايَاتِ وَالْأَخْبَارَ^١. مَا يُقَالُ مِنْ أَهْلِيَّتِهِ لِلْحَاقِ بِالْحِفَافِ الْمُسْنَدِينَ وَعُلَمَاءِ الدِّينِ الْأَتْقِيَاءِ الَّذِينَ افْتَصَرَتْ كُتُبُ التَّرْجَمَاتِ عَلَى ذِكْرِهِمْ. لَقَدْ كَانَ عِلْمُ الْأَخْبَارِ عِلْمًا ثَانَوِيًّا فِي نَظَرِ مُصَنِّفِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالطَّبَقَاتِ، فَهَمَّ لَا يَلْتَفِتُونَ لِلْمُسْتَعْلِينَ بِهِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ، وَعَالِبًا إِذَا مَا كَانُوا مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتِعَالُ بِعِلْمِ شَرْعِيٍّ قَبْلَ الْأَخْبَارِ وَالْأَدَبِ.

أَمَّا مَنْ أَخَذُوا عَنْهُ فَهَمَّ:

أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْفَرَجِ بْنِ لَالِ الْهَمْدَانِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْإِمَامَ الْفَقِيهَ، وَرَدَّ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا فَسَمِعَ مِنْهُ الدَّارِقُطْنِي وَغَيْرُهُ^٢، لَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ إِلَّا أَنَّهُ اشْتَهَرَ بِالْفِقْهِ. قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: «قَالَ شَيْرَوْنَه: كَانَ ثِقَةً أَوْحَدَ زَمَانِهِ، مُفْتِي بَلَدِهِ، يُحْسِنُ هَذَا الشَّأْنَ... رَأَيْتُ لَهُ "كِتَابَ السُّنَنِ"، وَ"مُعْجَمَ الصَّحَابَةِ"، مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَالِدُعَاءَ عِنْدَ قَبْرِهِ مُسْتَجَابٌ... تَوَفِّيَ سَنَةَ ٣٩٨هـ/ ٩٩٩م»^٣.

أَبُو بَكْرٍ الْفَارِسِيُّ الْكِسْرِيُّ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ رُوزْبَه الْهَمْدَانِيُّ الرَّاهِدِيُّ،

^١ أورد النديم ترجمة ابن الفقيه في الفن الثالث من المقالة الثالثة والتي خصصها للندماء والمغنين. انظر: الفهرست ج ١ ص ٤٧٣-٤٧٤.

^٢ انظر: الخطيب البغدادي: ، تاريخ بغداد(تاريخ مدينة السلام)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٥، ص ٥٢١.

^٣ انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٧٥-٧٦.

رَوَى عَنْهُ "الْحَلِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَزْوِينِيُّ الْحَافِظُ"، وَآخَرُونَ، صَاحِبُ تَصَانِيفٍ مِنْهَا: كِتَابُ الْمُخْتَصَرِ فِي التَّبَصُّرِ وَالتَّدَكُّرِ. قِيلَ إِنَّهُ صَنَّفَهُ سَنَةَ ٣٨٠هـ/٩٩٢م^١. سَكَنَ هَمْدَانَ وَحَدَّثَ بِهَا، كَانَ ثِقَّةً صَدُوقًا. اِمْتَهَنَ النِّسَاحَةَ فَكَانَ يَنْسُخُ الْكُتُبَ بِالْأَجْرَةِ، وَاشْتَهَرَ بِدَقَّةِ خَطِّهِ، فَكَانَ يَكْتُبُ خَطًّا دَقِيقًا فِي دَقَّةِ الشَّعْرِ. وَسُئِلَ يَوْمًا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:- « لَقَلَّةُ الْوَرَقِ وَالْوَرَقُ وَخَفَّةُ الْحَمْلِ عَلَى الْعُنُقِ »، وَكَانَ يَسْتَقِي الْمَاءَ لِلْيَبُوتَاتِ بِهَمْدَانَ^٢. تُوِّفِيَ سَنَةَ ٣٩٢هـ/١٠٠٢م.

* * *

لا تَمُكِّنُنَا الْمَصَادِرُ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا عَنْ ابْنِ الْفَقِيهِ وَشُيُوخِهِ وَمَنْ أَخَذُوا عَنْهُ، وَلَا تَعْرِفُنَا بِتَارِيخِ مِيلَادِهِ أَوْ وَفَاتِهِ، وَلَيْسَ أَمَامَنَا سِوَى اسْتِثْمَارِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْقَلِيلَةِ فِي مُحَاوَلَةِ تَقْرِيْبِيَّةٍ لِتَقْدِيرِ الْفَتْرَةِ الَّتِي عَاشَهَا ابْنُ الْفَقِيهِ مِنْ خِلَالِ اسْتِثْمَارِ الْاِحْتِمَالَاتِ فِي حُدُودِ سِنِي مِيلَادِهِ وَوَفَاةٍ مِنْ سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُمْ مِنْ شُيُوخِهِ وَتَلَامِيذَتِهِ.

^١ انظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٣٢، ص ١٨١-١٨٢؛ القزويني: التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٢١١.

^٢ انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ج ٨، ص ٧١٢.

تقدير عُمر ابن الفقيه:

إذا كان ابن الفقيه قد بدأ بتحمُّلِ العِلْمِ وهو في سِنِّ الحَامِسَةِ عَشْرَةَ ، تقريبًا، وتوفيَّ شَيْخُهُ ابن دِيْزِيلِ سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م. فَإِنَّهُ غَالِبًا مَا يَكُونُ مِنْ مَوَالِدِ الْعِقْدِ السَّابِعِ مِنَ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ أَيْ فِي الْفَتْرَةِ مَا بَيْنَ ٢٦١-٢٧٠ هـ / ٨٧٥-٨٨٤ م. ولما كَانَ تَلْمِيذُهُ ابن لَالٍ قد وُلِدَ سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢١ م. وغَالِبًا مَا أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ وهو ابن خَمْسَةِ عَشْرَ عَامًا أَيْضًا، أَيْ فِي الْعِقْدِ الثَّالِثِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ الْفَتْرَةَ مِنْ ٣٢١-٣٣٠ هـ / ٩٣٣-٩٤٢ م، مَا يَعْنِي أَنَّ ابن الفقيه بَقِيَ إِلَى مَا بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ، وهو مَا يَتَّفِقُ وَإِشَارَةٌ يَأْتُونَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ حَيًّا فِي حُدُودِ سَنَةِ ٣٤٠ هـ / ٩٥٢ م^١. وعلى هَذَا وبِالْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْقَرَائِنِ يَظْهَرُ أَنَّ حَيَاةَ ابن الفقيه كَانَتْ تَقْرِيبًا فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ٢٦٥ هـ إِلَى ٣٤٥ هـ / ٨٧٩ م إِلَى ٩٥٦ م، وَأَنَّهُ عَاشَ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِينَ سَنَةً هَجْرِيَّةً (سَبْعَ وَسَبْعُونَ سَنَةً مِيلَادِيَّةً) أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ قَلِيلًا.

مؤلفاته:

تُشِيرُ الْمَصَادِرُ الَّتِي تَرَجَّمَتْ لِابْنِ الْفَقِيهِ إِلَى أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا بِعِنْوَانِ: «ذِكْرُ الشُّعْرَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَابْتِغَاءُ مِنْهُمْ وَالْمُفْحِمِينَ»^٢، لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا، إِلَّا أَنَّ عِنْوَانَهُ يَدُلُّ عَلَى اهْتِمَامِهِ الْوَاضِحِ بِالشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ، وَقَدْ ظَهَرَ هَذَا الْإِتِّجَاهُ جَلِيًّا فِي الشُّوَاهِدِ الشُّعْرِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي ضَمَّنَهَا ابن الفقيه كِتَابَ «أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ»، وَيَذَكُرُ هُوَ نَفْسُهُ أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا أَسْمَاهُ

^١ معجم البلدان: ج ١، ص ٥٢٦.

^٢ النديم: الفهرست، ج ١، ص ٤٧٣-٤٧٤، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٤٥٩-٤٦٠.

«كِتَابُ الْعَجَائِبِ» [١٣٢] لم يَصِلْ إلينا هو الآخر، وفي عِنْوَانِهِ دلالة واضحة على اهتمامه بعلم العجائب، وتفسير لأخبار العجائب الكثيرة التي حرص ابن الفقيه أن يَضْمَنَهَا كِتَابَ «أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ».

ويبدو أن كِتَابَ «أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ» آخر وأهم ما صَنَّفَ الرَّجُلُ من كُتُبٍ؛ فهو الكِتَابُ الأشهر من بين ما سَطَّرَهُ بِقَلَمِهِ حتى عُرِفَ به وصَارَ عَلَمًا عَلَيْهِ، وبه احتلَّ مَوْقِعَهُ بين مُؤَرِّخِي وَجُغْرَافِييِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ، وقد ذَكَرَ النَّدِيمُ أن «كِتَابَ الْبُلْدَانِ نَحْوُ أَلْفِ وَرَقَةٍ»^١، ما يدلُّ على أَنَّهُ شَكَّلَ خُلَاصَةَ مَعَارِفِهِ وَأَفْكَارِهِ، إذ وَضَعَ فِيهِ ما انْتَهَى إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ وَعَالَمِ الْعَجَائِبِ، وَيَجْعَلُنَا نَتَشَكَّكُ فِي التَّارِيخِ الَّذِي قَدَّرَهُ بَارْتُولْد لتأليف الكِتَابِ نَحْوَ سَنَةِ ٢٩٠هـ/٩٠٣م.

*

* *

^١ الفهرست، ج ١، ص ٤٧٤.

تَرْتِيبُ الْكِتَابِ وَمَنْهَجُهُ

إِنَّ الْجُزْءَ الَّذِي بَأْيْدِينَا مِنْ نَصِّ كِتَابِ ابْنِ الْفَقِيهِ هُوَ مُسَوِّدَةُ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ الْكِتَابِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْأَحْكَامَ الَّتِي نُطَلِقُهَا هَاهُنَا، مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَنْهَجِيَّةِ، تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْقِسْمِ وَحْدَهُ، وَمُرْتَكِزَةٌ عَلَى عَمَلِيَةِ التَّحْقِيقِ الَّتِي تَمَّتْ لَهُ، وَلَكِنَّهَا تَسْرِي كَذَلِكَ عَلَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي وَصَلْنَا إِلَيْهَا مُخْتَصِرًا، وَيَضُمُّ مَوْضُوعَاتٍ أَسَاسِيَّةً نَجِدُهَا فِي كَافَةِ الْمُصَنَّفَاتِ الْجُغْرَافِيَّةِ الْأُخْرَى؛ مِثْلَ الْقَوْلِ فِي خَلْقِ الْأَرْضِ، وَالْقَوْلِ فِي الْبِحَارِ وَعَجَائِبِ مَا فِيهَا، وَالْفَرْقِ مَا بَيْنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ، ثُمَّ مَوْضُوعَاتٍ عِلْمِ الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيِّ؛ كَالْحَدِيثِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَتِهَامَةَ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَنِ وَمِضَرَ وَالنَّبِيلِ وَالْمَغْرِبِ وَبِلَادِ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ.

أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْحَدِيثَ عَنِ بَاقِي بُلْدَانِ الْعِرَاقِ، وَعَنِ بَعْدَادَ وَإِقْلِيمِ فَارِسَ وَبِلَادِ خَرَّاسَانَ، وَبَعْضَ بُلْدَانِ آسِيَا الْوَسْطَى "بِلَادِ التُّرْكِ"، وَهِيَ الْمَنَاطِقُ الَّتِي تُشَكِّلُ الْجَنَاحَ الشَّرْقِيَّ لِعَالَمِ الْإِسْلَامِ، وَتُمَثِّلُ وَجْهَتَهُ الْحَضَارِيَّةَ مُنْذُ مُسْتَهْلِ الْعَضْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَهِيَ كَذَلِكَ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي وُلِدَ وَنَشَأَ فِيهَا ابْنُ الْفَقِيهِ، وَلِذَا فَإِنَّهَا تَحْطَى لَدَيْهِ بِأَهْمِيَّةٍ خَاصَّةٍ.

بَنَى ابْنُ الْفَقِيهِ عَمَلَهُ عَلَى أَسَاسِ جَمْعِ أَكْبَرَ قَدْرٍ مُمَكِّنٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ حَوْلَ كُلِّ بَلَدٍ تَحَدَّثَ عَنْهُ، فَمَثَلًا عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ عَنِ الْبَصْرَةِ نَجِدُهُ يَذْكُرُ اسْمَهَا الْقَدِيمَ، وَسَبَبَ تَسْمِيَتِهَا، وَيَتَنَاوَلُ تَارِيخَ تَأْسِيسِهَا وَالرَّوَايَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِتَخْطِيطِهَا، وَيُشِيرُ إِلَى أَهَمِّ الْمُنْشَأَاتِ الَّتِي بُنِيَتْ بِهَا، وَمَا اخْتَفَرَ بِهَا مِنْ مَجَارِي الْمَاءِ، وَيَجْمَعُ الْأَقْوَالَ الَّتِي قِيلَتْ

في مَدْحِهَا وَذَمِّهَا، ثُمَّ يَأْتِي بِحَدِيثِ الْمَجَارَاةِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ عِنْدَ الْحَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ، وَهَكَذَا فِي اسْتِطْرَادِ طَوِيلٍ مُتَمِّعٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَالْحِكَايَاتِ الطَّرِيفَةِ.

وَبِذَاتِ الطَّرِيفَةِ يَتَنَاوَلُ تَارِيخَ مَدِينَةِ وَاِسْطِ، وَيَأْتِي عَلَى ذِكْرِ بَغْدَادٍ فَيَمُنِّحُهَا نَحْوَ رُزْعِ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْكِتَابِ، مَعَ نَصِّ مُتْرَعٍ بِالتَّفَاصِيلِ، ثُمَّ يَتَّجِهَ شِمَالًا لِيُحَدِّثَنَا عَنْ سَامِرَاءَ، ثُمَّ شَرْقًا لِيَذْكَرَ سَوَادَ الْعِرَاقِ وَأَرَاضِي دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ، ثُمَّ إِلَى إِقْلِيمِ قَارِسِ الْعَيْبِيِّ بِأَخْبَارِهِ الْعَجِيبَةِ وَحِكَايَاتِهِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَخْصُ هَمْدَانَ مَسْقَطَ رَأْسِهِ بِقِسْمٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّصِّ، يُخَشِدُ خَلَالَهُ كُلَّ مَا بَلَغَهُ عَنْهَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْعَجَائِبِ مَعَ بَعْضِ الْاسْتِطْرَادَاتِ الطَّرِيفَةِ، ثُمَّ يَمْضِي صَوْبَ أَصْبَهَانَ لِيُطَلِّعَ عَلَيْهَا إِطْلَالَ سَرِيعَةً، وَمِنْهَا يَتَّجِهُ إِلَى قُمْ وَمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَنْ حَدِيثِ الْأَعَاجِيبِ.

لِيَصِلَ إِلَى طَبْرِسْتَانَ فَيَمُنِّحَنَا مَجْمُوعَةً طَيِّبَةً مِنَ الْأَخْبَارِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَوْثِقَةِ عَنْ قَتْحِهَا وَوَلَانَتِهَا، وَلَا يَنْسَى ذِكْرَ عَجَائِبِهَا، ثُمَّ إِلَى خُرَاسَانَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَنْهَارِ، لَيْسَلُكَ الطَّرِيقَ نَحْوَ سَمَرْقَنْدٍ فَيَلِمُّ بِشَيْءٍ مِنَ أَخْبَارِهَا، وَمِنْهَا يَتَّجِهُ بِقَلَمِهِ لِيَصِفَ بُلْدَانَ التُّرْكِ فِي آسِيَا الْوَسْطَى وَلَكِنْ بِإِيحَازٍ، هَكَذَا جَاءَ تَرْتِيبَ مَوْضُوعَاتِ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ كِتَابِ أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ.

أَمَّا مَنْهَجُ ابْنِ الْفَقِيهِ فَإِنَّهُ يَتَّبِعِي إِلَى الْمُدْرَسَةِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي عَرَفَتْهَا الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةَ مُنْذُ مَطْلَعِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ لِلْهِجْرَةِ، حَيْثُمَا بَاتَ الْأَدَبُ هُوَ الْوَعَاءُ الَّذِي صَمَّمَ كَلَّ صُنُوفِ الْمَعْرِفَةِ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي امْتَدَّتْ فُرُوعُهَا لِتُمَثِّلَ كَافَةَ الْعُلُومِ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ.

والميزة الأساسية التي يُمكن للقارئ أن يلاحظها في هذا الكتاب هي أنه تأليف مؤسوعيي يشتمل على ضروب مختلفة من فنون الأدب والتاريخ والرحلة ووصف الأقاليم، مع عناية خاصة بما تشتمل عليه من الغرائب، ما يُعرف الآن باسم علم العجائب أو "الكوزموجرافيا".

لقد أوضح ابن الفقيه الفائدة من كتابه إذ يقول:

«ولو لم يُفدك هذا الكتاب من الأخبار العجيبة والأشعار الظريفة والأوليات الغريبة، لكان فيما يُفديك من أخبار البلدان وعجائب الكور والأمصار بلاغا ومُتقما؛ فكيف وقد أفادك علم الماضي وأخبار الأولين. وذلك علم المعنيين ووقفك على الطريقتين وأزشدك إلى الأمرين جميعا. حكمة بالغة وموعظة موجزة تعرفت منه أخبار الماضي، وأنبئة من قد سلف من الأولين» [ورقة: ١١٢].

وعلى هذا فالكتاب مُصنّفٌ يُعنى بنوعيه مُتميزة من المعرفة لا يَسعُ المثقفُ عصره أن يجهلها، كما أنه يستجيب لتطلّبات طيف عريض من القراء الباحثين عن قصص العجائب، والراغبين في التعرف على خصائص بلدان دار الإسلام، عن طريق وضع مجموعة واسعة من الأخبار المتعلقة بكل بلد من البلدان التي أتى على ذكرها بين يدي القارئ العادي، وإعادة إنتاج مجموعة من المعارف المختلفة في إطار جغرافي ذي أسلوب أدبي رشيق يستلهم روح الثقافة السائدة من خلال تنوع مصادره، ومجازاة المصنّفين الموسوعيّين الكبار أمثال: الجاحظ، والمدائني، والبلاذري، وابن قتيبة.

لَقَدْ كَانَ الرَّحَالَةَ الْفِلَسْطِينِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْدِسِي [ت. ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م] عَلَى جَانِبِ كَبِيرٍ مِنَ الصَّوَابِ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنِ الْجُغْرَافِيِّ الْمُتَمَرِّسِ، حِينَ أَشَارَ إِلَى غَلْبَةِ الْأَدَبِ عَلَى الْجُغْرَافِيَا فِي مُصَنَّفِ ابْنِ الْفَقِيهِ، بِقَوْلِهِ: « وَإِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِ ابْنِ الْفَقِيهِ فَكَأَنَّهَا أَنْتَ نَاطِرٌ فِي كِتَابِ الْجَاحِظِ »^١، فَالرُّجُلُ يَنْشُدُ رِعَايَةَ الْجَاحِظِ، وَيَسِيرُ عَلَى دَرَبِهِ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَسَّسَهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يُصَادِفْ مَا لَقِيَهُ أَسَاتِذُهُ مِنَ الْحِظِّ وَالشُّهْرَةِ.

قَرَّرَ ابْنُ الْفَقِيهِ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ أَنَّ عِلْمَ الْبُلْدَانِ يَسْتَهْدَفُ جَمْعَ كُلِّ مَا قِيلَ أَوْ كُتِبَ عَنِ الْبُلْدَانِ، مَا يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْمَعَارِفَ سَوْفَ تَسْتَقْبَلُ مِنْ كُتُبِ السَّابِقِينَ؛ لِأَنَّ التَّجْمِيعَ لَا يَتِمُّ عَادَةً إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْمُطَالَعَةِ، وَلَيْسَ الْمُشَاهَدَةُ الْحِسِّيَّةُ، وَلِذَا تَأَثَّرَتْ مَوْضُوعَاتُ الْكِتَابِ بِحُجْمِ الْمَادَّةِ الْمَتَّاحَةِ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ.

فَنَجِدُ أَنَّ حَدِيثَهُ يَطُولُ عَنِ بُلْدَانِ الْعِرَاقِ [الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ وَوَأَسْطُ]، وَيَخْصُصُ رُبْعَ هَذَا الْقِسْمِ لِمَدِينَةِ بَغْدَادَ، فَيَمْتَنِحُنَا تَفَاصِيلَ دَقِيقَةً حَوْلَ طُبُوغْرَافِيَا عَاصِمَةِ الْخِلَافَةِ، تَسْتَنِدُ - فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْيَانِ - إِلَى الْمُشَاهَدَةِ - لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مُشَاهَدَاتِهِ هُوَ عَلَى آيَةِ حَالٍ - وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ عَنْهَا كَثِيرَةٌ جَدًّا وَالْمَصَادِرُ الَّتِي يَسْتَقْبَلُ مِنْهَا مَادَّتُهُ مُتَعَدِّدَةٌ مَوْفُورَةٌ، كَذَلِكَ الْحَالُ فِيهَا يَخْصُصُ إِقْلِيمَ فَارِسَ وَهَمْدَانَ. عَلَى النَّقِیْضِ مِنْ ذَلِكَ نَجِدُ الْمَادَّةَ الَّتِي خَصَّصَهَا لِبَعْضِ بُلْدَانِ الْمَشْرِقِ الْبَعِيدَةِ مِثْلَ [سَمَرْقَنْدَ، قَزْوِينَ، بِلَادِ التُّرْكِ] بُحُوثًا قَصِيرَةً نِسْبًا بِسَبَبِ قِلَّةِ الْمَعْلُومَاتِ الْمَتَّاحَةِ، لِذَلِكَ نَجِدُهُ يَكْتَفِي

^١ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٤٠.

يبغض الأخبار الشائعة أو المعلومات المتداولة المتعلقة بالفتوح وأسماء بغض القادة والولاة، مع بغض بيانات شحيحة عن الحجاج. وعلى هذا النهج يمضي ابن الفقيه، فهو يصوغ مباحث كتابه في ضوء المادة المتاحة، ويتحرك في حدودها.

تخطى بغداد بأهميته خاصة في هذا القسم من كتاب «أخبار البلدان»، فلقد بقيت شخصية ابن الفقيه الجغرافية خافية غير واضحة المعالم على مدى أبواب الكتاب الأولى، حيث طغت عليه روح الأديب المولع بنقل الأخبار، والمُصرِّ على إبقاء القارئ في حالة من التشوق لقراءة المزيد من المناظرات الأدبية جيدة السبك، والعبارات الثرية ذات الصفات البلاغية المتفاوتة قوة وضعفاً، مع عددٍ ضخمٍ من الأشعار والأمثال، مكتفياً بدور ناقِل الأخبار والمرويات.

حتى إذا ما ابتدأ بالحديث عن مدينة بغداد، أخذت شخصيته البلدانية في الظهور رويداً رويداً، إذ بدا وكأنه يقرأ تفاصيل المدينة من كف يده، وأخذ يشير إلى معالمها بمُنتهى الدقة؛ فأظهر خبرة واسعة بطبوغرافيا عاصمة بني العباس، وإلماً بتطورها العمراني، وما استجدَّ فيها من إنشاءات، وما جرى بها من تغيُّرات، وما طرأ عليها من تجديدات وتوسُّعات، فقدَّم في هذا الباب مادةً طبوغرافية لا مزيد عليها كانت أساساً جيِّداً لمن جاء بعده من المؤلفين، حيث كشفت هذه المادة عن ملامح المدينة بشكلٍ وافٍ، وقُدِّمت بمستوى من الأمانة والدقة يفترُّ إليه ابن الفقيه في غير هذا الباب.

ذلك أن تفاصيل تخطيط المدينة، وما تضمه بين أسوارها وخارجها من شوارع، وأزباض، وطاقت، وقصور، وإقطاعات، وما احتوت عليه من دور وبيوتات، وأزقة، ومساجد، وساحات - تُشكّل مادة غنيّة للغاية - استقّاهَا ابن الفقيه من مصادر مُتنوّعة، وجمعها من موارد عدّة، الأمر الذي جعله يلجأ أحياناً إلى تكرار الخبر أو المادة التي سبق وأن ذكرها؛ لأنّ في الرّواية الثّانية بعض التفاصيل التي فاتته، وربّما كان هدفه من ذلك الثّبت من سلامة الأخبار التي ذكرها آنفاً.

منح ابن الفقيه إقليميّ فارس وخراسان عنايةً ظاهرة عمّا سواهما من أقاليم المشرق، ولاغزو فالرجل همدانيّ المولد فارسيّ الهوى، وتظهر في ثنايا الكتاب معرفته الجيدة بالتاريخ الفارسيّ القديم، بل وفخره بتاريخ الفرس قبل الإسلام، مع إبراز لدورهم في التاريخ الإسلاميّ الباكر، وثناء الرّسول والصّحابة والعلماء عليهم، ويكثر الحديث عن دور الخراسانيين في تقويض الدولة الأمويّة وإقامة دولة العباسيين.

ونلاحظ إحاطته بالكثير من المعلومات حول قرى ومدن هذه المنطقة وعجائبها، وما تميّز به عن سائر بلدان الإسلام من المنتجات والصناعات، فضلاً عن مزروعاتها وفواكهها، وما كان فيها من منشآت الأكاسرة، وما تركوه من القصور العظيمة والتماثيل المدهشة، والآثار البديعة، ولا يفوته ذكر المقابر والطلّاسم ومحاسن الشّتاء، وكلّ ما قيل في همدان وأخلاق أهلها وعجائبها.

وهذه المادة الثرية ندر أن نجد لها نظيرًا على هذا النسق فيما بين أيدينا من المصنّفات الجغرافية الأخرى، إنَّها إحدى العلامات المميزة في مصنّف ابن الفقيه، ولعلَّ حُبّه لموطنه كان هو الدافع لإبراز قيمته وتفضيله على سائر أقاليم دار الإسلام، ومنحه هذه المساحة الكبيرة من كتابه.

تناول ابن الفقيه في آخر الكتاب بعضًا من أخبار الترك، وذكر عددًا من «مدن التركستان الشرقية الشمالية» القريبة من بلاد الحزر «الأزمن» أي في المنطقة التي تُعرف الآن بـ «أوراسيا»، أو «روسيا أوروبًا». والمعلومات التي أوردتها ابن الفقيه عن هؤلاء الأقوام فريدة في بابها، إذ نجده يُعرف بمدن هذه المنطقة، ويذكر بعض عجائبها، وعادات أهلها وصفتهم وما يُعرفون به من أخلاق، وذكر أن لغتهم غير لغة الأتراك، كما أشار إلى شجاعتهم وحروبهم وصفاتهم البدنية، وهذا الجزء من النص من أغنى وأجمل ما في الكتاب.

* * *

على أنه يُعطي حديث العجائب أولوية واضحة في الكتاب، ويتقبل من الموضوع الذي يعالجه إلى موضوع آخر دون أن يتم الكلام في الموضوع الأول، لرغبته في تدوين كل ما وقع عليه من الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة، فمثلاً نجده يُدخل في سياق حديثه عن عجائب همدان كلامًا كثيرًا عن عجائب نهاوند - دونما داعٍ لذلك - ثم نراه بعد قليل يتناول نهاوند وتاريخ فتحها وبعض معالمها في مادة خاصة بها، كان من الأولى أن يضم إليها حديثه عن عجائبها.

لكنه أثر أن يأتي بحديث العجائب كله مرة واحدة، وربما كان قرب المدينتين من بعضهما وانتاؤهما إلى إقليم واحد السبب في ذلك.

جعل ابن الفقيه من العجائب موضوعاً أساسياً يجب التوقف عنده والتنويه به في كل بلد تصدئ للحديث عنه، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من أخبار تلك البلدان، شأنها شأن المسالك والتقسيمات الإدارية والخصائص الطبيعية، في استجابة ظاهرة لثقافة الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، والمحب لئلا هذه النوعية من المعرفة، وكذلك لميوله وذوقه الأدبي.

وفي طغيان الأخبار التاريخية والقصاص العجائبي على نص الكتاب، ما يؤكد على صفة الأخباري الأديب التي وصف بها ابن الفقيه من قبل من ترجموا له، لكنها مع ذلك لا تؤخر ترتيبه بين جغرافي عصره^١.

*

* *

^١ يؤكد شيوخ هذا النوع من المعرفة عصرئذ ما قاله محمد بن إسحاق النديم: « كانت الأسفار والخرافات مرغوباً فيها مشتهة في أيام خلفاء بني العباس، وسبها في أيام المقتدر فصنّف الوراقون وكذبوا فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان واسمه أحمد بن محمد بن دلان، وآخر يعرف بابن العطار وجماعة». الفهرست

مَضْمُونُ الْكِتَابِ^١

إذا ما سِرْنَا في سِيَاقِ حَرَكَةِ النَّصِّ نَجِدُ أَنَّ مِيدَانَ الْأَخْبَارِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ ابْنِ الْفَقِيهِ يَعْتمِدُ عَلَى أَسَاسٍ وَاحِدٍ هُوَ: الْمَعْرِفَةُ الْمَوْرُوثَةُ الْمُنْقُولَةُ عَنِ السَّابِقِينَ. أَمَّا الدَّرَاسَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِقَطْرِ مَا بَعْدَ ذَاتِهِ، فَهِيَ أَبْعَدُ مِنْ مُجَرَّدِ ذِكْرِ لِلأَخْبَارِ، إِنَّهَا نَظْرَةٌ شَامِلَةٌ تَتَضَاعَلُ فِيهَا الْجُغْرَافِيَا أَمَامَ الْمَعَارِفِ الْأُخْرَى؛ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَا كَثِيرَ مِنَ الْجُغْرَافِيَا هَاهُنَا، اللَّهُمَّ إِلَّا نِظَامَ تَصْنِيفِ الْأَخْبَارِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ مِمزَاتِهَا؛ فَالطَّابِعُ الثَّانَوِيُّ الَّذِي وَضَعَ ابْنُ الْفَقِيهِ الْجُغْرَافِيَا فِي إِطَارِهِ خِلَالَ فُصُولِ الْكِتَابِ، إِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ يَتِمَّاسَى مَعَ ثِقَافَةِ الْمُجْتَمَعِ، حَيْثُ تُعْطَى الْأَوْلَوِيَّةُ لِلظُّوَاهِرِ الشَّادَةِ وَأَحَادِيثِ الْعَجَائِبِ.

فَالجُغْرَافِيَا التَّقْلِيدِيَّةُ تَكَادُ أَنْ تَنْحَصِرَ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَرَاكِجِ وَالْمَسَالِكِ وَالتَّقْسِيمَاتِ الْإِدَارِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِكُلِّ إِقْلِيمٍ فِي بَعْضِ الْفَقَرَاتِ الْمَأْخُودَةِ عَنْ ابْنِ خُرْدَاذْبِهِ، وَبِضْعَةِ نَقُولٍ عَنِ قِسْمَةِ الْمَعْمُورِ عَلَى الْكَوَاكِبِ مِنْ تَرْجَمَةِ كِتَابِ بَطْلَمَيْوسَ، وَفَضَائِلِ الْبُلْدَانِ الَّتِي تَتَدَاخَلُ بَدْوَرَهَا مَعَ الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ - الضَّعِيفَةِ عَالِبًا - مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ وَالْأَقْوَالِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْأَخْبَارِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَأْخُودَةِ فِي مُعْظَمِ الْأَخْيَانِ مِنَ الْبِلَادِ ذُرِّيِّ وَابْنِ قُتَيْبَةَ، فِيمَا يَخُصُّ تَارِيخَ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَقْلِيمِ الْمَشْرِقِ، وَبَعْضُ مِنْ وَقَائِعِ الصِّدَامِ مَعَ الْإِمْرَاطُورِيَّةِ الْفَارَسِيَّةِ، فِي حَيْثُ تَطْبَعُ الْأَسَالِيبُ الْعَرَبِيَّةُ الْكِتَابَ بِطَابَعِهَا الْبَارِزِ فَتَأْخُذُ الْأَشْعَارَ حِصَّةَ الْأَسَدِ بِمَا يَزِيدُ عَنِ مَا تَمَّتْ شَاهِدَ بَعْضَهَا لِفُحُولِ الشُّعْرَاءِ كَذِي الرِّمَّةِ، وَالْفَرَزْدَقِ، وَجَرِيرِ، وَأَبُو تَمَّامِ

^١ الأفكار الرئيسة لهذا المبحث مأخوذة عن تحليل أندريه ميكيل لعمل ابن الفقيه. انظر: جغرافية دار الإسلام

الطائي، مع تَصْرِيحاتٍ بالأخذِ عنِ النَّائِرِينَ الكِبَارِ أمثالِ الجاحِظِ والمدائِنِي، فَضْلاً عنِ تَخْصِيصِ مِسَاحَةِ كَبِيرَةٍ لِقَصَصِ العَجَائِبِ ذِي التَّقَالِيدِ الفَارْسِيَّةِ. هذه هي العنَاصِرُ الَّتِي تَشكَّلَتْ مِنْهَا بِنْيَةُ الكِتَابِ.

فإذا مَا تَجَاوَزْنَا هذه النُّظْرَةَ العَامَّةَ إِلَى عُمُقِ النَّصِّ نَجِدُ أَمَامَنَا ثَلَاثَةَ جَوَانِبٍ يُعَالَجُهَا المُصَنِّفُ، هي: المَرَاجِلُ التَّارِيخِيَّةُ، والمَنَاطِقُ الجُغْرَافِيَّةُ، والمَعَارِفُ المُتَنَوِّعَةُ.

فمن النَّاحِيَةِ التَّارِيخِيَّةِ تَتَوَرَّعُ المُنْصِفُ العُطَيَاتِ الزَّمَنِيَّةَ عَلَى ثَلَاثِ فِتْرَاتٍ رِئِيسَةٍ، أَوَّلًا: العُصُورُ القَدِيمَةُ [بَدَأَ الخَلْقَ وَعَصَرَ الطُّوفَانَ، وَأَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ «دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ»]، ثَانِيًا: مَا قَبْلَ الإِسْلَامِ، ثَالِثًا: التَّارِيخُ الإِسْلَامِيُّ [الخِلَافَةُ الرَّاشِدَةُ، ثُمَّ الدَّوْلَةُ الأُمَوِيَّةُ، فَالعَصْرُ العَبَّاسِيُّ]. وَهذه الأقسامُ تَنْتَظِمُ النَّصَّ كُلَّهُ، وتَظْهَرُ الشَّخْصِيَّاتُ التَّارِيخِيَّةُ مِنْ هذه الفِترَاتِ الزَّمَنِيَّةِ المُتَبَايِنَةِ خِلالَ مَوَاقِفٍ مُخْتَلَفَةٍ تُلائِمُ صَيُورَةَ السِّيَاقِ وإِطَارِهِ فِيمَا يُحْصُ كُلُّ بَلَدٍ.

إذ نَجِدُ أَرْضَ الكُوفَةِ آخِرَ أَرْضِ تَبَلَّعَ مَاءَ الطُّوفَانَ أَيَّامَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَسْوَارَ تُسْتُرُ بِنَاهَا سَامُ بْنُ نُوحٍ، كَمَا أَسَسَ بِنَفْسِهِ مَدِينَةَ سَامِرَاءَ، وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَاجِزٌ عَنِ اتِّقَاءِ شَرِّ الأَثْبَاطِ، رَغِمَ أَنَّهُ أَمَرَ الجِنَّ بِثَقْلِ الأَحْجَارِ مِنْ فَارِسَ لِبِنَاءِ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَمِنَ الشَّامِ إِلَى فَارِسَ لِبِنَاءِ قُصُورِهِ. وَيَتَّضِحُ أَنَّ مُفَجِّرَ مَاءِ دِجْلَةَ وَالفُرَاتِ هُوَ النَّبِيُّ دَانِيَالُ، وَأَنَّ الإِسْكَنَدَرَ الأَكْبَرَ هُوَ البَّانِي الحَقِيقِيُّ لِلْمَدَائِنِ عَاصِمَةِ فَارِسَ، وَلَيْسَ كِسْرَى أَبرُويزَ صَاحِبَ قَصْرِ شِيرِينَ العَجِيبِ، فِي حِينِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَقَايَا عَادَ هُوَ الذِّي أَحْتَفَرَ الأَبَارَ عَلَى طَرِيقِ البَصْرَةِ، أَمَا كِسْرَى أئُوشُرَوَانُ فَهُوَ المُوَسِّسُ لِمَجْدِ الفُرْسِ المُتَسَيِّبِينَ إِلَى أَحَدِ أَحْفَادِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

في المقابِل فإنَّ شَخْصِيَّاتِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ المَعْرُوفَةِ أَمْثَالُ : عُمَرُ بنِ الخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، والحُسَيْنِ، ومُعَاوِيَةَ، وَعَبْدُ المَلِكِ، والحِجَّاجِ، وهِشَامُ، والسَّفَّاحُ، والمَنْصُورُ، والرِّشِيدُ، والمَأْمُونُ، يمثُلون رِجَالَ الدَّوْلَةِ الذين فَتَحُوا الأَقْطَارَ، ومَصَّرُوا الأُمصارَ، وقَمَعُوا الكُفَّارَ، وواجهُوا الأخطارَ، وهم أَصْحَابُ الحِكْمَةِ البَالِغَةِ، والتَّصَرُّفَاتِ السَّديدَةِ، وإن اختلفَ مَوْقِفَ المُنْصِفِ منهم حَسَبَ ميولِهِ وتَوَجُّهَاتِهِ.

ولِى جُورَ هؤلاءِ وهؤلاءِ نَجِدُ حُشُودًا من الأَشْخَاصِ كالأَدْبَاءِ والشُّعْرَاءِ والعُلَمَاءِ والوزَرَاءِ، والكَتَّابِ، والحكَمَاءِ، والنَّدَمَاءِ، والمُعْتَنِينَ والقَادَةَ العَسْكَرِيِّينَ، ورجالِ السِّيَاسَةِ، وأناسٍ مَجْهُولِينَ من مُخْتَلَفِ الأَعْرَاقِ.

وهذا التَّمَطُّ من التَّدوينِ التَّارِيخِيِّ المُرْتَبِ على البُلْدَانِ دَاخِلِ سِيَاقٍ مَتَّصِلٍ يُمثَلُ تَقْلِيدًا جَدِيدًا في الكِتَابَةِ التَّارِيخِيَّةِ، لم يَلْقَ بعد عِنَايَةِ البَاحِثِينَ، فهذا النِّصُّ يَشْتَمِلُ على طَائِفَةٍ مَتَبَايِنَةٍ من الأَخْبَارِ تَبْدَأُ من عَضْرِ نُوحٍ إلى عَضْرِ المَوْثَفِ، ومن ثَمَّ فإنَّ المَضْمُونِ التَّارِيخِيِّ والإِطَارَ الزَّمَنِي الوَاسِعَ الذي يُعْطِيهِ ابنُ الفَقِيهِ يَضَعُ كِتَابَهُ في مَصَافِّ المَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ القِيَمَةِ.

من النَّاحِيَةِ الجُغْرَافِيَّةِ: تُمثَلُ بُلْدَانُ دارِ الإِسْلَامِ النُّطَاقِ المَكَانِي الذي تَرَكَّزَ عليه عَمَلُ ابنِ الفَقِيهِ، ما يُثَبِّتُ تَوَجُّهَهُ إلى القَارِيءِ العَادِي الذي لا يَكْتَرِثُ كَثِيرًا بِنَا وِزَاءِ هذه الدَّارِ، وهو في هذا القِسْمِ من الكِتَابِ يَأْخُذُ بِأَيْدِينَا لِيُعَرِّفَنَا - على طَرِيقَتِهِ - بِأَقْلِيمِ المَشْرِقِ الإِسْلَامِيِّ، فَيَبْدَأُ من العِرَاقِ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ طَوِيلًا في بِلَادِ فَارِسَ، ثُمَّ إلى خُرَاسَانَ وما حَوْلَهَا، وإقْلِيمِ الجَبَلِ ثُمَّ أخيرًا بِلَادِ التُّرْكِ.

إِنَّ أُنْجَاهَ السِّيَاقِ يَضَعُنَا أَمَامَ جُغْرَافِيَا شَرْقِيَّةٍ خَالِصَةٍ تَسْتَلْهِمُ مُعْطِيَاتِ فَارِسِيَّةٍ صِيغَتْ فِي قَالِبٍ عَرَبِيٍّ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ، وَهُوَ بِهَذَا يُقَدِّمُ نُمُودَجًا نَاصِعًا لِلتَّأْلِيفِ وَالْمَرْجِ بَيْنَ مَا هُوَ أَعْجَمِيٌّ وَمَا هُوَ عَرَبِيٌّ، أَوْ بَيْنَ مَا هُوَ سَاسَانِيٌّ كِسْرَوِيٌّ وَمَا هُوَ مُسْتَحَدَّثٌ عَلَى يَدِّ الْمُسْلِمِينَ؛ وَوَرَاءَ هَذَا التَّوَازُنِ تَكْمُنُ مَقْدَرَةٌ أَدْبِيَّةٌ وَاضِحَةٌ، وَمَقَاصِدٌ سِيَاسِيَّةٌ وَدِينِيَّةٌ لَا تَخْفَى عَلَى الدَّارِسِينَ.

عَلَى أَنَّ نَجِدَ الْمُعْطِيَاتِ الْجُغْرَافِيَّةَ الَّتِي عَالَجَهَا ابْنُ الْفَقِيهِ تَنْصَبُ غَالِيًا عَلَى الْخَصَائِصِ الْمُمَيَّزَةِ لِكُلِّ بَلَدٍ كُتِبَ عَنْهُ، أَيًّا مَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُمَيَّزَاتِ، سَوَاءً أَكَانَتْ فِي طِبَاعِ أَهْلِهَا وَأَخْلَاقِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ، أَمْ فِي تَخْطِيطِ الْبِلَادِ وَعُمْرَانِهَا وَأَسْوَارِهَا وَحُصُونِهَا، أَمْ فِي رِجَالِهَا وَأَعْلَامِهَا وَمَنْ أَخْرَجْتُهُمْ مِنَ النَّاسِ، أَمْ فِي تَرْبَتِهَا وَنَبَاتَاتِهَا وَمَحَاصِلِهَا، أَمْ فِي أَسْوَاقِهَا وَمَتَاجِرِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَلْطَافِ وَالْغَرَائِبِ، وَرُبِمَا ظَهَرَتْ الْخَصَائِصُ فِي مُنَاقَحِهَا وَتَضَارِسِهَا، وَبَيْتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ، وَمَعَادِنِهَا وَصِنَاعَاتِهَا، وَطِبَائِعِ حَيَوَانِهَا، وَحَالَ مِيَاهِهَا وَهَوَائِهَا؛ ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ يَلْفِتُ انْتِبَاهَنَا إِلَى أَثَرِ ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ، وَعَلَى رِخَاءِ بِلَادِهِمْ أَوْ فَقْرِهِمْ، وَمَا تَنْتِجُهُ مِنَ الْمُنْتَجَاتِ، وَتَمُدُّ بِهِ غَيْرَهَا مِنَ الصَّادِرَاتِ، وَعَلَى مَا تُدْرُهُ هَذِهِ الْبُلْدَانُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنْ خَرَجٍ.

وَفِي السِّيَاقِ ذَاتِهِ يَظْهَرُ حِرْصُهُ عَلَى ذِكْرِ الْعَجَائِبِ، لَيْسَ فَقَطْ لِأَنَّهَا مِنْ خَصَائِصِ الْبُلْدَانِ، بَلْ لِأَنَّهَا مِنْ مَقَاصِدِ التَّصْنِيفِ الْمَوْجَّهٍ إِلَى الْقُرَّاءِ الْعَادِيَّيْنَ، فَهِيَ مِنْ مُتَطَلَّبَاتِ ثِقَافَةِ الْعَصْرِ، وَمِنْ أَسْبَابِ رَوَاجِ الْكِتَابِ؛ لَقَدْ جَعَلَ ابْنُ الْفَقِيهِ مِنْ عِلْمِ الْبُلْدَانِ أَدْبًا يَخْضَعُ لِمُعْطِيَاتِ جُغْرَافِيَّةٍ بَيْئِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ مُتَفَاوِتَةٍ الْقُوَّةِ فِي التَّأثيرِ عَلَى وَضْعِيَّةِ الْبَلَدِ دَاخِلِ حُدُودِ دَارِ الْإِسْلَامِ.

فعلى قدر فضائلها وخصائصها، ورُبما أحياناً عجائبها أو مثالبها، تكون مترلتها. كما يتأكد لنا أن خصائص البلدان، التي تستهوي ابن الفقيه، هي الموضوع الجغرافي الرئيس الذي يَمْنَح هذا النص صبغته البلدانية، ويُنْقِي على تصنيفه بين كُتُب الجغرافيا العربية.

على صعيد المعرفة يَضُم الكتاب مُكْتَسَبَات هائلة من العِلْم والفِكر والثقافة العائدة إلى القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، جاءت من الروافد التي تشكّلت منها البيئة الحضارية المسلمة، فإلى جوار المصادر العربية الإسلامية الأساسية كالقرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ، يخوي النص مفاهيم فارسية تقليدية كثيرة، فضلاً عن بعض التأثيرات اليونانية الواضحة في الأخذ عن بطلميوس، وأبقراط، وثالينوس، وغيرهم، لكن هذه المعارف الوافدة جرى تعريبها ونُسبت إلى الأئمة الذين وطّئوها في الثقافة العربية كالجاحظ مثلاً، وعبر الأدب تمت صياغتها في قالب عربيّ متين، فأصبحت جزءاً حتمياً في المعرفة المتاحة عصرئذ.

هكذا يقوم الأدب بدور راسخ في بناء المعرفة الإسلامية إبان صعودها، ويصبح الوعاء الذي يَضُم كافة المعارف، إنه الوسيلة الناجعة التي اتخذ منها ابن الفقيه أداة لسبك نصّ متماسك مترابط غنيّ، رغم تعدد مصادرِه وتناقض مشاربه، بأسلوبٍ تَمَرِّج فيه المُعطيات المعرفية العربية والمُعطيات المُستعربة، حيث زالت الحدود بين ما هو عربيّ وبين ما هو وافد، وذاب تراث الأمم الأخرى في الأدب العربيّ.

لَقَدْ أَخْضَعَتْ كَافَّةَ الْمَعَارِفِ الْمُتَطَلِّبَاتِ التَّقْسِيمِ الْبُلْدَانِي، فَالْأفْكَارِ وَالْحِكْمِ
وَالتَّجَارِبِ مَوْضُوعَةً فِي أَمَاكِنِهَا تَمَامًا، وَوَفَّقَ طَرِيقَةَ مُعَالَجَةِ تَنْظِيمِهَا فِي سَبِيلِ السِّيَاقِ
دُونَ أَدْنَى تَنَافُرٍ، مَهْمَا حَمَلَتْ مِنْ فَوَارِقِ نَوْعِيَّةِ عِبَرِ الْأَزْمَانِ وَالْأَصْقَاعِ، لِتُصَيِّحَ مِنْ
الْعُلُومِ الَّتِي يُعْنَى بِهَا عِلْمُ الْبُلْدَانِ، وَبِهَذَا أُعِيدَتْ صِيَاغَةُ الْمَعْرِفَةِ الْمَتَّاحَةِ حَسَبِ
قَوَاعِدِ الْأَدَبِ، وَطَبَقًا لِمُقْتَضَيَاتِ نَسَقِ مَعْرِفِيٍّ يَقْتَرِبُ مِنْ مُسْتَوَى الْمَوْسُوعَاتِ.

فِي التَّحْلِيلِ الْأَخِيرِ لِمُضْمُونِ كِتَابِ أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَى مُمَيِّزَاتٍ وَاضِحَةٍ
لِهَذَا النَّصِّ، أَقْلَهَا أَنَّهُ مُنْسَجِمٌ تَمَامًا مَعَ مَنَاهِجِ أُدْبِيَّةٍ وَإِقِيعَةٍ تُذَكِّرُ رُوحَ الْعَصْرِ الَّذِي
كُتِبَ فِيهِ، فَمَبْدَأُ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْمُؤَلِّفِ وَعَصْرِهِ وَجُمْهُورِهِ يَطْهَرُ بُوْضُوحٍ فِي انْتِجَاهَاتِ
الرَّجُلِ وَاخْتِيَارَاتِهِ، مَا يَنْفِي عَنْهُ تَهْمَةَ اللَّامِبَالَةِ الَّتِي أَلْصَقَهَا بِهِ الْمُقَدِّسِيُّ، إِذْ هُوَ عَلَى
الْعَكْسِ كَاتِبٌ يُؤَلِّفُ دَوْرَهُ عِنَايَةً فَرِيدَةً جَدًّا، مَعَ التِّرَامِهِ بِنِظَامِ مَعَارِفِ مُتَمَاهِكِ لِلْعَايَةِ.
وَيَتَجَلَّى تَسَبُّهُ بِقَوَاعِدِ مَدْرَسَةِ الْأَدَبِ الْمَوْسُوعِيِّ الَّتِي زَادَهَا الْجَاحِظُ فِي طَرِيقَتِهِ
لِصِيَاغَةِ مَادَّةِ كِتَابِهِ وَفَقَّ مُحْطَطٍ مُحْكَمِ التَّنْسِيقِ، تَتَنَاوَبُ فِيهِ بَانْتِظَامِ الْعُرُوضِ ذَاتِ
الصِّفَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ، وَالْفَوَاصِلِ الْأَدْبِيَّةِ الْمُتَمَتِّعَةِ.

فَفِي هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْكِتَابِ، وَبَعْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ، وَوَأَسِطِ،
وَقَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى وَصْفِ مَدِينَةِ السَّلَامِ، يَتَوَقَّفُ فِي اسْتِرَاحَةٍ تَرْفِيهِيَّةٍ عِنْدَ النَّبْطِ وَمَا
جَاءَ فِيهِمْ، ثُمَّ يَمْضِي قُدَمَا فِي حَدِيثِهِ عَنِ بَعْدَادِ، لِيَمْنَحَ الْقَارِئَ فِي مُتَّصِفِ الطَّرِيقِ
اسْتِرَاحَةً أُخْرَى فِي الْمَفَاصِلِ مَا بَيْنَ بَعْدَادِ وَمَصْرَ، ثُمَّ يَسْتَكْمِلُ مَا بَدَأَ عَنِ بَعْدَادِ،
لِيَدْخُلَ مِنْهَا إِلَى سَرَّمَرَى، وَسَوَادِ الْعِرَاقِ وَإِقْلِيمِ فَارِسَ، فَيُعْطِي فُسْحَةً يَذْكُرُ فِيهَا

قِصَّةُ الْفَرَسِ سَبْدِيزِ، يُخَفِّفُ بِهَا مِنْ إِزْهَاقِ الْقَارِي، ثُمَّ يَذْكَرُ خَوَاصَّ الْأَبْنِيَّةِ وَالْبُلْدَانَ، وَيَتَّقَلُّ بَعْدَهَا إِلَى وَصْفِ هَمْدَانَ، فَيَمْنَحُنَا فَاصِلًا عَنْ فَضْلِ الْمَاءِ وَخَوَاصِّهِ، يَعُودُ بَعْدَهُ إِلَى هَمْدَانَ مِنْ جَدِيدٍ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ لِيُعْطِينَا دَفْعَةً أَدْبِيَّةً رَشِيقَةً فِي حُبِّ الْأَوْطَانِ، يَسْتَأْنِفُ بَعْدَهَا الْحَدِيثَ عَنْ عَجَائِبِ هَمْدَانَ، يَعُقِبُهُ فَاصِلٌ يَتَنَاوَلُ فِيهِ فَضْلَ النَّارِ، يَتَلَكَّأُ بَعْدَهُ عِنْدَ ذَاتِ الْحَوَافِرِ وَنَاوُوسِ الطَّيِّبَةِ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى نَهَاوَنْدٍ وَأَصْبَهَانَ، فَيَمْنَحُنَا فَاصِلًا يَذْكَرُ فِيهِ قِصَّةَ الْبُيُورِاسِيفِ، لِيَخْتِمَ الْكِتَابَ بِالْمَنَاطِقِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّاهِلِيَّةِ "طَبْرِسْتَانَ، خُرَاسَانَ، بِلَادِ التُّرْكِ".

هَكَذَا نَجِدُ الْمُخَطَّطَ الْإِجْمَالِيَّ لِلنَّصْرِ يَعْكِسُ وَحِدَةً بَحْثٍ حَقِيقِيَّةً، تَسِيرُ بِالْفَوَاصِلِ وَفَقَّ أَفْضَلَ تَقَالِيدِ الْأَدَبِ، وَثُرْفُهُ عَنِ الْقَارِي لَثْرِيحُهُ مِنْ عَنَاءِ مُتَابَعَةِ عَرْضِ مَعْرُوفٍ بِضَعُوبِيَّتِهِ، مَا يَقُودُنَا فِي النَّهَائِيَّةِ إِلَى عَدَمِ التَّسْلِيمِ بِالْحُكْمِ الشَّائِعِ حَوْلَ افْتِقَارِ ابْنِ الْفَقِيهِ لِخِطَّةِ يَسِيرٍ عَلَيْهَا فِي بِنَاءِ كِتَابِهِ^١.

إِنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ الظَّاهِرِيَّ فِي الْمُعْطِيَّاتِ، وَهَذَا التَّشَعُّبُ فِي الْعَرْضِ، وَتَلَكُّمُ الْأَسْطِرَّادَاتِ، هِيَ الرِّوَابِطُ الَّتِي تُؤَلَّفُ بَيْنَ مَوْضُوعَاتِ الْكِتَابِ، وَتَصْنَعُ هَذِهِ الْوَحْدَةَ الْحَقِيقِيَّةَ الْعَمِيقَةَ جِدًّا الَّتِي لَا يُمَكِّنُ إِذْرَاكَهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ النَّظَرِ الْمُتَأَنِّيِّ الْقَادِرِ عَلَى اخْتِنَانِهِ كَوَافِرِ النَّصِّ، وَاسْتِنْبَاطِ مَنَهَجِ الْمُصَنِّفِ عِبْرَ سَبْرِ أَعْوَارِهِ وَفَهْمِ مَقَاصِدِهِ، فَهُوَ يُؤَلَّفُ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي تُجْمَعُ مِنْ أَشْتَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَيُضْمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ كِيَانًا مُتَكَامِلًا.

^١ راجع رأي كراتشكوفسكي في هذا الصدد، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٧٨.

إنَّ طَرِيقَتَهُ هَذِهِ هِيَ مِيزَتُهُ الْأَسَاسِيَّةُ، وَسَبَبُ تَفَرُّدِهِ وَتَأْيِيرِهِ الْبَاقِي، حَيْثُ نَجَدَهُ وَقَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُعِيدَ تَقْدِيمَ عِلْمِ الْبُلْدَانِ فِي قَالِبٍ خَاصٍّ بِهِ، تُمَثِّلُ الْجُغْرَافِيَا إِطَارَهُ الْعَامَ وَحُدُودَهُ وَمَظْهَرَهُ الْأَهَمُّ، وَالْأَخْبَارَ التَّارِيخِيَّةَ وَالْعَجَائِبِيَّةَ مَوْضُوعَهُ الرَّئِيسَ، وَالْأَدَبَ صِيغَتَهُ وَوَسِيلَتَهُ، وَالْمَتْعَةَ وَالتَّرْفِيَةَ هَدَفَ فَوَاصِلِهِ، وَالْمَعْرِفَةَ غَايَتَهُ الْأَخِيرَةَ.

وَلَاشَكُّ أَنَّ وَرَاءَ هَذِهِ الْمُنْهَجِيَّةِ إِزَادَةٌ وَأَعْيَةٌ خَلَاقَةٌ، وَظَلَّتِ الْمَعَارِفُ الْمَتَاحَةُ لِإِنْبَاءِ نَصِّ لَمْ يَتَكَرَّرَ عَلَى مِثْلِ هَذَا النَّسَقِ بَعْدَ ابْنِ الْفَقِيهِ؛ فَهَذَا الْفَنُّ مِنَ الْكِتَابَةِ الْقَائِمِ عَلَى الْاسْتِعَانَةِ بِعُلُومٍ غَيْرِ جُغْرَافِيَّةٍ فِي أَغْلَبِيَّتِهَا لِمَعَالِجَةِ مَوَاضِعِ جُغْرَافِيَّةٍ، هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَنْدَرِيه مِيكِل "مُنْهَجِيَّةَ اللَّامَالُوفِ".

وَإِبْنُ الْفَقِيهِ يُكْرِسُ هَذِهِ الْمُنْهَجِيَّةَ فِعْلًا بِالْإِنْفِتَاحِ عَلَى أَسَالِيبِ الْأَدَبِ، وَالِازْتِقَاءِ بِعِلْمِ الْبُلْدَانِ إِلَى مُسْتَوَى يَتَجَاوَزُ النَّمَطَ التَّقْلِيدِيَّ لِلْجُغْرَافِيَا الْإِدَارِيَّةِ، لِيُقَدِّمَ لَوْحَةً مُعَبَّرَةً عَنِ النَّزَعَاتِ وَالْإِتْجَاهَاتِ الْأَدْبِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ الْمُتَّقِفِ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ لِلْهَجْرَةِ، مَا يَعْنِي، بِإِخْتِصَارٍ، أَنَّهُ مُصَنَّفٌ حَضَارِيٌّ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى.

لَقَدْ مَثَلَ ابْنُ الْفَقِيهِ مَدْرَسَةَ الْأَدَبِ الْمَوْسُوعِيِّ تَمَثُّلًا جَيِّدًا، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِإِبْدَاعِهَا، لَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا هُوَ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلِ الْجُغْرَافِيَا الْإِسْلَامِيَّةِ، حِينَ ظَهَرَ فِي مُنْعَطَقِ زَمَنِ حَرَجٍ، فَطَبَعَ الْجُغْرَافِيَا بِطَابَعِ الْأَدَبِ، وَوَسَّعَ دَائِرَةَ الْمَعَارِفِ الَّتِي تَنْضَوِي تَحْتَ لِيَاءِ عِلْمِ الْبُلْدَانِ لِيُضِيحَ أَكْثَرَ شُمُولًا وَأَسَاعًا، وَأَرْحَبَ أَفْقًا، وَأَغْنَى مَادَّةً، وَأَقْرَبُ إِلَى الدَّوْقِ الْعَامِ، كَمَا ضَمَّنَ لِنَفْسِهِ مَكَانًا مَرْمُوقًا بَيْنَ الْمُصَنِّفِينَ الْكِبَارِ سِوَاهُ فِي مَيْدَانِ الْجُغْرَافِيَا أَوْ فِي جِبَالِ التَّدْوِينِ التَّارِيخِيِّ، يُؤَكِّدُ هَذَا تَأْيِيرَهُ الْمُسْتَمِرَّ فِيمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ، وَحُضُورَهُ الدَّائِمِ فِي مُخْتَلَفِ الْمَصَنَّفَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْجُغْرَافِيَّةِ التَّالِيَةِ لَهُ وَالَّتِي أَخَذَتْ عَنْهُ الْكَثِيرَ.

مَصَادِرِ الْكِتَابِ

إِنَّ تَنْوُوعَ مَصَادِرِ الْكِتَابِ جَعَلَتْهُ حَافِلًا بِنُقُولِ مَطْوَلَةٍ مِنْ مَصَادِرِ مَفْقُودَةٍ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا، أَوْ شِبْهِ مَفْقُودَةٍ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا بِالْكَامِلِ، وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا نُتْفٌ وَشَذَرَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي مَصَادِرِ شَتَّى تَطَلَّبَ اسْتِثْقَاصُهَا جَهْدًا كَبِيرًا وَوَقْتًا طَوِيلًا وَاحْتِيَاطًا بِالِغَا، وَتَنْقِيسِ الْمَصَادِرِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا ابْنُ الْفَقِيهِ فِي بِنَاءِ كِتَابِهِ إِلَى مُصَنَّفَاتٍ مَكْتُوبَةٍ، وَرُؤَايَاتٍ شَفَهِيَّةٍ، حَيْثُ اسْتَمَدَّ صُلْبَ مَادَةِ الْكِتَابِ عَبْرَ النُّقْلِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ الْمُصَنِّفِينَ السَّابِقِينَ عَلَيْهِ أَوْ الْمُعَاَصِرِينَ لَهُ، وَأَضَافَ إِلَيْهَا نَمَا وَعَاهُ صَدْرُهُ، وَحَفِظَتْهُ ذَاكِرَتُهُ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأُقْوَالِ الْمَأْتُورَةِ وَالْأَشْعَارِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْمَوْضُوعَاتِ.

وَلَا شَكَّ فِي أَنْ التَّعَرُّفَ عَلَى مَصَادِرِ الْكِتَابِ مِنْ أَهَمِّ أَهْدَافِ النَّشْرَاتِ النَّقْدِيَّةِ، لَكِنَّ الْمَشْكِلَةَ الْأَسَاسِيَّةَ الَّتِي تُقَابِلُ مِنْ يَتَّصَدَّى لِتَحْقِيقِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْأَعْمَالِ هِيَ؛ التَّأَكُّدُ مِنْ أَمَانَةِ هَذِهِ النُّقُولِ، وَكَيْفِيَّةَ اخْتِيَارِ الْمُؤَلَّفِ لَهَا وَطَرِيقَتَهُ فِي اسْتِخْدَامِهَا، وَلَقَدْ كَشَفَتْ مُقَابَلَةُ النَّصْرِ الَّذِي بَأْيَدِينَا عَلَى مَصَادِرِهِ عَنْ وُجُودِ مَصَادِرِ أَقَادَ مِنْهَا ابْنُ الْفَقِيهِ عَلَى امْتِدَادِ الْكِتَابِ، وَأَنْزَرَى أَقَادَ مِنْهَا فِي مَوْضُوعَاتٍ مُحَدَّدَةٍ، وَرَغَمَ أَنَّهُ يُصْرِّحُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِالْمَصْدَرِ الَّذِي يَأْخُذُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ أَهَمَّ مَصَادِرِ اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي عَشْرَاتِ الْمَوَاضِعِ، بَلْ وَنَقَلَ عَنْهَا مَوْضُوعَاتٍ كَامِلَةً وَهِيَ مُؤَلَّفَاتِ الْجَاحِظِ، وَمُؤَلَّفَاتِ ابْنِ قَتِيْبَةَ، وَمُؤَلَّفَاتِ الْبَلَاذُرِيِّ.

أولاً: المصادر المصرّح بها:

١- المصادر المكتوبة:

المصادر التي صرّح ابنُ الفقيه بالنقل عنها أو اقتباس بعض من مضمونها في موضوعاتٍ مُحدّدة تُشكّل نسبةً لا بأس بها بين مصادر الكتاب، لعلّ من أبرزها ما نقله من مُصنّفات المورخ والنسابة الشهير هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢٠م^١. إذ عادة ما يقول: قال ابنُ الكلبي، أو قال أبو المنذر، أو قال هشام بن السائب، دوننا إشارة إلى اسم الكتاب الذي ينقل منه؛ في حين أنّ النديم أحصى له عشر مؤلّفات في موضوعات علم البلدان^٢ لم يصل إلينا منها شيء.

ولقد تعدّدت المواضع التي أفاد فيها ابنُ الفقيه من ابن الكلبي، فأخذ عنه بعض أخبار تتعلق بتمصير البصرة، وأخبار عن أصل التبت، وأسباب تسمية بعض إقطاعات بغداد، وبعضاً مما قيل في ذمّها، وبضعة فقرات تتعلق بإقليم بابل، وسبب تسمية كزمان، وخبر في فتح خراسان، وعلّة تسمية همّذان، وذكر بعض عجائبها، والطلاسم التي بها، ونسبة اسم نهاوند، وأصبهان، والرّي، ويبدو أن ذكر نسبة أسماء البلدان كان موضوعاً لكتاب من مُصنّفات ابن الكلبي يُعرف بكتاب

^١ راجع في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م ص ٥٣٦؛ النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٠١-٣٠٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٦، ص ٦٨-٧٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٩، ص ٢٨٧-٢٩٢؛ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٣٧-١٣٨.

^٢ الفهرست: ج ١، ص ٣٠٥.

«أنسابِ البُلْدانِ»، اطلَعَ عَلَيْهِ ياقُوتٌ وأفاد مِنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي مُعْجَمِ البُلْدانِ^١، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ قَائِمَةِ مَوْلَفَاتِهِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي أوردَهَا النَّدِيمُ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ شِكِّ فِي إِفَادَةِ ابنِ الفَقِيهِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ.

وَيَسْتَمِي إِلَى نَفْسِ طَبَقَةِ ابنِ الكَلْبِيِّ صِنُوهُ الهَيْثَمُ بنِ عَدِيِّ الكُوفِيِّ، المتوفى سنة (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)^٢، من العُلَمَاءِ بالشَّعْرِ والأَخْبَارِ والأَنْسابِ، اشْتَهَرَ بِمَنَادِمَةِ خُلَفَاءِ بني العَبَّاسِ فَجَالَسَ: المَنْصُورَ، والمَهْدِيَّ، والهاذِي، والرَّشِيدَ، وهو كَاتِبٌ مُكْتَبَرٌ تَزِيدُ مَوْلَفَاتُهُ عَنْ مِئَةِ كِتَابٍ؛ حَظِيَّتِ المَوْضُوعَاتِ البُلْدانِيَّةَ بِنَصِيْبِ طَيْبٍ بَيْنَ مُصَنِّفَاتِهِ، وَلِلْكَوْفَةِ فِيهَا مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ، إِذْ كَتَبَ عَنْ خِطَطِ الكُوفَةِ، وَوَلَاةِ الكُوفَةِ، وَفَخَرَ أَهْلَ الكُوفَةِ عَلَى أَهْلِ البَصْرَةِ، كَمَا كَتَبَ أَيضًا عَنْ نَزُولِ العَرَبِ السَّوَادِ وَخِرَاسَانَ، وَصَنَّفَ كِتَابًا عَنْ الحِجَاجِ، فَضَلًّا عَنْ كِتَابِهِ الكَبِيرِ فِي التَّارِيخِ المُرتَّبِ عَلَى السَّنِينَ.

وَرَعِمَ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا شَيْءٌ مِنْ مُصَنِّفَاتِهِ الكَثِيرَةِ، فَقَدْ اخْتَفَطَتْ بَعْضُ المَصَادِرِ اللَّاحِقَةِ بِتُقُولِ طَوِيلَةٍ مِنْ مُصَنِّفَاتِهِ، وَعَلَى الأَخْصِ أَنْسابُ الأَشْرَافِ لِلبَلَادِرِيِّ، وَالمَعَارِفُ لابنِ قُتَيْبَةَ، وَتَارِيخُ الطَّيْرِيِّ.

اسْتَفَادَ ابنُ الفَقِيهِ مِنَ الهَيْثَمِ بنِ عَدِيِّ فِي مَوْضُوعَاتِ واسِطِ، وَالنَّبَطِ وَالسَّوَادِ،

^١ معجم البلدان: ج ٢، ص ١٢٦؛ ج ٥، ص ٧١؛ ج ٥، ص ٣٢٥.

^٢ انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٣٨-٥٣٩؛ النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٣١١-٣١٣؛

الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١٦، ص ٧٦-٨٢؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١٩،

وأصبهان، والأهواز، دُونَ تَسْمِيَةِ كُتُبِهِ الَّتِي نَقَلَ عَنْهَا، حَيْثُ اسْتَنَدَ إِلَى الرُّوَايَاتِ الشَّفَهِيَّةِ الَّتِي جَمَعَهَا الْبَلَاذُرِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى الْهَيْثَمِ، فَحَذَفَ السَّنَدَ، وَابْتَدَأَ الْأَخْبَارَ بِقَوْلِهِ: قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ، نَجِدُ ذَلِكَ فِي مَوْضُوعَاتِ تَمْصِيرِ الْكُوفَةِ، وَصَلَحَ الدِّينُورَ، وَفَتَحَ الرَّيَّ، وَسَجِسْتَانَ، وَكَذَلِكَ فَتَحَ خُرَاسَانَ.

كَذَلِكَ فَقَدْ اعْتَمَدَ ابْنُ الْفَقِيهِ عَلَى مُؤَلَّفَاتِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَائِنِيِّ، الْمُتَوَفَى (٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)، وَهُوَ مُؤَرِّخٌ نَسَابَةٌ غَزِيرُ الْإِنْتِاجِ، تَتَجَاوَزُ قَائِمَةٌ مُصَنَّفَاتِهِ مِائَتِي عُنْوَانٍ، تَنَاوَلَتْ مُعْظَمَ فُرُوعِ الْمَعْرِفَةِ الْأَدْبِيَّةِ فِي الْقَرْنَيْنِ الثَّانِيِ وَالثَّلَاثِ لِلْهَجْرَةِ^١، أَفَادَ مِنْهُ ابْنُ الْفَقِيهِ فِي الْعَدِيدِ مِنْ أَخْبَارِ الْمَشْرِقِ لِاسِيًّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَخْبَارِ السُّوَادِ، وَالْمَدَائِنِ، وَدَمَّ الْبِنَاءِ، وَكَذَلِكَ فَتُوِّحَ خُرَاسَانَ، وَخَرَّاجِيهَا، وَلَمْ يُجَدِّدْ عَنَاوِينَ كُتُبِهِ الَّتِي اسْتَفَادَ مِنْهَا، عَلَى الرَّغْمِ أَنَّ مِنْ بَيْنِ مُؤَلَّفَاتِ الْمَدَائِنِيِّ الْعَدِيدِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِمَبَاشَرَةٍ بِمَوْضُوعِ كِتَابِ أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ، مِثْلَ مُصَنَّفَاتِهِ فِي أَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ، وَكُتُبِهِ عَنِ الْفُتُوْحِ، وَمُؤَلَّفَاتِهِ عَنِ رِجَالِ قُرَيْشٍ وَكُتُبِهِ عَنِ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَالْفِتْنَةِ.

وَأَفَادَ ابْنُ الْفَقِيهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِ اللَّغَوِيِّ وَالْأَخْبَارِيِّ الْفَارِسِيِّ الْأَصْلِ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى الْمُتَوَفَى ٢٠٩هـ/ ٢٢٥م^٢، وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ، وَأَوْسَعِ النَّاسِ دِرَايَةً بِتَارِيخِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى قِيلَ أَنَّ «دِيْوَانَ الْعَرَبِ كَانَ فِي

^١ انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف: ص ٥٣٨؛ النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣١٥-٣٢٣؛ الخطيب البغدادي:

تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٥١٦-٥١٨.

^٢ انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٥٤٣؛ أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، الحلبي،

القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٧٦-٧١.

بَيْتِهِ»، إذ تَزِيدُ قَائِمَةٌ مُصَنَّفَاتِهِ الَّتِي أُوْرَدَهَا لَهُ صَاحِبُ الْفِهْرِسْتِ عَنْ مِائَةِ كِتَابٍ، مِنْ بَيْنِهَا مُصَنَّفَاتُ تَارِيخِيَّةٍ مُهِمَّةٍ مِثْلُ: كِتَابِهِ عَنِ الْحَجَّاجِ، وَكِتَابِ السَّوَادِ وَقَتْحِهِ. وَاسْتَفَادَ ابْنُ الْفَقِيهِ مِنْهُ فِي مَوْضُوعَاتِ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِثْلِ النَّبَطِ وَالْفَرَسِ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَخْبَارًا فِي تَمْصِيرِ الْبَصْرَةِ وَمَسْحِ السَّوَادِ.

* * *

وَاسْتَحْدَمَ ابْنُ الْفَقِيهِ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ بَغْدَادِ طَائِفَةَ كَبِيرَةً مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الَّتِي اسْتَعَانَ بِهَا لِإِنِّاءِ هَذَا الْقِسْمِ الْفَرِيدِ مِنَ الْكِتَابِ، فَأَخَذَ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ إِقْطَاعَاتِهَا وَخِطَطِهَا مِنْ مُؤَرِّخِينَ مَعْرُوفِينَ مِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ الْمُتَوَفَى ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م، صَاحِبِ الْمَدَائِنِيِّ، وَلَا نَعْرِفُ مِنْ أَيِّ كُتُبِهِ اسْتَفَادَ إِلَّا أَنَّ لَهُ كِتَابًا يَحْمِلُ الْعِنُونَ الشَّهْرَ «الْمَسَائِلُ وَالْمَمَالِكُ»^١.

وَأَخَذَ مِنْ أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي طَاهِرِ طَيْفُورِ الْمُرُوزِيِّ الْكَاتِبِ^٢ الْمُتَوَفَى ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، مُصَنَّفَ كِتَابِ «بَغْدَادِ» الشَّهْرِ مَا يَخْصُ حُدُودَ بَغْدَادِ، وَأَفَادَ أَيْضًا مِنْ كِتَابِهِ «بَلَاغَاتُ النِّسَاءِ» فِيمَا قِيلَ عَنِ ذَمِّ الْكُوفَةِ.

^١ انظر في ترجمته: النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ٥،

ص ١٩٨-١٩٩؛ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج ٣، ص ٣-٨.

^٢ انظر في ترجمته: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٤١٦؛ النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥١-٤٥٣؛

الخطيب البغدادي: ج ٥، ص ٣٤٥.

كذلك فقد أفاد ابن الفقيه من الأخبار والمزيّات المنسوبة إلى بعض القادة ورجال الدولة الذين أسهموا في بناء المدينة، أو حازوا من إقطاعاتها أمثال: سليمان بن مجالد أخو أبي جعفر المنصور من الرضاة، ومحمد بن موسى بن الفرات الكاتب، أبو الوزراء، والقائد حماد التركي، ويحيى بن الحسن خال الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد؛ وهؤلاء جميعاً شهود عيان على تطور عاصمة بني العباس وما عرفته من توسعات.

هذا فضلاً عن استشهاد ابن الفقيه بمقولات عدد من الأخباريين منهم: عبد الله بن عيَّاش المتوفى الهمداني الكوفي، المتوفى ١٥٨هـ/٧٧٥م، وأبو العباس الشروي المتوفى ٢٧٤هـ/٨٨٧م، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى ٢٣٥هـ/٨٤٩م، وأحمد بن الهيثم بن فراس، وأقوال عدد من المنجمين أمثال: أبو سهل بن نوبخت المنجم، وأحمد بن محمد الحاسب الفلكي، وعباس بن باغار الرقي، صاحب كتاب «قسمة المعمور من الأرض وهيئة الدنيا»، وذلك فيما يخص موقع بغداد وفضله.

كما أكثر من الاستشهاد بأقوال الصالحين والزهاد والعلماء أمثال: بشر بن الحارث المتوفى ٢٢٩هـ/٨٤٤م، الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن الجعيد فيما يخص دمَّ بغداد.

على أن أهم مَصْدِرٍ عاد إليه ابن الفقيه فيما يخص بغداد هو كتاب «فضائل بغداد وصفتها» للمؤرخ والفيلسوف والمنجم يزيد جرد بن مهنبداد الكسروي^١، حيث نقل عنه نصاً طويلاً جداً يتضمن إحصاءات تتعلق بما كان في بغداد من الحمامات، والفنادق، والأسواق، والمساجد، والدور، والشوارع، وما كانت تستهلكه من أنواع الطعام وأصناف الأغذية، واللباس والزينة وأصناف الأدوية، وأنواع الزروع والثمار، وصنوف الأشربة، وما كان في أسواقها من الصناعات وغرائب الطيور والأسماك، وما تحتاج إليه بيوت قاطنيها من أنواع الزيت، وأصناف الصابون وما يستهلك فيها يومياً من اللحوم والحطب والحنطة والشعير، فيما يمكن تسميته بـ «علم الخطط الإحصائي».

ويمثل هذا القسم من الكتاب قيمة عظيمة جداً خاصة وأنه من الموضوعات التي حذفها «الشيرازي» صاحب المختصر، ولولا هذه النسخة ما كان لنا أن نقف عليه.

كذلك استفاد ابن الفقيه من الفيلسوف والرياضي الأديب أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ الكندي المتوفى سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م^٢، فأخذ عنه مادة طيبة تتعلق بمميزات موقع بغداد المتوسط بين البر والبحر والسهل والنهر وموقعها بين الأقاليم، وهي مادة لم ينقلها عنه مباشرة وإنما أخذها ضمن ما أخذ من كتاب

^١ انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٩٦؛ الوافي بالوفيات، ج ٢٨، ص ٦-٨.

^٢ انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٤٥٩، ج ٢، ص ١٩٥-١٩٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٥-٦؛ الففطي: أخبار الحكماء، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٦٤-٦٥.

يَزْدَجِرْدُ بن مُهَنْبَدَاذِ الكِسْرَوِيِّ، الذي يَبْدُو أَنَّ هذا الأخير أَلْفَهُ على غِرَارِ كِتَابِ السَّرْحِييِّ يَحْمِلُ عُنْوَانًا شَبِيهًا هو «فَضَائِلُ بَغْدَادِ وَأَخْبَارُهَا» وهو، كَكُلِّ كُتُبِ السَّرْحِييِّ، لم يَصِلْ إلَيْنَا.

وتتفق أَكْثَرُ مَادَّةِ الْقِسْمِ الْمُتَعَلِّقِ بِالسَّوَادِ وَصِفَتِهِ وَأَعْلَامِهِ، عند ابن الفَقِيهِ، مع ما أورده الجُغْرَافِيّ الفَارِسِيّ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بن أَحْمَدَ بن خُرْدَاذْبَه المَتَوَفَى في حدود سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م^١، وهو صَاحِبُ أَوَّلِ نَصِّ في الجُغْرَافِيَا الوَصْفِيَّةِ من القَرْنِ الثَّالِثِ لِلْهِجْرَةِ يَصِلُ إلَيْنَا كَامِلًا^٢؛ كان ابن خُرْدَاذْبَه من نُدَمَاءِ الحَلِيفَةِ الْمُعْتَمِدِ، وقد تَوَلَّى البَرِيدَ والحَبْرَ بنَوَاحِي إقْلِيمِ الجَبَلِ^٣، ثُمَّ شَغَلَ وَظِيفَةَ رَئِيسِ مَصْلَحَةِ البَرِيدِ في بَغْدَادِ وَسُرْمَرِيٍّ، وَأَتَا حَتَّى لهُ الوِظَائِفُ الَّتِي شَغَلَهَا مَعْرِفَةُ الكَثِيرِ عن أَعْمَالِ الدَّوْلَةِ وَأَقَالِيمِهَا، وقد خَصَّصَ ابن خُرْدَاذْبَه، قِسْمًا من كِتَابِهِ لِلْحَدِيثِ عن السَّوَادِ وَتَقْسِيمَاتِهِ الإِدَارِيَّةِ، وَأَنْوَاعِ الصَّرَائِبِ الَّتِي تُجْبَى مِنْهُ، وَطُولِ المَسَافَاتِ بَيْنَ بِلَادِهِ، وهو ما نَقَلَهُ ابن الفَقِيهِ عنه دُونَهَا إِشَارَةً.

^١ انظر في ترجمته: النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٧-٤٥٨؛ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٦٧-١٧١.

^٢ يري "دي خويه" أن كتاب ابن خُرْدَاذْبَه الذي وصل إلينا ما هو إلا موجز متأخر لكتاب أكبر. راجع:- كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص ١٦٨-١٦٩.

^٣ النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٧-٤٥٨، عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣م، ص ١٠٦-١٠٩.

ولعلّ هذه النُّقول التي أَخَذَهَا ابْنُ الْفَقِيهِ مِنْ كِتَابِ «الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ» لابن خُرْدَاذُبِهِ، كانت السَّبَبُ وراءَ اتِّهَامِ النَّدِيمِ لَهُ بِأَنَّهُ سَلَخَ كِتَابَ الْوَزِيرِ السَّامَانِيِّ «أَحْمَدِ بْنِ نَضْرَ الْجَيْهَانِيِّ» الْمَتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٣٦٧هـ/٩٧٨م، لِأَنَّ هَذَا الْأَخِيرَ إِنَّمَا أَسَسَ عَمَلَهُ، الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا نَصُّهُ الْعَرَبِيُّ، عَلَى كِتَابِ «الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ» لابن خُرْدَاذُبِهِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا قَرَّرَهُ الْمُقَدِّسِيُّ، فِي صَدْرِ كِتَابِهِ «أَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ» عِنْدَمَا قَدَّمَ وَضْفًا تَفْصِيلِيًّا لِكِتَابِ الْجَيْهَانِيِّ الْمَوْسُومِ، وَفَقًّا لِلْعُرْفِ السَّائِدِ، بِالِاسْمِ الشَّهِيرِ «الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ».

حيثُ قال: «وَرَأَيْتُ كِتَابَهُ فِي سَبْعِ مُجَلَّدَاتٍ فِي خَزَائِنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ غَيْرِ مُتَرَجِّمٍ وَقِيلَ بَلْ هُوَ لِابْنِ خُرْدَاذُبِهِ، وَرَأَيْتُ مُحْتَضِرِينَ بَنِيْسَابُورَ مُتَرَجِّمِينَ أَحَدَهُمَا لِلجَيْهَانِيِّ وَالْآخَرَ لِابْنِ خُرْدَاذُبِهِ تَتَّفَقُ مَعَانِيَهُمَا، غَيْرَ أَنَّ الْجَيْهَانِيَّ قَدْ زَادَ شَيْئًا يَسِيرًا»^١. وقال أيضًا: «أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِ الْجَيْهَانِيِّ وَجَدْتَهُ قَدْ اخْتَوَى عَلَى جَمِيعِ أَصْلِ ابْنِ خُرْدَاذُبِهِ وَبَنَاهُ عَلَيْهِ»^٢.

وعلى هذا فلا علاقة مباشرة بين كتاب الجيهاني وكتاب ابن الفقيه، لأن الأخير قد ألف كتابه قبل كتاب الجيهاني بما يقرب من ثلاثين عامًا.

* * *

^١ انظر: المقدسي، ص ٤.

^٢ نفسه، ص ٢٤١.

وأفاد ابنُ الفقيه من الأديبِ العباسيِّ مُحَمَّد بنِ عَبْدِوسِ الجَهْشِيَارِيِّ، المتوفَّى سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م^١، صَاحِبِ كِتَابِ «الوزراء والكتّاب»؛ إذ نقلَ عنه قائِمة الخِراجِ التي أوردَها في كتابه، والتي يُنصُّ الجَهْشِيَارِيُّ على: « أن أبا الوَزيزِ عُمَرَ بنَ مُطَرِّفِ الكَاتِبِ من أهلِ مَرُو، وأنّه كان يتقلّد دِيوانَ المَشْرِيقِ للمَهْدِيِّ، وهو وليّ عهد، ثمّ كتبَ له في خِلافته، ولموسى وهارون، وأنّه عمِلَ في أَيّامِ الرَّشِيدِ تَقْدِيرًا عَرْضَهُ على يَحْيَى بنِ خَالِدٍ، لما يُحتمَلُ إلى بَيْتِ المَالِ بِالْحَضْرَةِ من جَمِيعِ النَّواحِي من المَالِ والأُمْتَةِ»^٢، بيّنَا قال ابنُ الفقيه « وكان المعروفُ بأبي الوَزيزِ الكَاتِبِ عمِلَ تَقْدِيرًا لِلدُّنْيَا وعرضَهُ على يَحْيَى بنِ خَالِدِ البَرْمَكِيِّ في خِلافةِ الهَادِي سنة سَبْعِينَ ومائة» [ورقة: ٨٧ظ]، وهو بذلك يَعُودُ بهذه الوَثِيقَةَ المُهمّةَ إلى أَيّامِ الهَادِي وَلَيْسَ الرَّشِيدِ، على أَنّه تصرّفَ فيها بِالْحَذْفِ والإِصَافَةِ والتَّقْدِيمِ والتَّأخِيرِ، ودونِ إِشَارَةِ إلى مَصْدَرِهِ الأَصْلِيِّ وهو ابنُ عَبْدِوسِ الجَهْشِيَارِيِّ.

ونظرًا لأهميّة البيّانات التي أوردَها ابنُ الفقيه حَوْلَ مَوْضُوعِ الخِراجِ، فقد ذِيلَتْ هذا التحقيق بقائمة مقارَنة لتَقْدِيرَاتِ خِراجِ كُورِ السَّوَادِ، وقائمة أُخرى مُقَارَنة بين ما أوردَهُ ابنُ الفقيه والجَهْشِيَارِيُّ.

^١ انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات: ج ٣، ص ١٦٧.

^٢ الجَهْشِيَارِيُّ: محمد بن عبدوس، المتوفى ٣٣٠هـ/٩٤٢م، الوزراء والكتّاب، حققه ووضع فهرسه مصطفى السقا

وأخرون، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٨١.

في الجزء الذي خصَّصه ابنُ الفقيه للحديث عن أبنية البلدان وعجائبها رجع إلى كتاب «المجسطي» لبطلميوس القلوزي^١، أشهر فلكني العصر الهلنستي، وصاحب نظرية الأقاليم السبعة، التي سيطرت على الفكر الجغرافي العربي، وتأسست عليها معرفة المسلمين الجغرافية، ولا ندري إلى أي ترجمة من ترجمات الكتاب رجع ابنُ الفقيه، غير أنني قابلتُ هذا النص على ما جمعه وترجمه «ثابت بن قرة الحراني» لما قاله بطلميوس في «قسمة الأرض على البروج والكواكب»، وهو جزءٌ مخطوط اكتُشف سنة ٢٠١٠م، في إحدى مكتبات اسطنبول^٢، والنصوص التي وجدناها لدى ابن الفقيه ليس لها ما يُناظرها بنفس النسق في المتاح بين أيدينا من ترجمات كتاب «المجسطي»، ولا حتى في نص «ثابت بن قرة»، ومن الملاحظ تطابقها مع ما نقله «ابن الحائك الهمداني» من «المجسطي» في صدر كتابه «صفة جزيرة العرب»، ما يعني أن الرجلين قد رجعا إلى نفس الترجمة والتي غالبًا لم تصل إلينا.

كما عاد ابنُ الفقيه إلى كتاب «الأهوية والبلدان» المنسوب إلى «أبقراط» أشهر أطباء العالم القديم^٣، وصاحب الأثر الباقي في المعرفة الطبية لدى المسلمين، ورغم شكك المؤرخين في صحة نسبة كتاب «الأهوية والبلدان» إلى «أبقراط»؛ إلا أنه كان كتابًا ذائع الصيت، ترجمه «حُنين بن إسحاق» المتوفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، وأقاد منه الأطباء العرب والجغرافيون على السواء.

^١ عاش بطلميوس بين سنتي: ٨٧-١٥٠م، هذا ولم تصل إلينا الترجمة العربية لنص كتاب «المجسطي». للمزيد

راجع: النديم: الفهرست، ج٢، ص٢١٤-٢١٦؛ القفطي: أخبار الحكماء، ص٧٨-٨٠.

^٢ نشره فؤاد سيزكين في فرانكفورت، سنة ٢٠١١م.

^٣ انظر في ترجمته: النديم: المصدر السابق، ج٢، ص٢٧١-٢٧٣؛ القفطي: المصدر السابق، ص٧٤-٧٦.

وصرَّحَ بالنقل عن كِتَابِ الطَّلَسَاتِ «لِبَلِينِيَّاسِ الْحَكِيمِ»، يَقْصِدُ كِتَابَ «الطَّلَاسِمِ الْكَبِيرِ» لِابُولُونَيْسِ الطِّيَانِيِّ - كَانَ حَيًّا فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لِلْمِيلَادِ، وَكِتَابَهُ هَذَا مِنَ النَّصُوصِ الَّتِي نَقَلَهَا إِمَامُ الْمُتَرْجِمِينَ «حُنَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ»، وَهُوَ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمُهَمَّةِ الَّتِي عَوَّلَ عَلَيْهَا ابْنُ الْفَقِيهِ كَثِيرًا، إِذْ نَقَلَ عَنْهُ أَخْبَارَ الطَّلَاسِمِ الَّتِي اتَّخَذَهَا مُلُوكُ فَارِسَ فِي إِقْلِيمِ الْجَبَلِ، وَقَرْمَيْسِينَ، وَمَا أُحْدِثَ مِنْهَا فِي هَمْدَانَ وَتَهَاوُنْدَ وَقَرْوِينَ، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ كَانَ ذَا جَاذِبِيَّةٍ خَاصَّةً لِابْنِ الْفَقِيهِ بِسَبَبِ مَحْتَوَاهِ الْعَجَائِبِيِّ.

وَيَنْقُلُ ابْنُ الْفَقِيهِ مِنْ كِتَابِ «فِرْدَوْسِ الْحِكْمَةِ» لِلطَّبِيبِ الْأَدِيبِ «عَلِيِّ بْنِ رَبَّنِ بْنِ سَهْلِ الطَّبْرِيِّ» الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٧هـ/ ٨٦١م،^٢ خَبَرَ السَّفَارَةَ الَّتِي تَوَجَّهَتْ إِلَى جَبَلِ دُنْبَاوَنْدَ لِلتَّعَرُّفِ عَلَى حَقِيقَةِ أَخْبَارِهِ الْعَجِيبَةِ، كَمَا أَنَّهُ نَقَلَ مِنْهُ بَعْضَ الْأَخْبَارِ عَنْ عَجَائِبِ طَبْرِسْتَانَ، لَكِنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ بِمَصْدَرِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ.

وَاسْتَقْفَى ابْنُ الْفَقِيهِ مَرْوِيَّاتَهُ عَنْ مَعْبَدِ النَّوْبَهَارِ مِنْ كِتَابِ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ لِلْمُؤَرِّخِ الْبَغْدَادِيِّ «عُمَرَ بْنِ الْأَزْرَقِ الْكِرْمَانِيِّ» وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ الْجَا حِظِّ وَمَعَاصِرِيهِ، رَوَى عَنْهُ فِي كِتَابِهِ هَذَا طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِ بَنِي بَرْمَكٍ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ شَخْصِيَّةً مَرْمُوقَةً فِي بِلَاطِ الْعَبَّاسِيِّينَ حَتَّى أَنَّ الْمَأْمُونَ عَرَضَ عَلَيْهِ الْوِزَارَةَ فَتَرَفَّعَ عَنْهَا.

^١ انظر: النديم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤١.

^٢ انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ القفطي: أخبار الحكماء، ص ١٧٨؛

الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٦٢.

ويُشير «إحسان عباس»^١ إلى أن مُعظم مرويات الكِرْمَانِي عن البرامكة اعتمد فيها على «مُحمَّد بن يحيى بن خالد البرمكي» ما يعني أنه لقي بعض ممن لحق نكبة البرامكة. وعند حديثه عن بلاد التُّرك التُّغزُّز «الأيجوريين» يعتمد ابن الفقيه على ما ذكره «تميم بن بحر الطوعوي» من أخبار بلاد الأتراك المتاخمة لحدود الصين، حيث يصف الطريق البرِّي الذي يخرق آسيا الصغرى نحو الصين «طريق الحرير»، ويذكر أسماء بلدات الأتراك ووصفتها، ويتناول بعض عادات سُكَّان هذه المناطق، وبهذا فإنَّ تميم بن بحر أول عربي يصف الطريق البرِّي إلى الصين، وأول من يمدُّنا بمعلوماتٍ عن قبائل الأتراك «الأيجوريين» تستند إلى مشاهداتٍ مباشرة، وهو إلى جانب المعلومات الطريفة عنهم، يصف دياناتهم وبعض عجائب بلدانهم مثل قصة «حجر المطر».

والقطعة التي احتفظ بها ابن الفقيه من أخبار سفارة «تميم بن بحر الطوعوي» تُعتبر أوفى ما لدينا إلى الآن من نصِّ هذه الرحلة، ولولا تحطُّوة مشهد التي بين أيدينا ما كان لنا أن نقف على هذا النصِّ بالغ الأهميَّة.

واستكمل ابن الفقيه مادته حول هذه المنطقة وما يقع في شمالها وشرقها من الرحلة «سعيد بن الحسن السمرقندي» الذي يبدو أنه توغلَّ في الأضقاع الواقعة شمال نهر الفولجا وطوف في المنطقة ما بين آسيا وأوربَّا التي تشتهر في المصادر العربيَّة باسم «بلاد الصقالية»؛ حيث ذكر أسماء المدن التي يسكنونها وما يميِّزون به من طباع، وقال: «لهم مُدنٌ ما وصل إليها إنسان من المسلمين» [١٧٧]. وعلى هذا فالسمرقندي هو أول من بلغ هذه المناطق وأول من وصفها.

^١ إحسان عباس: شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م.

٢- الروايات الشفهية:

أفاد ابن الفقيه في شتى موضوعات الكتاب من مرويات شفهية لأناس لقبهم، وأخذ عنهم وحفظ من أقوالهم وأشعارهم، فكثيراً ما يقول: «حدثني فلان» أو «أخبرني فلان» أو «أنشدني فلان» أو «سألت فلان».

ومن أهم الشخصيات التي اعتمد عليها ابن الفقيه في مثل هذه الروايات: الحسين بن أبي سرح، وعبد القاهر ابن حمزة الواسطي، وعبد الرحمن بن سليمان الكيرماني، وأبو حامد أحمد بن جعفر المستملي، وأبو عبد الله الحسين بن أستاذويه، وأبو الفضل الواشجردي، وأبو العباس المروزي، وغيرهم.

ومن الواضح أن هؤلاء كانوا من أعلام عصر ابن الفقيه، غير أننا لم نجد لبعضهم ترجمات فيما بين أيدينا من مصادر، ولعل السبب في ذلك أنهم من دائرة معارفه القريبة الذين قابلهم وسمع منهم وحدث عنهم.

ثانياً: المصادر غير المصحح بها.

يأتي عمرو بن بحر بن محبوب الكِنَاني الشهير بالجاحظ (١٦٣-٢٥٥ هـ = ٧٨٠م) على رأس المصادر التي أفاد منها ابن الفقيه ولم يصرح بها، فالجاحظ، بلا

^١ انظر: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٥٧٨-٥٨٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٢٤-١٣٢؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٧٤-١١٤؛ طه الحاجري: الجاحظ حياته وآثاره، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م؛ فاروق عمر فوزي: الجاحظ مؤرخاً، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد،

مُنازع، إمام أهل الأدب في القرن الثالث للهجرة، وأحد أكبر الشخصيات الأدبية في تاريخ الإسلام؛ ويتضح من مقابلة النص أنه كان أبعد المصنفين أثرًا في كتاب «أخبار البلدان»، لا من حيث عدد النقول، فيما نقله ابن الفقيه عن البلاذري أكثر عددًا، لكن أثر الجاحظ كان أوضح ما يكون في أسلوب ابن الفقيه وطريقته في بناء كتابه وعرض مادته، وإن لم يُصرح باسمه إلا نادرًا، غير أن روح أدب الجاحظ ظلت بادية من خلف العبارات والاستشهادات والأشعار.

ومع ذلك فإن ابن الفقيه لم يترك كتابًا نعرفه للجاحظ إلا وأفاد منه وأخذ عنه، فأكثر النقل من كتاب «الحيوان»، وهو كتاب حافل بالأفكار الجديدة والملاحظات الذكيّة والمعلومات ذات الصبغة الأثروبولوجيّة «الإناسيّة» والإثنوجرافيّة «العرقية». واستعان كثيرًا بكتاب «البيان والتبيين»، وأعاد صياغة رسالة «الحين إلى الأوطان» ضمن حديثه عن موطنه همذان.

فضلاً عن اقتباساته من رسائل الجاحظ العديدة مثل: «رسالة التبصر بالتجارة»، و«فخر السودان على البيضان»، و«العرجان والبرصان والعميان والحوّلان»، وكتاب «المحاسن والأضداد»، وما أخذه من كتاب «البخلاء» ذائع الصيت، حيث وجد ابن الفقيه فيها مادة خصبة منحت كتابه هذا الذوق الأدبي الخاص، وأكدت انتماءه إلى مدرسة الجاحظ الأدبية الرائدة.

ويمكن القول، بكلّ اطمئنان، أن ابن الفقيه تابع الجاحظ في الكتابة عن خواصّ البلدان وفضائلها، وهو نوعٌ من الأدب الجغرافيّ ازدهر في العصر الأمويّ

[٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م]؛ حيث نجدَه يفتبس من الجاحظ مواد تتعلق بعجائب البصرة ومسائرها، وخصائص بغداد، والكوفة، والرّي، ونيسابور، وسمرقند. وسيجد القارئ إشارات متعدّدة إلى هذه النقول في حواشي الكتاب.

أمّا البلاذريّ: أحمد بن يحيى بن جابر، المتوفّي سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م^٢، فهو أخباريّ أديب شاعرٍ نسابه مترجم، كان نديباً للخليفة المتوكل، يحتل مكانة مرموقة بين مؤرخي القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد كمؤرخ جامع حلّت مؤلفاته شيئاً فشيئاً محلّ مصادرها.

يمثّل البلاذريّ المصدر الرئيس لابن الفقيه في معظم ما يتعلّق بالفتوحات، وتأسيس الأمصار الإسلاميّة، والتقسيمات الإداريّة، وأخبار الأبنية الشهيرة، حيث يرجع إلى كتابيه المعروفين «فتوح البلدان» و«أنساب الأشراف»، ويقلّ منها نقولاً مطوّلة.

ومن الملاحظ أنّ ابن الفقيه كثيراً ما ينسب الروايات التي أخذها عن البلاذريّ إلى نفسه، أو إلى بعض مصادر البلاذريّ الشفهيّة؛ فمثلاً عند حديثه عن عيون الكوفة يقول: «سألت بعض المشايخ» بينما الخبر لدى البلاذريّ: «حدّثني بعض المشايخ».

^١ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٤٥.

^٢ عنه راجع -: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٤٧-٣٤٨؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٣٠-٥٣٥؛

كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص ١٧٦.

أو يقول: «قال: جَعْفَرُ بن مُحَمَّدِ الرَّازِي» وهو يتحدّث عن جَعْفَرِ الرَّازِي شَيْخِ
الْبَلَادُرِيِّ، كما أوجَفَ حقّه كثيرًا إذ نقل عنه نُصُوصًا طَوِيلَةً جِدًّا ولم يُشِرْ إليه،
كالنَّصِ الْمُتَعَلِّقِ بِعُيُونِ الطَّفِّ وَالْقُطُقَطَانَةِ وَالرَّهَيْمَةِ وَعَيْنِ جَمَلٍ، وَتَخْصِيرِ الْبَصْرَةِ،
وَأَخْبَارَ كَثِيرَةٍ أُخْرَى.

بل إنّه أحيانًا يَنْسِبُ الْأَخْبَارَ الْمُنْقُولَةَ عَنِ الْبَلَادُرِيِّ إِلَى مَجْهُولِينَ كَأَن يَقُولُ:
«قالوا» أو «حدّث بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ»، بيد أنّ الرُّوَايَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِكُورِ خُرَاسَانَ
وَالَّتِي صَدَّرَهَا بِ «قال البلادريّ» كَيْسَتْ فِي فَتُوحِ الْبُلْدَانِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا رَغْمَ
إِشَارَةِ الْمُقَدِّسِيِّ وَيَأْقُوتِ إِلَى صِحَّةِ نِسْبَتِهَا إِلَيْهِ، وَعَلَيْنَا هُنَا أَنْ نَذْكَرَ قَوْلَ النَّدِيمِ أَنَّ
لِلْبَلَادُرِيِّ كِتَابَ «الْبُلْدَانِ الصَّغِيرِ»، وَكِتَابَ «الْبُلْدَانِ الْكَبِيرِ» لَمْ يَتَمَّهُ^١.

وَتَدُلُّ طَرِيقَةُ ابْنِ الْفَقِيهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النُّصُوصِ الَّتِي أَخَذَهَا عَنِ الْبَلَادُرِيِّ عَلَى
رَغْبَتِهِ الْوَاضِحَةِ فِي التَّعَاضِي عَنِ ذِكْرِهِ، وَإِخْفَاءِ عِلَاقَتِهِ بِهِذِهِ الْأَخْبَارِ، وَكَيْسَ نَمَّةً
تَفْسِيرٍ لِهَذَا سِوَى أَنَّ الْمُعَاصِرَةَ حِجَابٌ، عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْإِنْصَافِ الْإِشَارَةَ إِلَى وُجُودِ
مَصَادِرٍ مُشْتَرَكَةٍ عَادَ إِلَيْهَا ابْنُ الْفَقِيهِ كَمَا عَادَ إِلَيْهَا الْبَلَادُرِيُّ.

^١ الفهرست: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٨؛ وقد أشار فؤاد سيزكين إلى أن كتاب "البلدان الصغير" هو
الذي نشر بعنوان "فتوح البلدان". انظر: تاريخ التراث العربي القسم الأول، المجلد الثاني، ص ١٥٢-١٥٣،
وربما يكون ابن الفقيه قد اطلع على نسخة أتم من التي بأيدينا من كتاب فتوح البلدان، أو على كتاب البلدان
الكبير الذي لم يصل لنا.

ومن المصادر التي اعتمد عليها ابن الفقيه ولم يُصرِّح بها كثيرًا مؤلفات الفقيه الأديب والنَّاقِدِ واللُّغوي والمُؤرِّخِ المَوْسُوعِيِّ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ (٢١٣ - ٢٧٦هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩م) ^١ أَحَدُ أَبْرَزِ تَلَامِيذِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِمَامِ الْمَدْرَسَةِ الْبَغْدَادِيَّةِ فِي النَّحْوِ، صَاحِبِ الْمَصَنَّفَاتِ الْعَدِيدَةِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، تَعُودُ شُهْرَتُهُ فِي مَيْدَانِ الْأَدَبِ إِلَى كِتَابِهِ «الشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ»، وَمَا أَثَارَ فِيهِ مِنْ قَضَايَا نَقْدِيَّةٍ.

ويعُدُّ ابن قُتَيْبَةَ مُصَدِّرًا ذَا أَهْمِيَّةٍ خَاصَّةٍ لِابْنِ الْفَقِيهِ، أَفَادَ مِنْ كُتُبِهِ عَلَى مَدَى فَضُولِ الْكِتَابِ، مُعْتَمِدًا عَلَى ثَلَاثَةِ مِنْ أَهَمِّ مُؤَلَّفَاتِهِ: «عُيُونُ الْأَخْبَارِ»، وَ«الْمَعَارِفِ» وَكِتَابَهُ الْأَشْهَرُ «الشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ» إِذْ نَقَلَ مِنَ الْأَخِيرِ الْعَدِيدَ مِنَ الْأَشْعَارِ الَّتِي تَنَاطَلَتْ دَمَ بِلَادِ الْعِرَاقِ، وَأَوْصَافِ إِيْوَانَ كِسْرَى.

وَشَكَّلَتْ مُؤَلَّفَاتُهُ لِابْنِ الْفَقِيهِ مَعِينًا لَا يَنْضَبُ فِيهَا يَحُصُّ أَخْبَارَ الْفُرْسِ الْقَدِيمَةِ؛ وَبِخَاصَّةِ كِتَابِيهِ: «عُيُونُ الْأَخْبَارِ»، وَ«الْمَعَارِفِ» فَمِنْهَا أَخَذَ الْعَدِيدَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَنْهَارِ الْأَهْوَازِ، وَإِقْلِيمِ بَابِلَ، وَالكَثِيرَ مِنْ مُدُنِ وَأَقَالِيمِ بِلَادِ فَارِسَ، مَعَ بَعْضِ الْأَسَاطِيرِ الْفَارِسِيَّةِ مِثْلَ قِصَّةِ الْبِيُوَارِسِيَّةِ، وَكَذَا أَخْبَارَ أَصْبَهَانَ وَأَذْرَبِيجَانَ، كَمَا أَعَادَ ابْنُ الْفَقِيهِ صِيَاغَةَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي أَوْرَدَهَا ابْنُ قُتَيْبَةَ عَنْ خُرَّاسَانَ بِأَسْلُوبِهِ؛ فَظَهَرَ بَرَاعَةُ أَدْبِيَّةٍ وَمَقْدِرَةٌ عَلَى إِعَادَةِ صِيَاغَةِ النَّصِّ تَلْخِيصًا وَإِجْمَالًا.

^١ انظر في ترجمته: النديم: الفهرست؛ ج ١، ص ٢٣٥ - ٢٣٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤١١ - ٤١٢؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤ - ١٩٧٤م. ج ٢، ص ١٤٣ - ١٤٧.

لقد تحيّرت كثيراً من أسلوب ابن الفقيه في التعامل مع مصادره، ومن طريقة ليراده للنصوص التي ينقلها عن سابقيه، فتارة ينقل بأمانة تامة ويعزوه ما ينقله بتأيمه إلى مصدره ودوناً أذنى تحريف، وتارة أخرى نجده يهمل الإشارة إلى مصادره فيأتي بالحقير أو الرواية، أو الحادثة دون إشارة إلى مصدرها، ويسرد روايات المتقدمين عليه دون أي ذكر لمصدر معلوماته؛ حتى يظهر أمام القارئ وكأنه هو صاحب الرواية أو هذا الخبر، وتارة ثالثة يقوم بتخوير وتغيير في النص المنقول [بالتقديم والتأخير، والحذف والإضافة] وكأن ما يورده من بنات أفكاره.

وفي كثير من الأحيان نجده يستخيم الروايات المسندة عن الثقات من الرواة في أغراض أخرى، وسياقات مغايرة لسياقاتها الأصلية التي وضعت فيها ومن أجلها؛ فيوطف النصوص في غير معانيها ومقاصدها، ويتزعج الروايات من مساراتها الأصلية ليضعها في سياقات تؤدي إلى معانٍ مخالفة، وتُسفر عن مفاهيم مغايرة، تحمِد أهدافه من السياق [كحديثه عن الأتباط وأهل العراق]. وعند مقارنة الأخبار الواردة لدى ابن الفقيه بالمصادر التي وصلتنا، نجد في معظم الأحيان لا يصرح بالمصدر الذي نقل عنه مباشرة، وإنما يضع الرواية منسوبة إلى الراوي الأول الذي ينقل عنه مصدره المخفي دائماً. وربما قصد من وراء ذلك أحد أمرين؛ إما أن يُعمي على القارئ مصادره التي نقل منها. أو أن يظهر نقله عن رواية مُتقدمين كانوا مُشاركين في هذه الأحداث أو شهوداً على هذه الروايات.

على أن منهُجَهُ في الكِتَابَةِ واعْتَمَدَاهِ على النُّقْلِ من المَصَادِرِ دُونَ الإِشَارَةِ إِلَيْهَا، أو الإِشَارَةَ إِلَى مَصَادِرِ بَعْضِ المُوَلِّفِينَ السَّابِقِينَ عَلَيْهِ، دون الإِهْتِمَامِ بِذِكْرِهِمْ، يُمَثَّلُ طَبِيعَةً خَاصَّةً فِي طَرِيقَةِ التَّأْلِيفِ عِنْدَ القُدَمَاءِ، تُعْرَفُ فِي عِلْمِ عِلَاقَاتِ النُّصُوصِ بِـ "النَّمْدَجَةُ النَّصِيَّةُ"^١، وَهِيَ ذَلِكَ النُّوعُ مِنَ النُّقْلِ والتَّضْمِينِ وَاسْتِخْدَامِ نُّصُوصِ مُتَنَوِّعَةِ المَشَارِبِ، وَبِمَا يَشْمَلُ العِلَاقَاتِ المُصَرَّحَ بِهَا وَالمُتَعَاصِيَّ عَنْهَا؛ وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا المُسْتَوَى مِنَ الصِّيَاغَةِ الَّذِي يَسْتَخْدِمُ الجُمُوعَ المُتَرَازِمِينَ بَيْنَ مَصَادِرِ مُؤَلِّفِينَ مُعَاَصِرِينَ وَآخَرِينَ سَابِقِينَ مَا يُشَكِّلُ حَالَةً مِنَ التَّنَاصُصِ وَالتَّمَاهِي بَيْنَ مَضْمُونِ كِتَابِ ابْنِ الفَقِيهِ وَالعَدِيدِ مِنَ المَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ وَالجُغْرَافِيَّةِ المُعَاَصِرَةِ أَوْ قَرِيبَةِ العَهْدِ مِنْ عَضْرِهِ.

*

* *

^١ كمال عرفات نبهان: عبقرية التأليف العربي، علاقات النصوص والاتصال العلمي، القاهرة ٢٠٠٧م،

نُقولُ المتأخِّرينَ من الكِتَاب

تعرَّض كِتَاب أخبار البُلْدَان لابن الفقيه للكثير من الانتقادات من قِبَل الذين أثوا من بعده، كان أوَّل هؤلاء التَّالِقِينَ: مُحَمَّد بن إِسْحَاق النَّدِيم، صَاحِب الفِهْرِسْت، الذي قال عن هذا الكِتَاب:

«نقله من كُتُب النَّاس، وسَلَخ كِتَاب الجِيهَانِي»^١.

ثمَّ أتى الرَّحَالَة أبو عَبْدِ الله المَقْدِسِي البِشَارِي، فَوَجَّه إلى هذا الكِتَاب انتقادات لأذعة حيث قال:

«وَأَمَّا ابْنُ الفَقِيهِ الهَمْدَانِي فَإِنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَةً أُخْرَى ولم يَذْكَرْ إِلَّا المَدَائِن العُظْمَى، ولم يَرْتَب الكُور والأَجْنَاد، واذخَلَ في كِتَابِهِ مَا لَا يَلِيْق بِهِ من العُلُوم، مرَّةً يَزْهَد في الدُّنْيَا وتَارَةً يَرْغَبُ فِيهَا، ودُفِعَ بَيْنِي وَحِينَا يَضْحَكُ وَيَلْهَى»^٢.

وفي سبيل مَزِيد من التَّقْلِيل من شَأْنِ الكِتَاب وإظْهَار مَرَايَا كِتَابِهِ قال المَقْدِسِي:

«وَأَمَّا كِتَابُ الأَمْصَار لِلجَاحِظِ فَصَغِير، وكِتَابُ ابْنِ الفَقِيهِ في مَعْنَاهُ غَيْرَ أَنَّهُ أَكْثَرُ حَشْوًا وَحِكَايَاتٍ، وَاخْتَجَا بَأَنَّا إِنَّمَا أَدْخَلْنَا خِلَالَ كُتُبِنَا مَا أَدْخَلْنَا لِيَتَفَرَّجَ فِيهَا النَّاطِرُ إِذَا مَلَ وَرَبَّمَا كُنْتُ أَنْظُرُ في كِتَابِ ابْنِ الفَقِيهِ فَاقْعُ في حِكَايَاتٍ وَفُتُونٍ أَنْسَى أَيْنَ كُنْتُ من البُلْدَانِ ولم اسْتَحْسِنِ أَنَا هَذَا».

^١ ج ١، ص ٤٧٣-٤٧٤.

^٢ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٤.

ومع كل ما وجهه المقدسي إلى ابن الفقيه من انتقادات فإنه لم يتردد عن النقل عنه دون توضيح؛ فوقع فيما عاب عليه، وأخذ منه ولم يرجع إلى مصادره في عدة مواضع من كتابه الموسوم "أحسن التقاسيم"؛ فعاد إليه عند الحديث عن خراسان بقوله:

«يُحكى عن ابن قتيبة أنه قال: خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة...» [١٥٩ظ]

وهو لم يطلع على ما كتبه ابن قتيبة، وإنما نقل ما لخصه ابن الفقيه من كتاب «عيون الأخبار»، فأخذ منه عدة فقرات ضمنها كتابه، دونما أدنى إشارة. وكذلك عند الحديث عن عجائب طبرستان، وفي هذا دليل واضح على اعتراف المقدسي بقيمة كتاب ابن الفقيه وصدارته بالرغم مما كان له عليه من ماخذ.

أما أهم الناقلين قاطبة من كتاب ابن الفقيه فهو الوراق الشهير «ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي» المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، الذي أعاد اكتشاف كتاب «أخبار البلدان»، واستخدمه كمصدر رئيس لعمله الجغرافي الأشهر «معجم البلدان»، حيث شكّلت نصوص كتاب «أخبار البلدان» العمود الفقري لمعجم البلدان في كل ما يتعلق بالعراق وبلادها وبأقاليم المشرق الإسلامي، وبلاد الترك، إذ استفاد ياقوت من كل ما كتبه ابن الفقيه عن هذه المناطق من الجزء الذي بين أيدينا من الكتاب.

ويبدو أن ياقوتاً كانت بحوزته نسخة كاملة من الكتاب نقل منها نقولاً مطوّلة، ضمّنها في كتابه مباشرة؛ حيث فرق ما فيها من فوائد على موضوعات «معجم

البُلْدَانِ» مُصَرِّحًا بِالنَّقْلِ مِنْ ابْنِ الْفَقِيهِ مَرَّةً، وَتُتَجَاهَلُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ، يَبْضُحُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مُقَارَنَةِ النُّصُوصِ الَّتِي أُوْرَدَهَا يَأْقُوتُ بِمَا لَدَى ابْنِ الْفَقِيهِ، نَجِدُ أَنَّ أَسْلُوبَ ابْنِ الْفَقِيهِ وَمَادَّتُهُ هِيَ مَا يُطَالَعُهُ الْمَرْءُ عِنْدَمَا يَقْرَأُ مَا لَدَى يَأْقُوتُ مِنْ مَوَادِّ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْمَشْرِقِ؛ إِذْ كَانَ يَأْقُوتُ نَاقِلًا مُخْتَرِفًا لَا يَتَدَخَّلُ فِي النَّصِّ وَلَا يَعُودُ إِلَى مَصَادِرِهِ الْأُولَى مُطْمَئِنًّا إِلَى أَسْلُوبِ ابْنِ الْفَقِيهِ وَطَرِيقَتِهِ فِي التَّصْنِيفِ.

وَنَظَرًا لِأَهْمِيَّةِ الْقِسْمِ الْمُتَعَلِّقِ بِبَغْدَادٍ مِنَ الْكِتَابِ، وَجَدْنَا يَأْقُوتًا الْحَمَوِيَّ يَعْتَمِدُ عَلَى هَذِهِ الْمَادَّةِ الْغَزِيرَةِ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَاصِمَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ، حَيْثُ قَسَمَ مَادَّةَ ابْنِ الْفَقِيهِ وَحَوَّلَهَا إِلَى مَوَادِّ مُفْرَدَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي أَنْحَاءِ «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» مُرْتَبَةً عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، مُضِيفًا إِلَيْهَا مَا اسْتَجَدَّ مِنْ تَطَوُّرَاتٍ حَتَّى عَصَرِهِ، وَمِنْ هُنَا نَرَى الْأَثَرَ الْكَبِيرَ الَّذِي طَبَعَ بِهِ ابْنُ الْفَقِيهِ كِتَابَ يَأْقُوتِ.

جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ اتِّفَاقُ ابْنِ الْفَقِيهِ وَالْحَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ فِي عَشْرَاتِ الْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِبَغْدَادٍ، غَيْرَ أَنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي أُوْرَدَهَا الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ جَمَعَهَا بِنَفْسِهِ وَبَسَنَدِهِ عَنِ شُيُوخِ لِقِيهِمْ وَنَقَلَ عَنْهُمْ وَسَمِعَ مِنْهُمْ مَا صَنَّفَهُ فِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنْ تَارِيخِهِ، وَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا يَمَثِّلُونَ طَرَفًا أُخْرَى لِإِسْنَادِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَمَصَادِرُ مُعَايِرَةٍ لِمَصَادِرِ ابْنِ الْفَقِيهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي قَدَّمَهَا الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ عَنِ مَدِينَةِ السَّلَامِ كَانَتْ بِمِثَابَةِ النُّسَخَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي عَلَى أَسَاسِهَا تَمَّ التَّثْبُتُ مِنْ سَلَامَةِ النَّصِّ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا عِبْرَ مُقَارَنَتِهِ بِنَصِّ ابْنِ الْفَقِيهِ، فِيمَا يُحْصَى الْحَدِيثَ عَنِ مَدِينَةِ السَّلَامِ فَقَطْ.

لقد أتاحت أوصاف ابن الفقيه لطبوغرافياً مدينة السلام وما قدمه من معلومات عن تطورها العمراني - على الأقل - حتى نهاية العصر العباسي الأول، مادة قيّمة تداولتها المصادر التاريخية والجغرافية فيما تلا من العصور حتى القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، عندما وظفها ياقوت الحموي في معجم البلدان بشكل يمكّن القارئ والباحث من تكوين فكرة واضحة عن تخطيط المدينة، بل وإنشاء معجم طبوغرافي شامل لها ولما طرأ عليها من تطورات إلى ما قبل الاجتياح المغولي على أقل تقدير.

وكانت موضوعات العجائب الكثيرة لدى ابن الفقيه سبباً في اعتماد الكزموجغرافي المشرفي «زكريّا بن محمد بن محمود القزويني» المتوفى سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م على كتاب أخبار البلدان، في عدة مواضع من كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» حيث أخذ عنه أخبار عجائب قرميسين، وقزوين، وهمدان ونهاوند، ونقل عنه أخباراً تتعلق بعجائب المغرب وبلاد الروم من غير هذا القسم من الكتاب.

نسخة الكتاب

لم يصل إلينا من نُسخِ الكِتَابِ سوى القِسمِ الثَّاني من المُسوِّدة الكُبْرَى لِكِتَابِ «أخبار
البلدان» لابن الفقيه الهمداني، والتي تقعُ ضمنَ مجموعٍ يحوي بالإضافة إليها رسالتين
في الجغرافيا، الأولى رسالة أبو ذُلف اليبُعي (٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) والأخرى بها نصُّ
رحلة ابن فضلان (٣١٠هـ / ٩٢٢م).^١

وأصلُ هذا المجموع محفوظٌ بالمكتبة الرضوية بمشهد الإمام عليّ الرضا بإيران،
تحت رقم ٥٢٢٩ في ٢١٠ ورقة، وقد عثر عليه الباحث التركي «أحمد زكي وليدي
طوغان» [١٨٩٠-١٩٧٠م] سنة ١٩٢٤م.^٢

يقع كتاب ابن الفقيه في أول هذا المجموع، وعلى ظهرته عنوان الكتاب والكثير من
التملُّكات وعلامات الشراء والأختام، تنقص منه الصفحة التي بها ظهر الورقة الأولى
ووجه الثانية، بها مقدّمة الكتاب وديباجته، ويبدأ النصُّ من ورقة [٢] وجه.

يبلغ عدد أوراقها ١٢٣ ورقة، بكلِّ ورقة وجهٌ وظهْرٌ، أي ٢٤٦ صفحة، مُرقمٌ
بالأرقام الهنديّة، كُتبت بخطّ نسخٍ عاديّ، واضحٌ نسبياً ومقرّوء، مضطربة النقط في

^١ جاء في مقدمة الناسخ: ذكرنا [أن] أضيف إلى ما صنّفه أحمد بن محمد الهمداني في آخر كتابه رسالتان كتبهما
إلينا أبو ذُلف مُسعر بن المهلهل، حكى في إحداهما أخبار التُّرك والصين بمشاهدته ذلك، وفي الأخرى أشياء
راها وشاهدها في عدّة من البلدان. وأصفتنا إليه كتاباً جمعه أحمد بن فضلان بن راشد بن حماد، مؤلّى محمد بن
سليمان الهاشمي في أخبار التُّرك والجزر والروس والصقالبة والباشغرد [وغيرهم] ما وقف عليه ونظر إليه،
لأن المُقتدر بالله أنفذه إلى بلد الصقالية في سنة تسع وثلاث مائة [٣٠٩هـ / ٩٢١-٩٢٢م] باستدعاء ملكهم
_ ذلك رغبة منه _ في الإسلام فحدّث بجميع ما شاهده في هذه البلدان بمعاينته ونظره إليه.

^٢ راجع مقدمة فواد سيزكين لمصورة مخطوطة مشهد التي طبعها في فرانكفورت سنة ١٩٨٩م.

كثير من المواضع، و بها حرم مقدار ورقتين، بين ورقتي [١٦٨] و [١٦٩]، وكتب فوق صفحة الوجه عبارة «هنا نقص مقدار ورقتين»، وهي نسخة مصححة، لا نعلم على وجه التحديد من قام بقراءتها وإصلاحها، ولكن الموجود على هامش صفحة [٣ظ]، [٤ظ]، [٦و] وغيرها الكثير يدل على ذلك.

بها نظام التعقيية (نظام ترقيم للورق والكراسات، يكتب أول كلمة في وجه الورقة تحت نهاية آخر كلمة في ظهر الورقة السابقة مع ميل طفيف).

منسرتها ١٩ سطرًا، وقياسها ١٨ × ١٣ سم، بها ختم وقيّة وشرط بالمطالعة باللغة الفارسية على الهوامش اليسرى للوجه الآتية ٢٩، ٤٩، ١٠٩، ١٨١، ٢١٥، ٢٥٥، ٣١٥ الخ.

ونظرًا لاعتادنا على صورة صوتية من أصل المخطوط لا نستطيع تقديم وصف كوديكولوجي لها.

*

* *

نشرَات الكِتَاب

أولاً: نَشْرَةُ دِي خُوِيَه:

كَانَتْ أَوَّلُ نَشْرَةٍ صَدَرَتْ لِلكِتَابِ هِيَ النَشْرَةُ الَّتِي أَعَدَّهَا الْمُسْتَشْرِقُ الْهُولَنْدِي «مِيخَائِيل جَان دِي خُوِيَه» (١٨٣٦-١٩٠٩ م)، وَضَمَّنَ «مَكْتَبَةَ الْجُغْرَافِيِّينَ الْعَرَبِ» وَهِيَ سِلْسِلَةٌ مِنْ ثَمَانِيَةِ مُجَلَّدَاتٍ تَضُمُّ النُّصُوصَ الْجُغْرَافِيَّةَ الَّتِي نُشِرَتْ مَا بَيْنَ عَامَيْ ١٨٧٠-١٨٩٤ م، مَثَلُ مُخْتَصَرِ كِتَابِ الْبُلْدَانِ لِابْنِ الْفَقِيهِ الْمَجَلَّدِ الْخَامِسِ فِيهَا، وَذَلِكَ سَنَةَ ١٨٨٥ م، بِالاعْتِمَادِ عَلَى ثَلَاثِ مَخْطُوطَاتٍ نَجِدُ رُمُوزَهَا فِي هَامِشِ فُرُوقِ النُّسَخِ هِيَ:

(B) نُسَخَةُ الْمَتْخَفِ الْبِرِيطَانِي. (I) مَخْطُوطَةٌ مَكْتَبِ الْهِنْدِ. (S) مَخْطُوطَةٌ بِرِزْلِينِ.

وَالَّذِي عَمِلَ هَذَا الْمُخْتَصَرَ فِي عَامِ ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م، شَخْصٌ يُدْعَى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرِ الشُّبْرَازِيِّ، رَبِّمَا كَانَ هُوَ نَفْسُهُ النَّاسِخُ الَّذِي نَسَخَ نُسَخَةَ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السُّكَيْتِ الْمَخْضُوطَةَ فِي مَكْتَبَةِ كُوبِرِيَلِّي^١.

أَحْرَزَ «مِيخَائِيل دِي خُوِيَه» مَكَانَتَهُ الْمَرْمُوقَةَ فِي عَالَمِ الْاِسْتِشْرَاقِ بِفَضْلِ قِيَامِهِ وَخَدَهَ بِتَحْقِيقِ مَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ «مَكْتَبَةَ الْجُغْرَافِيِّينَ الْعَرَبِ»، إِذْ كَانَ الْمَثَلُ الْأَوَّلَ لِلْحُقُبَةِ الْفِيلُولُوجِيَّةِ «اللُّغَوِيَّةِ» فِي عَالَمِ الدَّرَاسَاتِ الشَّرْقِيَّةِ، لَكِنَّ الْمَنْهَجَ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ «دِي خُوِيَه» فِي تَحْقِيقِ نُّصُوصِ هَذِهِ الْمَكْتَبَةِ كَانَ بَسِيطًا وَكِلَاسِيكِيًّا إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ، وَقَدْ نَجَمَتْ عَنْهُ أخطاءٌ كَثِيرَةٌ سِوَا فِي ضَبْطِ النَّصِّ أَوْ فِي سَلَامَةِ سِيَاقِهِ.

^١ أيمن فؤاد سيد: النصوص الجغرافية غير المنشورة حصر وتقييم، ص ٢١١.

فضلاً عما شاب صببُ أسماء المواضع والبلدان من اضطرابات، حيث عمل على إثبات نص «نسخة الأصل» حتى وإن كان فيه خطأ ظاهراً أو تحريف في النص، فأدّى ذلك إلى اختلاف في صبب كثير من الأعلام الجغرافية.

وعلى الرغم من إدراكه تشابهه نُصوص هذه المُصنّفات وتشابكها، نظرًا لكونها تأتي من مدرسة واحدة، فإنه لم يَتَّبِعْ سِوَى لاشترِكِ نص ابن حوقل والإصطخري؛ بحيث استخدَمَ كُلَّ واحدٍ منهما كسَهِدٍ على الآخر، بيد أن هذا التَّشَابُكُ يَسْرِي بِشَكْلِ واضِحٍ فيما بين نص «مُختَصِرِ كِتَابِ ابْنِ الفَقِيهِ» و«نص ابن خُرَدَاذْبَةَ»، وبِشَكْلِ أو بآخر يَرْتَبِطُ بهما نص كِتَابِ المُقَدِّسِيِّ «أَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ»، ورغم هذا الازتِباطِ الواضِحِ بين هذه النُصوصِ الثلاثة نجد أن «دي حويه» لم يُشِرْ إلى كثيرٍ من التَّشَابِهِ بينها.

وكتيِّبَةَ مَبَاشِرَةَ للأسلوب - اللَّاحِظَانِي^١ - الذي اتَّبَعَهُ «دي حويه» فإنَّ أسماء العَدِيدِ مِنَ الأَعْلَامِ الجُغْرَافِيَّةِ والمَوَاضِعِ البُلْدَانِيَّةِ رُسِمَتْ بِشَكْلِ مُضْطَرَبٍ فِي الكُتُبِ الثَّلَاثَةِ، وَهُوَ مَا يُشَكِّكُ فِي جَدْوَى المُنْهَجِ الفِيلُولُوجِيِّ التَّاقِدِ لِلنُّصُوصِ عَلَى أُسَاسِ لُغَوِيٍّ بَحَثَ دُونَ أَكْثَرِائِهِ بِسَلَامَةِ النَّصِّ أو مَعْرِفَةِ بَعَلَاقَاتِ النُّصُوصِ العَرَبِيَّةِ. كَمَا أَنَّ لِسَانَ «دي حويه» غَيْرَ العَرَبِيِّ جَعَلَهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى إِدْرَاكِ كَامِلِ حَقِيقَةِ النَّصِّ العَرَبِيِّ وَالاقْتِرَابِ مِنْ رُوحِهِ، مَا يَكْشِفُ عَنِ ضَعْفِ لَّا يَسْهُلُ تَصَوُّرُهُ فِي لُغَوِيٍّ كَبِيرٍ وَمُسْتَشْرِقٍ مُحْتَرِفٍ مِثْلِهِ.

^١ نسبة إلى العالم الألماني "كارل ليخمان" (١٧٩٣ - ١٨٥١م) الذي وضع أسس علم النشر النقدي للمخطوطات في العصر الحديث.

ومن ثمَّ جاءَ تحقيق «دي حويه» مُلائماً للمدرسة الفيلولوجية التي كانت سائدة في أوربا أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بأكثر من استجابته وملائمته للنص العربي ذاته، ولذا لا مناص من إعادة نشر نصوص المكتبة العربية الجغرافية على أسس جديدة يُستفاد فيها من المعارف التي أنتجتها العلوم الكودولوجية بعد استقرار علم تحقيق النصوص.

ثانياً: النشرات الجزئية:

- رحلة تميم بن بحر إلى الأيغوريين:

كان أول من اهتم بمخطوطة مشهد: المُستشرق الإنجليزي - الروسي الأصل «فلاديمير مينورسكي - V.Minorsky» [١٨٧٧-١٩٦٦م] الذي نشر في سنة ١٩٤٨م، رحلة تميم بن بحر المُطوعي، مع ترجمة إنجليزية في مجلة: BSOAS الصادرة في بروكسل بعنوان: «رحلة تميم بن بحر إلى الأيغوريين»، فكان هذا النص الصغير أول ما نُشر من هذه المخطوطة.

- بغداد:

في عام ١٩٦٨م نشر المُستشرق الروسي «تسكي تسلي - O.V.Tskitisuili» في تفليس الجزء الخاص بمدينة بغداد من مخطوطة مشهد.

وفي عام ١٩٧٧م قام المؤرخ والباحث العراقي الكبير «صالح أحمد العلي»، بنشر الجزء الخاص بمدينة السلام في طبعة خاصة صدرت عن وزارة الإعلام العراقية، لكنني لم أتمكن من العثور على نسخة من هذه النشرة.

وفي عام ١٩٧٩م قام أحد المُستشرقين ويُدعى A.S.Jamgotsigan بنشر القسم الخاص ببغداد ووَاسِطَ مَعًا.

وأنجز الدكتور «زكريا فان لار - Zacharias Van Lar» بحثًا أكاديميًا يضم تحقيقًا جزئيًا للكتاب مع تحقيق رسالة أبو دُلف في بروكسل سنة ١٩٨٥م.
- السواد والأهواز والتُّرك:

في عام ١٩٩٧م قام الباحثان السُّعُودِيَّان: ضيف الله يَحْيَى الزَّهْرَانِي، ومريزن سعيد عيسري، بنشر نُصوصٍ لم تُحَقَّقْ من كِتَابِ أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ لابن الفقيه الهَمْدَانِي، تُخَصُّ السَّوَادَ وَالْأَهْوَاذَ وَالتُّرْكَ، مع دِرَاسَةٍ عَامَّةٍ عَنِ الْمُؤَلِّفِ، وَالنُّصُوصِ الْمُنشُورَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحِرَاجِ وَيَبَانِ أَهْمِيَّةِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي أوردَهَا ابن الفقيه.

ثالثًا: نَشْرَةُ «يُوسُفِ الْهَادِي»:

أُنْجِزَهَا الْمُحَقِّقُ الْعِرَاقِيُّ يُوسُفُ الْهَادِي، وَصَدَرَتْ فِي بَيْرُوتَ سَنَةِ ١٩٩٥م، وَاكْتَفَى فِيهَا بِإِعَادَةِ صَفِّ نُسْخَةِ الْمُخْتَصِرِ صَفًّا جَدِيدًا دُونَ أَذْنَى إِضَافَةٍ، بَلْ وَلَمْ يُرَاجِعْهَا عَلَى أَيِّ مِنْ أَصُولِهَا الْخَطِيئَةَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ فِي حَوَاشِيهَا إِلَى أَيِّ الْمَصَادِرِ الَّتِي رَجَعَ إِلَيْهَا الْمُصَنِّفُ، وَأَفْسَدَ عَمَلَ «دِي خُوِيَه» بِحَذْفِ هَامِشِ فُرُوقِ النُّسخِ، وَضَمَّ إِلَيْهَا نَصْرَ نُسْخَةِ مَشْهَدٍ كَمَا هُوَ، بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ مُشْكِلاتٍ، حَيْثُ لَمْ يَسْتَوْفِ مُقَابَلَتَهُ عَلَى مَصَادِرِهِ أَوْ عَلَى نَقُولِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُ بِشَكْلِ عِلْمِيٍّ، وَكَانَتْ تَعْلِيقاتُهُ قَلِيلَةً الْفَائِدَةَ؛ وَيُحْسَبُ لَهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مُحَقِّقٍ يُنْجِزُ نَشْرَةَ كَامِلَةَ لِلْكِتَابِ تَضُمُّ جُزْئِيَهُ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي.

عَلَاقَةُ الْمُخْتَصِرِ بِالنِّصِّ الْأَصْلِيِّ

قَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ وَهُوَ يُجِيبُ عَلَيَّ مِنْ طَلَبٍ إِلَيْهِ أَنْ يُخْتَصِرَ كِتَابَهُ «مُعْجَمَ الْبُلْدَانِ»: حُكِيَ عَنِ «الْجَاهِظِ» أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا وَبَوَّهَ أَبُوَابَا. فَأَخَذَهُ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِهِ فَحَذَفَ مِنْهُ أَشْيَاءَ وَجَعَلَهُ أَشْلَاءَ. فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا! إِنَّ الْمَصْنُفَ كَالْمُصَوِّرِ. وَقَدْ صَوَّرْتُ فِي تَصْنِيفِي صُورَةَ كَانَتْ لَهَا عَيْنَانِ فَعَوَّرْتَهُمَا - أَعْمَى اللَّهُ عَيْنَيْكَ - وَكَانَ لَهَا أُذُنَانِ فَصَلَمْتَهُمَا - صَلَّى اللَّهُ أُذُنَيْكَ - وَكَانَ لَهَا يَدَانِ فَفَقَطَعْتَهُمَا - قَطَعَ اللَّهُ يَدَيْكَ - حَتَّى عَدَّ أَعْضَاءَ الصُّورَةِ. فَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِجَهْلِهِ هَذَا الْمِقْدَارَ وَتَابَ إِلَيْهِ عَنِ الْمَعَاوِدَةِ إِلَى مِثْلِهِ^١.

وَتَنْطَبِقُ مَقُولَةُ «الْجَاهِظِ» هَذِهِ عَلَى مُخْتَصِرِ كِتَابِ «أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ»، فَقَدْ سَارَ الرَّجُلُ عَلَى غَيْرِ مَنْهَجٍ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّصِّ الَّذِي صَاغَهُ «ابْنُ الْفَقِيهِ»، وَتَسَبَّبَ اخْتِصَارُهُ فِي تَشْوِيهِ بِنِيَةِ النَّصِّ الْأَصْلِيِّ الَّذِي أَرَادَهُ الْمَوْلَفُ.

فَعِنْدَمَا قَابَلْتُ النَّصَّ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا بِالْمُخْتَصِرِ تَبَيَّنَ أَنَّ حَجْمَ الْحَلَلِ الَّذِي تَرْتَّبَ عَلَى عَمَلِيَّةِ الْاِخْتِصَارِ كَانَ أَكْبَرَ مِمَّا نَظُنُّ؛ حَيْثُ حَذَفَ الْمُخْتَصِرُ أَسَانِيدَ الرِّوَايَاتِ فَأَفْقَدَ الْكِتَابَ الْكَثِيرَ مِنْ مِيزَاتِهِ التَّوْثِيقِيَّةِ، وَبِالتَّالِيِ أَفْقَدْنَا الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْدِيدِ زَمَانِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ، وَأَضَاعَ فُرْصَةَ التَّعَرُّفِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَصَادِرِ «ابْنِ الْفَقِيهِ» الَّتِي لَمْ تَصُلِّ إِلَيْنَا.

^١ معجم البلدان: ج ١، ص ١٤.

وَبَلَغَ اخْتِصَارُهُ حَدًّا جَعَلَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعِبَارَاتِ غَيْرَ مُتَّسِقَةٍ مَعَ سِيَاقَاتِهَا، فَجَاءَتْ غَامِضَةً الْمَعْنَى قَلِقَةً التَّرْكِيبِ، إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمَ بِمَنْهَجٍ وَّاضِحٍ فِي عَمَلِهِ، فَنَرَاهُ تَارَةً يَقُومُ بِصَيَاغَةِ مَادَّةِ ابْنِ الْفَقِيهِ بِطَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ، وَتَارَةً أُخْرَى يَنْقِلُ مَا يَحُلُو لَهُ مِنَ النَّصِّ وَيَتْرِكُ مَا يَحُلُو لَهُ، وَثَالِثَةً يَنْقِلُ نَقُولًا مُطَوَّلَةً بُدُونِ أَيِّ اخْتِصَارٍ.

فَضْلًا عَنْ حَذْفِهِ لِنُصُوصٍ بِالِغَةِ الْبَالِغَةِ الْبَالِغَةِ كَالْمَوَادِّ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَخْبَارِ الْكُوفَةِ، وَمَا جَاءَ فِي ذِمِّ الْبَصْرَةِ، وَالْمُنَاطَرَةِ الَّتِي عَقَدَهَا الْمَأْمُونُ بَيْنَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ، وَكَذَلِكَ الْمَادَّةُ الَّتِي تَصِفُ وَاسِطًا، وَكَامِلَ مَادَّةِ بَغْدَادَ، وَالْأَخْبَارَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِخَرَجِ السَّوَادِ وَتَقْسِيمَاتِهِ الْإِدَارِيَّةِ، وَمَادَّةِ الْأَهْوَازِ، وَالْمَعْلُومَاتِ الْمُهَمَّةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا «تَمِيمُ بْنُ بَحْرِ الْمُطَوَّعِيُّ» عَنْ الْأَيْغُورِيِّينَ، وَمَا جَمَعَهُ ابْنُ الْفَقِيهِ مِنْ أَخْبَارٍ عَنْ مَدُنِ التُّرْكِسْتَانَ.

فِي حِينٍ أَنَّهُ أَبْقَى عَلَى مُعْظَمِ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي تَخُصُّ الْأَقَالِيمَ الْفَارْسِيَّةَ: فَارِسَ، كَرْمَانَ، إِقْلِيمَ الْجَبَلِ، هَمْدَانَ، نِهَاوَنْدَ، أَصْبِهَانَ، قُمْ، قَزوينَ.

*

* *

طريقة إخراج النص

إنَّ النَّصَّ الْمُثَبَّتَ فِي هَذِهِ النَّشْرَةِ هُوَ النَّصُّ الْمَوْجُودُ بِنُسخةٍ مَشْهُدَةٍ الَّتِي سَبَقَ وَضْفُهَا، وَنظَرًا لِأَنَّ نَاسِخَ الْمَخْطُوطَةِ عَلَى أَغْلَبِ الظَّنِّ شَخْصٌ فَارِسِيٌّ لَا يُتَقَنَّ الْعَرَبِيَّةَ، يَرْسِمُ كَمَا يَسْمَعُ أَوْ يَرْسِمُ مَا لَا يَسْتَطِيعُ قَرَاءَتَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ، فَقَدْ شَابَ النَّصَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَخْطَاءِ الَّتِي شَمِلَتْ فِي جُمْلَتِهَا سِيَاقَاتِ الْأَخْبَارِ وَالْأَوْصَافِ، وَكَذَا أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ وَالْأَمَاكِينِ، وَهُوَ مَا تَطَلَّبُ لِتَضْحِيحِهِ تَتَبُّعًا دَقِيقًا لِلْمَصَادِرِ الَّتِي اسْتَقَى مِنْهَا ابْنُ الْفَقِيهِ مَادَّةَ كِتَابِهِ، وَالَّتِي لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا كُلُّهَا؛ وَإِنَّمَا وَصَلْ إِلَيْنَا بَعْضُهَا فَقَطْ، وَذَلِكَ لِتَضْحِيحِ أَخْطَاءِ النَّاسِخِ - الَّتِي لَا حَضَرَ لَهَا - وَالَّتِي وَقَعَ بِسَبَبِهَا الْعَدِيدُ مِنَ الْمُتَعَامِلِينَ مَعَ هَذَا النَّصِّ فِي الْأَوْهَامِ وَالْقِرَاءَاتِ الْخَاطِئَةِ، فَفِي نُسخةِ الْأَصْلِ عَشْرَاتٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْفَارِسِيَّةِ الْمُعْرَبَةِ الَّتِي جَاءَ رَسْمُهَا مُخَالِفًا لِلصَّوَابِ نَتِيجَةَ الْإِبْدَالِ وَالتَّخْرِيفِ، وَاخْتِلَافِ النُّطْقِ مَا بَيْنَ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ، مَا أَوْقَعَ النَّاسِخَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَخْطَاءِ.

وَكَانَ اتِّسَاعُ دَائِرَةِ الْمَصَادِرِ الَّتِي اسْتَنَدَ إِلَيْهَا ابْنُ الْفَقِيهِ لِإِنِّاءِ كِتَابِهِ أَوَّلَ مَا وَاجَهْنِي مِنْ صُعُوبَاتٍ، حَيْثُ اسْتَلْزَمَ الْأَمْرُ التَّنْقِيحَ فِي مُجْمَلِ مَا وَصَلْ إِلَيْنَا مِنْ مَصَادِرِ الثَّرَاثِ الْعَائِدِ إِلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلَى مِنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، أَدْبًا وَتَارِيخًا وَجُغْرَافِيًّا وَلُغَةً، فَضَلًّا عَنِ الْبَحْثِ فِي مَصَادِرِ كَثِيرَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ عَنِ زَمَنِ تَأْلِيفِ الْكِتَابِ لِحُلِّ مُشْكِلاتِ النَّصِّ.

فَكثِيرًا مَا كَانَتْ تُوَاجِهْنِي مُشْكَلةُ الْجَهْلِ بِمُضْذِرِ رِوَايَةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ مَعْرِفَةِ مَعْنَى كَلِمَةٍ مَا، أَوْ قِصَاةٍ وَقْتِ طَوِيلٍ جَدًّا فِي الْبَحْثِ عَنِ تَرْجَمَةِ عِلْمٍ مِنَ الْأَعْلَامِ دُونَ

الوصول إليها بعد الرجوع إلى المظان المعتمدة، أو في قراءة ورقة سيئة الخط، مليئة بالتصحيفات والتخريفات التي وقع فيها ناسخ النص، زد على ذلك ما لاقيت من عنيت البحث بين مجلّدات المعاجم اللغوية، ودواوين الشعر، والمصادر الأدبية، والمدونات التاريخية، بحثاً عن ضبط كلمة أو استجلاء معنى، أو التعريف بموضع من المواضع، أو توثيق حدث، أو ضبط بيت من الشعر، فكم من كلمة جاء رسمها في المخطوط على خلاف الصواب، وكم من علم كتب اسمه بخلاف الحقيقة.

وزاد من صعوبة المهمة وجود كثير من الأسقاط والتخريفات في نسخة الأصل، والعديد من أسماء الأشخاص المغمورين الذين لا ذكر لهم في كتب التراجم والطبقات، والكثير من المواضع والأماكن التي اندرست فتجاهلتها مؤلفات الجغرافيين والرحالة، فضلاً عن أسماء الأدوية والأعشاب والنباتات والثمار والطيور والحيوانات التي لم تضبطها معاجم اللغة، وإنما وجدت في كتب الغريب.

والكثير من الأشعار والأخبار وقصص العجائب التي يخفل بها النص، والتي كان البحث عن مصادرها وعزوها إلى رواتها الأضليين معاناة ممتدة بامتداد صفحات الكتاب، وقد جاء النص مليء بالأخطاء النحوية والإملائية التي صوبتها في بعض المواضع دون الإشارة إليها، وقمت بضبط النص ضبطاً كاملاً بعد العودة إلى كتب اللغة والمعاجم من أجل تصحيح السياق.

واعتمدت عملية إخراج النص على مقابله بمصادره، وبما نقله المتأخرون عنه، فقامت بمقارنته وإسعة النطاق لكافة المظان التي يمكن أن تتقاطع مضامينها مع نص هذا الجزء من الكتاب، وقابلت النص بمصادره التي وصلت إلينا،

أو بالمصادر الأخرى التي نقلت عنه، أو بالمصادر المشتركة التي عرفتھا من خلال تتبع الأخبار والأوصاف في دائرة واسعة من المصنّفات تُعطي مُعظم أركان المكتبة العربيّة، شملت كتب الأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والمعاجم، ودواوين الشعراء، والمصادر المُعتبرة في علوم الحديث، والتفسير، وكتب البلاغة والتراجم والطبقات التي أعانت على توضيح وتدقيق السياقات.

وكان أول ما قابلت عليه المواد المشتركة الواردة في «مختصر كتاب البلدان»، حيث اتضح أنّ ما وصل إلينا من الكتاب مُختصراً كان نصّاً مُشوّهًا تسببت طريقة اختصاره في تحطيم بنية الكتاب الأصلية، ولذا عند المقارنة مع نصّ المُختصر قُمتُ بإثبات ما يحتاج السياق إليه لِيتمّ المعنى، أو لِيستكمل النصّ - دون زيادة - وأشرتُ في الهامش إلى العبارات المُكرّرة والزيادات التي لا تُضيف شيئاً بعدما تأكّد لي أنّ الذي وضعت في المتن هو بلا أدنى شك من كلام ابن الفقيه.

وجعلتُ من كتاب «مُعجم البلدان» - وهو المصدر الأكثر أهمية في المكتبة الجغرافية العربيّة - نسخة ثانية أقابل عليها نُصوص مُخطوطة مُشهد بعدما تبين لي حجم النقول التي أخذها ياقوت من الكتاب، بالإضافة إلى تتبع الأخبار في المصادر الأخرى العربيّة زمنياً من وقت تأليف الكتاب، وعلى رأسها كتاب فتوح البلدان للبلاذري، ومؤلّفات الجاحظ، حيث كانت هذه النصوص الأدوات الرئيسيّة التي أعانت على تقويم وتكملة نصّ ابن الفقيه.

وَقُمْتُ أحيانًا بَصْنِطِ الأَعْلَامِ الجُغْرَافِيَّةِ دوتِمَا إِشَارَةً إِلَى ذَلِكَ اعْتِيَادًا عَلَى المَصَادِرِ الجُغْرَافِيَّةِ الَّتِي نَقَلْتُ عَنْ المَوْلَفِ، وَمَا وَرَدَ لَدَيْ يَأْقُوتِ الحَمَوِيِّ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ»، حَيْثُ بَاتَ بَيْنَ أَيَدِينَا مَا يُكْمِلُ السِّيَاقَ.

وَقَدْ أَعَانَتْ عَمَلِيَّةُ المَقَارَنَةِ هَذِهِ عَلَى اسْتِيفَاءِ كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي آتَتْ نَاقِصَةً أَوْ مَبْثُورَةً فِي مَتْنِ المَسُودَةِ، فَضْلاً عَنْ صَبْنِطِ كَثِيرٍ مِنَ الأَعْلَامِ الجُغْرَافِيَّةِ وَجِدَتْ مُضْطَرَبَةً الرِّسْمِ فِي المَخْطُوطَةِ.

وَقَدْ وَضَعْتُ كَافَّةَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي أَكْمَلْتُ بِهَا المَتْنَ بَيْنَ مَعْكُوفَيْنِ [] هَكَذَا سِوَاءِ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ أَوْ لَمْ أَشِرْ، وَأَمَّا مَا كَانَ زِيَادَةً أَوْ تَكَرُّراً أَوْ فُضُولاً مِنَ الكَلَامِ فَقَدْ أَشْرْتُ إِلَيْهِ فِي الهَامِشِ الأَوَّلِ المَخْصَصِ لِلْمُقَابَلَةِ بَيْنَ النُّصُوصِ.

جَدِيرٌ بِالدُّكْرِ أَنَّ التَّنْوِيهَاتِ الَّتِي كَرَّرْتُهَا فِي الحَاشِيَةِ السُّفْلِيَّةِ وَالَّتِي تَطْلُبُ مِنَ القَارِئِ المَقَارَنَةَ بَيْنَ نَصِّ ابْنِ الفَقِيهِ وَبَيْنَ مَوْلَفَاتِ الجَاحِظِ، وَابْنِ قُتَيْبَةَ، وَالبَلَادُورِيِّ، وَالحَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، وَيَأْقُوتِ الحَمَوِيِّ وَغَيْرِهِمْ؛ تَهْدَفُ إِلَى تَوْضِيحِ تَارِيخِ هَذِهِ الأَخْبَارِ، وَمِنْ ثَمَّ تَارِيخِ النِّصِّ الأَوَّلِ نَفْسِهِ، فَضْلاً عَنْ لَفْتِ انْتِبَاهِ القَارِئِ إِلَى المَوَاضِعِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ نُصُوصِ هؤُلاءِ المَصْنُفِينَ. هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى تَأْكِيدِ سَلَامَةِ النِّصِّ الَّذِي قُمْتُ عَلَى تَحْقِيقِهِ.

إِنَّ تَتَبُعَ الأَخْبَارِ وَالثَّقُولِ مِنَ مَصَادِرِ الكِتَابِ أَوْ المَصَادِرِ الَّتِي نَقَلْتُ عَنْهُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ تَسْلِيطِ الضَّوءِ عَلَى طَبِيعَةِ العَلَاقَةِ بَيْنَ نُصُوصِ المَكْتَبَةِ العَرَبِيَّةِ، وَبَيَانِ لَطَائِقِ القُدَمَاءِ فِي التَّأْلِيفِ، وَفِيهِ أَيْضًا اخْتِفَاءُ بِنُصُوصِ كَادَتْ أَنْ تَبْقَى مَجْهُولَةً فِي بَطُونِ الكُتُبِ دُونَ الوُقُوفِ عَلَيْهَا أَوْ تَحْلِيلِهَا.

وَقَسَمْتُ هَوَامِشَ الْكِتَابِ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ لِلْمُقَابَلَاتِ وَاخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ «فُرُوقِ الشُّنْخِ»، وَقِسْمٌ لِلتَّعْلِيقَاتِ وَالتَّخْرِيجَاتِ وَالشُّرُوحِ، وَالتَّرْمِثُ بِالِإِحَالَةِ عَلَى مَصَادِرِ الْكِتَابِ، وَقَوْلُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُ فِي هَامِشِ الْكِتَابِ.

إِنَّ الْعِنَايَةَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا لِمَصَادِرِ الْكِتَابِ قَادَتْنِي إِلَى اتِّبَاعِ مَنْهَجٍ وَاضِحٍ فِي التَّعْرِيفِ بِهَا، وَالتَّعْلِيقِ فِي هَامِشِ التَّعْلِيقَاتِ عَلَى مَا يَخْتِجُ إِلَى التَّعْلِيقِ.

وَقَدْ وَضَعْتُ خَطًّا تَحْتَ كُلِّ مَصْدَرٍ مِنْ مَصَادِرِ النَّصِّ سِوَاءِ كَانِ مَوْثِقًا، أَوْ مَصْدَرًا لِحَبْرٍ أَوْ رِوَايَةٍ نَقَلَهَا ابْنُ الْفَقِيهِ دُونَ إِشَارَةِ إِلَى مَنْ أَخَذَهَا عَنْهُ، فَحَتَّى إِذَا كَانَ صَاحِبُ الْحَبْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْفَقِيهِ مَصْدَرًا غَيْرَ مَشْهُورٍ أَوْ عَلَمًا غَيْرَ مَعْرُوفٍ، فَإِنَّهُ يَقُودُنَا، فِي الْأَغْلَبِ، إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَصْدَرِ الَّذِي اسْتَقْبَلَ مِنْهُ ابْنُ الْفَقِيهِ مَادَتَهُ.

وَاشْتَمَلَتِ الْكَشَافَاتُ التَّحْلِيلِيَّةُ لِلْكِتَابِ عَلَى سِتَّةِ كَشَافَاتٍ: الْأَمَاكِنِ وَالْمَوَاضِعِ وَالْبُلْدَانَ - الْأَعْلَامَ - الْفِرَقَ وَالْقَبَائِلَ وَالطَّوَائِفَ وَالْأَجْنَاسَ وَالْجَمَاعَاتَ - الْمُصْطَلَحَاتِ وَالْأَلْقَابَ وَالْوِظَائِفَ وَالْحِرْفَ - الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ - الْقَوَافِي.

*

* *

اللوحات



ظهريه النسخة وما عليها من التملكات والأختام

عشرون ولما انتفضى من القلاسية والمدان ذبح ما جلا عنه الا اعلم من ارض الملك الي
 الى المدين والطعوه نصارت عشيرة ابقان وكان محرمي عيون الطيف وايدى بعد
 لمخر المدرته وقرى نجد وكانت صدقتها الى عمال المدرته فلما ولي اعني براهم وضع
 السواد للثوكل فيها الى ما في يده فتولى عماله عشرها وصيرها سوادية فوق على ذلك
 الى اليوم وقد استخرجت فيها اليوم عيون الالبع بجري وعمد من ارضهم هذا
 الهجري وسالت بعض المشايخ عن عين لم سميت هذا الاسم فذكر ان جملات دوما
 فنسب العين اليه وذكروا ان اسطان المستخرج لهذا العين سمى جملان قال
 سميت عين الصيد لان الملك كان كثيرا يجديها فيمطاد سميت بهذا الاسم وكانت
 عين الرحمة والحمناء وعزرتها الا اعلم يقال ان رجلا من اهل ارض اجمار يمارس
 الحج فنظر اليها وكان يصير البسباط المياه فلما انتهى جمع درج الى عسى سعى
 عليهما وقال انا استبطاك فكانت السلطانة وان تقطع اياها واوجها ففعل
 واستخرجها الكرماني فاعتل ما عليها من الارض وغمر النخل الذي نطون العذب
 وعلى ارض من عين تدعى الفوق فسمى هذا الهجري ولشارها الى الصلابة
 القول في البصر قال ابو عبد محمد عن النبي سميت البصرة انه
 كان فيها حجان رخوة والبصرة الحجان الهمزة تصير الى البصر كقولهم البصر
 حوا حوا من صخرة وسلام وقد الوا سميت البصرة لانه كان فيها حجان
 سود بصرية قال محمد بن جليل بن حنبل فسميت البصرة لان فيها حجان سود
 عليه وهي البصرة قال خفاف بن زياد شعر
 ان كل طود بصير لا اوبه او قد عليه فاضربه فصدع اوله والآخر

بن قاضي ولما خرجي فقال المأمون للبصرين قد نظرت في أمرك وسمعت
 قولك ونهيت احتجاجك فالتكلم في جدال ولا مدافعة ولكني رأيت شكك في علم
 أهل الكوفة كقول القائل شعر
 يا حار قد كنت في عجز ومكرمة لو ان سعا من جاريتيه امره
 ثم دعا المأمون صاحب بيت حكيمته فقال اجعل هذا الكتاب في خواص قبيحتهم
 قال علي بن صالح للقوم انضوا انفضوا وانقضي المجلس والحمد لله رب العالمين
القول في واسط وانما ذكرنا واسط في هذا الموضع لانها توسط
 المصربين اعني البصرة والكوفة ولذلك سميت واسط ن وقال يحيى بن
 كلاب بن الحجاج بن يوسف في سنتين وكان فراغه منها في سنة ست وثمانين وهي
 السنة التي مات فيها عبد الملك بن مروان بن ويراوي ان عمر بن عبد العزيز قال
 ان الحجاج انما بنا واسط اضاراً بالمصربين اعني الكوفة والبصرة وقد ارتفق ان
 اهدم مسجدها ولحقها وادخل قوم الى وطنهم فقال له ابو منبه يا امير المؤمنين
 ان ما قومنا فيها ولدوا وبها نشوا لا يعرفون غيرها ومسجد جماعة قد تفرقت
 القرآن تنكث ن وذكر بعض أهل الكوفة قال سألت حازماً اباعبد الله الصبي
 ان يشهد علي دار اشترتها بواسط فقال لا اشهد على شيء بواسط قلت
 ولم ذلك قال لان الحجاج غصب عليها ن وذكرت واسط عند ابى سفين الحميري
 قبل ليس بها فاكهة فقال لانها مشومة بناها رجل مشوم ن وقال ابو سفين
 لحميري ولي الحجاج العراق عشرين سنة قدمها سنة خمس وسبعين ومات
 سنة خمس وتسعين في شهر رمضان ليلة سبع وعشرين وكانت وكيته في

نهاية المناظرة في مجلس المأمون، والقول في واسط

الذي اتم بيسان وقال ابن عباس لو كان الشيطان انسانا لكان بيطمان
 والقول في مدينة السلم بغداد

قال بعض العلماء بغداد تشتمى بغداد وبغدان وبغداد قالوا وهي تسمى مدينة السلم لان
 فلما الزور اتمى مدينة المنصور خاصة وسميت مدينة السلم لان دخل يقال ان الذي
 وقال موسى بن عبد الحميد السني كنت جالسا عند عبد العزيز بن ابي رواد فأتاه رجل فقال
 ابن انت قال من بغداد قال لا نقل بغداد فان بع منهم دلا عطاو لكن قل مدينة السلم
 فان الله هو السلم والمدان كلها هـ وقالوا سميت بغداد لان كسرى اهدى احمق من
 المشرق فاطفه بغداد وكان لتقوم ذلك الحمقى صنم بالشرق يقال له البغ قال الحمقى
 بغداد يعني ذلك الصنم اعطاه ذلك الموضع ويقال ان بغداد كانت سوقا تصدقها
 تجار الصين تجاراتهم فيرمعون المرحج الواسع وكان اسم ملك الصين بع نكار الا
 انصرفوا الى بلادهم قالوا بع اذا ذاك المرح الذي بعناه اعطانا له الملك بغداد
 لفظه بالفارسية وهو الاعطان وقال قوم سميت مدينة السلم ليراد والتمانية
 الله لان الله هو السلم المؤمن وتدجرى لها هذا الاسم على ضرب الزنايم والرواحم
 وما تنفع به الاشرية في الكتب ويتبايع به الناس وما ينفق فيها غلات الطاسيح
 الكنظة والشعير وما يسمى به القفيز فيقال تغيرت مدينة السلم واسمها الان عند
 الزور او الزور مدينة ابي جعفر والناس يسمونها بغداد والخط اسمها مدينة السلم
 ومدينة بغداد بناها ابو جعفر المنصور سنة خمس واربعين ومائة وقال ابو جعفر
 اسحق بن ابي جعفر بغداد سنة خمس واربعين ومائة واربعين بناها سنة خمس واربعين
 وقال ابراهيم بن الحيد قطن ابو جعفر بغداد سنة سبع واربعين ومائة وكان

القول في مدينة السلام بغداد

القول في السواد وصفته واعلام حدوده وطسا سيمه
 وسبب سماعه ارضه وتقدير خراجها وطوله وعرضه
 والحد الذي يفت عليه المساحة من لادن تخوم الموصل ما دامع لما الى ساحل البحر
 الى بلاد عبادان من شرة دجلة مما طوله ان فاما عرضه فخذ منقطع الجبل من ارض
 حلوان الى ستمى طرف القادسية المنقل بارض العذيب فخذ حدود السواد وحيها
 وضع الخراج وقال الاصمعي السواد سوادان سواد البصرة الامواز وديسينان
 وما من له وسواد الكوفة كسكر الى الزاب وحلوان الى القادسية ن وقال ابو بصير
 انكارين هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمان الاول ويقال ان اول من سكنها
 نوح عليه السلام وذلك انه نزلها بعقب الطوفان فصار هو ومن خرج معه من السفينة الى
 بابل الدافقا فاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح وكنوا عليهم بملوكا وبنوا
 على القادسية فاصلت مسكنهم بدجلة والفرات الى ان بلغوا من دجلة الى اسفل كسكر
 من القادسية الى ما دور الكوفة وموضعهم هو الذي يقال له السواد وكانت ملكهم
 بابل وكان الكلدانيون جنودهم فلم تزل ملكتهم قابيه الى ان قتل دار العزم ملكهم
 منهم خلفا نزلوا وانقطع ملكهم وذكرا بن الكلبى ابن مزيه بابل كانت اعاشر
 في بابل ذلك وكان باباها على الكوفة وكان الفرث تجرى سائر حتى صيرت تحتها الى
 موضع ان سماه ان يهدم عليه سور المدينة لانه كان يهدم سور المدينة قال
 شاهان يوراسب واشتق اسمها من اسم المشتري لان بابل كانت الباطنية الاول
 المشتري ولها باها جميعها كل من قدر عليه من السواد اعاشر فصلا على

فمران نقلت دلتى الوفادة به قال أنك لا حرام الناس بذلك فبعت به حتى فلتك له وهو را
يكلمنى حتى انتبتنا الى موضع من ديار مصر يعرف بالجريش وتل مجرى فقال يا ابنى لما
الكان تلت الجريش وتل مجرى فقال شعير

تورى من الجريش وتل مجرى فوارس من ثمان غنير ميل ما

فلا جوعين ان صرنا ثاب ولا فوجين بلخيد القليل فذا ما نفع الناس

ثم سكت فكلناه وهو لا يجيبنا فلما صرنا الى الرما قال دعوبذ اهل بيته فقال ذلك
فصلى فلما صرنا الى حران قال انما انها اول مدينة بنيت بعد بابل ثم قال دعوى لعمري
حماما واطلى فتركنا فخرج الينا كانه برطيل فضة بياضا وعظما فادخلنا الى مثلهم
جميع قصته فقال له من انت قال رجل من اباد ثم احدثني حذافة فقال له ان غريبا
لذ الجمال وفصاحة فاسلم فحقن دمك قال لما ان ابيلا داروم او اذ انقال وشكل لولا
ونسني عطاوك قال ما كنت لا رجوع عن ذنى فاقبل به وادبر فاقبل ذلك فاضرر عنه

فضرر عنه ن القول في همدان

بن السياب الكلبى سميت همدان بن همدان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام
واصبهان اخوان بنى احد مما اصبهان والآخر همدان سميت كل مدينة منها باسم ابيها
وسميت منها وندلائهم وجدوها كما هي وقال انها من بن نوح عليه السلام وانما خرج الى
انما انها من بن نوح وهي اعرق مدينة بالجيل قال وقد اعل من العاصم كمال
في احبها والملوك والبلدان فترجم لي وذكر ان الذي اصبهان ملك كسر

محمد بن الحجاج ، هذا المسجد الذي بناه محمد بن الحجاج من المسجد الذي على باب
 المدائن وكان يسمى مسجد التور فلم يزل قائما الى ان ابى الربيع جده بالبصرة
 على يوم من اشياخ اهل قزوین انهم لحقوا اعمال طاهر بن عبد الله العميري و
 من امير المؤمنين على بن ابي طالب رضي الله عنه هل يترددون وان طاهر بن
 يزدان ذلك يوما فاحترط سيفه ورفعا الى الذي على المبروق قال له تقبلنا قطع
 من ذلك اليوم ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح عليكم لثمان
 عليكم مدته يقال لها قرة ومن رابطة بها اربعين ليلة كان ليلة الجنة عمرو بن
 سعور الذي صراع من ذهب في كل باب منها زوجة من الجور العيون وطا اراد
 على بن طالب رضي الله عنه السير الى صين قال من لبت منكم ان يخرج مني وجهنا
 بعد الامانيات قزوین فانها باب من ابواب الجنة قال فخرج الربيع بن خثيم اليها في
 الف فلم يزل يتبها باحتي انقضى امر صينين وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 والذي نفسي بيده لبقا لمن قوم بقزوین لو اضموا على الله لا ير اقسامهم وروى
 النبي صلى الله عليه قال مثل قزوین في الارض مثل جنة عدن في الجنان وروى ان سعد
 بن حيدر قدم قزوین وهو ستاري من الحجاج فبان بها ليلة ثم خرج منها وقال لجنه عدا
 للحد من ان تدركوا مثل ليلة هذه **القول في طبرستان**
 قال الكبر والطلسان والظالقان وخراسان الامل خوارزم من ولد اشترق منهم
 عليا سلم بن الكومان والحزر والشور والابليس من الديلم وهم بنو كاج بن ابي
 روح غياث التلم وحيث جبالهم على الساهم الامل الاملام جس من الديلم فانهم من ولد ابي
 بصير بن اذن ومرتقا وجبالها وهم اصل طبرستان من ولد كاج بن ابي روح بن علي التلم

امراته اولادها وقد رزقها من ذلك ما جعل في اي عليها قلها وكذلك منها ما جعل
 من النساء اللواتي على يدهن بافتالن معها حتى لمغن لها ما تريد لانهن على يدن
 فبعضهن ينهن بعضا فاذا جهرت منه او ملته او هويت سواء صرفته الى منزله لم
 يتقد عاشر ما قل ان ينقطع لانهما مع من ذلك كان منها اولم يكن له ولد له
 حنة عجيبه النفع خرج من كهف في جبل شاهق لا يصل انسان الى الكهف الذي
 هو في راما في ابي فيه الى عشرين ابيات مبنية بالصخر سبعة للرجال ولله النساء
 ما وهب في النساء شديد الحزن ويقص حزن في الضيف وفي هذا الجبل تعاليم من
 وبلق قل ما يصطاد شي منها لتقلها بين الشجر وقلة تزولها الى السهل وهو اصبر
 الحيوان على الثلج وكذلك جميع ما في هذا الجبل لان الثلج يقع فيه اكثر النسب
 ولم يدر كثيره ولم يذكرها وبلق ما وصل اليه انسان من المسلمين لم يغيرم عينا
 بعضه خبرها لانها واعلة في المشرق لا يبلغها احد ولا يقصدها احد ولا يهن
 القاب ملوك خراسان والمشرق والترك والتراخي الملقب بهم
 ملك نيسابور كان ملك مرو ماهويه ملك سرخس رادوب
 ملك ابورد ومنه ملك نسا اسراني ملك عمر حسنان بران ملك
 ملك مرو والروذ كلان ملك البستان ببردوز ملك كابل كابل شاه
 ملك اترمد زرد شاه ملك اباميان شهر بايان ملك السغد احشيد
 ملك فرغانه ايضا اخيد ملك دوشان دوشان شاه ملك الجوزجان كوكا اجداه
 ملك خوارزم خوارزم شاه ملك الحشخس كلان ملك بخارا بخارا اخذاه
 ملك اسروشنه آفشنه ملك سمرقند طرخون ملك حجتان اولاد الادور
 زيبيل
 ملك

القاب ملوك خراسان والمشرق والترك

القِسْمُ الثَّانِي
من المَسْوَدَةِ الكُبْرَى
من كِتَاب

أَخْبَارُ البُلْكَانِ

لِلإِمَامِ الفَقِيهِ الأَمِينِ

أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدَ بنِ إِسْحَاقَ

١ [١٥] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مُقَدِّمَةُ النَّاسِخِ]

[فُصُولُ كِتَابِ أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين الطاهرين. هذا
بقية القول في العراق والبصرة وأخبارها وفتحها، والوقت الذي بُنيت [فيه]، وما
فيها من العجائب.

القول في الأبلّة، والقول في البطائح، والقول في واسط، والقول في النبط
والحوز، والقول في بغداد^٢ وأخبار كور دجلة، والقول في سرّ من رأى^٣.

القول في خراج الدنيا وما كان يُحمّل إلى بيت السلطان من بلد إلى بلد. القول
في الأهواز وفارس ومُدُنِهَا. القول في قرميسين وأخبار شبديز. القول في همدان
وعجائبها. القول في نهاوند وأصبهان وقم وعجائبها. القول في الريّ ودنباوند،
وأخبار بيوراسف. القول في قزوین وأبهر وزنجان وطبرستان. القول في خراسان
ومُدُنِهَا وأخبارها. القول في الترك وأخبارهم وقبائلهم وسرائعهم.

^١ بداية نسخة المكتبة الرضوية في مشهد.

^٢ في سائر النسخ "بغداد" بالذال المعجمة، وهي لغة من ست فيها.

^٣ في سائر النسخ "سرّمرئی".



ما جاء في ذم الكوفة

[٢٠] من ذلك غدرهم بأمر المؤمنين عليّ عليه السلام حتى قُتل بينهم، وخذلانهم له حتى في محبهم^(أ) غيره، وخذلانهم الحسين بن علي رضي الله عنهما بعد مكاتبتهم إياه حتى قُتل بين ظهرانيهم، وهم ينظرون، بل هم كانوا أصحابه وقتلته، وقبل ذلك غدرهم بالحسن^(ب) ومكاتبتهم معاوية ومصير أكثرهم إليه، وطعنهم الحسين وسلب متاعه.

[قتلهم أهل بيت رسول الله ﷺ]

وقتل مسلم بن عقيل^١، وإسلامهم إياه، وغدرهم بزيد بن علي^٢ - رضي الله عنهما - بعد مبايعتهم له، وكذلك فعلهم بيحيى بن عمر^٣. وغيره من أهل بيت رسول الله ﷺ.

^(ب) في الأصل: الحسين.

^(أ) كذا في الأصل.

^١ مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي، أرسله الحسين بن علي - رضي الله عنهما - إلى الكوفة ليكشف له موقف أهلها منه، وعلى إثر ذلك قتله عبيد الله بن زياد أمير الكوفة سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م، انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج ٤، ص ٤٢؛ البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٧٧-٧٩؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الأرتاب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٥.

^٢ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان أحد العلماء الصالحين. قتل وصلب أربعة أعوام ثم أنزل وأحرق. قيل إنه توفي في صفر سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م. انظر في ترجمته: الزبيرى: نسب قريش، تحقيق: ليقي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، دت، ص ٥١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٢٩.

^٣ يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد، القائم بأمر الكوفة أيام الخليفة المستعين وقتل بها، ولم يُعقب، وكان فاضلاً حسن القول في جميع الصحابة. عنه انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، طبعة بيروت المصورة عن طبعة دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨٣م، ص ٥٨؛ السمعاني: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م، ج ٣، ص ١٦٨.

وَقَتَلُوا الْمُخْتَارَ بْنَ [أَبِي] عُبَيْدٍ وَقَدْ خَرَجَ طَالِبًا بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَكَثْرَةُ
شِكَايَتِهِمْ لِلْعَمَالِ، شَكَّوْا سَعْدًا بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ^١، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُرْضِيَهُمُ اللَّهُ
بِوَالٍ، وَلَا يَرْضَىٰ وَالٍ عَنْهُمْ^٢ وَشَكَّوْا عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ^٣، وَالْمُعْغِرَةَ بْنَ شُعْبَةَ^٤،
وَالْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ^٥،

^١ في المختصر: عَلَيْهِم.

^٢ في المختصر بزيادة: لَا يَعْقِل.

^١ المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ويكنى أبو إسحاق، ثار على بني أمية بالكوفة، بعد أن انضم إلى عبد
الله بن الزبير. قتله مصعب بن الزبير ومن معه. و ذلك في عام ٦٧هـ/ ٦٨٧م. انظر أخباره في الواقدي:
كتاب الردة، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م. ص ٢١٤؛ الطبري:
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧١م،
ج ٦، ص ٣٨-٦٦.

^٢ سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهره، وكنيته: أبو إسحاق، وهو أول من رمى بسهم في
الإسلام، أحد العشرة المبشرين بالجنة. توفي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٣، ص
١٣٧-١٤٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي الجاوي، بيروت،
١٩٩٢م، ج ٣، ص ١٠٢١.

^٣ المعغرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مالك الثقفي. ولأه عمر بن الخطاب البصرة، ثم ولاء الكوفة،
ومات عمر وهو على الكوفة، فعزله عثمان بن عفان، ثم ولاء معاوية الكوفة مرة ثانية فمات بها سنة
٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن سعد: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٤، ص ١٤٤٥.

^٤ الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، يكنى أبو وهب، أخو عثمان بن عفان لأمه، ولاء الكوفة
فأبنتى بها داراً إلى جانب المسجد، ولم يزل بها إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه وكان قد اعتزل الفتنة. وتوفي بالرقة من
بلاد الشام. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٧٦.

و[سعيد]^(a) ابن العاص^١ وأخرجوه من الكوفة. وكان [ب]^(b) يقول: ما أبالي بعد السبعين لو دَخِيتُ^٢ صخرةً قتلت بها عشرة من أهل الكوفة. وقال: إذا كان رأس السنة فلو صعدت مسجد الكوفة وألقيت بصخرة ما خشيت أن أقتل مؤمنًا^٣. وقال عمر^(c) [بن الخطاب: أعضل بي أهل الكوفة؛ لا يرضون بأمير، ولا يرضاهم أمير، إن استعملت]^(c) عليهم الضعيف خونوه، وإن استعملت^(d) عليهم القوي فجروه^(d) .^٤

^(a) التكملة من المختصر. ^(b) بياض في الأصل.

^(c-c) بياض في الأصل بمقدار نصف سطر، وتمة العبارة من كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، ونصها: «قال عمر بن الخطاب: أعضل بي أهل الكوفة، إذا وليت الفاجر القوي فجروه، وإذا وليت المؤمن الضعيف هَجَنُوهُ. فقال المغيرة: المؤمن الضعيف له إيمانه وعليك ضعفه، والفاجر القوي لك قوته، وعليه فجروه، قال: صدقت وولاه الكوفة». ^(d-d) مطموسة في الأصل، والمثبت من محاضرات الأدباء.

^١ سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أقيمت عريسة القرآن على لسانه، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ، تولى إمارة الكوفة "لعثمان بن عفان" اعتزل الفتنة بعد مقتل "عثمان بن عفان" ولم يقاتل مع معاوية. اختلف في سنة وفاته: على أقوال منها أنه توفي في سنة ٨٩هـ/ ٧٠٨م. ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ٣٠-٣٨. ^٢ اللح: هو الدفع وإلصاق الشيء بالأرض، وقيل هو الضرب بالكف. انظر: ابن منظور: لسان العرب بيروت، ١٩٥٥م، ج ٢، ص ٤٣٣.

^٣ لم أفق على هذه العبارة النسوية إلى سعيد بن العاص في مظانها، وأقرب ما وقفت عليه هي الرواية المسماة برواية يوم الجرعة ونصها: «بَعَثَ عُثْمَانُ ابْنَ عَفَّانَ ﷺ يَوْمَ الْجَرَعَةِ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ إِلَى الْكُوفَةِ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فَرَدُّوهُ، قَالَ: وَكُنْتُ قَاعِدًا مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَحَدِيثَهُ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنْ يَرْجَعَ هَؤُلَاءِ وَلَمْ يَهْتَرِ فِيهَا مِحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ، وَمَا عَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، إِلَّا سَيِّئًا عَلِمْتُهُ، وَمَعَدَّ ﷺ حَيٌّ أَنْ الرَّجُلُ يُضِيحُ مُؤْمِنًا، وَيُنْسِي وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ، وَيُنْسِي مُؤْمِنًا، وَيُضِيحُ وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ، يُقَاتِلُ فِي الْفِتْنَةِ الْيَوْمَ، وَيَقْتُلُهُ اللَّهُ غَدًا، يَنْكُسُ قَلْبُهُ وَتَعْلُوهُ اسْتُهُ، قُلْتُ: اسْفَلَهُ. قَالَ: بَلْ اسْتُهُ». راجع: أحمد بن حنبل: المسند، طبعة جمعية المكنز الإسلامي، برلين ١٤١٢هـ. حديث رقم ٢٣٨٢٥.

^٤ وردت هذه العبارة لدى الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٠٨؛ وراجع ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ع ض ل] ج ١١، ص ٤٥٢.

[الوليد بن عُقبة والكوفيون]

وقال قوم من أهل الكوفة للوليد بن عُقبة بعد ما عزل عنهم^(a): جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا
يا أبا وَهَب، فَمَا رَأَيْنَا بِعَدَاكَ خَيْرًا مِنْكَ. فقال: لَكِنِّي بِحَمْدِ اللهِ لَمْ أَرْ بَعْدَكُمْ شَرًّا
مِنْكُمْ، وَإِنْ بُغِضْتُكُمْ لَتَلْفَ، وَحُبُّكُمْ لَكَفَّ.
وقال النَّجَّاشِيُّ^١ يَهْجُو أَهْلَ الْكُوفَةِ (شعر):

[البسيط]

إِذَا سَقَى اللهُ قَوْمًا^(b) صَوَّبَ غَادِيَةَ فَلَا سَقَى اللهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ الْمَطْرَا
التَّارِكِينَ عَلَى طُهْرٍ نِسَاءَهُمْ وَالنَّاكِحِينَ بِشَطِي^(c) دِجْلَةَ الْبَقْرَا
وَالسَّارِقِينَ إِذَا مَا جَنَّ لَيْلُهُمْ وَالِدَارِسِينَ^(d) إِذَا مَا أَضْبَحُوا السُّورَا
أَلْقَى^(e) الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَهُمْ حَتَّى يُكُونُوا مِنَ عَادَاهُمْ جَزْرًا^٢

(b) المختصر: أرضًا.

(a) في المختصر: لما عَزَلَ عَنْهُمْ.

(c) لدى ياقوت: بِشَاطِنِي دِجْلَةَ

(d) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، الطالين.

(e) لدى ياقوت: أَلْقَى.

^١ قيس بن عمرو بن مالك، شاعر هجاء مخضرم اشتهر في الجاهلية والإسلام، هدده عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع لسانه، وضربه علي رضي الله عنه على الشكر في رمضان. توفي سنة ٤٩هـ/٦٦٩م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٣١٧.

^٢ نقل ابن الفقيه هذه الأبيات عن ابن قتيبة: المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٨؛ ثم نقلها ياقوت في معجم البلدان، انظر مادة "الكوفة" ج ٤، ص ٤٩٣.

[ظ٢] وقال فيهم أيضاً:

[الرميل]

لَعَنَ اللهُ وَلَا يُغْفِرْ لَهُمْ سَاكِنِي^(a) الْكُوفَةَ مِنْ حَيِّي مُضَرَّ
وَالْيَمَانِينَ فَلَا يُحْفَلُ^(b) بِهِمْ فَهُمْ مِنْ شَرِّ مَنْ فَوْقَ الْغُبَرِ
جَلَدُونِي^(c) ثُمَّ قَالُوا: قَدَرَ قَدَرَ اللهُ لَهُمْ^(d) سُوءَ^(e) الْقَدَرِ

[تَعْيِيرِ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ]

٣ وكان قومٌ من أهل البصرة والكوفة بخراسان في بعض المغازي، فعير البصريون الكوفيين بشرب السويق^١. وعير الكوفيون البصريين بشرب النبيذ، فقال الشاعر في ذلك (شعر):

[الوافر]

٦ إذا ذَكَرَ الْفُرَاتَ بَكَوْا عَلَيْهِ بَعِيدٌ مَا تَمَنَّاهُمْ سَحِيقِ
وَقَدْ عَلِمُوا بِأَنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ لِأَصْحَابِ التَّزَايِدِ وَالسَّوِيقِ
ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى أَفَمَّنَّاكُمْ عَلَى وَضْحِ الطَّرِيقِ^٢

(a) في الأصل: سَاكِنِيَا.

(b) في الأصل: فَلَا تَجْعَلْ بِهِمْ.

(c) في الشعر والشعراء، ضربوني.

(d) المختصر: بهم. (e) لدى ابن قتيبة: الشعر والشعراء، شَرَّ الْقَدَرِ.

^١ نوعٌ من الخمر يُتخذ من العنب، انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٧٠.^٢ قارن: محمد بن عبد الرحمن العبيدي، التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق: عبد الله الجبوري، الدار

[الوافر]

وَقَدِ عَيَّرَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ بِالسُّمَنِ فَقَالَ شَاعِرُهُمْ (شِعْر):

كَأَنَّكَ بِالتَّدَابِيحِ بَعْدَ سَبْعِ يَبِينَنَّ مِنَ الْمُحَرَّمَ أَوْ ثَمَانِ
 (a) تَكُونُ دِمَاؤُنَا حِلْقًا حَلَالًا (a) لِأَهْلِ الْكُوفَةِ [الْحُمْرِ] (b) السَّيِّئَانِ^١

٣ وَاذَعَى النُّبُوَّةَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، كَتَبَ إِلَى الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ^٢: بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُكذِّبُونَنِي، وَلَيْنَ كَذَّبْتُمُونِي فَقَدْ كُذِّبَتِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي وَلَسْتُ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

٦ وَقِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: إِنْ الْمُخْتَارُ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِ، فَقَالَ: صَدَقَ؛ وَخِي الشَّيْطَانُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [المائدة: ١١٢]. وَيُرْوَى أَنَّ الْمُخْتَارَ قَالَ يَوْمًا لِرَجُلٍ دَخَلَ إِلَيْهِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ وَسَادَةٌ كَانَتْ فِي مَجْلِسِهِ: أَتَدْرِي مَنْ قَامَ عَلَيَّ هَذِهِ الْوِسَادَةِ أَنْفًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: جَبْرِيلَ.

(a-a) بياض في الأصل بمقدار شطر بيت، والمثبت من البلاذري: أنساب الأشراف.

(b) في الأصل: البلد

^١ انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٠٢.

^٢ اسمه الضحَّاك بن قيس بن معاوية بن حصين المزني السعدي المتقري التميمي، أبو بحر: سيد تميم، وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين. يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحِلْمِ. وُلِدَ فِي الْبَصْرَةِ وَشَهِدَ فَتُوحَ خِرَاسَانَ، أَخْبَارَهُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَخَطَبَهُ وَكَلِمَاتُهُ مَتَفَرِّقَةٌ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ تَوَفِيَ سَنَةَ ٦٧هـ/٦٨٧م، بِالْكُوفَةِ فِي إِمَارَةِ ابْنِ الزَّيْرِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ. انظر: - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٩٣-٩٧؛ الإمام مسلم: الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، المدينة المنورة، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٤٦.

وكان منهم أبو منصور الحنّاق^١، كان يتولّى سبعة أبناء^٢ من قُرَيْش، وسبعة من بني عجل. وكان منهم المغيرة بن سعيد^٣، وسأله رجل عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: لا تحتملُهُ، قال: بل أحتملُهُ، قال: فذكر آدم ومن دونه من الأنبياء، فلم يذكر أحدًا منهم إلا فضل عليًّا حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقال:...^(أ)، فقلت: كذبت، قال: قد أخبرتك أنك لا تحتمل.

٦ وحجّ راشد الهجري^٤ حتى أتى المدينة، وذلك في ولاية زياد [٣] العراق، فقال للحسين رضي الله عنه: استأذن لي على أمير المؤمنين، قال: أوليس قد مات؟ قال: لا، والله ما مات وإنه ليتنفس تنفس حي، ويعرق تحت الدثار الثقيل.

^(أ) يياض في الأصل بمقدار كلمة.

^١ كان من ادعى النبوة بالكوفة، وسمي بذلك لأنه كان يأمر أصحابه بختق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال، ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي. وتنسب إليه الفرقة المنصورية [إحدى فرق الشيعة". انظر: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتز، نشرات الإسلامية الصادرة عن المعهد الألماني، بيروت رقم ١، ١٩٦٨ م. ص ١٨٣.

^٢ أبناء من تبناه، أي اتخذها أبناء. انظر: لسان العرب، ج ١٤، ص ٩١.

^٣ المغيرة بن سعيد الكوفي دجال رافضي كذاب ادعى النبوة، وزعم أنه يحيي الموتى بالاسم الأعظم، وأن الأرض تنشق عن الموتى فيرجعون إلى الدنيا. قتله خالد بن عبد الله القسري حرقاً بالنار سنة ٧١٩هـ/٧٣٧ م. راجع: الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، ١٩٩٧ م. ج ٨، ص ٧١-٧٢.

^٤ راشد الهجري كان من مدعي النبوة، ومن زعم حياة علي بن أبي طالب ﷺ بعد وفاته، قتله والي الكوفة زياد بن أبيه وصلبه على باب داره، وذلك بعد سنة ٦٧١هـ/٥٠ م. والخبر نقله ابن عساكر عن المدائني: راجع: تاريخ مدينة دمشق، ج ١٩، ص ٢٠٠.

فقال له الحسين: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَاتَّصَلَ الْحَبْرُ بِزِيَادٍ فَفَقَتَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِ دَارِهِ^١. وكانت فيهم هند الأفاكة^(أ)، وقال أصغر بن حسان المازني، مازن مذحج^٢، وَقَدِمَ الْكُوفَةَ يَلْتَمِسُ الْإِحْسَانَ مِنْ أَهْلِهَا، فَلَمْ يَفْعَلُوا بِهِ جَمِيلًا وَقَالُوا: أَقِمْ حَتَّى يَقْفَلَ الْجَيْشُ مِنْ جُرْجَانَ، فَلَمْ يَقُمْ وَرَحَلَ عَنْهُمْ وَقَالَ (شعر):

[الطويل]

رَحَلْتُ إِلَى قَوْمٍ أُمِّلُ رِفْدَهُمْ	وَمَا سَأَلْتُ الْكُوفِي إِلا مُقَاتِلُهُ
لِصُوصٍ إِذَا مَارَسْتَهُمْ فِي بِيوتِهِمْ	مُنِيَّتَ بِخَضَمٍ لَا تَزَالُ تُجَادِلُهُ
وَقَالُوا تَرَبَّصْ أُوْبَةَ الْجَيْشِ إِنَّهُ	بِجُرْجَانَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَيْكَ مَجَاهِلُهُ
وَإِنْ عَطَاءٌ دُونَهُ مَا زَعَمْتُمْ عَلَى	سَائِلِ الْأَعْرَابِ قَدْ رَأَتْ آجِلُهُ
فَأَذْنَيْتُ حُرُوجًا كَأَنَّ سَنَامَهَا	مِنَ الْإِبِلِ ^(ب) ^(ب)
وَرُحْتُ كَمَا رَاحَ النَّجَاشِيُّ مِنْهُمْ	خَفِيفًا مِنَ النَّقْدِ الْجِيَادِ رَوَّاحِلُهُ
فَوَيْلٌ أُمَّهَا مِنْ قَرْيَةٍ غَيْرِ أَنَّهَا	قَلِيلٌ بِهَا مُعْطِي الْجَزِيلِ وَفَاعِلُهُ

[البيسط]

وفيهم يقول شاعر من بني عمرو بن عامر (شعر):

^(أ) في المختصر: وكانت منهم هندة الأفاكة.

^(ب- ب) بياض في الأصل.

^١ لم يشر ابن الفقيه إلى المصدر الذي نقل عنه هذا الخبر؛ وقد أورده ابن حبان: عن الشعبي في المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، بتحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٩٧٦م، ج ١، ص ٢٩٨.

^٢ ينسب قائل هذه الأبيات إلى بني مازن مذحج، وهم فرع من قبيلة بني تميم العربية، ومنهم بعض أشرف الكوفة، وقد أتى أهل الكوفة يطلب إحسانهم فلم ينل منهم شيئاً، فقال فيهم هذه الأبيات. راجع: الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م، ج ١،

يا أيها الرَّاقِبُ العَادِي لِطَيْبَةِ يَوْمٌ بِالْقَوْمِ أَهْلَ الْبَلَدَةِ الْحَرَمِ
أَبْلِغْ قَبَائِلَ عَمْرٍو إِنْ لَقَيْتَهُمْ لَوْ كُنْتُ مِنْ دَارِهِمْ يَوْمًا عَلَى أُمِّمِ
إِنَّا وَجَدْنَا فِقْرًا فِي بِلَادِكُمْ أَهْلَ الْكُنَاسَةِ أَهْلَ اللُّؤْمِ وَالْعَدَمِ
أَرْضٌ تَغَيَّرَ أَحْسَابُ الرَّجَالِ بِهَا كَمَا رَسَمْتَ بِيَاضَ الرِّيطِ بِالْحَمَمِ

وَوَجَّحَ جَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى حُبَيْشِ بْنِ دُلْجَةَ^٢ بِالرَّبِذَةِ^٣ فَخَافُوا وَرَجَعُوا،
وَوَجَّحَ جَيْشٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَتَلُوهُ، فَقَالَ الشَّاعِرُ^٤ فِي ذَلِكَ (شِعْرًا): [٣ظ]

[الطَّوِيل]

أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ ابْنِ دُلْجَةَ إِذْ عَمِيَ هُنَالِكَ خَيْلًا كَالسَّرَاحِينِ ضَمَّرَا
تَعَادَى بِفِرْسَانٍ إِذَا حَمَسَ الْوَعَى أَحَلُّوا الْحَرَامَ وَاسْتَبَاحُوا الْمُنْكَرَا

^١ الرِّيطَةُ: المِلاة إذا كانت قطعة واحدة، وكل ثوب لين دقيق، ولا تكون الرِّيطَةُ إلا بيضاء. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٣٠٧.

^٢ حَيْشُ بْنُ دُلْجَةَ الْقَيْنِيُّ. مِنْ أَهْلِ الْأُرْدُنِّ، وَوَلَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْمَدِينَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بَمَكَةَ، وَذَلِكَ عَامَ الْحَصَارِ الْأَوَّلِ، فَالْتَقَى هُوَ وَالْحَتَفُ بْنُ السَّجْفِ بِالرَّبِذَةِ فَقَتَلَهُ وَفَضَّ جَيْشَهُ عَامَ ٦٥هـ/٦٨٥م. عَنْ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ انظر: خَلِيفَةُ بْنُ خِيَاطٍ: تَارِيخُ خَلِيفَةَ بْنِ خِيَاطٍ، تَحْقِيقٌ: أَكْرَمُ ضِيَاءِ الْعَمْرِيِّ، مَوْسُةُ الرِّسَالَةِ، بِيْرُوتَ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٢٦١. وَرَاجِعْ أَحْدَاثَ عَامِ ٦٥هـ/٦٨٥م، فِي الطَّبْرِيِّ، تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، ج ٥، ص ٦١١، ٦١٢.

^٣ الرِّبْذَةُ: مِنْ قَرْيَةِ الْمَدِينَةِ قَرْيَةً مِنْ ذَاتِ عَرَقٍ عَلَى طَرِيقِ الْحِجَازِ. يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانَ، ج ٣، ص ٢٤.

^٤ الْأَبْيَاتُ لِلشَّاعِرِ "عَمْرٍو بْنِ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ"، وَقَدْ اخْتَارَ ابْنَ الْفَقِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَةَ مِنْهَا، وَالْأَبْيَاتُ بِتِمَامِهَا فِي: ابْنِ الْجُرَّاحِ: مِنْ اسْمِهِ عَمْرٍو مِنَ الشُّعْرَاءِ، تَحْقِيقٌ: عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَنْعِيُّ، جَامِعَةُ الْمَلِكِ سَعُودِ، الرِّيَاضُ، ٢٠١١م، ص ١٦٦.

فَلَاقَتْهُمْ حَيْلٌ لَنَا فَارِسِيَّةٌ ۖ ۱
 ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۱۰ ۱۱ ۱۲ ۱۳ ۱۴ ۱۵ ۱۶ ۱۷ ۱۸ ۱۹ ۲۰ ۲۱ ۲۲ ۲۳ ۲۴ ۲۵ ۲۶ ۲۷ ۲۸ ۲۹ ۳۰ ۳۱ ۳۲ ۳۳ ۳۴ ۳۵ ۳۶ ۳۷ ۳۸ ۳۹ ۴۰ ۴۱ ۴۲ ۴۳ ۴۴ ۴۵ ۴۶ ۴۷ ۴۸ ۴۹ ۵۰ ۵۱ ۵۲ ۵۳ ۵۴ ۵۵ ۵۶ ۵۷ ۵۸ ۵۹ ۶۰ ۶۱ ۶۲ ۶۳ ۶۴ ۶۵ ۶۶ ۶۷ ۶۸ ۶۹ ۷۰ ۷۱ ۷۲ ۷۳ ۷۴ ۷۵ ۷۶ ۷۷ ۷۸ ۷۹ ۸۰ ۸۱ ۸۲ ۸۳ ۸۴ ۸۵ ۸۶ ۸۷ ۸۸ ۸۹ ۹۰ ۹۱ ۹۲ ۹۳ ۹۴ ۹۵ ۹۶ ۹۷ ۹۸ ۹۹ ۱۰۰ ۱۰۱ ۱۰۲ ۱۰۳ ۱۰۴ ۱۰۵ ۱۰۶ ۱۰۷ ۱۰۸ ۱۰۹ ۱۱۰ ۱۱۱ ۱۱۲ ۱۱۳ ۱۱۴ ۱۱۵ ۱۱۶ ۱۱۷ ۱۱۸ ۱۱۹ ۱۲۰ ۱۲۱ ۱۲۲ ۱۲۳ ۱۲۴ ۱۲۵ ۱۲۶ ۱۲۷ ۱۲۸ ۱۲۹ ۱۳۰ ۱۳۱ ۱۳۲ ۱۳۳ ۱۳۴ ۱۳۵ ۱۳۶ ۱۳۷ ۱۳۸ ۱۳۹ ۱۴۰ ۱۴۱ ۱۴۲ ۱۴۳ ۱۴۴ ۱۴۵ ۱۴۶ ۱۴۷ ۱۴۸ ۱۴۹ ۱۵۰ ۱۵۱ ۱۵۲ ۱۵۳ ۱۵۴ ۱۵۵ ۱۵۶ ۱۵۷ ۱۵۸ ۱۵۹ ۱۶۰ ۱۶۱ ۱۶۲ ۱۶۳ ۱۶۴ ۱۶۵ ۱۶۶ ۱۶۷ ۱۶۸ ۱۶۹ ۱۷۰ ۱۷۱ ۱۷۲ ۱۷۳ ۱۷۴ ۱۷۵ ۱۷۶ ۱۷۷ ۱۷۸ ۱۷۹ ۱۸۰ ۱۸۱ ۱۸۲ ۱۸۳ ۱۸۴ ۱۸۵ ۱۸۶ ۱۸۷ ۱۸۸ ۱۸۹ ۱۹۰ ۱۹۱ ۱۹۲ ۱۹۳ ۱۹۴ ۱۹۵ ۱۹۶ ۱۹۷ ۱۹۸ ۱۹۹ ۲۰۰ ۲۰۱ ۲۰۲ ۲۰۳ ۲۰۴ ۲۰۵ ۲۰۶ ۲۰۷ ۲۰۸ ۲۰۹ ۲۱۰ ۲۱۱ ۲۱۲ ۲۱۳ ۲۱۴ ۲۱۵ ۲۱۶ ۲۱۷ ۲۱۸ ۲۱۹ ۲۲۰ ۲۲۱ ۲۲۲ ۲۲۳ ۲۲۴ ۲۲۵ ۲۲۶ ۲۲۷ ۲۲۸ ۲۲۹ ۲۳۰ ۲۳۱ ۲۳۲ ۲۳۳ ۲۳۴ ۲۳۵ ۲۳۶ ۲۳۷ ۲۳۸ ۲۳۹ ۲۴۰ ۲۴۱ ۲۴۲ ۲۴۳ ۲۴۴ ۲۴۵ ۲۴۶ ۲۴۷ ۲۴۸ ۲۴۹ ۲۵۰ ۲۵۱ ۲۵۲ ۲۵۳ ۲۵۴ ۲۵۵ ۲۵۶ ۲۵۷ ۲۵۸ ۲۵۹ ۲۶۰ ۲۶۱ ۲۶۲ ۲۶۳ ۲۶۴ ۲۶۵ ۲۶۶ ۲۶۷ ۲۶۸ ۲۶۹ ۲۷۰ ۲۷۱ ۲۷۲ ۲۷۳ ۲۷۴ ۲۷۵ ۲۷۶ ۲۷۷ ۲۷۸ ۲۷۹ ۲۸۰ ۲۸۱ ۲۸۲ ۲۸۳ ۲۸۴ ۲۸۵ ۲۸۶ ۲۸۷ ۲۸۸ ۲۸۹ ۲۹۰ ۲۹۱ ۲۹۲ ۲۹۳ ۲۹۴ ۲۹۵ ۲۹۶ ۲۹۷ ۲۹۸ ۲۹۹ ۳۰۰ ۳۰۱ ۳۰۲ ۳۰۳ ۳۰۴ ۳۰۵ ۳۰۶ ۳۰۷ ۳۰۸ ۳۰۹ ۳۱۰ ۳۱۱ ۳۱۲ ۳۱۳ ۳۱۴ ۳۱۵ ۳۱۶ ۳۱۷ ۳۱۸ ۳۱۹ ۳۲۰ ۳۲۱ ۳۲۲ ۳۲۳ ۳۲۴ ۳۲۵ ۳۲۶ ۳۲۷ ۳۲۸ ۳۲۹ ۳۳۰ ۳۳۱ ۳۳۲ ۳۳۳ ۳۳۴ ۳۳۵ ۳۳۶ ۳۳۷ ۳۳۸ ۳۳۹ ۳۴۰ ۳۴۱ ۳۴۲ ۳۴۳ ۳۴۴ ۳۴۵ ۳۴۶ ۳۴۷ ۳۴۸ ۳۴۹ ۳۵۰ ۳۵۱ ۳۵۲ ۳۵۳ ۳۵۴ ۳۵۵ ۳۵۶ ۳۵۷ ۳۵۸ ۳۵۹ ۳۶۰ ۳۶۱ ۳۶۲ ۳۶۳ ۳۶۴ ۳۶۵ ۳۶۶ ۳۶۷ ۳۶۸ ۳۶۹ ۳۷۰ ۳۷۱ ۳۷۲ ۳۷۳ ۳۷۴ ۳۷۵ ۳۷۶ ۳۷۷ ۳۷۸ ۳۷۹ ۳۸۰ ۳۸۱ ۳۸۲ ۳۸۳ ۳۸۴ ۳۸۵ ۳۸۶ ۳۸۷ ۳۸۸ ۳۸۹ ۳۹۰ ۳۹۱ ۳۹۲ ۳۹۳ ۳۹۴ ۳۹۵ ۳۹۶ ۳۹۷ ۳۹۸ ۳۹۹ ۴۰۰ ۴۰۱ ۴۰۲ ۴۰۳ ۴۰۴ ۴۰۵ ۴۰۶ ۴۰۷ ۴۰۸ ۴۰۹ ۴۱۰ ۴۱۱ ۴۱۲ ۴۱۳ ۴۱۴ ۴۱۵ ۴۱۶ ۴۱۷ ۴۱۸ ۴۱۹ ۴۲۰ ۴۲۱ ۴۲۲ ۴۲۳ ۴۲۴ ۴۲۵ ۴۲۶ ۴۲۷ ۴۲۸ ۴۲۹ ۴۳۰ ۴۳۱ ۴۳۲ ۴۳۳ ۴۳۴ ۴۳۵ ۴۳۶ ۴۳۷ ۴۳۸ ۴۳۹ ۴۴۰ ۴۴۱ ۴۴۲ ۴۴۳ ۴۴۴ ۴۴۵ ۴۴۶ ۴۴۷ ۴۴۸ ۴۴۹ ۴۵۰ ۴۵۱ ۴۵۲ ۴۵۳ ۴۵۴ ۴۵۵ ۴۵۶ ۴۵۷ ۴۵۸ ۴۵۹ ۴۶۰ ۴۶۱ ۴۶۲ ۴۶۳ ۴۶۴ ۴۶۵ ۴۶۶ ۴۶۷ ۴۶۸ ۴۶۹ ۴۷۰ ۴۷۱ ۴۷۲ ۴۷۳ ۴۷۴ ۴۷۵ ۴۷۶ ۴۷۷ ۴۷۸ ۴۷۹ ۴۸۰ ۴۸۱ ۴۸۲ ۴۸۳ ۴۸۴ ۴۸۵ ۴۸۶ ۴۸۷ ۴۸۸ ۴۸۹ ۴۹۰ ۴۹۱ ۴۹۲ ۴۹۳ ۴۹۴ ۴۹۵ ۴۹۶ ۴۹۷ ۴۹۸ ۴۹۹ ۵۰۰ ۵۰۱ ۵۰۲ ۵۰۳ ۵۰۴ ۵۰۵ ۵۰۶ ۵۰۷ ۵۰۸ ۵۰۹ ۵۱۰ ۵۱۱ ۵۱۲ ۵۱۳ ۵۱۴ ۵۱۵ ۵۱۶ ۵۱۷ ۵۱۸ ۵۱۹ ۵۲۰ ۵۲۱ ۵۲۲ ۵۲۳ ۵۲۴ ۵۲۵ ۵۲۶ ۵۲۷ ۵۲۸ ۵۲۹ ۵۳۰ ۵۳۱ ۵۳۲ ۵۳۳ ۵۳۴ ۵۳۵ ۵۳۶ ۵۳۷ ۵۳۸ ۵۳۹ ۵۴۰ ۵۴۱ ۵۴۲ ۵۴۳ ۵۴۴ ۵۴۵ ۵۴۶ ۵۴۷ ۵۴۸ ۵۴۹ ۵۵۰ ۵۵۱ ۵۵۲ ۵۵۳ ۵۵۴ ۵۵۵ ۵۵۶ ۵۵۷ ۵۵۸ ۵۵۹ ۵۶۰ ۵۶۱ ۵۶۲ ۵۶۳ ۵۶۴ ۵۶۵ ۵۶۶ ۵۶۷ ۵۶۸ ۵۶۹ ۵۷۰ ۵۷۱ ۵۷۲ ۵۷۳ ۵۷۴ ۵۷۵ ۵۷۶ ۵۷۷ ۵۷۸ ۵۷۹ ۵۸۰ ۵۸۱ ۵۸۲ ۵۸۳ ۵۸۴ ۵۸۵ ۵۸۶ ۵۸۷ ۵۸۸ ۵۸۹ ۵۹۰ ۵۹۱ ۵۹۲ ۵۹۳ ۵۹۴ ۵۹۵ ۵۹۶ ۵۹۷ ۵۹۸ ۵۹۹ ۶۰۰ ۶۰۱ ۶۰۲ ۶۰۳ ۶۰۴ ۶۰۵ ۶۰۶ ۶۰۷ ۶۰۸ ۶۰۹ ۶۱۰ ۶۱۱ ۶۱۲ ۶۱۳ ۶۱۴ ۶۱۵ ۶۱۶ ۶۱۷ ۶۱۸ ۶۱۹ ۶۲۰ ۶۲۱ ۶۲۲ ۶۲۳ ۶۲۴ ۶۲۵ ۶۲۶ ۶۲۷ ۶۲۸ ۶۲۹ ۶۳۰ ۶۳۱ ۶۳۲ ۶۳۳ ۶۳۴ ۶۳۵ ۶۳۶ ۶۳۷ ۶۳۸ ۶۳۹ ۶۴۰ ۶۴۱ ۶۴۲ ۶۴۳ ۶۴۴ ۶۴۵ ۶۴۶ ۶۴۷ ۶۴۸ ۶۴۹ ۶۵۰ ۶۵۱ ۶۵۲ ۶۵۳ ۶۵۴ ۶۵۵ ۶۵۶ ۶۵۷ ۶۵۸ ۶۵۹ ۶۶۰ ۶۶۱ ۶۶۲ ۶۶۳ ۶۶۴ ۶۶۵ ۶۶۶ ۶۶۷ ۶۶۸ ۶۶۹ ۶۷۰ ۶۷۱ ۶۷۲ ۶۷۳ ۶۷۴ ۶۷۵ ۶۷۶ ۶۷۷ ۶۷۸ ۶۷۹ ۶۸۰ ۶۸۱ ۶۸۲ ۶۸۳ ۶۸۴ ۶۸۵ ۶۸۶ ۶۸۷ ۶۸۸ ۶۸۹ ۶۹۰ ۶۹۱ ۶۹۲ ۶۹۳ ۶۹۴ ۶۹۵ ۶۹۶ ۶۹۷ ۶۹۸ ۶۹۹ ۷۰۰ ۷۰۱ ۷۰۲ ۷۰۳ ۷۰۴ ۷۰۵ ۷۰۶ ۷۰۷ ۷۰۸ ۷۰۹ ۷۱۰ ۷۱۱ ۷۱۲ ۷۱۳ ۷۱۴ ۷۱۵ ۷۱۶ ۷۱۷ ۷۱۸ ۷۱۹ ۷۲۰ ۷۲۱ ۷۲۲ ۷۲۳ ۷۲۴ ۷۲۵ ۷۲۶ ۷۲۷ ۷۲۸ ۷۲۹ ۷۳۰ ۷۳۱ ۷۳۲ ۷۳۳ ۷۳۴ ۷۳۵ ۷۳۶ ۷۳۷ ۷۳۸ ۷۳۹ ۷۴۰ ۷۴۱ ۷۴۲ ۷۴۳ ۷۴۴ ۷۴۵ ۷۴۶ ۷۴۷ ۷۴۸ ۷۴۹ ۷۵۰ ۷۵۱ ۷۵۲ ۷۵۳ ۷۵۴ ۷۵۵ ۷۵۶ ۷۵۷ ۷۵۸ ۷۵۹ ۷۶۰ ۷۶۱ ۷۶۲ ۷۶۳ ۷۶۴ ۷۶۵ ۷۶۶ ۷۶۷ ۷۶۸ ۷۶۹ ۷۷۰ ۷۷۱ ۷۷۲ ۷۷۳ ۷۷۴ ۷۷۵ ۷۷۶ ۷۷۷ ۷۷۸ ۷۷۹ ۷۸۰ ۷۸۱ ۷۸۲ ۷۸۳ ۷۸۴ ۷۸۵ ۷۸۶ ۷۸۷ ۷۸۸ ۷۸۹ ۷۹۰ ۷۹۱ ۷۹۲ ۷۹۳ ۷۹۴ ۷۹۵ ۷۹۶ ۷۹۷ ۷۹۸ ۷۹۹ ۸۰۰ ۸۰۱ ۸۰۲ ۸۰۳ ۸۰۴ ۸۰۵ ۸۰۶ ۸۰۷ ۸۰۸ ۸۰۹ ۸۱۰ ۸۱۱ ۸۱۲ ۸۱۳ ۸۱۴ ۸۱۵ ۸۱۶ ۸۱۷ ۸۱۸ ۸۱۹ ۸۲۰ ۸۲۱ ۸۲۲ ۸۲۳ ۸۲۴ ۸۲۵ ۸۲۶ ۸۲۷ ۸۲۸ ۸۲۹ ۸۳۰ ۸۳۱ ۸۳۲ ۸۳۳ ۸۳۴ ۸۳۵ ۸۳۶ ۸۳۷ ۸۳۸ ۸۳۹ ۸۴۰ ۸۴۱ ۸۴۲ ۸۴۳ ۸۴۴ ۸۴۵ ۸۴۶ ۸۴۷ ۸۴۸ ۸۴۹ ۸۵۰ ۸۵۱ ۸۵۲ ۸۵۳ ۸۵۴ ۸۵۵ ۸۵۶ ۸۵۷ ۸۵۸ ۸۵۹ ۸۶۰ ۸۶۱ ۸۶۲ ۸۶۳ ۸۶۴ ۸۶۵ ۸۶۶ ۸۶۷ ۸۶۸ ۸۶۹ ۸۷۰ ۸۷۱ ۸۷۲ ۸۷۳ ۸۷۴ ۸۷۵ ۸۷۶ ۸۷۷ ۸۷۸ ۸۷۹ ۸۸۰ ۸۸۱ ۸۸۲ ۸۸۳ ۸۸۴ ۸۸۵ ۸۸۶ ۸۸۷ ۸۸۸ ۸۸۹ ۸۹۰ ۸۹۱ ۸۹۲ ۸۹۳ ۸۹۴ ۸۹۵ ۸۹۶ ۸۹۷ ۸۹۸ ۸۹۹ ۹۰۰ ۹۰۱ ۹۰۲ ۹۰۳ ۹۰۴ ۹۰۵ ۹۰۶ ۹۰۷ ۹۰۸ ۹۰۹ ۹۱۰ ۹۱۱ ۹۱۲ ۹۱۳ ۹۱۴ ۹۱۵ ۹۱۶ ۹۱۷ ۹۱۸ ۹۱۹ ۹۲۰ ۹۲۱ ۹۲۲ ۹۲۳ ۹۲۴ ۹۲۵ ۹۲۶ ۹۲۷ ۹۲۸ ۹۲۹ ۹۳۰ ۹۳۱ ۹۳۲ ۹۳۳ ۹۳۴ ۹۳۵ ۹۳۶ ۹۳۷ ۹۳۸ ۹۳۹ ۹۴۰ ۹۴۱ ۹۴۲ ۹۴۳ ۹۴۴ ۹۴۵ ۹۴۶ ۹۴۷ ۹۴۸ ۹۴۹ ۹۵۰ ۹۵۱ ۹۵۲ ۹۵۳ ۹۵۴ ۹۵۵ ۹۵۶ ۹۵۷ ۹۵۸ ۹۵۹ ۹۶۰ ۹۶۱ ۹۶۲ ۹۶۳ ۹۶۴ ۹۶۵ ۹۶۶ ۹۶۷ ۹۶۸ ۹۶۹ ۹۷۰ ۹۷۱ ۹۷۲ ۹۷۳ ۹۷۴ ۹۷۵ ۹۷۶ ۹۷۷ ۹۷۸ ۹۷۹ ۹۸۰ ۹۸۱ ۹۸۲ ۹۸۳ ۹۸۴ ۹۸۵ ۹۸۶ ۹۸۷ ۹۸۸ ۹۸۹ ۹۹۰ ۹۹۱ ۹۹۲ ۹۹۳ ۹۹۴ ۹۹۵ ۹۹۶ ۹۹۷ ۹۹۸ ۹۹۹ ۱۰۰۰

وَيُرَوَّى عَنْ مُجَاهِدٍ ۱ قَالَ: لَمَّا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْأَرْضِ أَيَّامَ نُوحٍ فَقَالَ: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾، كَانَتْ أَرْضُ الْكُوفَةِ آخِرَهَا ابْتِلَاعًا، وَأَشَدَّهَا تَقَعُّسًا، فَمِنْ هُنَاكَ سَائِرُ الْأَرْضِ تُكْرَبُ ۲ عَلَى جِهَارَيْنِ وَتُورِينِ وَأَرْضُ الْكُوفَةِ عَلَى سِتَّةٍ. ۳ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّمِيمِيُّ ۳: لَمَّا أَمْرَتْ الْأَرْضُ أَنْ تُغِيضَ الْمَاءَ غَاضٌ إِلَّا أَرْضَ الْكُوفَةِ فَلَعِنَتْ، فَسَائِرُ الْأَرْضِ تُكْرَبُ ۴ عَلَى ثُورَيْنِ وَأَرْضُ الْكُوفَةِ عَلَى أَرْبَعَةٍ ۵.

وَقَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ الْأَوْدِيَّةُ: مَرُّوا بِزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فِي سُوقِ كِنْدَةَ عَلَى جِهَارٍ قَدْ خُولِفَ بِوَجْهِهِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: يَا سِرَارَ خَلَقَ اللَّهُ أَسْلَمْتُمْوَنِي لِلْقَتْلِ ۶ ثُمَّ جِئْتُمْوَنِي تَبْكُونَ ۱.

^(a) في الأصل: المسودا. ^(b) في الأصل: عزيز. والتصويب من: من اسمه عمرو من الشعراء. ^(c) في الأصل: من تكرب، والتصويب من السيوطي: الدر المشور.

¹ مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. من كبار التابعين ثقة إمام في التفسير والعلوم، توفي سنة ۱۰۲هـ/۷۲۱م، عن ۸۳ سنة. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ج ۷، ص ۴۱۱.

² أي تقلب للحرث، وتثار للزرع. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ۱، ص ۷۱۵.

³ إبراهيم بن يزيد بن شريك التميمي من فقهاء التابعين وعبادهم. توفي في حبس الحجاج سنة ۷۹هـ/۷۱۳م. راجع: الشيرازي: طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ۱۹۷۰م. ص ۸۱؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ۵ ص ۶۰-۶۱.

⁴ أورد السيوطي: هذه الرواية في كتابه: الدر المشور في التفسير بالمأثور، وعزاها إلى "أبي الشيخ" عن إبراهيم التميمي. طبعة دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ۴، ص ۴۳۶.

[أقوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

٣ وَقَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه لِأَهْلِ الْكُوفَةِ: اللَّهُمَّ كَمَا نَصَحْتَهُمْ فَعَشُونِي وَاتَّمَّتْهُمْ فَخَانُونِي فَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ فَتَى ثَقِيفِ الذِّيَالِ الْمِيَالِ يَأْكُلُ^٥ خَضِرَتَهَا وَيَلْبَسُ فَرَوْتَهَا، وَيَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَقَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه لِأَهْلِ الْكُوفَةِ: اللَّهُمَّ كَمَا نَصَحْتَهُمْ فَعَشُونِي وَاتَّمَّتْهُمْ فَخَانُونِي فَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ فَتَى ثَقِيفِ الذِّيَالِ الْمِيَالِ يَأْكُلُ^٥ خَضِرَتَهَا وَيَلْبَسُ فَرَوْتَهَا، وَيَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ.

٦ وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ^١: قَامَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى عَلِيِّ رضي الله عنه فَقَالُوا: الْعَطَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ، مَيِّتَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ^٢، أَنْتَلِقُونِي وَلِأَدَّةٍ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ تَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ حَقِّكُمْ كَمَا تَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ بِاطْلِكُمْ مَا عَلَلَّ أَمْوَالِكُمْ حَلْبَ شَاةٍ، اللَّهُمَّ قَدْ كَرِهْتُهُمْ وَكَرِهُونِي فَأَرِحْهُمْ مِنِّي وَأَرِحْنِي مِنْهُمْ. قَالَ:

^٥ في الأصل: يأكلها، والتصويب من المسعودي مروج الذهب.

^١ محمد بن رافع بن أبي زيد أبو عبد الله القشيري الإمام الحافظ الحجة القدوة، مولاها، النيسابوري المعروف بـ"سابور". توفي سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. عنه راجع: البخاري: التاريخ الكبير ج ١ ص ٨١-٨٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢ ص ٢١٤-٢١٦.

^٢ أورد الفسوي هذا الخبر وعزاه إلى عبد الرحمن بن قيس الكوفي الذي قال: «رَأَيْتُ عَلِيًّا بِنِ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ الْمَصْحَفَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى لَأَرَى وَرَقَهُ يَتَقَعَّقُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُؤْتِمَّنِي فِي الْأُمَّةِ بِمَا فِيهِ فَأَعْطِنِي ثَوَابَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَأْتُهُمْ وَمَلُونِي، وَأَبْغَضْتُهُمْ وَأَبْغَضُونِي، وَحَمَلُونِي عَلَى غَيْرِ طَبِيعَتِي وَخُلِقِي وَأَخْلَقِي لَمْ تَكُنْ تُعْرِفُ لِي، فَأَبْدَلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلْتُهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، اللَّهُمَّ أَمِتْ قُلُوبَهُمْ مَيْتَ الْمَلْحِ فِي الْمَاءِ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَعْني أَهْلَ الْكُوفَةِ». انظر: المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، ج ٢، ص ٧٥١.

فأصيب في ذلك العام. وقدم رجلٌ من أهل المدينة يُكنى أبا مريم الكوفة، فلقبه عليٌّ
 رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا أبا مريم، ما أقدمك هذه البلاد؟ فقال: ما كانت لي حاجةٌ ولكن
 ٣ عهدي بك وأنت تقول: لو وُلِّيتُ هذا الأمرَ فعلتُ وفعلتُ. قال: قلنا عن العهد
 الذي عهدتُ ولكني بليتُ بأخبث قومٍ في الأرض، ما دعوتهم قط إلى حقٍّ
 فأجابوني [٤] إليه، ولا يدعونني إلى أمرٍ فأجيبهم إلا اختلفوا. وقال حُذام
 ٦ الأسدي^(أ): قدمتُ الكوفةَ وقد انصرفَ عليٌّ بن الحسين من كربلاء، فرأيتُ نساء
 أهل الكوفةَ يُلْتَدِمْنَ مَهْتَكَاتِ^(ب) الجيوبِ فسمعتُ عليًّا بن الحسين يقولُ^(ج) بصوت
 صبي وقد أنهكته العلة^(د): ألا إنَّ هولاءَ قتلونا.

[كلام زينب بنت علي]

٩ ورأيتُ زينبَ بنتَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقد أوَمَّأت إلى الناس أن أنصتوا فارتدت الأنفاس
 وسكنت الأجراس، ثم قالت: الحمدُ لله، والصلاةُ على نبيِّه. أمَّا بعد، يا أهل
 ١٢ الكوفةَ يا أهل الحيرة^(د) والحذل، فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرثة، فإننا مثلكم
 كالتي نقضت عزها من بعد قوّة أنكاثا، تتخذون أيانكم دخلاً بينكم، ألا وهل

^(أ) في الأصل: جرير بن سير، والتصويب من ابن طيفور: بلاغات النساء.

^(ب) في الأصل: مهتكات، والتصويب من ابن طيفور: بلاغات النساء.

^(ج-د) لدى ابن طيفور: بصوت ضئيل وقد نحل من المرض. ^(د) لدى ابن طيفور: الختر.

^١ حُذام بن مرداس الأسدي. ذكره ابن طيفور: بلاغات النساء، القاهرة ١٩٠٨م، ج ١، ص ٢٧-٢٨؛ وله بعض الأشعار في باب [من اسمه مرداس] في المرزباني: معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٣٠٧.

فِيكُمْ إِلَّا الصَّلْفُ والطَّنْفُ^١ والصدفُ والشَّنْفُ، ألا ساء ما قَدَّمت لكم أنفُسكم أن
 سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وفي العَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ، أَتَبْكون؟! إي والله فَابْكُوا كثيرًا
 ٣ واضْحَكُوا قليلاً فَلَقَدْ فُزْتُمْ بِعَارِهَا وَسَنَارِهَا ولن^٢ ترحموا بعدها أبداً، وأتَى تُرْحَمُونَ
 ٦ بعد قَتْلِ سَلِيلِ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ وَسَيِّدِ شَيْبَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ^٣ وملاذ حيرتكم ومُفْرَغٌ^٤
 نَازِلَتْكُمْ^٥؟!، ألا ساء ما تَزِرُونَ، تَعَسَا وَنَكَسَا فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ وَتَبَّتْ الأيْدِي
 وَخَيْرِ الصَّفَقَةِ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ.
 وَيَلُكُمُ أَتَدْرُونَ أَيَّ كَيْدٍ لُمُحَمَّدٍ ﷺ فَرَيْتُمْ^٦، أَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ
 أَضَعْتُمْ، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ
 ٩ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مریم: ٨٩-٩٠]. ولقد أَتَيْتُمْ بِهَا خَرْقَاءَ شَوْهَاءِ طِلَاعِ الأَرْضِ وَالنِّسَاءِ،
 أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا؟! فَلَعَذَابِ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ، فلا
 يَسْتَحْفِنُكُمْ المَهْلُ فَإِنَّهُ لَا [تحفزه المبادرة]^٧، لَا يُخَافُ [عَلَيْهِ]^٨ قَوْتُ النَّارِ، كَلَّا إِنْ
 ١٢ رَبَّكَ [لَنَا وَهُمْ]^٩ لِابْرِصَادِ. [ثُمَّ وَلَّتْ عَنْهُمْ]^{١٠}، قال: فَرَأَيْتُ النَّاسَ حَيَارَى وَهَلَى
 قَدِردُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ^{١١}.

^١ لدى ابن طيفور: بلاغات النساء: تُرحضون.

^٢ الأصل: أن

^٣ ابن طيفور بزيادة: ومنار محجتكم، ومذره حججتكم، ومفرغ نازلتكم. ^٤ في الأصل: فرئتم.

^٥ ساقطة من الأصل: والتكلمة من ابن طيفور.

^٦ ساقطة من الأصل: والتكلمة من ابن طيفور.

^٧ ساقطة من الأصل: والتكلمة من ابن طيفور.

^٨ الطَّنْفُ: التُّهْمَةُ. ورجل مطنف أي متهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٢٤.

^٩ أي مُذْهِبِ الفِرْعِ عن قلوبهم عند النوازل. انظر: المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٤٥.

^{١٠} راجع: نص خطبة السيدة زينب لدى ابن طيفور: بلاغات النساء، ص ٢٧-٢٨.

ودخل اليقظان بن ظهير على عائشة فقالت له: بمن أنت؟ قال: من أهل الكوفة،
فقالت: وددت أن الله سلط على أهل الكوفة عذاباً مثل عذاب يوم الظلة.

٣ ولما قُتِل مُصْعَب بن الزبير^١ وكانت امرأته سُكَيْنَةُ بنت الحسين، أَرَادَت الرَّحِيل
إلى المدينة وكانت بالكوفة، فقال لها أهل الكوفة: أَحَسَنَ اللهُ صَحَابَتَكَ [٤] يَا بِنْتَ
رَسُولِ اللهِ، وَفَعَلَ بِكَ وَفَعَلَ. فقالت: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَا أَحْسَنَ اللهُ صَحَابَتَكُمْ فَلَقَدْ
٦ قَتَلْتُمْ جَدِّي عَلِيًّا وَعَمِّي الْحَسَنَ وَأَبِي الْحُسَيْنَ وَبِعَلِيٍّ مُصْعَبًا، فَأَيْتَمَّمْتُمُونِي صَغِيرَةً
وَأَيْتَمَّمْتُمُونِي كَبِيرَةً، فَلَا أَحْسَنَ اللهُ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ وَلَا رَفَعَ^(أ) عَنْكُمْ الشُّوْءَ.

وقال عُمَرُ: أَعْضَانِي أَهْلَ الْكُوفَةِ مَا يَرْضَوْنَ بِأَمِيرٍ وَلَا يَرْضَاهُمْ، وَلَا يَصْلُحُونَ
٩ لِأَمِيرٍ وَلَا يَصْلُحُ لَهُمْ. وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَلَغَهُ عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
خَضْبٌ وَقِيلَ لَهُ^(ب): مَا تَقُولُ فِي الضَّبِّ وَالتُّونِ يَجْتَمِعَانِ فِي سَفُودٍ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَتَتَعْتُونَ
أَرْضًا بَرِيَّةً بَحْرِيَّةً. وَأَعْجَبُهُ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا أَرَانِي إِلَّا سَأَتِيهِمْ فَأَمْرُهُمْ بِمَعْرُوفٍ^٢.
١٢ فَكَتَبَ إِلَيْهِ كَعْبٌ^٣: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ يَهَا الدَّاءَ الْعُضَالُ وَيَهَا
تِسْعَةَ أَعْشَارِ الشَّرِّ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ اجْتَمَعَ ثَمَانِيَةَ أَشْيَاءٍ فِي وَاوٍ:

^(أ) في المختصر: دفع. ^(ب) في الأصل: قيل لهم، والتصويب من المختصر.

^١ مصعب بن الزبير بن العوام، كنيته أبو عبد الله. قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ/٨٨٤ م. انظر ترجمته في:

ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٨٢-١٨٣؛ أبو عبد الله الزبيري: نسب قريش، ص ٢٤٩.

^٢ راجع قول عمر بن الخطاب فيما تقدم ص ١٠١.

^٣ كعب بن ماته الحميري، كنيته أبو إسحاق ويعرف بكعب الأحبار، أسلم في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي

بمحرم سنة ٣٢ هـ/٦٥٣ م. راجع في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٤٥؛ البخاري، التاريخ

الكبير، ج ٦، ص ٤٧١-٤٧٢.

الإيمان والحياة والهجرة والموت والشقاء والصحة والغنى والثقل^(a). فقال بعضهم ليغضي: تعالوا نتفرق في الأرض، فقال الإيمان: أنا ألحق بأرض اليمن، فقال الحياة: أنا معك، قالت الهجرة: أنا ألحق بأرض الشام، قال الموت: وأنا معك، فقال الغنى: أنا ألحق بأرض العراق. قال الثقل: أنا معك، قالت الصحة: ما تركتم لي شيئاً من البلاد إلا وقد أخذتموه فأنا ألحق بالبرية، قال الشقاء: وأنا معك^١.

[عُيُونُ الْكُوفَةِ]

وقالوا: السدير^٢ ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب، وعُيُونُ الطَّفِّ منها مثل عَيْنِ الصَّيْدِ والقُطُقُطَاةِ^(b) والرُّهَيْمَةِ وَعَيْنِ جَهْلٍ وَذَوَاتِهَا، [وهي]^(c) عُيُونٌ كَانَتْ لِلْمُوكَلِّينَ بِالسَّالِحِ الَّتِي وَرَاءَ خَنْدَقِ سَابُورِ الَّذِي حَفَرَهُ بَيْنَهُ

^(a) في المختصر: العي. ^(b) في الأصل: القطقطانية، والتصويب من: فتوح البلدان.

^(c) ساقطة من الأصل: والتكملة من البلاذري.

^١ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر: في "معجم البلدان" وهذا نصه: « وهبط ملائكة الخير والشر، وملائكة الحياة والإيمان، وملائكة الصحة والشقاء وملائكة الغنى وملائكة الشرف وملائكة المروءة، وملائكة الجفاء وملائكة الجهل، وملائكة السيف وملائكة البأس، حتى انتهوا إلى العراق، فقال بعضهم لبعض: افترقوا، فقال ملك الإيمان: أنا أسكن المدينة ومكة. فقال ملك الحياة: وأنا معك. فاجتمعت الأمة على أن الإيمان والحياة يبذل رسول الله ﷺ. وقال ملك الشقاء: أنا أسكن البادية. فقال ملك الصحة: وأنا معك، فاجتمعت الأمة على أن الشقاء والصحة في الأعراب. وقال ملك الجفاء: أنا أسكن المغرب. فقال ملك الجهل: وأنا معك، فاجتمعت الأمة على أن الجفاء والجهل في البربر. وقال ملك السيف: أنا أسكن الشام. فقال ملك البأس: وأنا معك. وقال ملك الغنى: أنا أقيم ههنا. فقال ملك المروءة: وأنا معك، وقال ملك الشرف: وأنا معكما. فاجتمع ملك الغنى والمروءة والشرف بالعراق. قلت: هذا خبر نقلته على ما وجدته، والله المستعان عليه. ج ١، ص ٣١٠.

^٢ انظر مختصر الكتاب: ص ١٨٧.

- وبين العرب وغيرهم، وذلك أن سَابُورَ أَقْطَعَهُمْ أَرْضًا، فَأَعْتَمَلُوهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلْزِمَهُمْ خَرَاجًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ ذِي قَارِ وَنَصَرَ اللَّهُ الْعَرَبَ بِنَبِيِّهِ ﷺ غَلَبَتِ الْعَرَبُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعُيُونِ وَبَقِيَ بَعْضُهَا فِي أَيْدِي الْأَعَاجِمِ، ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ الْمُسْلِمُونَ الْحِيرَةَ وَهَرَبَتِ الْأَعَاجِمُ بَعْدَ أَنْ طَمَّتْ^(أ) عَامَةً مَا كَانَ فِي أَيْدِيهَا مِنْهَا وَبَقِيَ الَّذِي فِي أَيْدِي الْعَرَبِ، فَأَسْلَمُوا عَلَيْهِ وَصَارَ مَا عَمَرُوهُ مِنَ الْأَرْضِ [٥٥] عَشْرًا^١.
- ولما مضى أمر^(ب) القَادِسِيَّةِ وَالْمَدَائِنِ دَفَعَ مَا جَلَا عَنْهُ الْأَعَاجِمُ مِنْ أَرْضِ تِلْكَ الْعُيُونِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَقْطَعُوهُ فَصَارَتْ عَشْرِيَّةً أَيْضًا، وَكَانَ تَجْرِي عُيُونُ الطَّفِّ وَأَرْضُهَا تَجْرِي أَعْرَاضُ الْمَدِينَةِ وَقُرَى نَجْدٍ وَكَانَتْ صَدَقَتِهَا إِلَى عُمَالِ الْمَدِينَةِ.
- فَلَمَّا وَلِيَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُضْعَبٍ^٢ السَّوَادَ لِلْمُتَوَكِّلِ صَمَّهَا إِلَى مَا فِي يَدِهِ، فَتَوَلَّى عُمَالَهُ عَشْرَهَا وَصَيَّرَهَا سَوَادِيَّةً فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ.

^(أ) في الأصل: بعد أن طنت. والتصويب من البلاذري.

^(ب) في الأصل: انتفضى من. والتصويب من البلاذري.

^١ نقل ابن الفقيه هذا الخبر من البلاذري: فتوح البلدان، بتصرف طفيف دون إشارة لمصدره، بل إنه استخدم نفس عبارة البلاذري عند استفتاحه للرواية بـ «قالوا: السدير ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسر من هذا الجانب وعيون الطف منها مثل عين الصيد...». انظر: فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م. ص ٤١٩.

^٢ إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، أمير بغداد، وليها ما يقرب من ثلاثين عامًا، وعلى يده امتحن العلماء بأمر الخليفة المأمون في خلق القرآن. توفي سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٨، ص ٢٥٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧١.

وقد استُخْرِجَتْ فِيهَا الْيَوْمُ عِيُونٌَ إِسْلَامِيَّةٌ تَجْرِي مَا عُمِّرَ بِهَا^(أ) مِنَ الْأَرْضِينَ هَذَا الْمَجْرَى^١.

٣ وَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَائِخِ عَنِ عَيْنِ جَمَلٍ لِمَا سُمِّيَتْ بِهَذَا الْإِسْمِ، فَذَكَرَ أَنَّ جَمَلًا مَاتَ عِنْدَهَا فَسُمِّيَتْ^(ب) الْعَيْنُ إِلَيْهِ، وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ وَاسِطٍ أَنَّ الْمُسْتَخْرِجَ لِهَذِهِ الْعَيْنِ يُسَمَّى جَمَلًا. قَالَ: وَسُمِّيَتْ عَيْنَ الصَّيْدِ لِأَنَّ السَّمَكَ كَانَ كَثِيرًا جَدًّا فَيُضْطَّادُ، فَسُمِّيَتْ بِهَذَا الْإِسْمِ^٢.

وَكَانَتْ عَيْنُ الرَّحْبَةِ^(ج) مِمَّا طَمَّتْهَا وَغَوَّرَتْهَا الْأَعَاجِمُ، فَيُقَالُ إِنَّ رَجُلًا مِنْ [حُجَّاجٍ]^(د) أَهْلِ كِرْمَانَ اجْتَازَ بِهَا^٣، وَهُوَ يُرِيدُ الْحَجَّ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَكَانَ بَصِيرًا بِاسْتِنْبَاطِ الْمِيَاهِ،

^(أ) في الأصل: ما عَمَّرَتْهَا، والتصويب من ياقوت: معجم البلدان.

^(ب) في الأصل: فنسب، التصويب من البلاذري، فتوح البلدان.

^(ج) في الأصل: الرحمة، والتصويب من المختصر.

^(د) التتمة من البلاذري.

^١ أصل العبارة عند البلاذري، فيما يخص عين الجمل: « وقد استخرج عيون إسلامية فجرى ما سقت عيونها من الأرضين هذا المجرى » ص ٤١٩.

^٢ نقل ابن الفقيه هذه العبارة من فتوح البلدان للبلاذري بتصريف ولم يُبَيِّرْ، ونصها كالتالي: « وأخبرني بعض الكريزيين [المجريين الحدائق]: أن عين الصيد كانت مما طم، فبينما رجل من المسلمين تحول فيها هناك إذ ساخت قوائم فرسه فيها، فنزل عنه فحفر، فظهر له الماء فجمع قوماً عاونوه على كشف التراب والطين عنها وتفتيتها حتى عادت إلى ما كانت عليه، ثم إنها صارت بعد إلى عيسى بن علي، وكان عيسى اتباعها من ولد حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكانت عنده منهم أم كلثوم بنت حسن بن حسن، وكان معاوية أقطع الحسن بن علي عين صيد هذه عوضاً من الخلافة مع غيرها... » قارن: المصدر السابق، ص ٤٢٠.

^٣ راجع مختصر كتاب البلدان، ص ١٨٧.

فلما قضى حَجَّهٗ وَرَجَعَ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى^١ فَدَلَّهُ عَلَيْهَا وَقَالَ: أَنَا أُسْتَنْبِطُهَا لَكَ، فَكَاتَبَ السُّلْطَانَ فِي أَنْ يُقَطِّعَهُ إِيَّاهَا وَأَرْضَهَا فَفَعَلَ. وَاسْتَخْرَجَهَا لَهُ الْكِرْمَانِيُّ فَاعْتَمَلَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ وَعَرَسَ النَّخْلَ الَّذِي فِي طَرِيقِ الْعُدَيْبِ^٢.
 وَعَلَى فَرَايِخَ مِنْ هَيْتَ عُمَيْيُونَ تَدْعَى الْعِرْقَ^٣ (a) تَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى، وَأَعْشَارُهَا إِلَى صَاحِبِ هَيْتَ^٤.

٣

(a) في الأصل: الغرق، والتصويب من البلاذري، فتوح البلدان.

^١ عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، استعمله السفاح على الكوفة، ووزر لأبي جعفر المنصور. توفي ١٦٨هـ/٧٨٥م. للمزيد راجع: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١١-٤١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥١٦.

^٢ العُدَيْب: ماء يقع بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٢.

^٣ نسبة إلى عِرْقِيَّيَ البصرة: وهما عِرْقُ نَاهِقٍ وَعِرْقُ نَادِقٍ. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٧.

^٤ قارن البلازي: فتوح البلدان، ص ٤٢٠.

القول في البصرة

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى^١: سُميتِ البصرة لأنه كان فيها حجارة رَخوة،
والبصرة الحجارة الرَّخوة تَضْرِبُ إلى البياض، وقال ذو الرُّمَّة^٢، وذكر حَوْصًا:
جَوَانِبِهِ مِنْ بَصْرَةٍ وَسَلَامٍ^٣.

وقالوا سُميتِ البصرة لأنه كان فيها حجارة سُود بَصْرَة، وقال مُحَمَّد بن
شُرْحَيْبِل ابن حَسَنَة^٤: إِنَّمَا سُمِّيَتِ البَصْرَة لِأَنَّ فِيهَا حِجَارَةً سُودًا صُلْبَةً وَهِيَ
البَصْرَة.

^١ استشهد ابن الفقيه بقول ذي الرُّمَّة، والبيت بتمامه في ياقوت:

تداعين باسم الشيب في مثلم جوانبه من بصرة وسلام

^١ أبو عبيدة معمر بن المثنى، اللغوي النحوي الأخباري المشهور، من تيم قريش، كان يرى رأي الخوارج. و
كان شعوبياً يطعن في الأنساب، توفي سنة ٢٠٩هـ، وقيل ٢١١هـ/٨٢٦-٨٢٧م. راجع في ترجمته: ابن قتيبة
الدينوري: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٥٤٣؛
النديم: الفهرست، ج ١، ص ١٤٩-١٥٢.

^٢ غيلان بن عقبة بن بهيش من بني عدي، ويقال نهيش، الشاعر المشهور، كان ينشد شعره في سوق الإبل،
وقيل إن الفرزدق وقف على شعره واستحسنه. توفي ١١٧هـ/٧٣٥م. انظر في ترجمته: ابن سلام
الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م، ج ٢،
ص ٥٥٧-٥٦٩.

^٣ محمد بن شريحيل ابن حسنة الكندي، من التابعين، ثقة، يروي عن أبيه وعن أبي هريرة، ترجمته في ابن الأثير:
أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة بيروت ج ٥، ص ٩٠، وراجع الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص

قال خُفاف ابن نُدْبَةَ^١ (شعر):

[البيط]

إِنْ تَكُ جُلْمُودَ بُضْرِ لَا أُوبِسُهُ أَوْ قَدْ عَلَيَّ فَأُضْرِمُهُ^(a) فَيَنْصَدِعُ

وَقَالَ الطَّرِمَّاحُ^٢: [٥٥ظ]

[الطويل]

مُؤَلِّفَةٌ^(b) تَهْوِي جَمِيعًا كَمَا هَوَى مِنْ النَّيْقِ^٣ فَهَرُّ^(c) الْبَصْرَةِ الْمُتَطَخِطِ^٤

^(a) رسمت في الأصل: فأضربه ولدى ياقوت: فأحميه.

^(b) مؤللة في: الزاهر في معاني كلمات الناس.

^(c) لدى ياقوت: فوق البصرة.

^١ خُفَّافُ بن نُدْبَةَ بن عمير بن عمرو بن الشريد السُّلَمِي، روى عن النبي ﷺ، ويقال إنه شهد معه حنين. والبيت لعباس بن مرداس قاله للخُفَّاف. انظر الأمدي: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تحقيق: ف. كرنكو، بيروت، ١٩٩١ م. ص ١٣٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٤٥٠.

^٢ الطَّرِمَّاحُ بن حكيم بن حكم بن نفر بن قيس بن جحدر، الشاعر المشهور، راجع في أخباره: الأمدي، المصدر السابق، ص ٩١.

^٣ النيق: أرفع مواضع الجبل. ابن منظور: لسان العرب ج ١٠ ص ٣٦٤؛ الفهر: الحجر قدر ما يكسر به جوز أو نحوه. الأزهرى: تهذيب اللغة ج ٦ ص ١٥١.

^٤ المتطخطح: أي المتكسر المتفرق. لسان العرب ج ٢ ص ٥٢٨؛ والمعنى أن اختلاف قلوبهم يشبه تلك الحجارة التي هوت من أعالي الجبال وتكسرت فملئت أرض البصرة وانتشرت فيها، يضرب المثل على تفرق أمرهم. راجع: أبو بكر الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ج ٢، ص ١٠٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة البصرة] ج ١، ص ٤٣٠.

[تَمْصِيرَ البَصْرَةِ]

٣ وقال نَافِعُ بن كَلْدَةَ^١: كان عُمَرُ بن الحَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد هَمَّ أن يَتَّخِذَ للمُسْلِمِينَ مِصْرًا، وكان المُسْلِمُونَ قَدْ غَزَوْا من قَبْلِ البَحْرَيْنِ وَتَوَجَّحَ وَتُوْبِنْدَجَانَ وَطَاسَارًا^٢، فَلَمَّا فَتَحُوهَا كَتَبُوا إِلَيْهِ: إِنَّا وَجَدْنَا بِطَاسَارٍ مَكَانًا لَا بَأْسَ بِهِ.

٦ فكتب إليهم: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ دِجْلَةٌ، فلا حَاجَةَ لِي في كُلِّ شَيْءٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دِجْلَةٌ أَنْ تَتَّخِذُوهُ مِصْرًا، فَقدِمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ^٣ من بَنِي سَدُوسٍ يُقالُ لَهُ ثَابِتٌ، فقال يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنِّي مَرَرْتُ بِمَكَانٍ دُونَ دِجْلَةٍ، فِيهِ قَصْرٌ فِيهِ دِيَارِبَةُ الْأَعَاجِمِ^٤ يُقالُ لَهُ الحِزْبِيَّةُ وَيُسَمَّى أَيْضًا البُصَيْرَةَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ دِجْلَةٍ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ، لَهُ حَلِيجٌ يَجْرِي فِيهِ المَاءُ إِلَى أَجْمَةِ قَصَبٍ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ عُمَرَ، فدعا عُبَيْدَ بنَ غَزْوَانَ^٥ فَبَعَثَهُ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فِيهِم نَافِعُ بن الحَارِثِ بن كَلْدَةَ، وَأبو بَكْرَةَ^٦،

^١ لدى ياقوت: طَاسَانَ. ^٢ لدى ياقوت: ثم قدم عليه رجل. ^٣ لدى ياقوت: وفيه مسالِح للعجم.

^١ نافع بن الحارث بن كلدَةَ، سكن البصرة وابتنى بها دارًا، وهو أوَّل من اقتنى خيلاً بالبصرة، سأل عمر بن الخطاب أن يقطعه قطيعة بالبصرة؛ فكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يقطعه عشرة أجرة ليس فيها حق لمسلم ولا معاهد ففعل. عنه راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٧٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٤٨٩.

^٢ عبدة بن غزوان بن جابر، من صحابة رسول الله ﷺ، أسلم قديمًا، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، توفي سنة ١٧هـ/٦٣٨م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٩٨-٩٩؛ ابن عبد البر: المصدر السابق، ج٣، ص١٠٢٦-١٠٢٨.

^٣ نافع بن مَسْرُوق، كان بالطائف أعتقه النبي ﷺ. توفي سنة ٥١هـ وقيل ٥٢هـ/٦٧٢م. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج٧، ص١٥-١٦؛ ابن عبد البر: المصدر السابق، ج٤، ص١٤١٥-١٤١٦.

وزياد^١، فلما خرجوا قالت لهم أختهم: احمِلوني معكم فَحَمَلُوها، قال: فلما بَصَرَ بنا الديدابةُ خرجوا هُرَّابًا، وَجِئْنَا فَتَرَلْنَا القَصْرَ، فقال عُتْبَةُ: ارتادوا لنا شيئًا نأكله، قال: فدخلنا الأجمة، فإذا زَنْبِيلَانِ، في أحدهما تَمْرٌ وفي الآخر أرزٌ بقشره فَجَبَدْنَاهُمَا حتى أدنيناها من القصر وأخرجنا ما فيها.

فقال عُتْبَةُ: هذا سَمٌّ أعدّه لكم العدو - يَعْنِي الأرز - فَلَا تَقْرَبْنَهُ، فأخرجنا التَّمْرَ وجعلنا نأكل منه فَإِنَّا لكَذالك إذا نحن بِفَرْسٍ قد قَطَعَ قِيادَهُ فَأَتَى ذلك الأرزُ يأكل منه فلقد رأينا أن نَسْعَى^(أ) إليه بشقارنا نُريدُ ذَبْحَهُ قبل أن يَمُوتَ، فقال صَاحِبُه: أَمْسِكُوا عنه، أحرسه الليلة فإن أحسستُ بموته ذَبَحْتُهُ.

فلما أَصْبَحْنَا إذا الفَرَسُ يَرُوثُ^(ب)، لا بأس عليه، فقالت أختي: يا أخي إني سَمِعْتُ أبي يقول: إِنَّ السَّمَّ لا يَصْرُ إذا نَصَّجَ، فأخذتُ من الأرزِ فَطَبَخْتَهُ وجعلتُ تُوقِدُ تَحْتَهُ ثُمَّ نَادَتْ: ألا أَنَّهُ يَنْفَضُّ عن حُبَيْبَةِ حَمراءَ، ثم قالت: قد جَعَلْتُ تَكُونُ بَيْضَاءَ، فما زَالَتْ تَطْبُخُهُ حتى انماطَ قَشْرُهُ، فألقيناها في الجَفْنَةِ، فقال عُتْبَةُ: اذْكروا اسمَ الله عَلَيْهِ وَكُلُوهُ، فأكلوا منه فإذا هو طَيِّبٌ^٢.

^(أ) في الأصل: فلقد رأيتنا نسعى.

^(ب) في الأصل: يروس، والتصويب من: المختصر، وياقوت.

^١ زياد بن أبيه، ولي البصرة لمعاوية بن أبي سفيان، ويقال: إنه كان يشتري بالبصرة، ويصيف بالكوفة، وقد وليها أربعين سنة توفي سنة ٥٣هـ / ٦٧٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٧، ص ٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٤.

^٢ راجع الخبر بتمامه لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة البصرة] ج ١، ص ٤٣٠-٤٣٢.

- قال: [٦٥] فَجَعَلْنَا بَعْدَ نُمَيْطٍ عَنْهُ قِشْرَهُ وَنَطْبُحَهُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أُعِدُّ لِيُؤَدِّي مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّا التَّأْمُنَا فَبَلَّغْنَا سِتْمِائَةَ رَجُلٍ وَسِتَّ نِسْوَةَ إِخْدَاهُنَّ أُخْتِي، فَقُلْنَا أَلَا نَسِيرُ إِلَى الْأَبْلَةِ^١ فَإِنَّهَا مَدِينَةُ حَصِينَةَ، فَبَرْنَا إِلَيْهَا، وَمَعَنَا الْعَنْزُ وَعَلَيْهَا الْخِرْقُ وَسُيُوفُنَا، وَجَعَلْنَا لِلنِّسَاءِ رَايَاتٍ عَلَى قَصَبٍ، وَأَمَرْنَا هُنَّ أَنْ يُبَيِّنَ التَّرَابَ وَرَأَيْنَا حِينَ يَرَوْنَ أَنَّا قَدْ دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا صَفَفْنَا أَصْحَابَنَا.
- قال: وفيها دَيَادِبُهُمْ وَقَدْ أَعَدُّوا السُّفْنَ فِي دِجْلَةَ، فَخَرَجُوا عَلَيْنَا فِي الْحَدِيدِ مُسَوِّمِينَ لَا تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَ. قال: فَوَاللَّهِ مَا خَرَجَ أَحْرَهُمْ حَتَّى [رَجَعَ] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ قَتَلًا وَمَا قَتَلُوا هُمْ أَنْفُسَهُمْ كَانْ أَكْثَرَ. وَنَزَلَتِ الدِّيَادِبَةُ فَعَبَرُوا إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ، وَانْتَهَى إِلَيْنَا النِّسَاءُ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ وَحَوَيْنَا مَتَاعَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَسَأَلْنَاهُمْ: مَا الَّذِي هَزَمَكُمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ؟ فَقَالُوا: عَرَفْتْنَا الدِّيَادِبَةَ أَنَّ كَمِينًا لَكُمْ قَدْ ظَهَرَ وَعَلَا رَهْجُهُ، يُرِيدُونَ النِّسَاءَ فِي إِتَارَتِهِنَّ التَّرَابَ.
- قال: فَاسْتَعْمَلَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ زِيَادًا عَلَى قِسْمَةِ الْمَغَانِمِ وَجَمَعَهَا، وَرَزَقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمًا، وَاسْتَجَمَعَ النَّاسَ وَأَقْبَلَتْ أَعَارِبُ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَكْرُ بْنُ وَاثِلَ إِلَيْنَا، فَصَرْنَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ فِي الدِّيَّوَانِ، فَتَرَوَّجْنَا؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ بِالْبَصْرَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ^٢، ثُمَّ قَدِمَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ عَلَى عُمَرَ، فَأَعْلَمَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ مَكَانَهُ

^١ الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. وهي أقدم من البصرة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧، وقارن الخبر لديه أيضًا ج ١، ص ٤٣١.

^٢ عبد الرحمن بن أبي بكر، توفي سنة ٥٦هـ/٧١٥م، راجع في ترجمته: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٢٩-٢١٢؛

المغيرة بن شعبة، فسار بنا فافتتح الفرات وميسان ودستميسان وأبزقباد^١، ثم وجه مكانه أبا موسى الأشعري.

[اسم البصرة القديم]

٣ وفي بعض الجند^٢ إن أول من اختط البصرة عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت تسمى يومئذ أرض الهند، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن خط قيروانك بالكوفة، وابعث عتبة بن غزوان إلى أرض الهند، فإن له من الإسلام مكانا، وقد شهد بدرًا، والبصرة يومئذ تسمى أرض الهند، فينزلهما ويتخذها المسلمون قيروانًا، ولا تجعل [٦ظ] بيني وبينهم بحرًا، فدعا سعد بعتبة فأخبره بكتاب عمر فأجاب، وخرج من الكوفة في ثمان مئة رجل، فسار حتى نزل البصرة وضرب قيروانه وضرب المسلمون أخبيتهم، وكانت خيمة عتبة من أكسية، ثم رماه عمر بالرجال، فلما كثروا بنى رهط منهم فيها سبعة دساكر من لبن، منها في الخريبة اثنتان، وفي الأزدي اثنتان، وفي الزابوقة^٣ واحدة، وفي بني تميم اثنتان، وكان

^١ ميسان: كورة كبيرة كثيرة النخل بين البصرة وواسط. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤٢؛ دستميسان: كورة جليبية بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب. نفسه، ج ٢، ص ٤٥٥؛ أبزقباد: كورة تقع بين الأهواز وفارس. نفسه، ج ١، ص ٧٢.

^٢ ربما قصد ابن الفقيه الإشارة إلى بعض دفاتر ديوان الجند، مع العلم بأنه نقل الرواية من طبقات ابن سعد الذي أوردتها مُسنَّدة. انظر: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٥-٦.

^٣ موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار، وقيل: موضع قرب الفلوجة من سواد الكوفة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٥.

ذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ^١.

وقال أبو عبيدة^٢ في روايته: الذي مَصَّرَ^٣ البصرة لِعُمَرَ بن الخطاب عتبة بن غزوان، كَتَبَ إلى عُمَرَ: إِنَّه لَابَدٌ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ مَنَزِلٍ إِذَا سَتَوْا سَتَوْا فِيهِ^٤ وَإِذَا رَجَعُوا مِنْ غَزْوِهِمْ كَنَسُوا^٥ فِيهِ^٦، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرَ أَنْ ارْتَدُّ هُمْ مَنَزِلًا قَرِيبًا مِنَ الْمَرَاعِي وَالْمَاءِ، وَكُتِبَ إِلَيَّ بِصِفَتِهِ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ: إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ أَرْضًا كَثِيرَةَ الْقَضَةِ^٧ فِي طَرَفِ الْبَرِّ إِلَى الرَّيْفِ، وَذُوتَهَا مَنَاقِعُ فِيهَا مَاءٌ وَفِيهَا قَضَبَاءٌ. فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرَ كِتَابَهُ قَالَ: هَذِهِ أَرْضٌ بَصْرَةَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَشَارِبِ وَالْمَرَاعِي وَالْمُحْتَطَبِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ انزِلَهَا فَنَزَلَهَا.

[بِنَاءُ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَدَارِ الْإِمَارَةِ]

وَبَنَى مَسْجِدَهَا مِنْ قَصَبٍ، وَبَنَى دَارَ إِمَارَتِهَا دُونَ الْمَسْجِدِ فِي الرَّحْبَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا "رَحْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ"، وَكَانَتْ تُسَمَّى "الدَّهْنَاءُ" وَفِيهَا السُّجُنُ، وَالْدِّيَوَانَ، وَحَمَّامُ الْأَمْرَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِقُرْبِهَا مِنَ الْمَاءِ، فَكَانُوا إِذَا غَزَوْا نَزَعُوا ذَلِكَ الْقَصَبَ، ثُمَّ

^١ في الأصل: بصر، والتصويب من ابن سعد، الطبقات.

^٢ لدى البلاذري: فتوح البلدان، يشتون به إذا ستوا.

^٣ لدى ياقوت: لجنوا إليه.

^٤ قارن: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٧، ص ٥-٦؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٨٨؛ ياقوت الحموي:

معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣١.

^٥ معمر بن المثنى: تقدمت ترجمته ص ١١٧.

^٦ أي يسكنون فيه إذا رجعوا من غزوهم. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، بيروت،

٢٠٠١م، ج ١٠، ص ٣٨؛ ابن منظور: لسان العرب، [مادة ك ن س]، ج ٦، ص ١٩٨.

^٧ أي كثيرة الحصى والتراب. انظر: الأزهرى: المصدر السابق، (باب القاف والضاد)، ج ٨، ص ٢٠٧.

حَزَمُوهُ وَوَضَعُوهُ حَتَّى يَعُودُوا مِنَ الْعَزْوِ فَإِذَا عَادُوا أَعَادُوا بِنَاءَهُ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى اسْتَعْمَلَ عُمَرُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِي، وَعَزَلَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، فَبَنَى الْمَسْجِدَ بِلَيْنٍ وَكَذَلِكَ دَارُ الْإِمَارَةِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. ٣

فَكَانَ الْإِمَامُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ، يَتَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْقِبْلَةِ، فَلَمَّا اسْتَعْمَلَ مُعَاوِيَةَ زِيَادًا عَلَى الْبَصْرَةِ قَالَ زِيَادٌ: لَا يَنْبَغِي لِلْأَمْرَاءِ^(أ) أَنْ يَتَخَطَّوْا^(ب) رِقَابَ النَّاسِ، وَلَكِنِّي أُحَوِّلُ دَارَ الْإِمَارَةِ إِلَى قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ.^١ ٦

فَحَوَّلَ دَارَ الْإِمَارَةِ مِنَ الدَّهْنَاءِ، وَزَادَ فِي الْمَسْجِدِ زِيَادَةً كَثِيرَةً، وَبَنَى دَارَ الْإِمَارَةِ بِاللَّيْنِ وَبَنَى الْمَسْجِدَ بِالْحِصِّ وَالْأَجْرَ وَسَقَفَهُ [٧٧] بِالسَّاجِ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ بِنَائِهِ جَعَلَ يَطُوفُ فِيهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ وَجُوهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ خَلَلًا؟ قَالُوا: لَا نَعْلَمُ بِنَاءَ أَحْكَمَ مِنْهُ، قَالَ: بَلَى، هَذِهِ الْأَسَاطِينُ الَّتِي عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ أَزْبَعَةٌ عُقُودٌ، لَوْ كَانَتْ أَغْلَظَ مِنْ سَائِرِ الْأَسَاطِينِ كَانَ أَحْكَمَ لَهَا. ٩

١٢ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ يُونُسَ^٢: وَلَمْ يُؤْتَ مِنْهُنَّ قَطُّ صَدْعٌ وَلَا مَيْلٌ وَلَا عَيْبٌ.

^(أ) لدى البلاذري: فتوح: الإمام.

^(ب) في الأصل: يتخط، والتصويب من البلاذري: فتوح.

^١ قارن، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٨٣-٤٨٤.

^٢ يونس بن حبيب الضبي، البصري النحوي الأديب المشهور، يعد إمام نحاة البصرة في عصره، كان له حلقة يتابها الطلبة والأدباء وفصحاء العرب، وتوفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م. راجع في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٤١؛ أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، اعتنى بنشره وتهذيبه ف. كرنكو، بيروت، ١٩٣٩م، ص ٣٣-٣٨؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٣، ص ١١٩٩.

[البسيط]

وقال حارثة بن بدر الغداني^١: (شعر)بنى زيادٌ لِدِكْرِ اللهِ مَصْنَعَةً^(أ) بِالصَّخْرِ وَالْجِصِّ، لَمْ يُخَلِّطْ مِنَ الطِّينِلَوْلَا تَعَاوُرُ^٢ أَيْدِي الرَّافِعِينَ لَهُ إِذَا ظَنَّاهُ أَعْمَالَ الشَّيَاطِينِوَجَاءَ بِسَوَارِيهِ مِنَ الْأَهْوَازِ وَكَانَ وَلَّى بِنَاءَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ عَتِيكٍ^(ب) الثَّقَفِيُّ^٣، فَظَهَرَتْ^٣ لَهُ أَمْوَالٌ وَحَالَ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ، فِيهِ قِيلَ: [مجزوء الرجز]

[يَا] حَبَّذا الإِمَارَهُ وَلَوْ عَلَى الْحِجَارَهُ

^٦ وَالَّذِي اخْتَطَّ أَيَّامَ عُبَيْةَ بْنِ عَزْوَانَ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ^(ج) مَحْجَنُ بْنُ الْأَدْرِجِ^(د)، أَمْرُهُ

عُبَيْةَ بْنِ عَزْوَانَ بِذَلِكَ، وَكَانَ الْمُنْبَرِ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ، فَأَوَّلُ مِنْ حَوْلِهِ إِلَى الْقِبْلَةِ

^(أ) لدى ياقوت: مصنعه. ^(ب) في الأصل: عتيق، والتصويب من البلاذري، فتوح البلدان.^(ج-د) في الأصل: محجر بن الأذرع، والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.^١ حارثه بن بدر بن حصين التميمي الغداني، قيل إنه أدرك النبي ﷺ وله أخبار في الفتوح، مات غرقاً سنة ٦٨٤/٥٦٤م. راجع أخباره في: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٠٣-٢١٦؛ الأمدى: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص ١٢٤.^٢ التماور: التعاطي، والتداول. انظر: ابن منظور: لسان العرب، (مادة عور) ج٤، ص ٦١٨-٦١٩.^٣ الحججاج بن عتيك الثقفي، قدم البصرة أيام عتبة بن غزوان، ثم انتقل إلى الكوفة بأمره. وكانت له دار بالبصرة دخلت في جامع البصرة راجع أخباره في: خليفة بن خياط: طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م. ص ١٠٦.^٤ محجن بن الأذرع الأسلمي، أسلم قديماً، وقد مر به رسول الله ﷺ وهو مع قوم يرمون فقال: «إزموا، وأنا مع ابن الأذرع». توفي بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ؓ. ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص ١٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص ١٣٦٣.

زياد، وكانَ جَانِبُ الْمَسْجِدِ الشَّمَالِيِّ مُتْرَوِيًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ دَارًا لِتَافِعِ^١ أَخِي زِيَادٍ،
 أَبِي أَنْ يَبِيْعَهَا، فَلَمْ تَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ حَتَّى وُلِيَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ^٢
 الْبَصْرَةَ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ لِبَعْضِ وَكَلَايَتِهِ: إِذَا شَخَّصَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَافِعٍ إِلَى أَقْصَى صَبِيْعَةٍ^٣
 لَهُ فَأَعْلِمْنِي، فَشَخَّصَ إِلَى قَصْرِهِ الْأَبْيَضِ، فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ، فَبِعَتْ فَهَدَمَ الدَّارَ وَأَخَذَ فِي
 بِنَاءِ الْحَائِطِ الَّذِي يَسْتَوِي بِهِ تَرَابِيعُ الْمَسْجِدِ، وَقَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَافِعٍ فَصَجَّحَ، فَقَالَ:
 إِنِّي أَتَمَّنُّ لَكَ وَأَعْطِيكَ مَكَانَ كُلِّ ذِرَاعٍ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ، وَأَدَعُ لَكَ خَوْخَةَ^٤ فِي حَائِطِكَ^٥
 إِلَى الْمَسْجِدِ وَأُخْرَى فِي عُرْفَتِكَ فَرَضِي، فَلَمْ تَزَلِ الْحَوْخَتَانِ فِي حَائِطِهِ حَتَّى زَادَ
 الْمَهْدِي فِيهِ مَا زَادَ فَدَخَلَتِ الدَّارُ كُلُّهَا فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ دَخَلَتْ دَارَ الْإِمَارَةِ كُلُّهَا فِي
 الْمَسْجِدِ، أَمَرَ بِذَلِكَ الرَّشِيدُ^٦.

وَلَمَّا قَدِمَ الْحَجَّاجُ خُبِرَ أَنَّ زِيَادًا بَنَى دَارَ الْإِمَارَةِ بِالْبَصْرَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يُذْهَبَ ذِكْرُ
 زِيَادٍ [٧٧] مِنْهَا، فَقَالَ: أَبْنِيهَا بِالْأَجْرِ فَهَدَمَهَا. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّمَا عَرَضُكَ أَنْ تُذْهَبَ ذِكْرُ
 زِيَادٍ، فَمَا حَاجَتُكَ إِلَى أَنْ تُعْظَمَ النِّفْقَةُ، وَلَيْسَ يَزُولُ ذِكْرُ زِيَادٍ عَنْهَا فَتَرْكُهَا مَهْدُومَةٌ.^٧

^١ تقدمت ترجمته ص ١١٩.

^٢ عبيد الله بن زياد بن أبيه، جبار خطيب من الشجعان، ولي العراقين بعد أبيه زياد، ثماني سنوات متتالية: خمس سنوات للبصرة، وثلاث سنوات للعراقين، وقتل في بلدة خازر قرب الموصل سنة ٦٧هـ / ٦٨٧م. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٧، ص ٧٥؛ تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٥٨ - ٢٦٣؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٤٧.

^٣ والخوخة هي: باب صغير كالنافذة يكون بين بيتين أو دارين ينصب عليها باب. انظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: [خ وخ] تحقيق: مجموعة من المحققين، الكويت ١٩٨٧م.

^٤ قارن: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٨٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٤.

قال يونس^١: فَعَامَةُ الدُّورِ الَّتِي حَوْلَهَا، إِنَّمَا بُنِيَتْ مِنْ طِينِهَا وَجَمَعَ أَبْوَابُهَا، فَلَمْ تَكُنْ لِلْأَمْرَاءِ دَارًا يَنْزِلُونَهَا حَتَّى قَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَاسْتَعْمَلَ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى خَرَاجِ الْعِرَاقِيِّينَ.

فقال له صالح: إِنَّهُ لَيْسَ بِالْبَصْرَةِ دَارَ إِمَارَةٍ، وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ الْحَجَّاجِ^(أ)، فقال له: سُلَيْمَانُ أَعْدَهَا فَأَعَادَهَا بِالْأَجْرِ وَالْجِصِّ عَلَى أَسَاسِهَا الَّذِي كَانَ، وَرَفَعَ سَمَكَهَا، فَلَمَّا أَعَادُوا أَبْوَابَهَا عَلَيْهَا فَصُرَّتْ، فَلَمَّا مَاتَ سُلَيْمَانُ وَقَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، اسْتَعْمَلَ عِدِّيَّ بْنَ أَرْطَاةَ^٢ عَلَى الْبَصْرَةِ فَبَنَى فَوْقَهَا غُرْفًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَبَاتِكَ أُمَّكَ، يَا ابْنَ أُمِّ عِدِّيٍّ أَنْعِجْزُ عَنْكَ مَسَاكِينَ وَسِعَتْ زِيَادًا وَابْنَ زِيَادٍ^(ب) ؟ فَأَمْسَكَ عَنْ بِنَائِهَا^٤.

^(أ) لدى ياقوت: «وخبره خبر الحجاج».

^(ب) لدى ياقوت: وابنه.

^١ تقدمت ترجمته ص ١٢٤.

^٢ صالح بن عبد الرحمن السجستاني، قلده الحجاج بن يوسف الثقفي ديوان الخراج؛ فوضع اصطلاحات للكتاب والحساب بالعربية استغنوا بها عن الفارسية؛ فكان أول من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية في العراق. توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك. انظر ترجمته في: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٨، ص ١٣٦، ١٥١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٣، ص ٣٤٣، ٣٤٥.

^٣ عدي بن أرتاة الفزاري الدمشقي، أمير من العقلاء الشجعان، وأحد عمال عمر بن عبد العزيز ولاءه على البصرة، وغيرها من بلاد العراق، قتله معاوية بن يزيد بن المهلب في فتنة أبيه بالعراق وذلك في سنة ١٠٢هـ/٧٢١م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٢٥٣؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٤٠، ص ٥٧-٦٥.

^٤ راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان [ذكر خطط البصرة وقراها]، ج ١، ص ٤٣٤.

فلما قَدِمَ سُلَيْمَانُ بنَ عَلِيٍّ^(أ) البَصْرَةَ عَامِلًا لِلسَّفَاحِ أَنْشَأَ فَوْقَ البِنَاءِ الَّذِي كَانَ عَدِيٌّ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ عُرْفًا بِنَاءَهُ بِطِينٍ، ثُمَّ إِنَّهُ نَحَّوْلَ إِلَى المِزْبَدِ^٢ فَلَمَّا قَامَ الرَّشِيدُ هَدَمَهَا وَأَدْخَلَهَا فِي قِبْلَةِ المَسْجِدِ فَلَيْسَ اليَوْمَ لِلأَمْرَاءِ بِالبَصْرَةِ دَارٌ لِإِمَارَةٍ.

٣ وقال الواقديُّ: أنشئت البصرة سنة سبع عشرة من التاريخ قبل الكوفة بسنة وأشهر^(ب)، وأول مولود وُلِدَ بالبصرة في الإسلام "عبد الرحمن بن أبي بكر" فنحَرَ عَلَيْهِ أبوه جُزُورًا، فَكَفَّتْ أَهْلَ البَصْرَةَ لِقَلَّتِهِمْ يَوْمئِذٍ، وَأَبُو بَكْرَةَ أَوَّلَ مَنْ غَرَسَ النَّخْلَ بِالبَصْرَةِ، وَقَالَ: هَذِهِ أَرْضُ نَخْلٍ ثُمَّ غَرَسَ النَّاسُ بَعْدَهُ.

٦ وقال هشامُ بن الكلبيُّ:^٣ أَوَّلُ دَارٍ بُنِيَتْ بِالبَصْرَةِ دَارُ نَافِعِ بنِ الحَارِثِ، ثُمَّ دَارُ مَعْقِلِ بنِ يَسَارِ المِزْنِيِّ^٤.

(أ) في الأصل: عدي، والتصويب من البلاذري، فتوح البلدان.

(ب) في المختصر: ستة أشهر، وكذا في ياقوت.

^١ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ولاءه أبو العباس السفاح البصرة، وعمان، وتولى البحرين لأبي جعفر المنصور، وتوفي بالبصرة سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م. راجع في ترجمته: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١٢-٤١٤؛ وكيع: أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٧م. ج ٢، ص ٤٤-٤٧.

^٢ المرید كل مكان تحبس فيه الإبل، وبه سمي مرید البصرة، إذ كان سوق الإبل بها، ثم صار شارعًا من أجل شوارعها، وسوقًا من أسواقها، انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ١٧٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٧-٩٩.

^٣ هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، عالم بالنسب وأخبار العرب، يغلب عليه التشيع، توفي سنة ٢٠٦هـ / ٨٢٢م. انظر أخباره في: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٣٦؛ التديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٠١-٣٠٧.

^٤ معقل بن يسار المزي، صحابي من أصحاب بيعة الرضوان، سكن البصرة وتوفي بها سنة ٦٧٩هـ / ٦٧٩م، انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٤؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٣٣١.

وكان عُثْمَانُ بن عَفَّانَ رضي الله عنه أَحَدَ دَارِ عُثْمَانَ بن [أبي] العاصِ الثَّقَفِيِّ ^١ بِالْمَدِينَةِ، وَكَتَبَ أَنْ يُعْطَى أَرْضًا بِالْبَصْرَةِ، فَأُعْطِيَ أَرْضَهُ الْمَعْرُوفَةَ بِشَاطِئِ عُثْمَانَ حِيَالِ الْأُبْلَةِ، وَكَانَتْ سَبِيحَةً فَاسْتَخْرَجَهَا وَعَمَرَهَا وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ بَابُ <شَاطِئِ> [عُثْمَانَ بِالْبَصْرَةِ] ^٢، ...، ^٣

^(١) ساقطة من الأصل: والتكملة من البلاذري: فتوح البلدان.

^١ عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دهمان الثقفي، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف وقال فيه: «إِنَّهُ كَيْسٌ، وَقَدْ أَخَذَ مِنَ الْقُرْآنِ صَدْرًا» ثم ذهب إلى البصرة في خلافة عمر بن الخطاب وابتنى بها دارًا. قيل إنه توفي سنة ٥٠هـ/٦٧٠م. انظر: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٠؛ طبقات خليفة بن خياط. ص ١٠٤.

^٢ وقع هنا سقط في نسخة الأصل بمقدار لوحين أو أكثر، وبتتبع الإشارات التي وردت في المختصر وجدت تمة النص في فتوح البلدان: للبلاذري، ومعجم البلدان: لياقوت الحموي، إضافة إلى فقرة انفرد بها المختصر، أثبتتها إتمامًا للفائدة. وهاك الخبر بتمامه:

«.....» وقال هشام بن الكلبي: أوّل دارٍ بُنيت بِالْبَصْرَةِ دارُ نَافِعِ بن الحَارِثِ، ثُمَّ دارُ مَعْقِلِ بن يسارِ المُرْزَبِ، وَكَانَ عُثْمَانُ بن عَفَّانَ أَخَذَ دارَ عُثْمَانَ بن أبي العاصِ الثَّقَفِيِّ، وَكَتَبَ أَنْ يُعْطَى أَرْضًا بِالْبَصْرَةِ؛ فَأُعْطِيَ أَرْضَهُ الْمَعْرُوفَةَ بِشَطِئِ عُثْمَانَ بِحِيَالِ الْأُبْلَةِ وَكَانَتْ سَبِيحَةً، فَاسْتَخْرَجَهَا وَعَمَرَهَا. وَإِلَى عُثْمَانَ بن أبي العاصِ يُنْسَبُ بِابِ عُثْمَانَ بِالْبَصْرَةِ، قَالُوا: كَانَ مُرْمَانُ بنُ أَبَانَ لِلْمَسِيبِ بنِ نُجْبَةَ الْفَزَارِيِّ أَصَابَهُ بَعِينُ التَّمْرِ، فَابْتَاعَهُ مِنْهُ عُثْمَانُ بن عَفَّانَ وَعَلَّمَهُ الْكِتَابَ، وَاتَّخَذَهُ كَاتِبًا فَوُجِدَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ وَجْهًا لِلْمَسْأَلَةِ عَنْ مَا رَفَعَ عَلَى الْوَلِيدِ بنِ عَقْبَةَ بنِ أَبِي مَعِيظٍ فَارْتَشَى مِنْهُ، وَكَذَّبَ مَا قِيلَ فِيهِ، فَتَبَيَّنَ عُثْمَانُ صِحَّةَ ذَلِكَ بَعْدَ فَوْجِدِ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا يَسَاكُنُنِي أَبَدًا، وَخَيْرُهُ بَلَدًا يَسْكُنُهُ غَيْرَ الْمَدِينَةِ فَاخْتَارَ الْبَصْرَةَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُقَطِّعَهُ بِهَا دَارًا، وَذَكَرَ ذَرْعًا كَثِيرًا فَاسْتَكْرَهَ عُثْمَانُ وَقَالَ لِابْنِ عَامِرٍ: أَعْطِهِ دَارًا مِثْلَ بَعْضِ دُورِكَ. فَأَقَطَّعَهُ دَارَهُ الَّتِي بِالْبَصْرَةِ، قَالُوا: وَدَارُ خَالِدِ بنِ طَلِيْقِ الْخَزَاعِمِيِّ الْقَاضِي كَانَتْ لِأَبِي الْجَرَّاحِ الْقَاضِي صَاحِبِ سَجْنِ ابْنِ الزَّيْبِرِ، اشْتَرَاهَا لَهُ سَلَمٌ بنِ زِيَادٍ لِأَنَّهُ هَرَبَ مِنْ سَجْنِ ابْنِ الزَّيْبِرِ، قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: سَكَّ بَنِي سَمْرَةَ بِالْبَصْرَةِ، كَانَ صَاحِبُهَا عَتَبَةُ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَمْرَةَ بنِ حَبِيبِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَمَسْجِدُ عَاصِمِ بنِ نَسِبِ إِلَى عَاصِمِ أَحَدِ بَنِي رِبِيعَةَ بنِ كِلَابِ بنِ رِبِيعَةَ بنِ عَامِرِ بنِ صَعْمَعَةَ. وَدَارُ أَبِي نَافِعِ بِالْبَصْرَةِ نَسِبَتْ إِلَى أَبِي نَافِعِ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي بَكْرَةَ.

- = وقال القحذمي: كانت دار أبي يعقوب الخطابي لسحامة بن عبد الرحمن بن الأصم الغنوي مؤذن الحجاج. وهو ممن قاتل مع يزيد بن المهلب فقتله مسلمة بن عبد الملك يوم العقر. وهي إلى جانب دار المغيرة بن شعبة، قالوا: ودار طارق نُسبت إلى طارق بن أبي بكرة، وقبلتها خطة الحكم بن أبي العاصي الثقفي ودار زياد بن عثمان كان عبيد الله بن زياد اشتراها لابن أخيه زياد ابن عثمان. وتليها الخطة التي منها دار بابة بنت أبي العاصي. وكانت دار سُلَيْمان بن علي لسلم بن زياد، فغلب عليها بلال بن أبي بُردة أيام ولايته البصرة لخالد بن عبد الله، ثم جاء سُلَيْمان بن علي فنزلها.
- قالوا: وكانت دار موسى بن أبي المختار مولى ثقيف لرجل من بني دارم، فأراد فيروز حُصين ابتياعها منه بعشرة آلاف، فقال: ما كنت لأبيع جوارك بمائة ألف فأعطاه عشرة آلاف وأقر الدار في يده.
- وقال أبو الحسن: أراد الدارمي بيع داره فقال أبيعها بعشرة آلاف درهم: خمسة آلاف درهم ثمنها وخمسة آلاف لجوار فيروز. فبلغ فيروز ذلك فقال: أمسك عليك دارك، وأعطاه عشرة آلاف درهم. ودار ابن تبيع نسبت إلى عبد الرحمن بن تبيع الحميري، وكان على قطائع زياد، وكان دتمون من أهل الطائف، فتزوج أبو موسى ابنته فولدت له أبا بُردة، ولدتمون خطة بالبصرة وله يقول أهل البصرة: الرفاء والبنون، وخبز وكُمون، في بيت الدتمون. وقال القحذمي وغيره: كان أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد الله بن عثمان ابن أبي العاصي الثقفي، وهو موضع بستان سُفَيان بن معاوية الذي بالحرثية وعند قصر عيسى بن جعفر، ثم الثاني حمام فيل مولد زياد، ثم الثالث حمام مُسْلِم بن أبي بكرة في بلال آباد، وهو الذي صار لعمرو بن مُسْلِم الباهلي، فمكثت البصرة دهرًا وكَيْس بها إلا هذه الحمامات.
- وحدثني المدائني قال: قال أبو بكرة لابنه مُسْلِم: يا بني، والله ما تلي عملاً وما أراك تقصر عن إختوتك في النفقة، فقال: إن كتمت عليّ أخبرتك. قال فإني أفعل، قال: فإني أغتلب من حمامي هذا في كل يوم ألف درهم وطعامًا كثيرًا، ثم إن مسلماً مرض فأوصى إلى أخيه عبد الرحمن بن أبي بكرة وأخبره بغلته حمامه، فأفتش ذلك واستأذن السلطان في بناء حمام، وكانت الحمامات لا تبتنى بالبصرة إلا بإذن الولاة فأذن له، فاستأذن عبيد الله بن أبي بكرة فأذن له، واستأذن الحكم بن أبي العاصي فأذن له، واستأذن سياه الأشرقي فأذن له، واستأذن الحصين بن أبي الحر العنبري فأذن له، واستأذنت ربيعة بنت زياد فأذن لها، واستأذنت لبابة بنت أوفى الحرثي فأذن لها في حمامين أحدهما في أصحاب القباء والآخر في بني سعد، واستأذن المتجاب بن راشد الضبي فأذن له.

= وأفاق مُسَلِّم بن أبي بكرة من مرضه وقد فسدت عَلَيْهِ غلة حَمَامه فجعل يلعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ ويقول: ما له قطع الله رحمهُ. قالوا: وكان فيل حاجب زياد ومولاه، ركب معه أبو الأسود الدؤلي، وأنس بن زُنيَم. وكان عَلِي بن رِزْدُون هِمْلَاج، وهما عَلِي فرسي سوء قطوفين فأدرَكهما الحسد، فقال أنس: أجز يا أبا الأسود قال: هات، فقال:

[الوافر]

لَعَمْرُ أَيْك ما حَمَامُ كَثْرَى عَلِي الثُّلَثين من حَمَامِ فيل

فقال أبو الأسود:

وما إِرْقاصنا حول المِوَالِي بَسُنَّتْنا عَلِي عهد الرسول

وقال أبو مفرغ لطلحة الطلحات وهو طلحة بن عَبْدِ الله بن خلف:

[الوافر]

تَمَنِيني طَلِيحَة أَلْفُ أَلْفِ لَقَد مَنِيْتِي أَمَلًا بَعِيدًا

فَلَسْتُ لِمَاجِدِ حَرٍّ وَلَكِنْ لِسَمْرَاءِ الَّتِي تَلَدُ العَيْدَا

وَلَوْ أَدخَلْتُ فِي حَمَامِ فيلٍ وَأَلْبَسْتُ المِطَارِفِ والبُرُودَا

وقال بعضهم وقد حضرته الوفاة

[البسيط]

يا رَب قاتِلَة يَوْمًا وَقَد لَعَبْتُ كَيْفِ الطَّرِيقِ إِلى حَمَامِ مِنجاب

يعني حمام المِنجاب بن راشد الضبي، وقال عَبَّاسُ مولى بني أسامة:

[الطويل]

ذَكَرْتُ البِنْدَ فِي حَمَامِ عَمْرُو فَلَم أَبْرَحْ إِلى بَعْدِ العِشاءِ

وحَمَامُ بَلِجِ نَسَبِ إِلى بَلِجِ بنِ نُشَيْبَةَ السَّعْدِي الَّذِي يَقولُ لَهُ زياد:

ومَحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسٌ

وقال هِشَامُ بنِ الكَلْبِيِّ: قَصُرَ أَوْسٍ بِالبَصْرَةِ نَسَبِ إِلى أَوْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ رُقَيْي أَحَدِ بني تَيْمِ الله بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ

عُكَّابَةَ، وَهُوَ مِنْ وَجْهِهِ مَنْ كانَ بِخِراسانَ، وَقَد تَقَلَّدَ بِها أُمُورًا جَسِيمَةً وَهُوَ الَّذِي مَرَّ بِتَدْمُرَ فَقَالَ فِي صَنِيعِها:

[الوافر]

فَأَتَى أَهْلَ تَدْمُرَ حِينَ آتَى أَلَمَّا تَسَأَمًا طَوولَ القِيامِ؟

فَكَائِنَ مَرًّا مِنْ دَهْرٍ وَدَهْرٍ لِأَهْلِكِنا وَعِامٍ بَعْدَ عِامٍ

٣
٦
٩
١٢
١٥
١٨

= فلما أمر عُمَرُ بن الحَقَطَّابِ رضي الله عنه أبا موسى الأشعري أن يحفر لأهل البَصْرَةَ نَهْرًا ابتداء الحفر من الإجازة، وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البَصْرَةَ فصار طول نهر الأُبْلَةَ أربعة فراسخ؛ ثُمَّ إنه انطَمَّ منه ما يَبِينُ البصرة وبثق الحبري وذلك عَلَى قدر فرسخ من البصرة.

وكان زياد بن أَبِي سُفْيَانَ واليًّا عَلَى الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الله يومئذ عَلَى البصرة من قبل عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، فَأشار على بن عامر أن ينفذ حفر نهر الأُبْلَةَ من حيث انطم حَتَّى يبلغ به البصرة، وكان يرث ذلك ويدافع به. فلما شخص ابن عامر إِلَى خراسان واستخلف زيادا، أقر حفر أبي موسى الأشعري عَلَى حاله وحفر النهر من حيث انطم حَتَّى بلغ به البصرة، وولَّى ذلك عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن أبي بكر، فلما فتح عَبْدُ الرَّحْمَنِ الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد يسقبه، وقدم ابن عامر من خراسان فغضب عَلَى زياد، وقال: إنا أَرَدْتُ أن تذهب بذكر النهر دوني فتباعد ما بينهما حتى ماتا وتباعد بسببه ما يَبِينُ أولادهما، فقال يونس بن حبيب النحوي: أنا أدركت ما يَبِينُ آل زياد وآل ابن عامر متباعدًا.

وحدثني الأثرم عن أَبِي عُبيدة، قال: قاد أبو موسى الأشعري نهر الأُبْلَةَ من موضع الإجازة إِلَى البَصْرَةَ، وكان شرب النَّاسِ قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس، فَوَهته في دجلة فوق الأُبْلَةَ بأربعة فراسخ، يجري في سبخ لا عمارة عَلَى حافاتِه، وكانت الأرواح تدفنه، قال: ولما حفر زياد فيض البَصْرَةَ بعد فراغه من إصلاح نهر الأُبْلَةَ، قدم ابن عامر من خراسان فلامه، وقال: أَرَدْتُ أن تذهب بشهرة هذا النهر وذكركه، فتباعد ما بينهما وبين أهلها بذلك السبب، وقال أبو عُبيدة: كان احتفاره الفيض من لدن دار فيل مولى زياد وحاجبه إِلَى موضع الجسر. وروى مُحَمَّدُ بن سَعْدُ عَنِ الواقدي وغيره، أن عُمَرَ بن الحَقَطَّابِ أمر أبا موسى بحفر النهر الآخر وأن يجريه عَلَى يد معقل بن يسار المزني فنسب إليه.

وقال الواقدي: توفي معقل بالبَصْرَةَ في ولاية عُبيد الله بن زياد البَصْرَةَ لمعاوية، وقال الوليد بن هِشَام القحظمي، وعليُّ بن مُحَمَّدِ ابن أبي سيف المدائني: كلَّم المنذر بن الجارود العبدي معاوية بن أَبِي سُفْيَانَ في حفر نهر ثار، فكتب إِلَى زياد فحفر نهر معقل، فقال قوم: جرى عَلَى يد معقل بن يسار فنسب إليه. وقال آخرون: بل أجراه زياد عَلَى يد عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن أبي بكر أو غيره، فلما فرغ منه وأرادوا فتحه بعث زياد معقل بن يسار ففتحه تبركًا به لأنه من أصحاب رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال النَّاسُ: نهر معقل، فذكر القحظمي: أنَّ زيادا أعطى رجلاً ألف درهم، وقال له: ابلغ دجلة وسل عن صاحب هذا من هُو؟، فإن قال لك رجل: إنه نهر زياد فأعطه الألف، فبلغ دجلة ثُمَّ رجع فقال: ما لقيتُ أحدًا إلا يقول: هو نهر معقل، فقال زياد: «ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ من يَشَاءُ».

[البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٩٠-٥٠٠].

= «... وقال يزيد الرّشك: قست البَصْرَةَ في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير

دانق. وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر: تذاكروا عند زياد البَصْرَةَ والكُوْفَةَ فقال زياد: لو ضلّت
البَصْرَةَ لجمعت الكُوْفَةَ لمن دلّني عَلَيْهَا. قال محمد بن سيرين: كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب
أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البَصْرَةَ واستعمله على الكُوْفَةَ.

وقال ابن أبي عيينة المهلب يصف البَصْرَةَ:

[المنسرح]

يا جنة فاقت الجنان فما يعدلها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطنًا إن فوادي لملها وطن
زوج حيتانها الضباب بها فهذه كتّة وذا ختن
فانظر وفكر لما نطقت به إن الأديب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفن

[ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٧-٤٣٨].

«... وقالوا: بالبَصْرَةَ أربع بيوتات ليس بالكُوْفَةَ مثلها: بيت بني المُهَلَّب، وبيت بني مُسَلِّم بن عمرو

الباهلي من قيس، وبيت بني مسمع من بكر بن وائل، وبيت آل الجارود من عبد قيس، ودخل فتى من أهل
المدينة البَصْرَةَ فلما انصرف قالوا: كيف رأيت البَصْرَةَ؟ قال: خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس، أما الجائع
فيأكل خبز الأرز والصحناء ولا يفتق في الشهر إلا درهمين، وأما الغريب فيتزوج بشق درهم، وأما المحتاج فلا
عيلة عَلَيْهِ ما بقيت أسته يخرأ ويبيع.

وقالوا: بالبَصْرَةَ ستة لَيْسَ بالكُوْفَةَ مثلهم: الحسن البصري، والأحنف، وطلحة بن عبد الله، وابن سيرين،

ومالك بن دينار، والحليل بن أحمد. وبنى زياد بالبَصْرَةَ دار الرزق، وحفر نهر الأبلّة ونهر معقل، وبنى داره،

وبنى البيضاء والحمراء فلم يضافا إليه، وبنى سكة فأسكنها أربعة آلاف من البُخَارِيَّة، فقليل سكة البخارية

فأضيفت إليهم، وبنى سبعة مساجد فلم يصف إليه شيء منها: مَسْجِدُ الأَسَاوِرَة، ومَسْجِدُ بني عدي، ومَسْجِدُ

بني مجاشع، ومَسْجِدُ حُدَّان، وكل مَسْجِدُ بالبَصْرَةَ كانت رحبته مستديرة فإنه من بناء زياد، وكل الذي بني فيها

أو صنع فإنه نسب إلى غيره مثل: مَسْنَأُ مصعب، ونهر عدي ونهر لبليل، وباب الأصفهاني، وحفيرة مطيع،

وقصر ابن عمار، وحمام سياه، وحمام فيل، وحمام منجاب، وقصر أوس، وباب عثمان، ومقبرة حصن، ومقبرة

بني شيبان، ونهر مرة، ونهر بشار.

وبنى عبيد الله بن زياد داره بها وفيها باب إلى السكة التي تنفذ إلى سكة إصطفانوس، وباب آخر إلى السكة التي

تعرف بالبُخَارِيَّة، وبالبَصْرَةَ دور كثيرة كانت لمواليهم فأضيفت إلى دينار زاد، ودينار بنده، ولم دار عجلان،

ودار القطن، ونهر والس، ونهر شيطان.

= ودخل بَعْضُ الدهاقين البَصْرَةَ فرأى ما اجتمع فيها فقال: قاتلك الله، فوالله ما صبرت هكذا حتى أخرجت بلادًا وبلادًا. وقال ابن الأهمم البصري: يأتيها ما يأتيها عفواً، صفواً، ولا يخرج منها إلا سائق أو ناعق أو قائد. وقالوا: أبعد الناس نجعة في الكسب بصري وخوزي، ومن دخل فرغاة القصوى والسوس الأقصى فلا بد من أن يرى بها بصرياً أو خوزياً أو حيرياً. وأهدي إلى رسول الله ﷺ طبق من تمر، فجعل يأكل منه البرني والقريناء. ثم قال: «اللهم إنك تعلم أنني أحبها فأنتبها في أحب البلاد إليك، واجعل عندهما آية بيّنة». قال الحسن: فوالله ما أعلمها في بلد أكثر منها بالبصرة، وقد جعل الله عز وجل عندهما آية بيّنة: المد والجزر...»

[ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٩٠-١٩٢].

«...» وقال المدائني: وقد خالد بن صفوان على عبد الملك بن مروان فوافق عنده وفود جميع الأمصار، وقد اتخذ مسلمة مصانع له، فسأل عبد الملك أن يأذن للوفود في الخروج معه إلى تلك المصانع، فأذن لهم، فلما نظر إليها مسلمة أعجب بها، فأقبل على وفد أهل مكة، فقال: يا أهل مكة هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فقالوا: لا إلا أن فينا بيت الله المستقبل. ثم أقبل على وفد أهل المدينة فقال: يا أهل المدينة هل فيكم مثل هذه؟ فقالوا: لا إلا أن فينا قبر نبي الله المرسل. ثم أقبل على وفد أهل الكوفة فقال: يا أهل الكوفة، هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فقالوا: لا إلا أن فينا تلاوة كتاب الله المنزل. ثم أقبل على وفد أهل البصرة فقال: يا أهل البصرة، هل فيكم مثل هذه المصانع؟ فتكلم خالد بن صفوان وقال: أصلح الله الأمير! إن هؤلاء أقرؤوا على بلادهم، ولو أن عندك من له بيلاهم خبرة لأجاب عنهم. قال: أفعتك في بلادك غير ما قالوا في بلادهم؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير! أصف لك بلادنا؟ فقال: هات، قال: يغدو قانصانا فيجيء هذا بالشبوط والشيم ويحيى هذا بالظبي والظليم، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً وخزاً وديابجاً ويرذوناً هملابجاً، وخريدة مغبناجاً، بيوتنا الذهب، ونهرنا العجب، أوله الرطب وأوسطه العنب وآخره القصب، فأما الرطب عندنا فمن النخل في مباركته كالزيتون عندكم في منابته، هذا على أفنانه كذاك على أغصانه، هذا في زمانه كذاك في إبانته، من الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل، يخرجن أسفاطاً عظاماً وأقساطاً ضخاماً.

وفي رواية: يخرجن أسفاطاً وأقساطاً كأنها ثلثت رباطك، ثم يفلتن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ الأبيض ثم تبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الأخضر ثم تصير ياقوتاً أحمر وأصفر ثم تصير عسلًا في شدة من سحاء لَيْسَتْ بقرية ولا إناء حولها المذاب ودونها الجراب لا يقربها الذباب، مرفوعة عن التراب ثم تصير ذهباً في كيسة الرجال، يستمان به على العيال.

وأما نهرنا العجب فإن الماء يقبل عنقاً فيفيض مندفعاً فيغسل غنثها ويدي مبيها، يأتيها في أوان عطشنا ويذهب في زمان ريتنا، فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فرشنا فيقبل الماء وله ازدياد وعباب، ولا يمجينا عنه حجاب.

وفي رواية: يخرج أسفاطًا وأفساطًا كأنها ملئت رباطًا، ثم يفلقن عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ الأبيض ثم تبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الأخضر ثم تصير ياقوتًا أحمر وأصفر ثم تصير عسلًا في شنة من سحاء كئست بقربة ولا إناء حولها المذاب ودونها الجراب لا يقربها الذباب، مرفوعة عن التراب ثم تصير ذهبًا في كيسة الرجال، يستعان به على العيال.

٣

وأما نهرنا العجب فإن الماء يقبل عنقًا فيفيض مندققًا فيغسل غثها وييدي مبهها، يأتينا في أوان عطشنا ويذهب في زمان ربنا، فنأخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فرشنا فيقبل الماء وله ازدياد وعباب، ولا يحجبنا عنه حجاب، ولا تغلق دونه الأبواب، ولا يتنافس فيه من قلة، ولا يجبس عنا من علة. وأما بيوتنا الذهب فإن لنا عليهم خرجًا في السنين والشهور نأخذه في أوقاته ويسلمه الله تعالى من آفاته ونفقته في مرضاته، فقال له مسلمة: أتى لكم هذه يا بن صفوان ولم تغلبوا عليها ولم تسبقوا إليها؟ فقال: ورثناها عن الآباء ونعمرها للابناء ويدفع لنا عنها رب السماء، ومثلنا فيها كما قال معن بن أوس:

٦

٩

[الوافر]

إذا ما بحر خندف جاش يوما	يغظطط موجه المتعرضينا
فمهما كان من خير فأتنا	ورثناها أوائل أولينا
وأتنا مورثون كما ورثنا	عن الآباء إن متنا بنينا

[ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٨-٤٣٩].

١٢



وقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن أَبِي لَيْلَى^١: مَا رَأَيْتُ أَهْلَ بَلَدٍ أَبْكَرَ لِي ذِكْرِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ^٢.
 وقال أَبُو ظَبْيَانَ^٣: سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَإِنَّهُ
 ٣ بَلَّغَنِي أَنَّهَا أَوْلُ الْأَرْضِ خَرَابًا، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ حَوَّلْتُ أَهْلِي مِنْهَا، قَالَ: فَإِنَّهَا أَبْطَأُ
 الْأَرْضِ خَرَابًا.

ومَدَحَ عَمْرُو^٤ بنَ دَرَّازٍ أَهْلَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ: هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ أَخْطَارًا، وَأَكْرَمُهُمْ
 ٦ جَوَارًا وَأَبْعَدُهُمْ فِي الْأَرْضِ آثَارًا. أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَعْظَمُ إِمْرَةً، وَأَوْسَعُ هِجْرَةً، وَأَعْطَى
 لِلْبَدْرَةِ، وَهُمْ أَعْظَمُ أَخْلَامًا وَأَوْفَى ذِمَامًا وَأَكْثَرُ أَغْلَامًا وَأَجْوَدُ كُفًّا وَأَحْسَنُ عَطْفًا
 وَأَيْمَنُ لِيوَاءَ وَأَصْدَقُ حَيَاءَ وَأَكْرَمُ إِخَاءَ وَأَصْبَرُ تَحْتَ الرِّيَابِ وَأَكْرَمُ عِنْدَ الْبَيْتِ.

أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَكْثَرُ عُدَّةً وَأَجْوَدُ عُقْدَةً وَأَكْرَمُ سَجِيَّةً وَأَقْسَمُ بِالسَّوِيَّةِ وَأَحْسَنُ
 ٩ سِيَّاسَةً لِلرَّعِيَّةِ وَأَقْرَبُ مِنْ وَرَعٍ وَأَخْضَرُ^٥ لِلْجَمْعِ وَأَقْلُّ عِنْدَ الطَّمَعِ، أَهْلُ الْبَصْرَةِ
 أَسْمَعُ وَأَطْوَعُ وَأَرْضَى وَأَفْنَعُ، وَهُمْ أَطْيَبُ ثِيَابًا وَأَكْثَرُ أَشْجَارًا وَأَكْرَمُ أَنْهَارًا، وَأَجْزَلُ
 ١٢ عَطِيَّةً وَأَكْرَمُ بَقِيَّةً وَأَشَدُّ عَصِيَّةً وَأَكْثَرُ غَنَمًا، وَأَحْسَنُ سَلَامًا وَأَطْيَبُ طَعَامًا

^(٥) فِي الْأَصْلِ: عُمَرُ. وَالتَّصْوِيبُ مِنْ مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ.

^١ اسْمُهُ يَسَارُ بْنُ بِلَالِ بْنِ بَلِيلِ بْنِ أَحِيحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ، وَيَكْنَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ مِنَ الْأَوْسِ، كَانَ عَمَّنْ خَرَجُوا عَلَى
 الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ، وَقَتْلَ بَدَجِيلٍ. انظُرْ فِي تَرْجُمَتِهِ: ابْنُ سَعْدٍ: الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى، ج ٦، ص ١٠٩-١١٤.

^٢ قَارَنَ يَاقُوتُ الْحَمُوي: مَعْجَمَ الْبِلْدَانِ، ج ١، ص ٤٣٧.

^٣ هُوَ حُصَيْنُ بْنُ جَنْدَبِ الْجَنْبِيِّ: أَبُو ظَبْيَانَ الْكُوفِيُّ، رَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَاتَ سَنَةَ ٩٦هـ/٧١٥م. انظُرْ فِي
 تَرْجُمَتِهِ: ابْنُ حَبَانَ: الثَّقَاتُ، طَبْعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِحَيْدَرَأَبَادِ، الدِّكْنِ، ١٩٧٣م، ج ٤، ص ١٥٦.

^٤ عَمْرُو بْنُ دَرَّازٍ الْعَبْدِيُّ، أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي هِجَاءِ الْيَمَنِ. رَاجِعْ: الْمُرْتَبَانِيُّ: مَعْجَمُ
 الشُّعْرَاءِ، ص ٢١٧.

وأصدقُ ثَبَاتًا وأكرمُ هَيَاتٍ وأفضى للحَاجَاتِ وأحسنُ أخلاقًا وأشدُّ إشفاقًا وأملئ
رَوَاقًا، وأخلمُ في الغَضَبِ وأضبرُّ في الكَرْبِ وأجملُ في الطَّلَبِ.

أهل البَصْرَةِ أضبرَ لِلبَلِيَّةِ وأحملُ لِلرَّزِيَّةِ وأكرمُ حَبِيَّةً، وهم أحمَلُ لِلدِّيَاتِ، وأسرعُ
في الحِثْرَاتِ، وأطعمُ في الفلَوَاتِ، وهم أكنزُ لِلذَّهَبِ وأزكَبُ لِلقَتَبِ وأشهرُ في
العَرَبِ، وهم أزكَبُ لِلبُحُورِ وأحسنُ في الأُمُورِ وأضبرُّ في الثُّغُورِ.

دَمُ أَهْلِ البَصْرَةِ

قال كَعْبٌ لِأبي مُسْلِمٍ^١: من أين أنت؟ قال: من أهل العِرَاقِ، قال: من أيها؟ قال:
من أهل البَصْرَةِ، قال: إذا رأيتَ نَخْلَهَا قَدْ أَطْعَمَ فَاخْرُجْ منها، قال: فإن لم أستطِعْ
ذَاك؟ قال: فإذا رأيتَ آجَامَهَا قَدْ اتَّخِذْتَ بَسَاتِينَ فَاخْرُجْ منها، قال: فإن لم أستطِعْ؟
قال: إذا تَطَاوَلَ أَهْلُهَا فِي بِنَاءِ المَدَرِ فَاخْرُجْ، قال: فإن لم أستطِعْ؟ قال: فَعَلَيْكَ
بِضَوَاحِيهَا وَإِيَّاكَ وَسِبَاحِهَا، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ بِسِبَاحِهَا خَسْفٌ.

وقال قَتَادَةُ^٢: يُخَسَفُ بِالذَّارِ وَيَنْجُو الدَّارُ، وَيُخَسَفُ بِالْحَيِّ وَيَنْجُو الحَيُّ.

^١ نقل ابن الفقيه هذا الخبر من طبقات ابن سعد، ج ٧، ص ٤٤٨، "وأبو مسلم" المذكور في النص هو أبو مسلم الخولاني: أحد العباد الزهاد، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره. انظر ابن السائب الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٢١٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧، ص ٣٨٢.
^٢ قتادة بن دعامة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه، من أحفظ أهل البصرة، كان رأسا في العربية وأيام العرب والأنساب، توفي بواسطة بالطاعون سنة ١١٨ هـ/٧٣٧ م. راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٢٩؛ طبقات خليفة بن خياط، ص ٣٦٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج ٧، ص ١٨٥؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٦٢.

وروي عن أبي السَّوَّارِ^(أ) العَدَوِيُّ^١ قال: قال عُمَرُ بن الحَطَّاب: أريد أن آتي
البَصْرَةَ فَأَقِيمَ بها شَهْرًا، فقال له كَعْبُ: لا تَأْتِهَا فَإِنَّ بها تِسْعَةَ أَعْشارِ الشَّرِّ، والدَّاءِ
العُضَالِ^٢، وبها تَكُونُ الفِتْنُ ومنها يُخْرَجُ الدَّجَالُ. ٣

وعن أبي مِجْلَزٍ^٣ قال: انْتَفَكَتِ البَصْرَةُ مَرَّتَيْنِ ولتَأْتِفَكَنَّ الثَّالِثَةَ. وقال أبو مُوسَى^٤:
لِلبَصْرَةِ أربَعَةٌ أَسْمَاءُ: الخُرَيْبَةُ والبُصَيْرَةُ وتَدْمُرُ والمُؤْتَفِكَةُ.

وكان كَعْبُ الأَخْبَارِ يقولُ: لَتَشْبَعَنَّ الضُّبُعُ مِنَ النُّومِ في مَسْجِدِ البَصْرَةِ والقُرَى ٦
حَوْهَا عَامِرَةٌ. وقال ابن^(ب) غِيْلان: البَصْرَةُ يَسْلَطُ عَلَيْهِمُ القَتْلُ الأَحْمَرُ والجَوْعُ الأَغْبَرُ،
وأَمَّا مِضْرٌ فَيَنْضُبُ [١٠] نَيْلُهَا.

^(أ) في الأصل: أسود، والتصويب من طبقات ابن سعد. ^(ب) في الأصل: أبو غيلان.

^١ أبو السوار العدوي من بني عدي، وكان ثقةً روى عن علي كرم الله وجهه. انظر في ترجمته: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٥١.

^٢ مرت هذه العبارة سابقاً، انظر: ص ١١٢.

^٣ أبو مجلز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، مشهور بكنيته، ثقة من كبار علماء البصرة، وله أحاديث. توفي سنة ١٠٦هـ/٧٢٥م، انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢١٦؛ طبقات خليفة بن خياط، ص ٣٥٨.

^٤ نقل ابن الفقيه هذا الخبر دون تصرف من مصنف ابن أبي شيبة؛ وقد أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري؛ في كتابه المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، ١٩٨٩م، ج ٧، ص ٤٨٣.

^٥ المثجور بن غيلان بن خرشة عمرو بن ضرار الضبي، من أشراف البصرة، كان خطيباً عالماً بالأنساب مقدماً في المنطق، توفي نحو سنة ٨٥هـ/٧٤٥م. أخباره لدى الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٤٨م، ج ١ ص ٢٧٦؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٢٠٤.

وكان ابن عُمَر يقول: البَصْرَةُ أَسْرَعُ أَرْضِ اللَّهِ خَرَابًا وَأَخْبَثَهُ تَرَابًا. قِيلَ: فَمَا بَأَلُ الكُوفَةِ؟ قَالَ: يَأْتِي اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِذَا شَاءَ. وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَتَغْرَقَنَّ البَصْرَةَ أَوْ لَتَغْرَقَنَّ إِلَّا بَيْتَ مَا لَهَا وَمَسْجِدَهَا.^٢

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ الضَّبْعِيُّ^٢: سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: وَيَحْكُ يَا بَصْرَةَ لَتَغْرَقَنَّ أَوْ لَتُغْرَقَنَّ حَتَّى يُرَى بَيْنُ مَالِكٍ وَمَسْجِدِكَ كَجَوْجُؤٍ^٣ سَفِينَةٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ^٤: لَتُغْرَبَنَّ البَصْرَةَ وَأَهْلُهَا كَثِيرٌ. قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَظْهَرُ^٥ مُتَأَفِّفُوهَا عَلَى مُؤْمِنِيهَا فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا رِجَالًا وَرُكْبَانًا.

وَأَنْشَدَ لِمَحْمَدِ بْنِ حَازِمٍ^٥: (شِعْر)

تَرَى البَصْرِيَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءً لِيُنْخَرِهِ مِنَ النَّتَنِ^٦ انْتِشَارُ

^٥ في السنن الواردة في الفتن وغوائلها: يُسَلِّطُ. ^٦ لدى ياقوت: من البثر.

^١ قارن هذه الأخبار لدى: أبو عمرو الداني، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، تحقيق: رضاه الله بن محمد إدريس المباركفوري (باب ما جاء في خراب البصرة) ج ٤، ص ٩٠٧-٩٠٨.

^٢ أبو عبد الله الضبعي القيسي البصري، سمع عمر وعليًا. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٩، ص ٤٣٤.

^٣ الجوجؤ: الصدر، وقيل: عظامه، والجمع الجأجم. انظر: لسان العرب: (فصل الجيم) ج ١، ص ٤٢.

^٤ أورد أبو عمرو الداني هذا الخبر بسنده إلى قتادة، عن كعب الأحبار؛ والأبيات صحيحة النسبة لمحمد بن حازم الباهلي. وأوردها ياقوت الحموي: في معجم البلدان؛ ويفهم من سياق النص الذي أورده ابن الفقيه؛ أن قتادة الذي ينسب إليه الخبر، هو الذي أنشد لمحمد بن حازم هذا الشعر.

^٥ محمد بن حازم بن عمرو، أبو جعفر الباهلي الشاعر. ولد بالبصرة ونشأ بها، وانتقل إلى بغداد فسكنها، ومدح من الخلفاء المأمون خاصة. وكان حسن الشعر، مطبوع القول، وله أخبار معروفة. راجع ترجمته في: ابن المعتز: طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، دت، ٣٠٧-٣٠٩؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٢٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١١٣.

رَبَا بَيْنَ الْحُشُوشِ وَسَبَّ فِيهَا^(a) فَمِنْ رِيحِ الْحُشُوشِ بِهِ اضْفِرَارُ
يُعْتَقُ سَلْحَهُ كَيْمَا يُعَالِي بِهِ عِنْدَ الْمُبَايَعَةِ الشَّجَارُ

وَلَمَّا افْتَتَحَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَصْرَةَ ارْتَقَى مِنْبَرَهَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ
قَالَ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ يَا بَقَايَا ثَمُودَ، وَيَا جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَيَا أَتْبَاعَ الْبَيْهِيَةِ، رَغَا فَاتَّبَعْتُمْ
وَعَقِرْتُمْ فَانْتَهَرْتُمْ، دِينَكُمْ نِفَاقٌ وَأَخْلَامُكُمْ^(b) دِقَاقٌ وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ
وَالْبُصَيْرَةَ وَالسَّبْحَةَ وَالْحَرَيِّيَّةَ، أَرْضُكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ
وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا وَعَرَقًا^١.

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَيْمُونٍ^٢ يَقُولُ: الْبَصْرَةَ أَشَدُّ الْأَرْضِ عَذَابًا وَأَسْرَعُ خَرَابًا
وَشَرُّهُ تُرَابًا^٣. وَسَأَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ "ابْنَ الْقَرَيِّيَّةَ" عَنِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ: حَرْهَا
شَدِيدٌ وَخَيْرُهَا بَعِيدٌ، وَمَاؤُهَا مِلْحٌ وَحَرْبُهَا صُلْحٌ

^(a) في الأصل: منها، والتصويب من ياقوت.

^(b) في الأصل: أخلاقكم.

^١ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٦. وعادة ما يعني ابن الفقيه بقوله: "أمير المؤمنين عليه السلام" علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، والمقصود بقيام علي بن أبي طالب بفتح البصرة: هو عودتها إلى طاعته بعد أن خالفت عليه وانتصرت لشعبة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من الأمويين.

^٢ زكريا بن أبي زائدة خالد بن ميمون الكوفي، ثقة روى عن الشعبي، وروى له الشيخان روى عنه الثوري، اختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م. انظر ترجمته في: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، طبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٩٠٨م، ج ١١، ص ٢٠٨.

^٣ أورد "ابن قتيبة" هذا الخبر في "عيون الأخبار"، عن خالد بن ميمون. انظر: ج ١، ص ٣١٦.

^٤ هو أيوب بن زيد ويعرف بابن القرية، صحب بني مروان والحجاج بن يوسف، ويضرب به المثل في النصاحة. راجع في ترجمته: الدارقطني: المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ج ٤، ص ١٨٥٥؛ السمعاني: الأنساب، ج ١٠، ص ٤٠٦.

مَأْوَى كُلِّ فَاجِرٍ وَطَرِيقُ كُلِّ عَائِرٍ^١

أخرج ابن عساكر هذا الخبر وعزاه للمدائني: وهاك الخبر بتمامه: «قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: وجه الحجاج بن يوسف أيوب بن القرية إلى عبد الرحمن بن الأشعث عينا عليه بسجستان، فلم يلبث أن غمز به فأدخل على عبد الرحمن قال له: مرحبا بالموصوف عندها بتزيين البلاغة، أنت ابن القرية؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير. فقال له عبد الرحمن: أخبرني عن امر. قال: يسأل الأمير عما أحب. قال: أخبرني عن الحجاج ما أمره لديك؟ أعلى محجة القصد أم في مجانبة الرشد؟ قال: أسألك الأمان قبل البيان. قال: لك الأمان قال: إن الحجاج على احتجاج في قصد المنهاج يمنع الظفر ويحتمل الكدر لا تفضله الأمور وأيَسَ فيها بعثور، في النعماء شكور، وفي الضراء صبور، فأنهاك أن تقاوله وأعيذك بالله أن تقاوله، وهو على تربة العدل لا تنزل به النعل، ولا يغرنك الجبن ولك الحق فإنكم خير داعية وأوثق. قال له عبد الرحمن: كذبت يا عدو الله والله لأقتلنك، قال: فأين الأمان؟ قال: وكيف الأمان لمن كذب وفجر؟ والله لأقتلنك أو لتظاهرن عليّ قال: أصلح الله الأمير إنما أنا رسول. قال: هو ما أقول لك، فلما رأى أنه غير متته عنه تابعه وأقام معه يصدر له كته إلى الحجاج، فجمع له عبد الرحمن الناس فأصعده على المنبر فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن الأمر الذي يدعوكم الحجاج إليه لم ينزل من السماء ولم تقم به الخطباء ولم تسنه الأنبياء ولم تصدر به إلينا من قبله الكتب. ثم نزل فلم يلبث أن قتل عبد الرحمن، وهزم الحجاج الناس فبعث في طلب الفار؛ فأتي بابن القرية أسيرا فلقية عنبسة بن سعيد فقال له: أيوب؟ قال: أيوب فما وراءك؟ قال: ورائي أنك مقتول قال: كلا إني قد أعددت للأمير كلمات، صغارا، صلابا، كركبٍ وقف قد قضين من حاجة وطرا، وقد استقبلن سفرا. قال: هو ما أقول لك، فلما أدخل على الحجاج تجاهل عليه فقال: من أنت؟ قال: أنا أيوب قال: يا أيوب ألم تكن في حمول من الدعة وعدم من المال وكدر من العيش وتضعض من الهيئة ويأس من بلوغ ما بلغت؛ فوليتك ولاية الوالد لم أكن يكن لك عندي يد وأجرتك بها ثم قمت عند عبد الرحمن فقلت: إن الأمر الذي يدعوكم إليه الحجاج لم ينزل من السماء، ولم ولم، والله لتعلمن يا ابن القرية أن قتلك قد نزل من السماء. قال: أصلح الله الأمير، إني قد أتيت إنسانا في مسك شيطان يتهددني بتخونه ويقهرني بسلطانه؛ فنطق اللسان بغير ما في القلب والنصيحة لك ثابتة والمودة لك باقية. قال: صدقت يا عدو الله فلم كنت كاذبا وكان قلبك منافقا وأردت كتمان ما كان الله معلنه منك وإخفاء ما كان الله يعلمه من سريرتك؟ وكيف علمك بالأرض؟ قال: علمي بها كعلمي بييتي قال: فأخبرني عن الهند. قال: بحرهما در وتراهما مسك وحطبها عود وورقها عطر. قال: فأخبرني عن مكة. قال: تمرها دقل ولصها بطل، إن كثر الجند بها جاعوا، =

وكانَ الأوزاعيُّ يقولُ: نَظَرْتُ فيما اختلفَ فيه العُلَماءُ من أهلِ البُلدانِ وفتنوا
 به، فرأيتُ أهلَ البصرةِ قد فتنوا بخصلتين: الخَضَخَصَةَ والعَدْرَةَ^١، وفتنَ أهلَ الكوفةِ
 بخصلتين: شُرْبُ المُسكِرِ وتأخيرِ السَّحُورِ، وفتنَ أهلَ الشَّامِ بخصلتين: طاعةَ [١٠٥] ٣
 الظَّلَمَةِ وأخذِ الجَوائزِ، وفتنَ أهلَ مَكَّةَ بخصلتين: تزويجِ المُتَعَةِ والدَّرْهَمِ
 بالدَّرْهَمينِ، وفتنَ أهلَ المَدِينَةِ بخصلتين: حُبِ السَّماعِ، وإتيانِ النِّساءِ في الأَدبارِ.
 وقال ابنُ شُبْرَمَةَ^٢ لأهلَ البصرةِ: لنا أحلامٌ مُلوكُ المَدائِنِ وسخاءُ أهلِ السَّوادِ ٦
 وظرفُ أهلِ الحيرةِ، ولكم سفهُ السُّنْدِ وبُخلُ الحوزِ ومُحمقُ أهلِ عُمَانَ^٣.

^١ في الأصل: القدر.

= وإن قلوا بها ضاعوا. قال: فأخبرني عن عُمان. قال: حرها شديد وصيدها عتيده، يشدون الجلود وينزلون
 الطفوف، كأنهم بهائم ليس لهم راع. قال: فأخبرني عن البيامة. قال: أهل جفاء وجلد وطيرة ونكد. قال:
 فأخبرني عن البصرة. قال: ماؤها مالح وشربها سانح، ماوى كل تاجر وطريق كل عابر. قال: فأخبرني عن
 واسط. قال: جنة بين حماة وكنته. قال: وما حماها وما كنتها؟ قال: البصرة والكوفة ودجلة والفرات يحقران
 شأنها وينقصان الخير عنها. قال: فأخبرني عن الكوفة قال: ارتفعت عن البحر وسفلت عن الشام فطاب ليلها
 وكثر خيرها... انظر: ابن منظور: مختصر ابن عساكر، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، وآخرون، دار الفكر
 للطباعة، دمشق، ١٩٨٤م، ج٥، ص ١٣٣-١٣٤.

^١ الإمام عبد الرحمن بن عمر شيخ أهل الشام. توفي سنة ٧٠٤هـ/٧٠٤م، انظر في ترجمته: المزي: تهذيب الكمال
 في أسماء الرجال، ج٣، ص ١٣٣.

^٢ عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر من بني بكر بن سعد بن ضبة. شاعر فقيه، ولي قضاء
 الكوفة زمن يوسف بن عمر أحد ولاة أبي جعفر المنصور. توفي سنة ١٤٤هـ/٧٦١م. انظر في ترجمته: ابن
 سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٣٥٠-٣٥١.

^٣ بنصه لدى وكيع: أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٧م.
 ج٣، ص ١١٠.

وقال ابن شوذب^١: أوّل منيّر يضعده الدّجال منبر البصرة فيقول: أيّها النّاس، من كان غنيّاً زدناه ومن كان فقيراً مولّناه.

٢ وقال عبد الله بن عباس: إذا كثرت القدرية بالبصرة إيتفكت^٢ بأهلها، وإذا كثرت السبائية^٣ بالكوفة إيتفكت^٤ بأهلها.

واستشار رجل^٥ ابن مسعود في سكنى البصرة فقال له: إن كنت لا بدّ فاعلاً فاسكن رايبتها، ولا تسكن سبختها، فإنّه قد خسف بها مرّة وسيخسف بها أخرى.

والخسف الذي كان بها أنّه كان بها خمسة حكام أسماءهم جابر وجابر وخاطي ومخطي وحمال الحطايّا، فخرج رجل معه امرأة له حامل على حمار له، حتى أتاهما،

٩ فلما دخلها منعه جابر وقال: لا تدخل حتى تؤدّي دزهمين، فأخذ منه دزهمين فتظلم وقال: أنا رجل فقير، وقد أخذ مني دزهمين، فما أحد يعينني^٦ على من

أخذها مني؟ فقالوا: بلى جابر، فأتاه فشكا إليه فقال له: هات أربعة دراهم، فأخذها منه مكرهاً، فأتى خاطيّا يشكوها إليه فقال: هات ثمانية دراهم، فأخذها

١٢ منه فأتى مخطيّا: هات ستة عشر دزهماً، فقال: أنا إنسان مسكين لا شيء لي، فصره

(٥ - ٦) لدى الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال: استنكت. (ب) في الأصل: يعديني.

^١ عبد الله بن شوذب، خراساني سكن البصرة، ثم انتقل إلى الشام، فسكن بيت المقدس. توفي ١٥٦هـ/٧٧٣م، راجع في ترجمته: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ١٦٥-١٧٠.

^٢ السبئية: فرقة من غلاة الشيعة تنسب إلى عبد الله بن سبأ، انظر: أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين ج ١، ص ٣٢.

^٣ انظر: الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٧، ص ٢٧٨.

وَصَرَبَ امْرَأَتَهُ حَتَّى أُسْقِطَتْ، وَقَطَعَ ذَنْبَ حِمَارِهِ، فَأَتَى حَمَالَ الْخَطَايَا فَشَكَاَ إِلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِ فِي إِسْقَاطِ امْرَأَتِهِ وَقَطَعَ ذَنْبَ حِمَارِهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: انْكَحُوا امْرَأَتَهُ حَتَّى تَحْبِلَ وَاعْمَلُوا عَلَى حِمَارِهِ حَتَّى يَنْبُتَ ذَنْبُهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهَا.^١

وَيُرَوَّى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَخَلَ الْبَصْرَةَ صَعَدَ الْمِنْبَرَ وَخَطَبَ وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْسَمْ خَيْرًا [١١٠] لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا وَقَدْ جَعَلَ فِيكُمْ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَعَابِدُكُمْ أَعْبُدُ النَّاسَ، وَقَارِئُكُمْ أَقْرَأُ النَّاسِ^٢، غَيْرَ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ فِيكُمْ وَفِي مَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ جَائِزٌ بِقَوْلِهِ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]، وَاللَّهُ مَا ابْتَدَأْتُكُمْ بِمَا ابْتَدَأْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْمُدْحِ رَغْبَةً مِنِّي لَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ^٣ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَمَلَ جَمِيعَ

^١ لا تصح نسبة هذه الحكاية إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وإنما هي من الروايات التي نسبها ابن الفقيه إلى بعض الصحابة.

^٢ ورد هذا الخبر في عيون الأخبار: لابن قتيبة الدينوري، ونقله ابن الفقيه عنه بتصريف؛ وأشار إليه ياقوت في «معجم البلدان» ج ١ ص ٤٣٦. وهاك الخبر بتمامه: «... قال: حدثني محمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الحراني، عن عوف بن أبي جميلة، عن الحسن البصري، قال: لما قدم علي رضي الله عنه البصرة ارتقى على منبرها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود، ويا جند المرأة [يعني بالمرأة: عائشة]. ويا أتباع البهيمة [يعني بالبهيمة: الجمل الذي ركبته عائشة] رَغَا فَاتَّبَعْتُمْ، وَعُقِرْ فَانْهَزْتُمْ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ رَغْبَةً فِيكُمْ وَلَا رَهْبَةً مِنْكُمْ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَفْتَحُ أَرْضُ يَمَامَةَ بِمَا ابْتَدَأْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْمُدْحِ رَغْبَةً مِنِّي لَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَمَلَ جَمِيعَ صَدَقَاتِ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ، قَارِئُهَا أَقْرَأُ النَّاسَ، وَعَابِدُهَا أَعْبُدُ النَّاسَ، وَعَالِمُهَا أَعْلَمُ النَّاسَ، وَمَتَّصِدُهَا أَعْظَمُ النَّاسَ سِدْقَةً، وَتَاجِرُهَا أَعْظَمُ النَّاسَ تِجَارَةً، مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْأُبْلَةُ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ، يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا، الشَّهِيدُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ يَوْمَ بَدْرٍ مَعِيَ».

^٣ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ما جاء في ذم البصرة) ج ١، ص ٤٣٦.

الأرضين على منكبيه الأيمن فاتانى بها؟ ألا وإني وجدت البصرة أبعد بلاد الله من السماء وأقربها من الماء وأخبثها تراباً وأسرعها خراباً^٥، ليأتينَّ عليها يوم لا يؤتى^٦ منها إلا شرفات مسجدها كجؤجؤ السفينة في لجة البحر.

فقال له المنذر بن الجارود^١: ولم ذاك^٢ يا أمير المؤمنين، وممَّ ذاك. قال: إذا رأيتم آكامها خدوراً وأجامها قُصوراً فلا بصرة. ثم قال: كم بينكم وبين أرض يقال لها الأبله؟ قالوا: أربعة فراسخ. قال: صدقني والذي عجل روحه إلى الجنة وأكرمته بالنبوة.

قال: يا عليُّ أما علمت أن بين البصرة وبين أرض يقال لها الأبله أربعة فراسخ، يكون في ذلك الموضع العشور، ينبغي أن يقتل فيه سبعون ألفاً، وهم نظراء قتلى بدر، فقيل: من يقتلهم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخوان الجن، إخوان الجن. ثم قال: ويحك يا بصرة^٣، ويحك لك من جيش لا غبار له، فقيل يا أمير المؤمنين، ما الويح؟ قال: الويح والويل بابان فالويح رحمة والويل عذاب.

^٥ كما في ياقوت في الأصل: «أخبثه تراباً وأسرعه خراباً».

^٦ لدى ياقوت: لا يرى.

^٦ في الأصل: ولذلك.

^١ المنذر بن الجارود بن بشر بن عمرو بن حنش بن المعل، كان سيداً جواداً، ولأه علي بن أبي طالب إصطخر، ثم تولى ثغر الهند لعبيد الله ابن زياد، وتوفي هناك سنة ٦٢هـ/٦٨٢م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٨٦-٨٧.

^٢ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ما جاء في ذم البصرة) ج١، ص٤٣٦.

مَجْلِسُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ

٣ كَانَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا جَالِسًا، وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ خَاصَّتِهِ وَدَوِي الْمَنْزِلَةِ [عِنْدَهُ]^١ فَأَقَاصَ مَعَهُمْ فِي الْحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ: " قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَحَفِظْتُهُ، وَسَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَعَلِمْتُ الْأَدَبَ وَتَأَطَّرْتُ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِي الْعِلْمِ إِلَّا وَقَدْ كَشَفْتُ ظَاهِرَهُ وَفَتَشْتُ بَاطِنَهُ [١١٥] إِلَّا مَا يَتَنَازَعُ فِيهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ مِنْ فَخْرِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى أَسْمَعَهُ.

فَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ^١: أَيْدَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا زِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ أَبْعَدُ فِي الْأَرْضِ آثَارًا وَأَكْثَرُ فِتْوَحًا وَأَبْلَغُ خَطِيئًا وَأَكْثَرُ أَدِيبًا، وَالْبَصْرَةَ قَبْلَ الْكُوفَةِ. ٩
قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ خَيْثَمَةَ^٢: أَبْقَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَيْفَ يَكُونُ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَشْرَفَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَعِنْدَنَا مِنْ مَعَايِهِمْ، وَالطَّعْنَ عَلَيْهِمْ مَا لَوْ سَمِعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَعَجِبَ مِنْهُ، وَسَيِّئًا مَا صَنَّفَ فِيهِمْ شَيْخٌ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ يُكْتَوْنُهُ أَبَا عُبَيْدَةَ. ١٢

^(١) ساقطة من الأصل.

^١ علي بن هشام بن فنخسرو، أبو الحسن القائد المروزي أحد قواد المأمون وندمائه، ولاه كور الجبال فقتل الرجال وأخذ الأموال، فُرِّعَ إِلَى الْمَأْمُونِ سِوَهُ سِيرَتُهُ فَأَمْرٌ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَذَلِكَ سَنَةَ ٢١٧هـ/٨٣٢م. راجع في ترجمته: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ١٧٨.

^٢ الْحَجَّاجُ بْنُ خَيْثَمَةَ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ذُو وَجَاهَةٍ وَرِيَاةٍ، أَسْنَدَ إِلَيْهِ الرَّشِيدَ أَمْرَ الصَّوَارِي وَالْبَارِجَاتِ [يعني الإشراف على السفن]. وَكَانَ مِنْ نَدَمَاءِ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ. انظر أخباره لدى: التنوخي: الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م. ج ٤، ص ١١٣-١١٤.

فقال أحمد بن يوسف^١: أيد الله أمير المؤمنين أبا عبيدة وأهل البصرة كما قال
الفرزدق^٢ (شعر):

[الطويل]

جَرِيرٌ وَقَيْسٌ مِثْلُ كَلْبٍ وَثَلَّةٌ يَبِيتُ حَوَالِيهَا يَطُوفُ وَيَنْبَحُ^٣

وأبو عبيدة يهودي من يهودهم، كان أبوه^٤ موزجير اليهودي ليس له قديم ولا
حديث ولا أول ولا آخر، عاب أنسابهم وتناول أحسابهم، وسَمَّ الأُمّهات والأبَاءَ
وَذَكَرَ الإِخْوَةَ والأَخَوَاتِ، وعَاشَ بَيْنَهُمْ سَبْعِينَ سَنَةً يَشْتُمُ أَعْرَاضَهُمْ وَيَنْتَهِكُ
أَحْسَابَهُمْ، فقال أحمد بن هشام^٤: لا تَعْتَدُونَ عَلَى أَهْلِ البَصْرَةِ إِنَّهُمْ عَابُوكُمْ وَلَا
شَتَمُوكُمْ بِأَكْثَرِ مِنْ قَوْلِ "أَبِي عُبَيْدَةَ"، فَإِنْ أَرَدْتُمْ الإِنْتِقَامَ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِيهِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

^١ في الأصل: «كان قال لأبيه».

^١ أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح. أبو جعفر الكاتب، كان من أفاضل كتاب المأمون، وأذكاهم،
وأفطنهم، وأجمعهم للمحاسن، جيد الكلام، فصيح اللسان، حسن اللفظ، مليح الخط، يقول الشعر في الغزل
والمديح والهجاء، توفي سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م؛ ترجمته وأخباره في: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٦، ص
٤٦٣؛ ياقوت: معجم الأدباء ج٢، ص ٥٦٠.

^٢ هشام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر من النبلاء، من أهل
البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب
نصف أخبار الناس. ترجمته وأخباره في: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١ ص ٤٦٢-٤٧٢.

^٣ البيت في ديوان الفرزدق: ضبط معانيه وشرحه وأكمّله: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت،
١٩٨٣م، ج١، ص ٢١٤.

^٤ أحمد بن هشام، صاحب شرطة طاهر بن الحسين. انظر: ابن طيفور: كتاب بغداد، تحقيق: عزت العطار
الحسني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٢م، ص ٩٥.

فقال المأمون: قد كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ بَيْنَكُمْ اخْتِلَافًا وَافْتِحَارًا، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسَبُهُ بَلَغَ هَذَا وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ يُدْلِي كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ بِحُجَّتِهِ وَيَكْتُبُهُ كَاتِبٌ حَفِيفٌ.

فقال الخليل بن هشام^١: اَكْتُبُوا مَا سِئْتُمْ وَلَا تَنْسُوا خِذْلَانَ عَلِيٍّ وَقَتْلَ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - فَقَالَ الْعَبَّاسُ^٢: لَقَدْ أَمْسَكْنَا عَنْ مَسَائِرِكُمْ وَقُلْنَا بِأَحْسَنِ مَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرِكُمْ، فَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَهْجُونَا^٣ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَقَوْلِ الْأَخْطَلِ (شِعْر): [الطويل]

صَفَادُعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ^٤ تَجَاوَبَتْ فَذَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ^٥

[١٢] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَآئِرِ الْكُوفَةِ وَمَفَاخِرِهِمْ

مَنِّي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَعَايِبِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ مِنْهُ، فَقَالَ: قُلْ مَا أَحْبَبْتَ.

فقال أحمد: مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِنَّا وَجَدْنَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ فَتَقُوا^٦

فِي الْإِسْلَامِ فَتَوْقًا، وَابْتَدَعُوا مِنَ الضَّلَالَةِ بَدْعًا، وَبَنَوْا مِنَ الْبَاطِلِ مَنَارًا، إِثْمُ ذَلِكَ

فِي أَعْنَاقِهِمْ وَعَارُهُ بَاقٍ فِي أَعْقَابِهِمْ، وَلَوْ اسْتَقْصَيْنَا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ كَانَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّا

نَذَكُرُ بَعْضَ مَا لَا يَجُوزُ تَرْكُهُ وَنَتْرُكُ مَا يُسْتَعْنَى عَنْ ذِكْرِهِ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَوَّلُ^٧

شُهُودٍ رُذِّتْ شَهَادَتُهُمْ وَحُدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ:

^١ في الأصل: تهيجونا. ^٢ في الأصل: الليل، والتصويب من ديوان الأخطل.

^٣ الخليل بن هشام بن فنخسرو أحد قواد المأمون وكان نديمه، ثم غضب عليه فقتله هو وأخاه علي بن هشام. وله شعر حسن. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٣٤٨.

^٤ العباس بن المسيب بن زهير: صاحب شرطة بغداد في عهد الخليفة المأمون. انظر أخباره لدى: ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص ١٤-٢٠.

^٥ البيت من شعر الأخطل. انظر: ديوان الأخطل، باعتناء: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، ١٩٩٤م. ص ١١٢.

شِبْلُ بن مَعْبَدِ البَجَلِيِّ^(a)، وَنَافِعُ بن الحَارِثِ، وَأَبُو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بن مَسْرُوحٍ^(b) حِينَ شَهِدُوا عَلَى مُغَيَّرَةَ بن شُعْبَةَ، فَحَدَّثَهُمْ عُمَرُ بن الحَطَّابُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^٢.

٣ وَمِنْهُمْ أَوَّلُ قَسَامَةِ شَهِدَتْ عَلَى زُورٍ وَبَاطِلٍ، وَذَلِكَ عِنْدَ الحَوَّابِ^(c) حِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَقَدْ سَمِعَتْ نِيَّاحَ كِلَابِ الحَوَّابِ، أَيُّ مَكَانٍ هَذَا؟ فَقِيلَ لَهَا الحَوَّابِ، فَقَالَتْ رُدُونِي رُدُونِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ أَيُّ نِسَائِي تَنبُحُهَا كِلَابُ الحَوَّابِ، فَجَاءَ مَحْسُونٌ شَيْخًا مِمَّنْ تَلَقَّاهَا مِنَ البَصْرِيِّينَ فَحَلَقُوا لَهَا مَا هُوَ الحَوَّابُ^٤.

^(a) في الأصل: الجهني، والتصويب من البلاذري، أنساب الأشراف. ^(b) في الأصل: ونفيع بن مسروح.

^(c) في الأصل: حُوب.

^١ شِبْلُ بن معبد بن عبيد البجلي، أخو أبي بكره. أحد الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنى، وحده عمر بن الخطاب. راجع أخباره وترجمته في: طبقات خليفة بن خياط: ص ٣١٩؛ الدار قطني: المؤتلف والمختلف، ج ٣، ص ١٣٩٤.

^٢ فعوى هذه القصة: أن أبا بكره ومعه ثلاثة شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنى، وكان عمر ولأه على البصرة، وكانت بينها منافرة. فكتب أبو بكره لعمْرٍ بذلك، فعزله عمْرٌ وولَّى أبا موسى الأشعري بدله. ثم لما جاء الشهود والمغيرة إلى المدينة تلقَّاهم في الشهادة، فجلد عمر الثلاثة حدَّ الفرية، ثم استتابهم فتابوا إلا أبا بكره. وقال المغيرة: يا أمير المؤمنين أشقني من هذا العبد، وكان عبدًا ثم اعتقه رسول الله ﷺ فنهَره عمْرٌ ﷺ وقال له: اسكت، لو كملت الشهادة لرجمتك بأحجارك. انظر القصة في: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٨١-٤٨٢.

^٣ الحوَّاب: هو ماء قريب من البصرة على طريق مكة إليها. سُمِّي بالحوَّاب بنت كَلْبِ القضاعية. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٤.

^٤ خرجت السيدة عائشة - رضي الله عنها - على جمل يُقال له عسكر، في طريقها إلى البصرة، ولما طرق بعيرها ماء الحوَّابِ نبحتها الكلاب، فسألوا قائد الركب أي ماء هذا؟ قال: ماء الحوَّابِ، فصرخت السيدة عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عَضْدَ بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوَّابِ طروقًا، رودني! فقالت ذلك ثلاثًا، فأناخت وأناخوها حولها، فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب. راجع: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٥٧.

ومنهم أول ساع سعى وأول عمّاز عمّز، وهو أبو المُختار يزيد بن الصّعق الكلابي^١ حين كتب إلى عمر رضي الله عنه شِعْرًا يسعَى بعُمّالِهِ يقول فيه: [الطويل]

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً فانت أمينُ الله في الحالِ والأمرِ
فأزيسل إلى النعمانِ وابنِ مُغفلٍ^(a) وأزيسل إلى جزءٍ^(b) وأزيسل إلى بشرٍ^(c)
فأزيسل إليهم يصدقوك ويخبروا أحاديثَ مالِ الله ذي العَدَدِ الدَثْرِ^(d)
وقاسمهم نفسِي فدأوك إثمهم سيزضون إن قاسمتهم منك بالشطْرِ

[١٢] فكانت هذه أول سعاية في الإسلام، وذلك باقٍ فيهم إلى اليوم.

ومنهم أول عمّال أقرؤوا بالحِيانَةِ في الإسلام لأنَّ عمّر قال لهم: إن شِئتم فَنَشِئْكُمْ وإن شِئتم صالِحِئكم، فقالوا: تُصالِحِئنا، فقاسمهم أموالهم، منهم النعمان بن عدي بن نضلة^٢ قرشي عَدوي، وعبد الله بن مُغفل المُرزي^٤.

^(a) في الأصل: وابن معقل، والتصويب من فتوح البلدان.

^(b) في الأصل: جزى، والتصويب من البلاذري: فتوح.

^(c) في الأصل: نشر، والتصويب من البلاذري: فتوح. ^(d) في الأصل: والدثر، والتصويب من البلاذري.

^١ كتب إلى عمر بن الخطاب أبيات من شعر لما كثرت أموال عماله في الأهواز. انظر: البلاذري: فتوح البلدان [فتح كور الأهواز]، ص ٥٤١-٥٤٢.

^٢ جزء بن معاوية، عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأهواز. راجع: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٢، ص ٣٤٥.

^٣ هاجر هو وأبوه إلى الحبشة، ومات أبوه بها، فكان أول من مات ممن هاجر، وورثه ابنه النعمان بن عدي؛ فكان أول وارث في الإسلام. راجع في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠؛ الدار قطني: المؤلف والمختلف، ج ٢، ص ٣٧٠.

^٤ عبد الله بن مُغفل المرزي، له صحبة، كان من أصحاب الشجرة سكن المدينة ثم نزل البصرة وابتنى بها دارًا. راجع ترجمته وأخباره في: ابن حبان: الثقات، ج ٣، ص ٢٣٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ٩٩٦.

وَجَزَاءُ بِنِ مَعَاوِيَةَ^(أ)، وَالسَّعْدِيِّ^(ب) وَالْأَخْنَفِ بِنِ قَيْسٍ، وَبِشْرِ بِنِ الْمُحْتَفِزِ^(ج) الْمُرْزِيِّ^(١)، وَالْحَجَّاجِ بِنِ عَتِيكَ^(د) التَّقْفِيِّ.

٢ وَمِنْهُمْ أَوَّلُ شُهُودِ رَدَّاتٍ [شَهَادَتِهِمْ حُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَخَذُوا عَلَى شَهَادَتِهِمُ الْجَعَالََةَ وَالرُّشَى] وَمِنْهُمْ: الْمُنْدَرُ بِنِ الزُّبَيْرِ^(٢)، وَأَبُو مَرْيَمَ السَّلُولِيُّ^(٣)، وَغَيْرُهُمَا شَهِدُوا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَقْرَبَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ فَجَّرَ بِأَمِ زِيَادٍ، وَزَعَمَ أَبُو مَرْيَمَ أَنَّهُ هُوَ ٦ كَانِ الْقَوَادِ الَّذِي جَاءَ بِسُمِّيَّةَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ؛ فَرَدَّ مَعَاوِيَةَ بِشَهَادَةِ هَؤُلَاءِ حُكْمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاہِرِ الْحَجَرُ»^(٤)؛ فَجَعَلَ الْحَجَرَ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاہِرِ الْوَلَدَ.

^(أ) في الأصل: عبد الله بن جزي، والتصويب من أنساب الأشراف.

^(ب) في الأصل: السعد بن عمرو، والتصويب من البلاذري.

^(ج) في الأصل: بشر بن المحيص، والتصويب من أنساب الأشراف.

^(د) في الأصل: عثمان، والتصويب أنساب الأشراف

^١ بشر بن المحتفز العزني، عامل عمر بن الخطاب ﷺ على جنديسابور من كور الأهواز، وكانت له صحبة. راجع ترجمته وأخباره في: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٣٣٥.

^٢ المنذر بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، قتل في حصار ابن نمير، وهو حصار ابن الزبير الأول، وقيل: قتل في الحصار الثاني، راجع: البلاذري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٤٣.

^٣ أبو مريم السلولي اسمه مالك بن ربيعة، كان حمارًا في الجاهلية، وهو الذي شهد بقضية زياد ابن أبيه عند استلحاق معاوية له. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٧؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١٩، ص ١٧٣.

^٤ انظر: البخاري: الجامع الصحيح، طبعة مؤسسة المکتز الإسلامي بلندن، طبع في برلين ١٩٩٢م/ ١٤١٢هـ. [كتاب الفرائض، باب الولد للفراش حرة كانت أو أمة] الحديث رقم: ٦٨٣٥.

^٥ عن شهادة أبي مريم السلولي، انظر الخبر بتمامه لدى الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ٣٤٣؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٩٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٣١؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١٩، ص ١٣١.

وأول من تابع إمام هدى ثم خالفوه ونكثوا بيعته وذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه،
 وهم أول من جرى عليه حكم الحزب في الإسلام حين قتلهم الله بأيدينا يوم
 الجمل، فقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: « لا تتبعوا مؤلّياً ولا تُجْهِزُوا^(أ) على جريح^٣،
 وأخذ ما في بيوت أموالهم فقسّمه بيننا فأصاب كل رجلٍ منّا خمسمائة درهم^١ .

وفي ذلك قال شاعرنا^٢ (شعر):

فإِذَا فَاحَزَ مُمُونَا فَادْكُرُوا مَا فَعَلْنَا بِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ
 ابْعَثِ الْكُوفِيَّ^(ب) فِي الْحَيْلِ وَلَا تَبْعَثِ^(ب) الْبَصْرِيَّ إِلَّا فِي النَّقْلِ^(ج)

ومنهم أول من أجاز ثم عدر في الإسلام، وهو المجاشعي^٣ الذي أجاز الزبير
 بن العوام حين أنصرف من وقعة الجمل، ثم عدر به حتى قُتل. ومنهم أول من ارتدَّ
 عن الإسلام، وهم بنو ناجية تنصروا بعد الإسلام، فبعث إليهم علي بن أبي طالب
رضي الله عنه [١٣ و] معقل بن قيس الرياحي^٤، فقتل المقاتلة وسبى الدريرة^٩.

^(أ) في الأصل: ولا تجيزوا، والتصويب من: الدينوري: الأخبار الطوال.

^(ب) في المختصر: واجعل الكوفي... ولا تجعل.

^(ج) في الأصل: إلا في النقل والتصويب من المختصر.

^١ والخبر بتامه لدى أبي حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ومراجعة: الدكتور جمال

الدين الشيال، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٥١.

^٢ نسبت هذه الأبيات لأعشى همدان في مختصر كتاب البلدان، ص ١٦٦.

^٣ النُعمان بن زمام المجاشعي. راجع الترجمة والخبر المذكور في: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١١١.

^٤ معقل بن قيس الرياحي صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب شرطته، انظر: ابن عساکر: تاريخ دمشق،

ج ٥٩، ص ٣٦٧-٣٦٨.

ومنهم [أول] من عطلَّ حُدُودَ الله، وهو عَبْدُ اللهِ بن عَامِرٍ^١ بِخُرَاسَانَ فِي خِلَافَةِ
عُثْمَانَ بن عَفَّانَ فِقِيلٍ لَهُ: عَطَلَّتِ الحُدُودَ فَقَالَ: أَنَا أُعْطِيهِمْ مَالِي وَهُمْ يَذُمُونِي، فَكَيْفَ
لَوْ صَرَبْتُ ظُهُورَهُمْ.

ومنهم أول من خَرَجَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَهُمْ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بن عَامِرٍ بِخُرَاسَانَ.
ومنهم أول من رَدَّ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ انْتَقَى مِنْ أَبِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ»^٢ فَكَانَ
ذَلِكَ زِيَادًا وَهُوَ مِنْهُمْ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَدَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «لَا حِلْفَ فِي الإِسْلَامِ»^٣،
فَتَحَالَفَتِ الأَزْدُ وَبِكُرِّ بن وَاثِلٍ^٤، وَكَانَ الَّذِي عَقَدَ الحِلْفَ مَالِكُ بن مِسْمَعٍ^٥، فَقَالَ
لَهُ الأَخْنَفُ: يَا مَالِكُ، أَحِلْفُ فِي الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ مَالِكُ: أَدْعُوهُ فِي الإِسْلَامِ، وَقَدْ قَالَ
اللهُ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٤]؟ يُرِيدُ أَمْرَ زِيَادٍ.

ومنهم أول من انْتَهَرَ فِي الإِسْلَامِ هَزِيمَةَ مُجَلِّبِيَّةَ، وَهُوَ أَسْلَمُ^٦ بن زُرْعَةَ^٧، انْهَزَمَ
مِنْ مِرْدَاسِ الحَارِجِيِّ، فَصَاحَ بِهِ الصَّبِيَّانِ فِي الطَّرِيقَاتِ: يَا أَسْلَمُ^٨ قَدْ جَاءَ أَبُو بِلَالٍ

^(٦) فِي الأَصْلِ سَلْمَةُ: وَالتَّصْوِيبُ مِنَ البِلَادِيِّ: أَنْسَابُ الأَشْرَافِ.

^١ عَبْدُ اللهِ بن عَامِرِ بن كَرِيزٍ، انْتَبَحَ عَامَةَ فَارِسَ وَخُرَاسَانَ وَكَابِلَ. وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥٩ هـ/٦٧٩ م. تَرْجَمَتْهُ: ابْنُ سَعْدٍ:
المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٤.

^٢ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ السَّنَنِ، طَبْعَةُ جَمْعِيَةِ المَكْتَبِ الإِسْلَامِيِّ، بَرَلِينَ، ١٤١٢ هـ، (كِتَابُ الأَدَابِ). رَقْمٌ ٣٨٩٣.

^٣ أَخْرَجَهُ البَخَارِيُّ: فِي كِتَابِ الكِفَالَةِ (٢٣٣٨) وَمُسْلِمٌ: فِي كِتَابِ فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَقْمٌ (٦٦٢٦)؛ وَقَارَنَ:
البِلَادِيُّ: أَنْسَابُ الأَشْرَافِ، ج ١٢، ص ٣٢٩.

^٤ مَالِكُ بن مِسْمَعِ البَكْرِيُّ الجَمْهَدَرِيُّ: كَانَ زَعِيمًا فِي قَبِيلَتِهِ بَكْرِ بن وَاثِلٍ. اشْتَرَكَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى العِرَاقِ.
تُوفِيَ ٧٣ هـ/٦٩٢ م. رَاجِعْ تَرْجَمَتْهُ فِي: ابْنِ عَسَاكِرِ: المِصْدَرِ السَّابِقِ، ج ٥٦، ص ٤٩٧-٤٩٨.

^٥ أَسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكَلَّابِيُّ الوَاسِطِيُّ، يَعُدُّ فِي البَصْرِيِّينَ، اسْتَعْمَلَهُ مَعَاوِيَةَ بن أَبِي سَفْيَانَ عَلَى خِرَاجِ خُرَاسَانَ. انظُرْ
تَرْجَمَتْهُ وَتَفَاصِيلَ الخَبْرِ فِي: ابْنِ عَسَاكِرِ: تَارِيخِ دِمَشْقَ، ج ١٠، ص ٥٢٩.

مرداس، فحَرِدَ^١ من ذلك، وَزَادَ عَلَيْهِ الأمر حتى أقَامَ في مَنْزِلِهِ ولم يُخْرَج حتى مات.
ومنهم أَوَّل من عُرِفَ بالتَّطْفِيل، وهو الجَارُودُ بن [أبي] سَبْرَةَ الهَلْدِيُّ^٢ كان
يُجِيءُ إلى موائد الأُمَرَاءِ والأَشْرَافِ من غير أن يَدْعُوهُ، وكذلك كان إِمَامُ مَسْجِدِهِمْ
سَعِيدُ بن أسْعَدٍ^٣ إِذَا كَانَتْ وَلِيْمَةً سَبَقَ إِلَيْهَا.

ومنهم أَوَّل من أَعْلَنَ الفَاجِشَةَ وأَقَرَّ على نَفْسِهِ بِالْأُبْنَةِ^٤ وَالْفَضِيحَةَ: جَحْشَوَيْه.
وهم المُقَدَّمُونَ على النَّاسِ بِالْحَمَقِ والمعروفون بالنُّوكِ^٥، منهم هَبْنَقَةُ القَيْسِيِّ، وهو
الذي يُضْرَبُ به المثل حتى قيل: أَحْمَقُ من هَبْنَقَةَ^٦، وكتبَ عُمَرُ إلى عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ:
أَمَّا بعد، فاحذَرِ أَهْلَ بَلَدِكَ فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِهِ تَمِيمٌ وَهُمْ بُخْلٌ، وَيَكْرُ بن وَائِلٍ وَهُمْ
كُذْبٌ، وَإِنَّ في الأَزْدِ لَمَوْقًا، فهذا قَوْلُ عُمَرَ فِيهِمْ خَاصَّةً، وَلَوْ كَانَ عَرَفَ ذلك في
أَهْلِ الكُوفَةِ لَكَتَبَ إلى سَعِيدِ [١٣ظ] بن أَبِي وَقَّاصٍ.

^١ حَرِدَ الرجل إذا اغتاظ و غضب فتحرش بالذي غاظه. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ٤، ص ٢٣٩.
^٢ الجارود بن أبي سبرة، سالم بن سلمة الهللي، أبو نوفل البصري، من أشراف البصرة، عُدَّ في التابعين، ذكره
خليفة بن خياط في الطبقة الثانية من قراء البصرة، وفاته على أقوال أرجحها سنة ١٢١هـ/٧٣٩. راجع:
طبقات خليفة بن خياط، ص ٣٦٤، المزي: تهذيب الكمال ج ٤، ص ٤٧٥.
^٣ سعيد بن أسعد الأنصاري، ثقة، تولى الصلاة والقضاء بالبصرة، ذكره البخاري في تاريخه. انظر: أبو حاتم
الرازي: الجرح والتعديل، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ١٩٥٢م، ج ٤، ص ٤.
^٤ الأُبْنَةُ كالوصمة العيب والعار. انظر: ابن منظور: لسان العرب [فصل الواو] ج ١٢، ص ٦٣٩.
^٥ النُّوكُ: بالفتح والضم، شدة الحمق والغفلة. انظر: المصدر السابق: مادة [ن وك] ج ١٠، ص ٥٠١.
^٦ انظر: الجاحظ: المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٢٨؛ أبو هلال العسكري:
جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٣٤٢؛ ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، دار الفكر
الليثاني، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٤١.

ومن مُحْفِهِم أَنَّ أَبَا حِيَّةَ النُّمَيْرِيَّ^(٥) ١ كَانَ مُمْلِقًا فَخَدَعَهُ الْفَرَزْدَقَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَبِيعَ
 ابْنَتَهُ مِنَ الْمُهَلَّبِ^٢ عَلَى أَنَّهَا وَصِيْفَةٌ لَهُ، فَهَيَّأَهَا؛ ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ وَعَرَضَهَا عَلَيْهِ
 ٢ فَوَقَعَتْ بِقَلْبِهِ وَاسْتَأْمَرَ عَلَيْهِ بِهَا مِائَةَ أَلْفٍ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ
 لِلْمُهَلَّبِ: إِنَّ أَبَا حِيَّةَ^(٥) إِنَّمَا بَاعَكَ ابْنَتَهُ. قَالَ: كَذَّبْتَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: نَعَمْ، لَمْ
 أَطْمَعُ أَنْ أَرْوِّجَكَ فَبِعْتِكَ بَيْعًا حَلَالًا، فَوَقَفَ عَلَى جَهْلِهِ، فَقَالَ: قَدْ جَعَلْتُ الْمِائَةَ
 ٦ الْأَلْفَ مَهْرَهَا، فَوَلَدْتُ مُحَمَّدًا وَأَبَا عَيْشَةَ.

ومن مُحْفِهِم مَا ذَكَرَهُ الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقُطَامِيِّ^٣ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ
 جَالِسًا مَعَ امْرَأَتِهِ فَدَعَا الْحَجَّامَ لِيَحْجُمَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ الْحَاجِمَ عَلَى عُنُقِهِ شَرَطَهُ وَهُوَ
 ٩ غَافِلٌ، فَضَرَطَهُ فَضَحِكَتْ امْرَأَتُهُ، فَأَخَذَ السَّيْفَ وَضَرَبَ الْحَجَّامَ فَقَتَلَهُ، فَصَاحَتْ

(٥) في الأصل: خَيْرَةُ الْقُشَيْرِي، والتصويب من ابن قتيبة: الشعر والشعراء.

١ الهيثم بن الربيع بن زرارة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان شاعرًا فصيحًا من ساكني
 البصرة، وكان يروي عن الفرزدق. واختلف في سنة وفاته على أقوال، أرجحها سنة ١٨٣ هـ/٨٠٠ م. راجع
 ترجمته وأخباره في ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧٦٢-٧٦٣.

٢ المهلب بن أبي صفرة العتكي، ولي خراسان، وتوفي بمرور الروذ في خلافة عبد الملك بن مروان سنة
 ٨٣ هـ/٧٠٢ م. راجع في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٢٩؛ طبقات خليفة بن خياط،
 ص ٣٤٤.

٣ هو الوليد بن الحصين بن جمال بن حبيب بن جابر بن مالك الكوفي، يكنى شريقي أبو المثنى، عالم بالأنساب،
 وافر الأدب، أقدمه أبو جعفر المنصور بغداد، وضم إليه المهدي ليأخذ من أدبه. انظر في ترجمته وأخباره:
 الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج ١٠، ص ٣٨٢؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص
 ١٤١٥-١٤١٩.

٤ أي خرج من بطنه ريح له صوت انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٣٤١.

امراتُهُ واجْتَمَعَ النَّاسُ، فَأَحِذَ وَأَتَى بِهِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: لِمَ قَتَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَشْرُطُ وَلَا يُحَدِّرُ.

٣ ومن مُحَقِّهِمْ أَنَّ شَيْخَيْنِ مِنَ الْأَزْدِ تَنَازَعَا فِي شَيْءٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ غَيْرِكَ؟ قَالَ: فَأَنَا غَيْرِي. قَالَ: أَنْتَ غَيْرِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَفَعَ يَدَهُ وَلَطَمَ عَيْنَهُ.

[مُحَقِّ الْأَخْنَفِ]

٦ ومن مُحَقِّهِمْ أَنَّ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى الْمُخْتَارِ، بَعَثَ إِلَى الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ بِبَيِّاتَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: سِرْ مَعِي، فَأَمَرَ الْأَخْنَفُ بِفُسْطَاطِهِ فَضْرِبَ فِي الْعَسْكَرِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ زَبْرَاءَ جَارِيَةَ الْأَخْنَفِ، وَكَانَتْ صَاحِبَةَ أَمْرِهِ فَقَالَتْ: مَا أَرْسَلَ إِلَيَّ مُضْعَبٌ شَيْئًا؟ قِيلَ: لَا، فَجَاءَتْ حَتَّى جَلَسَتْ بَيْنَ يَدَيْ الْأَخْنَفِ وَبَكَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: أَبْعَدَ قِتَالِكَ الْمُشْرِكِينَ وَمَوَاقِفِكَ الْمُخْمُودَةَ فِي بَلَدِ الْعَدُوِّ، تَخْرُجُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ يَطْلُبُ بِثَارِ أَوْلَادِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - تُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: صَدَقْتَ زَبْرَاءُ، فَوَضُّوا فُسْطَاطِي، فَفَعَلُوا فَبَلَغَ ذَلِكَ مُضْعَبًا فَقَالَ: مَا الَّذِي دَهَاهُ؟ [١٤٤] ١٢ فَخَبَرُوهُ بِقِصَّةِ زَبْرَاءَ فَبَعَثَ إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَجَلَسَتْ بَيْنَ يَدَيْ الْأَخْنَفِ، ثُمَّ قَالَتْ: أَمْرٌ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الْعَرَبُ وَالْأَشْرَافُ وَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِ الْمَذْكُورَةِ لَهُ مَا بَعْدَهُ، تَغِيبُ عَنْهُ فَيُخْمَلُ ذِكْرُكَ وَيَذْرُسُ اسْمُكَ. قَالَ: صَدَقْتَ زَبْرَاءُ، أُعِيدُوا فُسْطَاطِي فَأَعِيدَ.^٢

^١ تقدمت ترجمته، ص ١٠٤.

^٢ قارن: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٦-١٩٧٩م، ج ٣، ص ٣٣٠-٣٣٢.

ومن مُحِقِّ الْأَخْتَفِ أَنَّهُ جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَتَاتِ^١ كَلَامٌ فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ لَصَّيْبٌ وَإِنَّ أُمَّكَ^٢ لَوَزْهَاءُ^٣ وَإِنَّ خَالَكَ لَلثِيْمٌ. فَقَالَ لَهُ الْأَخْتَفُ: إِنَّكَ لِحَلْفٌ جَافٍ وَمَا فِيكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنَّكَ ابْنُ دِرَامٍ، أَسْكُتْ يَا أُوَيْدِر^٤ (b) .

فَطَرَحَ الْحَتَاتُ ثِيَابَهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا؟ فَبَلَغَ مِنْ مُحِقِّ الْأَخْتَفِ أَنَّهُ كَذَّبَ كَذِبًا كُذِّبَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ^٥.

٦ ومن مُحِقِّهِ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَنْصِرُهُ، فَقَالَ: قَدْ بَلَّوْنَا حَسَنًا [وَأَلَّ^٦] أَبَا حَسَنِ، وَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمَا إِيَالَةَ^٧ لِلْمُلْكِ، وَلَا سِيَاسَةَ^٨ لِلْحَرْبِ، وَلَا صِيَانَةَ

^(a) في الأصل: ابنك، والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف.

^(b) في الأصل: دبره، والتصويب من الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان؛ وفي البلاذري: أديره.

^(c) تمة من البلاذري.

^(d) في الأصل: إيالة، والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف.

^(e) في البلاذري: مكيدة.

^١ الحتات بن يزيد بن علقمة بن حوى بن سفيان بن دارم المجاشعي التميمي، وفد على النبي ﷺ في بني تميم، وأخى الرسول ﷺ بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان، توفي في خلافته، فورثه معاوية. انظر في ترجمته وأخباره: الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج ١، ص ٤٨٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ٤١٢.

^٢ من الوزء: وهو ضعف العقل، والمرأة الورهاء: الخرقاء الغير المستولة. لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٦٠.

^٣ من الأذرة: وهي فتق يصيب الرجال. انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥.

^٤ نقل ابن الفقيه خبر الأختف والحتات من الجاحظ بتصريف يسير، ودون أن يشير إلى مصدره؛ انظر: البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٤١٢؛ والبيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة بيروت ٢٠٠٢م المصورة عن طبعة القاهرة، ١٩٤٨م، ج ١، ص ٧٠؛ والخبر بتماه لدى البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٢، ص ٣٣٥.

لِللَّيْلِ^(أ)، الأُمْرُ هَاهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ فَخَذَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ شَخَّصَ مَعَ مَنْ شَخَّصَ أَشْكَالَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَامَتْ رِكَابُهُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَحَلُّفِهِ.

٣ ومن مُخْفِهِ أَنَّهُ حِينَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ قِيلَ لَهُ: مَا تَشْتَهِي؟ فَلَمْ يَقُلْ "رَحْمَةَ اللَّهِ" وَقَالَ: شَرِبْتُهُ مِنْ مَاءِ الْغَدِيرِ^(ب) ^٢ وَهُوَ مَاءُ رَدِيٍّ لِيَبْنِي سَعْدًا، فَتَرَكَ مَا يَنْفَعُهُ وَتَمَكَّنَى مَا لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْهُ تَنْفَعُ فِي دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ.

٦ وَسُئِلَ قَتَادَةُ عَنِ الْأَخْنَفِ فَقَالَ: كَانَ مَنَّ زَفَّ سَجَّاحٍ^٣ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ^(ج) ^٤.

^(أ) لدى البلاذري: «وقوله حين استنصره الحسن: قد بلونا حسناً وآل أبا حسن فلم نجد لها إيالة للملك، ولا صيانة للبال، ولا مكيدة في الحرب، ولم يجبه».

^(ب) في الأصل: الغرير، والتصويب من ياقوت الحموي: معجم البلدان.

^(ج) لدى الأصفهاني: «قيل للأحنف وكان ممن زف سجاج إلى مسيلمة ما وجدته؟ قال: ما هو بنبي صادق، ولا متبني حاذق».

^١ الخبر بنصه لدى البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٢، ص ٣٣٧؛ وقارن: أبو هلال العسكري: الأوائل، طبعة دار البشير، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٤٢.

^٢ الغدير: يثر يقع على الطريق بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ميلان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٨.

^٣ سجاج بنت الحارث التميمية. ادعت النبوة في الردة، وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتزوجته، وبعد قلته عادت إلى الإسلام فأسلمت، وعاشت إلى خلافة معاوية. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٦٧-٢٧٥.

^٤ قارن: الجاحظ: البرصان والعميان والعرجان، ص ٣١٨؛ وكذلك البيان والتبيين، ج ٢، ص ٧٨-٨٨؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ٢، ص ٤٤٥.

ولا تصح هذه الأخبار في حق الأحنف بن قيس فالمشهور عنه خلاف ذلك، راجع ترجمته فيما تقدم، ص ١٠٤.

[مُخَقُّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ]

٢ ومن مُخَقُّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَّ الْحَبْلَ^١ لَمَّا اضْطَرَبَ عِنْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ^٢، قَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى مِئْبَرِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ إِمَامٍ يُقَاتِلُ عَدُوَّكُمْ، وَيَجِيئُ فَيْتَكُمْ وَيَقْسِمُ بَيْنَكُمْ، فَاخْتَارُوا رَجُلًا يَلِي أَمْرَكُمْ حَتَّى يَضْطَلِحَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى رَجُلٍ فَتَدْخُلُوا فِي اخْتِيَارِهِمْ^٣، فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَخْنَفُ فَقَالَ: أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ [٤٤١ظ] الرَّجُلِ. ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ فَبَايَعَهُ وَتَتَابَعُوا كُلَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ^٤.

^١ اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم واختل أمرهم، والحبل موضع معروف بالبصرة على شاطئ نهر دجلة، وهو رأس ميدان زياد، وربما كان هذا الموضع مكان اجتماعهم على هذه الحال. انظر: - ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٥٤٤؛ أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم من أساء البلاد و المواضع تحقيق مصطفى السقا، طبعة عالم الكتب بيروت المصورة عن طبعة القاهرة ١٩٤٥م، ج ٢، ص ٤٢١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٤.

^٢ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي. الخليفة، أبو خالد القرشي، بويح له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه، توفي سنة ٦٦٤هـ/ ٦٨٣م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٣٨-٣٤١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٥-٤٠.

^٣ ورد ما قاله عبيد الله بن زياد في خطبته لدى: أبو سعد الأبي: نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ٥، ص ١٢. وهاك نصه: «... وخطب بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ. انْسُبُونِي، وَاللَّهِ مَا مَهَابَجُرُ أَبِي إِلَّا إِلَيْكُمْ، وَمَا مَوْلَدِي إِلَّا فِيكُمْ، وَمَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْكُمْ. وَاللَّهِ لَقَدْ وَلِيْتُكُمْ أَبِي وَمَا مُقَاتِلَتِكُمْ إِلَّا أُرْبَعُونَ أَلْفًا. وَلَقَدْ بَلَغَ بِهَا تَمَازِينَ أَلْفًا. وَمَا دُرَيْتِكُمْ إِلَّا ثَمَانُونَ أَلْفًا، وَقَدْ بَلَغَ بِهَا عَشْرِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ. وَأَنْتُمْ أَوْسَعُ النَّاسِ جِلَادًا، وَأَبْعَدُهُ مَقَادًا، وَأَكْثَرُهُ جُنُودًا، وَأَغْنَى النَّاسِ عَنِ النَّاسِ. انظُرُوا رَجُلًا تَوَلَّوْهُ أَمْرَكُمْ، يَكْتُفُ سُفْهَاءَكُمْ، وَيَجِيئُ فَيْتَكُمْ، وَيَقْسِمُ بَيْنَكُمْ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ. فَلَمَّا أَبَوْا عَلَيْهِ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي يَدْعُوَكُمْ لِكِنْ تَأْمِيرِي حَدَاثَةَ عَهْدٍ بِأَمْرِي».

^٤ قارن الخبر في: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٥٨.

ومن مُحَقِّهِمْ أَنْ مَسْعُودٌ^٥ بن عمرو الأزدي^١ دخل على عبد الملك وإفدا من عند الحجاج، فأراد أن يُطْرِبَهُ وَيُعْظِمَ شَأْنَهُ، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، قد خررتنا من خَوْفِ الحجاج. ٣

ومن مُحَقِّهِمْ أن الثأفال البُكرائي^٢ كان فاجراً خليعاً، فكان قد فسق برجلٍ كَرِهْنَا أن نُسَمِّيَهُ وَلَوْ لَا [أَنَّ] جَحْشَوْنِيهِ كَشَفَ ذلك عن نَفْسِهِ ما ذَكَرْنَاهُ، فَخَطَبَ الثأفال بنتَ المفعول به وظنَّ أن تزويجها لا يحلُّ له لفسقهِ بأبيها، فأتى الحسن البصريَّ، وهو جالسٌ والناسُ عنده، فقال: يا أبا سعيد ما تقولُ في رجلٍ نكحَ رجلاً، أمحلُّ له أن يتزوج ابنته؟ فقال له الحسن: لعلك أردت أنه نكح أمها قال: لا، أنا أذري ما سعت فيهِ، فأعرض عنه الحسن. ٦ ٩

وليس في الأرض بصريٌّ يَدْخُلُ الكُتَّابَ إِلَّا وله كُرْبِيٌّ يَجْلِسُ عَلَيْهِ لِئَلَّا تَأْكُلَ الأَرْضُ ثَوْبَهُ، ومن يُخْلِمْ أن صاحب باقلاً^٣ كان في بعضِ سِكَكِهِمْ، فَأَخْرَجُوهُ وقالوا: تَعْلَمُ^٤ صَيَّانَتَا الإِسْرَافِ وَيَقْتُلُهُمُ الجُوعُ^٥ لِأَنَّهُمْ يَشْتَرُونَ منك بِخُبْزِهِمْ باقلاً. ١٢

^(٥) في الأصل: سُفْيَان بن مَسْعُود بن عمرو الأزدي، وهو خطأ.

^(٤) في الأصل: تَعْلَمُ.

^(٣) في الأصل: بالجوع.

^١ هو مسعود بن عمرو بن عدي بن مُحَارِب بن مَلِيح بن شَرطَانَ بن مَعْن بن مالك بن قَهْم. سيّد الأزد، أخو المهلب بن أبي صُفْرة لأمه، يقال له قَمَر العراق لجماله، قتلته بنو تميم. وهو الذي أجاز عُبيد الله بن زياد أيام الفتنة. راجع في ترجمته وأخباره: ابن دريد الأزدي: الاشتقاق، مراجعة وتحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ١٩٩١م، ص ٥٠٢؛ الدارقطني، المؤلف والمختلف، ص ١٤٧١، ٢٠٥٠.

^٢ كذا في الأصل. ولعله أبو السَّكَّ الأسدي، وله ذكر في أنساب الأشراف، للبلاذري، ج ١، ص ٣٧.

^٣ البقل ما نبت في بزره لا في أرومة ثابتة. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة [ب ق ل]، ج ٢٨، ص ٩٩.

وَأَخْرَجُوا غَرِيبًا كَانَ نَازِلًا فِي بَعْضِ سِكَكِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: أَيُّ شَيْءٍ أَجْرَمْتُ
إِيكُمْ؟ قَالُوا: تَأْكُلُ اللَّحْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ.

٣ وَلَقِيَ بَعْضُهُمْ صَاحِبًا لَهُ فَقَالَ: أَعْرَبِي نَعْلَكَ إِلَى الْكَلَا بِتَغْلِيْقٍ، يُرِيدُ أَنَّهُ يُعَلِّقُهَا
بِيَدِهِ وَيَمْشِي لِيَطْنَ النَّاسُ أَثْمًا مُنْقَطِعَةً الشَّرَاكِ.

٦ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَهْلُ بَلَدَةٍ أَطْمَعُ وَلَا أَدَقُّ أَخْلَاقًا وَأَنْظَرَ فِي الْخَطَرِ الْحَسِيْسِ
مَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَ حَبَّ الْأُرْزِ فِي السَّمَوَاتِ، وَأَرْبَعُ حَبَّاتٍ أُرْزٌ حَبَّةٌ شَعِيرٍ، وَلَا
تَعْرِفُ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْبُلْدَانِ إِلَّا [فِي] بَلَدِهِمْ.

٩ وَمَنْ فَضَّلَ الْكُوفَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ أَنَّ مُلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ طَافُوا الْأَقَاقِ وَأَخْتَارُوا
الْبِلَادَ، فَوَقَعَ اخْتِيَارُهُمْ عَلَى الْكُوفَةِ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهَا، مِنْ ذَلِكَ الْأَنْبَارِ نَزَلَهَا دَارًا بِن
دَارًا^١، وَجَدِيْمَةُ الْأَبْرَشِ^٢، [١٥] وَمِنْهَا بَابِلُ نَزَلَهَا بُخْتُ نَصْر^٣، وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ
مِنَ الْمُلُوكِ.

^١ دَارًا بِن دَارًا بِن بَهْمَنَ بِنِ إِسْفَنْدِيَارِ بِنِ يَسْتَأْسَفِ بِنِ بَهْرَاسَفِ، وَالْفَرَسِ تَسْمَى دَارًا هَذَا بِاللُّغَةِ الْأُولَى مِنْ لُغَاتِهِمْ
دَارِيوسَ، قَتَلَهُ الْإِسْكَانْدَرُ بِنِ فُلَيْسِ الْمَقْدُونِيِّ، وَكَانَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً. انظر: المسعودي: مروج
الذهب ومعادن الجواهر، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٧.

^٢ جَدِيْمَةُ بِنِ مَالِكِ بِنِ فُهْمِ التُّوْخِيِّ، أَوَّلُ مَلِكٍ مِنْ قُضَاعَةَ، يُقَالُ لَهُ: الْأَبْرَشُ، وَالْوَضَاحُ، لِبَرَصٍ كَانَ بِهِ. كَانَ لَا
يَنَادِمُ أَحَدًا، وَيَنَادِمُ الْفَرَقْدِيْنَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الْمَنْجْنِيْقَ، وَأَوَّلُ مَنْ حَدِيثَ لَهُ النَّعَالِ، وَأَوَّلُ مَنْ رَفَعَ لَهُ
السَّمْعَ. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص ٦٤٥؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن
الجواهر، ج ٢، ٦٦-٦٧.

^٣ بَخْتُ نَصْرَ بِنِ بَيْتِ بِنِ جَوْذَرِزِ الْمَلِكِ الْبَابِلِيِّ. دَخَلَ دِمَشْقَ وَمَضَى مِنْهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَخَرَّبَهَا، وَسَمَى أَهْلَهَا
وَحَمَلَهُمْ إِلَى بَابِلَ، وَقِيلَ إِنَّهُ آمَنَ بَعْدَ ذَلِكَ. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ج ١، ص ٤٦-٤٨؛
ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٧١، ص ٣٤٢.

ومنها مَدَائِنُ كِسْرَى نَزَلَهَا أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ^١، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ إِلَى
يَزْدَجَرْدٍ^٢. ومنها الْخَوْرَنْقُ^٣ نَزَلَهُ بَهْرَامُ جُورٌ^٤ وَالتَّعْمَانُ بْنُ الشَّقِيقَةِ^٥ وَغَيْرَهُمَا مِنْ
مُلُوكِ الْعَرَبِ. ٣

^١ أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك من ولد بهمن بن إسفنديار، وهو الذي أزال ملوك الطوائف، ويسمى ملكه ملك الاجتماع، ملك أربع عشرة سنة وشهورًا. انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة المصرية، بغداد، ١٩٨٣م، ص ٨٧.

^٢ يزدجرد بن بهرام بن سابور، ذي الأكتاف، كان فظا غليظا مهيبا للناس سفاكا للدماء، لا يكافى على حسن بلاء، منانا، لا يتجاوز عن زلة وإن صغرت، شكوا إلى الله ودعوا الله عليه فنجاه فرس لم ير في مثل حسنه وكماله حتى وقف ببابه فلما خرج رحمة ففقي عليه. انظر في ترجمته وأخباره: أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٥١-٥٥؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمة، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١٦٦.

^٣ الخورنق: موضع مشهور بظاهر الكوفة كان فيه القصر المعروف بهذا الاسم، مضرب الأمثال في أشعار العرب، وهو من أعظم المنشئات التي ورثها العرب عن الفرس، واختلف المؤرخون فيمن بناه فمنهم من قال إنه من بناء النعمان بن امرئ القيس، وقال بعضهم من بناء بهرام جور بن يزدجرد. انظر: - الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٥-٦٨؛ وقد اهتم ابن الفقيه بقصة بناء الخورنق ونقلها عن الهيثم بن عدي، وأبقى مختصر الكتاب على معظمها، وعن ابن الفقيه أخذها ياقوت الحموي. قارن مختصر كتاب البلدان، ص ١٧٦-١٧٩، ومعجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠١-٤٠٣.

^٤ بهرام جور بن يزدجرد الحشن بن بهرام كرمان شاه بن سابور ذي الأكتاف، تولى بعد يزدجرد الأئيم، وكانت مدة ولايته ٢٣ سنة. انظر في أخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٦٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٨-٨٠.

^٥ هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر، قيل إن أمه هي الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، ولذلك قيل له النعمان بن الشقيقة. وهو النعمان الأكبر، وكان أعور، وهو الذي بنى الخورنق. انظر: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٦٤٧.

ومنها الحيرةُ تَزَلُّها عمرو بن عدي^١ وولدهُ بعدهُ إلى عمرو وقابوس ابني المنذر،
و النعمان بن المنذر^٢، وإياس بن قبيصة الطائي^٣، حتى جاء الله بالإسلام، وإنما
كانت البصرةُ منازلَ ينزلها الجند مثل منجشان صاحب المنجشانية^٤ ومن أشبهه من
السفلة والأتباع.

وهم الذين شخصوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال الأحنف: يا أمير
المؤمنين، إن إخواننا من أهل مضر نزلوا منازل فرعون، وإن إخواننا من أهل
الشام نزلوا منازل ملوك الروم، وإن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا بين حيرة النعمان
ومدائن كسرى، في مثل حولاء الناقة، أو حدقة البعير العاسقة في جنان خضبية،
وأهبار عذبة يأتيهم ما يأتيهم من رزقهم غريضا غصا^٥.

^١ عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن ثمار بن لحم. ينسب
إلى أشلاء فنص بن معد المتفرقين بين الحيرة والأنبار. انظر: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٦١٨-٦٤٦؛
الطبري: المصدر السابق، ج ١، ص ٦١١-٦١٩.

^٢ النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. راجع في ترجمته وأخباره:
الطبري: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٤.

^٣ إياس بن قبيصة الطائي ولي الحيرة تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز ولسنة وثمانية أشهر من ولايته بُعث
النبي ﷺ، ملكه أبرويز مكان النعمان واستعمل معه مرزباناً من الفرس يقال له: النخريجان. راجع الطبري:
المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٣.

^٤ والمنجشانية: حد كان بين العرب والمعجم بظاهر البصرة قبل أن تخط، تنسب إلى ذي منجشان الحميري؛
وقيل: هي منسوبة إلى منجشي، أو منجشان مولى قيس بن مسعود. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،
ج ٥، ص ٢٠٨.

^٥ قارن الخبر بتامه لدى: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٣١٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء [في ذكر
ترجمة وأخبار الأحنف بن قيس]، ج ٤، ص ٨٩.

وَأَنَا نَزَلْنَا فِي سَبْحَةِ هَشَّاشَةٍ نَشَّاشَةٍ زَعِقَةٍ^(a)، لَا يَجِفُّ ثَرَاهَا وَلَا يَنْبُتُ مَرْعَاهَا، عَسَفَتْهَا الْفَلَاةُ مِنْ خَلْفِهَا وَخَنَقَهَا الْبَحْرُ الْأَجَاجُ مِنْ أَمَامِهَا، يَأْتِيهَا مَا آتَاهَا فِي مِثْلِ حُلُقُومٍ^(b) النَّعَامَةِ، فَلَا تُرِيدُ مِنَ الْفَخْرِ عَلَيْهِمْ بِطَيْبِ الْمَنَازِلِ إِلَّا بِنَا أَقْرَبَ بِهِ صَاحِبُهُمْ^٣.

وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ يَشْرَبُونَ الْمَاءَ الْمَالِجَ حَتَّى وَلِيَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَحَقَّرَ لَهُمْ نَهْرًا مِنَ الْبَطِيحَةِ فَهَمَّ يُسَمُّونَهُ نَهْرَ ابْنِ عُمَرَ، وَفِيهِ يَقُولُ بَشَّارٌ فِي شِعْرِ طَوِيلٍ^٦: (شِعْر)

لَا تَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا قَالَ قَائِلُنَا^(c) نِعَمَ الْأَمِيرِ فِدَاهُ^(d) السَّمْعُ وَالْبَصْرُ
أَرَوَى مِنَ الْعَذْبِ هَامَاتٍ مُصَرَّدَةً قَدْ كَانَ أَرَزَى بَيْنَ الْمِلْحِ وَالْكَدْرُ
وَقَالَ شَاعِرُنَا يَصِفُ الْكُوفَةَ وَطَيْبَ هَوَائِهَا، وَأَنَّ الشَّامَ ارْتَفَعَتْ عَنْهَا وَالْبَصْرَةَ سَقَلَتْ
منها: [مجزوء الرمل]

سَقَلَتْ عَنْ بَرْدٍ أَرْضٍ زَادَهَا الْبَرْدُ عَذَابًا
وَعَلَّتْ عَنْ حَرٍّ أَرْضٍ يُلْهَبُ النَّارُ التَّهَابَا
مَزَجَتْ حَرًّا بِبَرْدٍ فَصَفَا الْعَيْشُ وَطَابَا

^(a) في الأصل: زعفة. والتصويب من كتاب الحلم: لابن أبي الدنيا. ^(b) في كتاب الحلم: مريء.

^(c) في ديوان بشار: شاربنا. ^(d) في ديوان بشار: كفاه.

^١ أورد ابن الفقيه هذا الخبر بتصريف طفيف والخبر بتمامه لدى: ابن أبي الدنيا: كتاب الحلم، مؤسسة الكتب

الثقافية، بيروت ١٩٩٢م، ص ٧٦، وقارن أيضا: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج، ٢٤، ص ٣١٢.

^٢ بشار بن برد بن يرجوخ، أبو معاذ البصري الضرير، نشأ بالبصرة وقدم بغداد، أدرك الدولة الأموية والعباسية، اتهم بالزندقة في خلافة المهدي فبات ضريبا بالسياط، ودفن بالبصرة سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢١، والأبيات في ديوان بشار، جمعه وشرحه وعلق عليه: محمد الطاهر ابن عاشور، ط ٦، الجزائر، ٢٠٠٧م. ج ٣، ص ١٧٧-١٧٨.

ولم يزل عمال العراق ينزلون الكوفة يرونها [١٥] أعذب ماء وأصفى هواء وأطيب تراباً، وكل الأرض جعلها الله للمسلمين طهوراً ومسجداً إلا أرض البصرة، فإنه ليس يستطيع أحد أن يتيمم ولا يصلي على أرضها لقدرها وفسادها وكثرة سارها، وما نزلها من أمراء العراق أحد إلا الحجاج مديدة، ثم تحوّل إلى واسط، ومسلمة بن عبد الملك أياماً حين قتل يزيد بن المهلب.

فأما الكوفة فأكثر الولاة كانوا ينزلونها ويقيمون بها، ولا يمضون إلى البصرة إلا لحادثة تحدث أو فتق يحدث، وكان خالد بن عبد الله القسري^١ يسميها الذفراء، وكذلك يوسف بن عمر^٢.

ولما ولي يزيد بن عمر بن هبيرة^٣ العراق لم يختر شيئاً على الكوفة وبني عند قنطرتها مدينة وسمّاها الهبيرة، وهي المعروفة بقصر ابن هبيرة، ولم يزل مقيماً بالكوفة حتى جاءت الدولة الهاشمية فتحوّل إلى واسط.

ومن الكوفة ظهرت دولة بني العباس وفيها كان وزيرهم، وبها عقد هم الملك.

^١ خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، البجلي الأمير المشهور، ولي مكة للوليد بن عبد الملك، ولي العراق لهشام بن عبد الملك، توفي سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م، انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٢٨.

^٢ يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل. ولي اليمن لهشام بن عبد الملك، ثم ولاة العراقين. وأقره الوليد بن يزيد. ووفد على الوليد، وطلب أن يضم إليه خراسان، ففعل. توفي سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٧٤، ص ٢٤٧.

^٣ يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك. أصله من الشام، ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروان بن محمد يوم غلب على دمشق، وجمع له ولاية العراق. توفي سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٦٥، ص ٣٢٤-٣٣٥.

والكُوفَةُ بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ، وَالْبَصْرَةُ بِمَنْزِلَةِ الْكُرَاعِ مِنَ الْأَدِيمِ. ثُمَّ نَزَلَ
 الْمَهْدِيُّ بِالْكُوفَةِ وَبَنَى الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ بِالْحَيْرَةِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ
 ٣ يَنْزِلُهُ وَبَنَى بِهَا قَصْرَ أَبِي الْخَصِيبِ عَلَى طَرَفِ النَّجَفِ فِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ: (شِعْر)

[عجزوه الكامل]

يا دار غَيْرَ رَسْمِهَا مَرُّ الشَّمَالِ مَعَ الْجَنُوبِ
 بَيْنَ الْحَوَزَتَيْنِ فَالْسَّيْدِيرِ فِطْنِ قَصْرِ أَبِي الْخَصِيبِ
 فَالْدَيْرِ فَالنَّجَفِ الْأَسْمِ حِيَالَ أَرْبَابِ الصَّلِيبِ

٦ وَلَا يَخْتَجُّ عَلَيْنَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَنَّ أَحَدًا مِنْ وُلاةِ الْعِرَاقِ نَزَلَهَا إِلَّا زِيَادًا، وَعُبَيْدَ اللَّهِ
 ابْنَهُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ وَطَنُهَا وَمَنْشَأُهَا، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى تَنْتَهَا وَمُلُوحَةِ مَائِهَا، وَشِدَّةِ حَرِّهَا،
 وَكَثْرَةِ بَقْعِهَا، وَكُدُورَةِ هَوَائِهَا، وَفَسَادِ طَيِّبَتِهَا يُطِيلَانِ الْمَقَامَ بِهَا، بَلْ كَانَ أَكْثَرَ مَقَامِهَا
 ٩ بِالْكُوفَةِ، وَبِحَسْبِكَ أَنَّ السَّمَكَ فِي تَهْرِهَا لَا يَصْبِرُ عَلَى مُلُوحَةِ الْمَاءِ حَتَّى يَنْتَقِلَ، فَإِذَا
 كَانَ سَمَكُ الْبَحْرِ لَا يَصْبِرُ، فَكَيْفَ يَنْبَغِي لِذَوِي الْعُقُولِ أَنْ يَفْخَرُوا بِهَا [١٦٦].

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ بَلَدِنَا عَلَى بَلَدِهِمْ إِلَّا أَنَّا لَا نَحْتَاجُ إِلَى دِبَاغِ الْعَفْصِ^١
 ١٢ وَقُشُورِ الرُّمَّانِ فِي الصَّيْفِ لَكَانَ ذَلِكَ فَضْلًا عَظِيمًا. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْفُرَاتَ
 وَدِجْلَةَ تَهْرَانٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ»^٢.

^١ العفص: شجر وثمر معروف بهذا الاسم، يتخذ منه الحبر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٤٥-

٥٥: الزبيدي: تاج العروس، ج ١٨، ص ٣٥-٣٦.

^٢ أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة بلفظ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار

الجنة» راجع: باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم [٧٣٤٠].

وقد خصنا الله بعذوبتيهما وبردهما، وحرم الله على أهل البصرة أن يدوقوا منها
 قطرة حتى يختلط بها البحر الأجاج، فهم كما قال الله - جل وعز -: ﴿وَتَأْدَى
 ٢ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ
 اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الاعراف: ٥٠].

وقدم أبو شدقم العنبري^١ البصرة فملح عليه الماء واشتد عليه الحر، وأذاه
 ٦ تهاوش ريحها وكثرة بعوضها، ثم مطرت السماء فصارت رديغا^٢، فقال: (شعر)

[البسيط]

اشكوا إلى الله ممسنا ومضبنا
 وأن منزلنا أمسى بمعترك
 ما كنت أدري وقد عمرت مذرم
 ثميجني نفعات من يمانية
 كاتهن على الأجدال كل صحى
 يا ليتنا قد حللنا واديا خضب^(ب)
 وحبدا شربة من سنة خلتي
 ويعد شقتنا يا أم أيوب
 يزيد طبعنا وقع الأهاضب
 ما قصر أوس وما سح^(ا) الميازيب
 من نحو نجد وتنعاب الغرايب
 مجالس من بني حام أو النوب
 أو حاجزا نضبا غص العايب^(ج)
 من ماء صدا تسلي كل مكروب

^(ا) لدى ياقوت: بح.

^(ب) في الأصل: أنفا، والتصويب من ياقوت الحموي: معجم البلدان. ^(ج) لدى ياقوت: التعايب.

^١ أبو الأشعث الصنعاني شراحيل بن شرحبيل بن كليب بن أدة، نزل بأخرة دمشق وروى عنه بعض أهل الشام، وتوفي في ولاية معاوية بن أبي سفيان. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٥٣٦؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٢٥٥.

^٢ أي كثيرة الوحل. ونقل ياقوت الحموي: في كتابه معجم البلدان، هذا الخبر بتامه، ثم نسبه إلى ابن الفقيه دون تصرف. ج ٣، ص ٣٩٦.

وَأَذَاهُ قَدَرَهَا فَقَالَ أَيْضًا (شِعْر):

[الطويل]

إِذَا مَا سَقَى اللَّهُ الْبِلَادَ فَلَا سَقَى
بِلَادٌ تَهْبُ الرِّيحُ فِيهَا حَيْثُ
بِلَادًا بِهَا سَيْحَانُ بَرَقًا وَلَا رَعْدًا
وَتَزْدَادُ نَتْنَا حِينَ تُمْطَرُ أَوْ تَنْدَى
إِلَى قَصْرِ أَوْسٍ فَاَنْظُرْنَ هَلْ تَرَى نَجْدًا
خَلِيلِي أَشْرَفَ فَوْقَ غُرْفَةِ دِرْهَمِ

وقال أعرابيٌ قَدَمَهَا: فنزل إلى جانبِ دارِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ^١: (شِعْر)

[الطويل]

هَلِ اللَّهُ مِنْ وَاوِيِ الْبُصَيْرَةِ مُخْرِجِي
وَأَصْبَحُ قَدْ جَاوَزْتُ سَيْحَانَ سَالِمًا
فَأَصْبِحُ لَا تَنْدُو لِعَيْنِي قُصُورَهَا
وَأَسْلَمَنِي أَسْوَأَهَا وَجُسُورَهَا
وَمَرَبْدَهَا الْمُدْرَى عَلَيْنَا ثُرَابُهُ
إِذَا شَحَجَتْ بِغَالُهُ وَحَمِيرَهَا
فَنُضْجِي بِهَا غُبَرَ الرُّؤُوسِ كَأَنَّنا
أَنَابِيُّ مَوْتَى نُبْسِ عَنْهَا قُبُورَهَا

٣ [١٦ظ] وقال أبو تغلبٍ يَذْكُرُ تَنْتَهَا وَقَدَرَهَا: (شِعْر)

[المنسرح]

يَا رَبِّ لَا تَسْقِ نازِلَ الْبَصْرَةَ
فَهِيَ عَلَيَّ كُلِّ حَالَةٍ قَدْرَةَ
تَأْتِيكَ مِنْهَا إِذَا نَزَلَتْ بِهَا
رَوَائِحُ مِنْ رَوَائِحِ الْعَدْرَةَ

فقال عليُّ بن هشامٍ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ يُوسُفَ^٢ عَدَدَ عُيُوبِ الْبَصْرَةَ
وَمِثَالِيَهُمْ وَتَرَكَ ما عَلَيَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ، فَلَيْتَ كانَ الَّذِي ذَكَرَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةَ عَلَيَّ ما
ذَكَرَ، فَمَا يَعْرِفُهُ إِلَّا خَوَاصُّ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ نَظَرَ فِي الْأُمُورِ وَبَحَثَ عَنِ الْمَسْتُورِ.

^١ محمد بن سليمان بن علي، ابن عم السفاح. ولي البصرة في عهد المهدي، ثم قدم بغداد مبايعاً الرشيد. توفي سنة

١٧٣هـ/٧٩٠م، انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، ج ٣، ص ٢٥١.

^٢ تقدمت ترجمتهم ص ١٤٨، ١٤٩.

فَأَمَّا عُيُوبُ الْكُوفَةِ فَأَوْضَحَ مِنَ النَّهَارِ وَأَيُّنُ مِنَ الشَّمْسِ، تَعْرِفُهَا الْعَايِقُ فِي خَذِرِهَا، وَالْعَجُوزُ فِي مِحْرَابِهَا، وَالصَّبِيُّ فِي كُتَابِهَا.

٢ قال المأمون: فَأَيُّ شَيْءٍ تَعْرِفُ؟ قال: عليٌّ أَوَّلُ ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ الْمُجْتَمِعَةَ أَبْدَانَهُمْ، الْمُخْتَلِفَةَ^(٥) أَهْوَاؤُهُمْ، مَا عَزَّتْ^(٦) دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ مِنْ قَاسَاكُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِنُ الضَّمَّ الصَّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْحَوْدَ الْكِعَابَ، إِنْ قُلْتُ لَكُمْ انْفِرُوا فِي الشِّتَاءِ: قُلْتُمْ: امْهَلْنَا يَذْهَبُ عَنَّا الصَّرُّ وَالقَرُّ، إِنْ قُلْتُ انْفِرُوا فِي الصَّيْفِ: قُلْتُمْ: امْهَلْنَا تَذْهَبُ عَنَّا حِمَارَةُ الْقَيْظِ وَأَجِيجُ الْحَرِّ، أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلِ، أَيَّةُ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْتَعُونَ، أَمْ عَنَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ فِي خُطْبَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ^(٧).

فقال أحمد بن يوسف: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا انْتَقَضَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ، وَخَالَفَهُ أَكْثَرُ [ها] اخْتَارَنَا لِنَفْسِهِ وَرَضِينَا لِنَصْرِهِ، فَكُنَّا إِذَا أَحْسَنَّا دَعَا لَنَا وَأَثَرْنَا عَلَيْنَا، وَإِذَا أَسَانَا عَابَتْنَا وَاسْتَبَطَانَا كَمَا يُعَابِتُ الرَّجُلُ وَلَدَهُ، وَإِنَّكَ لَتَعَلَّمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ انْحَدَرَ مِنَ الْمَدِينَةِ يُرِيدُ الْبَصْرَةَ فَتَزَلَ ذَا قَارَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْنَا فَخَرَجْنَا لِنَصْرِهِ عَلَى الصَّعْبِ [و١٧] الذَّلُولِ فَنَصَرْتَاهُ قَبْلَ أَنْ تَرَاهُ وَأَزْرَتَاهُ بَعْدَ أَنْ رَأَاهُ، فَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتُمْ الشُّعَارُ وَأَنْتُمْ الدَّنَائِرُ وَفِيكُمْ مَحْيَايَ وَعِنْدَكُمْ مَمَاتِي، وَكَانَ يَقُولُ: اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مَكَّةَ فَاخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَجْرَتَهُ الْمَدِينَةَ.

(٥) في أنساب الأشراف، بزيادة: قلوبهم.

(٦) في الأصل: عدت، والتصويب من البلاذري: أنساب الأشراف؛ الجاحظ: البيان والتبيين.

^١ قارن هذا الخبر لدى كل من الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٨٠.

- وكان يقول على منبر البصرة: يا أهل البصرة، يا أهل الحيرة، يا أهل تدمر، يا أهل المؤتفكة انتفكت بأهلها ثلاث مرات، وعلى الله تمام الرابعة،^(أ) يا جند المرأة، يا أنصار البهيمية، رغا فأجبتهم وعقر فانهزمتهم، أخلاقكم دقاق، وعيبيكم نفاق، وماؤكم زعاق^(أ)، وقد لعنكم الله ورسوله، فالمقيم بذنب والحارج عنها بنجاة^٢.
- قال علي بن هشام: فإن أهل الكوفة قتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتله ابن الملقم^٣ وكان نازلاً في دار الأشعث^٤، وتزوج قطام التميمية^٥.
- فقال أحمد بن يوسف: احتججت على نفسك، إن كان من أهل الكوفة فكيف ينزل دار الأشعث ويترك داره وقومه؟ إنما هو رجل من مضرم من كان مع محمد بن أبي بكر رضي الله عنه فلما قتله عمرو بن العاص رضي الله عنه ومضى جنده إلى علي رضي الله عنه وكان ابن الملقم فيهم.

(أ-ب) لدى المسعودي: «يا جند المرأة، يا أتباع البهيمية، رغا فأجبتهم وعقر فانهزمتهم، أخلاقكم رفاق، وأعمالكم نفاق، ودينكم زيغ وشقاق، وماؤكم أجاج وزعاق».

^١ قارن: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج، ٢، ص ٣٦٨.

^٢ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج، ٥، ص ٢١٩.

^٣ عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدمري الحميري، كان من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه صفين. ثم خرج عليه وتمهد بقتله. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج، ٣، ص ٣٣-٣٩.

^٤ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، الأمير المشهور الذي خرج على الحجاج وأيده جمع من القراء والعلماء والصلحاء. فانتصر عليهم الحجاج في معركة دير الجاجم، ثم هرب إلى رتبيل ملك الهند. وتوفي سنة ٨٢هـ/ انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج، ٤، ص ١٨٣-١٨٤.

^٥ قطام بنت شجنة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تميم الرباب، قتل علي رضي الله عنه أباه وأخاه يوم نهروان. للمزيد راجع: ابن سعد: المصدر السابق، ج، ٣، ص ٣٦.

وقال عمرو بن الحارث^١: فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَرَّوهُ
وَكَتَبُوا إِلَيْهِ حَتَّى كَانَ مَعَهُ وَفَرَّ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَكَانُوا هُمْ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَتَلُوا
زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ، وَيَحْيَى بْنَ زَيْدٍ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^٢ - وَغَرَّوهُمَا وَخَذَلُوهُمَا.
قال العباسي^٣: قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ بَلَدٌ أَجْمَعَ أَهْلُهُ عَلَى حُبِّ بَنِي
هَاشِمٍ إِلَّا الْكُوفَةَ، وَمَا قُتِلَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ إِلَّا وَحَوْلَهُ قَتْلًا
مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، تَخْتَلِطُ دِمَاؤُهُمْ بِدَمِهِ.

فَأَمَّا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَشْرَافِكُمْ، فَأَمَّا مُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ^٤، فَإِنَّهُ أَخَذَ
الرَّسُولَ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَقَطْرٍ^٥ اللَّيْثِيُّ^٦ فَدَفَعَهُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَتَهُ بِحْرِيَّةَ
كَانَتْ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ وَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ، وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ أَنْ يُسْفِكَ دَمَهُ [١٧] مَعَهُ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهَلْ سَمِعَ
سَامِعٌ بِمِثْلِ أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ؟ وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا لَقُوا جِبَالَ الْحَدِيدِ حَتَّى قُتِلُوا حَوْلَهُ.

^٤ في الأصل: عبد الله بن يقطن، وهو خطأ.

^١ عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري المصري ولد سنة ٧٩٠هـ/٧٠٨م وتوفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥ ج. ٥، ص ٥٨٩؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار المعارف النظامية، الهند، ١٩٠٨م، ج ٨، ص ١٤-١٥.

^٢ تقدمت ترجمتهم، ص ٩٩.

^٣ أبو موسى العباسي، ولاة الخليفة المأمون إمامة الصلاة وموسم الحج في اليمن: راجع: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ٢، ص ٤٧٥.

^٤ تقدمت ترجمته ص ١٤٧.

^٥ عبد الله بن بقطر، أخو الإمام الحسين عليه السلام من الرضاعة، قُتل سنة ٦١هـ/٦٨٠م. انظر: ابن حبان: الثقات، ج ٢، ص ٣١٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٩٩.

[تفاضل البصرة والكوفة]

٣ قال الحجاج ابن خزيمة^(a) ١: فإن الله قد أعطى أهل البصرة ما لم يعط أهل الكوفة، إن الماء يغدوا عليهم إذا غدوا إلى ضياعهم، فيأخذونه إذا أرادوه، وإن استغنوا عنه حجبوه.

٦ قال أحمد بن يوسف: ما رأيت ذلك عندهم، فلم تنقطع أعناقهم من العطش فلا يشربون حسوتين^٢ إلا بالمتجنون^٣ والإبل؛ فإن عطب بعير أو انكسرت منجنوته وأبطأ الموكل بذلك تعطلت السقيات وإنما يقيم لهم الماء ساعة في أول النهار وساعة في آخره. ٩

وما أخذ من أهل البصرة يشرب الماء العذب إلا أن يتصدق به عليه، ومتى كثر عليهم الماء خافوا الغرق وضربوا الفساطيط على المكان الذي يخشونه، وإن قل عطشوا حتى يمزجوا الماء بالخل من ملوحته، وإن المريض منهم ليقال له ما تشتهي؟ فيقول: الماء العذب، وهم يسمون ماءنا "الماء الحي"، وإذا قدم الغائب، وكان طريقه على الماء العذب، أخذ منه ليقرقه هدايا على أقاربه وأهله وإخوانه، وماؤهم صبابه المياه ومغيض الأنهار. ١٥

^(a) في الأصل: خزيمة

^١ تقدمت ترجمته ص ١٤٨.

^٢ الحشوة هي: ملاء الفم، وقيل الحسوة والغرفة بمعنى واحد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٤، ص ١٧٧.

^٣ المتجنون هو: الدولاب يستقى عليه ويديره الثور أو الفرس. انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج ١٣، ص ٤٢٣؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٦، ص ١٥١-١٥٢.

قال ابن عيَّاش الهمداني^١: لأبي بكر الهذلي^٢ يومَ فآخره عند أبي العباس السَّفاح^٣: إِنَّا الكُوفَةُ مثل اللَّهَاءِ من البدنِ يَأْتِيهَا المَاءُ بِرَدِّهِ وَعُدُوَّتِهِ، والبَصْرَةُ بِمَنْزِلَةِ المَاءِ يَأْتِيهَا المَاءُ بَعْدَ تَغْيِيرِهِ وَفَسَادِهِ^٤.

وكان بالبصرة رجلٌ من أهل الكوفة يقال له المعدَّل بن غيلان^٥، ففآخرهم يوماً فقال: ألسنتم تزوونَ أَنَّهُ من بآل في المَاءِ القَائِمِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا تَغْيِرُ عَقْلُهُ؟ قالوا: بلى. قال: فهو ذا أَنتم يشربُ أحدكم المَاءِ القَائِمِ المُبَالِ فيه ثَمَانِينَ سنة فكيف تكونُ عقولكمُ مثلَ عقولِ أهلِ الكُوفَةِ؟ فَمَا استَطَاعُوا أَنْ يُجِيبُوهُ.

فقال عمرو بن الحارث: [١٨١] فَإِنَّ لِأَهْلِ البَصْرَةِ الرُّطْبَ الَّذِي لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَكْثَرَ وَلَا أَلَدَّ مِنْهُ؛ فقال ابن يوسُفَ: أَمَّا الكَثْرَةُ فَلَيْسَ بِزَائِدَةٍ فِي الطَّيِّبِ وَلَوْ كَانَ الكَثِيرُ طَيِّبًا لَكَانَ بَعْرُ الإِبِلِ طَيِّبًا مِنَ الجَوْزِ، وَأَمَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّ أَهْلَ العِرَاقِ

^١ عبد الله بن عيَّاش المتوفى الهمداني الكوفي، كنيته أبو الجراح، أحد أصحاب الأخبار ورواة الأنساب والأشعار مع دراية وفهم. كان كيتسا صاحب نوادر. سمي بالمتوفى لأنه كان يتف لحيته كلما كبرت، توفي سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١٨٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج ٤، ص ١٥٤١.

^٢ اسمه سُلمِيُّ بن عبد الله أبو بكر الهذلي، البصري الأخباري، من الضعفاء، توفي سنة ١٦٧هـ/٧٨٤م. انظر في ترجمته: الإمام المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٣٣، ص ١٦٠.

^٣ انظر: المختصر صفحات، ١٦٧-١٧٣.

^٤ نقل ابن الفقيه هذا الخبر من ابن قتيبة دون أن يشير. قارن: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٢٠.

^٥ المعدل بن غيلان بن الحكم بن أعين العبدي، أديب شاعر من أهل الكوفة، ثم انتقل إلى البصرة وسكنها. راجع في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٨٨؛ الدارقطني: المؤتلف والمختلف، ج ٤، ص ٢١٣٣-٢١٣٤.

- اجتمعوا ليلة في سمير عند يزيد بن عمر بن هبيرة^١، فقالوا: أي البلدين أطيب تمرًا، الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان^٢: بل تمرنا أطيب وأعدب، ولنا على البصرة فضل العنب الرازقي في طيبه والسونابي^٣ في حلاوته، والحمري في رقيقه، فإذا فخر البصري بالعب ذكر عنبا هم يسمونه المنزوري، وما رأيت الحصى قط يُباع حتى رأيت هذا العنب يُباع.
- ٦ قال علي بن هشام: فإن لأهل البصرة فيلسوفي الإسلام اللذين استخرجوا النحو والعروض: أبو الأسود الدؤلي، والحليل بن أحمد.
- فقال عمرو بن مسعدة: أما العروض فهو وإن كان علمًا فما يحتاج إليه كثير من الناس وليس في علم الأشراف، وأما النحو فإن أبا الأسود احتاج إليه لفساد السنة أهل البصرة ولم يحتاج [إليه] أصحابنا لفصاحتهم.
- ٩ ولئن كان أبو الأسود تقدم في النحو فإن لأصحابنا الفصاحة في العلم بالقرآن والإعراب به، والمعرفة بوجوه القراءات حتى أكثر القراء بقراءتهم يقرؤون، ومنا الفقهاء والعلماء والأدباء والفصحاء والنجباء والشجعان والفرسان المذكورون والشعراء المعروفون

^١ في الأصل: السوناني، وهو خطأ. والصواب ما أثبت، وهو نسبة إلى سونايًا من قرى بغداد.

^١ تقدمت ترجمته انظر: ص ١٦٧.

^٢ خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم الأشجعي، وأحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان راوية للأخبار خطيبًا مقررًا بليغًا، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالدًا القسري، صاحب تصنيف وحيد، توفي سنة ١٣٥هـ/٧٥٣م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٠٣؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٣١-١٢٣٥.

قال علي بن هشام: فإن [أبا] عمرو بن العلاء من أنبل الناس وأفصحهم لساناً.
قال ابن يوسف: إن كان الناس يقولون أبو عمرو الراوية^٢ كما يقولون حماد الراوية^٣
فهو مثله؛ إذ كان ديوان الشعر مجموعاً في قلبه، ومن مثل المفضل^٤ في رواية أشعار
الشعراء وأشعار القبائل وأيام الجاهلية وأخبارهم.
ومتى خالد بن كلثوم^٥، كان إذا علم شيئاً أذاه كما سمعه، [لا كمن]^٦ كان
يروي الخبر لا أضل له وربما زاد فيه ونقص منه.

^٦ زيادة يقتضيها السياق.

^١ أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان، المازني اللغوي النحوي الثقة، أحد القراء السبعة، إمام أهل البصرة
في القراءة والنحو توفي سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م. انظر ترجمته وأخباره في: القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م-١٩٧٤م. ج ٤، ص ١٣١-١٣٨؛ الذهبي:
معرفة القراء الكبار، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٥٨-٦٠.

^٢ قنبر بن المحرر الباهلي، أبو عمرو الراوية: من أهل البصرة الكثيرين للرواية. انظر في أخباره: ياقوت
الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٢٣٦.

^٣ حماد بن مسيرة بن المبارك بن عبيد الديلمي، مولى بكر بن وائل، وقيل مكنف بن زيد الخليل الكوفي المعروف
بالراوية. من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، توفي سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٣م. انظر
في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٦٩؛ ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٥٤١.

^٤ أبو العباس المفضل بن محمد بن أبي يعلى بن عامر بن سالم بن أبي الرثال، كوفي مشهور بحفظ أشعار العرب،
جمع للخليفة المهدي الأشعار المختارة المسماة «المفضليات». انظر في ترجمته وأخباره ابن قتيبة: المعارف،
ص ٥٤٥-٥٤٦؛ النديم: الفهرست، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦.

^٥ خالد بن كلثوم بن سمي الكلي الكوفي، رواية لأشعار القبائل وأخبارها، وعارف بالأنساب والألقاب
وأيام الناس. راجع في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ١، ص ١٩٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء،
ج ٣، ص ١٢٣٦-١٢٣٧؛ القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ٣٥٢.

قال عمرو بن الحارث: [١٨ظ] فَإِنَّ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ أَبَا بَكْرٍ الْهَنْدَلِيَّ أَعْلَمَ^٥ النَّاسِ
بِالْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ. قال عمرو بن مسعدة: فأين هو من قبيصة بن ذؤيب الأسدي^١
وعبد الملك المعيطي^٢ وعبد الله بن عياش الهمداني، والحجاج بن أرطاة النخعي^٣،
هم كلّموه عند السفّاح فما تأتّى له الرّدّ عليهم^٤.

ومنا الثقة المؤمن هشام بن محمد بن سائب الكلبي الذي ملأ الآفاق علماً،
وأبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي^٥، والهيثم بن عدي^٦

^٥ في الأصل: أعلى.

^١ هو قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن أصرم، من خزاعة، يكنى أبا إسحاق، كان من أثر
الناس عند عبد الملك بن مروان، ولاء ديوان الخاتم والبريد؛ فكان يقرأ الكتب إذا وردت، ثم يدخلها على
عبد الملك فيخبره بها فيها. توفي سنة ٦٨هـ/٧٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى،
ج ٥، ص ١٦٧؛ طبقات خليفة بن خياط، ص ٥٦٥؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج ٧، ص ١٧٤.

^٢ لم أجد له ترجمة. وربما قصد الوليد بن هشام المعيطي، عامل عمر بن عبد العزيز على قنشرين والصوائف.
^٣ الحجاج بن أرطاة النخعي من الشرفاء الأثرياء، ولي قضاء البصرة لأبي جعفر المنصور، وتوفي بالري في
خلافته. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٥٩؛ وكيع: أخبار القضاة، ج ٢،
ص ٤٤-٥٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ١٣٣.

^٤ انظر: المختصر صفحات، ١٦٧-١٧٣.

^٥ أبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي، الكوفي، له العديد من التصانيف في علم التاريخ
والرجال، توفي سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م. انظر ترجمته وتصانيفه في: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢.
ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٢٥٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٣٠١-٣٠٢.

^٦ الهيثم بن عدي الثعلبي، أبو عبد الرحمن، كوفي أخباري علامة رواية، كان نشأاً ولكن غلبت عليه رواية الأخبار.
يكثر ابن الفقيه الأخذ عنه، واختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م، ٢٠٧هـ/٨٢٣م. انظر: ابن
قتيبة: المعارف، ص ٥٣٧-٥٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٦، ص ٧٦-٨٢.

قال الحجاج: أوليس دغفل بن حنظلة الشيباني^١ من أهل البصرة؟ قال ابن يونس: فإن النخار العذري^٢ كوفي، وهلال بن الكيس النمري^٣ وابن لسان الحمرة^٤ التيمي، ومحمد بن السائب الكلبي، وهشام بن محمد، والمتوفى، والشري بن القطامي، وما منهم أحد إلا كما قال الأول: (شعر) [الطويل]

وما كان بين الحافقين قبيلة يقال اشتروهم واحد فنبادله
قال الحجاج: فإن خطباء البصرة أخطب وأبلغ، منهم عبد الله بن الأهمم^٥،
وصفوان بن الأهمم^٦، وخالد بن صفوان^٧.

^١ في الأصل: الحميري، والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.

^٢ في الأصل: الحمي، والتصويب من المعارف.

^١ دغفل بن حنظلة بن زيد، النسابة العلامة السدوسي الشيباني، يضرب به المثل في معرفة الأنساب. قيل: إنه لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظاً. توفي في حدود ٦٠هـ/٦٨٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٥٣٤؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٨٨.

^٢ النخار بن أوس بن أير بن عمرو من ولد عبد مناف بن الحارث بن سعد بن قضاة، من أعلم الناس بأنساب العرب. توفي في حدود سنة ٦٠هـ/٦٨٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الدارقطني: المؤتلف والمختلف؛ ج ٤، ص ٢٢٢٧؛ السمعاني: الأنساب، ج ١٣، ص ٥٣.

^٣ زيد بن الحارث بن هلال الكيس النمري، النسابة، قيل عنه إنه يقارب دغفل في العلم بأنساب العرب. راجع في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص ٩٥؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠١.

^٤ حصين بن ربيعة بن صقر بن كلاب التيمي، من أنساب العرب وأعظمهم بصراً. راجع ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٣٥.
^٥ عبد الله بن الأهمم، خطيب مشهور روى عن المدنيين وعمر بن عبد العزيز، وروى عنه أهل الشام. انظر: ابن حبان: الثقات، ج ٧، ص ١٣.

^٦ صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم، أحد الخطباء المفوهين، وفد على سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز. راجع: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ١٤٦.

^٧ تقدمت ترجمته ص ١٧٦.

وشَيْبُ بن شَيْبَةَ^١. فقال عمرو: فأين هم من خُطَبَاءِ الكُوفَةِ مثل صَعْصَعَةَ بنِ صُوحَانَ^٢ والقَعْقَاعِ بن عمرو الأَسَدِيِّ^٣، ومَصْقَلَةَ بن رَقَبَةَ العَبْدِيِّ^٤، ومُحَمَّد بن المُفَضَّل الضَّبِّي^٥، وإبنه [من] خُطَبَاءِ الرَّشِيدِ وخُطَبَائِكَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ.^٦

قال عَلِيُّ بن هِشَام: فَإِنَّ الشُّعْرَاءَ بالبَصْرَةِ أشْعَرُ وأكثرُ، منهم جَرِير والفَرَزْدَقُ وذُو الرُّمَّة^٧ ويزِيدُ بن الحَكَمِ^٨.

^(٨) في الأصل: السكوي. والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.

- ^١ شيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأهم بن سمي بن سنان، صاحب فصاحة وأدب، قدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به، وبالمهدي من بعده، وكان كريماً عليهما، أثيراً عندهما. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٣٧٧.
- ^٢ صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث بن المهجرس، يكنى أبا طلحة، من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام، شهد معه موقعة الجمل، وكان خطيباً مفوها ثقة قليل الحديث، توفي في خلافة معاوية عليه السلام. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٢١؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٠٢؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٧٩-٨٠.
- ^٣ القعقاع بن عمرو التميمي، أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، وله صحبة، شهد اليرموك والقادسية وفتح دمشق، كان شاعراً فحلاً. توفي سنة ٤٠ هـ/٦٦١ م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب، ج ٣، ص ١٢٨٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٣٧٨.
- ^٤ مصقلة بن كرب بن رقة العبدي، أحد الخطباء المشهورين. انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٧.
- ^٥ محمد بن زياد، وكنى أبا عبد الله. يذكر أنه ربيب المفضل الضبي صاحب المفضليات. ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٤٦.
- ^٦ مرت ترجمتهم. انظر: ص ١١٧؛ ص ١٤٩.
- ^٧ يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري من فصحاء الشعراء، روى عن عمه عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس بينه وبين الحكم ابن أبي العاص والد مروان نسب، ولاء الحجاج ملكة فارس لشرفه وقرباته منه. انظر في ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥١٩.

والعجاج^١، ورؤبة^٢، وأبو النجم^٣، فهل لأهل الكوفة مثلهم؟
قال عمرو: أمّا جرير فإنه أعرابي، صاحب عمود وبيت شعر، كان يدخل
البصرة كما يدخل الكوفة، وكان أكثر دهره باليامة، ومنّا الشّياخ^٤، ومزرد^٥،
ولبيد^٦.

^١ العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر. ويقال إن اسم العجاج عبد الله، وكنيته أبو الشعثاء. راجز مجيد من الشعراء. وهو والد رؤبة الراجز المشهور أيضاً. توفي نحو سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٥٧٥-٥٧٧.

^٢ رؤبة بن العجاج بن رؤبة التميمي السعدي الراجز، ويكنى أبا الجحاف، من الفصحاء المشهورين، من أعرابي البصرة مخضرم، عمّر حتى سقطت أسنانه. توفي سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م. انظر في ترجمته وأخباره: البخاري: التاريخ الكبير، ج ٣، ص ٣٤٠؛ ابن قتيبة: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٧٨-٥٨١؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١٨، ص ٢١٦-٢١٧.

^٣ الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من أكابر الرّجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان. توفي سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٧٤٥-٧٥١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٥٨٨-٥٩٠؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣١٠-٣١١.

^٤ الشّياخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إياس، شاعر مخضرم، من طبقة لبيد والنابعة، كان شديد في ميزان الشعر، توفي سنة ٢٢٢هـ / ٦٤٣م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٣٠٤؛ الأمدى: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص ١٧٧-١٧٨.

^٥ مزرد بن ضرار المازني الذيباني الغطفاني، اسمه يزيد، ويكنى أبا ضرار، وهو أخو الشّياخ بن ضرار، ولقب مزرداً ببيت قاله، وله أشعار وشهرة، وكان هجاء خبيث اللسان. وأدرك الإسلام فأسلم، توفي في حدود ١٠هـ / ٦٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٩٦.

^٦ لبيد بن ربيعة بن مالك، أدرك الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بنى كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، توفي سنة ٤١هـ / ٦٦١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٢٦٦-٢٧٧.

وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ^١، وَالْكَمَيْتُ بْنُ مَعْرُوفِ الْأَسَدِيِّ^٢، وَعَمْرُو بْنُ شَأْسٍ^٣،
وَصَاحِبُ الْبُرْجِيِّ^٤، وَالْحَطِيبَةُ^٥، وَأَبُو مِجْنَانَ التَّقْفِي^٦، وَأَبُو سَمَّالٍ^٧ الْأَسَدِيُّ^٨، وَأَبُو
زَيْدِ الطَّائِي^٩، وَالنَّجَاشِيُّ الْحَارِثِيُّ^{١٠}.

^٨ في الأصل: أبو شمال، والتصويب من ابن قتيبة: الشعر والشعراء.

- ^١ عباس بن مرداس السلمى الحجازي، يكنى أبا الهيثم، له صحبة حسن إسلامه، وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفه قلوبهم من غنائم غزوة حنين مائة من الإبل. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٨١٧-٨١٩.
- ^٢ الكُمَيْتُ بْنُ مَعْرُوفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ نُوْفَلِ الْأَسَدِيِّ، يكنى أبا أيوب، شاعر مخضرم عاش أكثر حياته في الإسلام، يعرف بالكُمَيْتِ الْأَوْسَطِ لِتَوَسُّطِهِ فِي الزَّمَنِ بَيْنَ جَدِّهِ الْكُمَيْتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَالْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ. وَهُوَ أَشْعَرُهُمْ قَرِيبَةً. تُوْفِيَ سَنَةَ ٦٧٠هـ/٦٨٠م. انظر في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٤٧.
- ^٣ عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي، يكنى أبا عرار. شاعر مقدّم، أسلم في صدر الإسلام، وشهد القادسية، توفي سنة ٢٠هـ/٦٤٠م، انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤١٥-٤١٦؛ ابن الجراح: من اسمه عمرو من الشعراء، ص ١١٢؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢١٢-٢١٣.
- ^٤ ضامِنُ بْنُ الْحَارِثِ الْبُرْجِيِّ، شاعر مشهور بالفحش، حبسه وأدبه عثمان بن عفان ﷺ في ذلك. انظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٠٣.
- ^٥ جَرُولُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْمَلِكِ الْعَبْسِيِّ، يكنى أبا ملكية. شاعر مخضرم متين الشَّعْرِ شُرُودَ الْقَافِيَةِ، هَمَّجَاءٌ لَمْ يَكْدِ يَسْلَمُ مِنْ لِسَانِهِ أَحَدٌ، حَبَسَهُ عُمَرُ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَنَهَاهُ عَنْ هَجَاءِ النَّاسِ. تُوْفِيَ سَنَةَ ٤٥هـ/٦٦٥م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ١٠٤-١١٢؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣١٠-٣١٦.
- ^٦ عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف، أحد الشعراء الأبطال الكرماء في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة ٦٣١هـ/٦٣١م. وتوفي سنة ٣٠هـ/٦٥٠م. انظر في ترجمته: ابن سلام الجمحي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٩.
- ^٧ سمعان بن هُبَيْرَةَ بْنِ مَسَاحِقِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ، شاعر فصيح. حدّه علي بن أبي طالب ﷺ لشره الخمر مع النجاشي الحارثي في نهار رمضان. انظر: الأمدى: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص ١٧٥.
- ^٨ حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة، يتصل نسبة ييعرب بن قحطان، شاعر جاهلي من قبيلة طيء في اليمن، قيل إنه عاش مائة وخمسين عامًا وأدرك الإسلام وأسلم، واستعمله عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ عَلَى صَدَقَاتِ قَوْمِهِ بَنِي طَيْئٍ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ بَقِيَ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ. تُوْفِيَ سَنَةَ ٤١هـ/٦٦١م. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٥٩٣؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٢٩٢.

وأعشى همدان^١، وعمرو بن معديكرب^٢، وعدي بن حاتم^٣، وعروة بن زيد الخيل^٤، وابن [١٩٩] مقبل^٥، والقطامي^٦، وكعب بن جعيل^٧.

^(٥) في الأصل: الخليلي.

^١ عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني، شاعر البيايين بالكوفة، وأحد فرسان الشعر في الدولة الأموية، توفي سنة ٨٨٣/٧٠٢م. انظر: الأمدى: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص ١٥-١٦.

^٢ عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، يكنى أبا ثور، أحد فرسان العرب المشهورين الذين عرفوا بالبأس والنجدة، توفي سنة ٦٤٢/٥٢١م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٦٠؛ ابن الجراح: من اسمه عمرو من الشعراء، ص ١٣٦-١٣٩.

^٣ عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، يكنى أبا طريف، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا في طبع، ولم يزل مع علي بن أبي طالب عليه السلام وشهد معه الجمل وصفين، وذهبت عينه يوم الجمل، ومات بالكوفة سنة ٦٨٨/٦٨م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ١٠٥٧-١٠٥٩.

^٤ عروة بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي، شاعر قائد، أحد رجال الفتوح الإسلامية المشهورين ببلاد المشرق، جُمعت له بلاد الديلم والري، وسماه عُمر بن الخطاب عليه السلام بالبشير، وشهد القادسية. توفي سنة ٦٥٧/٣٧م. انظر في أخباره: البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٣٠٩.

^٥ تميم بن أبي بن مقبل العجلاني، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم، عاش نيفًا ومائة سنة وعدد في المخضرمين. توفي سنة ٦٥٧/٣٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ١٤٣؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤٤٦.

^٦ عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد التغلبي، أبو سعيد الملقب بالقطامي. كان شاعرًا فحلًا، رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال. توفي سنة ٧٤٧/١٣٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٥٣٤؛ الأمدى: المؤلف والمختلف، ج ١، ص ٢١٨.

^٧ كعب بن جعيل بن قمبر بن عجرة التغلبي، شاعر تغلب في عصره، مخضرم عُرف في الجاهلية والإسلام. كان لا يتزل بقوم إلا أكرموه وضربروا له قبة، شهد صفين، كان يمدح أهل الشام ويرد عنهم، توفي سنة ٦٧٥/٥٥٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٧١-٢٧٥؛ المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص ١٠٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٤٤.

١ والجحّاف بن حكيم^١، وغيرهم من الشعراء المجوّدين. قال عمرو بن الحارث: فإنّ الأسخياء بالبصرة أكثر منهم بالكوفة، منهم عبد الرحمن بن أبي بكر، وطلحة الطلحات فهل سمعت بمثلها؟!.

٢ قال بن مسعدة: فينا عدي بن حاتم الجواد ابن الجواد، وعبد الملك بن بشر بن مروان^٢، ومحمد ابن عمير بن عطار^٣.

٦ قال عمرو بن الحارث: فإنه لم يل العراق أحد من أهل الكوفة، وقد وليها غير واحد من أهل البصرة منهم زياد وابنه، وي زيد بن المهلب^٤.

^١ الجحّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس السلمي، شاعر قاد قومه وأغار على بني تغلب فقتل منهم الكثير، فأهدر عبد الملك بن مروان دمه؛ فهرب إلى بلاد الروم سبع سنين، فمات عبد الملك، وعفا عنه الوليد. توفي سنة ٧٠٩/هـ ٧٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: الأمدي: المصدر السابق، ص ٩٤؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٧٢، ص ٥١-٥٢.

^٢ عبد الملك بن بشر بن مروان، أحد أمراء بني أمية المشهورين بالسخاء وإطعام الطعام فكان ممن يتوسعون في الطعام ولا يمنعونه من حضر، ولأه مسلمة بن عبد الملك البصرة. قتل بواسط سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. انظر أخباره في: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٢٩-٣٣٠؛

^٣ محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة التميمي الدارمي، أحد أشراف أهل الكوفة وأجوادهم. توفي في حدود سنة ٧٠٥/هـ ٧٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حبيب: المحبر، تحقيق: إيليزه ليختشن اشتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٩٤٢م. ص ١٥٤؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٢٥؛ ابن حبان: الثقات، ج ٥، ص ٣٦١.

^٤ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، يكنى أبا خالد: أحد القادة الشجعان الأجواد. ولأه عبد الملك بن مروان خراسان بعد أبيه. توفي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٤؛ ابن عساکر: المصدر السابق، ج ٧٤، ص ١١٩-١٢٢.

قال ابن مسعدة: هذا الحسن بن سهل^١ معنا في المجلس ومن قبله عي بن أبي سعيد^٢، كلاهما قد ولي العراق، وثالثهما الفضل بن سهل^٣، ولي المشرق والمغرب ودعي له على أكثر منابر الأرض في ولاية واحدة، فهل لأهل البصرة مثله؟^٢

قال الحجاج: فمن أهل البصرة كتاب أمراء العراق، منهم صالح بن عبد الرحمن، وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية، وهو كاتب الحجاج بن يوسف، ومنهم المغيرة بن أبي قرّة^٤، كاتب المهلب، وشيبة بن أيمن^٥ كاتب يوسف بن عمر، وقحذم^٦ مولى أبي بكر^٦ كاتب يوسف^٧.

^٤ في الأصل: أبي أوفى، وهو خطأ. ^٥ في الأصل: أبي بكر. والتصويب من: طبقات خليفة بن خياط.

^١ الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، يكنى أبا محمد، وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره. اشتهر بالذكاء والأدب والساحة والكرم، توفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٨٤.

^٢ علي بن أبي سعيد، كاتب الخليفة المأمون، لقب بذي القلمين لحسن قلمه في الكتابة، ولي للمأمون ديواني الخراج والجيش. انظر: الثعالبي: ثار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٩٢.

^٣ الفضل بن سهل، أخو الحسن بن سهل، سمّاه المأمون ذا الرياستين لأنه دبر له أمر السيف والقلم، وتولى رئاسة الجيوش والدواوين، توفي سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج ١٤، ص ٢٩٨.

^٤ المغيرة بن أبي قرّة السدوسي، البصري، كاتب زيد بن المهلب، اشترك معه في فتح جرجان في خلافة سليمان بن عبد الملك. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٥٤٤.

^٥ شيبة بن أيمن العنبري، استقدمه عمر بن عبد العزيز من العراق، وجعله كاتباً له. انظر: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٤، ص ٢٤٨-٢٤٩.

^٦ قحذم بن سليمان بن ذكوان، مولى أبي بكر الثقفي، وكاتب خراج العراق في ولاية يوسف بن عمر. عنه انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٦٨.

^٧ المقصود: هو يوسف بن عمر الثقفي، والي العراق لعبد الملك بن مروان. وقد مرت ترجمته ص ١٦٧.

وهَارُونُ بن مَيَّاس^(a) ^١ كاتبُ خَالِدِ بن عَبْدِ الله الْقَسْرِيِّ، وَجَبَلَةُ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ^٢، وَالْقَاسِمُ بن مُسْلِمٍ^٣، وَعَبْدُ رَبِّهِ بن أَيُّوبَ^(b) ^٤، وابنُ أَبِي عُبَيْدٍ^(c) ^٥، وَعُمَيْرُ بن أَبِي مَعْنٍ^٦، وَالْمُغِيرَةُ بن عَطِيَّةَ، وَأَخُوهُ سَعِيدُ بن عَطِيَّةَ^٧.

قال العباسي: أما صالح بن عبد الرحمن: فهو مولى امرأة من أهل الكوفة من بني تميم، ولكن منّا عبد الرحمن بن زياد^(d) ^٨ كاتب الحجاج، وابن سعيد^(e) ^٩ كاتب خالد.

^(a) في الأصل: ابن ياسين، والتصويب من طبقات خليفة.

^(b) في الأصل: أبي أيوب، والتصويب من ابن عساکر: تاريخ دمشق.

^(c) في الأصل: ابن أبي عبيدة.

^(d) في الأصل: زياد بن عبد الرحمن، والتصويب من الطبري: تاريخ الرسل والملوك.

^(e) في الأصل: مسعدة، وهو خطأ، والتصويب من تاريخ خليفة بن خياط.

^١ هارون بن مياس، مولى بني ليث. وكاتب والي العراق خالد بن عبد الله القسري. راجع في أخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٥١.

^٢ جبلة بن عبد الرحمن الباهلي، أبو عبد الرحمن، تولى كرمان لابن هيرة سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م. انظر: تاريخ خليفة، ص ١٦٢، الطبري، ج ٧، ص ١١٧.

^٣ القاسم بن مسلم مولى بني يشكر، من أولاد المكاتبين، عرف بجلده وهيبته وروايته. راجع: ابن حبيب: المحبر، ص ٣٤٧.

^٤ هاشم بن مرثد بن سليمان بن عبد الصمد، ويقال له: عبد الله بن عبد ربه بن أيوب بن مرهوب الطبراني الطيالسي، انظر: ابن عساکر: المصدر السابق، ج ٧٣، ص ٣٤٢.

^٥ المختار بن أبي عبيد، تقدمت ترجمته، ص ١٠٠.

^٦ لم أجد له ترجمة.

^٧ سعيد بن عطية، محدث روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. البخاري، التاريخ الكبير، ج ٣، ص ٥٠٤.

^٨ عبد الرحمن بن زياد بن أبيه، استعمله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على خراسان. انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣١٥.

^٩ داود بن سعيد الكاتب، استعمله أمير العراق خالد بن عبد الله القسري.

و[ابن] عَوْنٍ^١ كَاتِبُ خَالِدٍ، وَيونس بن [أبي] فروة^(أ) ^٢ كَاتِبُ عيسى بن موسى^(ب)، وَعَبْدُ الْجَبَّارِ بن شعيب^(ج) ^٣ وَهَيْثَمُ بن مُسْلِمٍ، كَاتِبَا عَيْسَى بن مُوسَى، وَهَمَّادُ بن مُوسَى^٤ كَاتِبُ مُحَمَّدِ بن سُلَيْمَانَ^٥.

وَكُتَّابُ الْخُلَفَاءِ مَنْ لَمْ يَكْتُبْ لَهُمْ قَطُّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، مِنْهُمْ يَحْيَى بن زِيَادِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ^٦ اسْتَكْتَبَهُ الْمَنْصُورُ وَصَّمَهُ إِلَى جَعْفَرِ ابْنِهِ.

(أ) في الأصل: مروة، والتصويب من الجهشياري، الوزراء والكتّاب.

(ب-ج) في الأصل: يوسف بن عمر. انتقال نظر من الناسخ، والتصويب من الوزراء والكتّاب.

(د) في الأصل: مغيث، والتصويب من: تاريخ خليفة.

^١ عبد الله بن عون بن أرتبان، أبو عون، شيخ أهل البصرة، من العبّاد الثقات، لم يكن بالعراق أعلم منه بالسنة. توفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م. انظر في ترجمته وأخباره: البخاري: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٣؛ ابن حبان: الثقات، ج ٧، ص ٣.

^٢ الربيع بن يونس بن عبد الله بن محمد بن أبي فروة الكاتب، مولى الخليفة أبو جعفر المنصور وحاجبه، كان على رسائل وزير المنصور عيسى بن موسى، انظر في ترجمته وأخباره: الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص ٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٢٣٥.

^٣ عبد الجبار بن شعيب، كاتب ديوان الجند بخراسان في عهد الخليفة المهدي. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٤٢.

^٤ حماد بن موسى الكاتب، كتب للأمير العباسي محمد بن سليمان، وكان مستولياً على أمره. راجع: الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ١٥٠.

^٥ الأمير العباسي محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، تولى البصرة والكوفة تبعاً لأبي جعفر المنصور، ثم المهدي من بعده، تزوج من العباسية أخت هارون الرشيد. توفي سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م. انظر في ترجمته وأخباره: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٩٤-٩٦.

^٦ يحيى بن زياد بن عبد الرحمن الكاتب، ذكره الأصفهاني في: طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م. ج ١، ص ٣٣٩.

وَعَمْرُو بْنُ كَيْلَعٍ^(أ)، وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ ابْنَ حَبِيشٍ^(ب)، هُوَ لِأَنَّ كِتَابَ الْمَنْصُورِ.
وَكِتَابَ الْمَهْدِيِّ: [١٩ظ] عَلِيُّ بْنُ يَقْطِينٍ^(ج)، وَعُمَرُ بْنُ بَزِيعٍ^(د). وَكِتَابَ الرَّشِيدِ:
يَحْيَى بْنُ سَلِيمٍ^(هـ)، وَمَنْصُورَ بْنَ زِيَادٍ^(و)، وَمُجَاشِعَ بْنَ مَسْعَدَةَ^(ز)، وَيُوسُفَ بْنَ الْقَاسِمِ^(ح).

^(أ) في الأصل: كيلع. والتصويب من الجهشياري: الوزراء والكتاب.

^(ب) في الأصل: عمرو، والتصويب من تاريخ خليفة.

^(ج) في الأصل: سليمان، والتصويب من تاريخ خليفة.

^١ عمرو بن كيلع، قلده المنصور الكوفة ثم صرفه. انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ١٢٤.

^٢ محمد بن حبيش الكاتب، هو الذي تولى بأمر من الخليفة المنصور إخراج الأسواق من داخل المدينة [بغداد] إلى الكرخ. راجع: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩١؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٨، ص ١٩٤.

^٣ علي بن يقطين بن موسى الكوفي، الكاتب. كان على ديوان زمام الأزمة، ثم تولى ديوان الخاتم للخليفة المهدي. توفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٤٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٦٧-١٨٩؛ النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٨١.

^٤ عمر بن بزيع الكاتب، استعمله الخليفة المهدي على ديوان زمام الأزمة، ثم ديوان الرسائل، راجع: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٤٢.

^٥ يحيى بن سليم الكاتب، استعمله أمير المؤمنين هارون الرشيد على ديوان الرسائل خلفاً للكاتب إسماعيل بن صبيح. راجع: المصدر السابق، ص ٤٦٥؛ الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢٨.

^٦ منصور بن زياد، كاتب الفضل بن يحيى بن برمك، نذبه على باب الرشيد تجرئ كنه على يده وتفقد الجوابات عنها إليه، إذ كان يثق به في جميع أموره لتقدم صحبته له. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٤٢.

^٧ مجاشع بن مسعدة، أخو عمرو بن مسعدة، كاتب ديوان الرسائل للخليفة المأمون وأحد ندمائه. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢١٢٥.

^٨ يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب، يكنى أبا القاسم، من بيت بلاغة وفضل، كان على ديوان الإنشاء أيام هارون الرشيد، وخطب يعلم الناس بوفاة موسى الهادي، وتولية الرشيد للخلافة وما أمر به من الأعطيات. توفي سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م. انظر: الطبري، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٣٠.

ثم هؤلاء كُتِّبَ أمير المؤمنين: الحسن بن سهل على الخراج، وعمرو بن مسعدة على الرسائل، وأحمد بن يوسف على الديوان بالجبل وخراسان، ومحمد بن عمران^١ على ديوان البريد بالأفاق، وثابت بن يحيى^٢ منّا وإن كان قد نشأ بالرّي.

قال علي بن هشام: إنَّ أبا عبيدة^٣ زعمَ أنَّ عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قامَ على منبر الكوفة فقال: إنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنِّي^٤ دَابَّةُ الْأَرْضِ^٥ إِنْ كُنْتُمْ كَادِبِينَ فَلَا أَمَاتِكُمْ اللَّهُ حَتَّى يُخْرِجَ مِنْ أَضْلَابِكُمْ نِسَاءَ زَوَائِي.

قال ابن يوسف: كان عليُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتقى لله وأرحمَ بعبادِهِ وأفقه في دينِهِ من أن يقول هذا لقومٍ مسلمينَ، وأمَّا الفجور فمعادَ الله أن يرمي به المسلماتِ، ولكن قد علمَ الله أنَّ النَّهَارِيَّاتِ وَاللَّيْلِيَّاتِ^٥ لَا يُعْرَفْنَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْبُلْدَانِ إِلَّا بِالْبَصْرَةِ، وَلَيْسَ بِالْبَصْرَةِ شَرِيفٌ إِلَّا وَقَد بَنَى فِي دَارِهِ دَكَّانًا تَرْكَبُ مِنْهُ امْرَأَتُهُ وَلَيْسَ بِالْبَصْرَةِ^٦ امْرَأَةٌ

^(٤) في الأصل أن، والزيادة يقتضيها السياق.

^(٦) في الأصل: لها بالبصرة.

^١ لم أقف له على ترجمة؛ ولعله محمد بن عمران التيمي، آخر من تولى قضاء المدينة للخليفة المهدي.

^٢ ثابت بن يحيى بن يسار الرّازي، أبو عباد الكاتب، وزير المأمون، وأحد الإكفاء البارعين في الحساب والأموال، وكان جوادًا سمحًا كريماً. توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج ٢، ص ٥٦١؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١١، ص ١٤٥.

^٣ أبو عبيدة اليهودي: تقدمت ترجمته: ص ٣٢.

^٤ نعت رأس النفاق عبد الله بن سبأ علي بن أبي طالب ﷺ بهذه الصفة حينما بويع بالمدينة، ووصفه بها جابر الجعفي الكذاب وهو على منبر الكوفة، راجع: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٢، ص ١٤٢، ٥٠٢؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٢، ص ٢٩٨.

^٥ النَّهَارِيَّاتِ أَوِ اللَّيْلِيَّاتِ، أن يتزوج الرجل المرأة بشرط أن يكون عندها نهارًا دون الليل، والعكس، وليس من نكاح أهل الإسلام. انظر: ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، (باب تزويج النهاريات) ج ٣، ص ٥٠٨.

جَلِيلَةٌ إِلَّا وَهَذَا حَرِيفٌ مِنَ الْمُكَارِبِينَ يُخْرِجُهَا إِلَى الْأَعْيَادِ وَالْمَوَاسِمِ وَقَدُومِ الْوَلَاةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ يَكُونُ^١. وَمَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُقَدِّمُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَصَلِّيَ بِهِمْ حَتَّى يُجْبَسَ كَمَا تُجْبَسُ الْإِبِلُ الْجَلَالَةَ^٢ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، لِأَنَّ غِذَاءَهُ السَّمَادُ، فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ.

٣ فقال عليُّ بن هِشَامٍ: أنت بالفحشِ أهدق وبه أرفق ولكن بالبصرة أزع بيوتات من بيوتات العرب^٣ لئس بالكوفة مثلها: بيت بني الجارود، وئس في عبد قيس الكوفة مثلهم، وبيت بني المهلب، لئس في أزد الكوفة مثلهم، وبيت بني مسلم، لئس في قيس الكوفة مثلهم، وبيت بني مسمع، لئس في بكر الكوفة مثلهم. قال عمرو بن مسعدة: أما بيت بني المهلب فإنَّ النَّجَاشِيَّ^٤ قال: (شعر)

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ بِهَا رَبُّ مِنَ الْحَدَثَانِ
فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ سُنُوءَةٍ وَأَمَّا الَّتِي شَلَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

٩ [٢٠] وبالكوفة بيت بني مخنف بن سليم بن مزيقيا بن ماء السماء، لئس في أزد البصرة مثله. وهم بعد ذلك من البيوتات الشريفة ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، فَمِنْهَا بَيْتُ النُّعْمَانَ بْنِ مُقْرِنٍ^٥ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

^١ يعني أن نساء البصرة الجليلات يستأجرهن المكارين من أصحاب الدواب للخروج بهن في المناسبات ولا يستحين من مخالطة الرجال.

^٢ الجلالة: التي تعناد أكل الجيف، ولا تأكل غيره.

^٣ انظر: المختصر: ص ١٧٠.

^٤ تقدمت ترجمته ص ١٠٢.

^٥ النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عمرو، له صنعة، وهو من الأمراء القادة الشجعان. توفي سنة ٦٤٢/٥٢١ م. راجع في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٥٠٥-١٥٠٦.

وقال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَلْ مُقْرِنٍ مِنْ يُبُوتَاتِ الْجَنَّةِ»^١، وَمِنْهُمْ حُدَيْقَةُ بْنُ الْيَمَانَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْهُمْ فَرْسَانُ الْعَرَبِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ: عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ، وَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحَ^٢، وَعُرْوَةُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ^٣ وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ^٤، وَطَلِيحَةُ الْأَسَدِيِّ^٥، وَالْأَشْتَرُ بْنُ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ^٦، وَمَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ^٧.

^٥ في الأصل: الخيلي

^١ لم يثبت عن رسول الله ﷺ في الصحاح ولا في غيرها قول بهذا اللفظ.

^٢ قيس بن هبيرة الملقب بن مكشوح بابن هلال البجلي، أبو شداد، صحابي، من الشجعان الأبطال الشعراء، له مواقف في الفتوحات في زمن عمر وعثمان. قتل في معركة صفين مع علي ﷺ سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٥٢٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣٠٠. سبقت ترجمتهم ص ١٨٢-١٨٣.

^٣ طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمية، من الشجعان الفصحاء، يقال له طليحة الكذاب، وفد على النبي ﷺ مع قومه سنة ٩هـ/٦٣١م. ثم ارتد وادعى النبوة، ثم أسلم في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وأبلى بلاءً حسناً في الفتوحات الإسلامية، وتوفي سنة ٢١هـ/٦٤٢م. راجع في ترجمته وأخباره: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٦١؛ الصقدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٨٤.

^٤ مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث النخعي، من أصحاب علي بن أبي طالب ﷺ، شهد معه الجمل وصفين والمشاهد كلها، وولاه مصر فخرج إليها، فلما كان بالعريش شرب عسلاً مسموماً فمات سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢١٣؛ طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٤٩.

^٥ مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني، استعمله علي بن أبي طالب ﷺ على بعض كور الأهواز، ثم انحاز إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ وتوفي في أثناء فتحه لطبرستان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٥٨، ص ٥٦٩-٢٧٦.

وإبراهيم بن الأشتر^١، وأبو بردة بن أبي موسى^٢، فنحن فينا بيوتات العرب
وأشراف الجاهلية وقُرَّسَانُ الإسلام.

وخَيْرُ الأَقَالِيمِ إقْلِيمُنَا، وخَيْرُ الإقْلِيمِ بِلْدُنَا، وخَيْرُ الأَنْهَارِ نَهْرُنَا، وخَيْرُ الصَّحَابَةِ
فُقَهَاؤُنَا، مِنْهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وابن مسعود، وعمَّار بن ياسر، وحذيفة بن
البيان، وسلَّان^٣ مِنَّا، وَمَسْجِدُنَا الرَّابِعُ فِي الفَضْلِ وفيه يقول الشاعر: (شعر)

[الخفيف]

مَسْجِدٌ كَانَ مِنْ عَلِيٍّ وَسَعْدٍ عَامِرًا بُرْهَةً وَمِنْ عَمَّارِ
وَالرَّجَالِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ الأَوَّلِينَ والأَنْصَارِ

^١ مالك بن الحارث النخعي، أحد الأبطال الشرفاء كآبيه، وكان شيعياً فاضلاً، قتل عبيد الله بن زياد بن أبيه يوم
وقعة الخازر. قتل مع مصعب ابن الزبير عام ٧٢هـ/٦٩٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات
الكبرى، ج ٥، ص ١٠٠؛ تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٥.

^٢ عامر بن عبد الله بن قيس، أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، استعمله الحجاج بن يوسف الثقفي على قضاء
الكوفة، وتوفي سنة ١٠٣هـ/٧٢٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٦٨؛
وكيع: أخبار القضاة، ج ٢، ص ٤٠٨-٤٠٩.

^٣ سلمان الفارسي، أبو عبد الله، قدم على النبي الكريم ﷺ المدينة، أعتقه الرسول ﷺ وصار لبني هاشم، نزل
الكوفة وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان ؓ. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٦،
ص ١٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٦٣٤-٦٣٧.

وفيه يقول السيد بن محمد الحميري^١: (شعر)

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا مِنْ مَسْجِدٍ بَعْدَ مَسْجِدٍ بِمَكَّةَ طَهْرًا أَوْ مُصَلًّى يَثْرِبِ
بِشَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ عَلِمْنَا مَكَانَهُ^(a) مِنْ الْأَرْضِ مَعْمُورًا وَلَا مُتَجَنِّبِ
[و] بَابَيْنِ^(b) فَضلاً^(c) مِنْ مُصَلًّى مُبَارِكِ بِكُوفَانَ رَحْبِ ذِي أُوَاسٍ^(d) وَمُحْصَبِ
مُصَلًّى بِهِ نُوحٌ تَائِلٌ وَابْتَنَى بِهِ ذَاتَ حَيْزُومٍ وَصَدْرٍ وَمُحَنَّبِ
وَفَارَ بِهِ التَّنُورُ مَاءً وَعِنْدَهُ^(e) لَهُ قَيْلٌ قُمْ يَا نُوحُ^(f) فِي الْفُلِّكَ فَارْكَبِ
وَبَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ مَمَرٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدَبِ

وَلَيْسَ فِينَا قَدَرِيٌّ وَلَا خَارِجِيٌّ. فقال المأمون للبصريين: قد نظرتُ في أمرِكُمْ
وَسَمِعْتُ قَوْلَكُمْ وَفَهَمْتُ اخْتِجَاجَكُمْ، فَمَا لُمْتُكُمْ فِي جِدَالٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ، وَلَكِنِّي
رَأَيْتُ مَثَلَكُمْ فِي مُفَاخَرَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: (شعر)

[البيط]

يَا جَارٍ قَدْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَمَكْرَمَةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعَاءَ مِنْ جَارِيَتِهِ أُمَّ

^(a) في الأصل: مكنا، والتصويب من ديوان الحميري؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان.

^(b) لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، بأين.

^(c) في الأصل: فضل، والتصويب من ديوان الحميري؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان.

^(d) في الأصل: أواسي، والتصويب من ياقوت؛ وفي ديوان الحميري: ذي أراس.

^(e) في الأصل: عندها، والتصويب من ديوان الحميري؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان.

^(f) لدى ياقوت: أيا نوح؛ وفي ديوان الحميري: يا نوح ففي الفلك.

^١ انظر ديوان السيد الحميري: لإسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، المتوفى سنة

ثم دعا المأمون صاحب بيت حكيمته^١ فقال: اجعل هذا الكتاب في خواص
كتبتنا.

٣ ثم قال علي بن صالح^٢ للقوم: انهمضوا. فنهضوا، وانقضى المجلس.

والحمد لله رب العالمين.

٦

^١ سهل بن هارون بن راهيون الدستيمساني، صاحب خزانة الحكمة للمأمون، كان حكيمًا فصيحًا شاعرًا،
أشتهر بالبخل والشعوبية، والعصبية على العرب، توفي سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م، راجع في ترجمته الجاحظ: البيان
والتنبيه، ج ١ ص ٥٢، النديم: الفهرست، ج ١ ص ٣٧٣-٣٧٤، ياقوت: معجم الأدباء ج ٢ ص ١٤٠٩.
^٢ علي بن صالح، حاجب الخليفة المأمون. انظر: ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص ١٦-١٨.

القَوْلُ فِي وَاسِطٍ

٢ وإِنَّمَا ذَكَرْنَا «وَاسِطًا»^١ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهَا تَوَسَّطَتِ الْمِضْرَيْنِ، أَعْنِي الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ وَاسِطًا.

٦ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَهْدِيٍّ بْنِ [عَبْدِ] كَلَالٍ^٢: بَنَى [هَذَا] الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ فِي سِتِّينَ، وَكَانَ فَرَاغُهُ مِنْهَا فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

٩ وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: إِنَّ الْحَجَّاجَ إِذَا بَنَى وَاسِطًا إِضْرَارًا بِالْمِضْرَيْنِ، يَعْنِي الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَهْدِمَ مَسْجِدَهَا وَأُخْرِبَهَا وَأَزِدَّ كُلَّ قَوْمٍ إِلَى وَطَنِهِمْ. فَقَالَ لَهُ أَبُو مُنْبَهٍ^٣: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(أ) إِنَّهَا قَوْمًا فِيهَا وُلِدُوا وَبِهَا نَشْتُوا^(أ)، لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَهَا، [وَمَسْجِدَهَا] مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ قَدْ قُرئَ فِيهِ الْقُرْآنُ، فَسَكَتَ.

(أ-أ) لدى ابن عساکر: «إِنَّ جُلَّ قَوْمِهَا فِيهَا وُلِدُوا وَبِهَا نَشْتُوا».

^١ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر عند حديثه عن مدينة واسط. انظر: معجم البلدان [مادة: واسط]، ج ٤٨، ص ٣٤٨.٥.
^٢ يحيى بن مهدي بن عبد الرحمن بن عبد كلال الحميري الجبلي من أهل واسط، قدمها في صحبة مسلمة بن عبد الملك. انظر: بختل: تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦ م. ص ١٥٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ١٠٧.

^٣ اختلف فيه فقيل هو أبو المنبه عمر بن منبّه السعدي، وقيل أبو منبه عمر بن يزيد. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ج ٦، ص ١٩٧؛ مسلم: الكنى والأسماء، ج ٢، ص ٨٢٩؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٦٧، ص ٢٥٣.

وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ^١ قَالَ: سَأَلْتُ خَازِمًا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيَّ^٢ أَنْ يَشْهَدَ

عَلَى دَارِ اشْتَرَيْتُهَا بِوَأَسِطَ، فَقَالَ: لَا أَشْهَدُ عَلَى شَيْءٍ يَبِيعُ بِوَأَسِطَ، قُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟
قَالَ: لِأَنَّ الْحَجَّاجَ غَضِبَ عَلَيْهَا.

وَذَكَرْتُ وَأَسِطَ عِنْدَ أَبِي سُفْيَانَ الْحِمَيْرِيِّ^٣ وَقِيلَ: لَيْسَ بِهَا فَأَكِيهَةٌ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا
مَشُومَةٌ، بَنَاهَا رَجُلٌ مَشُومٌ.

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ الْحِمَيْرِيُّ: وَلِيَ الْحَجَّاجُ الْعِرَاقَ عَشْرِينَ سَنَةً قَدِمَهَا سَنَةَ خَمْسَ
وَسَبْعِينَ وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسَ وَتِسْعِينَ فِي شَهْرِ^٤ رَمَضَانَ لَيْلَةَ سَبْعِ وَعَشْرِينَ، وَكَانَتْ

وَلَايَتُهُ فِي [١٩ظ] أَيَّامَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَحَدَ عَشَرَ سَنَةً وَفِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ تِسْعَ
سِنِينَ، وَكَانَ قَدِ وَلِيَ الْحِجَازَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَلَهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ وَلِيَ الْعِرَاقَ فَمَاتَ وَلَهُ
ثَلَاثُ وَخَمْسُونَ سَنَةً^٥، وَدُفِنَ بِوَأَسِطَ عَلَى النَّيْلِ.

^١ في الأصل: الصبي، والتصويب من ابن قتيبة: المعارف.

^٢ في الأصل: شهر.

^١ من الملاحظ تأثر ابن الفقيه بطريقة البلاذري في التأليف ونقل الأخبار، حيث استخدم نفس عباراته واتباع أسلوبه عند نقل أخبار الأمصار؛ إذ كان البلاذري يستفتح نقله بإحدى عبارات ثلاث هي أخبرنا أو حدثنا أو قال لي فلان، جذبًا للأسماع، وتأكيديًا لنقله عن راوٍ ثقة؛ كما نرى أيضًا تأثر ابن الفقيه بالأسلوب الأدبي للجاحظ في طريقة صياغته للأخبار وعرضه لها.

^٢ عبد الله بن خازم السلميّ، أمير خراسان، أحد فرسان العرب في الإسلام ومن أشجع الناس، قتلته بنو غنيم بخرسان، والذي ولي قتله منهم وكيع بن الدورقيّة القرينيّ. انظر في أخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٤١٨؛ عيون الأخبار: ج ١، ص ٢٦١؛ المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج ٢، ص ٦١.

^٣ سعيد بن يحيى بن مهدي بن عبد الرحمن بن عبد كلال الواسطي، توفي بواسط سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٧؛ بحشل: تاريخ واسط، ص ١٥٧.

^٤ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان (مادة واسط) ج ٥، ص ٣٤٧-٣٥٠.

وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عمرو بن مسعود بن عامر بن معتب. وافتتح السند والهند وخراسان وسجستان، وولي الحجاز: مكة والمدينة،^٢ وحج بالناس في حصار ابن الزبير سنة اثنتين وسبعين، وقتل ابن الزبير في جمادى الآخرة، وهو أول من ابنتى مدينة [في] الإسلام وهي واسط، وأول من اتخذ المحامل^١ وضرب الدراهم وكتب عليها ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١].
٦ وقال حميد الأرقط^٢: [الرجز]

أخزى الإله عاجلاً وأجلاً
أول عبد عمل المحاملاً
عبد ثقيف ذاك أزلاً آزلاً

وهو أول من ضرب له الخيش^{٣(أ)}، وأول من أطعم على ألف خوان^٤، على كل خوان عشرة رجال وجنب شوي وثريدة وسمكة، وبرنية عسل وبرنية لبن^٥.

^(أ) في الأصل: الخيش بالسين.

^١ المحامل جمع عمل، وهو الهودج يركب على ظهر البعير، وكان الحجاج أمر بإحكام صنعتها والزيادة في قدرها لينام فيها المسافر. انظر: ابن منظور: لسان العرب ج ١٣ ص ٣٧٦.

^٢ حميد بن مالك الأرقط، من شعراء العرب المشهورين، عاصر الحجاج، ويعدده الجاحظ من جمع الرجز والقصيد من الشعراء، اشتهر بالبخل. انظر في ترجمته وأخباره: الجاحظ: البرصان والرجزان والعميان والحولان، ص ٣٤٤؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٢٥.

^٣ الخيش: هو نوع من الكتان الغليظ، وكان يغسل ويبلل ثم يخيظ على قبة البيت، وبطريقة ما يجعلونه طبقات ويوضع فيها الثلج. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٨٢.

^٤ الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٤٦.

^٥ قارن الخبر في البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٣، ص ٣٧٦.

وكان يقول لمن يُخْضِرُ عَدَاءَهُ وَعَشَاءَهُ: رُسُولِي إِلَيْكُمْ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ
فَاغْدُوا إِلَى عَدَائِكُمْ، وَإِذَا غَرَبَتْ فَرُوحُوا إِلَى عَشَائِكُمْ.

٣ [هو] أَوَّلُ مَنْ أَجَارَ بِالْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِلجَحَافِ بْنِ حَكِيمٍ^١، وَوَلِيَّ العِرَاقِ بَعْدَ
بِشْرِ بْنِ مَرَوَانَ^٢ وَقَدِيمِ الكُوفَةِ وَعَلَيْهِ قَبَاةُ هَرَوِيِّ أَصْفَرٌ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا مُتَنَكِّبًا
قَوْسًا، مُعْتَمِّمًا بِعِمَامَةٍ خَزُّ حَمْرَاءَ، لَا تُرَى إِلَّا عَيْنَاهُ، وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ
٦ الأَشْعَثِ^٣ إِلَّا الشَّعْبِيُّ^٤ وَالغَضْبَانُ بْنُ القَبْعَثِيِّ^٥. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: صَلَّيْتُ خَلْفَ
الحَجَّاجِ بِالكُوفَةِ يَوْمَ جَمْعَةٍ، فَعَدَدْتُ النَّاسَ خَلْفَهُ، فَكَانُوا سِتِّينَ نَفْسًا.

^(١) في الأصل: بشر بن هارون.

^(٢) في الأصل: الغضبان بن يزيد، والتصويب من الجاحظ: البيان والتبيين.

^١ الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس السلمي: شاعر فاتك نائر، كان معاصرًا لعبد الملك بن مروان، كانت
بينه وبين الأخطل ملاحاة هجاء فيها فغزا بنو تغلب قوم الأخطل فقتل منهم عددا، ثم قرأ إلى بلاد الروم،
توفي نحو سنة ٧٩٠هـ/٧٠٩م. انظر أخباره لدى البلاذري: أنساب الأشراف ج ٧ ص ٧٩-٨٣.

^٢ بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، الأمير، استعمله عبد الملك بن مروان على إمارة
العراقين [البصرة والكوفة] وهو أول أمير مات بالبصرة. توفي سنة ٧٥٥هـ/٦٩٤م. انظر: ابن قتيبة: المعارف،
ص ٣٥٥؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٥٣-٢٦٥.

^٣ عبد الرحمن بن الأشعث الكندي، أحد القادة الشجعان، له وقائع مع الحجاج بن يوسف الثقفي، توفي سنة
٨٥٥هـ/٧٠٤م. انظر: تاريخ خليفة، ص ٢٨٠-٢٨٩.

^٤ عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الحميري، يكنى أبا عمرو: أحد التابعين الثقات، راوية يضرب
المثل بحفظه. سُئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا
حفظته. توفي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٩٦؛ ابن قتيبة
المعارف، ص ٤٤٩-٥٠٠؛ ابن حبان: الثقات، ج ٥، ص ١٨٥.

^٥ الغضبان بن القبعثي بن هُوذة الأسعدي الشيباني، من فصحاء العرب، انضم إلى ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج
بن يوسف. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٩٩؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٥٠.

قال: وقدم الحجاج العراق سنة خمس وسبعين ووليها عشرين سنة،^(٥) وبنى
 واسط في ستين، وفرغ سنة ست وثمانين وهي السنة التي مات [٢١] فيها عبد
 الملك^(٦)، ولما فرغ منها كتب إلى عبد الملك: إني اتخذت مدينة في كرش الأرض، بين
 الجبل والمصرين، وسميتها واسط؛ فلذلك سمي أهل واسط الكرشيين^١.
 وقال الأصمعي^٢: وجه الحجاج الأطباء ليرتادوا له موضعاً، فذهبوا يطلبون
 ما بين عين التمر إلى البحر، وجولوا العراق ورجعوا إليه وقالوا: ما أصبنا مكاناً
 أوفق من موضعك هذا في خُفوف الريح وأنف البرية.
 وكان الحجاج قبل اتخاذ واسط أراد نزول الصين من كسكر، وحفر بها نهر
 الصين وجمع له الفعلة، ثم بدا له فعمّر واسط، ونزلها واحتفر النيل والزابي^(ب) وسماه
 زابياً لأخذه من الزابي القديم، وأحصى ما على هذين النهرين من الأرضين.

(٥-٥) لدى ياقوت: «فكان عمارتها في عامين في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان».

(ب) لدى ياقوت: الزاب.

^١ قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٨.

^٢ عبد الملك بن قُريب الأصمعي، أبو سعيد، راوية العرب صاحب لغة ونحو، وكان إماماً في المُلح وغرائب
 البلدان، وكان وثيق الصلة بالرشيد، توفي سنة ٢١٦هـ/٨٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف،
 ص ٥٤٣-٥٤٤؛ النديم: الفهرست، ج ١، ص ١٥٥-١٥٧؛ أبو سعيد السيرافي: أخبار التحوين البصرين،
 ص ٣٦-٥٨.

^٣ نقل ابن الفقيه هذا الخبر من فتوح البلدان للبلاذري بتصرف طفيف إذ عزاه إلى الأصمعي، بينما استفتح البلاذري
 هذه الرواية بقوله: «وحدثني شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم...». فتوح البلدان، ص ٤٠٧؛ وعن ابن الفقيه
 نقل ياقوت الحموي عند حديثه عن واسط إلا أنه صوّب رسم كلمة الزاب فقال: «واحتفر النيل والزاب وسماه
 زاباً لأخذه من الزاب القديم...». انظر: ياقوت الحموي: (مادة واسط) ج ٥، ص ٣٤٧-٣٥٣.

- وأحدث المدينة التي تُعرفُ بالنَّيل ومصرها، وعمد إلى ضياعِ كان عبدُ الله بن
 ١ دَرَّاجٌ مولى معاويةَ بنِ أبي سُفيانَ استخرجها لنفسه^(أ) أيامَ ولايته على خراجِ الكوفةِ
 ٢ مع المُغيرةِ بنِ شُعْبَةَ من مَوَاتٍ مَرْفُوضٍ^٢ ومن مَعَائِضٍ وَأَجَامٍ^٣، وضربَ عليها
 المُسْنِيَّاتِ^٤، ثم قلعَ قصبها ودغلها فحازها^(ب) الحجاجُ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ.
 وقال الوصَّاحُ [مولى يزيد] بنِ عطاء: لقد رأيتُ المفضورةَ بواسط، وإنه ليغشاها
 ٦ أُرْبَعُونَ رجلاً شريفًا من آلِ أسلمَ بنِ زُرْعَةَ الكلابي.
 وحدثَ عليُّ بنِ حَرْبِ الموصليِّ^٥ عن أبي البُخْتَرِيِّ وهبِ بنِ عمرو بنِ كعبِ
 بنِ الحارثِ الحارثيِّ قال: سمعتُ خالي يَحْيَى بنَ الموفَّقِ يُحدثُ عن مسعدةَ بنِ
 ٩ صدقةَ العبديِّ قال: حدثنا عبدُ الله بن عبدِ الرَّحْمَنِ عن سِمَاكِ بنِ حَرْبِ قال:

(أ) لدى البلاذري: فتوح البلدان، استخرجها له.

(ب) في الأصل: فحازه، والتصويب من فتوح البلدان.

^١ عبد الله بن دراج، مولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، استعمله على خراج الكوفة في عام الجماعة. انظر: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٨، ص ٣٥.

^٢ الموات المرفوض: أي الأرض الخربة التي لا يمتلكها أحد. انظر: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٧٤٩.

^٣ المعائض والأجام: المكان الذي يغيب فيه الماء، ثم تنبت به الأشجار. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٠١؛ ج ١٢، ص ٨.

^٤ المسناة: ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء، وسميت بذلك لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما يحتاج إليه. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١٣، ص ٥٤.

^٥ علي بن حرب الطائي الموصلی، أبو الحسن، توفي في شوال سنة ٢٦٥هـ/٨٧٩م. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٦٣.

استَعْمَلَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ عَلَى نَاحِيَةِ بَادُورِيَا^١ فِينَمَا أَنَا يَوْمًا عَلَى شَاطِئِ
دِجْلَةَ وَمَعِيَ صَاحِبٌ لِي، إِذَا أَنَا بِرِجْلِ عَلَى فَرَسٍ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَصَاحَ بِاسْمِي
٣ وَاسْمُ أَبِي، فَقُلْتُ: مَا تَشَاءُ؟ [٢٢].

فَقَالَ: الْوَيْلُ لِأَهْلِ مَدِينَةِ تُبْنَى هَاهُنَا، لِيُقْتَلَنَّ فِيهَا ظُلْمًا سَبْعُونَ [أَلْفًا]^٢ كَرَّرَ
ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَفْحَمَ فَرَسَهُ فِي دِجْلَةَ حَتَّى غَابَ فِي الْمَاءِ فَلَمْ أَرَهُ، فَلَمَّا كَانَ
٦ قَابِلُ سَاقِنِي الْقَضَاءِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَإِذَا أَنَا بِرِجْلِ عَلَى فَرَسٍ، فَصَاحَ كَمَا صَاحَ فِي
الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَقَالَ كَمَا قَالَ وَزَادَ: سَيُقْتَلُ فِيهَا حَوْلَهَا مَا يُسْتَقَلُّ الْحَصَى لِعَدَدِهِمْ، ثُمَّ
أَفْحَمَ فَرَسَهُ فِي الْمَاءِ حَتَّى غَابَ، فَلَمْ أَرَهُ.

٩ قَالَ بَعْضُهُمْ: فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا وَاسِطٌ، وَمَا قُتِلَ فِيهَا الْحَجَّاجُ مِنَ النَّاسِ^٣. وَيُقَالُ:
إِنَّهُ أَحْصَى فِي حَظِيرَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، لَمْ يُحْبَسُوا فِي دَمٍ
وَلَا تَبِعَةٍ وَلَا دَيْنٍ، وَأَحْصَى مِنْ قَتَلَهُ صَبْرًا فَكَانُوا مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ^٤.

^١ ساقطة من الأصل والتمة من ياقوت.

^١ بادوريا: طسوج بالجانب الغربي من بغداد، قال عنها أبو العباس بن الفرات: من استقل من الكتاب يبادوريا
استقل بديوان الخراج، ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة، انظر: ياقوت الحموي، معجم
البلدان، ج ١، ص ٣١٧.

^٢ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر عن ابن الفقيه في كتابه معجم البلدان ولم يشر. انظر: (مادة واسط) ج ٥،
ص ٤٩٣؛ وكذا نقل القزويني عن ياقوت دون إشارة. قارن: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار
صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٤٧٨.

^٣ في هذا الرقم مبالغة واضحة، كما أنه لا يتفق مع تعداد سكان واسط في هذا الوقت، وللمزيد حول شخصية
الحجاج بن يوسف وسياسته راجع: دراسة محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المقتري عليه، دار
السلام، القاهرة، ١٩٩٥م.

- وقال الحسن بن صالح بن حي^(a): أول مسجد بُني بالسَّوَادِ مَسْجِدُ الْمَدَائِنِ، بِنَاؤُهُ سَعْدٌ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ وُضِعَ بَعْدُ وَأُحْكِمَ بِنَاؤُهُ، وَجَرِيَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، وَبِالْمَدَائِنِ مَاتَ حُدَيْفَةُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ بُنِيَ مَسْجِدُ الْكُوفَةِ، ثُمَّ مَسْجِدُ الْأَنْبَارِ. ٣
- وَأَخَذَتْ الْحَجَّاجُ مَدِينَةَ وَاسِطَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ، أَوْ سَنَةِ أَرْبَعٍ، وَبَنَى مَسْجِدَهَا وَقَصْرَهَا وَالْقَبَةَ الْخَضْرَاءَ، وَكَانَتْ [وَاسِطًا]^(b) أَرْضَ قَصَبٍ، فَسُمِّيَتْ وَاسِطَ الْقَصَبِ^(٢)، وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ بِنَائِهَا كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ: اتَّخَذْتُ مَدِينَةَ فِي كِرْشِ الْأَرْضِ، بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْمِضْرَيْنِ، وَسَمَّيْتُهَا وَاسِطَ. ٦
- فَلذَلِكَ سُمِّيَ أَهْلُ وَاسِطَ الْكِرْشِيِّينَ، وَنَقَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى قَصْرِهِ وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ أَبْوَابًا مِنْ زَنْدَوْرَدٍ^(٣) وَالذَّرَوَقَرَةِ^(٤)، وَذَيْرِ مَاسِرِ جِسَانَ^(c) وَسَرَابِيطَ^(d). ٩

^(a) في الأصل: ابن رحي.

^(b) ساقطة من الأصل: والتمة من البلاذري: فتوح البلدان.

^(c) لدى ياقوت: ماسر جيس.

^(d) في فتوح البلدان: شرابيط بالشين.

^١ الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي، أبو عبد الله، روى عنه أهل الكوفة وهو مختف من القوم، وكان فقيهاً مجتهداً متكلماً ورعاً ممن تجرد للعبادة ورفض الرئاسة لتشييع فيه، توفي سنة ١٦٨هـ/٧٨٥م. انظر في ترجمته وأخباره: البخاري: التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٢٩٥؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ٨٥.

^٢ نقل ابن الفقيه هذا الخبر بتمامه من فتوح البلدان للبلاذري، دون تصرف يذكر، ولم يشر. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٧.

^٣ مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة، وقد خربت بعمارة واسط. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤٥.

^٤ بلد كان بالعراق خربه الحجَّاج ونقل آتته عند بنائه لمدينة واسط. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٣.

فَصَحَّ أَهْلُ هَذِهِ الْمَدِينِ وَقَالُوا: قَدْ غَضَبْنَا عَلَى مُدُنِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَيْهِمْ قَوْلُهُمْ^١.
 قال: وحفر خالد بن عبد الله القسريُّ المُبَارَكُ^٢. قال: وَأَنْفَقَ الْحَجَّاجُ عَلَى بِنَاءِ
 قُضْرِهِ وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَالْحَنْدَقَيْنِ وَالسُّورِ وَالْقَصْرِ ثَلَاثَةَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ^٣،
 فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: هَذِهِ نَفَقَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنْ حَسَبَهَا لَكَ [٢٢ظ] أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ.

٦ قال: فَمَا نَضَعُ؟ قال: الْحُرُوبُ لَهَا أَجْمَلٌ، فَاحْتَسَبَ مِنْهَا فِي الْحُرُوبِ بِأَرْبَعَةِ
 وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَاحْتَسَبَ فِي الْبِنَاءِ بِتِسْعَةِ آلاَفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.
 وَلَمَّا فَرَعَ الْحَجَّاجُ مِنْ حُرُوبِهِ^٤ اسْتَوَظَنَ الْكُوفَةَ، فَأُبْعَضَهُ أَهْلُهَا وَأَبْعَضَهُمْ،
 فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ حَرَسِهِ: امضْ فَابْتَعْ^٥ لِي مَوْضِعًا فِي كِرْشٍ مِنَ الْأَرْضِ، ابْنِي فِيهِ
 مَدِينَةً وَلِيَكُنْ^٦ ذَلِكَ عَلَى نَهْرِ جَارٍ، فَأَقْبَلَ يَلْتَمِسُ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ إِلَى قَرْيَةٍ فَوْقَ
 وَاسِطٍ يَسِيرٍ يُقَالُ لَهَا وَاسِطُ الْقَصَبِ، فَبَاتَ بِهَا وَاسْتَطَابَ لَيْلَهَا وَاسْتَعْدَبَ أَنْهَارَهَا

^١ لدى ياقوت: ابتغى لي موضعًا.

^٢ في الأصل: ولكن، والتصويب من ياقوت الحموي: معجم البلدان.

^١ قرأ ياقوت الحموي هذا الخبر بخط ابن برد الخيار [محمد بن علي الشاعر الأخباري في زمن المعتصم] ويعني هذا أنه ربما كان ما قرأه ياقوت تعليق كتبه ابن برد الخيار في نسخته من كتاب فتوح البلدان للبلاذري، ثم ضُمن هذا التعليق في متن كتاب الفتوح عند نسخه، بظن من الناسخ أنه من أصل الكتاب. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٣.

^٢ نهر بواسط احتفزه خالد بن عبد الله القسري أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٠.

^٣ قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٤٩.

^٤ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان [مادة واسط] ج ٥، ص ٣٤٨.

واستمرأ طعامها وشرابها فقال: كم بين هذا الموضع والكوفة؟، فقيل: أربعون
 فرسخاً، فقال: كم منها إلى المدائن؟، قيل: أربعون. قال: فكم إلى الأهواز؟، قيل^٦:
 أربعون، فقال: هذا موضع متوسط، وكتب إلى الحجاج بالخير ومدح له الموضع،
 فكتب إليه: اشتري فيه موضعاً أبني به مدينة.

وكان موضع واسط لرجل من الدهاقين^١ يقال له داوردان، فسأوه بالموضع
 فقال له الدهقان: ما يصلح للأمير، قال: ولم؟ قال: أخبرك عنه بثلاث خصال
 تحبره بها، ثم الأمر إليه. قال: وما هي؟، قال: بلاد سبخة والبناء لا يثبت فيها،
 وهي شديدة الحر والسّموم، وإن الطائر ليطير في الجو فيسقط لشدة الحر ميتاً،
 وهي بلاد أعمار أهلها قليلة.

فكتب بذلك إلى الحجاج فكتب إليه: هذا رجل يكره مجاورتنا، فأعلمه أننا سنخفر
 بها الأنهار ونكثر فيها من البناء والعرس والزرع حتى تغدوا وتطيب، وأما ما ذكر أنها
 سبخة وأن البناء لا يثبت فيها فسنحكمه، ثم نرحل عنه فيصير لغيرنا، وأما قلة أعمار
 أهلها فهذا شيء إلى الله - عز وجل - لا إلينا، وأعلمه أننا نحسن مجاورته ونقضي
 ذمامه بإحساننا إليه: قال: فابتاع الموضع من الدهقان، وأبتدأ في البناء في أول سنة
 ثلاث وثمانين، واستتمه في سنة ست وثمانين، ومات في سنة خمس وتسعين.

^٦ في الأصل: قال، والتصويب من ياقوت.

^١ الدهقان: معربة عن الفارسية تعني: التاجر الأرب الفطن. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٠٧،
 دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ٤، ص ٤٢١.

ولمَّا فَرَعَ مِنْهُ وَسَكَنَهُ أُعْجِبَ بِهِ إِعْجَابًا شَدِيدًا، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسِهِ [٢٣ظ] إِذْ آتَاهُ بَعْضُ خَدَمِهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ فُلَانَةَ، جَارِيَةَ مِنْ جَوَارِيهِ كَانَ مَائِلًا إِلَيْهَا، أَصَابَهَا لَمَمٌ، فَعَمَّهُ ذَلِكَ، وَوَجَّهَ إِلَى الْكُوفَةِ فِي إِشْحَاصِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالٍ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ صَدِيقُ إِبْلِيسَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَرَفَهُ الْخَبْرُ فَقَالَ لَهُ: أَحِلُّ [السحر] ^(٥) عَنْهَا؟! قَالَ: أَفْعَلْ.

فَلَمَّا زَالَ مَا كَانَ بِهَا قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: وَيْحَكَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَضْرُ مُحْتَضِرًا، قَالَ: أَنَا أَصْنَعُ فِيهِ شَيْئًا فَلَا تَرَى فِيهِ أَمْرًا تَكْرَهُهُ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ ^(٦) جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ هِلَالٍ، يُحْطِرُ ^(٢) بَيْنَ الصَّفَيْنِ، وَفِي يَدِهِ قُلَّةٌ مَحْتَمَةٌ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ تَأْمُرُ بِالْقَضْرِ أَنْ يُمَسَّحَ، ثُمَّ تَذْفِنُ هَذِهِ الْقُلَّةَ فِي وَسْطِهِ فَلَا تَرَى فِيهِ شَيْئًا مِمَّا يُكْرَهُ.

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ يَا ابْنَ هِلَالٍ: وَمَا الْعَلَامَةُ فِي هَذِهِ الْقُلَّةِ؟! قَالَ: أَنْ يَأْمُرَ الْأَمِيرُ بِرَجُلٍ بَعْدَ آخَرَ مِنْ أَشَدِّ أَصْحَابِهِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى عَشْرَةِ مِنْهُمْ، فَيَسْتَقِيلُوا بِهَا مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ بِذَلِكَ فَفَعَلَ، فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ

^(٥) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

^(٦) لدى ياقوت: «ثلاثة أيام».

^١ عبد الله بن هلال، يقال له الساحر، أشهر المشعبذين في العراق زمن الحجاج بن يوسف، نُقِبَ بِصَاحِبِ إِبْلِيسَ لِكثْرَةِ مَا كَانَ يَأْتِي بِهِ مِنَ الْعَجَائِبِ. انظر في ترجمته أخباره: الثعالبي: ثمار القلوب في المصاف والمنسوب، ص ٧٣.

^٢ أي يحضره الجن والشياطين. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ١٩٩.

^٣ أي يتهايل ويمشي مشية المعجب وسيفه في يده. نفسه، ج ٤، ص ٢٥٠.

هلال، وكان بين يدي الحجاج مخصرة خيزران، فوضعتها في عروة القلة، ثم قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [يونس: ٣]، ثم سأل القلة فارتفعت على المخصرة فوضعتها، ثم فكر مُنكِّساً رأسه ساعة، ثم التفت إلى عبد الله بن هلال فقال [له]: خذ قتلَكَ والحق بأهلك.

قال: ولم؟! قال: إن هذا القصر سيخربُ بعدي وينزله قومٌ^(a) ويحتفرُّ محتفرُّ يوماً فيجدُ هذه القلة فيقول: لعن الله الحجاج إننا كان بدؤُ أمره السحر، قال: فأخذها وحقق بأهلها، قال: وكان دَرُعُ القصرِ أربع مائة ذراعٍ في مثلها^(b) ودَرُعُ المسجدِ الجامعِ مائتين في مائتين^(b).

وصفُ الرَّحبة التي تلي صفَّ الحدادين ثلاثمائة في ثلاثمائة، ودَرُعُ الرَّحبة التي تلي الجزارين^(b) والحوضِ ثلاثمائة في مائة ذراعٍ، والرَّحبة التي تلي المضمار^(d) مائتين في مائة، قال: والأبوابُ كانت على مدينةٍ قديمةٍ أعجميةٍ يقال لها الدرَّوْقرةُ وقد قيلَ عَلَيْهَا وعلى غيرها فقلعت وحملت إلى واسط.

^(a) لدى ياقوت: ينزله غيري.

^(b) في الأصل: ما بين في ما بين، والتصويب من ياقوت.

^(c) في الأصل: الخرازين، والتصويب من ياقوت.

^(d) لدى ياقوت: الإضمار.

^١ المخصرة: شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٤،

ص ٢٤٢.

^٢ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٩.

وقال مُحَمَّدُ بن حَالِدٍ^١: كان مُحَمَّدُ بن [٢٣] القَاسِمِ الثَّقَفِيِّ^٢ أَيَّامَ كان يَتَقَلَّدُ الهِنْدَ والسَّنَدَ، قد أهدى إلى الحَجَّاجِ فيلاً، فحُمِلَ من البَطَائِحِ في سَفِينَةٍ، فَلَمَّا صار إلى وَاِسِطٍ أُخْرِجَ في المِشْرَعَةِ التي تُدْعَى مِشْرَعَةَ الفِيلِ^٣، فَسُمِّيتَ به إلى السَّاعَةِ^٤.

ولمَّا اسْتَوَظَنَ الحَجَّاجُ وَاِسِطَ نَهَى النَّبْطَ عنها فقال: لا يُسَاكِنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، فإنهم مُفْسِدَةٌ، وكان في طَبَاخِيهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ، وكان يَطْبُخُ لَوْنًا يُعْجِبُ الحَجَّاجَ، فَلَمَّا أَمَرَ بِإِخْرَاجِ النَّبْطِ فَقَدَ ذَلِكَ اللُّونَ فَسأل عنه فقيل: إِنَّ طَبَّاخَهُ نَبْطِيٌّ، فَلَهِيَ عنه مُدَّةٌ، ثم قال: اشْتَرَوْا لي غُلامًا ومُرُوهُ أن يَعْلَمَهُ ذَلِكَ اللُّونَ، ففعلُوا، فلم يُحْكِمُهُ الغُلامُ فقال: ادْخُلُوا هذا النَّبْطِيَّ نَهَارًا وأُخْرِجُوهُ لَيْلًا.

قال: فكان يأتي في كل يومٍ بِقَدْرِهِ ومَعْرِفَتِهِ فَيَطْبُخُ ذَلِكَ اللُّونَ ثم يَنْصَرَفُ: قال: وكتبَ إلى الحَكَمِ بن أَيُّوبَ^٥ عَامِلَهُ على البَصْرَةِ: أمَّا بعدُ: فإذا نَظَرْتَ في كتابي هذا

^١ لدى البلاذري: بزيادة: «فرضة الفيل».

^١ محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي الطحان، من الضعفاء والمتروكين. انظر: الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٧، ص ٥٢٦.

^٢ محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فاتح الهند والسند واليهما، من كبار قادة الجيوش في الدولة الأموية، توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك في سنة ٧٩٨/٧١٧م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٤، ٣٥٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٩، ٤١٠؛ المرزباني: معجم الشعراء، [ذكر من اسمه محمد] ص ٤١٢.

^٣ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٥٠.

^٤ الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي، ابن عم الحجاج وعامله على البصرة، قتل بأمر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك سنة ٧٩٧/٧١٥م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٩٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ٦٩.

فَأَجْلٍ مِّن قِبَلِكِ مِنَ الْأَثْبَاطِ وَالْحِقْهُم بِسَوَادِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مَفْسَدَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.
فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحُكْمُ: أما بعد: فقد أُجْلِيْتُ من في عَمَلِي مِنَ الْأَثْبَاطِ إِلَّا مَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ
الْقُرْآنَ، وَفَقِهَ فِي الدِّينِ، وَعَلِمَ الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ. ٣

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ: فَهَمْتُ مَا كُتِبَ بِهِ، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي كِتَابِي هَذَا فَاجْمَعْ مِنْ
قِبَلِكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ، ثُمَّ نَمِّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَلْيُقْتَتِسُوا عِرْوَقَكَ عِرْقًا عِرْقًا، فَإِنْ وَجَدُوا
فِيكَ عِرْقًا نَبْطِيًّا قَطَعُوهُ وَالسَّلَامَ. ٦

وَيُرَوَّى عَنْ مَكْحُولٍ^١ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا أَخْرَبَ بُخْتُ نَصْرُ السَّوَادِ، كَانَ أَشَدَّهَا
بِكَاءَ كَسْكَرٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا: إِنِّي مُحَدِّثُ فِيكَ مَسْجِدًا يُصَلِّي فِيهِ، قَالَ مَكْحُولُ:
فَكُنَّا نَرَى أَنَّهُ مَسْجِدٌ وَاسِطٌ. ٩

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: ^(هـ) كَانَ الْحَجَّاجُ أَحَقًّا بِنِي مَدِينَةَ فِي بَادِيَةِ النَّبِطِ وَحَرَمَهُمْ^(ب)
دُخُولَهَا، فَلَمَّا مَاتَ دَخَلُوهَا مِنْ قُرْبٍ^(ا) ٣.

^(هـ) لدى ياقوت: «ولما فرغ الحجاج من بناء واسط أمر بإخراج كل نبطي بها وقال: لا يدخلون مدينتي فإنهم مفسدة، فلما مات دخلوها عن قريب».
^(ب) في الأصل: حمام.

^١ مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الدمشقي، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث، قيل عنه أنه كان أبصر أهل زمانه بالفتيا، استقر بدمشق وتوفي بها سنة ١١٢هـ/٧٣٠م. انظر في ترجمته وأخباره: الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج ٨، ص ٢١؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف، ج ٥، ص ١؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٨٢.

^٢ تقدمت ترجمته ص ١٦٣.

^٣ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (مادة واسط) ج ٥، ص ٣٥٠.

وقال المُرزِيُّ^١: ذُكِرَ الْحَجَّاجُ عِنْدَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ بِسُوءٍ فَعَضِبَ وَقَالَ: إِنَّمَا تَذْكُرُونَ الْمَسَاوِيَّ، أَوْ مَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ دِزْمَهَا عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى مَدِينَةَ فِي الْإِسْلَامِ.

٢ وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ [٢٤] الْمَحَامِلَ، وَأَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَتْ بِالْهِنْدِ فَنَادَتْ: يَا حَجَّاجُ، فَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ ذَلِكَ أَقْبَلَ يَقُولُ: يَا لَيْبِكَ يَا لَيْبِكَ، وَأَتَفَّقَ سَبْعَةَ آلَافٍ أَلْفٍ حَتَّى افْتَتَحَ الْهِنْدَ، وَأَخَذَ الْمَرَأَةَ فَأَحْسَنَ إِلَيْهَا غَايَةَ الْإِحْسَانِ!^١
 واتخذ المناظر بينه وبين قزوين، فكان إذا دَخَنَ أَهْلُ قَزْوِينَ دَخَنَتِ الْمَنَاظِرُ إِنْ كَانَ تَهَارًا، وَإِنْ كَانَ لَيْلًا أَشْعَلُوا النَّيْرَانَ فَتَجَرَّدُ الْحَيْلُ إِلَيْهِمْ، فَكَانَتِ الْمَنَاظِرُ مَتَّصِلَةً بَيْنَ قَزْوِينَ وَوَأَسِطَ، وَكَانَتِ قَزْوِينَ تُغْرَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَأَنشَدَ حَمِيدُ الْأَزْقَطِ فِي وَاسِطَ يَمْدَحُهَا: (شِعْر)

اللَّهُ أَسْفَاكَ مِنَ الْفَرَاتِ النَّيْلِ يَنْقُصُ مِنَ الصَّرَاتِ
 وَأَخَذَبُ يَغْلُو الْمُسْنِيَاتِ نَضْرِبُ عِرْنِيهِ بِوَأَسِقَاتِ

^١ بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المزني، كان أبوه من الصحابة، من المتعبدين وأهل الفضل في الدين، ثقة ثبنا مأمونا، كبير الحديث، توفي في سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٢٠٩-٢١٠؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٤٦.

^٢ الإمام الحافظ عبد الوهاب الثقفي، أبو محمد بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري، كان ثقة ثريا جليل القدر، توفي سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص ٢٣٤.

سَبَقَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُسْنِقَاتٍ^٥ دَانِيَةَ الرَّيْفِ مِنَ الْغَدَاتِ
بَعِيدَةَ الْأَهْلِ مِنَ الْأَقَاتِ طَمَّتْ عَلَى تَغْضُصِ الْبُعَاتِ
يُهْدَى إِلَيْهَا الرِّزْقُ مِنْ شَتَاتٍ مِنَ الْبُحُورِ وَمِنَ الْفَلَاتِ

وقال همدان بن السَّحْتِ^٦ الجُرْجَانِيُّ: ^١، حَضَرْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عُمَرَ الرَّسْتَمِيَّ^٢ -

وكان من أكابرِ قُؤَادِ الْمَأْمُونِ - وهو يسألُ الْمُوَيْدَ^٣ بَخْرَاسَانَ، ونحن في دارِ ذي

الرِّيَاسَتَيْنِ، عن النَّيْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ^٤ وكيف جُعِلَا عَيْدًا وكيف سُمِّيَا؟ ^٣

فقال الْمُوَيْدُ: نعم، أُتْبِكُكَ عَنْهُمَا، إِنَّ وَاسِطَ كَانَتْ فِي أَيَّامِ دَارَا بْنِ دَارَا^٥ تُسَمَّى

"أَفْرُونِيَّة"، ولم تكن على شاطئِ دِجْلَةَ، وكانت تجري على سَنَنِهَا فِي نَاحِيَةِ بَطْنِ

جُوخَى، فانبثقت في أَيَّامِ بَهْرَامِ جُورِ^٦، وزالت عن مجراها إلى الْمَدَارِ^٧ وصارت تَجْرِي ^٦

^٥ في الأصل: ابن السخت. والتصويب من ياقوت.

^٦ في الأصل: مسفات.

^١ لم أجده ترجمته.

^٢ الحسين بن عمر الرستمي، أحد كبار قواد جيوش المأمون، كان تحت إمرة طاهر بن الحسين، وجهه المأمون

لإقرار الأمر في الأهواز. انظر أخباره في: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٤٣٢؛ ابن الأثير:

الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٤٣٢.

^٣ المويد: هو قاضي المحوس. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي،

القاهرة، ١٩٨٥ م. ص ١٣٨.

^٤ النيروز والمهرجان: من أعياد الفرس، الأول: احتفال ببداية فصل الربيع، والثاني: ببداية الخريف. انظر: ابن

منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٦٧.

^٥ تقدمت ترجمته ص ١٦٣.

^٦ تقدمت ترجمته ص ١٦٤.

^٧ المدار قصبه ميسان، بين واسط والبصرة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٨.

إلى جانب واسط مُنصَّبة، فغرقت القرى والعمارات التي كانت موضع البطائح، وكانت متصلة بالبادية، ولم تكن البصرة ولا ما حوَّها إلا الأبلَّة، فإنَّها من بناء ذي القرنين.

وكان موضع البصرة قرى عادية^١ مخشوقا بها، لا ينزلها أحد ولا يجري بها نهر إلا دجلة الأبلَّة، فأصاب أهل القرى والمدن التي كانت في موضع البطائح - وهم بشر كثير - وباء، فخرجوا هارين على وجوههم وتبعهم أهاليهم بالأغذية والصلاحات^٢، فأصابوهم موتى فرجعوا، فلما [٢٤]ظ كان في أول يوم من فروردين ماه^٣ من شهر الفرس أمطر الله عليهم مطرا، فأحياهم فرجعوا إلى أهاليهم، فقال ملك ذلك الزمان: هذا نوروز، ومعناه: يوم جديد، فسُمي به.

وقال الملك: هذا يوم مبارك، فإن جاء الله فيه بمطر وإلا فليصب بعضكم الماء على بعض^٤، وتبركوا به وصيروا عيدا.

فبلغ المأمون هذا القول فقال^٣: إنه لموجود في كتاب الله ﷻ بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

^١ لدى ياقوت: العلاجات.

^٢ لدى ياقوت: «فليصب الماء بعضهم على بعض».

^١ أي من قرى قوم عاد.

^٢ شهر مارس "بداية فصل الربيع".

^٣ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتامه من ابن الفقيه بدون تصرف يذكر. انظر: معجم البلدان، [مادة:

البيطحة] ج ١، ص ٤٥١.

وقال ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣] قال: كانت قَرْيَةً يُعَالُ لها دَاوَرْدَانٌ^١ وقع بها الطَّاعُونَ، فَهَرَبَ عَامَّةُ أَهْلِهَا فَتَزَلُّوا نَاحِيَةَ مِنْهَا، فَهَلَكَ مَنْ أَقَامَ فِي الْقَرْيَةِ وَسَلِمَ الْآخَرُونَ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُونَ رَجَعُوا سَالِمِينَ.

فقال من بقي ولم يمُت في القَرْيَةِ: أصحابنا هؤلاء كانوا أخزَمَ مِنَّا، لو صَنَعْنَا كما صَنَعُوا سَلِمْنَا وَلِئِنْ وَقَعَ الطَّاعُونَ ثَانِيَةً لَنخْرُجَنَّ، فَوَقَعَ الطَّاعُونَ فِيهَا قَابِلًا فَهَرَبُوا، وَهُمْ بِضِعَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، حَتَّى نَزَلُوا ذَلِكَ الْمَكَانَ وَهُوَ وَادٍ أَفِيحٌ^٢، فَنَادَاهُمْ مَلِكٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي وَآخَرٌ مِنْ أَعْلَاهُ أَنْ مُوتُوا قِمَاتُوا، فَأَخْيَاهُمْ اللهُ لِحَرْقِيلِ فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي مَاتُوا فِيهَا، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ أَحْيَاءَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْتَى حَتَّى مَاتُوا بِأَجَاهِهِمُ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ^٣.

وقال الهيثم بن عدي^٤: سألتُ عبد الله بن هلال^٥ صديق إبليس عن اسم عامر وأسط فقال: "زُوبَعَة".

قلت: هل تراءى للحجاج كما يُقال؟! قال: نعم، تراءى له ولغيره من أمراء العِراق. قلت: فما حَدَّثَكَ عن الحجاج؟! قال: كان كَافِرًا بالله وما رَأَيْتَهُ يُصَلِّي قَطُّ

^١ بلدة من نواحي شرقي واسط سميت باسم الدهقان الذي كانت له هذه الأرض. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٤.

^٢ أي الوادي المتسع. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ٧، ص ٣٢.

^٣ قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٤٥٨؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٥.

^٤ تقدمت ترجمته ص ١٧٨.

^٥ مرت ترجمته ص ٢٠٥.

خَالِيًا، وما رأيتُ أحدًا كان أجَبَنَ منه، لقد تراءَيْتُ له ذاتَ يومٍ، فبَلَغَ من جُبْنِهِ أَنَّهُ عَجَنَ الطِّينَ بِهَاءِ الْقُرْآنِ^١ وَطَيَّنَ بِهِ خَضْرَاءَ^٢ وَأَسِطَ^٣.

٢ قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ خَالِدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ^٤ قَالَ: أَشْجَعُ النَّاسِ، وَلَقَدْ كَانَ بِهِ النَّقْرَسُ، فَلَوْ أَنَّ ذُبَابَةَ سَقَطَتْ [٢٦] عَلَى رِجْلِهِ لَصَاحَ مِنْهَا، وَكَانَ لَهُ عَمُودٌ حَدِيدٌ لَا يُفَارِقُهُ، فَتَرَاءَيْتُ لَهُ يَوْمًا، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ وَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا خَيْبْتُ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ رَجُلًا فَاذْنُ مِنِّي، ثُمَّ حَذَفَنِي بِالْعَمُودِ حَذْفَهُ، لَوْ أَصَابْتَنِي لَأَوْهَشْتَنِي.

١ ثُمَّ ظَهَرْتُ لِيُوسُفَ بْنَ عُمَرَ^٥ وَكَانَ جَبَانًا، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي لِحَافِهِ وَصَاحَ بِجَارِيَةٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا طَائِنِيَّةٌ: وَنِلِّكَ بَادِرِي إِلَيَّ، فَمَا جَاءَتْهُ حَتَّى بَالَ فِي فِرَاشِهِ وَلَا أَخْرَجَ رَأْسَهُ حَتَّى عَلِمَ أَنَّهَا عِنْدَهُ، وَظَهَرْتُ لِابْنِ هُبَيْرَةَ^٦ فَانْتَضَى سَيْفَهُ وَبَادَرَ إِلَيَّ فَاسْتَرْتُ مِنْهُ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ، لَوْ تَظْهَرُ لَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُرَوِّعُ أَحَدًا بَعْدِي.

^١ في الأصل: خضراء، والتصويب من اليعقوبي: البلدان.

^٢ لا تصح هذه القصة في حق المحجاج لأن فيها حكم بكفره، وادعاء عمله للسكر خوفًا من عفريت واسط، كما لا يعقل أن يكون صعد إلى قبة القصر ووضع عليها الطين لمجرد رؤيته لهذا العفريت، وذلك بهدف الانتقاص من قدر الرجل وإتهامه في دينه؛ والقصة كلها محض خرافة ولا قيمة تاريخية لها.

^٣ القبة التي بناها المحجاج على قصره بواسطة ونسب القصر إليها، فعرف بخضراء واسط. راجع: بخشل: تاريخ واسط، ص ٢٥؛ اليعقوبي: البلدان، تحقيق: دي خويه، ليدن، ١٨٩١م، ص ١٥٨.

^٤ تقدمت ترجمته ص ١٦٧.

^٥ تقدمت ترجمته ص ١٦٧.

^٦ تقدمت ترجمته ص ١٦٧.

وقال بشار بن بُرد^١ يَهْجُو أَهْلَ وَاسِطٍ: (شِعْر)

[الطويل]

عَلَى وَاسِطٍ مِنْ رَبِّهَا أَلْفُ لَعْنَةٍ وَتِسْعَةُ آلَافٍ عَلَى أَهْلِ وَاسِطٍ
 أَيْلَتَمَسُّ^٢ الْمَعْرُوفُ مِنْ أَهْلِ وَاسِطٍ وَوَاسِطُ مَاوَى كُلِّ عِلْجٍ وَسَاقِطٍ
 نَبِيطٌ وَأَعْلَاجٌ وَخُوزٌ يَجْمَعُونَ شِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ غَائِطٍ
 وَإِنِّي لَأُزْجُو أَنْ أَنَالَ بِشْتِمِهِمْ مِنْ اللَّهِ أَجْرًا مِثْلَ أَجْرِ الْمُرَابِطِ^٣

^٢ في الأصل: أتلتمس المعروف، والتصويب من ديوان بشار بن برد.

^١ تقدمت ترجمته ص ١٦٦.

^٣ راجع: ديوان بشار بن بُرد، ج ٤، ص ٩٦-٩٧.

ذكر النبط وما جاء فيهم^١

- قال رسول الله ﷺ: «لا تَبْغُضُوا قُرَيْشًا، ولا تَسُبُوا الْعَرَبَ، ولا تُذِلُّوا الْمَوَالِي،
 ٢ ولا تُسَاكِنُوا الْأَنْبَاطَ، فَإِنَّهُمْ آفَةٌ الدِّينِ وَقَتْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِذَا هُمْ سَكَنُوا الْأَمْصَارَ
 وَشَيَّدُوا الدُّوَرَ وَنَطَقُوا بِالْعَرَبِيَّةِ وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، اسْتَوْلَوْا عَلَى النَّاسِ بِالْمَكْرِ
 وَالْحَدِيدَةِ، فَعِنْدَهَا يَنْغُونَ الْإِسْلَامَ غَوَائِلَهُ»^٢.
- ٦ وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ صَدِيقٌ يُكْرِمُهُ فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتِكَ
 وَلَسْتُ أَذْرِي مِمَّنْ أَنْتَ. قَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: تَنْحَ
 عَنِّي! فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَهْلُ السَّوَادِ قَتْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفَّةُ الدِّينِ
 ٩ وَأَعْوَانُ الظُّلْمَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَأَكَلَةُ الرِّبَا وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ»^٣.
- ويروى أن قومًا [٢٦٦ظ] أتوا أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين، إننا
 نَسْكُنُ بِأَرْضِ السَّوَادِ فَنُصِيبُ مِنْ مَرَاقِفِهَا. فقال لهم عليٌّ رضي الله عنه: إِنَّكُمْ لَتَسَاكِنُونَ
 ١٢ أَهْلَ الْعَقْلَةِ وَالغِرَّةِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْيِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ، الَّذِينَ سَهَمُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ
 مَنقُوضٌ وَحَطُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ قَلِيلٌ.

^١ النبط أو الأنباط شعب عربي سكن الشمال الغربي للجزيرة العربية، فيما بين الشام والجزيرة العربية [الأردن الحالية] ازدهرت حضارتهم في الفترة الهلنستية، [ما بعد الإسكندر الأكبر] لأنهم كانوا على اتصال بالبحر المتوسط، فاحتكروا تجارة المر والتوابل من الجزيرة العربية والبحر الميت إلى أيلة (مدين) [العقبة الآن] للمزيد راجع: هنري عبود: معجم الحضارات السامية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٨٣٧.

^٢ لم يثبت عنه ﷺ حديثنا بهذا اللفظ لا صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً.

^٣ حديث ضعيف أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وذكر في إسناده عبد الرحمن بن مالك بن مغول وهو كذاب. انظر: الطبراني: المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ٥، ص ١٥٢.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَفَقَّهْتَ الْإِتْبَاطَ فِي الدِّينِ وَنَطَقْتَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَتَعَلَّمْتَ الْقُرْآنَ فَاهْرَبْ الْهَرَبَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَكَلَةُ الرَّبَا وَمَعْدِنُ الرَّشَا وَأَهْلُ غِشٍّ وَخَدِيعَةٍ، لَا سَهْمَ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ».^٢

وَيُرْوَى أَنَّ الشَّيْطَانَ عَشِقَ خِنْزِيرَةَ فَوَثَبَ عَلَيْهَا فَأَجْبَلَهَا، فَوَلَدَتْ ابْنًا فَسَمَّيْتُهُ "مَشْنُو" فَلَمَّا كَثُرَ نَسْلُهُ أَتَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُ: أَرِنَا أَوْلَادَنَا. فَقَالَ: أَوْلَادُكُمْ الْإِتْبَاطُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ الْأَرْضَ أَضْبَرَ النَّاسِ عَلَى حَرٍّ وَبَرْدٍ.

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَبْطِيٌّ».^٣ وَرَوَى عَنْ عِكْرِمَةَ^٤ فِي: «قَتْلِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ» [البروج: ٤] قَالَ: كَانُوا نَبَطًا.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^٥: لَوْ كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْإِنْسِ لَكَانَ نَبْطِيًّا، لِأَنَّهُمْ أَبَدُخُ قَوْمٍ إِذَا أَمَرُوا وَأَذَلَّ شَيْءٌ إِذَا قُهِرُوا يَعْتَرِفُونَ الْهَوَانَ وَيَكْفُرُونَ الْإِحْسَانَ.

^١ لم يثبت عن رسول الله ﷺ حديث بهذا اللفظ لا في الصحاح ولا غيرها؛ فمن الملاحظ أن ابن الفقيه يستند في أحياناً على بعض الأحاديث الموضوعة والروايات الضعيفة، والتي لا نجد لها أصلاً أو مصدرًا فيما بين أيدينا من المظان المعتمدة، كما أنه ينسبها إلى بعض من الصحابة أو إلى الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وبعض هذه الروايات تحمل دلالات شعبية، وتشير إلى ميل صاحبها للتشيع.

^٢ قارن: الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدياء ومعاورات الشعراء البلغاء، ج ١، ص ٤٢٥.

^٣ لم أجد قولاً بهذا النص في المدونات ولا في غيرها من المظان.

^٤ عكرمة بن خالد بن العاص المخزومي القرشي، من الثقات روى عنه البخاري، توفي سنة ١١٥هـ/٧٣٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٧٥؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج ٧، ص ٤٩؛ ابن حبان: الثقات، ج ٥، ص ٢١١.

^٥ عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، ثقة عابد، وأحد فقهاء المدينة. توفي قبل سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م.

انظر في ترجمته وأخباره: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٣٨٤.

ويروى عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة هم شرار الخلق: الشيطان الرجيم، وإمام يخشى غشه وظلمه، والنبطي إذا استعرب»^١.
 وكان يُقال: من أحب أن يُكثر عياله ويُقل خير بيته فليتزوج نبطية.^٢
 وروى عن أبي هريرة أنه قال: إن إبليس باص سبع بيضات، فبتان وقعتا بأرض بابل، وثتان وقعتا بميسان^٣، وثتان وقعتا ببلاد الخوز^٤، وواحدة وقعت بهمينيا^٥. ففي الثنتين اللتين وقعتا ببابل ذكر وأثنى، اسم الذكر شقني والأثنى يلعث^٥.

وقال نصر بن محمد^٦: اسم الذكر ميسان واسم الأثنى دلغث. وهما اللتان ببلكتا الألسن ودعتا إلى الشرك وعبادة [٢٧] الأوثان، والثتان اللتان وقعتا بميسان فذكر وأثنى، اسم الذكر هيام والأثنى هيساه، هم أذئاب منكرة وقلوب قاسية وأكباد غليظة، لا يفقهون ولا يتفقهون لئام وضعه غناة فجرة، لا يرقون للضعيف ولا يُجلون الكبير، ولا يستحيون من القبيح.^٧

^١ لم يثبت عنه ﷺ حديثا بهذا النص.

^٢ كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة واسط. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٢.

^٣ الخوز هي بلاد خوزستان. راجع: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٤.

^٤ همينيا: مدينة بين المدائن والنعمانية، أول من بناها بهمن بن إسفنديار ملك القرس. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤١٧.

^٥ جميع الروايات السابقة ما هي إلا أقوال موضوعه ألصقها المنصف ببعض كبار الصحابة والثقات من المحدثين.

^٦ نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، أحد ولاة الدولة العباسية، ولاة الخليفة المهدي إمارة السند وتوفى بها سنة ١٦٤هـ/٧٨١م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٠-١٥٠؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٣٨، ص ١٢٠.

والتثان اللتان وقعتا بالخوز فذكر وأثنى، اسم الذكر أبو مرة والأثنى شليث،
تسلها أشر النسب وأقبحه كلاما وأزده أخلاقا، ويقال إنه بعث إليهم [نبي]
فدبحوه وأكلوه. وأما التي وقعت بهمينا فذكر يقال له لعول، نكح جارية من
الإنس فأولدها شيطانا مريدا.

ويروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا تُتاكحوا الأتباط ولا تسترَضِعُوا فيهم،
فإنهم يورثون أولادكم اللؤم النبطي. وقالوا في قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] قال: هم النبط.

وقال مقاتل بن سليمان^١: الأتباط من ولد شناص بن إبليس، وإن شناصا نكح
شاة لادم عليه السلام يقال لها ورسه، فولدت ابنا قسما نباط.

وقال وهب بن منبه^٢: حبس سليمان عليه السلام نبطيا من أهل دسْتَمِيسَانَ، وقيدته
فجاء أهل السجني يشكونه فدعا به، وقال: ونلك، أما يشغلك ما أنت فيه من ضيق
المحبس وثقل الحديد حتى يشكوك الناس! فقال: لا أعود، يا نبي الله. فقال:
زيدوه قيدًا ورُدُّوه.

^١ مقاتل بن سليمان الخراساني، صاحب التفسير، إلا أن أصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه، لأنه كان
يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم. توفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م. انظر في ترجمته
وأخباره: ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج ٣، ص ١٤.

^٢ وهب بن منبه الإنبائي الصنعاني الهمداني، يكنى أبا عبد الله، المؤرخ العلامة القصصي، عالم بأساطير
الأولين ولا سيما الإسرائيليات، من أبناء الفرس الذين بعث كسرى بهم إلى اليمن، توفي ١١٤هـ/٧٣٢م.
انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٥٤٣؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٥٩.

^٣ دسْتَمِيسَانَ: كورة جلييلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب. انظر: ياقوت الحموي،
معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٥.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَعَاوَدَ أَهْلَ السَّجْنِ يَشْكُونَهُ فِدْعَا بِهِ، وَقَالَ لَهُ مِثْلُ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ
 ٢ فَقَالَ: لَا أَعُودُ. فَيُذَوُّهُ قَيْدًا آخَرَ وَرُدُّوهُ فَفَعَلُوا، فَلَمْ يُقِمَّ إِلَّا يَوْمًا حَتَّى عَادَ
 أَهْلَ السَّجْنِ يَشْكُونَهُ، فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ مِثْلُ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ وَزَادَهُ قَيْدًا، فَلَمْ يَكْفِهِ
 ذَلِكَ، وَعَادُوا فَشَكُّوهُ فَلَمَّا شَكُّوهُ الرَّابِعَةَ، نَقَلَهُ عَنْهُمْ إِلَى سِجْنِ الْجِنِّ، فَجَاءَ الْجِنُّ
 بِصِيحُونَ مِنْهُ وَيَشْكُونَهُ، فِدْعَا بِهِ وَأَمَرَ بِصَرْبِهِ فَضْرَبَ وَزَادَهُ قَيْدًا آخَرَ، فَشَكُّوهُ
 ٦ ثَالِثًا، فِي كُلِّ ذَلِكَ يَزِيدُوهُ قَيْدًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ لَهُمْ: مَا الَّذِي يَصْنَعُ بِكُمْ
 حَتَّى صَحْتُمْ مِنْهُ؟! فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْظَمُ مَا نَشْكُو مِنْهُ السَّعَايَةُ وَالنَّمِيمَةُ، قَدْ
 تَقَاتَلْنَا [٢٧ظ] عَلَى يَدِهِ.

٩ فَأَخْرَجَهُ عَنْهُمْ وَدَعَا بِصَخْرٍ الْمَارِدِ، وَكَانَ يَنْقُلُ الصَّخْرَ مِنْ فَارِسَ إِلَى الشَّامِ،
 فَقَالَ لَهُ: يَا صَخْرُ، أَكْفَيْتَنِي مَثُونَةَ هَذَا النَّبْطِيِّ وَلَيْكُنْ مَعَكَ فِي سِلْسِلَةٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ،
 فَبَيْنَمَا سُلَيْمَانُ فِي بَعْضِ مَوَاجِبِهِ، وَقَدْ حَمَلَتْهُ الرِّيحُ إِذْ عَارَصَهُ صَخْرٌ فِي الْمَوَاءِ وَالنَّبْطِيُّ
 ١٢ مَعَهُ فِي سِلْسِلَةٍ، وَصَخْرٌ يَسْتَعِيثُ إِلَى سُلَيْمَانَ وَيَسْتَوْقِفُهُ، فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الرِّيحَ فَرَكَدَتْ
 وَدَعَا بِهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَغْفِي مِنْ هَذَا النَّبْطِيِّ، وَأَقْرُنْ مَعِي مِائَةَ
 عَفْرِيَّتٍ فِي مَوْضِعِهِ. وَقَالَ: وَمَا الَّذِي يَصْنَعُ بِكَ؟! قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يَدْعُنِي حَتَّى إِذَا
 ١٥ حَمَلْتُ الصَّخْرَةَ عَلَى رَأْسِي اسْتَقْدَمَ فِي سِلْسِلَتِي وَلَفَّهَا عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ جَذَبَنِي وَطَرَحَ
 نَفْسَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ وَتَقَعَ الصَّخْرَةُ عَلَى عُنُقِي وَظَهَرِي فَأَقُولُ لَهُ مَا
 شَأْنُكَ؟ فَيَقُولُ: أَثَرْتُ، يُرِيدُ: عَثَرْتُ، ثُمَّ أَقُومُ فَأَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِي، وَأَقُولُ لَهُ: تَأْخُرُ
 ١٨ فَكُنْ مِنْ وَرَائِي حَتَّى لَا يَعْثُرَ.

فَيَفْعَلُ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى الطُّورِ الَّذِي فِي عُنُقِهِ وَيَسْتَعْقِدُ فَيَطْرَحُنِي عَلَى ظَهْرِي،
 وَتَقَعَ الصَّخْرَةُ عَلَى جَنْبِي فَأَقُولُ: وَيَلَاكُ مَا دَهَاكَ؟! فَيَقُولُ: أَنْتَ شَيْطَانٌ مِنْ شُيُوطِ

٣ ونهنُّ لا نلهقُ بك، يريد: أنت شيطانٌ من الشياطين ونحنُ لا نلحقُ بك. فضحك سُلَيْمَانُ، ثم قال: قد جعلتُك يا نَبْطِي عَرِيفًا على الجِنِّ النَّقَالَةِ، فخذهم بالجِدِّ واستعجلهم في الحملِ، فَمَضَى لذلك فقال له الجِنُّ: إن بيننا وبينك رحمٌ مائة، فانظر لنا في ولايتك. فقال لهم: وأي رحمٍ بيننا، وأنتم من الجِنِّ وأنا من الإنسِ؟! قالوا: إن هاهنا امتزاجٌ آخرٌ لا تعرفه.

٦ قال: وما هو؟! قالوا: أنه لما ملك سُلَيْمَانُ أُمَّةً مَلَكَهُ دَسْتَمِينَان، فسألته أن يوجّهَ معها شيطانينِ يبينان لها قَصْرًا من وقتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ إلى الظُّهرِ، ففعل ذلك ووجّهَ معها شيطانينِ يقال لأحدهما أكي، فبنياهُ لها إلى قبلِ الظُّهرِ، فلما فرغَا منه قال لها: اشغلينا في عملٍ آخرٍ إلى اللَّيْلِ، فإننا لا نجسرُ أن نرجعَ إلى سُلَيْمَانِ.

٩ قالت: ما لي [٢٨] عمَلٌ قد فرغتما من عملي الذي أردت. قال: فإننا نهديم القَصْرَ وننشاغلُ بذلك إلى آخرِ النَّهَارِ، فتحتاجي أن ترجعي إلى سُلَيْمَانِ فتعيدي عليه المسألة. فلما رأت الجِدَّ منها دفعتُ إلى أحدهما مسحًا أسودَ وقالت: اغسله حتى يبيض. وقالت للآخر: تعال حتى أشغلك في عملٍ آخر. واستلقت على قفاها وكشفت عن فرجها وقالت له: رُسٌ على هذا الجُرْحِ ماءٌ وروحه حتى يلتحم.

١٥ وكان الذي فعلت به هذا يسمّى أكي، فلما رَوَّحها ساعة وراة لا يلتحم دعتُه نَفْسُهُ إلى موافعتها ففعل، وأجبلها فولدت الشيبان وتالي وداقويه، وهم بنو عمك وقرابتك فلينفعنا هذا عندك.

فقال النَّبِطِيُّ: هذه لِعَمْرِي رِحْمٌ مَاسَّةٌ، وفي دُونِ ما مَسَّمْ به رِعايَةٌ وحِفاظٌ، ولن ادعَ القِيامَ بِشَأْنِكُمْ فما الذي تَشْكُون؟ قالوا: ما نحنُ فيه من التَّعبِ ونَقْلِ هذا الصَّخْرِ من فارسِ إلى الشَّامِ. قال: أو لَيْسَ إِنَّما تَنْقُلُونَهُ ذاهِبِينَ وتَسْتَرِيحُونَ راجِعِينَ. قالوا: بلى، قال: فهذا نِصْفُ الطَّرِيقِ.

فَتَرَكَهُمْ وانطَلَقَ إلى سُلَيْمَانَ فقال له: يا نَبِيَّ اللهِ، أَتَظُنُّ أَنَّكَ قد سَعَلْتَ هؤلاءِ الجِنَّ الذينَ يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وكَفَفْتَهُمْ عن التَّوَلُّعِ بِنَبِيِّ آدَمَ؟، قال: نعم. قال: فاعَلِمَ أَنَّهُم يَرْجِعُونَ فُرْغًا فَيَعْبَتُونَ بالنَّاسِ في طَرِيقِهِمْ ويؤذُونَهُمْ. قال: فما يَنْبَغِي أنْ يُصْنَعَ بِهِمْ؟، قال: تُحْمَلُهُم الصَّخْرُ من فارسِ إلى الشَّامِ لِبناءِ بَيْتِ المَقْدِسِ ويَحْمَلُونَ من الشَّامِ إلى فارسِ المَرَمَرِ، فَيَبْنِي لَكَ ما تُرِيدُ وتكفَهُمْ عن أذِيَّةِ النَّاسِ ففعلَ بِهِم ذلكَ فقالوا للنَّبِطِيِّ: ويحكُ زِدْتَنَا تَعَبًا على تَعِينَا، وقد رجونا أنْ تُخَفِّفَ عَنَّا.

قال: أو لَيْسَ عَمَلُكُمْ إِنَّما هو بالنَّهارِ وبالليلِ أَنْتُمْ مَسْتَرِيحُونَ^(a)؟ قالوا: بلى، قال: فَإِنَّما تَعْمَلُونَ نِصْفَ الدَّهْرِ ونِصْفَهُ تَبْطُلُونَ.

ثم انطَلَقَ إلى سُلَيْمَانَ فقال: يا نَبِيَّ اللهِ، اعْلَمْ أنَّ هؤلاءِ الجِنَّ النَّقَالَةَ يَعْملُونَ نهارَهُمْ، فإذا كانَ اللَّيْلُ عَرَجُوا إلى السَّماءِ واسْتَرْقُوا السَّمْعَ وأثوا [ط٢٨] الكُفْهَانَ فخبَرَهُمْ بذلكَ وعبَتُوا بالنَّاسِ والبَهائمِ. قال: فما الحِيلَةُ فيهِمْ!؟

قال: تَبْنِي حَوْلَ مَدِينَتِكَ هذه أركانًا مُعلَّقةً على عَدِيدِهِمْ، فإذا فَرَّغُوا من عَمَلِهِمْ نهارًا أمرتَهُمْ فَصَعِدُوا ليلَهُمْ إلى هذه الأركانِ.

(a) رسمها في الأصل: مشتركون.

وتأمرهم بالتَّسْيِيحِ والتَّهْلِيلِ إِلَى الصَّبَاحِ، فَيَكُونُ لَكَ ثَوَابٌ ذَلِكَ، وَمَنْ فَقَدَتْ صَوْتَهُ مِنْهُمْ عَذْبَتُهُ، فَإِنَّكَ تَعْرِفُ أَصْوَاتَهُمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْهَا.

٣ ففعل ذلك بهم فشكوا إلى إبليس ما قد حلَّ بهم فقال: لَيْسَ وَرَاءَ هَذِهِ الشُّدَّةِ شَيْءٌ فَتَوَقَّعُوا الْآنَ الْفَرَجَ. فَلَمْ تَمُضِ إِلَّا أَيَّامٌ يَسِيرَةٌ حَتَّى مَاتَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.^١

٦ وكان رجلٌ من أهلِ السَّوَادِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْلُفُ بَعْضَ عُمَّالِ عُمَرَ عَلَى السَّوَادِ، فَأَتَاهُ غُلَامٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَهُوَ فِي قَرْيَةٍ تُدْعَى بَرَانًا^٢ مِنْ بُرْزُجَسَابُورٍ^٣ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْمِلَهُ فَأَبَى، وَسَأَلَهُ الْقَرِيءَ فَالْتَوَى، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ دَجَاجَةً.

٩ فأنصرف الغلام وهو يقول، وكان العاملُ يُكْنَى أبا جُبَيْرَةَ: (شعر)

^١ تعطي هذه القصة مثالا للروايات الأسطورية والإسرائيليات التي انتقلت إلى التراث الإسلامي في بواكير التدوين التاريخي عند العرب، وقد نسبها ابن الفقيه إلى وهب بن منبه، أحد القصاصين المولعين بالحكايات ذات الطابع الأسطوري والعجائبي، وهذه الرواية. إن صحت نسبتها إليه. فإنها تعد نموذجا لما كان عليه التدوين التاريخي لدى عرب الجنوب في مراحل الأولى.

^٢ حملة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محوّل، وباب محوّل: حملة كبيرة من محالّ بغداد، كانت متصلة بالكرخ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٢، ٣٦٢.

^٣ إحدى طساسيج بغداد: والطنسوج: لفظة فارسية أصلها تسو، فعربت بقلب التاء طاء وزيادة الجيم في آخرها، وزيد في تعريبها بجمعها على طساسيج. وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق، وقد قسّموا سواد العراق على ستين طسوچًا، أضيف كل طسوچ إلى اسم، والطنسوج: أخص وأقل من الكورة والرسناق والأستان. انظر: معجم البلدان، ج ١، ص ٤١٠، ٣٨.

[الوافر]

أَتَيْتُ أَبَا جُبَيْرَةَ فِي بَرَاءِنَا فَقَالَ الْحَقُّ بِأَهْلِكَ يَا غُلَامُ
وَهَاكَ دَجَاجَةٌ فَتَعَيْشُ مِنْهَا وَلَا يَكْثُرُ عَلَيَّ لَكَ الْكَلَامُ

فَبَلَغَ خَبْرَهُ عُمَرَ، فَجَعَلَ عَلَى أَهْلِ السَّوَادِ قِرَى الضَّيْفِ وَحَمَلَ الْمَنْقَطِعَ وَإِرْسَادَ
الصَّالِّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّبْطِيُّ وَالْأَعْرَابِيُّ لَا يَقْطَعَانِ أَمْرًا دُونَ نِسَائِهِمَا^١.

وقال المدائني^٢: أمر بعض ملوك العجم رجلاً^٣ من حاشيته فقال له: صِدَّ شَرُّ
الطَّيْرِ وَاشْوَهُ بِشَرِّ الحَطَبِ وَأَطْعَمَهُ شَرَّ الحَلْقِ، فَصَادَ رَحْمَةً^٤ وَشَوَاهَا بَبَعِيرٍ^٥ وَقَدَّمَهَا
إِلَى رَجُلٍ حُوزِي، فَقَالَ لَهُ الحُوزِيُّ: أَخْطَأْتُ، أَذْهَبَ فَيَصِدُّ بَوْمَةً وَاشْوَاهَا بِدِفْلِي^٦
وَأَطْعَمَهَا نَبْطِيًّا وَلَدَّ زَنْبِي، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَعَرَفَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: لَا يُحْتَاجُ أَنْ يَكُونَ وَلَدَّ
زَنْبِي كَفَأَهُ أَنْ يَكُونَ نَبْطِيًّا.

^١ في الأصل: بدقلي، والتصويب من الجاحظ: الحيوان.

^٢ لم يثبت مثل هذا القول في ما روي عن ابن عباس.

^٣ علي بن محمد بن عبد الله المدائني، يكنى أبا الحسن، راوية مؤرخ، كثير التصانيف، ذكر له النديم أسماء نيف
ومائتي كتاب. توفي ببغداد سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٣٨؛ النديم:

الفهرست، ج ١، ص ٣١٥؛ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج ١٤، ص ١٢٤-١٣٩.

^٤ أورد الجاحظ هذا الخبر في كتابه "الحيوان" وسبقه بعبارة: «وقال أبو الحسن المدائني: أمر بعض ملوك العجم
الجلندي بن عبد العزيز الأزدي، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة». الحيوان: ج ٣، ص ٢٥٣.

^٥ نوع من الطير يشبه النسر يصفه العرب بالغدرد والحمق. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٣٥.

^٦ البعر: رجيع الخف والظلف من الإبل والشاة ويقر الوحش والظباء. انظر: المصدر السابق، ج ٤، ص ٧١.

^٧ شجر أخضر مر حسن المنظر، قيل إنه من السموم. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٦.

وعن سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ^١ قَالَ: كَتَبَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُتُبًا إِلَى النَّاسِ وَإِلَى
[٢٩٦] النَّسْتَاسِ وَإِلَى أَشْبَاهِ النَّاسِ وَإِلَى أَوْلَادِ الشَّيَاطِينِ، فَأَمَّا النَّاسُ فَأَهْلُ الصَّلَاحِ
وَالْعِلْمِ، وَأَمَّا النَّسْتَاسُ فَأَهْلُ الْأَسْوَاقِ، وَأَمَّا أَشْبَاهُ النَّاسِ فَأَهْلُ الْجَهْلِ، وَأَمَّا أَوْلَادُ
الشَّيَاطِينِ فَالْبَنَطُ.

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^٢: قَالَ لِي الْمَنْصُورُ: صِفْ لِي النَّاسَ قُلْتُ: لِيَسْأَلَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا أَحَبَّ. قَالَ: مَا تَقُولُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ؟. قُلْتُ: مَبْدَأُ الْإِسْلَامِ وَبِقِيَّةِ
الْعَرَبِ. قَالَ: فَأَهْلُ الْعِرَاقِ؟. قُلْتُ: قَطْرُ الْإِسْلَامِ^(أ) وَمَقَاتِلَةُ الدَّمِ^(ب).

قَالَ: فَأَهْلُ الشَّامِ؟. قُلْتُ: حِصْنُ الْأُمَّةِ وَأَسِنَّةُ الْأُيُمَّةِ. قَالَ: فَأَهْلُ خُرَاسَانَ؟.
قُلْتُ: فُرْسَانَ الْهَيْجَاءِ وَأَعِنَّةَ الرَّجَاءِ.

قَالَ: التُّرْكُ؟. قُلْتُ^(ب) إِخْوَةَ السَّبَاعِ وَأَبْنَاءَ الْمَغَازِي^(ب). قَالَ: فَالْهِنْدُ؟. قُلْتُ: حُكَمَاءُ
اسْتَعْنُوا بِبِلَادِهِمْ^(ج) وَاکْتَفَوْا بِمَا يَلِيهِمْ^(ج). قَالَ: فَالرُّومُ؟.

(أ-ب) لدى الطبري: مقاتلة عن الدين.

(ب-ب) لدى الطبري: منابت الصخور وأبناء المغازي.

(ج-ج) لدى الطبري: فافتقروا بها عما يليهم.

^١ سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد، إمام التابعين وفقههم، أحد فقهاء
المدينة السبعة، كان ثقة كثير الحديث، ثباتاً، فقيهاً، مفتياً، مأموناً، ورعاً، عالياً، رفيعاً، توفي بالمدينة
سنة ٧٩٤هـ/٧١٣م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١١٩-١٤٣.

^٢ إسماعيل بن عبد الله القسري، وزير مروان بن محمد واليه على الكوفة، خاض بعض المعارك في العراق ضد
العباسيين، ثم التحق بهم، واستعمله المنصور والمهدي، وتوفي في خلافة الأخير. انظر في أخباره: الطبري:
تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٣٠٤-٣١٩.

قلت: أهل كتابٍ وتدئين، نحاهم^(أ) الله من القربِ وصيرهم إلى البُعدِ. قال: فالإنباطُ؟ قلت: ^(ب) شِرازُ الحلقِ وعبيدٌ من غلب^(ب).

وقال شيبه بن عثمان^٢: ما أحدٌ أنقر عن صغيرة ولا أركبُ لكبيرة من أهل العراقِ لقربهم من النبط.

وقال إسحاقُ بن طلحةَ بن أشعث^٣: بعثني عمر بن عبد العزيز إلى العراقِ فقال: ^(ج) أقرئهم ولا تستقرئهم، وعلمهم ولا تتعلم منهم، وحدثهم ولا تستمع حديثهم^(ج). قلت: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟! قال: لأنهم خالطوا الإنباطَ ففيهم غشهم ومكرهم وخديعتهم.

ولمَّا غلب أزدشيرٌ على ملكِ النبط رأى جهائم وعقوهم قال: ما أخوفني إن حدثَ بي حدثٌ أن يعودَ الملكُ إلى هؤلاء، ففرضَ لهم فرضاً وبعثَ منهم بعوثاً وأغزاهم خراسانَ فأهلَ المرؤ من النبط، ففيهم سُخُّهم وغدرهم.

^(أ) في الأصل: نجاهم. والتصويب من: الطبري: تاريخ.

^(ب) - لدى الطبري: بزيادة: كان ملكهم قديماً فهم لكل قوم عبيد.

^(ج) - لدى عبد البر القرطبي: « أقرئهم ولا تستقرئهم وحدثهم ولا تسمع منهم وعلمهم ولا تتعلم منهم ».

^١ راجع الخبر بتامه في الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٧٠.

^٢ شيبه بن عثمان بن أبي طلحة القرشي المكي، صحابي، ورث حجابة الكعبة عن أبائه في الجاهلية، ثم ورثها أبناؤه من بعده. توفي سنة ٦٧٩/هـ ٥٩ م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٧١٢-٧١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٢.

^٣ أورد الإمام ابن عبد البر القرطبي، هذه الرواية في كتابه جامع بيان العلم وفضله، وعزاها إلى نفس القائل راجع: - ابن عبد البر القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الرياض، ١٩٩٤ م، ج ٢، ص ١٠٩٧.

وقال الهيثم بن عدي^١: إِنَّمَا سَمُوا نَبَطًا لِأَنَّهُمْ اسْتَنْبَطُوا الْمِيَاءَ وَحَفَرُوا الْأَنْهَارَ،
فَمِنْ ذَلِكَ الصَّرَاةُ^٢ وَنَهْرُ سُورَا^٣ وَنَهْرُ آبَا، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الصَّرَاةَ حَفَرَهَا فَيُرْوَى^٤
جشش، وَنَهْرُ آبَا حَفَرَهُ [ه] أَبَا بِنِ الصَّامِغَانَ^٥، وَنَهْرُ الْمَلِكِ حَفَرَهُ أَقْفُورُ شَاهِ بْنِ
بِلَاشٍ^٥، قَتَلَهُ أَرْدَشِيرُ بْنُ [٢٩٦] بَابَكِ^٦، وَنَهْرُ الْمَلِكِ حَفَرَهُ سَابُورُ^٦.

وكانت سُرَّةُ الدُّنْيَا فِي يَدِ النَّبَطِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفُرَاتَ وَدِجْلَةَ يَنْصَبَانِ جَمِيعًا مِنْ
الشَّامِ^٦ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَنْتَفِعُ بِهِمَا إِلَّا النَّبَطُ، وَكَانَ حَدُّ مُلْكِهِمُ الْأَنْبَارَ إِلَى عَائِنَاتِ إِلَى
كَنْسَكِرَ وَمَا وَالْيَاهَا مِنْ كُورِ دِجْلَةَ، وَمُلْكُ آلِ سَاسَانَ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى تَهْرٍ بَلُخِ إِلَى
السُّنْدِ إِلَى الرُّومِ إِلَى حَدِّ الْبَادِيَةِ^٦.

^١ في الأصل: أفريدون وهو خطأ، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

^٢ في الأصل: المصمغان. والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

^٣ في الأصل: بابكان.

^٤ في الأصل: شابور. واعتمدها في سائر النسخ سابور بالسين.

^٥ في تاريخ بغداد بزيادة من الشام والجزيرة.

^١ تقدمت ترجمته ص ١٧٨، ولا نعرف من أي كتب الهيثم بن عدي الكثيرة نقل ابن الفقيه هذا الخبر.
انظر: النديم: الفهرست ج ١ ص ٣١١-٣١٣.

^٢ الصراة الكبرى والصراة الصغرى نهران ببغداد. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٩.

^٣ نهر يقال له: سورا بنواحي الكوفة. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢١.

^٤ نهر يقع بين الكوفة وقصر ابن هيرة، ينسب إلى أبابن الصامغان من ملوك النبط. نفسه، ج ١، ص ٥٩.

^٥ أقفور شاه بن بلاش، آخر ملوك النبط، وملك مات سنة. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٦٢.

^٦ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٦٢؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج ١،

وقال ابن عيَّاش^١: كان آخِرُ مُلُوكِ النَّبْطِ سُنْحَارِيْبَ^(أ) وكان مُلْكُهُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ، وكان بعده بُحْتُ نَصْرَ.

٣ وقال غيره: كان مُلْكُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ سَنَةٍ، وكان قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَإِنَّمَا سُمُّوا النَّبْطَ لِأَنَّهُمْ أَتَبَطُوا الْأَرْضَ أَيِ احْتَقَرُوا أَثْنَارَهَا الْكِبَارَ.

٦ وقال ابن الكلبي^٢: لَمَّا هَلَكْتَ عَادٌ قَبْلَ تَمُودَ إِزْمَ، ثُمَّ هَلَكْتَ تَمُودُ، قِيلَ لِبَقَايَا إِزْمَ: أَرْمَانُ؛ فَهَمَّ النَّبْطُ الْأَرْمَانِيُّونَ.

٩ وقال بَعْضُهُمْ لَمَّا سَلِبَ سُلَيْمَانُ مُلْكَهُ وَتَبَّتْ مَرْدَةُ الشَّيَاطِينِ عَلَى نِسَاءِ مِنَ الْإِنْسِ، فَوَلَدْنَ مِنْهُمُ أَوْلَادًا كَثِيرَةً، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكَهُ شَكَا النَّاسُ ذَلِكَ النَّسْلَ إِلَى سُلَيْمَانَ، فَأَمَرَ الشَّيَاطِينِ فَعَمَلَتْ لَهُ بِسَاطًا طَوِيلًا عَرِيضًا، ثُمَّ أَمَرَ بِذَلِكَ النَّسْلِ فَحَمَلُوا عَلَى الْبِسَاطِ، ثُمَّ أَمَرَ الْعَاصِفَ مِنَ الرِّيحِ فَحَمَلَهُمْ [٣٠] حَتَّى أَقْبَاهُمْ بِمَيْسَانَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ إِنْسِيًّا لَكَانَ نَبْطِيًّا^(ب).

^(أ) في الأصل: سنحاريب والتصويب من: المعارف، وتاريخ الطبري.

^(ب) لدى الأصفهاني: محاضرات الأدباء «لو كان الشيطان إنسيًا ما كان إلا نبطيًا».

^١ انظر فيما تقدم. ص ١٧٥.

^٢ سنحاريب الملك الأشوري، من أهل نينوى وملك بابل. انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٣٢-٥٤٨.

^٣ تقدمت ترجمته ص ١٢٨.

^٤ قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٢٠٧.

^٥ قارن: الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء [ذم النبط وأهل الرساتيق]، ج ١، ص ٤٢٥.

القول في مدينة السلام بغداد

- ٢ قال بعض العلماء: بغداد تُسمى بغداد وبعْدان وبعْداذ^١.
- قالوا: وهي تُسمى مدينة السلام أيضاً، فأما الزُّوراء^٢ فهي مدينة المنصور خاصة، وسميت مدينة السلام لأنَّ دجلة يقال لها وادي السلام.
- ٦ وقال موسى بن عبد الحميد النسائي^٣: كنت جالساً عند عبد العزيز بن أبي رواد^٤ فأثأه رجل فقال [له]: من أين أنت؟ قال: من بغداد.
- قال: لا تقل بغداد، فإنَّ بَغ صَنَمٌ وذاذٌ أعطى^٥ ولكن قل: مدينة السلام، فإنَّ الله هو السلام والمدائن كلها له^٥.

^٥ في الأصل: عطا. والتصويب من ياقوت.

- ^١ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٦-٤٥٧.
- ^٢ مدينة تقع على الجانب الغربي من بغداد، بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وسميت بذلك لأنه لما بناها جعل أبوابها الداخلية ليست على نفس سمة الأبواب الخارجية. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٦.
- ^٣ موسى بن عبد الحميد، ثقة روي عن الإمام أحمد بن حنبل، وكان جازاً له. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٥، ص ٢٠.
- ^٤ عبد العزيز بن أبي رواد المكي، مولى المهلب بن أبي صفرة، توفي بمكة سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٩٣؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج ٦، ص ٢٢.
- ^٥ نقل ياقوت الحموي هذه الرواية بتامها منسوبة لموسى بن عبد الرحيم النسائي، دون إشارة لابن الفقيه الذي نقل عنه الخبر، معجم البلدان: ج ٥، ص ٧٩.

وقالوا: سُميت بَغْدَادُ لِأَنَّ كِسْرَى أُهْدِيَ لَهُ خِصْيٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَأَقْطَعَهُ بَغْدَادُ،
وكان لِقَوْمِ ذَلِكَ الْخِصْيِ صَنَمٌ يُقَالُ لَهُ الْبَغْ، فقال الْخِصْيِيُّ: بَغْدَادُ، يعني ذَلِكَ الصَّنَمُ
أَعْطَاهُ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ.^١

ويقال: إِنَّ بَغْدَادَ كَانَتْ سُوقًا يَفْصِدُهَا تُجَارُ الصِّينِ بِتِجَارَاتِهِمْ، فَيَرِيحُونَ الرِّيحَ
الْوَاسِعَ، وكان اسْمُ مَلِكِ الصِّينِ بَغْ، فكانوا إِذَا أَنْصَرَفُوا إِلَيْكَ بِإِلَادِهِمْ قالوا: بَغْ ذَاذ، أي
ذَلِكَ الرِّيحُ الَّذِي رِيحَتَاهُ أَعْطَانَاهُ الْمَلِكُ.

وَذَاذُ لَفْظَةٌ بِالْفَارِسِيَّةِ وَهُوَ الْإِعْطَاءُ. وقال قومٌ: سُمِّيَتْ مَدِينَةُ السَّلَامِ، أَرَادُوا أَنَّهَا
مَدِينَةُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ الْمُؤْمَنُ.

وقد جَرَى لَهَا هَذَا الْاسْمُ عَلَى صَرْبِ الدَّنَائِرِ وَالدَّرَاهِمِ، وما تَقَعُ بِهِ الْأَشْرِيَّةُ فِي
الْكُتُبِ وَيَبَايِعُ بِهِ النَّاسُ، وما يَقَعُ فِيهَا مِنْ غَلَّاتِ الطَّسَّاسِيحِ^٢ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ،
وما يَسْمَى بِهِ الْقَفِيزُ^٣، فيُقَالُ: قَفِيزُ مَدِينَةِ السَّلَامِ.

واسْمُهَا الْأَوَّلُ عِنْدَ [النَّاسِ] الزُّورَاءُ وَالزُّورَاءُ مَدِينَةُ أَبِي جَعْفَرٍ. وَالنَّاسُ يَسْمَوْنَهَا
بَغْدَادَ وَالْخُلَفَاءُ يُسْمَوْنَهَا مَدِينَةَ السَّلَامِ.

^١ قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٦.

^٢ سبق تعريفها ص ٢٢٢.

^٣ القفيز: من المكاييل التي اختلف في تقديرها، والأشهر أنه يساوي ثمانية مكاييك. والمكوك = ٣,٠٦ كيلو جرام، وعليه فالقفيز = [٢٤,٤٨٠ = ٨ × ٣,٠٦] كيلو جرام. راجع: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١، ص ٢٦٣؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ٢٣٠؛ علي جمعه محمد، المكاييل والموازين الشرعية، دار القدس للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٩-٤٠.

[تأريخ بناء بغداد]

- ٣ ومدينة بغداد بناها أبو جعفر المنصور سنة خمس وأربعين ومائة.
قال عبيد الله بن إسحاق^١: بنى أبو جعفر بغداد سنة خمس وأربعين ومائة،
وازتفع بناؤها سنة تسع وأربعين.
- ٦ وقال إبراهيم بن الجئيد^٢: قطن أبو جعفر بغداد سنة تسع وأربعين ومائة، وكان
أسسها قبل [٣٠٠ظ] ذلك بسنة أو ثنتين، وكانت قديمة فمصرها وأخذ في بناء المدينة،
فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم، ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين^٣ - عليهما
٩ السلام - ترك البناء وعاد إلى الكوفة وحول بيوت الأموال والخزائن إليها، فلما
انقضى أمر محمد وإبراهيم رجع، فاستتم بناءها، وبنى سورها القديم سنة سبع
وأربعين ومائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة^٤.
- ١٢ وقبل ذلك بنى^٥ الرضا في الجانب الشرقي للمهدي، وكانت الرضا تعرف
بعسكر المهدي لأنه عسكر بها حين شخص إلى الرّي.

^١ في الأصل: الحسين، والتصويب من البلاذري: فتوح البلدان؛ ياقوت.

^٢ في الأصل: ما بناء.

^١ عبيد الله بن إسحاق بن إبراهيم، تولى بغداد ومعاون السواد للخليفة العباسي المتوكل. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٣٨.

^٢ إبراهيم بن الجئيد النصراني الكاتب، أحد رجال بلاط المتوكل. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٦٢.

^٣ نقل ابن الفقيه هذا الخبر من البلاذري بتصريف طفيف، دون أن يشير. فتوح البلدان، ص ٤١٤.

^٤ المدينة التي بناها الخليفة المهدي للعسكر على الجانب الشرقي من دجلة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٦.

فَلَمَّا قَدِمَ مِنَ الرَّيِّ^a [وقد بدا للمنصور في إنقاده إلى خراسان للإقامة بها،]^a
نزل الرصافة، وذلك في سنة إحدى وخمسين ومائة^١.

٣ وقد كان المنصور أمر ببناء قصر للمهدي، وهو القصر المعروف بقصر الوضاح
في الشرقية،^b [بما يلي باب الكرخ]^b، فبنى ونسب إلى الوضاح، والوضاح رجل
من أهل الأتبار تولى النفقة عليه فنسب إليه.

٦ وبنى المنصور مسجدي مدينة السلام، وبنى القنطرة الجديدة^٢ على الصراة،
وإتباع أرض مدينة السلام من [قوم من] أرباب القرى بادوريا^٣، وقطربل^٤، ونهر
بوق^٥ ونهر بين^٦ وأقطعها أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه. وجعل مجمع
٩ مجمع الأسواق بالكرخ وأمر التجار فابتنوا الحوانيت والزمامم الغلة^٧.

(b-b) تكملة من البلاذري.

(a-a) التمه من البلاذري.

(c) الزيادة من البلاذري.

^١ قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٦.

^٢ القنطرة الجديدة: سميت بذلك لأن المنصور بناها على نهر الصراة، وكانت تلي دور الصحابة [صحابة
المنصور] وطاق الحراني. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٥.

^٣ سبق تعريفها ص ٢٠١.

^٤ قطربل: اسم لطسوج من طساسيج بغداد، فما كان من شرقي الصراة - السابقة الذكر - فهو بادوريا، وما كان
من غربيها فهو قطربل. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧١.

^٥ نهر بوق: طسوج من سواد بغداد. نفسه: ج ٥، ص ٣١٨.

^٦ نهر بين: يقع نواحي بغداد. نفسه: ج ١، ص ٥٣٥.

^٧ نقل ابن الفقيه هذا الخبر بتمامه من كتاب فتوح البلدان للبلاذري. ص ٤١٤.

وَرُوي^١ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الحَيْرَةِ جاءَ إلى المثنى بن حارثة الشيباني^٢ فقال: ألا أدلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى والسواد،^٣ ويجمعون بها في كل سنة يوماً، ومعهم من الأموال ما لا يُحَدُّ^٤، وهذه أيام سوقهم [التي يجمعون فيها]^٥ فإن أنت أغرت عليهم أصبت فيها مالا يكون فيه غناء للمسلمين وتقوية على عدوهم. قال: فأى شيء يقال لهذه القرية؟ قال: بغداد.

قال: وكم بينها وبين المدائن؟ قال: بعض يوم. قال: وكيف لي بها؟ قال: تأخذ طريق البر حتى تنتهي إلى الخنافس^٦،^٣ فإن أهل الأتبار سيصيرون إليها ويخبرون ويخبرون عنك فيأمنون، ثم تُعرج على أهل الأتبار فتأخذهم بالأدلاء، وتسير ليلتك في الأتبار حتى تأتيهم صباحاً، فتغير عليهم وهم غارون.

(١-٥) لدى الخطيب البغدادي: «ويجتمع بها في كل سنة من أموال الناس مثل خراج العراق».

(٦) التمة من الخطيب البغدادي.

(٣) لدى الخطيب البغدادي: الأتبار.

^١ ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه هذه الرواية، وأوردها بإسناد له عن ابن إسحاق: أن أهل الحيرة قالوا للمثنى، وذكرها الطبري أيضاً في تاريخه، مسندة إلى سيف بن عمر التميمي، أن رجلاً من أهل الحيرة قال للمثنى، ولفظ الروایتين متقارب.

قارن: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٢٣؛ تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٧٣.

^٢ المثنى بن حارثة الشيباني، له صحبه، وكان شجاعاً شهيداً بطلاً، حسن الرأي والإمارة، أبل في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد. توفي سنة ١٤هـ/٦٣٥م، انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ١٤٥٦.

^٣ الخنافس: أرض للعرب في طرف العراق قرب الأتبار، تقام فيه سوق للعرب. انظر: ياقوت الحموي: معجم معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩١.

فخرج من أليس^(أ) إلى [٣١] الخنافس ثم عرَّج إلى الأنبار^(ب) ، فلمَّا أحسَّهُ صَاحِبُهَا^٢ تَحَصَّنَ، وهو لا يذري من هو، وذلك ليلاً، فلمَّا عَرَفَهُ نَزَلَ إِلَيْهِ، فَأَطْمَعَهُ وَخَوْفَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ وَقَالَ: إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أُغِيرَ، فَأَبْعَثْ مَعِيَ الْأَدْلَاءَ حَتَّى أُغِيرَ مِنْهَا عَلَى الْمَدَائِنِ.

قال: أنا أجيءُ معك. قال: لا، ولكن ابعتْ معي من هو أدلُّ منك، فبعثتْ معهم الأدلِّاءَ حتى إذا كانوا بِالْمَنْصَفِ قال لهم المُتَنِي: كم بيننا وبين هذه القرية؟ قالوا: أربعة فراسخ^(ج) [أو خمسة وقد بقي عليك ليل]^(د).

فقال لأصحابه: من يتدبُّ للحرس؟ فانتدب له قومٌ فقال: اذكوا حرسكم، ونزل، فلمَّا كان في آخر الليلِ أسرى إليهم وصبَّحهم، وهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيفَ، فقتلَ وأخذ ما شاء، ثم قال: يا أيُّها النَّاسُ، لا تأخذوا إلاَّ الذهبَ والفضةَ ولا تأخذوا من المتاعِ إلاَّ ما يقدر الرجلُ أن يحمله على دابته، وهرب أهلُ السُّوقِ وملاَّ المسلمون أيديهم من الصِّفراءِ والبيضاءِ، ثم سارَ حتى وافى الأنبارَ، وذلك في سنة ثلاث عشرة. قال: وخرج المنصورُ منحدراً إلى جرجارياً ليزتاد منزلاً، ثم صارَ إلى بغدادَ ومنها إلى الموصلِ، ثم عادَ إلى موضعِ بغدادَ^٣.

^(أ) لدى الخطيب البغدادي: النخيلة.

^(ب) لدى الخطيب البغدادي: «ومعه أدلاء أهل الحيرة حتى دخل الأنبار». ^(ج-د) التمة من الخطيب البغدادي.

^١ أليس: موضع يقع في أول أرض العراق من ناحية البادية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٤٨.

^٢ ذكر ياقوت أنه مارزيانها واسمه سفروخ، وليس صاحبها. نفسه، ج ١، ص ٤٥٧.

^٣ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ وجرجارياً: بلد من أعمال النهروان الأسفل

بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٣.

فقال: هذا موضع معسكرٍ جيد، هذه دجلة^(a)، ^(b)يأتينا كل ما في البحر منها، وتأتينا أيضاً فيها الميرة من الجزيرة وأزمينية وما والاها، وهذا الفرات يُحتمل فيه متاع الشام والرقّة وذلك البلد^(b)، فنزل وصرب عسكره على الصّراة وخطّ المدينة ووكل بكل ربيع قائداً.

وقال سليمان بن مجاليد^٢: أفسد أهل الكوفة جُند المنصور، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلاً، وطريقُ الناس يومئذ على المدائن، فخرجنا على سابات^٣، فتخلف بعض أصحابنا لرمدٍ أصابه، فأقام يُعالج عينيه فسأله الطيّب: أين يريد أمير المؤمنين؟، قال: يرتاد منزلاً، قال: فإننا نجد في كتاب عندنا أن رجلاً يدعى مقلصاً يبني مدينة بين الصّراة ودجلة تدعى الزوراء، فإذا أسسها أتاه فتق من

^(a) لدى الطبري بزيادة: «ليس بيننا وبين الصين شيء».

^(b-b) في تاريخ الطبري: «يأتينا فيها كل ما في البحر وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك، وهذا الفرات يجمي فيه كل شيء من الشام والرقّة وما حول ذلك».

^١ أرمينية: بلد عظيم واسع، يمتد شمالاً إلى جبال القبق (القوقاز) والبحر الأسود، وبعض إقليم الجزيرة جنوباً، وبحر الخزر (قزوین) شرقاً، وأسيا الصغرى غرباً. وتقع حالياً ما بين تركيا وأذربيجان وإيران. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠؛ ومادة أرمينيا، بدائرة المعارف الإسلامية (بالإنجليزية). ط ٢، ج ١، ص ٦٣٤-٦٤٠.

^٢ سليمان بن مجالد بن أبي المجالد، أخو المنصور من الرضاعة، وعندما أفضت الخلافة إلى المنصور، قربه وتولى له إمرة الري والخرائن، توفي في خلافته. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٢، ص ٣٦٥-٣٦٦.

^٣ سابات كسرى: موضع معروف بالمدائن، والسابات عند العرب: سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٦.

الحِجَازَ، فَقَطَعَ بِنَاءَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى إِصْلَاحِ ذَلِكَ الْفَتْحِ، فَإِذَا كَادَ أَنْ يَلْتَمِسَ أَنَّهُ فَتَحَ آخِرَ
 مِنَ الْبَصْرَةِ، هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَوَّلِ [٣١١ظ]، فَلَا يَلْبَثُ الْفَتْحَانِ أَنْ يَلْتَمِسَا، ثُمَّ يَعُودُ
 ٣ إِلَى بِنَائِهَا فَيُتِمُّهُ، [ثُمَّ] يُعَمِّرُ عُمَرَا طَوِيلًا وَيَبْقَى الْمَلِكُ فِي عَقِبِهِ، قَالَ: فَأَخْبِرْتُ
 الْمَنْصُورَ بِذَلِكَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ هُوَ، لَقَدْ لُقِّبْتُ بِمِقْلَاصًا وَأَنَا صَبِيٌّ لَخَيْرٍ كَانَ لِي،
 ثُمَّ انْقَطَعَ ذَلِكَ اللَّقْبُ عَنِّي^١.

٦ وَقَالَ ابْنُ عِيَّاشٍ^٢: لَمَّا أَرَادَ الْمَنْصُورُ الْإِنْتِقَالَ مِنَ الْهَاشِمِيَّةِ^٣ بَعَثَ رُوَادًا يَرْتَادُونَ
 لَهُ مَوْضِعًا يَبْنِي فِيهِ مَدِينَةً، وَيَكُونُ الْمَوْضِعُ وَاسِطًا رَافِقًا بِالْعَامَّةِ وَالْجُنْدِ.

فَنُعِتَ لَهُ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ بَارِمَاءَ، وَذُكِرَ لَهُ عَنْهُ غِذَاءٌ وَطِيبٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ
 ٩ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ وَبَاتَ فِيهِ، فَرَأَهُ مَوْضِعًا طَيِّبًا فَقَالَ لِمَجَاعَةٍ مِنْ خَاصَّتِهِ مِنْهُمْ، سُلَيْمَانَ
 بِنَ مَجَالِدٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْحَوْزِيِّ^٤.

^(٥) لدى ياقوت: المرزباني.

^١ أورد الطبري في تاريخه هذه الرواية، وذكر أنه نقلها من [عمر بن شبة] والذي رواها بدوره عن محمد بن معروف بن سويد عن أبيه، عن سليمان بن مجالد. وربما كان عمر بن شبة أحد مصادر ابن الفقيه. انظر: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٥.

^٢ تقدمت ترجمته راجع ص ٤٩.

^٣ عاصمة العباسيين الأولى، اختطها أبو العباس السفاح قرب الكوفة، وشرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، ونزلها سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م. وتوفي قبل أن يتم بناءها. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٧.

^٤ قرية تقع شرق نهر دجلة. نفسه: ج ١، ص ٣٢٠.

^٥ وزير الخليفة أبي جعفر المنصور وصاحب ديوان الرسائل. راجع: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٦٦-٣٣٢.

وعبدُ الملكِ بنِ حميدِ الكاتِبُ^١: ما رأيكم في هذا الموضعِ؟ قالوا: موضعٌ طيبٌ موافقٌ صالحٌ، قال: صدقتم، هو كذلك، ولكنه لا^٢ يَحْتَمِلُ الجندَ والنَّاسَ وإنما أريدُ موضعًا تُرتَفَقُ به الرَّعيَّةُ ويُوَافِقُهَا^٣، ولا تَغْلُوا عليها فيه الأَسْعَارُ، ولا تَشْتَدُّ فيه المؤونةُ، فَإِنِّي إِن أقمْتُ في موضعٍ لا يَجِلِبُ إليه البرُّ والبَحْرُ غَلَّتِ الأَسْعَارُ وَقَلَّتِ المادَّةُ واشتدَّتِ المؤونةُ وشقَّ ذلك على النَّاسِ، وقد مرَّرتُ في طريقي بموضعٍ قد اجتمعت فيه هذه الخِصَالُ، فأنا راجعٌ إليه وبأيتِّ فيه، فإن اجتمع لي [فيه] ما أريدُ من طيبِ اللَّيْلِ^٤ فهو موافقٌ لما أريدُهُ لي وللنَّاسِ^٥.

قال: فأتى موضعَ بَغْدَادَ وعبرَ في موضعِ قَصْرِ السَّلَامِ، ثم صَلَّى العَصْرَ، وذلك في صَيْفٍ وحرٍّ شديدٍ. قال: وكان في ذلك المكانَ بَيْعَةٌ^٦ فَبَاتَ أَطْيَبَ مَيْتٍ، وأقامَ يومَهُ، فلم يرَ إلا خَيْرًا فقال: هذا موضعٌ صالحٌ للبناءِ، فإنَّ المادَّةَ تأتيه من الفُراتِ ودجلةَ وجماعةِ الأَنْهَارِ، ولا يَحْمِلُ الجندَ والرَّعيَّةَ إلا مثلهُ.

فَحَطَّ المَدِينَةَ وَقَدَّرَ البناءَ ووضعَ أوَّلَ لِينَةٍ بيدهِ وقال: بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

(a-a) لدى الطبري: «يحمل الجند والناس والجماعات وإنما أريد موضعًا يرتفق بالناس به ويوافقهم مع موافقته لي».

(b-b) لدى الطبري: «الموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه».

(c) لدى الطبري: بيعة قس.

^١ عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي، قلده المنصور كتابته ودواوينه، فكان على رسائل الفتوح،

وديون جند خراسان، وخراج صوافي الأرض وأحوازاها. وكانت له عند المنصور منزلة رفيعة.

انظر في أخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١٠٩.

ثم قال ابْنُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ^١.

وقال سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ^٢: إِنَّ الْمَنْصُورَ، لَمَّا قَدِمَ الْقَائِدُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ يَرْتَادُ مَنْزِلًا، وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِهِ، انصَرَفَ [٣٢٠] رَاجِعًا حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ الدَّيْرِ الَّذِي بِحِذَاءِ الْقَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالخَلْدِ^٣.

ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ الدَّيْرِ وَأَمَرَهُ بِإِخْصَارِ البَطْرِيْقِ، وَكَانَ هُنَاكَ بِطَرِيقٍ مَقِيمٌ، وَصَاحِبُ بَغْدَادٍ وَصَاحِبُ الْمُخَرَّمِ^٤ وَصَاحِبُ دَيْرِ القَسِّ وَصَاحِبُ العَتِيقَةِ^٥، وَهَؤُلاءِ ثَنَاءُ النَّاحِيَةِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ ضِيَاعٌ حَوْلَ بَغْدَادِ.

فَلَمَّا حَضَرُوا عِنْدَهُ سَأَلَهُمْ عَنِ مَوَاضِعِهِمْ وَكَيْفَ هِيَ فِي الحَرِّ وَالبَرْدِ وَالأَمْطَارِ، فَكَلَّ وَاحِدٌ مِنْهُمُ قَالٌ قَوْلًا بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنَّهُ وَجَّهَ رَجَالًا مِنْ ثِقَاتِهِ فَبَاتَ كُلُّ

^(١) في الأصل: الخالد. والتصويب من الطبري.

^١ أورد الطبري هذه الرواية في تاريخه، وأسندها إلى الهيثم بن عدي، عن ابن عياش. وعلى ذلك تكون مصنفات الهيثم بن عدي من المصادر المشتركة لابن الفقيه والطبري، وقد صرح ابن الفقيه بالأخذ عن الهيثم مرارًا. قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٥.

^٢ نقل الطبري هذا الخبر في تاريخه، وبدأها بقوله: «ذكر عن بشر بن ميمون الشروي وسليمان بن مجالد أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل...». قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٦.

^٣ حلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المثل، تنسب إلى مخزوم بن يزيد بن شريح بن مخزوم بن مالك بن زبيعة بن الحارث بن كعب، كان يتزها أيام نزول العرب السواد في بدء الإسلام، قبل أن تعمر بغداد بمدة طويلة فسمي الموضوع باسمه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٧١.

^٤ وتام العبارة من الطبري: «... فدعا بصاحب الدير، وأحضر البطريق صاحب رحا البطريق، وصاحب بغداد، وصاحب المخرم، وصاحب الدير المعروف ببستان القس، وصاحب العتيقة». تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٦.

واحد منهم في قرية من القرى القريبة من بغداد، فلما عادوا إليه اتفق قوتهم على طيب الموضوع وصحة هوائه.

٣ فقال لصاحب بغداد، وهو الدهقان الذي قرنته قائمة إلى اليوم في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي^١، وداره قائمة على بنايتها، وكان عاقلاً فهماً: ما الرأي عندك فيما قد عملت عليه من البناء في أحد هذه المواضع؟
٦ فقال: يا أمير المؤمنين، سألتني عن هذه الأمكنة وطبيعتها، وهي كلها طيبة والاختيار إليك فيها.

فقال له المنصور: دع اختياري وأخبرني عمّا عندك في مكان مكان منها، فقال:
٩ الذي أراه يا أمير المؤمنين، أن تنزل في نفس بغداد، فإنك بين أربعة طساسبج، منها طسوجان في الجانب الغربي، وطسوجان في الجانب الشرقي، فاللذان في الغربي، فهما قُطربل وبأدورياً^٢.

١٢ وأما اللذان في الشرقي فهما نهر بوق وكلواذى^٣، فإن خرب منها طسوج أو تأخرت عمارته كان الآخر عامراً، وأنت، يا أمير المؤمنين، على الصراة ودجلة، تحيئك الميرة من المغرب في الفرات ومن الشام ومصر وسائر تلك البلدان.

^١ الفضل بن سليمان الطوسي، من أهل أبيورد، ودهقان قرية الوردانية التي كانت في مربعة أبي العباس، قيل إنها كانت قرية جده من قبل أمه، وأنه من دهاقين يقال لهم (بنو زراى). انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٥.

^٢ مرّ تعريفها ص ٢٠١.

^٣ طسوج قرب بغداد، وناحية الجانب الشرقي منها، ومن ناحية الجانب الغربي من نهر بوق. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٧.

وَيُحْمَلُ إِلَيْكَ طَرَائِفُ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالسَّنْدِ وَالْبَصْرَةَ وَوَاسِطَ فِي دِجْلَةَ، وَتَحِيَّتُكَ
مِيرَةُ أَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبَيْجَانٍ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا فِي تَامَرًا^١، وَتَحِيَّتُكَ الْمِيرَةُ مِنَ الرُّومِ وَأَمْد
وَمِيَّافَارِقِينَ^٢ وَأَرْزُنَ^٣ وَالثُّغُورَ الْجَزْرِيَّةَ.

٣ ومن الْجَزْرِيَّةِ وَالْمَوْصِلِ وَبَلَدٍ وَنَصِيْبِيْنَ إِلَى مَشَارِفِ الشَّامِ فِي دِجْلَةَ وَأَنْتَ بَيْنَ
أَنْهَارٍ لَا يَصِلُ [٣٢٦ظ] إِلَيْكَ عَدُوْكَ إِلَّا عَلَى جِسْرِ أَوْ قَنْطَرَةٍ، فَإِذَا قَطَعْتَ الْجِسْرَ
وَأَخْرَبْتَ الْقَنْطَرَةَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ [عَدُوْكَ]^٤، وَأَنْتَ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفَرَاتِ، لَا يَحِيَّتُكَ
٦ أَحَدٌ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا اِحْتِيَاجٌ إِلَى الْعُبُورِ، وَأَنْتَ مُتَوَسِّطٌ لِلْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ
وَوَاسِطٌ [وَالْمَوْصِلِ]^٥ وَالسَّوَادِ، وَأَنْتَ قَرِيبٌ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْجَبَلِ^٤.

٩ فَازْدَادَ الْمَنْصُورَ رَغْبَةً فِي الْمَوْضِعِ وَأَمَرَ بِالْبِنَاءِ فِيهِ، وَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الدَّهْقَانُ: نَعَمْ، يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَاهُنَا شَيْءٌ آخَرَ، قَالَ: مَا هُوَ؟

١٢ قَالَ: إِنَّ الْمَدْنَ تَحْصَنُ بِالْأَسْوَارِ وَالْحِتَادِيقِ، وَقَدْ رَزَقَكَ اللهُ سَوْرًا^٦ وَخَنَدَقًا لَمْ
يُعْمَلْ مِثْلُهَا لِسَائِرِ مَدَنِ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ. قَالَ: وَمَا هُمَا؟ قَالَ: دِجْلَةَ وَالصَّرَاةُ
يَكْتَتِفَانِ مَدِيْنَتَكَ مِنْ جَانِبَيْهَا. فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ يَا دِهْقَانُ.

^(٤) التمتة من الطبري.

^(٥) في الأصل: سوقًا.

^(٦) الزيادة من الطبري.

^١ نهر واسع على الجانب الشرقي من بغداد، يحمل السفن في أيام المدود. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٧.

^٢ مِيَّافَارِقِينَ: مدينة حصينة مشهورة بديار بكر. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣٥-٢٣٨.

^٣ أَرْزُنَ: مدينة مشهورة من أعمار نواحي أرمينية. نفسه، ج ١، ص ١٥٠.

^٤ قَارَنَ: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ٦١٥-٦١٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٨.

وقال سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ^١: وَوَجَّهَ الْمَنْصُورُ فِي حَشْرِ الصُّنَاعِ وَالْفَعْلَةَ مِنَ الشَّامِ وَالْمَوْصِلِ وَالْجَبَلِ وَالْكُوفَةِ وَوَايَسَطَ وَالْبَصْرَةَ فَأَخْضَرُوا، وَأَمَرَ بِاخْتِيَارِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدَالَةِ وَالْفِقْهِ وَالْأَمَانَةِ وَالْمَعْرِفَةِ [بِالْهَنْدَسَةِ]^(أ)، فَجَمَعَهُمْ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَشْرُقُوا عَلَى الْبِنَاءِ.

وكان فيمن أخضر الحجاج بن أظطاة^٢، وأبا حنيفة [النعمان بن ثابت]^(ب) ثم أمر بخطط المدينة وحفر الأساسات وضرب اللبن وطبخ الأجر فبدئ بذلك. وكان أول ابتدائه في عملها سنة خمس وأربعين ومائة.

وكان المنصور أراد أبا حنيفة أن يتولى له شيئا من أمرها فأبى، وأزاده على القضاء فأبى أيضا، فحلف المنصور أن لا بد له من أن يتولاه، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فولاه عد اللين، وأخذ الرجال بالعمل، وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه، فكان أبو حنيفة يتولى ذلك حتى فرغ من استتمام الحائط الذي يلي الحندق، وكان الفراغ منه سنة تسع وأربعين ومائة، وكان أبو حنيفة أول من عد اللين بالقصب.

(أ) مطموسة في الأصل: والمثبت من الطبري: تاريخ الرسل والملوك؛ ياقوت.

(ب) التتمة من الطبري.

^١ أورد الطبري هذا الخبر في تاريخه، وعزاه إلى السري بن يحيى عن سليمان بن مجالد. هذا وربما كان السري بن

يحيى أحد مصادر ابن الفقيه المتعاضى عن ذكرها. قارن الرواية في: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٨.

^٢ مرت ترجمته ص ١٧٨.

^٣ الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، صاحب المذهب المشهور.

قال: وأمر المنصور^(أ) بإحكام الأساس^(أ) وأن يُجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً، وأن يكون أعلاه عشرين ذراعاً، وأن يُجعل في البناء حِراز^(ب) القصب [٣٣] مكان الخشب، فلما بلغ السور مقداراً قامية، - وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة- اتصل به خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن^(ج)، فقطع البناء حتى فرغ من أمره وأمر أخيه إبراهيم بن عبد الله^(د).

وقال جابر بن داود^(٣): كانت بغداد قديمة وكانت في أيدي قوم من الدهاقين بعضها منسوب إلى طسوج باردويا من الجانب الغربي، وكان الجانب الشرقي بعضه إلى طسوج نهر بوق وبعضه إلى كلواذى، والفرق ما بين الطسوجين المعروف بالفارقين حتى مصرها المنصور^(٤).

(أ-ه) لدى الطبري: «بحفر الخندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس».

(ب) رُسمت في الطبري "جواز"؛ وفي ياقوت: "جرز"؛ وفي مسكويه: "حوائر". والصواب ما أثبت في المتن.

^١ كذا في الأصل وهي جمع "حرز" والمعنى: أن تُضم أعواد القصب بعضها إلى بعض لتشكل شداًت. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ح رز] ج ٥، ص ٣٣٣-٣٣٤.

^٢ قارن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٩؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب المهتم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، ٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٤١٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٣٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٨٨.

^٣ جابر بن داود البلاذري الجد، كاتب الخصب بن عبد الحميد أمير مصر أيام الرشيد. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج ٢، ص ٥٣١.

^٤ يعيد ابن الفقيه نقل هذه الرواية مرة أخرى بتصريف، رغم أنه ذكرها في صدر حديثه عن مدينة السلام بتامها ولم يشر لمصدره؛ فهنا ولأول مرة في الجزء الثاني من الكتاب يصرح بالمصدر الذي ينقل عنه وهو: البلاذري، إلا أنه لم يذكر اسمه، وإنما أشار إليه بذكر اسم جده، مع أنه العلم المشهور، والشخصية الأدبية المتعددة =

٢ وقال علي بن يقطين: كُنْتُ فِي عَسْكَرِ أَبِي جَعْفَرٍ حِينَ صَارَ إِلَى الصَّرَاةِ يَلْتَمِسُ مَوْضِعًا لِبِنَاءِ مَدِينَتِهِ. قَالَ: فَتَزَلَّ الدَّيْرَ الَّذِي عَلَى الصَّرَاةِ فِي الْعَتِيقَةِ، فَمَا زَالَ عَلِيٌّ دَابَّتَهُ ذَاهِبًا وَجَائِيًا مُنْفَرِدًا عَنِ النَّاسِ يَفْكَرُ.

٦ قال: وَكَانَ فِي الدَّيْرِ رَاهِبٌ عَالِمٌ، فَقَالَ لِي: لِمَ يَذْهَبُ هَذَا الْمَلِكُ وَيَجِيءُ؟ قُلْتُ: يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ مَدِينَةً. قَالَ: فَمَا اسْمُهُ؟ قُلْتُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ. قَالَ: أَبُو مَنْ؟ قُلْتُ: أَبُو جَعْفَرٍ. قَالَ: يُلَقَّبُ بِشَيْءٍ؟ قُلْتُ: الْمَنْصُورُ. فَقَالَ: لَيْسَ هُوَ الَّذِي يَبْنِيهَا. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ قَدْ وَجَدْنَا فِي كِتَابٍ عِنْدَنَا نَتَوَارَثُهُ قَرْنًا عَنِ قَرْنِ: الَّذِي يَبْنِي مَدِينَةً فِي هَذَا الْمَكَانِ يُقَالُ لَهُ مِقْلَاصٌ.

٩ قال: فَرَكِبْتُ مِنْ وَقْتِي حَتَّى تَقَدَّمْتُ مِنْهُ فَقَالَ: [لِي] مَا وَرَاءَكَ؟ قُلْتُ: خَبْرٌ أَلْقِيَهُ إِلَيْكَ وَأُرِيحُكَ [مِنْ] هَذَا الْعَنَاءِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟

١٢ قُلْتُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ أَنَّ هَوْلَاءَ الرُّهْبَانَ مَعَهُمْ عِلْمٌ وَقَدْ أَخْبَرَنِي رَاهِبٌ هَذَا الدَّيْرِ بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ. فَلَمَّا ذَكَرْتُ لَهُ مِقْلَاصَ ضَحِكَ وَاسْتَبَشَّرَ، وَنَزَلَ عَنِ دَابَّتِهِ فَسَجَدَ، وَأَخَذَ سَوْطَهُ فَأَقْبَلَ يَذْرُوعُ بِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لِحَقِّهِ اللَّجَاجُ، ثُمَّ دَعَا الْمُهَنْدِسِينَ مِنْ وَقْتِهِ فَأَمَرَهُمْ بِخَطِّ الرَّمَادِ.

١٥ فَقُلْتُ لَهُ: أَظُنُّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَدْتَ مُعَانَدَةَ الرَّاهِبِ وَتَكْذِيبَهُ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ مَلَقَّبًا بِمِقْلَاصٍ وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا عَرَفَ ذَلِكَ غَيْرِي، فَاسْمَعْ

=الجوانب فهو الكاتب والشاعر الناظم، والراوية المدقق وأحد البلغاء المشهورين. وهذه الإشارة رغم أهميتها تثير التساؤل: لماذا قصد ابن القضيه تعمية مصادره على القارئ؟! وربما تكون الإجابة أن البلاذري يعد قريب العصر من ابن القضيه والمعاصرة حجاب.

٣ حَدِيثِي بِسَبَبٍ [٣٣ظ] هَذَا اللَّقْبِ: كُنَّا بِنَاحِيَةِ الشَّرَاةِ^١ فِي زَمَانِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى الْحَالِ [التي] تَعَلَّمْتُ، فَكُنْتُ وَمَنْ كَانَ فِي مِقْدَارِ سِنِّي مِنْ عُمُومِي وَإِخْوَتِي نَتَدَاعَى وَنَتَعَاشَرُ، وَفَبَلَغَتِ النَّوْبَةُ^٢ إِلَيَّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، وَمَا أَمْلِكُ دِزْهَمًا وَاحِدًا فَمَا سِوَاهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَفَكِّرُ وَأَعْمَلُ الْحِيلَةَ إِلَى أَنْ أَصَبْتُ غَزْلًا لِدَائِيهِ كَانَتْ لِي، فَسَرَقْتُهُ، ثُمَّ وَجَّهْتُ بِهِ فِيبَعَ [لي]^٣ وَاشْتَرَيْ [لي]^٤ بِشَمْنِيهِ مَا اخْتَجْتُ إِلَيْهِ، وَجِئْتُ إِلَى الدَّايَةِ فَقُلْتُ لَهَا: ٦ أَفْعَلِي كَذَا وَاصْنَعِي كَذَا.

قالت: ومن أين لك ما أرى؟ قلت: اقترضت دراهم من بعض أهلي. ففعلت ما أمرتها به، فلما فرغنا من الأكل وجلسنا للحديث طلبت الغزل، فلم تجده، فعلمت أنني صاحبه، وكان في تلك الناحية لص يقال له مقلص مشتهر بالسرقه، فجاءت إلى باب البيت الذي كنت فيه فدعنتي، فلم أخرج إليها لعلمي أنها قد وقفت على ما عملت، فلما ألحنت، وأنا لا أخرج، قالت: أخرج يا مقلص، الناس يتحرزون من مقلصهم، ومقلصي معي في البيت، فمزح معي إخوتي وعمومي ١٢ بهذا اللقب ساعة، ثم لم أسمع به إلا منك الساعة^٥ ٣.

^١ الزيادة من ياقوت.

^٢ لدى الطبري: «قال: فأنا والله ذاك! لقد سُميت مقلصًا وأنا صبي، ثم انقطعت عني».

^٣ الشراة بالشين المعجمة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة، التي سكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في أيام بني مروان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٣٢.

^٤ يقصد أنه كان عليه في هذا اليوم أن يقوم بإطعام إخوته وأبناء عمومته.

^٥ انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٦١٥.

قُلْتُ: إِنَّ الرَّاهِبَ قَالَ لَكَ ذَلِكَ فَعَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ سَيَبُتُّ عَلَى [يَدِي] ^(a)
بِصِحَّةِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ ^١.

٢ قَالَ الشَّرُويُّ ^٢: أَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَشَايخِ [مَنْ] الْمَوَالِي أَنَّ الْمَنْصُورَ، لَمَّا أَرَادَ بِنَاءَ
بَغْدَادَ، وَقَفَ فِي وَسْطِ الْمَكَانِ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ يَجْعَلَهُ مَدِينَةً، وَأَمَرَ أَنْ يُوتَدَ هُنَاكَ وَتَدُّ،
وَأَخَذَ حَبْلًا فَمَدَّهُ عَلَى الْمَقْدَارِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ تَكُونَ اسْتِدَارَتُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِطَرْحِ الرَّمَادِ
٦ فطُرِحَ، ثُمَّ نَقَصَ مِنْ مِقْدَارِهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا.

٩ ثُمَّ أَدَارَ خَطًّا آخَرَ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْحَطَّيْنِ الْحَنْدُوقَ، وَجَعَلَ فَتْحَتَهُ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا،
ثُمَّ عَمَلَ السُّورَ الَّذِي خَلْفَ الْفَصِيلِ، وَعَرَضَهُ مِنْ أَسْفَلِهِ ثَمَانِيَةَ عَشْرَ ذِرَاعًا وَعَرَضُ
أَعْلَاهُ سِتَّةَ أَذْرَعٍ، وَجَعَلَ عَلَى ذِرَاعٍ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ يَلِي الْحَنْدُوقَ الشَّرَاقَاتِ، فَصَارَ الْبَاقِي خَمْسَةَ
أَذْرَعٍ يَمْشِي عَلَيْهَا النَّاسُ ^٣.

(a) الزيادة من معجم البلدان.

^١ لدى الطبري رواية أخرى: - «فقال [المنصور] للراهب الذي في الدير: يا راهب، أريد أن أبني هاهنا مدينة، فقال: لا يكون، إنما يبني هاهنا ملك يقال له أبو الدوانيق، فضحك المنصور في نفسه، وقال: أنا أبو الدوانيق. وأمر فخطت المدينة». راجع: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧ ص ٦١٩، نقل ياقوت الخبَر بتمامه، ج ١ ص ٤٥٩.

^٢ هناك أكثر من شخص يعرفون باسم الشروي، لكن صاحب الأخبار المتواترة في المصادر عن بناء بغداد هو: أحمد بن محمود أبو العباس الشروي، المتوفى سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م. انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٠.

^٣ أورد الخطيب البغدادي تقدير مساحة بغداد ووصف أسوارها وخذاقها بشكل مغاير، وهاك الخبر بتمامه: - «قَالَ وَكَيْعَ فِيهَا بَلْغَنِي عَنْهُ: إِنَّ الْمَدِينَةَ مَدْرُورَةٌ عَلَيْهَا سُورٌ مَدْرُورٌ، قَطْرُهَا مِنْ بَابِ خِرَاسَانَ إِلَى بَابِ الْكُوفَةِ أَلْفَا ذِرَاعًا وَمِثْلُهَا ذِرَاعًا، وَمِنْ بَابِ الْبَصْرَةِ إِلَى بَابِ الشَّامِ أَلْفَا ذِرَاعًا وَمِثْلُهَا ذِرَاعًا، وَسَمَّكَ ارْتِفَاعَ هَذَا السُّورِ الدَّخْلَ وَهُوَ سُورُ الْمَدِينَةِ فِي السَّيِّئِ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَعَلَيْهِ أَرْبَعَةُ [أَبْرَاجٍ] سَمَّكَ كُلُّ بَرَجٍ مِنْهَا فَوْقَ السُّورِ خَمْسَةٌ»

قال حماد التُّركي^١: بنى المنصورُ المدينةَ مدورةً لأنَّ المدورةَ لها معانٍ لئسَتْ للمُرَبَّعةَ، وذلك أنَّ المُرَبَّعةَ، إذا كان [٣٥] السَّمَلِكُ في وسطِها، كان بعضها أقربَ إليه من بعضٍ، والمدورةُ من حيث مُسِحَتْ كان أمرُها إلى وسطِها كان مُستَوياً لا يَزِيدُ بعضها على بعضٍ، وبنى لها أربعةَ أبوابٍ، فكان إذا جَاءَها الجائِي من المَشْرِقِ دخل من بابِ خُرَاسَانَ، وإذا جَاءَها من الحِجَازِ دخل من بابِ الكُوفَةِ، وإذا [جَاءَ] من المَغْرِبِ دخل من بابِ الشَّامِ، وإذا جَاءَ من فَارِسِ والأهوازِ والبَصْرَةِ وواسطِ واليَمَامَةِ والبَحْرَيْنِ وعُمَانَ دخل من بابِ البَصْرَةِ.

وعمَلَ لها سُورَيْنِ وفَصِيلَيْنِ، بين كلِّ بابٍ فَصِيلَانِ، والسُّورُ الدَّاخِلُ أطوَلُ من الخَارِجِ، وأمرَ ألا يَبْنِي إنسانٌ تحت السُّورِ شيئاً من المَنَازِلِ، وأمرَ أن يُبْنَى في الفَصِيلِ الثَّانِي مع السُّورِ المَنَازِلِ، لأنَّ ذلك أَحصَنُ للسُّورِ، ثم بَنَى قَصْرَهُ في وَسَطِهَا وبنَى المَسْجِدَ الجَامِعَ مع القَصْرِ^٢.

وعمَلَ السُّورَ عَلى ما أَرَادَ وأقْطَعَهَا القَوَادِ، وأنزَلَ فِيهَا حَاصِئَهُ وَأَهْلَ ثِقَاتِهِ، وجعلَ الطَّوْلَ من بابِ خُرَاسَانَ إلى بابِ الكُوفَةِ ثمانمائةَ ذِرَاعٍ، ومن بابِ الشَّامِ

= أذرع، وعلى السور شرف، وعرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعاً، ثم الفصيل بين السورين وعرضه ستون ذراعاً، ثم السور الأول وهو سور الفصيل ودونه خندق وللمدينة أربعة أبواب: شرقي وغربي وقبلي وشمالي، لكل باب منها بابان باب دون باب، بينها دهليز ورحبة يدخل إلى الفصيل الدائر بين السورين، فالأول باب الفصيل، والثاني باب المدينة. قارن: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٢.

^١ من قادة فرق الجند الأتراك، قلَّده أبو جعفر المنصور تعديل السواد، وكان من خاصة رجاله. لم اقف على تاريخ وفاته، انظر طرفاً من أخباره لدى: الجهشياري: محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي، توفي سنة ٩٤٣/٥٣٣ م: كتاب الوزراء والكتّاب، ص ١٣٤؛ الطبري: تاريخ الرسل ج ٨ ص ٦٣-٦٤، ص ١٠٣.

^٢ روى الخطيب البغدادي هذا الخبر عن وكيع القاضي. راجع: - تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٢.

إلى بابِ البَصْرَةِ سِتِّمِائَةِ ذِرَاعٍ، وَعَدَدُ الطَّاقَاتِ فِي السُّورِ الْكَبِيرِ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ طَاقًا
سِوَى الطَّاقِ الْمَفْتُوحِ، هَذَا فِي كُلِّ صَفٍّ، وَالطَّاقَاتُ الصَّغَارُ الَّتِي تَلِي الرَّحْبَةَ فِي كُلِّ
صَفٍّ سِتُّ طَاقَاتٍ سِوَى طَاقِي الْبَابَيْنِ.

وَمَسَاحَةُ^(أ) الْقَضْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ فِي مِثْلِهَا، وَمَسَاحَةُ^(ب) الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِائَتَا
ذِرَاعٍ فِي مِثْلِهَا، وَالَّذِي خَطَّ الْمَسْجِدَ: الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ، وَجَعَلَ حَوَالِي الْقَضْرِ
وَالْمَسْجِدِ رِحَابًا عَلَى تَرْبِيعِ الْقَضْرِ وَالْجَامِعِ، وَجَعَلَ الْأَبْوَابَ الدَّاخِلَةَ مُرَوَّاةً لَيْسَتْ
عَلَى سَمْتِ الْأَبْوَابِ الْخَارِجَةِ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ الزُّورَاءَ.

وَبَيْنَ الْقَضْرِ وَبَيْنَ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ مَسَاحَةٌ قَائِمَةٌ لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى
بَعْضٍ، وَكَذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ السُّورِ.

وَأَسَاطِينُ الْخَشَبِ الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ كُلُّ أَسْطُوَانَةٍ قَطْعَتَيْنِ مُعَقَّبَتَيْنِ
<بِالْعُقْبِ> وَالغُرَى وَضَبَّاتُ الْحَدِيدِ إِلَّا خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ عِنْدَ الشُّبَاكِ^(ب) الَّذِي يَلِي
الْمَنَارَةَ، فَإِنَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ عِدَّةَ قِطْعٍ مُعَقَّبَةٍ مُحْكَمَةٍ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ بَغْدَادٍ: هَدَمْنَا قِطْعَةً مِنَ السُّورِ [٣٥٥ظ] نَاحِيَةَ بَابِ الْمُحَوَّلِ،
فَوَجَدْنَا لِبِنْتَهُ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ بِمُغْرَةٍ: وَزَنُّهَا مِائَةٌ وَسَبْعَةٌ عَشَرَ رَطْلًا، فَوَزَنَّاهَا فَوَجَدْنَا
ذَلِكَ كَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا.

^(أ) فِي الْأَصْلِ: سَاحَةٌ.

^(ب) فِي الْأَصْلِ: الشَّنَالُ.

^١ تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ ص ١٧٨.

^٢ أورد كل من الخطيب البغدادي، وياقوت الحموي هذه الرواية، وعزياها إلى ابن الشروي.

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^١: لَمَّا أَرَادَ الْمَنْصُورُ بِنَاءَ مَدِينَتِهِ شَاوَرَ أَصْحَابَهُ

في ذلك، وكان فيمن شاوره خالد بن برمك^٢ فأشار عليه بيناتها، فلمَّا عملَ منها
٣ صَدْرًا صَالِحًا احتاج إلى الأجر فعزم على نقض إيوان كسرى الذي بالمذائن،
فاستشار في ذلك أيضًا، فأشار عليه جماعة من خواصه أن يفعل، وكان فيهم خالد
بن برمك، فلم يقل شيئًا فقال له: لم لا تتكلم يا خالد وتُشير بما عندك؟! قال: لا
٦ أرى ذلك يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ قال: لأنَّه علِّم من أعلام الإسلام يستدلُّ به
النَّاظر والوافد من الملوك على عِظَم شأنِ أربابه وعِزَّة سُلطانهم، وأنَّ الإسلام
قهرهم وأزالهم عنه، وأيضًا فإنَّ فيه مسجِدًا لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام
٩ قال: هَيْهَاتَ يَا خَالِدُ، أُبَيْتَ إِلَّا التَّعَصَّبَ لِأَصْحَابِكَ وَالْمَيْلَ إِلَيْهِمْ. وأمرَ بنقضه
ونقض ما حوله من الأئنيَّة^(a).

(a-b) لدى الثعالبي: « ولما بنى المنصور مدينة السلام أحبَّ أن ينقض إيوان كسرى ويبنى بنقضه الأئنيَّة
فاستشار خالد بن برمك في ذلك فنهاه عن نقضه وقال: يا أمير المؤمنين إنه آية الإسلام، وإذا رآه الناس
علموا أن من هذا بناؤه لا يزيل أمره إلا نبي، وهو مع هذا مصلى على بن أبي طالب عليه السلام، والمؤنة في هدمه
ونقضه أكثر من الارتفاق به فقال: المنصور يا خالد أبيت إلا ميلًا إلى العجم ثم أمر بهدمه».

^١ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الأرجاني الأصل المعروف بابن
النديم الموصلي، راوية للشعر والمآثر، وأحد العلماء باللغة والغريب وأيام الناس. توفي سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م.
انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٤٣٥-٤٤٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج ٢،
ص ٥٩٤-٦١٥؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ١، ص ٢٥٠.

^٢ خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف، أبو البرامكة، كان ذا رئاسة، ودهاء، وحزم وخلفه في ذلك أولاده،
تولى ديوان الوزارة للخليفة العباسي المنصور، كما تقلد له بلاد فارس. توفي سنة ١٦٥هـ/٧٨١م. انظر في
ترجمته وأخباره: عمر بن الأزرق الكرماني، أخبار البرامكة، نشره إحسان عباس ضمن كتاب: شذرات من
كتب مفقودة في التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٩-١٧؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق،
ج ١٦، ص ٦-٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(a) قال: فَنُقِضَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَحُجِّلَ آجِرُهُ إِلَى بَغْدَادٍ فَوَجَدُوا النَّفَقَةَ عَلَى هَدْمِهِ وَحَمَلَهُ وَمُؤَوَّنَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْفُقُ عَلَى الْآجِرِ الْجَدِيدِ إِذَا عَمِلَ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَمَرَ بِتَرْكِهِ، وَأَحْضَرَ خَالِدًا فَعَرَّفَهُ الْحَبْرَ وَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ فِي هَذَا؟^٣

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَشْرْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَتَعَرَّضَ لَشَيْءٍ مِنْ نَقْضِهِ، فَلَمْ يَفْعَلْ؛ فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ ابْتَدَأَ بِذَلِكَ فَمَا أَرَى أَنْ يَكْفَى عَنْهُ حَتَّى يُلْحَقَهُ بِقَوَاعِدِهِ لَثَلَا يُقَالَ: إِنَّهُ عَجَزَ عَنْ هَدْمِ مَا بَنَاهُ غَيْرُهُ، وَاهْتَدَمَ أَيْسَرُ مِنَ الْبِنَاءِ، فَتَبَسَّمَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ بِتَرْكِ ذَلِكَ (a)^٦.

(a-b) وتَمَّ النَّصُّ لَدَى الثَّعَالِيِّ: «...أَمْرٌ بِهِدْمِهِ فَهَدَمَتْ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ فَلَبِغَتْ النَّفَقَةُ عَلَيْهَا مَالًا كَثِيرًا، فَأَمَرَ بِالْإِضْرَابِ عَنْ هَدْمِهِ وَقَالَ يَا خَالِدُ: قَدْ صَرْنَا إِلَى رَأْيِكَ فِيهِ، فَقَالَ: أَنَا الْآنَ أَشِيرُ بِهِدْمِهِ قَالَ: وَكَيْفَ! قَالَ: لَثَلَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِأَنَّكَ عَجَزْتَ عَنْ هَدْمِهِ. فَلَمْ يَقْبَلْ قَوْلَهُ وَتَرَكَهُ عَلَى حَالِهِ».

^١ لَدَى الطَّبْرِيِّ: «وَذَكَرَ عَنْ اسْحَقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ الْمَنْصُورُ بِنَاءَ مَدِينَةِ بَغْدَادِ، شَاوَرَ أَصْحَابَهُ فِيهَا، وَكَانَ مِنْ شَاوِرِهِ فِيهَا خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ، فَأَشَارَ بِهَا، فَذَكَرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَصَمَةَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ خَطَّ مَدِينَةَ أَبِي جَعْفَرٍ لَهُ، وَأَشَارَ بِهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا احْتِاجَ إِلَى الْأَنْقَاضِ، قَالَ لَهُ: مَا تَرَى فِي نَقْضِ بِنَاءِ مَدِينَةِ إِيْوَانَ كَسْرَى بِالْمَدَائِنِ وَحَمَلِ نَقْضِهِ إِلَى مَدِينَتِي هَذِهِ؟ قَالَ: لَا أَرَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَمَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ عَلِمَ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ، يَسْتَدَلُّ بِهِ النَّاطِرُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَزَالَ مِثْلَ أَصْحَابِهِ عَنْهُ بِأَمْرِ دُنْيَا، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى أَمْرِ دِينٍ، وَمَعَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ فِيهِ مَصْلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ: هَيْهَاتَ يَا خَالِدُ! أَيْبَتُ إِلَّا الْمَيْلَ إِلَى أَصْحَابِكَ الْعَجْمِ! وَأَمَرَ أَنْ يَنْقُضَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، فَتَقَضَّتْ نَاحِيَةٌ مِنْهُ، وَحَمَلِ نَقْضَهُ، فَنَظَرَ فِي مِقْدَارِ مَا يَلْزِمُهُمُ لِلنَّقْضِ وَالْحَمَلِ فَوَجَدُوا ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِ الْجَدِيدِ لَوْ عَمِلَ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى الْمَنْصُورِ، فَدَعَا بِخَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ، فَأَعْلَمَهُ مَا يَلْزِمُهُمْ فِي نَقْضِهِ وَحَمَلِهِ، وَقَالَ: مَا تَرَى؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ كُنْتُ أَرَى قَبْلَ الْآنَ تَفْعَلُ، فَأَمَّا إِذْ فَعَلْتَ فَإِنِّي أَرَى أَنَّ تَهْدِمَ الْآنَ حَتَّى تَلْحَقَ بِقَوَاعِدِهِ، لَثَلَا يُقَالَ: إِنَّكَ قَدْ عَجَزْتَ عَنْ هَدْمِهِ فَأَعْرَضَ الْمَنْصُورُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ الْإِيهْدَمَ، قَارَنَ: الطَّبْرِيُّ: تَارِيخَ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، ج ٧، ص ٦٥١؛ الثَّعَالِيُّ: نَهَارَ الْقُلُوبِ فِي الْمَضَافِ وَالْمَنْسُوبِ، ص ١٨١؛ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: تَارِيخَ بَغْدَادِ، ج ١، ص ٤٥٥.

[تخطيط الأسواق]

- قال: وأمر المنصور أن تجعل الأسواق في طاقات المدينة، إزاء كل باب سوقاً، فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من [بطارقة]^(a) الروم وإفدا من عند الملك، فأمر الربيع^١ أن يطوف به المدينة حتى ينظر إليها ويتأملها، ويرى سورها وأبوابها [٣٦] وما حولها من العمارة، ويصعد السور حتى يمشي عليه من أوله إلى آخره، ويريه قباب الأبواب والطاقات وجميع ذلك، ففعل الربيع ما أمره به، فلما دخل إلى المنصور قال له: كيف رأيت مدينتي؟^(b) قال: رأيت حسناً ومدينة حصينة، إلا أن أعداءك معك فيها^٢.
- قال: ومن هم؟ قال: السوقة، يوافي الجاسوس من بعض الأطراف، فيدخل لعله ما يشتري [والتجار هم بُرد الآفاق]^(c) فيتجسس الأخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير أن يعلم به [أحد]^(d). فسكت المنصور. فلما انصرف البطريرق أمر بإخراج السوقة من المدينة^٣.

(a) التتمة من ياقوت.

(b) في الأصل: مبنيتي. والمثبت من الطبري: تاريخ؛ ياقوت: معجم البلدان.

(c) التتمة من ياقوت.

(d) ساقطة من الأصل، والتتمة من ياقوت.

^١ الربيع بن يونس: حاجب أبي جعفر المنصور ومولاه، تقدمت ترجمته.

^٢ انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٥٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٨.

^٣ قارن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٠.

وتقدم إلى إبراهيم بن حبيش الكوفي^١، وخرّاش^٢ بن المسيب اليماني^٣ بذلك،^٤ وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ويجعلها صفوفًا^٥، لكل سوق صف، وأن يدفعها إلى الناس، فلمّا فرغًا من ذلك حوّل السوق من طاقات المدينة، ووضع عليهم الغلّة على قدر الذّرع.

فلمّا كثّر الناس صاقت عليهم، فقالوا لإبراهيم بن حبيش وخرّاش: قد صاقت علينا هذه الصفوف، ونحن نتسّع ونبني لنا أسواقًا من أموالنا ونؤدّي عنها الأجرة، فأجيبوا إلى ذلك فاتسّعوا في البناء والأسواق^٦.

وقال الشّروي^٧: بل كان سبب إخراج الأسواق عنها أن المنصور حين استتمّ البناء دعا إليه رُسل المملوك الذين كانوا على بابه فقال: كيف ترونّ مدينتي هذه؟ فقالوا: ما رأينا أحسنَ تقديرًا ولا أحكمَ بناءً ولا أحصنَ أسوارًا منها.

^(a) لدى الطبري: جواس.

^(b-b) لدى ياقوت: «وأمرهما أن يبنيا ما بين الصراة ونهر عيسى سوقا وأن يجعلها صفوفًا».

^(c) لدى الطبري: «حوّل السوق من المدينة إليها».

^١ إبراهيم بن حبيش الكوفي، مولى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وأحد المشرفين على بناء سوق الكرخ ببغداد. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٥٣.

^٢ خراش بن المسيب اليماني، من الموكلين ببناء أسواق بغداد بناحية الكرخ. انظر: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

^٣ مصدر هذا الخبر واحد لدى كل من ابن الفقيه والطبري، ويلاحظ اتفاق النصوص مع بعضها في معظم السياق؛ أما النص لدى ياقوت فإنه يخالفها لاختلاف مصادره. قارن: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٥٣؛ معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٤٨.

^٤ تقدمت ترجمته ص ٢٤٥.

فقال: هل ترون فيها عيباً؟ فقال أحدُهم: نعم، سُوِّقها في جوفها والجوايسيسُ لا يُنكَرُ عليهم مُحالِطَةُ السُّوقَةِ ومُبَايعَتُهُمْ. وقال آخر: ومن عُيُوبِهَا أَيضاً أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا نَهْرٌ يَخْتَرِقُهَا. وقال آخر: ومن ذلك أَنَّهُ لَا مَقْبَرَةَ لَهَا وَلَا مَيْدَانَ فِيهَا. ٣

فأمر المنصور، فعَمِلَ لها دُولَابٌ أَجْرَى مَاءَهُ إِلَى الْقَصْرِ، فَكَانَ يَخْتَرِقُهَا حَتَّى يُوَافِيَ الْقَصْرَ وَقَالَ: هَذَا يَقُومُ مَقَامَ النَّهْرِ. فَلَمْ يَزَلْ سَاجِدًا ذَلِكَ النَّهْرَ وَالذُّوْلَابَ ٦

[٣٦٦] يَصُبُّ فِيهِ إِلَى أَيَّامِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ^١، ثُمَّ قُلِعَ وَعُطِّلَ. قال: وأمر بإخراج السُّوقِ إِلَى نَاحِيَةِ الْكَرْخِ وَبَابِ الشَّعِيرِ وَقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ^٢ وَمَا قَرَّبَ مِنْ ذَلِكَ، وَعَمِلَ مَيْدَانًا فِي الرَّحْبَةِ لِقُوَادِهِ وَخَاصَّتِهِ، وَعَمِلَ الْمَقْبَرَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِمَقْبَرَةِ قُرَيْشٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ^٣ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَنَى قَصْرَهُ الَّذِي يَشْرَعُ إِلَى دِجْلَةَ وَسَمَّاهُ الْخُلْدَ^٤، وَأَمَرَ بِعَقْدِ الْجِسْرِ عِنْدَ بَابِ الشَّعِيرِ وَجَعَلَ النَّفَقَةَ لِذَلِكَ عَلَى يَدَيْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الصَّيْرِيِّ^٥.

^(٥) في الأصل: تسع وخمسين ومائة. وهو خطأ.

^١ عماد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، أبو العباس الخزاعي، قدم من خراسان هو ابنه سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٤م. كان أدبياً شاعراً، مألماً لأهل العلم والأدب، تولى إمارة بغداد للخليفة العباسي المتوكل، توفي سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م. انظر في ترجمته وأخباره: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٣٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٤٢١.

^٢ راجع الطبري: المصدر السابق، ج ٧، ص ٦٢٠؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٢.

^٣ قال الخطيب البغدادي: إنما سمي قصر المنصور بالخلد تشبيهاً له بجنة الخلد. تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٥.

^٤ حميد بن القاسم بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أحد عمال أبي جعفر المنصور، ذكره ابن حبان: في الثقات. انظر: ج ٨، ص ١٩٦؛ أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢٨٨.

قال: وكان فراغ المنصور من بناء مدينة السلام ونزوله إياها ونقل الخزانين والدواوين ويوت الأموال إليها سنة ست وأربعين ومائة، وكان استتمامه لبناء الشور والفراغ من الخندق وإحكام جميع أمر المدينة سنة تسع وأربعين ومائة، ثم شخص في هذه السنة إلى حديثه الموصل^١ لأمر إرادته ثم انصرف.

وقال الشروي: لما قدم المهدي من الرّي وفد إليه أهل الكوفة وأهل الشام وغيرهم من وجوه الناس فهنّؤوه بمقدمه، ولقوا المنصور فهنّؤوه أيضاً، فأمر المهدي لعامتهم بالجوائز والخلع والحملان، وقد كان المنصور أمره أن يقيم في الجانب الشرقي من مدينة السلام وأمره ببناء الرصافة وأن يعمل بها سوراً وخندقاً وبستاناً، فابتدأ بعمل ذلك وجعل النهر مخترقاً لها حتى يدخل المسجد الجامع، فكان الناس يشربون فيه يوم الجمعة، وقدّر شوارعها فلم يكن في الإحكام والاستواء مثل شوارع الجانب الغربي.

وقال يحيى بن الحسن^٢: كان بناء المهدي كله بالرهوص^٤ إلا ما كان يسكنه هو.

^١ في الأصل: الحسين، والتصويب من ابن طيفور، بغداد؛ والطبري: تاريخ الرسل؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

^٢ قارن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٧٦.

^٣ قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٥.

^٤ يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، هكذا عرفت به المصادر. انظر: ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص ٩٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٥٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٠-٤١٢.

^٥ الرهوص: جمع رهض بالكسر، وهو العرق الأسفل من الحائط. والمعنى أن البناء على عهد المهدي كان باستخدام الرهوص (عروق الخشب التي تشد عليها الجدران) يقال: رهصت الحائط بها يقيمه. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: [ر ه ص] ج ٧، ص ٤٣.

وكذلك كان بناءً مؤسسى الهادي بعده، وكان استيْمامُ بناءِ المهدي الرُصافةَ
والجامع سنة تسع وخمسين ومائة^(أ). وخرج المنصور بعد قدوم المهدي من الرِّيِّ
بشهور إلى البرداني^٢ ليغرض الجند ويسقط من لم يكن من أهل خراسان^٣، فأحكم
ما أراد من ذلك وعاد إلى بغداد.

[٣٧] وقال عيسى بن المنصور: وجدت في بعض خزائن أبي [المنصور]^(ب) مبلغ
النفقة على مدينة السلام والمسجد الجامع وقصر الذهب والأسواق والفضلان
والحنادق والقباب والأبواب، فكان جميع ذلك أربعة آلاف [ألف]^(ب) وثمان مائة
وثلاثة وثمانين [ألف]^(ج) درهم^٤، يكون من الفلوس مائة ألف [ألف]^(د) وثلاثة

^(أ) لدى ياقوت بزيادة: «وهي السنة الثانية من خلافته».

^(ب) التتمة من الطبري: تاريخ.

^(ج) التتمة من الطبري: تاريخ؛ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.

^(د) التتمة من ياقوت: معجم البلدان.

^١ قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٣.

^٢ البردان: من قرى بغداد على بعد فراسخ منها، من نواحي دجيل. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،
ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦.

^٣ أي أسقط غير الخراسانيين من ديوان الجند.

^٤ عيسى بن أبي جعفر المنصور، توفي ببغداد سنة ١٨١ هـ / ٧٩٨ م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ
بغداد، ج ١٢، ص ٤٧٢.

^٥ أورد الخطيب البغدادي رواية أخرى بسنده إلى أحمد بن البربري، ذكر فيها أن إجمالي النفقة على مدينة السلام،
ثمانية عشر ألف ألف، [١٨,٠٠٠,٠٠٠]، وهناك تفاوت كبير بين الروايتين. انظر: تاريخ بغداد، ج ١،
ص ٣٧٨-٣٧٩.

^٦ في الطبري: ثمانمائة وثلاثة وثلاثون درهماً. قارن: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٥٥.

وعشرون ألف فلس^١، وذلك أنَّ الأُسْتَاذَ من البَتَّانَيْنِ كان يعملُ يومَهُ بِقِيرَاطٍ^٢ [فِضَّةً]^٣ والرُّوزِ جَارِيَيْنِ^٤ بِحَبَّتَيْنِ^٥ إلى ثَلَاثِ حَبَّاتٍ.

^٣ وقال أبو سهل بن نُوبِخْتٍ^٦ عن جَدِّهِ نُوبِخْتٍ قال: أمرني المنصور لما أَرَادَ بِنَاءَ بَغْدَادٍ بِأَخِذِ الطَّالِيعِ ففَعَلْتُ، فإذا الطَّالِيعُ الشَّمْسُ وهي في القَوْسِ فخبَّرتُهُ بِمَا تَدُلُّ النُّجُومُ عليه من طُولِ بَقَائِهَا وكثْرَةِ عِمَارَتِهَا وفَقْرِ النَّاسِ إلى ما فيها، ثم قلتُ: وخُلَّةٌ أُخْرَى أسْرُكُهَا يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قال: وما هي؟ قلتُ: نجدُ في أدلَّةِ النُّجُومِ أَنَّهُ لا يَمُوتُ فيها خَلِيفَةٌ أبداً حتْفَ أَنفِهِ. قال: فَتَبَسَّمْ ثم قال: الحَمْدُ لله ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

^١ لدى الخطيب البغدادي «يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبات».

^٢ التمة من الطبري: تاريخ.

^٣ وعلى هذا يكون سعر صرف الدرهم الفضي في أيام المنصور عشرون فلساً ونصف تقريباً.

^٤ القيراط: جزء من أجزاء الدينار أو الدرهم، وهو يساوي ٢٤/١ من وزن أي منها، وإذا علمنا أن متوسط وزن الدرهم ثلاثة جرامات من الفضة تقريباً، فإن وزن القيراط = ١,٢٥، جراماً من الفضة. انظر: علي جمعة، المكييل والموازين الشرعية، ص ٢١-٢٣.

^٥ الروزجاري: فارسية معربة، ومعناها: الأجير الذي يعمل بالنهار في البناء، وكان يقال ببغداد: لمن يعمل بالنهار الروزجارية.

^٦ الحبة: أصغر وحدة لوزن النقود تعامل بها المسلمون، وهي تساوي ١٠٠/٦ من الجرام تقريباً؛ وعلى هذا يساوي الدرهم ٥٠ حبة. انظر: علي جمعة: المرجع السابق، ص ٢٢.

^٧ أبو سهل بن نوبخت فارسي منجم حاذق خبير باقتران الكواكب وحوادثها، وكان نوبخت أبوه منجماً أيضاً أيضاً فاضلاً يصحب المنصور، فلما ضعف نوبخت عن الصحبة، سار ابنه ليكون في صحبة المنصور. انظر في ترجمته وأخباره: القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة القاهرة، ١٩٠٣م، ص ١٧٢.

ولذلك يقول الشاعر^١: (شعر)

[الطويل]

أَعَايَنْتَ فِي طُولِ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ عَرَضٍ كَبَغْدَادَ مِنْ دَارِ بِهَا مَسْكَنَ الْخَفْضِ^(a)
 صَفَا الْعَيْشُ فِي بَغْدَادَ وَأَخْضَرَ عُوْدَهُ وَعَيْشٌ سِوَاهَا غَيْرُ صَافٍ^(b) وَلَا عَضَّ
 تَطْوُلُ بِهَا الْأَعْمَارُ^(c) إِنَّ مِيَاهَهَا عِدَابٌ وَبَعْضُ الْمَاءِ أَعْدَبُ مِنْ بَعْضِ^(c)
 [فَقَصَى رَهْبًا أَنْ لَا يَمُوتَ خَلِيفَةٌ بِهَا إِنَّهُ مَا شَاءَ فِي خَلْقِهِ يَقْضِي]^(d)
 تَنَامُ بِهَا عَيْنُ الْغَرِيبِ وَلَنْ تَرَى غَرِيبًا بِأَرْضِ الشَّامِ يَطْمَعُ فِي الْعُمْضِ
 فَإِنْ جُرِيتَ بَغْدَادُ يَوْمًا بِقَرَضِهَا فَمَا أَسْلَفْتُ إِلَّا الْجَمِيلَ مِنَ الْقَرَضِ
 وَإِنْ رُمِيتَ بِالْهَجْرِ^(e) مِنْهُمْ وَبِالْقَلْبِ فَمَا أَصْبَحْتَ أَهْلًا لَهَجْرٍ وَلَا بَعْضِ

وكان^(f) تحوُّل المنصور من الهاشمية إلى بغداد، والابتداء بيناتها سنة خمس وأربعين ومائة^(f)، وذلك في اليوم الثامن عشر من (مُرْدَاذ مَاه) سنة إحدى وثلاثين ومائة ليزدجرد.

^(a) في الأصل: مسكني الخفض. والتصويب من ياقوت.

^(c - c) لدى تاريخ بغداد؛ ومعجم البلدان: «إن غذاءها مريء وبعض الأرض أمراً من بعض».

^(d - d) تنمة يكمل بها محل الشاهد من الخطيب البغدادي؛ وياقوت.

^(e) في الأصل: بالهي، والتممة من الخطيب البغدادي؛ وياقوت.

^(f - f) لدى الخطيب البغدادي: «وأمر بيناتها، ثم رجع إلى الكوفة بعد مائة سنة وأربع وأربعين سنة وأربعة

أشهر وخمسة أيام من الهجرة»

^١ الأبيات لعماره بن عقيل بن بلال الكلبي البربوعي التميمي، كان من أشهر أهل زمانه، وامتدح الخلفاء العباسيين وبنى أموالاً كثيرة. توفي سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٤٠٨؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٣١٦.

وآخر يومٍ من تَمُوز سنة [ألف] وثلاث وسَبْعِينَ^٥ للإسكندر^١، والشَّمْسُ يومئذ في الأسد [٣٧ظ] ثمانِ درجَاتٍ وعشرة دَقَاتِقٍ، وَرُحْلٌ في الحَمَلِ دَرَجَةٌ وأربعون دَقِيقَةً، والمُشْتَرَى في القَوْسِ سِتَّةَ دَرَجَاتٍ، والزُّهْرَةُ في الجُوزَاءِ ثَلَاثُونَ دَرَجَةً، وَعُطَارِدُ في الجُوزَاءِ أَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، والرَّأْسُ في الجُدِّي خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً.

٦ قال: ووَكَّلَ بِالْبِنَاءِ قُوَادَهُ فَوَسَّمَهَا بَيْنَهُمْ أَرْبَاعًا، فَدَفَعَ إِلَى الرَّبِيعِ الْحَاجِبِ بَابَ خُرَّاسَانَ، وَإِلَى أَبِي أَيُّوبَ الْخُوزِيِّ وَزَيْرِهِ بَابَ الْكُوفَةِ، وَإِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ^٢ بَابَ الْبَصْرَةِ، وَإِلَى ابْنِ رَغْبَانَ^٣ مَوْلَى حَبِيبٍ^٤ بِنِ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيِّ^٥ بَابَ الشَّامِ، فَبَنَوْهَا^٦.

^٥ في الأصل: ثلاثمائة وسبعين للإسكندر وهو خطأ.

^٦ في الأصل محمد. والتصويب من ابن قتيبة: المعارف؛ البلاذري: فتوح.

^١ يبدأ تاريخ الإسكندر أو التقويم اليوناني بسنة ٣١١ قبل الميلاد، وبإضافة هذا الرقم ٣١١ إلى العام الميلادي الموافق ٧٦٢م = ١٤٥هـ، يكون التاريخ المذكور في المتن هو ناتج جمع التاريخين وهو الصواب.

^٢ مرت ترجمتهم: ص ١٨٧؛ ص ٢٣٦.

^٣ حبيب بن عبد الله بن رغبان، كان كاتبًا في أيام الخليفة المنصور، ويذكر أنه تقلد ديوان العطاء، وإليه ينسب مسجد ابن رغبان بمدينة السلام، كان موجودًا في سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م. انظر في ترجمته: الجهشيارى: الوزراء، ص ١٠٢.

^٤ حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن مالك القرشي الفهري، أبو عبد الرحمن، يقال إن له صحبه، وهو من كبار قادة الفتوح، توفي سنة ٤٢هـ/٦٦٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ٣٢٠-٣٢١؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٢٢.

^٥ قارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢١.

[أَبْوَابِ بَغْدَادَ]

- ٣ قال: على المدينة ثمانية [أبواب] ^١ خمسة منها كانت على مدينة في ظهر واسط يقال لها الزندورد^١ يُقال إن الجنَّ بنتها لسليان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنَّ الأبواب من عمل الشياطين له أيضاً، فنقلها المنصور من هذه المدينة إلى بغداد لما بناها، وهي
- ٦ الأربعة الأبواب الداخلة من كل باب، ومنها باب البصرة الخارج، والباب الخارج من باب خراسان حُمَل من الشام، يقال إنَّه من عمل الفراعنة، وهو أخصرها، وباب الكوفة الخارج باب قصر خالد بن عبد الله القسري حُمَل من الكوفة، وباب الشام الخارج عُمِل للمنصور ببغداد، وهو أضعفها^٢.
- ٩ وكانت الحزبية^٣ أيام فتنة الحسن بن سهل^٤ - قبل دخول المأمون ببغداد - أخرقوه فسقط أحد المضراعين^٥ وأنصدع فُضِبَّ من جانبيه.

^١ الزيادة من الطبري: تاريخ؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد؛ ياقوت.

^١ مدينة كانت إلى جنب واسط في عمل كسكر. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥١٣.

^٢ أورد الطبري هذا الخبر في تاريخه، وعزاه إلى أبي عبد الرحمن الهاماني الكاتب الراوي. تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٥١؛ وقارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٠.

^٣ طائفة من الجند تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي، قائد حرس المنصور انتفضت على الحسن بن سهل لتأخر روايتهم. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٤٣-٥٤٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٤٧٥-٤٧٦.

^٤ تقدمت ترجمته ص ١٨٥.

^٥ المصراعان: بابان منصوبان ينضمان جميعاً مدخلها في الوسط منهما، ابن منظور: لسان العرب، ج ٨، ص ١٩٩.

وقيل لرجل^١: كيف رأيت بغداداً؟ قال: الأرض كلها بادية وبغداداً حاضرتها.
 وحدث أحمد بن محمد بن جبلة^٢ قال: حدثني أبي عن جدي جبلة قال: كانت
 مدينة أبي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة^٣ [وكانت لستين
 نفساً منهم]^٤، فلما أخذها المنصور عوضهم منها عوضاً رضوا به، فأخذ جدي
 من ذلك حصته. قال: وكان شارع باب الأنبار لأهل قرية بياب الشام يسمون
 الترابية^٥ ^٦.

قال: وقال حماد التركي^٧: كان حول مدينة أبي جعفر قبل بنائها قري، فكان
 جانب باب الشام قرية يقال لها الخطابية^٨ على باب دزب النورة إلى دزب
 الأقفاس، وكان بعض نخلها في نفس شارع باب الشام، فلم يزل إلى أن قلع في
 أيام فتنة المخلوع^٩، وكانت [٣٨] هذه القرية التي يقال لها الخطابية^{١٠} لقوم من
 الدهاقين يقال لهم بنو قزوة وبنو قنورا.

(٥-٨) التمة من الطبري؛ والخطيب البغدادي.

(٩) في الأصل: الترابية، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد

(١٠) في الأصل: أخطابية، والتصويب من الطبري: تاريخ.

^١ ذكر ياقوت الحموي أنه أبو إسحاق الزجاج. انظر: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦١.

^٢ أورد كل من الطبري في تاريخه، والخطيب البغدادي في تاريخه أيضاً هذا الخبر وعزاياه إلى نفس المصدر. انظر:
 تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٦٩؛ تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣١٧.

^٣ على الأرجح نسبة إلى تزيان: وهي قرية قريبة من سمرقند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠.

^٤ أورد الطبري في تاريخه هذا الخبر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور، عن حماد التركي. راجع: ج ٧، ص ٦١٩.

^٥ الخطابية: قرية على جانب نهر الصراة.

^٦ الخليفة العباسي السادس محمد الأمين.

منهم مالك^٥ بن دينار^١، ويعقوب بن سفيان^٢.

وحدث أبو جعفر محمد بن موسى بن الفرات^٣: أن القرية التي في مربعة أبي

٣ العباس الطوسي كانت قرية جدّه من قبل أمّه، وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زراري.

وكانت القرية تُسمّى الوردانية، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مربعة أبي

٦ قرّة، يقال لها شرقانية^٤ ولها نخل قائم إلى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجوز^د. وأبو الجوز هذا من دهاقين بغداد من أهل هذه القرية، والقنطرة منسوبة إليه.

^٥ لدى الطبري: إسماعيل.

^٦ في الأصل: بن سليمان، وهو خطأ.

^٣ في الأصل: سرقانية بالسين، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

^د لدى الطبري: قنطرة أبي الجون.

^١ مالك بن دينار، أبو يحيى البصري، ثقة من رواة الحديث، وكان وراقاً يكتب المصاحف بالأجرة، توفي بالبصرة سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٤٣؛ ابن حبان: الثقات، ج ٥، ص ٣٨٣.

^٢ يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي القسوي، الإمام الحافظ الحجة، صاحب التصانيف، طلب الحديث ثلاثين سنة، وروى عن أكثر من ألف شيخ، توفي بالبصرة سنة ٢٧٧هـ / ٨٩٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حبان: المصدر السابق، ج ٩، ص ٢٨٧؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٥٨٢؛ وللمزيد انظر: مقدمة أكرم ضياء العمري في تحقيقه لكتاب المعرفة والتاريخ، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

^٣ أبو جعفر محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، الكاتب أبو الوزراء، وزر ابنه علي بن الفرات للمقتدر. وتولى ابنه جعفر بن الفرات ديوان الخراج والضياع العامة بنواحي المشرق والمغرب ولم يجمعاً لأحد قبله، ولم أوقف على سنة وفاته. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٥.

وكانت قَطِيعَةُ الرَّبِيعِ^١ مَزَارِعَ لِنَاسٍ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا بِنَاوَرِي^٢ مِنْ رُسْتَاقِ
 الْفُرُوسِجِ مِنْ بَادُورِيَا، وَاسْمُهَا إِلَى الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ فِي الدِّيَوَانِ، وَكَانَ مَوْضِعُ بَرَكَةِ
 زَلْزَلِ^٣ وَمَا وَالآهَا إِلَى تَاحِيَةِ مَسْجِدِ الْأَنْبَارِيِّينَ مَزَارِعَ، وَكَانَ النَّهْرُ الَّذِي يَسْقِي هَذِهِ
 الْمَزَارِعَ فِي مَوْضِعِ بَابِ طَاقِ الْحَرَائِي^٤ إِلَى بَابِ الْكَرْخِ.

وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ قَالًا: رَأَيْتُ عِنْدَ بَابِ قَطِيعَةِ الرَّبِيعِ قَبْلَ بِنَائِهَا كَرْمًا
 وَمِعْصَرَةً، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي بُنِيَ فِيهِ خَانُ الطَّيَّالِسَةِ وَالْحَوَانِيْتُ الَّتِي يُبَاعُ فِيهَا الْكَاعِغُ
 الْحُرَّاسَانِيُّ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْفُرَاتِ الْكَاتِبُ^٥: سَمِعْتُ جَدِّي يَقُولُ: كُنْتُ فِي
 دِيَوَانِي يَوْمًا، فَدَخَلَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ دَهَاقِينَ بَادُورِيَا لَهُ قَدْرٌ، فَرَأَيْتُهُ مُخَرَّقَ الطَّيْلَسَانِ
 فَقُلْتُ: مَنْ خَرَّقَ طَيْلَسَانَكَ؟ فَقَالَ: خَرَّقَ وَاللَّهِ فِي زَحْمَةِ النَّاسِ وَتَضَاعُطِهِمْ فِي
 مَوْضِعِ طَالَمَا طَرَدْتُ فِيهِ الظِّبَاءَ وَالْأَرَانِبَ. قُلْتُ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: بَابُ الْكَرْخِ^٥.

^١ في الأصل: ماورى. والتصويب من الطبري: تاريخ، وفي ياقوت: بياوري.

^١ تقدمت ترجمته ص ١٨٦.

^٢ محلة ببغداد بين الكرخ والسراة وباب المحول وسويقة أبي الورد، تنسب إلى زلزل غلام عيسى بن جعفر بن المنصور، كان في أيام المهدي والهادي والرشيد، كان ضربًا بالعود يضرب به المثل، وكان من الأجواد فحفر هذه البركة ووقفها على المسلمين، فنسبت المحلة بأسرها إليه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٠٢.

^٣ محلة بالجانب الغربي من بغداد تنسب إلى إبراهيم بن ذكوان الحراني، أحد موالى المنصور ووزير الهادي. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٥-٦.

^٤ تقدمت ترجمته ص ٩٩.

^٥ انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٢٠.

وذكر رجلٌ من ولدِ الرَّبِيعِ الحَاجِبِ عن أبيه: ^(a) أَنَّ المَنْصُورَ أَقْطَعَ الرَّبِيعَ القَطِيعَةَ التي يَسْكُنُهَا التُّجَّارُ اليَوْمَ، وَقَطِيعَةً أُخْرَى بَيْنَ السُّورَيْنِ فِي ظَهْرِ دَرْبِ جَمِيلٍ^١، وَأَنَّ التُّجَّارَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ مُجَاوِرِيهَا اغْتَضَبُوا وَلِدَ الرَّبِيعِ عَلَيْهَا. وَسُوَيْفَةٌ غَالِبٌ وَقَطِيعَةُ الرَّبِيعِ كَانَتْ فِي القَدِيمِ قَرْيَةً تُدْعَى وَرْزَانًا^(a).

^(b) وَيُقَالُ: إِنَّ قَطِيعَةَ الرَّبِيعِ الحَارِجَةَ إِنَّمَا كَانَتْ إِقْطَاعًا مِنَ المَهْدِيِّ لِلرَّبِيعِ، وَإِنَّمَا أَقْطَعَهُ المَنْصُورَ القَطِيعَةَ [٣٨ظ] الدَّاخِلَةَ^(b).

وقيل إنَّ الذي خَارَجَ القَطِيعَةَ مِنْ أَصْحَابِ اللُّبُودِ، وَدَرْبُ الطَّيَالِسِ إِلَى التَّوْتَةِ إِلَى دَرْبِ الدَّمَشْقِيِّينَ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى حَدِّ دِجْلَةَ والعَيْقَةَ مِنْ وَرْزَانًا أَيْضًا.

٩

^(a-a) لدى الخطيب البغدادي: «...أقطع المنصور الربيع قطيعته الخارجة، وقطيعه أخرى بين السورين ظهر درب جميل، وأن التجار وساكني قطيعه الربيع غضبوا ولد الربيع عليها، وكانت قطيعه الربيع وسويقة غالب تسمى قبل ذلك ورزانا».

^(b-b) لدى الخطيب البغدادي: «ويقال: أن الخارجة أقطعها المهدي للربيع والمنصور أقطعها الداخلة».

^١ إحدى دروب بغداد، ينسب إلى جميل بن محمد، أحد الكتاب المشهورين. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٣.

^٢ قارن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٢٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٢؛ وانظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، [قطيعه الربيع] ج ٤، ص ٣٧٧.

[أنهار بغداد]

٣ والنَّهْرُ الْمَعْرُوفُ بِنَهْرِ الْقَلَّائِينَ غَرْبِيَّةٌ مِنْ وَرَثَالَا وَشَرْقِيَّةٌ مِنْ نَهْرِ طَابِقٍ. وَنَهْرُ طَابِقٍ إِنَّمَا هُوَ نَهْرُ بَابِكْ، مَنْسُوبٌ إِلَى بَابِكْ بْنِ بَهْرَامِ بْنِ بَابِكْ، وَهُوَ قَدِيمٌ.

٦ وَبَابِكْ هَذَا هُوَ الَّذِي اتَّخَذَ الْعَقْرُ^(أ) الَّذِي عَلَيْهِ قَصْرُ عَيْسَى بْنِ عَلِيٍّ^٢ وَاحْتَفَرَ هَذَا النَّهْرَ. وَمَا كَانَ وَرَاءَ هَذَا فَهُوَ مِنْ رُستَاقِ^٣ الْكَرْخِ، وَبَابُ الْكَرْخِ مَنْسُوبٌ إِلَى هَذَا الرُّستَاقِ لِأَنَّهُ الطَّرِيقُ إِلَيْهِ.

٩ وَنَهْرُ عَيْسَى غَرْبِيَّةٌ مِنَ الْفَرُوسِيحِ وَشَرْقِيَّةٌ مِنْ رُستَاقِ الْكَرْخِ، وَفِيهِ دُورُ الْمُعْبَدِينَ. وَفَنطَرةُ بَنِي زُرَيْقٍ وَدَارُ الْبَطِيخِ وَدَارُ الْقُطْنِ وَقَطِيعَةُ النَّصَارَى إِلَى فَنطَرةِ الشُّوكِ مِنْ نَهْرِ طَابِقٍ، وَشَرْقِيَّةٌ وَغَرْبِيَّةٌ مِنْ قَرِيَةِ بِنَاوَرِي^(ب).

(أ) رسمت في الأصل: الصقر. والتصويب من تاريخ الطبري؛ وتاريخ بغداد.

(ب) في الأصل: ماوري، والتصويب من تاريخ الطبري؛ وتاريخ بغداد؛ وفي ياقوت: بياوري.

^١ العقْر: القصر على أية حال كان قائماً أو متهدماً. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ع ق ر] ج ٤، ص ٥٩١-٥٩٩.

^٢ عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي، عم السفاح والمنصور، إليه ينسب قصر عيسى ونهر عيسى وقطيعه عيسى ببغداد، وتوفي سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م. انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١٢، ص ٤٦٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٣، ص ٧.

^٣ الرُّستَاق: لفظة معربة عن الفارسية، يقال لها روذدق ورستاق والجمع رساتيق، وهي البيوت المجمع. ابن منظور: المصدر السابق، ج ١، ص ١١٦.

وَمَسْجِدُ الْوَأَسْطِيَيْنِ مَعَ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِظُلَّةِ مَيْشَوَيْهِ، وَمَيْشَوَيْهِ رَجُلٌ مِنْ
الدَّهَاقِينَ نَضْرَائِيٌّ، إِلَى أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الْحَنْدِقِ الْمَعْرُوفِ بِخَنْدِقِ الصَّبِينِيَّاتِ^٥ مِنْ بَابِ
المُحَوَّلِ إِلَى الْيَاسِرِيَّةِ^٦.

وما كان من غربيِّ الشَّارِعِ فهو من مَزَارِعِ كَانَتْ مُنْسُوبَةً إِلَى الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ
بِبِرَائِنَا^٦، وَمَا كَانَ مِنْ شَرْقِيَّهَا فَمِنْ رُسْتَاقِ الْفَرُوسِيَّجِ.

وما كان من دَرْبِ الْحِجَارَةِ وَقَنْطَرَةِ الْعَبَّاسِ شَرْقِيًّا وَعَرْبِيًّا، فَهُوَ مِنْ نَهْرِ
كَرْخَايَا مِنْ قَرْيَةِ بَرَائِنَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ نَهْرُ كَرْخَايَا لِأَنَّهُ كَانَ يَسْقِي رُسْتَاقَ الْفَرُوسِيَّجِ
وَالكَرْخِ، فَلَمَّا أَحْدَثَ عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ الرَّحْلِي الْمَعْرُوفَةَ بِرَحَى أُمِّ جَعْفَرٍ^٧ قَطَعَ نَهْرَ
كَرْخَايَا وَجَعَلَ يَسْقِي رُسْتَاقَ الْكَرْخِ مِنْ نَهْرِ رُفَيْلٍ، وَمَا كَانَ عَلَى الصَّرَاةِ مِنْ شَرْقِيَّهَا
فَهُوَ بَادُورِيَّا وَمَا كَانَ غَرْبِيَّهَا فَهُوَ مِنْ طَسُوجِ قَطْرُبُل.

قال: وَمِنْ حَدِّ الْقَنْطَرَةِ الْجَدِيدَةِ وَشَارِعِ طَاقِ الْحَرَّانِيِّ إِلَى شَارِعِ بَابِ الْكَرْخِ
مُنْسُوبِ إِلَى الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ لِلْعَامَّةِ: مَقْبَرَةُ بَابِ حَرْبٍ، ثُمَّ مَقَابِرِ الْمُسَيَّبِ، ثُمَّ مَقَابِرُ
بَابِ التَّبْنِ، ثُمَّ مَقَابِرِ الْكُنَّاسَةِ، ثُمَّ الْمَقَابِرِ الَّتِي تَلِي بَابَ الْكُوفَةِ.

^٥ في الأصل: الصبنيات، والتصويب من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

^٦ كما في الأصل وياقوت؛ وفي الخطيب البغدادي: «برحى المعروف بأبي جعفر».

^١ نسبة إلى ياسر مولى زبيدة زوجة هارون الرشيد. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٥.

^٢ محلة كانت في طرف بغداد في قبة الكرخ وجنوبي باب محول. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١،

[قطائع بغداد]

٢ [٣٩٩] وأقطع المنصور قواده في أرباض المدينة سوارع تُنسب إليهم. فأوّل ذلك
 ممّا يلي السور من الجانب الغربي: ربض حزب بن عبد الله^(٥) البلخي، وكان يتولى
 شرطة جعفر بن أبي جعفر، وجعفر إذ ذاك يتقلد الموصل، وإليه تُنسب الحزبية،
 ٦ وقتل في سنة سبع وأربعين ومائة، قتلته الترك، ويتصل بربض حزب ربض يُنسب
 إلى المرازمة^١، ثم ربض الترجمان بن صالح^(٦)، ثم ربض يُنسب إلى عتيك بن هلال
 الفارسي، وله في الدولة آثار وأخبار، وله في المدينة أيضاً دزب يُنسب إليه. ثم
 ٩ مربعة أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، وكان من الثقباء السبعين^٢.

ثم يتصل بمربعة أبي العباس الشارح المتصل بباب الشام. ثم مربعة شبيب بن
 وأج المروزي^٣، وعن يسارها إقطاع أبي العباس الطوسي وربضه وغلّاته ومستقر
 ١٢ إقطاعه، وعن يمينها السوق النافذة إلى دزب الرواسين.

^(٥) في الأصل: حرب بن عبد الملك، والتصويب من تاريخ بغداد، ومعجم البلدان.

^(٦) كما في الأصل وياقوت؛ وفي الخطيب البغدادي: الترجمان بن بلج.

^١ محلة كانت ببغداد متصلة بالحربية، سكنها أهل مرو فنسبت إليهم، وذكر ياقوت أنها قد خربت. انظر: معجم
 البلدان، ج ٥، ص ٩٦.

^٢ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٩.

^٣ أحد القادة في أيام المنصور، كان ممن شارك في قتل أبي مسلم الخراساني. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ
 بغداد، ج ١١، ص ٤٦٥.

وَالشَّارِعُ النَّافِذُ إِلَى بُسْتَانَ الْقِسِّ^١، وَهَذَا الْبُسْتَانُ قَبْلَ أَنْ تَبْنَى بَغْدَادَ، ثُمَّ
الْمَعْطَفُ إِلَى بَابِ الْكُوفَةِ، وَعَنْ يَمِينِ هَذَا الْمَعْطَفِ بَابُ الْكُوفَةِ وَالسُّوقُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى
عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ^٢.

وَالْمَقَابِرُ الشَّارِعَةُ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ. وَهَنَّاكَ الرَّبِضُ الْمُنْسُوبُ إِلَى زُهَيْرِ
بْنِ الْمُسَيْبِ الصَّبِيِّ^٣، وَهُوَ النَّافِذُ إِلَى طَرِيقِ الْأَثْبَارِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَطَاءِ السَّامِيِّ^٤: إِقْطَاعُ زُهَيْرِ بْنِ الْمُسَيْبِ فِي شَارِعِ بَابِ الْكُوفَةِ
مَا بَيْنَ حَدِّ دَارِ الْكِنْدِيِّ إِلَى حَدِّ سُوَيْقَةِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^٥ إِلَى دَاخِلِ الْمَقَابِرِ.
وَإِقْطَاعُ الْقَحَاطِيَّةِ مِنْ شَارِعِ بَابِ الْكُوفَةِ إِلَى بَابِ الشَّامِ.

^١ في الأصل: الشامي. والتصويب من ابن ماكولا: الإكمال.

^٢ نسبة إلى قس كان موجوداً قبل بناء بغداد. انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٨.

^٣ صاحب سوقة عبد الوهاب ببغداد، ولي الشام لأبي جعفر المنصور، وكان عظيم القدر مات بالشام سنة
١٥٨هـ/٧٧٥م. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٧١.

^٤ زهير بن المسيب الضبي، أحد رجالات الدولة العباسية، كان مع المأمون في ثورته على الأمين، إلى أن ظفر
المأمون. واستعمله الحسن بن سهل على جوخي [بين خانتقين وخوزستان] فلما قامت الفتنة على الحسن
ببغداد وامتدت إلى الأطراف أسر فيها وقتل ذبحاً سنة ٢٠١هـ/٨١٦م. انظر في أخباره: تاريخ خليفة بن
خياط، ص ٤٧٦-٤٧١؛ الجهيشياري: الوزراء والكتاب، ص ٣٠٢-٣٠٣. الطبري: تاريخ الرسل والملوك،
ج ٨، ص ٥٢٩-٥٤٨.

^٥ من بني سامة بن لؤي، كان في صحابة هشام بن عبد الملك، ثم صار في صحابة أبي جعفر المنصور. انظر في
أخباره: الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج ٤، ص ٢٠٤٣؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتباب عن
المؤتلف، ج ٢، ص ٥٨.

^٥ محلة قديمة بغربي بغداد، تنسب إلى عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ياقوت

الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٨.

وجِهَار سُوقِ الْهَيْثِمِ^١، مَنْسُوبٌ إِلَى الْهَيْثِمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ^٢ [من] بَعْضِ قُودِ الْخُرَّاسَانِيَّةِ. وَمَنْ أَقْطَعَهُ الْمَنْصُورُ فِي الشَّارِعِ الْمَعْرُوفِ بِدُورِ الصَّحَابَةِ أَبُو بَكْرٍ الْهَنْدَلِيُّ^٣ وَلَهُ دَرَبٌ هُنَاكَ وَمَسْجِدٌ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثِمِ بْنِ فِرَاسٍ^٤: كَانَتْ (دَارُ الْبَطِّيخِ)^٥ قَبْلَ أَنْ تُنْقَلَ إِلَى الْكَرْخِ فِي دَرَبٍ يُعْرَفُ بِدَرَبِ الْأَسَاكِفَةِ، وَإِلَى جَانِبِهِ دَرَبٌ يُعْرَفُ بِدَرَبِ الْحَتِيرِ، فَتَقَلَّتْ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ إِلَى مَوْضِعِهَا بِالْكَرْخِ [٣٩٩ظ] فِي أَيَّامِ الْمُهَدِيِّ، وَدَخَلَتْ هَذِهِ الدُّرُوبُ فِيهَا بَعْدَ فِي الدُّورِ الَّتِي ابْتَاعَهَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّائِيُّ^٦ وَجَعَلَهَا دُورًا لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ وَاضْطَبَّلاتٍ^٧.

^١ جهار سوق: تعريب الاسم الفارسي شهرسوج، وهو اسم الهيثم بن معاوية القائد. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٨.

^٢ العتكي الخراساني الأصل، ولاء المنصور مكة، والطائف سنة ١٤١هـ/٧٥٨م، ثم تولى البصرة نحو سنة. توفي ببغداد سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٣١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٤٦-٥٠.

^٣ تقدمت ترجمته: ص ١٧٥.

^٤ أبو عبد الله، صاحب روايات وأخبار عن أبيه وعن غيره، جده فراس من شيعة بني العباس، له في أول الدولة أخبار. انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٤٢٦؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٢٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ١٤٨.

^٥ محلّة كانت ببغداد كان يباع فيها الفواكه. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٩.

^٦ أحد القادة الأمراء في العصر العباسي، ولاء الخليفة المعتمد مكة والمدينة ثم الكوفة وسواها وطريق خراسان وسامراء وشرطة بغداد وخراج قطربل، وتوفي بالكوفة سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٦٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٤٨١.

^٧ قارن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٢.

- وكانت القَطَائِعُ التي من جَانِبِ الصَّرَاةِ مِمَّا يلي بَابِ المَحْوَلِ منها قَطِيعَةٌ لِعُقْبَةَ بن جَعْفَرِ بن مُحَمَّدِ بن الأشعث^١. ثم سُويقةُ أَبِي الوَرْدِ^٢ وهو عُمَرُ بن المطرفِ الخُرَّاسَانِيُّ المُرَوِّزِيُّ، وكان يلي المظالمَ للمَهْدِيِّ، وينظرُ في القَصَصِ التي تُلقَى في البيْتِ الذي سَمَّاهُ بيْتِ العَدْلِ في مَسْجِدِ الرُّصَافَةِ.
- ٣ ويتَّصَلُ بسُويقةِ أَبِي الوَرْدِ مِمَّا يلي الدَّارَ المُنسُوبَةَ إلى الجَلُودِيِّ^٣ قَطِيعَةٌ إِسْحَاقُ الأَزْرَقِ الشُّروِيِّ^٤ مولى مُحَمَّدِ بن عَلِيٍّ، وهي عن يَمِينِ هذه القَطِيعَةِ.
- ٦ وعن يَسَارِ سُويقةِ أَبِي الوَرْدِ البرِّكةُ المُنسُوبَةُ إلى زَنْزَلِ الضَّارِبِ، وكان من كِرَامِ النَّاسِ في أَيَّامِ المَهْدِيِّ والهِدَايِ والرَّشِيدِ، وكان في مَوْضِعِ البرِّكةِ قَرْيَةٌ يُقَالُ لها سَالِ بَقْبَاءُ^٥ إلى قَصْرِ الوَضَّاحِ، وكان زَنْزَلُ غُلَامًا لِعِيسَى بن جَعْفَرِ بن المَنْصُورِ، فحَفَرَ هذه البرِّكةَ وجعلَهَا وَقْفًا على المُسْلِمِينَ.
- ٩

^(٥) في الأصل: شال قفيا، والتصويب من معجم البلدان.

^١ عقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث، توفي ببغداد سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م. انظر ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١٨٧.

^٢ زاد الخطيب البغدادي في تاريخه: «...إنما سميت سويقة أبي الورد؛ لأن عيسى بن عبد الرحمن كان يقال له: أبو الورد، وكان مع المنصور، فالسويقة به سميت». ج ١، ص ٤٠١.

^٣ عيسى بن يزيد الجلودي، أقره المأمون على إمارة مصر بعد عبد الله بن طاهر، وتوفي بعد سنة ٢١٤هـ/٨٢٩.

انظر في أخباره: الكندي: ولاية مصر، تحقيق: حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٢٠٧-٢٠٩.

^٤ إسحاق الأزرق الشروي، مولى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كان من ثقات المنصور، أقطعه حلة

ببغداد قرب الكرخ عن يمين سويقة أبي الورد. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠١؛

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٦؛ وعن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس انظر: البلاذري:

أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٨٠-٨٢.

^٥ مرت ترجمتهم: ص ٢٦١.

وَقَضْرُ الْوَضَّاحِ بِنَاهُ الْمُنْصُورَ لِلْمَهْدِيِّ قَبْلَ الرُّصَافَةِ وَالْمَسْجِدِ الَّذِي يُعْرَفُ
بِالشَّرْقِيَّةِ، وَالشَّرْقِيَّةُ أَيْضًا قَرْيَةٌ قَدِيمَةٌ كَانَتْ تُسَمَّى هَذَا الْاسْمَ.

٣ وكذلك الْعَيْقَةُ وَهِيَ كِسْرَوِيَّةٌ، وَالْوَضَّاحُ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ هَذَا الْقَضْرُ
المَعْرُوفُ بِقَضْرِ الْوَضَّاحِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ تَوَلَّى التَّفَقَّهَ عَلَيْهِ فَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ
إِنَّ الْوَضَّاحَ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي الْمُنْصُورِ.^٢

٦ قال: وَالْمُنْصُورُ الَّذِي بَنَى الْقَنْطَرَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْجَدِيدَةِ^٣ عَلَى الصَّرَاةِ مِمَّا يَلِي دُورَ
الصَّحَابَةِ وَبَابِ الطَّاقِ الْحَرَّائِيِّ، قَالَ: وَالْحَرَّائِيُّ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ ذَكْوَانَ بْنِ الْفَضْلِ
الْحَرَّائِيِّ، مَوْلَى الْمُنْصُورِ، قَالَ: وَكَانَ لَذَكْوَانَ أَخٌ يُقَالُ لَهُ الْفَضْلُ، أَعْتَقَهُ مَرْوَانَ بْنَ
مُحَمَّدٍ، وَأَعْتَقَ ذَكْوَانَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ.^٤

قال: وَكَانَ بَابُ الشَّعِيرِ^٥ فِي الْقَدِيمِ مَرْفَأً لِلشُّفَنِ الَّتِي تُؤَافِي مِنَ الْمَوْصِلِ
وَالْبَصْرَةِ، وَكَانَ مَوْضِعَ مَسْجِدِ ابْنِ رَغْبَانَ مَرْبَلَةً.

^١ محلة بالجانب الغربي من بغداد، سُميت بذلك لأنها بنيت قبل بغداد. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٣.

^٢ فارن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦٤.

^٣ تقدم ذكرها ص ٢٣٢.

^٤ انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٤-ج ١٤، ص ١١١.

^٥ علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد، جد الخلفاء العباسيين، من أعيان التابعين، لقب بالسجاد لكثرة صلواته، توفي سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد:

الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣١٢-٣١٤.

^٦ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٠٨.

٣ وذكر بعض المشايخ الدهاقين قال: اجتاز بي رجلٌ وأنا عند [٤٠] المزبلة التي صارت مسجد ابن رغبان، وذلك قبل أن تُبنى ببغداد، فوقفَ عليها ونظرَ إليها وقال: ليأتينَّ على النَّاسِ زمانٌ من طرحَ في هذا الموضعِ شيئاً فأحسنُ أخواله أن يجملَ إيَّاهُ في نوبه، فضحكْتُ تعجباً من قوله.

٦ فما مضت الأيامُ حتى رأيت الأمر على ما قاله. قال: وكان موضع الخلدِ ديراً فيه رَاهِبٌ، وإنما اختار المنصور نزوله وبنى قصره فيه لقلّة البق، وكان عذباً طيب الهواء، وكان موضع الحبسِ وما والآه إقطاعاً لعبد الله بن مالك الخزاعي^٢ ثم صارَ بعد ذلك في أيام الرّشيد لمحمد بن يحيى بن خالد^٣ ثم صارَ جميع ذلك لأمّ جعفرٍ في أيام الرّشيد وأيام الأيمن، والمسجدُ الكبيرُ قبالة الحبسِ ممّا يلي السجن الجديد مسجد عبد الله بن مالك.

١٢ ثم ابتننت أمّ جعفرٍ في أيام الأيمن القصر المعروف بالقرار، وهو الذي أقطعه المتوكل لمحمد بن عبد الله بن طاهر^٤ فأقطعه محمد جماعةً من أصحابه.

^١ قصر بناه المنصور، ببغداد على شاطئ دجلة في سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٢.

^٢ عبد الله بن مالك الخزاعي، والي خراسان للخليفة أبي جعفر المنصور، وكان على شرطة الهادي والرّشيد، وتوفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١٥، ٤٣٢، ٤٤٧؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ٣١٥-٣١٦.

^٣ محمد بن يحيى بن خالد البرمكي، تولى أرمينية في خلافة الرّشيد، واشتهر بالخل. انظر في أخباره: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ١٩٣، ٢٣٤. الخطيب البغدادي: البخلاء، عناية: بسام عبد الوهاب الجلابي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٩٥.

^٤ مرت ترجمته ص ٢٥٢.

وفي قَطِيعَةِ أُمِّ جَعْفَرِ الزُّبَيْدِيَّةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهَا، وَكَانَ يَنْزِلُهَا مَوَالِيهَا وَحَاشِيَتُهَا.
ثُمَّ يَلِي الْحَبْسَ دَرَبُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، وَهُوَ مُنْسُوبٌ إِلَيْهِ، وَفِيهِ كَانَتْ دَارُهُ.

ثُمَّ أَقْطَعَ الْمَنْصُورُ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ يَعْرِفُونَ بِالْبَغِيَّيْنِ^٢، وَهَمَّ مَمَّنْ كَانَ
فِي الدَّوْلَةِ، وَأَضْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مَرُو الرُّوذِ تُعْرَفُ بِبَغْ، الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ
بِالْبَغِيَّيْنِ، وَهَذَا الْمَوْضِعُ أَوَّلُ الدَّرَبِ الْمَعْرُوفِ بِسَوَارِ مَمَّا يَلِي دِجْلَةَ إِلَى آخِرِ رِبْضِ
الْبُرْجُلَانِيَّةِ.

ثُمَّ قَطِيعَةُ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ إِلَى جَانِبِ الْقَطِيعَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِأَبِي النَّجْمِ، وَهُوَ
أَحَدُ قَوَادِمِ الْمَنْصُورِ، وَأَضْلَهُ مِنْ خُرَاسَانَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي النَّجْمِ هَذَا عِنْدَ
أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ.

وَيَتَّصِلُ بِهَذِهِ الْقَطِيعَةِ الزُّهَيْرِيَّةُ مَمَّا يَلِي بَابَ التَّنِّينِ^٣، وَهُوَ رِبْضٌ يَعْرِفُ
بِأَصْحَابِ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَائِدٍ مِنْ أَهْلِ أَبِيوَرْدَ، وَمَعَ حَدِّ سُورِ بَغْدَادَ إِلَى بَابِ
قُطْرُبُلٍ، وَهُوَ الْبَابُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَابِ الصَّغِيرِ، هَذِهِ الْقَطِيعَةُ [٤٠ظ] وَزُهَيْرُ صَاحِبِ
هَذِهِ الْقَطِيعَةِ أَرْدِيٌّ مِنْ عَرَبِ خُرَاسَانَ^٤.

^٢ لدى البلاذري: «الزهرية تعرف بباب التَّنِّينِ».

^١ نسبة إلى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

^٢ انظر: اليعقوبي: البلدان، ص ١١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢، ٣٠٥؛ ياقوت الحموي: معجم
البلدان، ج ١، ٤٦٨.

^٣ قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٨؛ ياقوت الحموي:
معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٢.

٣ وَيَتَّصِلُ بِالزَّهْرِيَّةِ رِبْضُ أَبِي النَّجْمِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الْخَنْدَقُ الَّذِي عَلَيْهِ الْقَنْطَرَةُ النَّافِذَةُ إِلَى قَطِيعَةِ أُمِّ جَعْفَرٍ. وَيَتَّصِلُ بِالْقَطِيعَةِ دَارُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَتْ جَزِيرَةً فَأَقْطَعَهَا الْمَأْمُونُ إِسْحَاقَ، فَأَوَّلُهَا يَتَّصِلُ بِدَارِ الْبَطِيخِ، وَأَخْرَهَا بِمَقَابِرِ بَابِ التَّبَنِ.

٦ وَيَتَّصِلُ بِبَابِ التَّبَنِ رِبْضٌ يُنْسَبُ إِلَى أَبِي حَنِيْفَةَ أَحَدِ قَوَادِمِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ يَتَّصِلُ بِهِ مُرْبَعَةُ الْفَضْلِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَعْرُوفِ بِالطُّوسِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ أَبِيوَرْدَ، وَكَانَ مَخْرُجُهُ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ طُوسٍ، فَعُرِفَ بِالطُّوسِيِّ، وَكَانَ عَلَى شَرْطِ الْمَنْصُورِ.

٩ ثُمَّ رِبْضُ عُثْمَانَ بْنِ نُهَيْكٍ^(أ) وَكَانَ عَلَى حَرَسِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ مُرْبَعَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَى مُرْبَعَةِ الْفَرَسِ وَرِبْضِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْفَرَسِ أَقْطَعَهُمُ الْمَنْصُورُ هَذِهِ النَّاحِيَةَ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ.

١٢ وَيَتَّصِلُ بِرِبْضِ الْفَرَسِ رِبْضُ الْخَوَارِزْمِيِّ^ب وَهُمْ مِنْ جُنْدِ الْمَنْصُورِ، وَفِي شَارِعِهِمْ دَرْبٌ يُعْرَفُ بِدَرْبِ النَّجَارِيَّةِ.

(أ) فِي الْأَصْلِ: عُثْمَانُ بْنُ سَهْلٍ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ تَارِيخِ خَلِيفَةَ يَا قُوتَ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ؛ وَفِي الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ نُهَيْكٍ.

^١ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَصْعَبِيِّ، تَوَلَّى الشَّرْطَةَ مِنْ أَيَّامِ الْمَأْمُونِ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٥هـ / ٨٤٩م. انظُرْ: الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ج ١، ص ٤٠٨.

^٢ عُثْمَانُ بْنُ نُهَيْكِ الْأَزْدِيِّ الْفَرَاهِيدِيِّ الْبَصْرِيِّ، أَبُو نُهَيْكٍ، صَاحِبُ الْقَرَاءَاتِ، وَوَلَاهُ الْمَنْصُورُ إِمَارَةَ الْحَرَمَيْنِ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٢هـ / ٧٥٩م، الطَّبْرِيُّ: تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، ج ٧، ص ٤٩١-٥٠٦؛ الْمَزْيِيُّ: تَهْذِيبُ الْكِمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ، ج ٤٣، ص ٣٥٥.

^٣ انظُرْ: يَا قُوتُ الْحَمَوِيِّ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ج ٢، ص ٢٥.

- ثم رِبْضُ عَمْرُو بْنِ إِسْفَنْدِيَارٍ^١، ثُمَّ رِبْضُ رُشَيْدٍ، وَرُشَيْدٌ مَوْلَى الْمَنْصُورِ، وَهُوَ أَبُو دَاوُدَ بْنِ رُشَيْدِ الْمَحْدَثِ مَوْلَى الْمَنْصُورِ، وَيَتْلُوهُ رِبْضٌ يُعْرَفُ بِسَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ^٢ وَهُوَ نَافِذٌ لِي [أَنْ] يَخْرُجَ لِي طَاقٍ مَنَاسٍ.^٣
- وَيَتْلُوهُ رِبْضُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ الْمَعْرُوفِ بِطَاقِ أَبِي عَلِيٍّ، وَفِي طَرَفِ رِبْضِ زُهَيْرِ قَطَائِعُ تَعْرَفُ بِالْمَوْلِيِّ، وَهُمْ مِنْ مَوَالِي أُمِّ جَعْفَرٍ.
- وَيَتَّصِلُ بِهَا رِبْضُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُجَالِدٍ^٤ مَوْلَى الْمَنْصُورِ وَقَدْ وَدِيَ لِلْمَنْصُورِ وَالْمُهْدِيِّ وَالْآيَاتِ، وَيَتَّصِلُ بِهِ رِبْضُ حَمَزَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْخَزَاعِيِّ^٥.
- ثُمَّ رِبْضُ وَرْدَانَ^٦ بْنِ سِنَانَ، وَكَانَ أَحَدَ قَوَادِمِ الْمَنْصُورِ. وَسُوَيْقَةُ الْهَيْثَمِ بْنِ شُعْبَةَ بْنِ ظَهْرٍ^٧ مَوْلَى الْمَنْصُورِ.

^١ لدى البلاذري: «وأقطع المنصور ببغداد سليمان بن مجالد ومجالد سروري مولى لعلي بن عبد الله موضع داره»؛ ولدى يعقوبي: «لأنه كان يتولى هذا الربع فنسب إليه»
^٢ رسمت في الأصل: رزاد. والتصويب من ياقوت؛ وفي الخطيب البغدادي: رذاد.

^١ عمرو بن عثمان بن إسفنديار الكاتب. له ذكر في الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٩٦.
^٢ انظر ترجمته فيما يلي.
^٣ انظر: البلاذري فتوح البلدان، ص ٤١٥؛ يعقوبي: البلدان، ص ٣٧.
^٤ راجع: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥.
^٥ كان يلقب بالعروس، وولاه الخليفة هارون الرشيد على خراسان، توفي سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٥٢.
^٦ خان بشرقي بغداد ينسب إلى وردان بن سنان، وهو أحد قواد المنصور. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤١.
^٧ توفي سنة ١٥٦هـ / ٧٧٣م. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٠.

وقال بغض العلماء بأمر بغداد: المتأثر^١ التي في شارع الأتبار، كلها بناها طاهر بن الحسين^٢، وذلك أنه كان [في] حصاره الأمين كلما بلغ إلى موضع من ذلك بنى فيه مسجداً أو منارة.^٣

ثم يليه ربض حميد بن قحطبة الطائي^٣ وكان أحد الثقباء. ثم ربض نصر بن عبد الله^٤، وهو الشارع النافذ إلى دجيل [١٤١] من شارع باب الشام إلى درب السقائين. وعن يمينه قطائع قوم يعرفون بالسرخسية، وفي قطيعتهم طاقات الراوندي، وهو أحد الشيعة من السرخسية، واسمه محمد بن الحسن، وكان صهراً لعلي بن عيسى بن ماهان^٥ على أخته.

وفي الشارع المنسوب إلى أبي حنيفة، دار عمارة بن حمزة، وكان أحد البلغاء^٦، وهو من ولد أبي لبابة مؤلف رسول الله ﷺ ودار عمارة إقطاع من المنصور.

^١ انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٨.

^٢ طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزق بن أسعد بن زاذان، أبو طلحة الخزاعي، والي خراسان، وجه به المأمون إلى بغداد لمحاربة أخيه الأمين، فظفر به وقتله، ولقبه المأمون ذا اليمينين، وتوفي بمرور سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٤٨٣.

^٣ توفي سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٧-١١٦؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٦.

^٤ راجع: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٧.

^٥ أحد رجال الدولة العباسية الأقوياء، ولاءه هارون الرشيد الشرطة وديوان الخاتم، وولي للأمين أقاليم الجبل وهمدان وأصهبان وقم. وقتل في الري سنة ١٩٥هـ/٨١٠م انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٤٧-٤٦٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٠٠-٤٠٧.

^٦ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠١؛ ج ١٤، ص ٢١٦.

وكانت من قبل أن تُبْنَى بَغْدَادُ بُسْتَانًا لِبَعْضِ مُلُوكِ [الْفُرْسِ] ^(أ). ويتصل بها ربض أبي حنيفة ^٢. ثم رِبْضُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ نُهَيْكٍ ^(ب) ^٣ وهو ما بين دَارِ عُمَارَةَ وَمَقَابِرِ قُرَيْشٍ. ^٢

ثم طَاقَاتُ الْعَكِّيِّ ^٤ فِي الشَّارِعِ النَّافِذِ إِلَى مُرْبَعَةِ سَيِّبِ بْنِ وَاجٍ ^٥ فِي رِبْضٍ يَعْرِفُ بِرِبْضِ الْحَرَسِ، وَالْعَكِّيُّ اسْمُهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَكِيمٍ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّامِ، وَمَخْرَجُهُ مِنْ خُرَّاسَانَ مِنْ مَزُو، وَهُوَ مِنَ السَّبْعِيِّنَ، وَلَهُ قَطِيعَةٌ فِي الْمَدِينَةِ بَيْنَ بَابِ الْبَصْرَةِ وَبَابِ الْكُوفَةِ وَدَرَبٌ يَنْسُبُ إِلَيْهِ إِلَى الْيَوْمِ.

وَيَقَالُ أَنَّ أَوَّلَ طَاقَاتٍ بُنِيَتْ فِي الرَّبْضِ بِيغْدَادَ طَاقَاتُ الْعَكِّيِّ، ثُمَّ طَاقَاتُ الْغَطْرِيفِ ^٦، وَهُوَ الْغَطْرِيفُ بْنُ عَطَاءٍ، وَكَانَ أَخَا الْحَيَزُرَانَ خَالَ مُوسَى الْهَادِي وَالرَّشِيدِ.

^(أ) ساقطة من الأصل، والتمة من ياقوت.

^(ب) كذا في الأصل وتاريخ بغداد؛ وفي ياقوت: عثمان بن نهيك.

^١ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٢٢.

^٢ أبو حنيفة أحد قواد المنصور وليس بصاحب المذهب. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥.

^٣ إبراهيم بن عثمان بن نهيك العمكي، ولاء الرشيد الحرم والأموال والخزائن والعسكر بالركة، وقتله سنة ١٨٨هـ/٨٠٤م. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٧٧-٣١٠.

^٤ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٤؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٥.

^٥ تقدمت ترجمته ص ٢٦٥.

^٦ كان الغطريف بن عطاء يدعى نسباً في بني الحارث بن كعب، وأخته الخيزران جارية مولدة لسلمة بن سعيد اشتراها من قوم قدموا من جرش. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٥.

ثم طاقأت أبي سونيد^١، واسمه الجارود، مما يلي مقابر باب الشام، وقطيعته وربضه هناك. ويتصل به ربض العلاء بن موسى الجوزجاني^٢ مما يلي الدرب المعروف بأبي حية^٣، وهو الشارع النافذ إلى درب السقائين.

ثم ربض أبي نعيم موسى بن صبيح^٤، من أهل مرو من قواد المنصور، وفيه الموضع [الذي] يقال [له] شيرويه^٥، وشيرويه مجوسية من دهاقين بغداد القدماء.

وربض أبي عون^٦ في شارع دار الرقيق، واسمه عند الملك بن يزيد^٧، في الدرب النافذ إلى دار عبد الله بن طاهر، وكان أبو عون من موالى المنصور وكان يتولى له مصر ثم عزل عنها.

وقصر عبدويه^٨ مما يلي برائنا منسوب إلى عبدويه الأزدي وهو من وجوه رجال الدولة، وإنما كان المهدي صير إليه النفقة على هذا القصر فنسب إليه، وقصر هاني منسوب إلى [٤١ظ] هاني بن بشير^٩ وكان يتولى للمهدي ديوان الحراج.

^٨ في الأصل: عبد الملك بن زيد، والتصويب من تاريخ بغداد؛ ياقوت.

^١ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٥.

^٢ لم أجده ترجمه.

^٣ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٥.

^٤ أبو نعيم موسى بن صبيح، يقال إنه خال الفضل بن الربيع. انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٥.

^٥ ذكر الخطيب البغدادي أن «شيرويه» اسم موضع في ربض أبي نعيم موسى بن صبيح. تاريخ بغداد ج ١، ص ٣٩٥.

^٦ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٥.

^٧ انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠١.

^٨ لم أجده ترجمه.

والرَّهْيِنِيَّةُ كانتَ قَطَائِعَ لِقَوْمٍ أَخَذُوا رَهْيِنَةً مِنْ بَعْضِ الْبُلْدَانِ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ^١، فلم يزلوا بها إلى أَيَّامِ الرَّشِيدِ، ثم خرجوا مع طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ^٢ إِلَى خُرَّاسَانَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ، فلم يبقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَخَرِبَتْ مَنَازِلُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ.

و[أَمَّا] الرَّهْيِنِيَّةُ فَمُتَّصِلَةٌ بِرَبِضِ نُوحِ بْنِ قَرْقَدٍ، أَحَدِ قَوَادِ الْمَنْصُورِ، وَهُوَ فِي طَرْفِ بَغْدَادَ، مِمَّا يَلِي مَسْجِدَ طَاهِرِ الَّذِي بَنَاهُ هُنَاكَ أَيَّامَ فِتْنَةِ الْأَمِينِ.

وَصَحْرَاءُ قَيْرَاطٍ^٣ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قَيْرَاطِ مَوْلَى طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَكَانَ [ابْنَهُ]^٤ عَيْسَى بْنَ قَيْرَاطٍ مِنْ أَشْرَافِ الْمَوَالِي، وَلَهُ هُنَاكَ مَسْجِدٌ يَعْرِفُ بِهِ، وَدُوَيْرَةُ مُبَارِكٍ مِمَّا يَلِي شَارِعَ بَابِ الْأَنْبَارِ، وَمُبَارِكٌ مِنْ مَوَالِي الْمَنْصُورِ، وَهُنَاكَ رِبْضٌ يَعْرِفُ بِالْحَوَارِزْمِيَّةِ.

وَفِي طَرِيقِ بَابِ الْأَنْبَارِ رِبْضٌ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَعْلَجٍ، وَكَانَ سَعِيدٌ يَتَوَلَّى شُرْطَ الْمَنْصُورِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَتَوَلَّى الْبَصْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ^٥، وَفِي طَرْفِ بَابِ الْأَنْبَارِ مَنَارَةٌ الْحَكَمِ بْنِ مَيْمُونِ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ دُجَلَةَ، أَحَدِ بَنِي السَّيِّدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ، وَعَامِرِ بْنِ دُجَلَةَ، وَيَحْتَمِي أَخُوهُمَا عَرَقَبَا جَمَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالْبَصْرَةَ فَهَدَّاتُ الْحَرْبِ.

^(٥) الزيادة من الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد.

^١ انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠١.

^٢ تقدمت ترجمته ص ١٠٦.

^٣ انظر الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠١.

^٤ تولى سعيد بن حميد دعلج للمنصور شرطة البصرة والجوالي وصدقات أرض العرب، ثم ولأه البحرين سنة ١٥٦هـ/٧٧٣م، ثم ولأه المهدي سنة ١٦٢هـ طبرستان والروان. راجع تاريخ الطبري ج ٨ ص ٥١، ١٤٢، ٥٢.

- وَالْعَبَّاسِيَّةُ^١ مَنْسُوبَةٌ إِلَى عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. وَكَانَ بَعْضُ الْقَوَادِ يَذْكُرُهَا وَيَقُولُ: عَزَمِي أَنْ أَسْتَقْطِعَهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ قَدِمَ الْعَبَّاسُ عَلَى الْمَنْصُورِ فَاسْتَقْطِعَهَا مِنْهُ فَأَقْطَعَهُ إِيَّاهَا وَجَعَلَ مُؤَدِيًا^٢ خَرَايِمًا بِمَضْرَمٍ، فَاتَّخَذَهَا الْعَبَّاسُ زَنْجًا كَانُوا يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ، فَيُقَالُ: زَنْجُ الْعَبَّاسِ.
- وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ زَرَعَ فِيهَا الْبَاقِلَاءَ، وَكَانَ بَاقِلَاوُهَا نَهْيَةً [فَقِيلَ لَهُ]^٣ الْبَاقِلَاءُ الْعَبَّاسِي، وَكَانَتْ تُدْعَى جَزِيرَةَ الْعَبَّاسِ لِأَنَّهَا بَيْنَ الصَّرَاتَيْنِ. وَمَنْ أَجَلَ بَاقِلَايَهَا وَجُودَتِهِ صَارَ الْبَاقِلَاءُ الرَّطْبُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْعَبَّاسِيُّ^٤.
- وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عُمَارَةَ بْنِ حَمَزَةَ: كَانَتْ دَارُ عُمَارَةَ^٥ وَرَحْبَتُهُ ضَيْقَةً، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَقْطِعَ الْعَبَّاسِيَّةَ مِنْهُ، فَسَبَقَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَاسْتَقْطِعَهَا فَأَقْطَعَهُ إِيَّاهَا.
- وَيُرْوَى أَيْضًا أَنَّ مُوسَى [٤٢ و] بَنَى كَعْبًا^٦، وَكَانَ مِنْ أَجْلِ قَوَادِ الْمَنْصُورِ - كَانَ ضَيْقَ الدَّارِ وَالرَّحْبَةِ، فَزَارَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى ضَيْقِ مَنْزِلِهِ قَالَ: مَا لِمَنْزِلِكَ فِي نَهْيَةِ الضَّيْقِ وَالنَّاسِ فِي سَعَةٍ!؟

قال: قدمتُ وقد أقطع أمير المؤمنين الناس منازلهم وعزمتُ أن أستقطعه هذه الرحبة التي بين يدي المدينة، يعني العبَّاسيَّة. فسكت العبَّاسُ وأنصرف من عنده

^(١) لدى ياقوت: يودي. ^(٢) في الأصل: فقال. والتمة من ياقوت.

^١ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٥، ٤١١.

^٢ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٦.

^٣ سبق ذكرها: ص ١٠٧.

^٤ أحد نقباء بني العباس، ولي إمارة مصر للمنصور، وتوفي سنة ١٤١هـ/٧٥٨م. انظر في ترجمته وأخباره:

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥١١؛ الكندي: ولاة مصر، ص ١٢٨-١٢٩.

إلى المنصور، فقال يا أمير المؤمنين تُقَطِّعَنِي هذه الرَّحْبَةُ التي بين يدي مَدِينَتِكَ. قال: قد فعلتُ. فانصرفتَ ومعه التَّوْقِيعُ بِأَقْطَاعِهَا، وصار مُوسَى بعد خُرُوجِهِ إلى المنصور فأعلمه ضَيْقَ مَنْزِلِهِ وَأَنَّهُ لَا قَطِيعَةَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يُقَطِّعَهُ إِيَّاهَا، فقال له: هل سَاوَزْتَ فيها أَحَدًا قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي؟ قال: لا، إِلَّا الْعَبَّاسُ بن مُحَمَّدٍ كَانَ عِنْدِي آزِفًا فَأَعْلَمْتُهُ إِنِّي أُرِيدُ اسْتِئْطَاعَهَا مِنْكَ. فَتَبَسَّمَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ: قَدْ سَبَقَكَ وَاسْتَقْطَعَنِي إِيَّاهَا فَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ. فَأَمْسَكَ عَنْهَا مُوسَى بن كَعْبٍ وَلَمْ يَذْكُرْهَا.

وذكر بعضُ المَشِيخَةِ قال: رَأَيْتُ السَّجْلَ بِأَقْطَاعِ الْعَبَّاسِ وَفِيهِ: إِنَّكَ سَأَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِقْطَاعَكَ السَّاحَةَ الَّتِي كَانَتْ مُضْرِبًا لِلْبَيْنِ مَدِينَةَ السَّلَامِ، فَأَقْطَعَكَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ مَا سَأَلْتَ وَصَمِنْتَ^١.

وقصر عيسى منسوبٌ إلى عيسى بن علي بن عبد الله وهو أوَّلُ قَصْرِ بِنَاءِ الْهَاشِمِيِّينَ بَبَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ.

وَرُوي أَنَّ الْمَنْصُورَ زَارَ عِيسَى بن عَلِيٍّ، وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ آلَافِ رَجُلٍ^٢ [فَتَغَدَّى عِنْدَهُ وَجَمِيعُ حَاصَتِهِ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ^٣] من الْجُنْدِ زَنْبِيلاً فِيهِ خُبْزٌ وَرُبْعٌ جَذِيٍّ وَدَجَاجَةٌ وَبَيْضٌ وَلَحْمٌ بَارِدٌ وَحَلْوَى، فَأَنْصَرَفُوا كُلُّهُمْ مُسْمَطِينَ^٤ ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَرَادَ الْمَنْصُورُ أَنْ يَنْصَرِفَ قَالَ لِعِيسَى: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، لِي حَاجَةٌ، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَمَرَكَ طَاعَةً.

(٢-٤) ساقطة من الأصل، والتكملة من ياقوت.

^١ أورد ياقوت الحموي مادة العباسية في معجم البلدان منقولة بتامها من ابن القتيبة دون أدنى إشارة.

^٢ أي حملوها على ظهورهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: س م ط] ج ٧، ص ٣٢٤.

قال: تَهَبُ لِي هَذَا الْقَصْرَ. قال: ما بي صَنْ عَنْكَ بِهِ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَارَ عَمَّهُ فَأَخْرَجَهُ مِنْ قَصْرِهِ وَشَرَّدَهُ وَشَرَّدَ عِيَالَهُ، وَبَعْدَ فَإِنَّ فِيهِ مِنْ حَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ نَفْسٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ أَخْذِهِ، فَلْيَأْمُرْ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضَاءٍ يَسَعُنِي [٤٢ظ] وَيَسَعُهُمْ، أَضْرِبُ فِيهِ مَضَارِبَ وَخِيَمًا، أَنْقَلُهُمْ إِلَيْهَا إِلَى أَنْ أَتِنِي لَهُمْ مَا يُؤَارِيهِمْ.

٦ فقال له المنصور: عَمَّرَ اللَّهُ بِكَ مَنْزِلَكَ يَا عَمَّ، وَبَارَكَ فِيهِ. ثُمَّ نَهَضَ مُنْصَرِفًا.
٣^ا وَقَنْطَرَةُ بَنِي زُرَيْقٍ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قَوْمٍ مِنْ دَهَاقِينَ بِبَغْدَادٍ^ب كَانَ يُقَالُ لَهُمْ بَنِي زُرَيْقٍ، لَهُمْ نَسَبٌ مَعْرُوفٌ.

٩ وَقَنْطَرَةُ الْمَعْبَدِيِّ^٣ مَنْسُوبَةٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ^ب الْمَعْبَدِيِّ وَكَانَ لَهُ هُنَاكَ إِقْطَاعٌ وَهُوَ الَّذِي بَنَى هَذِهِ الْقَنْطَرَةَ عَلَى النَّهْرِ مَعَ رَحَى اتَّخَذَهَا هُنَاكَ، وَكَانَتْ [دَارَهُ]^ج فِي هَذَا الْمَكَانِ فَصَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيْرِيِّ^٤، وَجَعَلَهَا بُسْتَانًا فُقِّصَتْ مَعَهُ مَا قُبِضَ مِنْ أَمْلاَكِهِ، ثُمَّ اشْتَرَاهَا قَوْمٌ مِنَ الْكُرْخِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

^{٣-٤} في تاريخ بغداد: «قنطرة بني زريق لدهاقين من أهل بادوريا».

^ب كذا في الأصل وياقوت؛ وفي تاريخ بغداد: عبد الله بن معبد.

^ج ساقطة من الأصل، والتكملة من ياقوت.

^١ نقلها ياقوت الحموي من ابن الفقيه الهمداني أيضاً في مادة نهر عيسى ولم يشر.

^٢ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٠٦.

^٣ قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٧.

^٤ محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفة الواثق والمتوكل، توفي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م. انظر في ترجمته وأخباره:

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٥٥-١٥٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٥٩٣.

والتَّوْبِخْتِيَّةُ إِقْطَاعٌ مِنَ الْمَنْصُورِ لُتَوْبِخَتْ^(a) لَمَّا حَكَمَ بِأَنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ
ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لَا يَتَمُّ. وَهَذَاكَ دَرْبٌ يَعْرِفُ بِدَرْبِ
التَّوْوَسِ^٢، كَانَ فِيهِ تَاوُوسٌ قَدِيمٌ فَتُسَبَّ إِلَيْهِ.

[رَحَا الْبَطْرِيقِ]

وَقَالَ أَبُو زَكْرِيَاءُ^٢: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ^٣ يَوْمًا، فَوَجَدْتُ
يَعْقُوبَ بْنَ الْمَهْدِيِّ عَنِ يَمِينِهِ، وَمَنْصُورَ بْنَ الْمَهْدِيِّ عَنِ يَسَارِهِ، وَيَعْقُوبَ بْنَ أَبِي
الرَّبِيعِ^(b) عَنِ يَمِينِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، وَقَاسِمَ أَخُوهُ عَنِ يَسَارِ مَنْصُورِ بْنِ الْمَهْدِيِّ،
فَسَلَّمْتُ وَأَوْمَأُ بِيَدِهِ إِلَيَّ بِالْإِنْصِرَافِ^(c) وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَدَّى مَعَهُ أَحَدًا
مِنْ جُلَسَائِهِ أَوْ أَهْلِ بَيْتِهِ، أَمَرَ غَلَامًا لَهُ، يُكْنَى أَبُو حَيْلَةَ^(d)، بِرَدِّهِ إِلَى مَجْلِسِ فِي دَارِهِ
حَتَّى يُحْضِرَ غَدَاءَهُ وَيَدْعُو بِهِ.

^(a) في الأصل: لمن بخت.

^(b) لدى ياقوت: يعقوب بن الربيع.

^(c) في الأصل: إلى الانصراف، والتصويب من: ياقوت.

^(d) في الأصل: أبا حلبة، والتصويب من: ياقوت.

^١ الناووس: مقابر للنصارى، تابوت من حجر ونحوه يجعل فيه جثة الميت. انظر: ابن سيدة: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٣، ص ٣٢٠؛ المعجم الوسيط: منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٩٦٢.

^٢ يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، من مصادر ابن الفقيه التي صرح بها، وقد مر ذكره. ص ٩٥.

^٣ الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، أبو العباس، حاجب هارون الرشيد، ومحمد الأمين. توفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٠٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ١٠٩.

قال: فخرجتُ فردني أبو حيلة^(أ)، فدخلتُ فإذا موسى بن عيسى^١ فقال لي: أمّا أنت فقد علمنا أنك رُددت إلى الغداء ولكن الشآن في غيرك. فقلت: أنت الذي لا يقدمُ عليك أحد. ٣

قال: وجلستنا حتى حضر الغداء، فأخضرتني وأخضرت كتابه وكانوا أربعة: موسى بن عيسى بن أبيروز، وعبدُ الله ابن أبي نعيم الكلبِي، وداودُ بن بسطام، ومحمدُ بن المختار. فلما أكلنا جاؤوا بأطباقِ الفاكهة، فقدموا إلينا طبقًا فيه رُطب^[٤٣و] فأخذَ الفضلُ منه رُطبةً فناولها يعقوبُ بن المهدي وقال له: إن هذا من بُستانِ أبي الذي وهبه له المنصور. ٦

فقال له يعقوبُ: رحمَ الله أباك، فإني ذكرته أمس، وقد اجتزتُ على الصّراةِ برحى البَطريقِ، فإذا أحسنُ موضعٍ وإذا الدُّور من تحتها والشوْق من فوقها وماءٌ غزيرٌ حادٌ الجريّة. [فقال له]^(ب): فمن البَطريقُ الذي تُسبِت هذه الرّحى إليه^٢، أمِن موالينًا [هو]^(ب) أم من أهلِ دولتنا، أم من العربِ؟! ٩

قال: فقال الفضلُ: أنا أحدثك حديثه: لما أفضتِ الخِلافةُ إلى أبيك - رحمه الله - قدم عليه بطريق أنفذه ملك الروم مُهتئًا له، فأوصلناه إليه وقربناه منه. ١٢

^(أ) في الأصل: أبا حلبة، والتصويب من ياقوت.

^(ب) زيادة من ياقوت.

^١ موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي، من آل العباس، ولي الحرمين للمنصور والمهدي مدة طويلة، ثم ولي اليمن للمهدي، ومصر والكوفة للرشيد، توفي سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة، ص ٤٤١-٤٥٦ البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٨٠.

^٢ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٦.

فقال المهدي للربيع: قُلْ له يتكلم. فقال الربيع لترجمانه ذلك فقال: هو بريء من دينه، وإلا فهو حنيفٌ مُسلمٌ إن كان قدمَ لدينارٍ ولا دِزهمٍ ولا لعَرَضٍ من أعراضِ الدنيا، ولا كان قُدومه إلا شوقًا إلى وجهِ الخليفة، وذلك أنا نجدُ في كتبنا أن الثالث من أهل بيت النبي ﷺ، يملأها عدلًا كما ملئت جورًا، فحِثُّ اشتياقًا إليه.

فقال المهدي للربيع: قُلْ للترجمانِ يقول له: قد سرّني ما قُلتُ ووقعَ مني بحيثُ أحببتُ، ولك الكرامةُ ما أقمْت والحِباءُ إذا شخِصت، وبلادنا هذه بلادُ ريفٍ وطيبٍ، فأقم ما طابَتْ لك، ثم بعد ذلك فالإذنُ إليك.

وأمرَ الربيعَ بأنزله وإكرامه، فأقام أشهرًا، ثم خرجَ يومًا يتنزّه بيرانًا وما يليها، فلَمَّا انصَرَفَ اجْتازَ على الصّراةِ فلَمَّا نظرَ إلى مكانِ الأرحاءِ وقفَ ساعةً يتأمّله، فقال له المُوكّلونَ به: قد أبطأتَ فإن كانت لك حاجةٌ فأعلمنا إيّاها، فقال: شيءٌ فكَرْتُ فيه، وانصَرَفَ، فلَمَّا كان العشيَّ راحَ إلى الربيعِ فقال له: أقرضني خمسَ مائةِ ألفِ دِزهمٍ. قال: وما تصنعُ بها؟! قال: أبنِي بها لأَميرِ المُؤمنينَ مُستغلاً يؤدّي في السّنةِ خمسَ مائةِ ألفِ دِزهمٍ. فقال له الربيعُ: وحقُّ الماضِي، صلواتُ الله عليه، وحيّاةُ الباقي أطالَ اللهُ بقاءَهُ [٤٣ظ] لو سألتني أن أهبها لغلامِك ما خرجتَ إلا [و] معه، ولكنّ هذا الأمرُ لا بُدَّ من إغلامِ الخليفةِ إيّاهُ.

قال: قد عَلِمْتُ أن ذاكَ كذلك. قال: ودخلَ الربيعُ إلى المهدي فأعلمه. فقال: ادفعْ إليه خمسَ مائةِ ألفٍ وخمسةَ مائةِ ألفٍ، بل ادفعْ إليه جميعَ ما يُريدُ بغيرِ مؤامرةٍ.

قال: فدفع ذلك الربيعُ إليه، فبنى الأرحاءَ المعروفةَ بأرحاءِ البَطْرِيقِ. فأمرَ المهدي أن تُدفعَ غلتُها إليه. فكانت تُحمَلُ إليه إلى سنةِ ثلاثٍ وستينَ ومائةٍ، فإنه مات، فأمرَ المهدي أن تُضمَّ إلى مُستغله.

قال: وكان اسمُ البَطْرِيقِ طَارَاتِ^(a) بن اللَّيْثِ بن العِيزَارِ بن طَرِيفِ بن قُوقِ بن مُورِقِ^(b)، و مُورِقُ كان المَلِكُ في أَيَّامِ مُعاويةَ^(c).

وقال [أحمدُ بن] الحَلِيلِ بن مَالِكٍ^(c): د [عن أبيه، قال] د: كان المنصور قد أمرَ بِعقدِ ثلاثةِ جُسُورٍ: جسر يعبرُ النَّاسُ عليه، وجسر يرجعونَ فيه، وجسر في الوَسَطِ للنِّسَاءِ، وعقدَ بعد ذلك بِيابِ البُستَانِ جِسْرَيْنِ، جِسْرٌ له ولولدهِ، وجِسْرٌ لخدمِهِ وحشمِهِ. وعقدَ الرَّشِيدُ بعد ذلك عند بابِ الشَّمَّاسِيَّةِ^(d) جِسْرَيْنِ.

^(a) في الأصل: طافات، والتصويب من تاريخ بغداد؛ ياقوت.

^(b) في معجم البلدان: مروق ^(c) ساقطة من الأصل والتكملة من الخطيب: تاريخ بغداد.

^(d-d) ساقطة من الأصل والتكملة من تاريخ بغداد.

^١ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتمامه من ابن الفقيه دون أدنى إشارة، بل أنه عندما ذكر الخبر قال: «... حدث أبو زكرياء ولا أعرفه...» وهو نفس المصدر الذي صرح به ابن الفقيه. وكان من الأولى أن يشير إلى ابن الفقيه الذي يعرفه وينقل عنه. قارن: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣١-٣٢.

^٢ أحمد بن الحليل بن مالك بن ميمون بن سعيد، أبو العباس، مولى علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يامي الأصل ويعرف بحور. حدث عن أبي بكر بن عياش - أحد مصادر ابن الفقيه - لم أقف على سنة وفاته. انظر في ترجمته وأخباره: الدارقطني: الضعفاء والمتروكين، تحقيق: عبد الرحيم عماد القشقرى، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٨٥م، ص ٢٥٥؛ تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٢١٥.

^٣ الشَّامِسيَّة: تنسب إلى بعض شماسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٦١.

وكان لأمِّ جَعْفَرٍ^١ جِسْرٌ عند مَشْرَعَةِ فَرَجِ الرَّخَجِيِّ^١ بِالْقَرْبِ مِنْ سُوقَةِ قَطُوطًا، فلم تزل هذه الجسور قائمةً إلى أن قُتِلَ مُحَمَّدُ ابْنُ زُبَيْدَةَ^٢، ثم عَطِلَتْ إِلَّا الثلاثة المنصورية القديمة التي عند مجلس الشرطة، فإنَّها باقيةٌ إلى وقتنا هذا^٣.

قال: وطأقُ أسماءَ بالجانبِ الشرقيِّ، منسوبٌ إلى أسماءَ بنتِ المنصور، وهذا الطأقُ كان طاقًا عظيمًا،^٤ وكان في دارها التي صارت لعلِّي بن جهشيار^٤ بمشْرَعَةِ الصَّخْرِ^٥، أقطعهُ إياها الموفقُ ثم أقطعها أذكوتكين بن أساتكين^٥.

وعند طأقِ أسماءَ كان مجلسُ الشعراءِ وهناك كانوا يجتمعون في أيامِ الرشيد. والموضعُ المعروفُ بينَ القصرين: هو قصرُ أسماءَ بنتِ المنصور وقصرُ عبيدِ الله بن المهدي.

^١ في تاريخ بغداد: أبي جعفر.

^٢ (b) لدى الخطيب البغدادي: «... وهي التي صارت لعلِّي بن جهشيار بين القصرين، قصر أسماء وقصر عبيد الله بن المهدي».

^١ فرج الرخجي، كان مملوكا لحمدونة بنت غضيض، أم ولد الرشيد. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠٨-٤١٠.

^٢ الخليفة العباسي محمد الأمين.

^٣ أي إلى سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م، وفي هذا دليل على أن المؤلف بدأ تأريخ الكتاب وفق الزمن المذكور.

^٤ علي بن جهشيار، أبو الحسن، القائد وحاجب الموفق الناصر لدين الله. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٦٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٦٧.

^٥ أذكوتكين بن أساتكين، كان أبوه أساتكين من أكابر قواد الأتراك، استعمله الخليفة المعتمد على الموصل، فسير إليها أذكوتكين سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م، كان حياً حتى سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٦١١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٣٩٩.

والْحُضَيْرِيَّةَ مِمَّا يَلِي بَابَ الطَّاقِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى حُضَيْرِ مَوْلَى صَالِحٍ^١ صَاحِبِ الْمَصْلَى،
وَفِيهَا تُبَاعُ الْجِرَارُ وَتُعْمَلُ الْمَزْمَلَاتُ^٢.

[أَسْوَاقُ بَغْدَادَ]

٣ وَسُوقُ يَحْيَى مَنْسُوبَةٌ [٤٤٤] إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ^٣ وَكَانَتْ إِقْطَاعًا لَهُ مِنْ
الرَّشِيدِ، ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ لِأُمِّ جَعْفَرٍ، ثُمَّ أَقْطَعَهَا الْمَأْمُونُ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ
٦ بَعْدَ الْفِتْنَةِ، فَهِيَ فِي أَيْدِي وَرَثَتِهِ إِلَّا مَا بَاعَ مِنْهَا^٤.

٩ وَسُوقَةُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى [أَبِي] عُبَيْدِ اللَّهِ وَزَيْرِ الْمَهْدِيِّ، وَاسْمُهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ
عَمْرٍو، وَشَارِعُ الْمِيدَانِ خَارِجُ الرُّصَافَةِ، وَهُوَ شَارِعٌ مَأْرُومٌ مِنْ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ إِلَى
سُوقِ الثَّلَاثَاءِ، وَفِيهِ قَصْرٌ أُمِّ حَبِيبِ بِنْتِ الرَّشِيدِ.

(٥-٥) في الخطيب البغدادي: «سوقة أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله مولى عبد الله ابن عضاء الأشعري الوزير».

^١ صالح البلخي صاحب المصل، من أولاد ملوك خراسان، آمنه المنصور على حصر مصرية كانت في خزائن بني أمية، يقال إنها كانت للنبي ﷺ، فكان إذا أراد الصلاة أعلمه فيفرشها له في الجمع والصلوات فسمي لذلك صاحب المصل. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٩٥.

^٢ المزملات، جمع مزملة: وهي جرة خضراء يجعل فيها الماء ليبرد. انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٠١.
^٣ يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل، مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه، دفع إليه هارون خاتمه وجعل إصدار الأمور وإيرادها إليه. إلى أن نكب البرامكة، وترك إلى أن مات فيه سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١٦، ص ١٩٥.

^٤ قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٤.

^٥ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٨.

وكان هذا القصرُ ودورهُ إقطاعاً من المهدي لعَمَّار^(أ) بن أبي الحَصِيبِ^١، ثم صارَ جميعُ ذلك للفضلِ بن الربيع، ثم صارَ لأمِّ حبيبِ بنتِ الرَّشيدِ في أيامِ المأمون، ثم صارَ بعد ذلك لبناتِ الخلفاءِ إلى أن صرْنَ يُجعلن في قصرِ المهدي بالرُّصافةِ^٢.

وسوقُ العَطشِ بناها سَعِيدُ الخرسِي^(ب) للمهدي، وحولَ إليها التُّجَّارَ لِيُخَرَّبَ الكَرخِ^(ج)، وقال له المهدي عند تمامِ بنائها: سَمَّهَا سُوْقَ الرَّيِّ، فغلبَ عليها سوقُ العَطشِ، وأولُّها يَتَّصِلُ بسُوْقَةِ الخرسِيِّ ودارِهِ، والإقطاعاتِ التي أقطعهُ إيَّاهَا المهدي هناك.

^(أ) في الأصل: لعباد؛ والتصويب من البلاذري: فتوح؛ والخطيب البغدادي.

^(ب) في الأصل: شعبة الجرمي، وهو خطأ. والتصويب من الخطيب البغدادي؛ ابن الجوزي: المنتظم.

^(ج) لدى الخطيب البغدادي: «وحول إليه كل ضرب من التجار فشبّه بالكرخ»

^١ عمار بن أبي الحصيب، أحد رجالات الدولة العباسية المرموقين، وكل إليه المهدي تخطيط وبناء مدينة الري، فجعل حولها خندقاً وبنى فيها مسجداً، ثم كتب اسمه عليه، فأرخ بناءها سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٦؛ قدامة بن جعفر: الحراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص ٣٧٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٦٥.

^٢ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة: سوق ابن أبي عبيد، ج ٣، ص ٢٨٨؛ ومادة: قصر أم حبيب، ج ٤، ص ٣٥٥.

^٣ سعيد الخرسِي: صاحب شرطة بغداد للخليفة المهدي، هو الذي بنى سوق العطش للمهدي بالجانب الشرقي منها، كما أوكل إليه فرض الضرائب على حوانيت التجار سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م. انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٩-٤١٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٩٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٤.

٣ وَسُوَيْقَةُ الْعَبَّاسَةِ مُنْسُوبَةٌ إِلَى الْعَبَّاسَةِ أُخْتِ الرَّشِيدِ^(أ) وَيُقَالُ إِنَّ الرَّشِيدَ فِيهَا أَعْرَسَ بَزُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، قَبْلَ أَنْ تَنْتَقَلَ الْعَبَّاسَةُ إِلَيْهَا، ثُمَّ دَخَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَيْبِنَةِ بِنَاهَا الْمَعْتَصِمِ^١.

٦ وَدَارُ فَرَجٍ^٢ فَوْقَ سُوقِ يَحْتَمَى، وَكَانَ فَرَجٌ مَمْلُوكًا لِحَمْدُونَةَ بِنْتِ غَضِيضِ أُمِّ وَوَلِدِ الرَّشِيدِ، ثُمَّ صَارَ وَلَاؤُهُ لِلرَّشِيدِ وَدَارُهُ إِقْطَاعٌ مِنَ الرَّشِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ بِنَاءٍ أَحْكَمَ مِنْ بِنَائِهَا، ثُمَّ هُدِمَتْ فِيهَا هُدْمٌ مِنْ مَنَازِلِ [ابنهِ]^(ب) عُمَرَ بْنِ فَرَجٍ^٣ لَمَّا قُبِضَتْ.

٩ وَكَانَتْ دَارُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدِ الْأَحْوَلِ^٤ لِأَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو^٥ وَهَنَّاكَ السُّوَيْقَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَيْهِ. وَكَانَ أَبُو خَالِدِ الْأَحْوَلِ أَحَدَ كُتَّابِ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ، فَاشْتَرَاهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ مِنْ وَرَثَةِ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ.

(أ) في الأصل: بنت الرشيد.

(ب) الزيادة من ياقوت.

^١ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١١؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧.

^٢ تقدمت ترجمته ص ٢٨٥.

^٣ عمر بن فرج الرخجي الكاتب، مولى بني العباس، كان من علية الكتاب، ولاء الخليفة الواثق ديوان الخراج، ثم سخط عليه المتوكل ونكل به، وتوفي ببغداد. انظر: ابن الجوزي: المنتظم، ج ١١، ص ١٩٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٩٥٧.

^٤ أحمد بن أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن، أبو العباس الكاتب الأحول، وزير من كبار الكتاب، وزر للمأمون بعد الفضل بن سهل. وكان فصيحاً جواداً، عمدوحاً، شهماً، توفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١٢٥-١٨٨؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٩٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٥٥.

^٥ تقدم ذكره ص ٢٨٦.

وَدَرَبُ الْمُفَضَّلِ: هُوَ الْمُفَضَّلُ بْنُ زِمَامٍ مِنْ مَوَالِي الْمَهْدِيِّ^١ [٤٤ظ] وَسُوَيْفَةُ نَصْرِيَّةٌ مَسْنُوبَةٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَاعِيِّ^٢، إِقْطَاعٌ مِنَ الْمَهْدِيِّ لَهُ^٣.

٢ وَدَارُ الرَّبِيعِ مِمَّا يَلِي الْمَحْرَمِ، كَانَتْ لِمَكَيْسِ الْحَادِمِ، فَاشْتَرَاهَا الرَّبِيعُ مِنْهُ وَأَتَّصَلَ خَبْرُهَا بِالْمَنْصُورِ. فَقَالَ لِلرَّبِيعِ: أَنْتَ تُرِيدُ تَعْمَلَهَا بُسْتَانًا وَتَذْهَبُ مِنِّي بِخَرَاجِهِ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ كَلَّمَا وُلِدَ لِي ابْنٌ فَتَحْتُ لَهُ فِيهَا بَابًا. وَهِيَ سَارِعَةٌ فِي شَارِعِ الْمَيْدَانِ وَهِيَ فِي أَيْدِي وَرَثَةِ الرَّبِيعِ إِلَى الْيَوْمِ^٦.

١ وَسُوَيْفَةُ خَالِدِ بْنِ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ: مَسْنُوبَةٌ إِلَى خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ، إِقْطَاعٌ مِنَ الْمَهْدِيِّ، ثُمَّ بَنَى فِيهَا الْفَضْلُ قَصْرَهُ الْمَعْرُوفَ بِقَصْرِ الطَّيْنِ، وَبَنَى أَيْضًا فِيهَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى قَصْرًا آخَرَ^٤. وَرَحْبَةُ يَعْقُوبَ: مَسْنُوبَةٌ إِلَى يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ [الْكَاتِبِ]^(٥)، مَوْلَى بَنِي سُلَيْمٍ، أَقْطَعَهُ إِيَّاهَا الْمَهْدِيُّ حِينَ اسْتَوَزَرَهُ^٥.

(٥) التتمة من الخطيب البغدادي.

^١ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٨.

^٢ نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، أحد نقباء بني العباس، وصاحب شرطة الخليفة هارون الرشيد. انظر: المزي: تهذيب الكمال، ج ٣٠، ص ١٣٣.

^٣ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٩؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٨.

^٤ قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧.

^٥ يعقوب بن داود بن عمر بن طههان، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن خازم السلمي، استوزره الخليفة المهدي وقرب من قلبه، ثم نكبه وأودعه السجن، فلم يزل فيه محبوبًا إلى أن أطلقه هارون الرشيد، وتوفي مجاورًا بمكة ١٨٢هـ/٧٩٨م، انظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٣٨٣.

^٦ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١١؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٦.

وذكر بعض المشايخ: أنه رأى فيها آراجاً عتقاً تُشبه السَّاباطَ، كانت قبل بناء بغداد لقومٍ من دهاقينها.

٣ والمُحَرَّم: منسوبٌ إلى مُحَرَّم بن يزيد بن مُحَرَّم بن شريح بن مُحَرَّم بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة، كان ينزله أيامَ نزولِ العربِ السَّوادَ في [بدء] ^a الإسلامِ فنُسبَ إليه.

٦ وقال أبو المنذر^١: سمعتُ قوماً من بني الحارث بن كعبٍ يقولون: المُحَرَّم إقطاعٌ من عمر بن الخطاب في الإسلام للمُحَرَّم بن شريح.

٩ وخانُ أبي زيادٍ^٢ منسوبٌ إلى رجلٍ من سوادِ الكوفةِ من النبطِ، كان يُكنى أبا زيادٍ عُمرَ عُمرًا طويلاً لأنه كان ممنَ وسمه الحجاجُ، وذلك أنَّ الحجاجَ وسمَ النبطَ على أيديهم ليُعرفوا من سائرِ النَّاسِ، وكان أبو زيادٍ من سوادِ الكوفةِ، وعاش إلى أيامِ المنصورِ.

١٢ وقال رجلٌ من طيء: أنا رأيتُهُ بالكوفةِ في بني عُكلٍ في حانوتٍ له يربطُ البقلَ، عليه إزارٌ ورداءٌ والوشمُ على ذراعِهِ. قال: وكان انتقاله من الكوفةِ مع المنصورِ لما انتقل إلى بغداد فنزل في المُحَرَّم في شارعِ النَّفَّاطِينِ، فقام [من] الحانٍ وترك بيعَ البقلِ، وكان تكنى قبل مصيره إلى بغداد أبا زنب، ثم تكنى بأبي زيادٍ، ونشأ له ابنُ

^a الزيادة من ياقوت.

^١ هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وقد مرت ترجمته راجع ص ٢٠؛ وقد ذكر ياقوت الحموي: أنه اطلع على هذا الخبر في كتاب أنساب البلدان لهشام بن السائب الكلبي، وقرأ في حاشية الكتاب تعليقا لجحجح، [أحد قادة الجند في أيام المتقي لله العباسي] معجم البلدان، ج ٥، ص ٧١.

^٢ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١١.

فتأدبَ وفصحَ، فصَارَ إلى هَمْدَانَ فأصابَ مَالًا وتزوَّجَ هناك امرأةً من العربِ،
وذلك أَنَّهُ ادَّعى أَنَّهُ عربيٌّ. ثم طُعِنَ في نَسَبِهِ عند الرَّجُلِ الذي [٤٥] تزوَّجَ إليه،
فقدِمَ الرَّجُلُ بَغْدَادَ، فسألَ عنه، فأخبرَ بِقِصَّتِهِ ودلَّ على أبيه فصَارَ إليه ووقفَ عليه
فقال: ما رَبِيعٌ منك؟ قال: بَنِي. فشهرَ عليه السَّيفَ وحالَ النَّاسِ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ وقيلَ له:
لَمْ نَفْسِكَ لِأَنَّكَ زَوَّجْتَ من لا تَعْرِفُ.

وكانت [سوق] ^(٨) الثَّلَاثاءُ^١ قِبَلِ بِنَاءِ بَغْدَادَ تَقُومُ في يَوْمِ مَعْرُوفٍ من الشَّهْرِ، وهو
يَوْمُ الثَّلَاثاءِ، وكان أَكثَرُ من يَحْضُرُهَا أَهْلُ كَلْوَادِي وَأَهْلُ بَغْدَادَ، فَسَبَّتْ إلى اليَوْمِ
الذي كانت تَقُومُ فيه.

وسُويقةُ حَجَّاجٍ: منسوبةٌ إلى الحَجَّاجِ الوَصِيفِ مَوْلَى المهدي ^٢. ودارُ عَمَّارة ^٣ في
طَرَفِ شَارِعِ المُحَرَّمِ، منسوبةٌ إلى عَمَّارِ بنِ أَبِي الحَصِيبِ مَوْلَى رُوْحِ بنِ حَاتِمٍ ^٤، وقيلَ
إِنَّه كان مَوْلَى للمَنْصُورِ، وكان أَبُو الحَصِيبِ أَحَدَ من تَوَلَّى حَجَبَةَ المَنْصُورِ. وقنطرةٌ

(٨) ساقطة من الأصل: والتكلمة من: ياقوت.

^١ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٣.

^٢ قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٢؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧.

^٣ يوجد موضعين ببغداد باسم دار عمارة، إحداهما في شارع المخرم من الجانب الشرقي تنسب إلى عمار بن أبي الحبيب المذكور في الخبر أعلاه؛ والثانية تنسب إلى عمارة بن حمزة وقد تقدم ذكرها.

^٤ روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي: أمير، من الأجواد المدوحين. كان حاجباً للمنصور العباسي، وولي للمهدي السند، ثم البصرة والكوفة. وولاه الرشيد فلسطين، ثم القيروان سنة ١٧١هـ/٧٨٧م، فاستمر إلى أن مات فيها سنة ١٧٤هـ/٧٩١م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١، ٤٤٦-٤٦٤

٣ على نهر المهدي منسوبة إلى بعض بنات المهدي. وخان وزدان^١، ذكر أحمد بن إسحاق [ابن] برصوما^٢ قال: حدثني علي بن الحكم العقيلي^٣ قال: كان [وزدان^٤] بن سنان من قواد المنصور. وكان عظيم اللحية جداً.

٦ قال: فكتب عبد الله بن عياش المتوفى إلى المنصور يسأله حوائج له، وكان أحد ما طلب من الحاجات أن يهب له لحية وزدان ليتدفأ بها في الشتاء، فوقع له بقضاء جميع ما سأل، ووقع تحت سؤاله لحية وزدان: لا، ولا كرامة، لا أهب لك لحية رجل من قوادي وجلّة أصحابي^٥.

٩ والصالحية: إقطاع من المنصور لابنه صالح المعروف بالمسكين. ^٦ وقياب الحسين التي خارج بغداد على طريق خراسان، منسوبة إلى الحسين بن قرة الفزاري، وكان قرة ممن خرج مع ابن الأشعث، فقتله الحجاج^٧.

^١ ساقطة من الأصل: والتكلمة من ياقوت.

^٢ لدى ياقوت: «وتحت لحية وردان كتب: لا كرامة ولا عزازة».

^{٣-٤} لدى ياقوت: «وقباب الحسين: كانت خارج بغداد على طريق خراسان منسوبة إلى الحسين بن سكين الفزاري في قول ابن الكلبي، وقال غيره: حسين بن قرة الفزاري، وكان قرة ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج».

^١ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤١.

^٢ أحمد بن إسحاق بن برصوما، المغني الكوفي، أخذ عنه ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١٦، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥١٠-٥١٢.

^٣ لم أجد له ترجمة.

^٤ قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١٣؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩٠.

^٥ انظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٣؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٠٣.

عيسى باذ^١ منسوبة إلى عيسى بن المهدي، وكان عيسى في حجر مبارك^(a) التركي^٢، وكانت أمه الحيزران، وهو أخو الهادي والرشيدي لأبيهما وأمهها، وكانت إقطاعاً له.

حوض هيلانة: زعم قوم أن هيلانة قيمة كانت للمنصور، حفرت هذا الحوض وجعلته للسبيل فنسب إليها، وباب المحول في الجانب الغربي إقطاع هيلانة، أقطعها إياه المنصور^٣.

وقد قيل: إن [٤٥ر] هيلانة كانت جارية للرشيدي وإليها ينسب هذا الحوض وفيها يقول الرشيدي (شعر):

[جزء الرمل]

أف للذنيا وللزينة فيهما والأثاث
إذا حثا التراب على هيلان في الحفرة حاث

ودولاب مبارك منسوب إلى مبارك التركي^٤. وحوض داود^٥، منسوب إلى داود بن المهدي.

^(a) لدى البلاذري: منازل.

^١ عيسى باذ، أي عمارة عيسى، لأن لفظة باذ تعني بالفارسية العمارة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٧٢؛ وقارن: البلاذري: المصدر السابق، ص ٤١٥؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٣.
^٢ عباس التركي أحد موالي بني العباس، قيل إنه من موالي المعتصم أو المأمون، عاقبه الخليفة موسى الهادي وصادر أمواله وجعله سائساً لدوابه، وبقي على هذه الحالة حتى وفاة الهادي. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٩٥-٢٠٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢٦٢.

^٣ قارن: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٤؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٠.

^٤ جاءت هذه الجملة في غير موضعها من النص، ووضعها هنا لكي يتسق السياق والمعنى.

^٥ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٢٠.

وذكر يَحْيَى بن الحسن^١ أَنَّ حَوْصَ دَاوَدَ مَنْسُوبٌ إِلَى دَاوَدَ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ وَلَهُ
إِقْطَاعٌ مِمَّا يَلِي سُوقَ الْعَطَشِ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ دَاوَدَ مَوْلَى نُصَيْرٍ، وَنُصَيْرٌ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ.

٣ وذكر بعضُ المشايخِ أَنَّهُ يَذْكُرُ مَا بَيْنَ سُوقِ يَحْيَى عَنْ يُمْنَةِ السُّوقِ إِلَى بَابِ
الشَّمَّاسِيَّةِ مَنَابِتَ طَرْفَاءَ قَبْلَ أَنْ يُقَطَعَ النَّاسُ فِيهَا، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْطَعَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ
الْمَهْدِيِّ، وَهُوَ ابْنُ رَايِطَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ، ثُمَّ أَقْطَعَ بَعْدَهُ لِمَنْصُورِ بْنِ الْمَهْدِيِّ.

٦ وذكر أحمدُ بن الحارثِ الحَرَّازُ^٢: أَنَّ بَغْدَادَ صُوِّرَتْ لِمَلِكِ الرُّومِ بِأَرْبَابِهَا^(أ)

وَأَسْوَاقِهَا وَشَوَارِعِهَا [وَقُصُورُهَا]^(ب) وَسَائِطِهَا وَأَنْهَارُهَا مِنْ جَمِيعِ جَانِبَيْهَا الشَّرْقِيِّ
وَالغَرْبِيِّ. ^(ج) قَالَ: فَكَانَ كَثِيرًا مَا يُخْضِرُ الصُّورَةَ وَيَتَأَمَّلُهَا وَيَسْتَحْسِنُ شَارِعَ بَابِ

٩ المِيدَانِ^(د)، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِهِ وَحُسْنِ الْقُصُورِ الَّتِي فِيهَا، وَيَزِدُّهُ اسْتِحْسَانُهُ لَشَارِعِ
الرَّزَّادِيِّنَ وَسُوقَةِ نَضْرَ بْنِ مَالِكٍ^(هـ) [مِنْ بَابِ الْحِجْرِ]^(د) إِلَى الثَّلَاثَةِ الْأَبْوَابِ وَالْقُصُورِ
الَّتِي فِي الشَّارِعِ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا كَانَ يَسْتَحْسِنُ الْأَسْوَاقَ مِنَ الْخُضْرِيَّةِ^(هـ) إِلَى قَنْطَرَةَ

١٢ بَرْدَانَ.

^(أ) في تاريخ بغداد: أرضها. ^(ب) تنمة من تاريخ بغداد.

^(ج-د) لدى الخطيب البغدادي: «وأن الجانب الشرقي منها لما صُوِّرَتْ شوارعها، فصور شارع الميدان».

^(د) تنمة من تاريخ بغداد. ^(هـ) في تاريخ بغداد: سوقة خضير.

^١ يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، تقدم ذكره.

^٢ أحمد بن الحارث بن المبارك الحراز، أبو جعفر، مولى أبي جعفر المنصور، رواية ومؤرخ من أهل بغداد. توفي

سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٢٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ

بغداد، ج ١، ص ١٩٨؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٢٨.

^٣ تقدمت ترجمته: ص ٢٨٩.

- وكان يقول: قد كان يجبُ على ملكِ العربِ أن يُجَعَلَ دارُهُ في هذا الشَّارعِ.
ويجَعَلُ أَصْبَعَهُ على شَارِعِ الرَّزَّادِينَ، وكان إذا شَرِبَ دَعَا بالصُّورَةَ فيشرب على هذه
الشُّوارِعِ التي ذَكَرناها لحَسَنِ أبْنَيْتِها وقُصُورِها.^٢
- وفَصِيلُ أَبِي العَلَاءِ، مَنْسُوبٌ إلى سُلَيْمِ أَبِي العَلَاءِ مَوْلَى المَهْدِيِّ.
وقال يَحْيَى بن داوَدَ السَّوَأِيُّ: كان ببغدادَ في شَارِعِ الثَّلَاثَةِ الأبوابِ ثَلَاثِئَاةَ مِقْلٍ
للسُّويقِ، وكان في قَنْطَرَةَ مِئْمُونَةَ ورَحَى عَبْدِ المَلِكِ وَسُوقَ يَحْيَى والمُخَرَّمِ وفي
أَطْرَافِ بَغدَادَ سِوَى سُوقِ الكَرْخِ، أَكْثَرُ من ثَلَاثِئَاةِ مِقْلٍ آخَرَ.
وكان سَبَبُ كَثْرَةِ السُّويقِ ببغدادَ أَنَّ بَغدَادَ كانت في أَيَّامِ الرَّشِيدِ وما قَبْلَهُ إلى
أَيَّامِ المَأْمُونِ [٤٦ و٤٧] عَسْكَرًا لكثْرَةِ النَّاسِ بها ومَصِيرِهِم إليها من كُلِّ بَلَدٍ، وكانت
الأَرَبَاضُ مَحْشُوءَةٌ بالنَّاسِ، وكان اللَّحْمُ يَعْزُزُ لأنَّ الأَغْنَامَ كانت تَدْخُلُ في أَيَّامِ الرَّبِيعِ
فقط، يَجْلِبُها الأَعْرَابُ من هذا الوَقْتِ من البَرِيَّةِ، ويَجْلِبُها التُّجَّارُ في زَمَانِ الخَرِيفِ
من نَاحِيَةِ الجَبَلِ، وَيَتَعَدَّرُ دُخُولُها في الشِّتَاءِ إلا الشَّيْءُ الِيسِيرُ يُجْلَبُ من نَاحِيَةِ
الكُوفَةِ، فكان رَبِّيا يَبِيعُ اللَّحْمُ ببغدادَ على سِتَّةِ أواقٍ^١، فكثر اسْتِعْمَالُ النَّاسِ للسُّويقِ
لهذه الحَالِ، لأنَّهم كانوا يَأْكُلُونَهُ مع التَّمْرِ والسُّكَّرِ ومع الدَّبَسِ وغير ذلك، فلهذا
صَارَ كَثِيرًا.^{١٥}

^١ ذكر الخطيب البغدادي هذه الرواية مختصرة. انظر: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤١٤.

^٢ يفهم من الخبر تغير نظام وزن اللحم في بغداد شتاء لتصير الوزنة ٦ أواق بغدادية، أو ربما كان المقصود أن وزنة اللحم كانت تباع بياطين وأربعين درهماً؛ لأن الأوقية = ٤٠٠ درهماً [٦ × ٤٠ = ٢٤٠ درهماً]، وفي هذا بعض المبالغة. انظر: فالترهانتس: المكايل والموازين الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٧٠م، ص ٢٠؛ علي جمعة: المكايل والموازين الشرعية، ص ٢١.

وقال أحمد بن أبي طاهر^١: أُخِذَ الطُّوْلُ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ لِلنَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ^(أ) ٢ عند دُخُولِهِ مَدِينَةَ السَّلَامِ، فَوُجِدَ مِائَتِي حَبْلِ^٣ وَخَمْسِينَ حَبْلًا، وَعَرْضُهُ
مِائَةُ حَبْلِ وَخَمْسَةُ أَحْبَلٍ، يَكُونُ سِتَّةَ وَعَشْرِينَ أَلْفَ جَرِيْبٍ^٤ وَمِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ
جَرِيْبًا، وَوَجِدَ طَوْلَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ حَبْلًا وَعَرْضُهُ سَبْعُونَ حَبْلًا،
يَكُونُ ذَلِكَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ جَرِيْبٍ وَخَمْسَ مِائَةِ جَرِيْبٍ. فَجَمِيعُ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ
وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ جَرِيْبٍ وَسَبْعَ مِائَةِ وَخَمْسُونَ جَرِيْبًا^(ب) [من ذلك مقابر أربعة وسبعون
جريبًا]^(ب)، وَقِيلَ لِرَجُلٍ: كَيْفَ رَأَيْتَ بَغْدَادًا؟ قَالَ: الْأَرْضُ كُلُّهَا بَادِيَةٌ وَبَغْدَادٌ
حَاضِرَتُهَا^٦.

^(أ) لدى الخطيب البغدادي: «أبي أحمد يعني: الموفق بالله».

^(ب-ب) التثمة من تاريخ بغداد.

^١ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور المروزي الكاتب، أحد البلغاء والشعراء والرواة، وصاحب كتاب
«كتاب تاريخ بغداد في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم»، توفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م. انظر في ترجمته وأخباره:
النديم: الفهرست، ج ١، ص ٤٥١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٣٤٥؛ ياقوت الحموي:
معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٦.

^٢ محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله، أبو أحمد، لقب بالموفق بالله، ولي عهد الخليفة
العباسي المعتمد على الله، وأحد رجالات البيت العباسي الأقرىء الشجعان المشهورين بالإدارة والحزم، توفي
سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٣.

^٣ الحبل: مقياس لمسح الأراضي = ٤٠ ذراعًا، [بالذراع العباسية السوداء] التي تساوي ٥٤,٠٤ سم. أي طول
الحبل = ٢١,٦٦٦ مترًا. انظر: فالتر هانتس: المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٨٢. وعلى هذا فإن طول
الجانِبِ الشَّرْقِيِّ يَبْلُغُ: ٥٤٠٤ مترًا وعرضه: ٢٢٦٩,٥ مترًا. وطول الجانب الغربي = طول الجانب الشرقي، أما
عرضه: = ١٥١٣ مترًا.

^٤ الجريب = ١٠٠ قصبه مربعة = ١٥٩٢ م^٢. فالتر هانتس: المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٦.

^٥ انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٤١-٤٤٢.

^٦ مر ذكر هذا الخبر ص ٢٥٩.

وَأَنْشُدَ بَعْضَهُمْ فِي بَغْدَادَ (شعر):

[الطويل]

أَبْغَدَادُ يَا دَارَ الْمُلُوكِ وَمُجْتَنَى
صُنُوفِ الْمُنَى يَا مُسْتَقَرَّ الْمَنَابِرِ
وَيَا جَنَّةَ الدُّنْيَا وَيَا مَطْلَبَ الْغِنَى
وَمُنْبَسَطَ الْأَمَالِ عِنْدَ الْمُتَاجِرِ

ووصف بعض الأدباء بغداد فقال: هي سهلية جبلية بريئة بحرية، صيدها غزير، وخيرها كثير، طيب هواؤها، أيسر فناؤها، دائم رخاؤها، فضلها على سائر البلدان كفضل ماء الأنهار على ماء البحار. فهي كما قال عمارة^١ (شعر):

[البيط]

مَاذَا يَبْغَدَادَ مِنْ خَيْرِ الْأَفَانِينَ
وَمِنْ مَنَازِلِ الدُّنْيَا وَلِلدُّنِيِّينَ
تُمَسِّي الرِّيحُ بِهَا حَسْرَى إِذَا دَرَجَتْ
وَجَوَّشَتْ بَيْنَ أَغْصَانِ الرِّيَاحِينَ

^١ البيتان لمنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري، وليس لهامارة بن عقيل. انظر: ابن المعتز: طبقات الشعراء،

[خصائص بغداد]

- ٣ وهي محلُّ الخلفاء، ومسكنُ الوزراء، وماوى بني هاشمِ والأبناء، ومقرُّهم ومقرَّعُهُم في السدائدِ [٤٦ظ] والرِّخاء، الواسعةُ الدورِ، الكثيرةُ القُصورِ، الغزيرةُ الأنتهار، المرثَةُ العيونِ. صحيحةُ البناءِ، رحةُ الفناءِ، نزهةُ الهواءِ، رفيقةٌ بالغرَّابِ، مؤاتيةٌ لكلِّ من أتاها، مُغيثةٌ لمن استغاثَ بها، قديمةُ الصُّحيةِ، طيبةُ التربةِ. مسكنُ من تفتى ومغفلٌ من تنسك.
- ٦ بناها المنصور وسكنها المهدي والهادي والأمين والمأمون. جنةٌ من جنان الدنيا. دجلةٌ في وسطها والصرّاةُ عن يمينها، ونهرُ الملكِ أمامها، ونهرُ عيسى مُخرقٌ بها، ونهرُ كرخايا يتخللُ طُرقاتها، ونهرُ الحنْدقِ دائرٌ بها.
- ٩ لها الروميَّةُ وكلواذى والقفصُ^١ وعُمى^٢ وقطربلُ والمزرقَةُ^٣ وبزوغى^٤ والأجمةُ والفركُ^٥ والشَّماسيَّةُ.
- ١٢ إذا غَضِبَ على جبارِ عاتٍ محلَّ إليها، وإذا رُضي عنه شهِرَ بها، مواكبها قائمةٌ ومنايرها عاليةٌ، ونعمٌ مُغنياتها ناعمةٌ. الظُّرفُ فيها يُقتبسُ والشكلُ منها يستوصفُ. مكانُ الرِّياسَةِ ومقبسُ السِّياسةِ.

^١ يقصد بها جبال القفص. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٢.

^٢ عُمى: قرية من نواحي بغداد. نفسه، ج ٤، ص ٢٠٨-٢٠٩.

^٣ المزرقَةُ: قرية كبيرة فوق بغداد على نهر دجلة. نفسه، ج ٥، ص ١٢١.

^٤ بزوغى: إحدى قرى بغداد. نفسه، ج ١، ص ٤١١.

^٥ الفرك: قرية قرب كلواذى. نفسه، ج ٤، ص ٢٥٥.

فهي جَنَّةٌ مُؤَنِّقَةٌ وَحَدِيقَةٌ مُشْرِقَةٌ، وَعَرُوسٌ فِي مَجَاسِدِهَا وَكِلَلِهَا وَحِجَابِهَا،
شَهِيَّةُ الْمَنْظَرِ جَمِيلَةٌ الْمَخِيرِ. صَبِيحَةٌ مَلِيحَةٌ، ظَاهِرَةُ الْوَسَامَةِ، دَمِيئَةُ التُّرَابِ، مَرِيعَةٌ
الْجَنَابِ، غَدِقَةُ الْمَشَارِعِ، وَطِنَةُ الْمَضَاجِعِ، تَرَوْقُ عُيُونِ النَّاطِرِينَ وَتَسُرُّ قُلُوبَ
الْمُتَأَمِّلِينَ، وَيَعِيشُ فِي أَفْنِيَّتِهَا الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ.

مَطَابِقُهَا وَثِيقَةٌ وَسُجُوبُهَا حَرِيزَةٌ، مَعَ كَثْرَةِ أَسْوَاقِهَا وَاتِّسَاعِ أَرْبَابِهَا وَقَسَاحَةِ
رِحَابِهَا وَامْتِدَادِ طُرُقِهَا وَسِكِّكِهَا. مَعْشُوقَةٌ مُحَبَّبَةٌ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَوَلَاةِ الْعُهُودِ
وَالْوَزَرَاءِ. دَارٌ مُلْكِهِمْ، وَمَعْدَنُ صَيْدِهِمْ، وَمُنْتَهَى غَايَةِ لَدَاتِهِمْ، مُؤَفَّرَةٌ لِعَلَّاتِهِمْ،
مُبَارَكَةٌ عَلَيْهِمْ.

شَاخِئَةُ الْبِنَاءِ، عَرِيضَةُ الْفِنَاءِ، فَيَاحَةُ السُّطُوحِ، نَزْهَةُ الْبَسَاتِينِ، كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ
وَالرِّيَاحِينَ. مَفْرَعٌ كُلُّ مَلْهُوفٍ وَمَعْدَنُ كُلِّ تَاجِرٍ مَعْرُوفٍ.

وَحَسْبُكَ بِلْدَةٍ قَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِيهَا مَا فَرَّقَهُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ مِنْ أَنْوَاعِ
التَّجَارَاتِ وَأَصْنَافِ الصَّنَاعَاتِ، فَهِيَ سَلَّةُ الدُّنْيَا وَخَزَانَةُ الْأَرْضِ، مَعْدَنُ الْعِلْمِ
وَيَنْبُوعُ الْحِكْمَةِ.

لَيْسَ لَهَا مَشْتَاةٌ كَمَشْتَاةِ الْجِبَالِ، وَلَا مَصِيفٌ كَمَصِيفِ عُمَانَ وَلَا صَوَاعِقُ
كَصَوَاعِقِ [٤٧؛ ٤٨] تِهَامَةَ، وَلَا دِمَامِيلٌ كَدِمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ، وَلَا جَرَبٌ كَجَرَبِ الزَّنَجِ،
وَلَا طَوَاعِينُ كَطَوَاعِينِ الشَّامِ، وَلَا يَلْحَقُ أَهْلَهَا مَا يَلْحَقُ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ مِنْ وَجَعِ
الطَّحَالِ، وَلَا فِيهَا حُمَّى كَحُمَّى خَيْبَرَ، وَلَا رُدَاعُ الْجُحْفَةِ، وَلَيْسَ بِهَا تَعَايِينُ
كَتَعَايِينِ مَضَرَ، وَلَا أَفَاعِي سِجِسْتَانَ، وَلَا عَقَارِبُ نَصِيْنِ، وَلَا جَرَّارَاتُ الْأَهْوَازِ،

^١ مفردها دمل: وهي القروح. انظر: ابن منظور: لسان العرب، (مادة: دم ل) ج ١١، ص ٢٥٠-٢٥١.

ولا قتالات شهرزور، أهلها ظرفاء فضلاء فيهم الجمال ولباسهم الكمال^١، فهي كما قال الشاعر^٢ (شعر):

[البيط]

مَا مِثْلُ بَغْدَادَ فِي الدُّنْيَا وَلَا الدِّينِ عَلَى تَقْلِبِهَا فِي كُلِّ مَا حِينِ
مَا بَيْنَ قَطْرِبَلٍ فَالكَرْخِ نَرْجِسَةٌ تَنْدَى وَمَنْبَتُ خَيْرِيٍّ وَتَسْرِينِ
تَحْيَا النُّفُوسُ بِرِيَابِهَا إِذَا نَفَجَتْ وَحَرَّشَتْ بَيْنَ أَوْزَاقِ الرِّيَاحِينِ
سَقِيًّا لِتِلْكَ الْقُصُورِ الشَّارِعَاتِ وَ مَا تَحْفَى مِنَ الْبَقْرِ الْإِنْسِيَّةِ الْعَيْنِ
تُسْتَنْ دِجْلَةٌ فِيهَا بَيْنَهَا وَتَرَى دُهْمَ السِّفِينِ تُعَالِي كَالْبَرَاذِينِ
مَنَاظِرُ ذَاتِ أَبْوَابٍ مُفْتَحَةٍ أُنَيْقَةٌ بِزَخَارِيفَ وَتَزْوِينِ
فِيهَا الْقُصُورِ الَّتِي تُهْوِي بِأَجْنِحَةٍ بِالزَّرَائِرِينَ إِلَى الْقَوْمِ الْمَزْوِينِ
مِنْ كُلِّ حَرَاقَةٍ تَعْلُو فَقَارَتُهَا قَصْرٌ مِنَ السَّاجِ عَالٍ ذُو أَسَاطِينِ

وقدم عبد الله بن صالح بن علي^٣ بغداداً، فرأى كثرة الناس بها فقال: ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة إلا ظننت أن الناس قد نودي فيهم.

^١ قارن: أبو عبيد البكري: المسالك والممالك، تحقيق أندريه فيري، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٤٩٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٥.

^٢ هذه الأبيات هي التي لعامة بن عقيل بن بلال بن جرير، وقد مرت ترجمته، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٢.

^٣ عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عرف عنه أنه عظيم القدر كبير المحل، كان ينزل الشام بسلمية بأرض حمص، وقدم بغداد في خلافة الرشيد، وتولى له العواصم، توفي سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م.

- انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١٥٢؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ١٧٨-١٨٠.

وقال المنصور لبعضهم: أخبرني عن بغداد. قال: جنة بين حماة وكنهه يحسدانها،
وِدَجَلَةٌ والزَّابُ يَتَبَارِيانِ عليها. وكتب الحسن بن أبي الرعد^١ إلى أبي عبد الله بن
الحسن بن أبي الشَّوَّارِبِ^٢، وهو مُقِيمٌ بِضِيَاعِهِ فِي سِنْجَارٍ بِشَوْقِهِ إِلَى بَغْدَادَ (شعر):

[الكامل]

يَا مِنْ أَقَامَ عَلَى فُرَى سِنْجَارِ واختارها دارٌ بِأَكْرَمِ دَارِ
خَلَّفَتْ بَغْدَادَ الَّتِي لِنَسِيمِهَا أَرْجُ مِنَ الْأَنْوَارِ وَالْأَشْجَارِ
هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا فَكَيْفَ تَرَكْتَهَا وَقَرَزْتُ أَرْضًا غَيْرَ ذَاتِ قَرَارِ
أَوْلَيْسَ فِيهَا أَلْفُ أَلْفِ مُنْعَمٍ مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ سَنَّا الْأَنْوَارِ
وَكَذَلِكَ فِيهَا أَلْفُ أَلْفِ خَرِيدَةٍ فِي وَجْهِهَا مُتَنَزَّةُ الْأَبْصَارِ
انظُرْ بِقَلْبِكَ لَا بَعَيْنِكَ هَلْ تَرَى كَرَجَالِهَا فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ
[٤٧ظ] مِنْ ذَا تَصَادَفُهُ هُنَاكَ وَعِنْدَهُ طُرْفٌ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ
مَعْقُودَةٌ بِخَلَاتِقِ أَدْيِيَةٍ فِي رِقَّةِ الْمَاءِ الزَّلَالِ الْجَارِي
وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الْأُدْبَاءِ^٣ قَالَ: حَجَّجْتُ فَرَأَيْتُ عَلَى بَعْضِ الْأُمَيَّالِ مَكْتُوبًا

[الوافر]

٦ (شعر):

أَيَا بَغْدَادُ يَا أَسْفَى عَلَيْكَ مَتَى يُقْضَى الرُّجُوعُ لَنَا إِلَيْكَ
قَتَعْنَا سَالِينَ بِكُلِّ خَيْرٍ وَيَنْعُمُ عَيْشُنَا فِي جَانِبِكَ

^١ الحسن بن أبي الرعد الكاتب الخراساني، من ندماء الخليفة المعتضد، اختص به وصحبه إلى الشام. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ١٢.

^٢ ذكر الزجاجي طرفاً من هذه الأبيات، ونسبها إلى أبي عبد الرحمن العطوي الشاعر - أحد شعراء الدولة العباسية - وذكر أنه قالها حينما كان الخليفة المعتضد بسنجار.

^٣ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٢.

وقال: رأيتُ في عُزْفَةِ بقرْمِيسِينَ هذينِ البيتينِ قد كُتِبَا في الحائِطِ (شعر): [الخنيف]

لَيْتَ شِعْرِي عن الَّذِينَ تَرَكْنَا خَلَفْنَا في العِراقِ هل يَذْكُرُونَا
أَمْ لَعَلَّ المَدَى تَطَاوَلَ حَتَّى قَدَّمَ العَهْدُ دُونَنَا فَتَسُونَا

ولما حجَّ الرَّشِيدُ وبلغَ زَرُودَ التَّفْتِ إلى نَاحِيَةِ العِراقِ وقال (شعر)^١: [الطويل]

أَقُولُ وقد جُزْنَا زَرُودَ عَشِيَّةً وَكَادَتْ مطَايَاَنَا تَجُوزُ بنا نَجْدَا
على أَهْلِ بَغدَادَ السَّلَامُ فَإِنِّي أَزِيدُ بِسِيرِي عن دِيَارِهِمُ بُعْدَا

وقال بعضهم: لو أَنَّ الدُّنْيَا خَرِبَتْ وَفُرِّقَ أَهْلُ [بَغدَادَ] فيها لَعَمْرُوهَا. ولَمَّا قُلِّدَ

عَبِيدُ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ طَاهِرٍ بِلَدِّ اليَمَنِ وَعَمَلَ على الخُرُوجِ قال (شعر)^٢: [الوافر]

أَيْرَحُلُ أَلْفٌ وَيُقِيمُ إلفٌ وَتَحْيَا لَوْعَةٌ وَيَمُوتُ قَصْفٌ
على بَغدَادَ دَارِ اللّهُوِ مِنِّي سَلَامٌ ما سَجَا للعينِ طَرْفٌ
وما فَارَقْتُهَا لِلقَلْبِ وَلَكِنْ تَنَاولَنِي من الحَدَثَانِ صَرْفٌ
أَلَا رَوْحٌ؟ أَلَا فَرَجٌ قَرِيبٌ؟ أَلَا جَارٌ من الأَحْدَاثِ كَهْفٌ
لَعَلَّ زَمَانَنَا سَيَعُودُ يَوْمًا فَيَرْجِعُ أَلْفٌ وَيَسُرُّ إلفٌ

فَبَلَغَ هذا الشُّعْرَ الوَازِرَ فَأَعْفَاهُ من التَّقْلِيدِ.

^١ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٢.

^٢ عبید الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد، الأمير الشاعر، من أقران ابن المعتز وكان يرأسه، آخر الأکابر من بني طاهر، ولي شرطة بغداد نيابة عن أخيه أحمد بن عبد الله، ثم استقل بها بعد موت أخيه. توفي سنة ٣٠٠هـ/٩٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٦٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٥٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٦٢.

^٣ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٢.

وقال بعض الأدباء: ببغداد يصفوا العيش للمتعبدين وللقارفين اللاهي وللمتودر، وهي أبيات ما فيها طائل.

وقال الجاحظ: قد رأيت المدن [العظام]^a المذكورة بالإنثقان والإحكام ببلاد الروم والشامات وغيرها، [٤٨ و] فلم أر مدينة قط أرفع سمكاً، ولا أجود استدارةً، ولا أوسع أبواباً، ولا أبهى عقوداً، ولا أحكم سُوراً وفصيلاً من مدينة المنصور، كأنها صبت صبا في قالبٍ أو أفرغت إفرغاً في دريزك، وأنشد (شعر):

[السريع]

يا حبذا بغداداً من بلدةٍ يا ليتني أوطنتُ بغداداً
لم تر عيني مثلها بلدةً أطيّب إصداراً وإيراداً
إن ردني الله إلى أهلها لم أتزود للنوى زاداً

(* وقال [ابن] الكلبي^٢: سُمي المخرم [ببغداد]^b مخرماً لأن مخرم [ابن شريح]^c بن حزن الحارثي نزلته^٣، وكانت قنطرة البردان لرجل يقال له السري بن الحطيم، صاحب الحطيمية التي بقرب بغداد^٤.

^a ساقطة من الأصل: والتكلمة من الخطيب البغدادي.

^b التمة من البلاذري: فتوح.

^c ساقطة من الأصل: والتكلمة من البلاذري: فتوح.

^١ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٨٧.

^٢ تقدمت ترجمته ص ١٢٨.

^٣ راجع ما سبق ص ٢٩٠.

^٤ انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، (قنطرة البردان) ج ٤، ص ٤٠٥؛

وعن الحطيمية، ج ٢، ص ٢٧٣.

والْحَزِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى حَرْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلْخِيِّ، ^(a) وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَهُوَ يَتَقَلَّدُ الْمَوْصِلَ ^(a) .

٣ وَالزُّهَيْرِيَّةُ بِقُرْبِ بَابِ التَّيْنِ، نُسِبَتْ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ أَبِيوَرْدَ .^٢ وَعِيسَى

أَبَاذُ نُسِبَتْ إِلَى عِيسَى بْنِ الْمَهْدِيِّ، وَهُوَ ابْنُ الْحَيْزُرَانِ، وَكَانَ فِي حِجْرِ مُبَارِكٍ ^(b) التُّرْكِيِّ^٣، وَقَضَرَ عَبْدُوَيْهِ [مِمَّا يَلِي بَرَانًا] ^(c) مَنْسُوبٌ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ عَبْدُوَيْهِ، وَكَانَ مِنْ وَجُوهِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ. ٦

وَأَقْطَعَ الْمَنْصُورُ عُمَارَةَ بْنَ حَمْرَةَ النَّاحِيَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِهِ^٤. وَأَقْطَعَ مَيْمُونُ أَبَا بَشِيرِ بْنِ مَيْمُونٍ قَطِيعَةً عِنْدَ بُسْتَانَ الْقَيْسِ^٥، وَطَاقَاتُ بَشِيرٍ نُسِبَتْ إِلَى بَشِيرِ بْنِ مَيْمُونٍ، وَهُوَ مَوْلَى ^(c) لِعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(c). ٩

^(a-a) لدى البلاذري: «وكان على شرط جعفر بن أبي جعفر بالموصل».

^(b) في فتوح البلدان: منازل.

^(c) التثمة من البلاذري.

^(d-d) في الأصل: عبد الله بن علي، والتصويب من البلاذري: فتوح.

^١ راجع ما سبق ص ٢٦٥.

^٢ راجع ما سبق ص ٢٧١.

^٣ راجع ترجمته ص ٢٩٣.

^٤ راجع ما سبق ص ٢٧٥-٢٧٦.

^٥ راجع ما سبق ص ٢٣٨.

^٦ نقل ابن الفقيه هذه الأخبار من البلاذري: فتوح البلدان، والتي سبق وأن ذكرها من قبل من مصادر أخرى، دون إشارة له، وزاد عليها بعض الروايات التي لم يذكرها من قبل، واكتفى بذكر ابن الكلبي مصدر الخبر الأول لدى البلاذري. وصدر الرواية في البلاذري: «وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه، قال: سمي المخرم ببغداد مخرمًا لأن مخرم بن شريح بن حزن الحارثي نزله...»، بينما بدأ الرواية الثانية بـ «...حدثني مشايخ من أهل بغداد...» قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٥-٤١٧.

وأقطع أم عبيدة حاصنة المهدي^(أ)، وهي مولاة لمحمد بن علي^١ قطيعة منسوبة إليها، وإليها تُنسب الطاقات المعروفة بطاقات أم عبيدة بقرب الحسرة.

وأقطع منيرة، وهي مولاة لمحمد بن علي^(ب)، الموضع المنسوب إليها من الجانب الشرقي^(ب). وأقطع ريسانة^(ج) قطيعة تقرب من مسجد ابن رغبان بالقرب من باب الشعير^٣. ودرب مهرونة، في الجانب الشرقي، تُسب إلى مهرونة الرازي، وكان مملوكاً فأعتقه المهدي^(د).

ونزل المنصور مدينة السلام منذ يوم بناها إلى آخر خلافته، ثم حج منها وتوفي بمكة. ونزلها بعده [٤٨٤] المهدي، ثم شخص منها إلى ماسبذان، فتوفي هناك، وكان أكثر نزوله إذا كان بمدينة السلام عيسى أباد، حتى بنى فيها أبنية كثيرة، وبها توفي الهادي. ونزلها الرشيد، وكان قليل المقام بها، وشخص عنها إلى الرقة، فأقام بها مدة، ثم سار إلى خراسان، فتوفي بطوس. ونزلها محمد الأمين فقتل بها.

^(أ) لدى البلاذري: مولاة لهم.

^(ب-ب) والعبارة لدى البلاذري: «وإليها ينسب درب منيرة، وخان منيرة في الجانب الشرقي».

^(ج) كما في الأصل، والطبري؛ وياقوت؛ وفي فتوح البلدان: ريشانة.

^(د) في فتوح البلدان: «وكان من سبي سيفاذا»

^١ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، والد السفاح والمنصور، تولى إمارة الهاشمين سراً في أواخر أيام الدولة الأموية، وأول من قام بالدعوة لبني العباس، توفي بالشرية سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م للمزيد: راجع البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٨٠-٨٢.

^٢ ريشانة قيمة نساء المنصور. انظر البلاذري: أنساب الأشراف ج ٤ ص ١٩٤.

^٣ انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤١٦؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٥، ص ٣٧٧.

^٤ انظر: البلاذري: المصدر السابق، ص ٤١٦.

ثُمَّ قَدِمَهَا الْمَأْمُونُ مِنْ حُرَّاسَانَ وَأَقَامَ بِهَا، ثُمَّ شَخَّصَ عَنْهَا غَازِيَا، فَمَاتَ
بِالْبَدَنْدُونِ^١ وَدَفِنَ بِطَرَسُوسَ.

ثُمَّ نَزَلَهَا الْمُعْتَصِمُ مُدَّةً مِنْ خِلَافَتِهِ، ثُمَّ شَخَّصَ عَنْهَا إِلَى الْقَاطُولِ^٢ فَنَزَلَ قَصْرًا
كَانَ الرَّشِيدُ بَنَاهُ، وَحَفَرَ بِهَا قَاطُولُهُ الَّذِي سَمَّاهُ أَبَا الْجُنْدِ لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَسْقِي مِنَ
الْأَرْضَيْنِ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَهُ لِأَزْرَاقِ جُنْدِهِ.

ثُمَّ بَنَى بِالْقَاطُولِ بِنَاءً [نَزَلَهُ]^٣، وَدَفَعَ ذَلِكَ [الْقَصْرَ]^٤ إِلَى أَشْنَاسِ التُّرْكِيِّ
مَوْلَاهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى سُرْمَرَى وَنَقَلَ إِلَيْهَا النَّاسَ، وَبَنَى مَسْجِدًا جَامِعًا فِي طَرَفِ
الْأَسْوَاقِ وَسَمَّاهَا سُرْمَرَى، وَأَنْزَلَ أَشْنَاسُ فِيْمَنْ صَمَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالْقَوَادِ
كَرْخَ سُرْمَرَى، وَهُوَ كَرْخُ فَيْرُوزَ^٥، وَأَنْزَلَ بَعْضُهُمْ بِالْأُورِ الْمَعْرُوفَةِ بِدُورِ الْعَرَبَانِيِّ،
وَتُوفِيَ بِسُرْمَرَى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ. وَأَقَامَ الْوَائِقُ بِسُرْمَرَى وَبِهَا تُوفِّيَ.

وَاسْتَخْلَفَ الْمُتَوَكَّلُ، فَأَقَامَ بِأَهَارُونِيَّ وَبَنَى بِهِ أُبَيْنَةَ كَثِيرَةً، وَأَقَطَعَ النَّاسَ فِي
سُرْمَرَى فِي الْحَيْرِ^٦ الَّذِي كَانَ الْمُعْتَصِمُ اخْتَجَرَهُ فَاتَّسَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

^١ التتمة من البلاذري.

^٢ التتمة من فتوح البلدان.

^٣ كما في الأصل والطبري، وفي البلاذري: حائر؛ وفي ياقوت: الحيز.

^٤ قرية قريبة من طرسوس. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦١.

^٥ نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمر، اقتطعه الرشيد من نهر دجلة. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٧.

^٦ كرخ فيروز: ينسب إلى فيروز بن بلاش بن قباد الملك، وهو أقدم من سامراء، فلما بنيت سامراء اتصل بها. نفسه، ج ٤، ص ٤٤٩.

^٧ اسم قصر كان بسامراء، أنفق على عمارته المتوكل ٤ مليون درهم، ثم وهب المستعين أنقاضه لوزيره أحمد بن الخصب. نفسه، ج ٢، ص ٣٢٨.

- وَبْنِي مَسْجِدًا جَامِعًا، فَأَعْظَمَ النَّفَقَةَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بَرَفِعَ مَنَارَتِهِ لِتَعْلُو أَصْوَاتُ
 الْمُؤَذِّنِينَ فِيهَا وَحَتَّى يُنْظَرَ إِلَيْهَا مِنْ فَرَايِخِ، فَجَمَعَ النَّاسُ فِيهِ وَتَرَكُوا الْمَسْجِدَ الْأَوَّلَ.
- ٣ وَأَمَرَ بِحَمَلِ الْمُحَدَّثِينَ مِنَ النَّوَاجِي، فَحُمِلُوا وَحَدَّثُوا النَّاسَ فَحَسُنَتْ لَهُ بِذَلِكَ
 الْأَخْدُوثةُ. ثُمَّ بَنَى مَدِينَةً سَمَّاهاَ الْمُتَوَكِّلِيَّةَ^١ وَعَمَّرَهَا [وَأَقَامَ بِهَا]^٢، وَأَقْطَعَ النَّاسَ
 بِهَا قَطَائِعَ^٣ [وَجَعَلَهَا فِيهَا بَيْنَ الْكَرْخِ الْمَعْرُوفِ بِفَيْرُوزَ وَبَيْنَ الْقَاطُولِ الْمَعْرُوفِ
 بِكِسْرَى فَدَخَلَتْ الدُّورَ وَالْقَرْيَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالْمَاحُوزَةِ فِيهَا]^٤، [وَبْنَى فِيهَا قَصْرًا]^٥
- ٦ وَسَمَّاهاَ الْجُعْفَرِيَّ. [وَذَلِكَ] فِي أَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ، ثُمَّ قُتِلَ بِهَا لَيْلَةَ
 الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ لِيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ سَبْعِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ،^٦ [وَأَسْتُخْلِفَ فِي
 ٩ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُتَّصِرَ بِاللَّهِ فَانْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى سُرَّمَرَى يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَالِ
 وَمَاتَ بِهَا]^٧ فَانْتَقَلَ النَّاسُ عَنْهَا إِلَى سُرَّمَرَى^٨.
- وَقَالَ بَعْضُ الظَّرْفَاءِ: مُجَالَسَةُ التَّمَارِينِ تُورِثُ الْمُخَاتَلَةَ، وَمُجَالَسَةُ الْبَرَازِينِ
 ١٢ [و٤٩] تُورِثُ الْبُخْلَ، وَمُجَالَسَةُ الْعَطَّارِينِ تُورِثُ التَّجْمِيسَ^٩.

^١ التتمة من البلاذري، فتوح.

^٢ (c-c) التتمة من البلاذري، فتوح.

^٣ (b-b) التتمة من ياقوت.

^٤ (b-b) التتمة من البلاذري، فتوح.

^٥ انظر: مادة المتوكلية لدى ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٣.

^٦ (b-b) ما بين النجمتين نقله ابن الفقيه عن البلاذري بتمامه دوننا إشارة. قارن: فتوح البلدان، ص ٤١٥-٤١٨.

^٧ المخاتلة: الخداع والمداراة والمراوغة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٥٧؛ التجميس: الجمود

وقلة الاكتراث. نفسه، ج ٦، ص ٤٢.

وَمُجَالَسَةُ الْحَنَاطِينِ تُورِثُ النُّفَاقَ، وَمُجَالَسَةُ أَصْحَابِ السَّقَطِ تُورِثُ الْوَرَعَ،
 وَمُجَالَسَةُ النَّخَّاسِينَ تُورِثُ الْإِفْلَاسَ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ فَارِسَ تُورِثُ الزُّنْدَقَةَ،
 وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْأَهْوَازِ تُورِثُ الْعَذَرَ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ تُورِثُ صِغَرَ الْهَمَّةِ،
 وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ وَاِسْطَ تُورِثُ الْبِدَالََةَ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ تُورِثُ الْمُرُوءَةَ وَالتَّجْمَلَ،
 وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ بَغْدَادَ تُورِثُ الْفَتْكَ وَالظُّرْفَ وَاللِّبَاقَةَ وَالتَّنَاطِفَةَ.

٦ وقال عثمان بن أبي شيبة^١: سَمِعْتُ أَبَا بَاحِرِ السَّكُونِيَّ^٢ يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ
 عِيَّاشٍ^٣ يَقُولُ: فَذُكِرْتُ عِنْدَهُ بِبَغْدَادَ فَقَالَ: هِيَ دُنْيَا وَآخِرَةٌ^٤.

^١ عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي، إمام حافظ ثقة صدوق صاحب التصانيف. توفي سنة ٢٣٩هـ/٣٥٨م. انظر في ترجمته وأخباره: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٩، ص ٤٧٨-٤٨٦؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ٢٤-٢٥.

^٢ فوات بن محبوب السكوني، أبو بحر الكوفي، من محدثي الكوفة. انظر: ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٨٠.

^٣ أبو بكر بن عياش، مولى واصل بن حيان الأحدب الأسدي، أحد العباد العارفين بالحديث والعلم، توفي سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٨٦؛ طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٨٩؛ الإمام البخاري: التاريخ الكبير، ج ٩، ص ١٤.

^٤ قارن: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٤٩.

*) [ما فَضَّلْتُ به بغداد على مصر]

وقال يَزْدَجَرْدُ بن مُهْنَبَدَاذِ الْكِسْرَوِيِّ^١: قد تَكَلَّمَ النَّاسُ في بِلَادِ هَمْدَانَ
 ٢ وَأَصْبَهَانَ وَالرَّيِّ وَسَائِرِ الْكُورِ الشَّرِيفَةِ من بِلَادِ الْجَبَلِ وَخُرَاسَانَ، وَفَحَّمُوا شَانَ
 مِصْرَ خَاصَّةً، وَقَالُوا بِهَا مُقَدِّمِينَ لها على بَغْدَادَ وَالْعِرَاقَ وَسَائِرِ الْأَفَاقِ في كَثِيرٍ من
 الْأَقَاوِيلِ، وَنَحْنُ مُبْطِلُونَ ذلك على مُقَدِّمِي^٢ مِصْرَ خَاصَّةً وَمُتَوَصِّلُونَ إلى التَّفْرِيقَةِ
 ٦ بين بَلَدَيْنِ، لَا يَقُومَانِ في عِيَارٍ وَلَا يَتَوَافِيَانِ على مِقْدَارٍ.

فَإِذَا فَعَلْنَا ذلك كَانَ حُكْمُ مَا لَمْ نَذْكُرْهُ من سَائِرِ الْبُلْدَانِ - كَالرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ
 وَسَائِرِ كُورِ أَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبَيْجَانَ - حَكَمَ مِصْرَ الْمَشْهُورَةَ بِخَوَاصِّهَا، الْمَذْكُورَةَ
 ٩ بِأَنْوَاعِهَا، وَيُسْتَبَدَلُ الْاِخْتِصَارَ بِالتَّطْوِيلِ، وَأَمَّهَاتِ الْكَلَامِ دُونَ الْقَالَ وَالْقِيلِ.

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا مَقْسُومًا ما بين قَنَوَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ حَارَّاتٍ
 وَبَارِدَاتٍ رَطْبَاتٍ وَيَابِسَاتٍ، ثُمَّ جَعَلَ تَعْدِيلَ الْحَيَاةِ، هُوَ أَنْ لَا تَشَاحَّ على الصَّيْفِ
 ١٢ دُونَ الشِّتَاءِ، وَعَلَى بَرْدِ الْمَاءِ دُونَ لُطْفِ الْهَوَاءِ.

^(٢) رسمت في الأصل: مقتدي.

*) من هنا يبدأ ما استخرجه ابن الفقيه من كتاب: فضائل بغداد وصفتها ليزدجرد الكسروي.

^١ أبو سهل يزدجرد بن مهنبداذ الكسروي، من أولاد الأكاسرة، ذكره النديم في كتاب "الفهرست" في المقالة الثانية عند حديثه عن الكتاب المترسلين فقال: «عاش في أيام المعتضد وله من الكتب: كتاب فضائل بغداد وصفتها، وكتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة، كبير رأيته بخطه». انظر في ترجمته وأخباره: الفهرست: ج ١، ص ٣٩٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٨، ص ٣٧٢-٣٧٤.

فلو كان الزمان بَرْدًا جَمِيعًا أَوْ حَرًّا أَبَدًا أَوْ خَرِيفًا دَائِمًا أَوْ رِبِيعًا سَرْمَدًا
لَمَلَّتِ الطَّيِّبَةُ زَمَانَهَا وَثَقَلَتْ عَلَيْهَا مِنْ نَسِيمِهَا وَمَكَائِهَا.

٣ ولو لَأَ شِدَّةُ الْجُوعِ وَكَرْبُ الْعَطَشِ، لَزَالَتْ لَذَّةُ الْمَاءِ وَالتَّلَذُّذُ بِالغِذَاءِ، وَكَذَلِكَ
الْقَوْلُ فِي الرِّقَادِ وَالسَّهْرِ، وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَالْحِمَامِ وَالْجَمَاعِ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ،
وَالرُّطُوبَةِ وَالْيَبْسِ.

٦ ولو كُتِفَ أَحَدُنَا أَكَلَ الحَبِيبِصِ دَائِمًا وَاللَّبَنِ دَائِمًا وَالعَسَلِ دَائِمًا لَكَلَّفْنَا
[٤٩٤ظ] أَمْرًا مَرْبُوطًا بِمَكْرُوهِ الطَّيِّبَةِ، مَقْرُونًا بِأَنْكَدِهِ وَأَزْدَتِهِ وَأَصْرَهُ وَأَضْتَاهُ، وَلَوْ
كَانَ الغِذَاءُ وَاحِدًا وَالزَّمَانُ وَاحِدًا وَالدَّوَاءُ وَاحِدًا، لَكَانَ الغِذَاءُ هُوَ الدَّوَاءُ وَالرَّبِيعُ
٩ هُوَ الشِّتَاءُ، فَقَدْ دَلَّلْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ أَشْرَفَ البُلْدَانِ مَكَانًا وَأَفْضَلَ البِقَاعِ زَمَانًا مَا
كَانَ مُنْتَقِلًا بَيْنَ أَقْسَامِ الحَرِّ وَالبَرْدِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيَبْسِ. وَلَا خَيْرَ فِي زَمَانٍ يَكُونُ لَيْلًا
سَرْمَدًا وَنَهَارًا أَبَدًا.

١٢ وَسَنَدُّ عَلَى أَنَّ المُتَطَاوِلِينَ بِالحَدِّ الوَاجِبِ المُتَنَاسِبِ مِنَ الزَّمَانِ بِمِضَرٍّ، هُم
المُتَلَجِّثُونَ مِنْ مَآثِرِ أَرِضِهِمْ هَذِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَالمُخَوِّجُونَ إِلَى النُّومِ تَحْتَ السَّقْفِ
الوَاحِدِ أَبَدًا. وَالمَاءُ وَالهَوَاءُ هُمَا مَعَ ذَلِكَ رُكْنَا حَيَاتِنَا وَخَلَّةٌ لَتَمَامِ خَلْقِنَا، فَأَيُّمَا بُغِعَ
١٥ الثَّلَاثَ فِيهَا الاغْتِدَالُ، وَ الاغْتِدَالُ هُوَ الاِنتِقَالُ وَالاِنتِقَالُ هُوَ الزَّوَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى
حَالٍ، حَتَّى تَكُونَ دَهْرًا قُطْرًا وَلَيْلًا وَنَهَارًا وَاحِدًا أَبَدًا.

ثُمَّ نَجِدُ مَعَ ذَلِكَ الَّذِي يُبْغِي مِنْهُ دَوَامَ بَقَائِهِ وَاتِّصَالَ [طَبِيهِ] وَصِفَاتِهِ، هُوَ مَاءٌ
١٨ نِيلِهِمُ الأَعْظَمُ وَعِزُّهُمُ الأَكْبَرُ، فَهُوَ الَّذِي لَا دَوَامَ لِمَائِهِ وَلَا اتِّصَالَ لَطِيْبِهِ وَصِفَاتِهِ.

فإنَّ مثل النَّاسِ بينَ الهَوَاءِ بِمِضَرَ وَبِينَ أَزْمَانِ بَعْدَادَ الْمُعَدَّلَاتِ، وَبِينَ نَيْلِهَا
وَمَا فِيهِ مِنَ الْحَوَادِثِ الْهَائِلَاتِ، وَالْعَجَائِبِ الطَّاقَاتِ، وَكَثِيرًا مِمَّا لَا يَطِيبُ اسْتِيعَاةُ
٣ فَضْلًا عَنْ مُشَاهَدَتِهِ.

وَلَوْلَا مَا قَدْ جَرَتْ بِهِ لِأَهْلِهِ الْعَادَاتِ، وَبِينَ مَاءِ دِجْلِتِنَا وَالْفُرَاتِ وَغِيَاثِ
السَّحَابِ الرَّبِيعِيَّاتِ وَأَيَّامِ الشَّتَاءِ الْمُدْجِنَاتِ، وَمَا فِي السَّمَاءِ مِنَ الْبَرَكَاتِ، مِيلُوا
٦ بَاطِلًا وَأَضَاعُوا مَحْضُولًا.

وَقَدْ زَعَمَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ أَنَّهُ لَوْلَا طَلَسَمَ بِمِضَرَ لِأَغْرَقَهَا النَّيْلُ وَالْبَحْرُ،
وَأَنَّ بَلَدًا لَا تَقُومُ أَزْكَانُهُ وَثَبَاتُ أَهْلِهِ وَجِرَانِهِ إِلَّا بِحِيلَةٍ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ، لَا يُؤْمَنُ
٩ فَسَادُهَا، وَبِعَاصِمَةٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ تَشْوِبُهَا الظُّنُونُ وَتَزُولُ بِدُونِهَا عَقْدُ الْيَقِينِ، لَعَلَى
خَطَرٍ عَظِيمٍ وَعُزْرٍ جَلِيلٍ.

هَذَا وَلَيْسَ بَيْنَ أَنْ تَرَى سَاكِنِيهِ عَطَشَى يَتَشَطَّحُونَ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونُوا فِي السَّفَائِنِ
١٢ [٥٠] وَالزُّوَارِقِ يَتَزَاوَرُونَ، وَفِي مَرَآبِ الطُّوفَانِ يَذْهَبُونَ وَيَجِيئُونَ فِرْقًا فِي
مَوَاقِيتَ مَعْلُومَةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَأَحْوَالِ مَعْتَادَةٍ مِنَ الْأَيَّامِ.

وَمِمَّا يَزِيدُكَ بَصْرًا بِمَقَادِيرِ عُقُولِ الْمُضْرِبِينَ وَيَجُوزُ لَكَ الدَّلِيلُ عَلَى مَوَازِينِ الْمُعَدَّلِينَ
١٥ بَيْنَ مِضَرَ وَمَدِينَةِ السَّلَامِ، أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قَوْمًا قَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْأَحْكَامَ لَمْ تَكُنْ لَتَمَلَّكَ عَلَى
قَوْمٍ مَلِكًا، وَذَلِكَ الْمَلِكُ أَنْقَضَهُمْ عَقْلًا، وَلَا أَوْضَعَهُمْ رَأْيًا، وَلَا أَسِيرَهُمْ فَهْمًا، وَلَا
أَضْعَرَّهُمْ عِلْمًا مَعَ تَقَدُّمِ الشَّهَادَاتِ لِعُقُولِ الْمُلُوكِ خَاصَّةً، وَبِالْحَوَاصِّ الَّتِي تَكُونُ
١٨ مَفْرُوتَةً بِهِمْ وَمَنْشُوبَةً إِلَى قَرَائِحِهِمْ، عَدَلَ الْمَلِكُ فِي زَمَانِهِ أَوْ جَارِ.

وإذا كان هذا هكذا، ثمَّ وجَدْنَا فرعونَ قد مَلَكَ مِصرَ دون غيرها وغلبَ عليها دونَ ما سِوَاهَا [قَالَ] أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى فما ظَنُّكَ بِمَعْمُولِ قومِ هذا عَقْلٌ من مَلَكُوهُ عليهم، وبمَغْرَسِ هذه آثارُ ثِمارِهِ ونتائجِ أشجارِهِ، ونحن فقد فَوَضْنَا مِصرَ إلى مُحَارَوِيهِ^١ وزِدناه من الأقطارِ إلى حُدُودِ الأتبار.

وإذا ذهبنا نُقَابِلِ المِصرِيِّينَ بما ببغدادَ من الفِضائِلِ وزِيرًا بوزيرٍ، وأميرًا بأَمِيرٍ، وَحَكِيمًا بِحَكِيمٍ، وَحَطِيبًا بِحَطِيبٍ، وَبَلِيغًا بِبَلِيغٍ، وَأَدِيبًا بِأَدِيبٍ، وَطِيبًا بِطِيبٍ، وَحَاسِبًا بِحَاسِبٍ، وَكَاتِبًا بِكَاتِبٍ، وَمَحَارِبًا بِمَحَارِبٍ، وَمُضَارِبًا بِمُضَارِبٍ، وَمُقَاتِلًا بِمُقَاتِلٍ، وَمُقَاضِلًا بِمُقَاضِلٍ، وَقَاضِيًا بِقَاضِيٍّ، وَفَقِيهًا بِفَقِيهٍ، حتى يُؤوَلُ الأمرُ بنا إلى ذكرِ أَرْبابِ الصَّنَاعَاتِ الشَّرِيفَةِ والمِهَنِ اللَّطِيفَةِ، كُنَّا قد تعرَّضْنَا إلى ما لا سَبِيلَ إلى اسْتِيفائِهِ ولا دَلِيلَ على إِحْصَائِهِ.

وإِلَّا فَمِنْ أَيْنَ لِلْمِصرِيِّينَ كِذِبِ الرَّأْيِ والغِنَاءِ، والبَّاسِ والبَلَاءِ، والحُكْمِ والدُّعَاءِ، والحِيلَةِ^٨ والدَّهَاءِ، والجُودِ والسَّخَاءِ، والعَهْدِ والوَفَاءِ في الشَّدَّةِ والرَّخَاءِ، عَدُوًّا أَعْدَائِهِ،

^٨ رسمت في الأصل: الرحلة.

^١ خمارويه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش، ثاني رجال الدولة الطولونية بمصر. ولها بعد وفاة أبيه سنة ٢٧٠هـ/ تزوج المعتضد العباسي ابنته قطر الندى. وكان شجاعاً حازماً، فيه ميل إلى اللهو. اتسع ملكه فكان له من الفرات إلى بلاد النوبة. قتله غلبانه على فراشه في دمشق ٢٨٢هـ/ ٨٩٦م، وحمل تابوته إلى مصر. انظر في ترجمته وأخباره: الكندي: ولاة مصر، ص ٢٥٨-٢٦٤؛ البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، طبعة القاهرة المصورة عن طبعة المجمع العلمي بدمشق، ١٩٣٧م. ص ٣٣٣-٣٤٩.

وإبنُ البَهَالِيلِ من آبائه: عُبَيْدُ اللهِ بن عبد الله بن الطَّاهِرِينَ^١، وكابنِ الطَّيِّبِ الحَكِيمِيِّ، وثابت بن قُرَّةَ الحَرَّانِيِّ^٢، والعبَّاسِيُّ المنطِقِيُّ، والمنيقَطُ النَّاشِئِي، و[ابن] الإقليدسيِّ الذَّكِيِّ^٣ [٥٠ظ] والبرذعيِّ^٤، والعَدِّيُّ^٥، وأبي صالحِ السُّنِّيِّ^٦، إلَّا أن يظنُّوا

^١ في الأصل: الروحاني.

^١ البهاليل جمع بهلول: وهو الحمي الكريم صاحب المقام الرفيع، والمقصود هو: عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وقد مرت ترجمته ص ١٢٣.

^٢ ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت الحراني الصابي، أبو الحسن، خرج من حران وقصد بغداد، فاشتغل بالطب والفلسفة والحساب، وكانت له عند الخليفة العباسي المعتضد منزلة رفيعة، وله نحو ١٥٠ كتاباً، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٩٣-٩٨؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، الحياة، بيروت، د.ت، ص ٢٩٥-٣٠٠.

^٣ إبراهيم بن محمد بن صالح البغدادي الشُّطْرُنْجِي، أبو إسحاق، يعرف بابن الإقليدسي، من أهل بغداد. له كتاب مجموع في منصوبات الشُّطْرُنْجِ، وكان من الحدائق بها. توفي نحو سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨١.

^٤ سعيد بن عمرو بن عمار، أبو عثمان الأزدي البرذعي، الإمام الحافظ، نسبتة إلى برذعة بأقصى أذربيجان، من كتبه الضعفاء والكذابين والمتروكون من أصحاب الحديث. توفي سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م. انظر في ترجمته وأخباره: الذهبي: تذكرة الحافظ، ج ٢، ص ٢٢١-٢٣٢.

^٥ العدلي الشُّطْرُنْجِي، أول من عمل كتاباً في الشُّطْرُنْجِ وكان يلعبه بين يدي المتوكل. انظر: النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨٠.

^٦ أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزيد بن سويد، وزير المستعين، أحد الكتاب البلغاء، من مصنفاته: كتاب التاريخ، وله رسائل مشهورة، توفي سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ٢٦٤؛ النديم: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٤٩٤-٤٩٥.

أَنَّ لَهُمْ أَيْضًا كَالْمُرْدِ الْمَشْهُورِ أَوْ ثُغْلَبِ الْمَذْكُورِ^٢، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالْ بِهَا مِنْ
الْقَاضِلِينَ عَلَى الدُّهُورِ وَعَلَى السَّنِينَ وَالشُّهُورِ.

٣ وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُقَاخِرُونَ نَسًا يَهْرِمُ فِي زَمَانِهِ أَوْ بِمِثْلِهِ فِي زَمَانِنَا، وَلَا بِأَغَاثِيذِيْمُونَ^٥
فِي أَوَانِنَا. هَذَا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ بَابِلَ الْعِرَاقِ كَانَتْ مَرَكَزَ الْعِلْمِ
وَالْعُلَمَاءِ، وَمَكَانَ الْحِكْمَةِ وَالْحِكْمَاءِ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ الْمُظْفَرَ^٣ لَمَّا غَلَبَ عَلَى مُلُوكِ
٦ الْعُمُرَانِ، نَقَلَ الْحِكْمَةَ وَالْحِكْمَاءَ إِلَى بِلَادِ أَيْثِنَا^٦ أَوْ نَحْوَهَا مِمَّا قَدْ سَلَفَ.

فَأَمَّا مُفَاخِرَةُ الْقَوْمِ بِالذِّيَارِ وَالْمَقَاصِيرِ وَسَائِرِ الْأَغْذِيَةِ وَالتَّدَابِيرِ أَوْ بِهَا بِيغْدَادَ مِنْ
سَائِرِ الْفَوَاكِهِ وَالثَّمَارِ وَغَرَائِبِ النَّخْلِ وَالْأَشْجَارِ، فَظُنَّ مَا سِثَّتْ أَنْ تَظْنَهُ، وَعُدَّ مَا
٩ سِثَّتْ أَنْ تَعُدَّهُ، تَجِدُهُ مُوجُودًا غَيْرَ مَفْقُودٍ وَقَرِيبًا غَيْرَ بَعِيدٍ.

^٥ كذا رسمت في الأصل.

^٦ رسمت في الأصل: إلينا

^١ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليم، الشهير بالمبرد: إمام العربية ببغداد وأحد أئمة الأدب
والأخبار، صاحب التصانيف المشهورة، توفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م. انظر في ترجمته وأخباره: أبو سعيد السيرافي:
طبقات النحويين البصريين، ص ٩٦-١٠٨؛ النديم: الفهرست، ج ١، ص ١٦٩-١٧٢؛ الخطيب البغدادي:
تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٦٠٣-٦١١؛ القفطي: إنباه الرواة، ج ٣، ص ٢٤١-٢٥٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات،
ج ٥، ص ٢١٦-٢١٨.

^٢ أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس ثعلب، النحوي الكوفي المشهور صاحب التصانيف، توفي سنة
٢٩١هـ/٩٠٤م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٧؛ الخطيب البغدادي:
المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٤٨-٤٥٦؛ القفطي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٨-١٥١؛ ياقوت الحموي:
معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٣٦-٥٥٣.

^٣ يقصد به الإسكندر الأكبر.

زَعَمَ لِي مَهْرَوِيهِ بَاغْبَانَ^١ السُّلْطَانَ أَنَّهُ يَعْرِفُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ نَيْفًا وَسَبْعِينَ نَوْعًا
 مِنَ التَّفَاحِ، ثُمَّ عَدَّهَا فَتَبَسَّمَ أَخُوهُ شَهْرِيَارُ، ثُمَّ قَالَ: وَكَذَا وَكَذَا، زِيَادَةً عَلَى مَا قَالَ
 ٣ أَخُوهُ بَنَحُو أَرْبَعِمِائَةِ نَوْعٍ وَتِسْعَةِ أَنْوَاعٍ.

وَمَا ظَنَنْكَ بِيَلَدٍ مَعَ جَمِيعِ مَا فِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ وَأَجْنَاسِ النَّخِيلِ وَالْبُقُولِ
 وَالْمَزَارِعِ وَالشَّمَارِ: يَنْبُتُ الْأَتْرُجُ^٢ وَالتَّارُنْجُ^٣، كَمَا يَنْبُتُ الزَّعْفَرَانُ وَالْأَقْحَوَانُ^٤، وَكَمَا
 ٦ يَنْبُتُ الْفُسْتَقُ وَاللُّوزُ وَالزُّعْرُورُ^٥، وَالْمُوْزُ وَالشَّاهِبْلُوطُ^٦ وَالْجُوْزُ وَالغُبَيْرَاءُ^٧
 وَالْجِلْوُزُ^٨ وَالسُّدْرُ^٩ وَالْحَبَّةُ الْخَضْرَاءُ وَاللُّفَّاحُ^{١٠}.

^١ باغبان: لفظة فارسية تعني: البستاني.

^٢ الأترج: شجر ناعم الأغصان والورق، ثمره كالليمون وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة حامض الماء. انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤.

^٣ التارنج: فارسي معرب، من فصيلة الليمون والبرتقال له عصارة حمضية. المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٨٥٠.

^٤ الأقحوان: من نبات الربيع، مفرط الورق دقيق العيدان له نور أبيض. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج ٥، ص ٨٢.

^٥ الزعرور: ثمرة تكون حمراء وربما كانت صفراء، لها نوى صلب مستدير. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٣٢٤.

^٦ الشاهبلوط: شجرة توجد بأرض الشام ثمرتها أعذب من البلوط، وشكلها كنصف الجوز. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ١٩، ص ١٧٠.

^٧ الغبيراء: نوع من الفاكهة، سميت غبيراء للون ورقها وثمرتها، التي إذا بدت تكون مغبرة ثم تحمر حمرة شديدة. انظر: لسان العرب، ج ٥، ص ٦.

^٨ الجلوز: هو البندق. نفسه، ج ١٠، ص ٢٩.

^٩ السدر: نوع من الشجر ينبت على الماء، يشبه شجر العناب، وثمره النبق، أصفر مز يُتفكه به. الأزهري: المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٤٧.

^{١٠} اللفاح: نبات يقطيني أصفر شبيهه بالباذنجان. انظر: لسان العرب، ج ٢، ص ٥٧٩.

والبندق والبوط والمقل^١ والسبستان^٢ والهلين^٣ والرياس^٤ والقوة^٥
والمحروث^٦ والأشترغاز^٧ والرأس^٨ والأنجدان^٩ والعنصل^{١٠} والإسقىل^{١١} والداذي^{١٢}
والسليخة^{١٣} والزرنب^{١٤}، وما لا يُحصى ولا يُلحق من جميع الأشياء.

^١ المقل: ثمر شجر الدوم، الشبيه بالنخلة في حالاتها، ينضج ويؤكل، وهو خشن قابض بارد. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٠، ص ٤١٤.

^٢ السبستان: لفظة فارسية تطلق على شجر المخطط، وهو يثمر ثمرًا حلواً لزجاً يؤكل. نفسه، ج ٤، ص ٥٤٦.

^٣ الهلين: هو الكراث: الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي الخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٣٩٤.

^٤ الرياس: نبات مُعمر ينبت في البلاد الباردة والجبال ذوات الثلوج، تؤكل أغصانه ويسمى السباق في الشام. انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٨٥.

^٥ القوة: عروق نبات يستخرج من الأرض يصيبغ بها الثياب، ويستخدم ماؤه في الكتابة والنقش. انظر: لسان العرب، ج ١٥، ص ١١٦.

^٦ المحروث: أصل نبات الأنجدان، يعرف بعود الرقة. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٤، ص ٢١٦؛ دوزي: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ٧، ص ٣٤٠.

^٧ الأنجدان: نبات يقاوم السموم، جيد لوجع المفاصل، والأبيض منه هو ما يعرف بالأشترغاز. الزبيدي: تاج العروس، ج ٩، ص ٤٨٦.

^٨ العنصل والإسقىل، نوعان من البصل البري، ويعرفان أيضاً ببصل الفأر. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، ج ٢٩، ص ٤٨٩.

^٩ الداذي: نبت مسكر له عقود مستطيل، وجهه على شكل حب الشعير. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٤٩١.

^{١٠} السليخة: دهن ثمر شجر البان، وقيل ضرب من الطيب. انظر: ابن سيده: المخصص، ج ٣، ص ٢٦٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٧، ص ٢٧٢.

^{١١} الزرنب: ضرب من النبات طيب الرائحة، وقيل أنه نوع من الطيب. انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤٨؛ الزبيدي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤.

ولقد حَدَّثَنِي يُونُسُ الصَّيْدَلَانِيُّ قَالَ: مَا أَحْصِي مَا يُحْمَلُ مِنَ الْعَقَاقِيرِ النَّابِتَةِ عَلَى سَوَاقِي الْأَنْهَارِ بِيَادُورِيَا كَالشُّبْرَمِ^١، وَالسُّورَنْجَانِ^٢ وَالْبَنْجِ^٣ وَالْحَرْتَقِ^٤ وَالتَّرِيدِ^٥ وَالْمَازَرُونِ^٦ وَالثَّلِيلِ^٧ وَالْإِذْخِرِ^٨ [٥١٠] وَالْأَفْسِتِينَ^٩ وَالْجَعْدَةَ^{١٠} وَالْفَرَنْجَمَشَكِ^{١١}^(أ)

^(أ) في الأصل: الفنجمشك.

^١ الشبرم: نبات سهلي، له ورق طوال، وله حب كالعدس أو الحمص. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، ج ٣٢، ص ٣٢، ص ٤٥٢.

^٢ السورنجان: نبات بري يشبه البصل، يسمى فرج الأرض وقلب الأرض. انظر: ابن البيطار: تفسير كتاب دياسقوريدس، تحقيق: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٠٠.

^٣ البنج: لفظة معربة من الهندية، وهو جنس نباتات طبية مخدرة من الفصيلة الباذنجانية. انظر: المعجم الوسيط، الوسيط، ج ١، ص ٧١.

^٤ الحريق: نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٧٨.

^٥ التريذ: نبت أصفر يسبب الإسهال.

^٦ المازريون: من الشجر ورقه كورق الزيتون، زهره يميل إلى البياض، ثمره كالكبّر. المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٨٥٩.

^٧ الثليل: نبات يفرش على شطوط الأنهار، ويشتبك حتى يصير على الأرض كاللبدة. الزبيدي: تاج العروس، ج ٢٨، ص ١٧٢.

^٨ الإذخر: حشيش أخضر طيب الرائحة. انظر: المصدر السابق: ج ١١، ص ٣٦٤.

^٩ الأفسنتين: نبات له خصائص مقاومة للحشرات فهو يمنع السوس عن الثياب، والكاغد أن يعثّ أو يقرّض. انظر: المصدر السابق، مادة: (ح ب ق).

^{١٠} الجعدة: حشيشة خضراء تنبت على شاطئ الأنهار، طيبة الريح تنبت في الربيع وتبيس في الشتاء؛ وهي من البقول. وقيل الجعدة: بقلة برية لا تنبت على شطوط الأنهار. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١، ص ٢٢٤.

^{١١} الفرنجمشك: نبات ينبت بأرض العرب على أطراف اليمن، يعرف بالحبق القرنفلي. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، ص ٢٥، ١٣٦.

وَالْعَافِ^(أ) ^١ وَالْمُرْقَدَةَ وَالْحَنْظَلِ، وَأَضْعَافٍ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْعَقَاقِيرِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي
الْأَدْوِيَةِ. فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُذَكِّرَهُ بِالسُّكَّرِ^٢، وَالْجَيْسُونِ^٣ وَالْأَزَادِ^٤ وَالْخَرْكَانِ وَالْعَرُوسِيِّ
وَالْعَرُوسِيِّ وَالْحَمْرَانَ وَالْهَيْثَا وَالْهَلْبَاتِ^٥ وَالْبُرْدِيِّ وَالْمُشَانِ^٦ وَالطَّبْرَزْدِ^٧ وَالْبَاذَنْجَانِ
وَالْبَاذَنْجَانِ وَالْقَرِيثَاءِ^٨ وَالْمَاذِيَانِ^٩ وَالْقُرْشِيِّ^(ب) وَالْبُرْنِيِّ^{١٠} وَالْمَعْقَلِيِّ^{١١} وَالصَّيْحَانِيِّ^{١٢}
وَالْبَهْشَكِرِ، وَصَلْنَا مِنْ ذَلِكَ لِي خَيْرٍ كَثِيرٍ وَأَمْرٍ مَشْهُورٍ.

(أ) رسمت في الأصل: الغافت، والصواب ما أثبتنا. (ب) رسمت في الأصل: البدالي.

^١ العاف: شجر عظيم ينبت في الرمل، وورقه أصفر من ورق التفاح وهو في خلقته، وله ثمر حلو جداً غلف.
نفسه، ج ٢٤، ص ٢٢٨.

^٢ السُّكَّر: نوع من النخل له رطب حلو طيب هش.

^٣ الجيسون: لفظه معربة عن الفارسية، تطلق على جنس من أفضر النخل له ثمر صغير جيد. انظر: ابن منظور:
لسان العرب، ج ١٤، ص ١٤٧.

^٤ آزاد: فارسية تعني الأبيض والشريف، والأزاد: نوع من أجود التمر والرطب.

^٥ الهلبات: نخلة من أحسن النخل منظرًا، ورطبها من أطيب الرطب. انظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٨.

^٦ المشان: نوع من الرطب يعد من أطيب أنواعه. نفسه، ج ١٣، ص ٤٠٩.

^٧ الطبرزد: لفظه معربة عن الفارسية، تطلق على السكر. نفسه، ج ٣، ص ٤٩٧.

^٨ القرِيثَاء: نوع من التمر، وقيل: هو من البسر، وهو أسود سريع النض لقرشه عن لحائه. انظر: الزبيدي: تاج
العروس، ج ١، ص ٣٨٥.

^٩ الماذايان: نوع حلو من التمور ينبت بالبصرة بالقرب من نهر الماذايان. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩،
ص ٢٤٢.

^{١٠} البرني: نوع من النخل ثمره أحمر مشرب بصفرة كثير اللحاء عذب الحلاوة. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغاة،
ج ١٥، ص ١٥٤.

^{١١} المعقلي: نوع من التمر معروف بالبصرة وغيرها من العراق، منسوب إلى معقل بن يسار الصحابي. انظر:
لسان العرب، ج ١١، ص ٤٦٥.

^{١٢} الصيحيانى: ضرب من التمور أسود صلب الممضغة. انظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٢.

فَأَمَّا أَنْوَاعُ الْأَخْبِزَةِ وَالْأَخْصِصَةِ وَأَصْنَافُ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَنْبِذَةِ وَسَائِرِ الْإِنْبِجَاتِ^١
 وَالْإفْسَرْجَاتِ وَأَنْوَاعِ الْأَزْبَابِ وَالْمُرَبِّيَّاتِ^٢ فَغَيْرُ مَعْلُومٍ لِأَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَا مَعْدُومٍ
 ٢ فِي أَفْنِيَةِ بَابِلٍ. وَمَا عَلِمْتُ وَلَا أَعْلَمُ فِي الْمَاضِيْنَ مِنْ مَلُوكِ الزَّمَانِ جَمِيعًا مُلُوكًا،
 دَانُوا بِالضَّنِّ بِأَزْمَانِهِمْ وَانْتَحَلُوا الْقَرِيَّ إِلَى اللَّهِ بِالْإغْرَاقِ فِي التَّيَاسِ اللَّذَّاتِ
 الزَّمْنِيَّاتِ، فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَمَنَاجِحِهِمْ، مِنْ أَوْلَادِ فَارَسٍ وَمُلُوكِ
 ٦ الْأَكَّاسِرَةِ. فَإِنَّهُمْ كَانُوا دُونَ مَلُوكِ الرُّومِ وَالْهِنْدِ وَسَائِرِ الْأَطْرَافِ وَأَعْلَمَ بِمَوَاقِعِ
 الرَّيْفِ وَاحْتَقَ بِتَدْبِيرِ الْعَيْشِ اللَّطِيفِ. وَهَم كَانُوا الْأُيُمَّةَ فِي غَرَائِبِ الْعَادِيَّاتِ
 وَالْعُلَمَاءِ أَصْنَافِ التَّدَابِيرِ الْمُلْدَّدَاتِ.

٩ وَكَانَتْ الْأَقَاضِلُ فِي مَلُوكِ بَنِي سَاسَانَ خَاصَّةً تُفَاخِرُ غَيْرَهَا مِنْ الْمُلُوكِ
 بِاسْتِيطَانِ مَدَائِنِ الْعِرَاقِ وَيَتَطَاوَلُ تَلَطُّفُ الْهَوَاءِ بِهَا وَصِحَّةُ الْمَاءِ فِيهَا. هَذَا مِنْ حُكْمِ
 الْحَمْرَةِ الْبَابِلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُفَاخِرُ بِهَا فِي أَعْيَادِهَا، وَتُعَازُّ بِخَوَاصِّهَا فِي أَيَّامِهَا.
 ١٢ وَتَزْعُمُ أَنَّهُ لَوْلَا اعْتِدَالُ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَاتِّزَانُ مُنَاسِبَةِ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، مَا وَصَلُوا مِنْ
 طَعُومِ شَرَابِهِمْ هَذَا وَأَنْوَاعِ أَلْوَانِهِ وَنَسِيمِهِ وَرَوَائِحِهِ إِلَى غَايَاتِ لَا سَبِيلَ إِلَى مِثْلِهَا وَلَا
 نَظِيرَ لَهَا فِي شَكْلِهَا. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الشَّرَابِ أَنَّ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ حَقُّ الْحُكْمِ لَهَا
 ١٥ فِي سَائِرِ الْمَنَابِتِ وَالْأَشْجَارِ وَأَنْوَاعِ الْأَغْذِيَةِ وَالشَّمَارِ.

^١ الْإِنْبِجُ: ثَمَرَةٌ تَنْبَتُ بِالْهِنْدِ تُشَبِّهُ ثَمَرَ الْخَوْخِ بِهَا نَوَاطِئُ كُنُوتِهَا تَجَلِبُ إِلَى الْعِرَاقِ. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة،
 ج ١١، ص ٨٦.

^٢ الْمُرَبِّيَّاتُ: مَا يَطْبَخُ مِنَ التَّمْرِ، وَهُوَ الدَّبْسُ أَيْضًا. الْمُرَبِّيَّاتُ: الْمَعْمُولَاتُ بِالرَّبِّ بِالْعَسَلِ. انظر: ابن منظور:

ولئن صحَّ ذلك بذلك، [٥١هـ] وهو كذلك، فسيصحُّ أنَّ الغاذيات التي جرت باعديها طبائعها واتصلت لإمدادِ خلقتنا وعرائزنا خليقةً أن تُفردَ بالخاصيات المغذلاتِ والخصائص المكمّلاتِ. فليس إشرافُ الهواءِ في اللطافةِ ودوامه إلا كإشرافه في الكثافةِ واتصالها فيه، والاعتدالُ إذا هو الكمالُ الفاضلُ والزمانُ العادلُ.

٦ وقد ذكرت الجماعة المميّزة من الماذرائيين^١ أنهم كانوا لا يشمونَ بنواحي الرّي وأصبهانَ وقزوينَ وزنجانَ إلى سائر أمّهات الجبالِ من بلادِ همدانَ شيئاً من روائح الصّنيع المشويِّ والقديد، سواءً كان ذلك من الثورِ أو البعيرِ أو الفروجِ أو العصفورِ، إلا اختلاساً وتزهماً وذلك هو إمّا لكثافةِ الهواءِ في نفسه أو لغلظِ الغذاءِ في جنسه. وإنك، والحقُّ، لتشهدُ أن تنشمك عندنا روائحُ حُبزِ المخابزِ البعيدةِ فضلاً [عن] الجديدة. فما ظنك بالحيوانِ المشويِّ في التّورِ والصّنيعِ المدبّرِ بالقُدورِ.

١٢ ويمثل ذلك حدثني الفطرنُ الذكيُّ والليّبُ الحسيُّ إبراهيمُ بن أحمد الماذرائيِّ عن هواءِ بمصرَ، الذي يمتحُّ رائحةَ المسكِ الأذفر^٢ والكافورِ والعنبرِ كما قال غيره.

^١ أسرة فارسية الأصل تنسب إلى ماذاريا، وهي قرية من أعمال البصرة. استقر الماذرائيون في سيراغ حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ثم هاجروا إلى مصر، وكان علي بن أحمد الماذرائي زعيم الماذرائيين في ولاية حمارويه بن أحمد بن طولون، إذ اختاره وزيراً له عام ٢٧٢هـ/٨٨٥. للمزيد: انظر: سيده إسماعيل الكاشف، مصر في عهد الإخشيديين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م. ص ٣٧-٣٩.

^٢ المسك الأذفر: أجود أنواع المسك يجلب من التبت. راجع: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج ١، ص ٦١٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٤، ص ٤٦٦.

- وقد عَلِمْنَا أَنَّ لِأَهْلِ قُمَّ الشَّرَابَ الْمِرْمِيَّ وَلِأَهْلِ أَصْبَهَانَ الشَّاهِجَانِيَّ، وَلِأَهْلِ
الرِّيِّ السُّدِّيِّ^(a) ١، وَلِأَهْلِ هَمْدَانَ الْمَرْجَانِيَّ، وَلِأَهْلِ قَزْوِينَ الدَّسْتَبَانِيَّ، وَلِأَهْلِ مِضَرَ
الرَّسَاطُونَ^٢ الْعَسَلِيَّ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْحَلِيفِيَّ. ٣
- ولكن أين فضائل هذه الأنواع جميعاً لو جُمعت في نوعٍ منها من الشَّرَابِ
السُّورِيِّ وَالْعَصِيرِ الْبَابِلِيِّ وَالطَّبِيخِ الْقَطْرُبِيِّ وَالْمَعْتَقِ الصَّرِيفِيِّ.
- ثُمَّ رَجَعَ الْكَلَامُ إِلَى نَوْعِهِ فِي مِضَرَ وَالْمِضْرِيِّينَ فنقول: فَأَيْنَ طُرُقَاتُ مِضَرَ مِنْ
طُرُقَاتِ بَغْدَادَ، وَدِيَارُهَا مِنْ دِيَارِهَا، وَرِحَابُهَا مِنْ رِحَابِهَا، وَدُرُوبُهَا مِنْ دُرُوبِهَا،
وهي محالُّ الأَقْدَارِ وَمَزَابِلُ الأَطْفَاسِ. ٦
- وحدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَاسِينَ، وَكَانَ مِضْرِيًّا يُجَهِّزُ الْمَسْكَ إِلَى مِضَرَ، أَنَّهُ لَا يَكَادُ
يُشْمُ فِي محالِّ مِضَرَ شَيْئًا مِنَ الْمَسْكِ الأَذْفَرِ وَلَا الْكَافُورِ وَالْعَنْبَرِ. ٩
- وحدَّثَنِي فِي إِثْرِ ذَلِكَ صَدِيقِي السَّرْحِييُّ فَقَالَ: إِنَّ طَبَّاحًا [٥٢٧] لَنَا أَتَى بِقُمَامَةٍ
فَرَمَاهَا إِزَاءَ بَابِ دَارِ مَنْزِلِنَا بِبَغْدَادَ، فَجَلَسْتُ لِتَأْيِيدِهِ قُبَالَتِهَا وَدَعَوْتُ بِالْمَقَارِعِ، إِذْ
أَقْبَلَ رَجُلٌ يَسْعَى لِسَانَ كَأَنَّهَا لَمْ يَخْلُقْ لغيره، فَبَحَثَ الْقُمَامَةَ بِيَدِهِ وَأَثَارَ مِنْهَا صُوفًا
وَرُجَاجًا مُكْسَّرًا فَالْتَفَفَهُ وَمَضَى مُبَادِرًا. ١٢

(a) رسمت في الأصل: السندي، والصواب ما أثبتنا.

^١ السدي: اسم منسوب إلى السد. قرية بالري على بعد فرسخين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٧.

^٢ الرساطون: لفظة معربة عن اليونانية، وهو شراب يتخذ من الخمر والعسل. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٨٠.

ثم أتى آخر في إثره ينحو نحوه فبحث باقيها وأثار منها قشور جوز وقشور
 زمان، فأخذها وولّى مُنطلقاً، ثم تلاهما ثالث يقفوا إثرهما فأثار القمامة وأخرج ما
 ٣ كان فيها من النوى فأخذها ومضى. ثم أقبل قمام الحمام فغربلها وتزوّد ما فيها، ثم
 مضى، ثم أقبل آخر معه منخل فتخلّ التراب فاستخرج منه شيئاً فأخذه ومضى، ثم
 جاء أجير الحراث فكسح باقيها، وكان تراباً ورماداً فأخذه ومضى. قال فأمسك
 ٦ عن ضرب الغلام وقلت: ذلك تقدير العزيز العليم.

وما حاجتنا وحاجتك إلى الانتصار بغير العيان والتظاهر على خصمنا بغير ما
 هو لنا في الزمان. هؤلاء المادرائيون أهلنا وأصحابنا وإخواننا وأترابنا.
 ٩ رؤساء مضر وسواشها وكتاب أعمالها وأزبائها، ذوو القدرة التامة والأمر النافذ
 والسُلطان الظاهر والعز المتظاهر.

ويتطلّع أعظمهم قدراً، وأكبرهم أمراً، وأعزهم شأنًا، وأوسعهم سلطانًا إلى
 ١٢ قوافل الحاج ووفود المهجّزين من بغداد، حتى يستصحب لهم الخفاف الطائفية
 والنعال السندية والمقاريض الهنيمية والأمشاط الطاهرية والسكاكين الكنبائية^(٨)
 وكثيراً مما يُصنع من الأبنوس والعاج والعام الموجود من العطر والزجاج، فما ظنك
 ١٥ بما لا يتهيأ حمله ولا يشهل تجهيزه أو نقله.

^(٨) رسمت في الأصل: الكنبائية.

^١ نسبة إلى كنباية، مدينة في بلاد الهند، اشتهرت بصناعة منتجات العاج، وصناعة النعال الصرارة، وزارها
 المسعودي سنة ٣٠٣/٩١٥م. وأشار إلى أن صادرتها تصل إلى العراق، انظر: مروج الذهب ومعادن
 الجواهر، ج ١، ص ٢٥٤.

ولست مُجْدُ كَبِيرًا من كُبْرَاءِ الْأَطْرَافِ، وَلَا عَظِيمًا من عُظْمَاءِ مُلُوكِ النَّوَاجِي،
 كَمَلِكِ الدَّبْلَمِ وَالطَّيْلَسَانَ، وَمَلِكِ الشُّوسِ، وَمِنَ وِرَاءِ أَدْرَبِيحَانَ، وَسَائِرِ الْمُتَغْلِبِينَ
 ٢ من أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، إِلَّا مُتَبَجِّحِينَ مِمَّنْ يَصِيرُ إِلَيْهِمْ
 وَيَلْقَاهُمْ من مَدِينَةِ السَّلَامِ كَانَتْ من كَانَ، أَوْ يُحْمَلُ إِلَى مَوَاطِنِهِمْ [٥٢ظ] وَيَغْشَاهُمْ،
 وَيُنَافِسُونَ عَلَى اصْطِنَاعِهِ وَيُشَاحُونَ عَلَى ادِّخَارِهِ، وَيَعَاوُونَ عَلَى اقْتِنَائِهِ، كَمَا
 ٦ يَسْتَقْصُونَ عَلَى فِقْدَانِهِ وَيَتَحَاسَدُونَ عَلَى وَجْدَانِهِ.

وَأَحْسَبُهُمْ يَصِلُونَ بَعْدَ الْمَجَاهِدَةِ فِي ذَلِكَ وَالْمُبَالِغَةِ فِي اطِّلَابِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ
 الْمُتَغْلِبِينَ من الطَّبَاحِينَ وَالْمُسْتَجْهَلِينَ من الْمُتَطَبِّينَ وَالْمُسْتَبْرِدِينَ من الْمُغْنِينَ وَالْمُسْتَرْقِينَ
 ٩ من الْحَنَاطِينَ. فَقَدْ قَنِعَ الرَّئِيسُ الْأَعْظَمُ وَالْمَلِكُ الْأَكْبَرُ من الْجَمَاعَةِ أَنْ يَقَالَ: هَذِهِ
 مَعْنِيَّةٌ بَغْدَادِيَّةٌ وَعَامِلَةٌ عِرَاقِيَّةٌ وَزَامِرَةٌ زَنَامِيَّةٌ^١ وَطَبَّالَةٌ عَثَمِيَّةٌ^٢ وَعَوَادَةٌ بَنَانِيَّةٌ^٣
 أَوْ خَرِيجِيَّةٌ [وَأَشَارِيَّةٌ وَرَيْقٌ وَرَجِيبٌ وَمَنْعَمٌ وَعَرْفَانٌ وَزَاعِمٌ وَبَدْعَةٌ، وَكَفَاهُمْ من
 ١٢ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ الْجَارِيَّةُ: رَأَيْتُ بَدْعَةً وَكَلَّمْتُ تَحْفَةَ وَسَمِعْتُ نَجْلَةً^٤]، وَشَاهَدْتُ
 طَبَّابًا وَأَعْرَفَ زَرْيَابًا.

^١ في الأصل: جلوة، ونجلة: كما في الشباشتي

^١ نسبة إلى زمام الزامر: أول من اشتهر باستعمال الناي، وكان مطرب الرشيد والمعتمد والواثق، توفي حوالي

٢٣٥هـ/٨٤٩م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١١٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٢، ص ٣٣٨.

^٢ نسبة إلى عثمت المغني. انظر: الطبري: المصدر السابق، ج ٩، ص ٢٢٤.

^٣ نسبة إلى بنان المغني. نفسه، نفس الجزء والصفحة.

^٤ ذكر الشباشتي: بعض أسماء المغنيات مثل: عريب، وبدعة جاريتها، سراب، شارية وجوزيها، ندمان، منعم، نجلة،

تركية، فريدة، عرفان. انظر: الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٥٤.

كما كفأهم أن يقولوا: ماشطة طاهرةٌ وحازنةٌ حريميةٌ وكانت ستي فلانةُ
الفلانية. فتلك عندهم من النعم المغدوداتِ والدخائرِ المعتقداتِ^٨.

٣ ثم رجع الكلام إلى ذكر سببه بما كنا فيه من ذكرِ المضرين، فلعلَّ القومَ أن
يُفأخرونا بالمعادنِ ويعازونا بالزبرجدِ والديقي، فإن فعلوا فأخلق بنا إلى أن نقول:
٦ إنَّ ذلك شيءٌ إن استجازَ القومُ المعازةَ به في المعادنِ وفي الزبرجدِ والديقي، فكانوا
قد دلُّوا من أنفسهم على ضعفٍ كبيرٍ وعجزٍ مشهورٍ، وإلا فإن كان المعدنُ هو العلةُ
لشرفهم، فليس بمأمونٍ زوالُ الشرفِ بزوالِ المعدنِ.

٩ وإن كان شرفُ المعدنِ إنَّما هو شرفٌ لنفسه، كانت كلُّ ذاتٍ معدنيةٍ ذاتَ شرفٍ
بنفسها، ولا يكونُ أن يكونَ الذهبُ شريفًا لنفسه، فلا يكونُ الرصاصُ أو حجرُ
النَّارِ شريفًا لنفسه، وإن كان شرفُ القومِ إنَّما هو شيءٌ هو لعلَّتْهم وعلَّةُ المعدنِ
معاً، وقد وجدنا نصيبَ أبعداً من المعدنِ كَنَصيبِ أقربنا منه وأوفر، ولست مع
١٢ ذلك تجدُ الحديدَ في ثمنِ المتقالِ من الذهبِ بمضَرٍ إلا كالحديدِ في قيمتهِ بأقصى
حجرٍ بالتبرِ والطيلسانِ.

١٥ فأما معازتهم بالقصبِ والديقي^[٥٣و] والمُلحمِ^١ والحليجي، فقد قلنا ونقول إنَّ
ذلك هو شيءٌ لنا دونهم. فإنه لو وجبَ التناولُ بذلك علينا لاستجازَ الحرَّاثونَ
مفاخرةَ أربابِ الضياعِ ونساجو الديباجِ التناولِ على لابسِهِ، وكان مُركَّبُ النَّجِجِ

^٨ في الأصل: المعتضدية.

^١ الملحم: نوع من الثياب يختلف نوع لحمته عن نوع سدها، حيث ينسج من الصوف والحرير أو الحرير

والقطن. انظر: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٨١٩.

بِالدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ سَيُشَارِكُ الْمَلِكَ الْأَعْظَمَ فِي عِزِّهِ وَسُلْطَانِهِ وَفِي أَقْصَى مِنْ مَكَانَتِهِ، مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَكُونَ صَانِعُ الْإِكْلِيلِ أَحَقَّ بِهِ مِمَّنْ أَمَرَهُ وَتَهَاؤُهُ وَاسْتَأْجَرَهُ وَأَعْطَاهُ؛ وَالذَّلِيلُ عَلَى صِدْقِنَا أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ، لَوْ كَانُوا إِنَّمَا يَتَّخِذُونَ الدَّبِيقِيَّ وَيَتَكَلَّفُونَ صَنْعَةَ الْمُلْحَمِ ٢
وَالتَّنِيسِيِّ لَهُمْ وَلَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ وَإِلَيْهِمْ، هَلَكَ التَّسَاجُونَ وَلَمَاتِ الْبِزَازُونَ وَسَائِرُ مِنْهَا مِنْ أَرْبَابِ الْفَرَاتِيِّسِ وَصُنَاعِ الشَّمْعِ وَالْحَيْشِ وَالْكَرَائِيسِ^١. ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ فِي الْمُجَهِّزَاتِ جَمِيعًا مِنْ خُرَاسَانَ وَسَائِرِ بِلَادِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْعُمَرَانِ. ٦

ثُمَّ لَا نَجِدُ بَغْدَادَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَّا كَالْجَوْهَرِ الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ وَالْبُلْدَانَ دُونَهَا كَالْأَعْرَاضِ الَّتِي لَا قَوَامَ لَهَا إِلَّا بِمَا هِيَ أُنْبِتُ بِهَا وَأَغْنَى عَنْهَا. فَالْذُّنْيَا الْعِرَاقُ وَالنَّاسُ أَهْلُهَا وَالطَّاعِنُونَ عَلَى بَغْدَادَ هُمُ الطَّاعِنُونَ عَلَى اخْتِيَارِ الْخُلَفَاءِ، وَالطَّاعِنُونَ عَلَى الْخُلَفَاءِ هُمُ الطَّاعِنُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَالطَّاعِنُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ هُمُ الطَّاعِنُونَ عَلَى رَبِّ الْأَنْبِيَاءِ. ٩

وَحَدَّثَنِي الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ^٢، وَكَفَى بِهِ مُحَدَّثًا، وَمَحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ^٣، وَكَفَى بِهِ مُخْبِرًا، قَالَا: لَقَدْ كُنَّا نَلْتَمِسُ بِالْبَصْرَةِ مِنْ جَيْدِ الثَّمُورِ وَأَنْوَاعِ الْأَرْطَابِ فَنَجِدُ بِبَغْدَادَ مَا لَمْ يَرِ مِثْلُهُ بِأَنْهَارِ الْبَصْرَةِ جَمِيعًا. ١٢

^١ الكرايس: فارسي معرب، جمع كرياس وهو القطن. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ١٩٥.
^٢ إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي، الإمام العلامة الحافظ، صاحب التصانيف، وقاضي قضاة بغداد، ويذكر أنه كان من نظراء المبرد. توفي سنة ٢٨٢هـ/٨٦٩م. انظر في ترجمته وأخباره: وكيع: أخبار القضاة، ج ٣، ص ٢٨٠-٢٨١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٧٢-٢٨١؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ١٤٩.

^٣ هو المبرد، انظر ترجمته فيما تقدم ص ٣١٤.

وحدَّثني من لا ارتياب للعُقلاء في عقله ولا اشتباه عند الحكماء في فضله
 بعلمه وآدابه وأنسابه وإحسانه: عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^١، مُتمثلاً في أثر كلام
 ٣ مرَّ في غرائبِ بغداد، فقال: تزعمُ العامَّةُ أنَّ رجلاً من مجهَّزي القطن كان بالشَّام. ثمَّ
 وقع إلى كورةِ مزو من بلادِ خراسان، وهو لا يظنُّ أنَّ القطنَ يكونُ بغيرِ الشَّامِ
 فاحتحلَّ^٢ من كثرتِه بمزو بما فاضَ عن عقله، واتَّهمَ معه فهُمه. ثمَّ سألَ عن البُلدانِ
 التي يُحتَمَلُ تجهيزُ ذلك إليها. فقيلَ له بِغَدَاذ. فقال: وكم في الأرضِ من [٥٣ظ]
 ٦ بِغَدَاذ؟ فصدَّقَ عن القِصَّةِ فقال: أظنُّ أنَّ أهلَ بِغَدَاذٍ يأكلونَ القطنَ أو تُبنى لهم به
 المساكنُ والجدرانُ.

٩ فأقبلَ يُريدُ العراقَ؛ لذلك أشرفَ من بلادِ الرِّيِّ وتواحيها على ما لم ترَ عينُه مثله
 من الأقطانِ أيضاً وتجهيزها، فسأل: فكانتِ القِصَّةُ سِواءً. ثمَّ أقبلَ إلى مُلتقى
 القوافلِ بِقَرَمِيسينَ، فأقبلتْ عليه الأرضُ بيضاءَ بالأقطانِ، فازدادَ حرصاً على
 ١٢ مُشاهدةِ بلدٍ يأكلُ أهلها القطنَ ويشربونه ويبنونَ به دُورَهُم. فلما بلغَ بِغَدَاذَ لم يرها
 مبنيةً بالقطنِ ولا مصنوعةً منه. فقال: أريدُ بِغَدَاذَ القطنِ. فقال له: ها أنتَ ببغداد.
 قال: فإذا كانت هذه بِغَدَاذكم فأين الدُّنيا والآخرةُ.

١٥ وقال المعروفُ بابنِ يزيدِ الحرقي، ومحمَّدُ بنُ نصيرِ الدَّلالانِ، وهما شَيْخانِ
 مسْتورانِ قد أسنَّا: إنَّا لنزكُصُّ على حميرنا في حواشيِ بِغَدَاذَ وأوساطها منذ سبعينَ
 سنةً لدلالةِ ما يُباعُ في المنازلِ والعقاراتِ وسائرِ العقُودِ والمستغلاتِ في اللَّيلِ والنَّهارِ

^١ ترجمته فيما تقدم ص ٣٠٢.

^٢ كحل الرجل: أي إذا وقع في شدة.

والغدو والآصال، وإنا لنمُرُّ في أيامنا بل في الزمان جميعاً ببقاع لا عهد لنا بها، ودور لا معرفة لنا بشيء منها، وبمسالك لا تُحيطُ بها أوهاثنا ولا سلكناها قط، وكثير من الناس يقولون: إن جانيي بغدادَ كالفرسخين، وقد غلطوا في ذلك غلطاً بيناً. ^٣
 وأنشد لِكَاتِبٍ من أهلِ البندنَجِينِ يذُكُرُ فضلَ بغدادَ ويذُمُّ مِصرَ^١
 وأهلها. (شعر):

[الكامل]

هل غَايَةٌ من بعدِ مِصرَ أحيثها	للرُّزْقِ من قَدَفِ المَحَلِّ سَحِيقِ
لَمْ يَأَلْ من حَطَّتْ بِمِصرَ رِكَابُهُ	لِلرُّزْقِ في سَبَبِ لَدَيْهِ وَثِيقِ
نَادَتْهُ من أَفْصَى البِلَادِ بِذِكْرِهَا	وَتَعْشُهُ [من] بَعْدُ بالتَّعْوِيقِ
كَمْ قَدْ جَشِئْتُ على المِكَارِهِ دُوْمَهَا	مِنْ كُلِّ مُشْتَبِهِ الفِجَاجِ عَمِيقِ
وَقَطَعْتُ من عَافِي الصُّوئِ مُتَخَـ	رَّقَا مَا بَيْنَ هَيْتِ إلى مَخَارِمِ فِيقِ
فَعَرِيشُ مِصرَ هُنَاكَ فَالْفَرَامَا إلى	تَنِيْسِهَا وَدَمِيرَةَ وَدَبِيقِ
بَحْرًا وَبَرًّا قَدْ سَلَكْتُهَا إلى	فُسْطَاطِهَا وَمَحَلِّ كُلِّ فَرِيقِ
وَرَأَيْتُ أَذُنِي خَيْرَهَا من رَاغِبِ	أَثَائِي لِطَالِبِهِ من العِيقِ
قَلَّتْ مَنَافِعُهَا فَضَجَّ وَلائِهَا	وَشَكَا التُّجَارُ بِهَا كِسَادَ السُّوقِ
مَا إِنْ يَرَى فِيهَا الغَرِيبُ إِذَا رَأَى	شَيْئًا سِوَى الخِيلَاءِ وَالتَّبْرِيقِ
قَدْ فَضَّلُوا جَهْلًا مُقَطَّمَهُم على	بَيْتِ بِمَكَّةَ لِلإِلَهِ عَتِيقِ
لِمِصَارِعِ لَمْ يَتَّقِ في أَجْدَائِهَا	مِنْهُم صَدَى بَرٍّ وَلا صَدِيقِ
إِنْ هَمَّ فَاعِلُهُم فَغَيْرُ مُوَفِّقِ	أَوْ قَالَ قَائِلُهُم فَغَيْرُ صَدُوقِ
شَيْعُ الضَّلَالِ وَحِزْبُ كُلِّ مُنَافِقِ	وَمِصَارِعِ لِلْبَغْيِ وَالتَّنْفِيقِ

^١ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤١. وفي هذه الأبيات ذم مبالغ فيه لا يليق أن توصف به

أَخْلَاقٌ فِرْعَوْنَ اللَّعِينَةُ فِيهِمْ وَالْقَوْلُ بِالتَّشْبِيهِ وَالْمَخْلُوقِ
لَوْلَا اغْتِرَالٌ فِيهِمْ وَتَرْفُضٌ مِنْ عَضِيَّةٍ لَدَعَوْتُ بِالتَّغْرِيقِ
يَا طُولَ شَوْقِي وَاتِّصَالَ صَبَابِي وَدَوَامَ لَوْعَةِ زَفْرِي وَشَهِيْقِي
ذَكَرَ الْعِرَاقَ فَلَمْ تَزَلْ أَجْفَانُهُ تَهْمِي عَلَيْهِ بِمَائِهَا الْمَذْفُوقِ
وَنَعِيمَ دَهْرٍ أَغْفَلْتُ أَيَّامَنَا بِالْكَرْخِ فِي قَضْفٍ وَفِي تَفْنِينِ
وَيَنْهَرِ عَيْسَى أَوْ بِشَاطِئِ دِجْلَةٍ أَوْ بِالصَّرَاةِ إِلَى رَحَا الْبَطْرِيقِ
سُقِيَا لِتِلْكَ مَعَانِيًا وَمَعَارِفًا عُمِرْتَ بِغَيْرِ الْبُخْلِ وَالتَّضْيِيقِ
مَا كَانَ أَغْنَاهُ وَأَبْعَدَ دَارَهُ عَنْ أَرْضِ مِصْرَ وَنِيلِهَا الْمَحْقُوقِ
لَا تَبْعُدَنَّ صَرِيمَ عَزْمِكَ بِالْمُنَى مَا أَنْتَ فِي التَّقْيِيدِ بِالْمَحْقُوقِ
فُزْ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْعِرَاقِ وَخَلِّهَا يَمْضِي فَرِيقٌ بَعْدَ جَمْعِ فَرِيقِ

وقال أحمد بن الطيب تلميذ الكندي^١: مدينة السلام شريفة المكان، كثيرة الأهل،

٣ واسعة [٥٤٤] الشكل، بعيدة القطر، جليلة الولاية نبيهة السلطان، ينبوع الآداب،
ومنبث الحكم. أهلها بزد الآفاق وخطباء البلاد. ما فعل فيها من خير فمشهور، وما
علن فيها من شر فمستور.

٦ منها الفقهاء والقضاة والأمراء والولاة. عتاد الخلافة ودار أهل الدعوة. وإن لها
لجنسًا من السعادة، ولأهلها نوعًا من الرياسة.

^١ أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي، أبو العباس: الفيلسوف المتأدب العالم بالتاريخ والسياسة والأدب والفنون. له في كل علم تصانيف، من ندماء المعتضد وكان يفضي إليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته، ثم قتله عام ٢٨٦هـ/٨٩٩م. انظر في ترجمته وأخباره: التديم: الفهرست، ج ٢، ١٩٥-١٩٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٨٧-٢٩١؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ١، ص ٢٩٣-٢٩٤.

وذلك أنه قل ما اجتمع اثنان مُمسِكِلان، وكان أحدهما بغدادياً إلا كان المُتقدِّم في لطيفِ الفطنة وحسنِ الحيلة، لينَ المعاملة، جميلَ المعاشرة، حلوَ اللَّفْظِ، مَلِيحَ الحَرَكَاتِ، ظَرِيفَ الشَّمَائِلِ.

فأما ما ينبغي أن تفهمه من عيِّها وتقفَ عليه من مذمومٍ أمرها فهو أن بعض ما عددت [من] محاسنها يعودُ فيصيرُ عيباً لها وقُبْحاً من أمرها، وذلك أن سعتها أفرطت حتى صارت مساحتها أربعة فراسخ^١. والذي هذه مساحته إذا كان قريباً معتدلاً، يُحيطُ به حائطٌ طوله ثمانية فراسخ، يكون ذلك أربعة وعشرين ميلاً^٢.

وإذا كان هذا هكذا واحتيجَ إلى حراسةِ هذه المدينة واحتجاجِ سُلْطَانِهَا التَّحْصَنَ فيها. فأقلُّ ما يحتاجُ إليه من الحفظةِ وأصحابِ المجانيقِ والعَرَادَاتِ وفي كلِّ ميلٍ ألف رجلٍ، تكونُ جمَلَتُهُم على حسبِ ذلك أربعة وعشرين ألفَ رجلٍ. فإذا لم يخفَظ هذه المدينة أهلها متبرِّعينَ بذلك أو مضطَّرينَ.

فأقلُّ ما يحتاجُ إليه لأرزاقِ حفظةِها على اختلافِ أخوالهم من قائِدٍ وعريفٍ وتابعٍ، وما يُحتاجُ إليه لمؤنِ المدَّادينِ في المجانيقِ والعَرَادَاتِ ومؤنِ المؤكِّلينَ بهم والقوَّامِ ومَرْمَةِ أسلحتهم وما يتصلُ بذلك من أثمانِ الآلاتِ ومَرْمَتِها، ما يكونُ إذا ضربَ بعضُه في بعضٍ على أحسنِ التَّقديراتِ عشرةَ دَرَاهِمٍ كلَّ يومٍ لكلِّ رجلٍ، تكونُ زهاءَ مائتي ألفِ دِرْهَمٍ وأربعين ألفَ دِرْهَمٍ في كلِّ يومٍ.

^١ على هذا تكون مساحة بغداد ٤٤,٥ كيلو متر مربع.

^٢ ما يعني أن يحيط السور الذي يطوق مدينة بغداد، يصل طوله إلى ما يزيد عن مائة كيلو متر، بحساب متوسط الميل

فإذا أقاموا على ذلك شهراً احتاج هؤلاء الحفظة دون المقاتلة إلى سبعة آلاف ألف دزهم ومائتي ألف دزهم. فإن كان المتحصن [٥٥٥] مختلاً فقد أتى من مآمنه ودخل عليه في حصنه. ٣

ولذلك ما أنفق محمد بن عبد الله بن طاهر^١ في سنة المستعين والفتنة زهاء مائة ألف ألف دزهم على حفظ السور والمقاتلة. ولقد دخله خلل وهجم على المدينة من ناحية بغويرياً حتى قصر السور ونقص من الإحاطة شيء له قدر. فهذا أحد العيوب. وأيضاً فإن الحليفة الذي رسم هذه المدينة التي يحامى عليها من الأطراف الشاسعة والثغور النائية، وإن القطب الذي عليه المدار والقبة التي منها ينفذ التدبير لتوسطها بين أقصى المشرق وأبعد نهاية المغرب. ٦ ٩

وكذلك هي في توسط ما بين الشمال والجنوب، وذلك أن كثرة أهلها تدعو إلى شدة الحاجة وإلى كثرة الميرة لها، ولذلك ما يحتاج أهلها إلى ميرة من أقصى ديار مصر، وبينها وبين ذلك مائة وعشرون فرسخاً، ويحتاجون من أبعد موضع في ديار ربيعة وأوسع مكان من أعالي الموصل، وبينهم وبين أذن تلك المواضع نحو المائة فرسخ. ١٢

فلو اعترض معترض فقطع ميرة ديار ربيعة والموصل عنهم، ثم كان المتحصن أفضل الأئمة عدالة فضلاً عن أمير أو رئيس لا اضطروا إلى إخراجهم ونفيه عن جوارهم، ولا سبيهم وهم لا يحافون لكثرة عددهم وجليل قدرهم وكثرة السلاح فيهم، وهم مستلمون فهذا السبب أيضاً لا يمكن أن يتحصن بها ملك؛ ألا ترى إلى الملوك الذين دؤخوا البلاد، وملكوا العباد، وبنوا المدن، وحفروا الأنهار، وعمروا ١٨

^١ تقدمت ترجمته ص ٢٥٢.

الأرض، وسأسوا الملك، وقارعوا الملوك، وقادوا الجيوش، ليس فيهم أحد بنى مدينةً
 تُحيط من الشكّان إلا بقدر ما يسعهم ما أحاط بتلك المدينة من العمارة والحِث، حتى
 ٣ أن بعض من بعدت همته من الملوك، لما اتخذ مدينةً، جعل الشور يُحيط بالساكين
 وبموضع مزدريهم، كما هو موجود بأرض بابل وبناحية سمرقند وبخارى.

وأنت [ههظ] إذا سألت عن مدن الشرق والغرب والشمال والجنوب وجدت
 ٦ الأمر على ما وصفت لك إلا المدن المحدثّة التي بنتها العرب في الإسلام، وهي
 الكوفة والبصرة وبغداد، ولم توث الملوك القدماء من قلة معرفة ولا من جهل
 بصواب التدبير والسياسة.

٩ فأمّا واسط وسمررى فعسكران. وذلك أن واسط بناها الحجاج منزلاً لنفسه
 ومعسكرًا لجند أهل الشام هرباً بهم من مجاورة أهل العراق ومعاملتهم، وأهل
 العراق حينئذ أهل الكوفة والبصرة، ولقد أحسن في اختيار الموضع لأنه جبلي سهل
 ١٢ بريّ بحريّ، عذب الماء، طيب الهواء، يوجد فيه الثلج والرطب والقبج^١ والسّمك.

وإنما كانت واسط مدينة كسكر وجوجوا تخضنه المياه، وواسط على حال أجمل
 ١٥ أمراً من سمررى، وذلك أن ابن هيرة^٢ تحصن بحصن واسط، وقد انتشرت
 المسودة^٣ فيما بين أقصى خراسان إلى مضر، والمنصور مقيم عليه في سادات أهل

^١ القبج: كلمة معربة عن الفارسية، تعني الكروان، أصلها كيج، لأن القاف والجيم لا يجتمعان في كلام

العرب، الزبيدي: تاج العروس، ج ٦، ص ١٦٨.

^٢ يزيد بن هيرة، انظر ترجمته فيما تقدم ص ١٦٧.

^٣ المسودة: الذين رفعوا الأعلام السوداء نصرة لبني العباس.

خُرَاسَانَ وَدَوِي الْبَاسِ وَالنَّجْدَةَ مِنْ أَهْلِهَا، فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ إِعْطَائِهِ إِيَّاهُ الْأَمَانَ، وَبِذَلِكَ جَمِيعَ مَا اشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ.

٣ فَأَمَّا سُرْمَرِيُّ فَإِنَّ الْمُعْتَصِمَ تَنَحَّى إِلَيْهَا عَنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ لِمُعَيَّنِ أَحَدُهُمَا تَبَعِيدًا لِمَوَالِيهِ الْأَثْرَاكِ عَنْ أُنْبَاءِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَالثَّانِيَةُ أَنَّ مَا بَيْنَ عُنْكَرَا وَآخِرِ دِيَارِ رَبِيعَةَ إِنَّمَا هُوَ مَنَازِلُ الشَّرَاةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْزَلَ فِي وَسْطِ دِيَارِهِمْ فَيُشَرِّدَ بِهِمْ، وَيُدْفَعُ عَادِيَتَهُمْ.

٦ وَسُرْمَرِيُّ صَاحِبِيَّةٌ لَا سُورَ يُحْصِنُهَا، وَلَا خَنْدَقَ يَمْنَعُهَا، وَلَا مِيرَةَ تَقْرُبُ مِنْهَا، وَإِنَّمَا يَشْرِبُ جَمَاعَةٌ مِنْ فِيهَا مِنَ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ. وَرَبِّمَا رَأَيْتَهَا إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ وَالتَّهَبَ الْمَهْجِرِيُّ وَاحْتَدَمَ الْقَيْظُ.

٩ وَالرَّأْيُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ بِدَرْهَمِينَ، وَأَكْثَرُ هَذَا فِي السَّلْمِ وَالْأَمْنِ، فَمَنْ حَقَّ مَا كَانَ مِثْلَ هَذِهِ مِنَ الْمُدُنِ وَالْكُورِ أَنْ يَكُونَ سُكَّانُهَا سُجَّعَاءَ أَنْجَادًا أَبْطَالَ، يَحْمُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيُدْفَعُونَ عَنْ [٥٦] حَوَزَتِهِمْ، مَعَاقِلَهُمُ السُّيُوفُ وَتَسْجَارَتُهُمُ الْحُرُوبُ، وَإِلَّا فَإِنَّ أَنَاخَ عَلَيْهَا مَنِخٌ وَاعْتَمَدَ عَلَى مَنْ فِيهَا بِكُلِّكَلِيهِ مَعْتَمِدٌ مَا كَانَ فِيهَا إِلَّا بِمَنْزِلَةٍ مِنْ يَحْرُضُ بِرَيْقِهِ وَيَنَازِعُ بِخُرُوجِ نَفْسِهِ. وَلَيْسَ هَكَذَا أَهْلُ بَغْدَادَ لِأَنَّ لَهُمْ آبَارًا يَسْتَعْدِبُونَ مَاءَهَا وَيَسْتَعْتُونَ عَنْ تَهْرِهِمُ الْأَعْظَمِ بِهَا.

١٢ وَلَكِنْ مِنْ جَمِيلِ أَمْرِ بَغْدَادَ أَنَّ السُّلْطَانَ آمِنٌ مِنْ أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهَا رَيْسُ بَعْضِ الْأَرَاءِ كَعَلْبَةِ الطَّالِبِيِّينَ كَثِيرًا بِالشَّيْعَةِ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ بَغْدَادَ مِنْ مُخَالِفِي الشَّيْعَةِ مَنْ يُقَرَّنُ بِالشَّيْعَةِ، وَبِهَا مِنْ مُخَالِفِي الْمُعْتَزِلَةِ مَنْ يُقَرَّنُ بِالمُعْتَزِلَةِ، وَبِهَا مِنْ مُخَالِفِي الْحَوَارِجِ مَنْ يُقَرَّنُ بِالحَوَارِجِ، فَكُلُّ فَرِيقٍ يَقَاوِمُ ضَدَّهُ وَيُدْفَعُهُ عَنْ أَنْ يَرُؤَسَهُ.

٣

٦

٩

١٢

١٥

١٨

فقد تَرَكُوا الرِّيَاسَةَ لِلسُّلْطَانِ وَرَبَحُوا تَسْلِيطَ الفَنَاءِ وَالتَّقَانِي بِالْحَرْبِ. وَلَكِنَّهُ رَبَّاهَا
عَرَضَتِ الأَقَاتِ وَهَجَمَتْهُمْ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتِ المَكَارِهُ عَلَيْهِمْ وَدَامَ فِيهِمْ جُورُ
الْوَلَاةِ وَعُومِلُوا مِنَ التَّعَنُّتِ وَطَلِبِ الرِّشَى مَا لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا الدَّلِيلُ وَذُو العِدَّةِ القَلِيلِ،
تَهَاجَرُوا وَفَزِعُوا إِلَى التَّطَوُّعِ. فَحَدَّثَ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي حَدَّثَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مَعَ سَهْلِ
بْنِ سَلَامَةَ^١ فِي أَرْبَاضِ الحَرْبِيَّةِ، فَإِنَّهُ اجْتَمَعَ لَمَّا تَطَوَّعَ وَدَعَا إِلَى إنْكَارِ المُنْكَرِ زُهَاءُ خَمْسِ
مِائَةِ أَلْفِ إنْسَانٍ.

وَكَمَا هَاجَرُوا عِنْدَ تَأْذِيهِمْ بِمُحَمَّدِ ابْنِ أَوْسٍ^٢ وَصَعَالِيكِهِ القَادِمِينَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ اللهِ^٣، فَإِنَّ الصَّعَالِيكَ لَمَّا أَسْرَفُوا فِي الفِسْقِ وَالفُجُورِ تَهَاجَرُوا مِنْ جَانِبِي مَدِينَةِ
السَّلَامِ قَاصِدِينَ مَنَزَلَ مُحَمَّدِ بْنِ أَوْسٍ. فَلَقَدْ كُنْتُ مُنْصَرِّفًا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مِنْ
الجَنَابِ الغَرِيبِيِّ^٤ أُرِيدُ الجَنَابَ الشَّرْقِيَّ، فَوَقَفْتُ مَوْقِفًا أَتَبَيَّنُ فِيهِ مِنْ يَعْزُرُ مِنَ الجَنَابِ

^١ سهل بن سلامة الأنصاري الخراساني، أظهر في بغداد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعا الناس إلى
تحكيم كتاب الله، لما قوي أمر الفساق والشطار والحرية ببغداد والكرخ، فأدوا الناس، وأظهروا الفسق،
وقطعوا الطرق، واعتدوا على الحرمات. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٥٢-٥٥٤؛ ابن
الجوزي: المتظم، ج ١٠، ص ٩٢-٩٣.

^٢ محمد بن أوس الأنباري، عامل مدينة هراة وأميرها لمحمد بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان، استولى الصفاريون
على ما كان تحت يده من أعمال الطاهريين. للمزيد راجع: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، [حوادث سنة
٢٥٣هـ/٨٦٧م] ج ٦، ص ٢٤٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٨، ص ٥٤.

^٣ سليمان بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، أبو أيوب الخزاعي، ولي شرطة بغداد والسواد من قبل الخليفة العباسي
المعتز. وتوفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤١م. انظر في ترجمته وأخباره: الطبري: المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٩٢-٤٤٠؛
الصفدي: المصدر السابق، ج ١٥، ص ٢٤٢.

^٤ المتحدث هنا يزيد جرد الكسروي.

٣ الغريي- يُريدُ منزل ابن أوس- فمرَّ بهم واختَرَسْتُ من الإِشْرَافِ وِظَنَنْتُ أَنَّ من عَبَرَ
إِلَى أَن انصَرَفَ أَوْهَمُ بِالغَنِيمَةِ والنَّهْبِ أَكْثَرُ من مَاتِي أَلْفِ إِنْسَانٍ، فِهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ
تَعْتَقِدُهُ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ.

٦ فَاثْمًا القَطْعُ [٥٦ظ] الَّذِي مَدِينَةُ السَّلَامِ مِنْهُ، فَأَفْضَلُ مَوَاضِعِ الأَرْضِ جَمِيعًا فِي
الطَّيْبِ والغِذَاءِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَطْيَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا- بَعْدَ الأَمَنِ والعَافِيَةِ والعِزِّ والسَّلَامَةِ
والرِّيَاسَةِ والشَّرَفِ- صَلاَحُ المَاءِ والهَوَاءِ. فَأَفْضَلُ أَثْهَارِ هَذَا العَالَمِ وَأَعْدَبُهُ مَاءٌ
وَأَصْحَهُ هَوَاءٌ، وَأَكْثَرُهُ خَيْرًا دِجْلَةُ والفُرَاتُ^١.

^١ قارن: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٧-٣٨.

[بَحْرُ الرُّومِ]

وذلك أَنَّ الْفُرَاتَ يَسِيلُ إِلَى بَغْدَادَ بِجَمِيعِ الشَّامِ وَسَوَاحِلِ بَحْرِ الرُّومِ وَمِضَرَ،
 ٢ وما وَرَاءَ مِضَرَ إِلَى الْمَغْرِبِ وما بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَنَهَائِهِ الْعُمُرَانِ فِي الشَّامِ، وما يَأْتِي بِهِ
 أَيْضًا مِنْ قَطْعِ بَحْرِ الشَّامِ عَرْضًا حَتَّى قُرْبَ مِنْ بَحْرِ بُنْطُسِ^(a) وَقُسْطَنْطِينِيَّةَ، لِأَنَّ
 الرُّومَ وَالْأَنْدَلُسَ وَالْحَزَرَ وَالصَّقَالِيَةَ وَالْبَرَبَرَ عَلَى هَذَا الْبَحْرِ، فَهُوَ يَقْطَعُ عَرْضًا
 ٦ فَيَحْمِلُ الْحَزَرَ مِنْ شَمَالِهِ إِلَى جَنُوبِهِ، وَيَحْمِلُ الْأَنْدَلُسَ مِنْ جَنُوبِهِ إِلَى شَمَالِهِ.
 وَلِذَلِكَ تَعَجَّبُ أَنْ يُؤْتَى بِسَبِيِ الْأَنْدَلُسِ فِي دِجْلَةَ وَبِالْحَزَرَ فِي الْفُرَاتِ. وَهَذَا
 الْبَحْرُ مِنْ أَنْطَاكِيَّةَ إِلَى جَزَائِرِ السَّعَادَةِ، وَمِنْهُ خَلِيْجٌ يَخْرُجُ مِمَّا يَلِي الْأَنْدَلُسَ حَتَّى يَبْلُغَ
 ٩ الشُّوسَ الْأَقْصَى وَيَصِيرُ مِنْ نَاحِيَةِ أَنْطَاكِيَّةَ إِلَى نَاحِيَةِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ.
 ثُمَّ يَدُورُ حَتَّى إِلَى الْحَزَرَ. وَعَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ طَرْشُوسُ وَالْمُصَيِّصَةُ
 وَأَطْرَابُلُسُ وَصَيْدَا وَيَافَا وَعَسْقَلَانُ وَالْإِسْكَندَرِيَّةَ. وَعَلَيْهِ مِنْ نَاحِيَةِ مِضَرَ دِمْيَاطَ
 ١٢ وَالْقَرَمَا، وَفِيهِ قُبْرُسُ وَصِقْلِيَّةُ. فَكُلُّ مَا عَلَى هَذَا الْبَحْرِ أَوْ وَصَلَ إِلَيْهِ أَوْ قُرْبَ مِنْهُ
 فَصَارَ فِي جَنُوبِهِ وَأُرِيدَ بِهِ الْعِرَاقُ مِمَّا يَلِي دِيَارِ مِضَرَ، فَطَرِيقُهُ فِي الْفُرَاتِ.
 وَكُلَّمَا كَانَ فِي شَمَالِهِ وَعُدِلَ بِهِ إِلَى نَاحِيَةِ دِيَارِ رَبِيعَةَ وَبِلَادِ الْمُؤَصِّلِ وَأُرِيدَ بِهِ
 ١٥ الْعِرَاقُ، فَطَرِيقُهُ فِي دِجْلَةَ. وَلِدِجْلَةَ أَنْهَارٌ تَأْتِي بِكُلِّ مَا قُصِدَ بِهِ بِلَادُ الْمُؤَصِّلِ مِنْ
 أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبَيْجَانَ.

^(a) في الأصل: جزيرة بنطس، والصواب ما أثبتناه.

^١ انظر مادة بحر بنطس بدائرة المعارف الإسلامية، الإصدار الثاني [بالإنجليزية]، ج ١، ص ٩٢٧.

والفُراتُ ودِجْلَةٌ جميعاً يتَّصِلانِ ببحرِ الحَبْشَةِ^١ الذي له ذَنْبٌ مِمَّا يلي العِراقَ من
 نَاحِيَةِ الأَبْلَةِ. والأَبْلَةُ أَشدُّ مَواضِعِ البَحْرِ دُخُولاً في الشَّمالِ، والأَبْلَةُ كَأَنَّها زاوِيَةٌ لهذا
 الذَّنْبِ. ويمرُّ الماءُ على شكلٍ مِثْلِ مِثْلٍ يَتَّسِعُ كُلُّما بَعُدَ من الزَّاوِيَةِ التي تلي الأَبْلَةَ حتَّى
 يَنْجُمُ على مُعْظَمِ البَحْرِ.

ولهذا الذَّنْبِ سَاحِلانِ، وهما الصَّفَتانِ يَمْرُجانِ من الزَّاوِيَةِ [٥٧و] ويَتَّسِعُ بَعْدَها
 كُلُّما طَالَ امْتِدَادُها، فأحَدُ هَذينِ السَّاحِلينِ يُقالُ له: الأَهْوازيُّ الفَارسِيُّ، وهو الذي
 عليه دَوْرُقُ^٢ ومَهْرُوبانُ^{٣(a)} وجَنابَةُ^{٤(b)} وسِينِيزُ^{٥(c)} وسِيرافُ^٦ وتِيزُ^٧ ومُكرانُ^٨
 والدَّيْلُ^٩.

^(a) في الأصل: ماهرويان، والتصويب من: ياقوت. ^(b) في الأصل: جنابا، والتصويب من: ياقوت.

^(c) في الأصل: سينير.

^١ في التصور الجغرافي القديم يعتبر الخليج العربي [بحر فارس] ذراعاً ممتدة شمالاً من بحر الهند [بحر لاروي
 الذي يغطي ما بين سواحل البنجاب حتى مضيق هرمز] وبحر الحبشة [الواقع ما بين خليج عدن وساحل
 القرن الإفريقي].

^٢ دورق: بلد بخوزستان يقال لها دورق الفرس. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٨٢.

^٣ مهروبان: بلدة صغيرة تقع على ساحل البحر [الخليج العربي] بين عبّادان وسيراف. نفسه، ج ٥، ص ٢٣٣.

^٤ جنابة: بلدة صغيرة من سواحل فارس. نفسه، ج ٢، ص ١٦٥-١٦٦.

^٥ سينيز: بلد على ساحل بحر فارس أقرب إلى البصرة من سيراف وتقرب من جنابة. نفسه، ج ٣، ص ٣٠٠.

^٦ سيراف: مدينة جلييلة على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضة الهند. نفسه، ج ٣، ص ٢٩٤.

^٧ تيز: بلدة على ساحل بحر مكران أو السند، وفي قبالتها من الغرب أرض عمان. نفسه، ج ٢، ص ٦٦.

^٨ مكران: أول حد إقليم السند من ناحية فارس، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى. نفسه، ج ٣،
 ص ٢٦٧؛ ج ٥، ص ١٧٩.

^٩ الديل: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. نفسه، ج ٢، ص ٤٩٥.

وَالسَّاحِلُ الْآخَرُ يُعْرَفُ بِالْغَرْبِيِّ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْيَمَامَةُ وَعُمَانُ وَمَهْرَةُ^١
وَالشُّخْرُ^٢. وَهَذَا الْبَحْرُ يَتَّصِلُ بِالصَّيْنِ، فَدِجْلَةٌ وَالْفُرَاتُ يَتَّصِلَانِ بِالْبَطَائِحِ وَيَتَّصِلَانِ
٣ وَيَتَّصِلَانِ مِنْهَا بِالْأَبْلَةِ، وَمِنَ الْأَبْلَةِ يَرْكَبُ الْعِرَاقِيُّونَ فِي هَذَا الْبَحْرِ. فَمِنْ هَذَيْنِ
خَيْرَاتُ أَكْثَرِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ.

وقال ابن عباس: أوحى الله إلى دانيال الأكبر أن فَجَّرَ^(أ) لِعِبَادِي نَهْرَيْنِ وَاجْعَلْ
٦ مَغِيضَهُمَا^(ب) الْبَحْرَ، فَقَدْ أَمَرْتُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ، فَأَخَذَ خَشْبَةً^(ج) وَجَعَلَ يُجْرِئُهَا فِي
الْأَرْضِ وَالْمَاءُ يَتَّبِعُهُ، فَكَلَّمَا مَرَّ بِأَرْضِ يَتِيمٍ أَوْ أَرْمَلَةٍ أَوْ شَيْخٍ كَبِيرٍ نَاشِدُوهُ اللَّهُ،
فِيحِيدُ عَنْهُمْ، فَعَوَاقِلُ دِجْلَةٍ وَالْفُرَاتِ مِنْ ذَلِكَ^٣.

وَمُبْتَدَأُ دِجْلَةٍ مِنْ أَرْمِينِيَّةِ الرَّابِعَةِ. ثُمَّ تَمُرُّ إِلَى جَانِبِ قَرْدَى، وَهِيَ قَرْيَةٌ الشَّامَيْنِ
٩ الَّتِي بَنَاهَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثُمَّ تَمُرُّ بِبَارِزْبَدَى^(د) ثُمَّ تَأْخُذُ عَلَى بَلَدٍ^٤ وَالْمَوْصِلِ.

(أ) في الأصل: أفجر. لدى ياقوت: مغيضها؛ والقزويني: مصبها.

(ج) في تاريخ بغداد: قناة أو قصبه.

(د) رسمت في الأصل: بين يدي.

^١ مهرة: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن [البحر العربي]. نفسه، ج ٢، ص ٢٣٤.

^٢ الشُّخْرُ: صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. نفسه، ج ٣، ص ٣٢٧.

^٣ قارن نص هذا الأثر لدى: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٦١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،
البلدان، ج ٢، ص ٤٤٢؛ القزويني: آثار البلاد بأخبار العباد، ص ٤٢٠.

^٤ قردى وبارزبدى: قريتان قريبتان من جبل الجودي بجزيرة ابن عمر، وبقرها قرية الشاميين. انظر: ياقوت
الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٢.

^٥ بلد: وربما قيل لها بلط، بالطاء. اسمها بالفارسية شهراباذ. وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل. نفسه:

نفسه: ج ١، ص ٤٨١.

والحدِيثَةُ^١، والسَّنُّ^٢، وتكرِيت^٣، وسُرْمَرَى^٤ [ثمَّ] تُصَبُّ في البَطِيحَةِ^٥ حيث
يَغِيضُ الفُرَاتُ، فيَجْتَمِعَانِ ويَمْرَانِ بالبَصْرَةِ، ثمَّ بالأبْلَةِ^٦، ثمَّ يَصِيرَانِ إلى البَحْرِ.

٣ ومُخْرَجُ دِجْلَةَ من جِبَالِ أَمَدَ، ومُخْرَجُ الفُرَاتِ من بَلَدِ الرُّومِ حتَّى يَصُبُّ في
دِجْلَةَ. وبين بَغْدَادَ وَوَاسِطَ يَتَشَعَّبُ شُعبًا كَثِيرَةً، إِلَّا أنَّ عَمُودَهُ يَمْضِي حتَّى يَصُبَّ
بالكُوفَةِ، وَيَصُبُّ مِمَّا يَلِي جُنْبَلَاءَ^٧ في البَطِيحَةِ.

٦ وَلَيْسَ عَمُودُهُ الذي يَصُبُّ بالبَطِيحَةِ يَأْتِي بِخَيْرِ من بَحْرِ الحَبَشَةِ الذي مَرْفَأُهُ
الأبْلَةُ. ولكن بَسَعَتْهُ التي تَنْعَرُجُ من عَمُودِهِ بَدْوُهُمَا^٨، وَيَأْخُذُ في نَهْرِ الرُّقَيْلِ^٩ وَيَأْتِي
ويَأْتِي إلى المَحْوَلِ^{١٠}، ونَهْرِ عَيْسَى وَيَصُبُّ في دِجْلَةَ بِكَرْخِ بَغْدَادَ. فَمَنْ رَكَبَ هَذَيْنِ
البَحْرَيْنِ أَوْ جَاوَزَهُمَا فَهُمُ أَهْلُ المَاءِ العَذْبِ والهَوَاءِ العَلِيلِ^{١١}.

^(١١) في الأصل: العدي.

^١ حدِيثَةُ الموصل، بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى. انظر: ياقوت الحموي: معجم
البلدان: ج ٢، ص ٢٣٠.

^٢ سَنُّ بَارمًا: مدينة على دجلة فوق تكريت، لها سور وجامع كبير، فيها علماء وكنائس وبيع للنصارى.
نفسه: ج ٣، ص ٢٦٨-٢٦٩.

^٣ تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب. نفسه: ج ٢، ص ٣٨.

^٤ انظر: القول في سُرْمَرَى.

^٥ البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة. نفسه: ج ١، ص ٤٥٠.

^٦ جنبلاء: كورة وبليدة، وهو منزل بين واسط والكوفة. نفسه: ج ٢، ص ١٦٨.

^٧ والمفهوم أن المجرى الرئيس لنهر دجلة لا تدخله سفن الخليج المحملة بالبضائع من ناحية الأبلة.

^٨ نهر الرقيل: نهر يصب في دجلة بغداد مأخذه من نهر عيسى. نفسه: ج ٥، ص ٣٢٠.

^٩ انظر: فيما تقدم ص ٢٩٣.

وأخبرت بشيء عجيب، عجيبٌ تذكرُهُ العلماءُ على وجه الدهر، وذلك أنهم يقولون: إن أقامَ الغريبُ ببلدِ الموصلِ سنةً تبيَّن في [٥٧ظ] بدنه فضلُ قوَّة،^(a) وإن أقامَ ببغدادِ سنةً تبيَّن في عقله زيادةً^(a) وإذا أقامَ الغريبُ بالأهوازِ سنةً تبيَّن في بدنه وعقله نقصاً، وإنَّ الغريبَ إذا أقامَ بالتَّبَّتِ سنةً دامَ سُورُهُ واتَّصلَ فرحُهُ، وما نَعْرِفُ لجميعِ ما قلنا سبباً إلا لصحَّةِ هواءِ الموصلِ وعُدوبةِ مائها ولرِداءِةِ نسيمِ الأهوازِ وتكدرِ جَوِّهِ،^(b) [وطيبة هواء بغداد ورقته ولطفه]^(b) فأما عِلَّةُ التَّبَّتِ فغيرُ معلومةٍ^(c).

وقال لي عليُّ بن الجهم^٢ أنه قد سافرَ أسفارًا أبعدَ فيها، مشرقيَّةً ومغربيَّةً، وإنه وإنه ألزمَ نَفْسَه العنايةَ بتعرُّفِ طيبِ الهواءِ وعُدوبةِ الماء، فلم يرَ موضعًا أجمعَ للتمامِ في ذلك من أرباضِ مَدِينَةِ السَّلَامِ في الجانبِ الغربيِّ. وقد ظننتُ أنَّ عليَّ بن الجهمِ أفرطَ في هذا القولِ بالعصبيَّةِ لِحُبِّ الأوطانِ، إذ كانت هذه النَّاحِيَةُ منزلةً. ولقد كنتُ أفكرُ كثيرًا في نزولِ الملوكِ بالمداينِ بين أرضِ الفُراتِ ودِجْلَةَ، فوقفْتُ على أنَّهم توسَّطوا مصبَّ الفُراتِ في دِجْلَةَ.

(b-b) التهمة من ياقوت.

(a-a) التهمة من ياقوت.

(c) لدى ياقوت: «فأما التَّبَّتِ فقد خفي علينا سببه»

^١ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٤.^٢ علي بن الجهم بن بدر السامي، أبو الحسن، شاعر رقيق الشعر، أديب. من أهل بغداد يذكر أنه كان معاصرًا لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه ونفاه إلى خراسان، وتوفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣.

انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ج ١، ص ٣١٩-٣٢١؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٨٦-٢٨٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٩٠-٢٩٢.

هذا على أن الإسكندر لما سار في الأرضِ ودانت له الأممُ وبنى المذَنَ العِظَامَ في المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، ورجَعَ إلى المدائنِ وبنى فيها مَدِينَةً وَسُورَهَا، وهي إلى هذا الوَقْتِ موجودةُ الأَثَرِ، وأقامَ بها رَاغِبًا عن بِقَاعِ الأَرْضِ جَمِيعًا وعن بِلَادِهِ وَوَطَنِهِ حَتَّى مات، وقد كان [بنى] بخراسانَ العُلَيَّا سَمَرَقَنْدَ وَمَدِينَةَ السُّغُدِ.

و[بنى] بخراسانَ السُّفْلَى مَرُو وَهَرَاةَ، ثم بالمَغْرِبِ الإسكندريَّةَ، وبنى بالهِنْدِ سَرَنْدِيبَ وَبِنَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ^٨ جَيِّ،^٦ وبنى مُدْنًا أُخْرَ كَثِيرَةً وَجَوَّلَ الأَرْضِ، فلم يَخْتَرْ مَنَزِلًا إِلَّا المدائنِ^٥ ١.

وإِنَّمَا سُمِّيَتِ المدائنُ المَدِينَةَ العَيْقَةَ: لِأَنَّ زَابَ المَلِكِ الذي بعد مُوسَى الطَّيِّبِ أَنشَأَهَا بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ، وَحَفَرَ الزَّوَابِي وَكَوَّرَهَا وَجَعَلَ المَدِينَةَ العُظْمَى المَدِينَةَ العَيْقَةَ^٢.

ويقولُ العَجْمُ: إِنَّ الضَّحَّاكَ المَلِكِ الذي كان له بَرَعِمِهِم ثَلَاثَةُ أَفْوَاهِ وَسِتَّةَ أَعْيُنٍ، بَنَى مَدِينَةَ بَابِلَ العَظِيمَةَ، وَكَانَ مُلْكُهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا وَنِصْفًا، وَهُوَ الذي أَسْرَهُ أَفْرِيدُونُ^٣ المَلِكُ فَصَبَّرَهُ فِي جَبَلِ دُبَاوَنْدِ.

^٨ لدى الخطيب البغدادي: بناحية الجبل.

^{٦-٥} في تاريخ بغداد: «وجول الدنيا كلها ووطنها، فلم يختَر منها منزلا سوى المدائن فنزلها».

^١ انظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨.

^٢ قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٧٤.

^٣ أفريدون ملك من ملوك الفرس، ولقبه: المؤيد. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١،

ص ١٩٤-٢٩٢؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٢١، ١٣٧؛ العسكري: الأوائل، ص ١٣٤.

واليوم الذي أُسِر فيه تَعْتَدُهُ [٥٨٠] المَجُوسُ عِيدًا، وهو المِهْرَجَانُ^١، وقد بنَى
بَهْمَنُ بنِ إِسْفَنْدِيَارٍ^٢ هَمِينِيَا^٣، وبنى سَابُورُ بنِ هُرْمُزِ ذُو الْأَكْتَفِ^٤، فَيُرُوزُ سَابُورَ،
وهي الأَنْبَارُ.^٥

فَأَمَّا لَمْ سُمِّيَتْ هذه النَّاحِيَةُ من الْبِلَادِ "إِيرَانْشَهْر" ومعناه بِالْعَرَبِيَّةِ "بِلَادُ إِيرَانَ"
فهو أَنَّ أَفْرِيدُونَ قَاتِلِ بِيورَاسَفٍ^٦، قَسَمَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بين ثَلَاثَةِ أَوْلَادٍ كانوا له،
فَدَفَعَ إلی إِيرَانَ هذا الْقَطْعَ فَعُرِفَ به، وَجَلَالَةُ قَدْرِهِ وَبِلَدِهِ حَسَدُهُ أَخَوَاهُ عَلَيْهِ فَفَقَّتْ لَهُ.

^١ انظر فيما تقدم ص ٢١٠.

^٢ بهمن بن إسفنديار بن كيشتاسب بن كيلهراسب. يقال أنه كان على عهد موسى الكاظم. فلما بلغه أن بناحية المغرب في أرض أوراشليم قوماً أحدثوا ديناً، بعث إليهم قائداً من قواده، يقال له: بخت نصر وأمره بقتلهم، وسبى ذراريهم، ففعل ذلك، ونفاهم عن بيت المقدس وبَدَّهم في البلاد، يذكر أن مدة ملكة استمرت ما يقرب من ١١٢ سنة. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٥٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٦٦-٥٧١؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ١١٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٧٦-٢٧٨.

^٣ هيمينيا: قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية في وسط البرية ليس بقربها شيء من العمارات، وهي في ضفة دجلة، كان أول من بناها بهمن بن إسفنديار ملك الفرس. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٠-٤١٧.

^٤ سابور بن هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، أحد ملوك الفرس، قتله الروم وله من العمر ٧٢ سنة. انظر في أخباره: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٦٥٦-٦٥٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٥٤؛ ابن الجوزي: المتظم، ج ٥، ص ١٤.

^٥ بيوراسف بن أندراسب، لقبه الضحاك، أحد ملوك الفرس، يقال أنه ملك ألف سنة، وكان أول من صلب وقطع الأيدي والأرجل. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٥٢؛ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣-٤؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ١٢١.

فَأَمَّا أَنْوَشِرَوَانُ بْنُ قُبَادَاً وَكَانَ أَجَلٌ مُلُوكِ فَارِسَ حَزْمًا وَرَأْيًا وَعَقْلًا
[وَأَدَبًا]^١، فَإِنَّهُ بَنَى الْمَدَائِنَ وَأَقَامَ بِهَا هُوَ وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُ مِنْ مُلُوكِ [بَنِي] ^٢ سَاسَانَ
إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ ^٣ .

فَأَمَّا الْمَلُوكُ الْأَوَّلُ أُغْنِي مُلُوكَ النَّبِطِ وَفِرْعَوْنَ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا نُزُولًا بِيَابِلَ،
وَكَذَلِكَ بُخْتُ نَصْرٍ الَّذِي تَزْعُمُ السَّيْرُ أَنَّهُ أَحَدٌ مِنْ مَلِكِ الْأَرْضِ جَمِيعًا، أَنْصَرَفَ
بَعْدَمَا أَحَدَتْ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ مَا أَحَدَتْ، إِلَى بَابِلَ. ^٤

^١ الزيادة من: ياقوت.

^١ أنوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن جور، أحد ملوك الفرس، جمع الناس على الدين، وغزا الروم ففتح إنطاكية وبنى بالمدائن مدينة على صورة إنطاكية وسماها الرومية، وكان ملكه سبعًا وأربعين سنة وسبعة أشهر [٥٣١-٥٧٩م]. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٦٤٧؛ الطبري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٨؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٨٩-٩٠.

^٢ بنصه لدى ياقوت عن يزدجرد الكسروي: «قال يزدجرد: أما أنوشروان بن قباد وكان أجل ملوك فارس...»، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٤.

[إقليم بابل]

٣ وكفالك أن الإقليم الرابع أجمع يُعرف بإقليم بابل، وحدود هذا الإقليم على ما رواه
 بعض القدماء، لا على ما ذكره المنجمون وأصحاب الأثر والنظر في أمور الأقاليم
 بعروض البلدان ومقادير ساعاتها وارتفاع أنصاف النهار في كل بلد، فإن هؤلاء إذا
 ٦ حصلوا أمر بغداد قالوا: 'عرض وسط الإقليم الثالث، أي بُعدُه من خط الاستواء،
 ثلاثون درجةً واثنان وثلاثون دقيقةً، وعرض وسط الإقليم الرابع ستة وثلاثون درجةً
 وتسعة دقائق.

٩ فبغداد إذا عندهم كأنها بين وسطي الإقليمين إلا بقدر الاثنين والثلاثين الدقيقة،
 التي يزيدُها وسطُ الإقليم الثالث على الثلاثين الدرجة.

وكذلك يقولون: إن ساعات وسط الإقليم الثالث أربع عشرة ساعة، وساعات
 ١٢ الإقليم الرابع أربع عشرة ساعة وخمسة ساعة، فساعات بغداد عندهم كأنها
 وسط بين الساعات، إلا بقدر ما بين النصف الذي مع ساعات الإقليم الرابع وبين
 الخمس الساعة التي مع [٥٥٨ظ] ساعات بغداد على ما يقوله المنجمون المحصلون.

١٥ فأمّا ما يقوله أولئك الرهط، فإنهم يقولون: إن بغداد من الإقليم الرابع،
 ويقولون: إن حدود هذا الإقليم مما يلي أرض الهند: الديبل، ومما يلي أرض الحجاز:
 الثعلبية، ومما يلي الشام: نصيبين، ومما يلي خراسان: نهر بلخ.

فقد دخل فيه ما دون النهر من خراسان والجبال كلها، والعراق ودجلة كلها، لم يُعرف إلا ببابل. وأنت تعلم أن الناس إنما ينسبون الشيء إلى الأفضل المشهور فلو [لا] أن بابل كذلك ما نسبوا الإقليم إليها. ٣

وذكر أصحاب السير أن بابل إنما سُميت بابل، لأن الألسن اختلفت بها وتبَلَّلت فيها، وأن الملوك والناس اجتمعوا فيها، ثم تفرقوا منها.

فأما دورثيوس الحكيم^١ فإنه في صدر كتبه الخمسة التي في المواليد وإتداء الأعمال هذا القول: إني قد وطئت بلادًا كثيرة حتى آتيت إلى البلاد العامرة ذات الأرباب الكثيرة ومصب الفرات، وهي أرض بابل ذات الأبنية المنيفة والقصور المشيدة. ومع هذا فإن هذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة والمعتدل^٢. ٩

وذلك الموضع الذي تنقسم أزماته أزيعة أقسام، فلا نخرج فيه من شتاء إلى صيف حتى يمر بنا فضل الربيع، ولا نخرج منه من صيف إلى شتاء حتى يمر بنا فضل الحريف. وكفى بهذا الإقليم فضيلة أن أكثر أموال المملكة تُجبي منه لفضل عمارته وخيره من غير أن يحتاج له من التفقه إلا الجزء اليسير من ارتفاعه. ١٢

^١ لدى المسعودي: «... وهذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة وأعدلها وأفضلها وبلد العراق وسطه فهو أشرف الأرض وصفوتها».

^١ دورثيوس الحكيم: عاش في القرن الأول للميلاد، ذكره النديم في المقالة السابعة في أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين، وقال له: «كتاب كبير يحتوي على عدة كتب ويسمى الكتاب، كتاب الخمسة... فأما الكتاب الأول في المواليد، والكتاب الثاني في التوزيع والأولاد». انظر في أخباره: الفهرست، ج ٢، ص ٢١٦-٢١٧؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص ١٨٤.

^٢ انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٢.

٣ وغيره من الأقاليم ربّما احتاج إلى أن ينوبه غيره ويقوم به سواه، فيكون عالا^١ مع كزازة^٢ أهله وتباعده من الاعتدال، ولاسيما السادس والسابع والأوّل والثاني. فأما الثالث والخامس، فلأنهما يقيدان الرابع المتوسط ويكتنفانه، وهما يشبهانه في كثرة الخير وقلة المؤنة وحسن الاعتدال.

٦ ويقال إن الملك الأعظم والمدبر الأخبّر ينبغي أن يكون منزله هذا الموضع أعني الإقليم الرابع. ومن الإقليم الرابع اشتراك دجلة والفرات، فإن بغداد إنما بعدت عن حقيقة قبة [٥٩٥] الأرض ووسط ما بين المشرق والمغرب عشرين جزءا فقط، وهي بالحقيقة وسط ما بين خط الاستواء ونهاية العمارة في الشمال، وذلك أن ٩ النجمين يقدرون نهاية العمارة في الشمال ستة وستين جزءا عن خط الاستواء، وبعد بغداد عن خط الاستواء النصف، وهو ثلاثة وثلاثون جزءا.

١٢ فالمدبر إذا توسط في هذا الموضع كان بعده من إفريقية وبرقة وصنعاء واليمن والشاس وفرغانة وباب الأبواب التي عملها أنوشروان^٣ حاجزا بين الفرس والخزر في البحر الخراساني شبيها بالمتقارب، ولو ذهب مدبر برقة وإفريقية ومخالف اليمن ومن هو مقيم وراء النهر من خراسان لما انتظم التدبير.

١٥ وكذلك لو دبرت ممالك [ما] بعد خراسان وتغر أرمينية من الإسكندرية والفرما لما صح ولا انتظم.

^١ عالا: من العيلة، أي الفقر والحاجة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج (١)، ص ٤٨١-٤٨٣.

^٢ الكز: الذي لا يبنسط، والرجل الكز: هو قليل المواطة والخير. نفسه: ج ٥، ص ٤٠٠.

^٣ أنوشروان بن قباد. عنه انظر فيما تقدم ص ٣٤٢.

ولقد كان أحد أسباب انتيقاض أمر بني أمية نُزولهم الشَّام، وذلك أنَّهم اضطروا إلى أن يُكاتبَ عمَّالُ خُرَاسَانَ صاحبَ العِراقِ لِقُربِ المسافةِ في اتِّصالِ الأخبَارِ وإمضاءِ التَّدابِيرِ، فلَمَّا ولَّوا نَصْرَ بنَ سِيَّارِ اللَّثِييَّ خُرَاسَانَ أَمَرَ أَنْ يُكاتبَ يَزِيدَ بنَ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ، فَخَافَ نَصْرٌ عَلَى مَكَانِهِ، فَكَانَ نَصْرٌ إِذَا كَتَبَ مِنْ خُرَاسَانَ فِي أَمْرِ الْمَسْوُودَةِ لَمْ يَنْهَ يَزِيدٌ خَبْرَهُ إِلَى مَرْوَانَ لِأَنَّهُ كَانَ يَحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ نَصْرٌ.

ونسب يَزِيدٌ أَنَّ غَلْبَةَ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى خُرَاسَانَ سَبَبُ الْعَلْبَةِ عَلَى الْجِبَالِ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِذَا اسْتَحْكَمَ لَمْ تَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا نُزُولُ الْعِراقِ. فَلَمَّا انطَوَى عَنْ مَرْوَانَ بِيَزِيدَ بنِ عُمَرَ أَخْبَارُ نَصْرِ بنِ سِيَّارِ أَنْسَدَ وَجْهَ التَّدْبِيرِ، وَلَوْ كَانَ مَرْوَانُ بِالْعِراقِ مُقِيمًا لَمْ يَخْتَجِ أَنْ يَكُونَ يَزِيدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُرَاسَانَ مَتَوَسِّطًا.

ومَرْوَانُ بنُ مُحَمَّدٍ كَانَ شَيْخَ [بني] مَرْوَانَ وَعُضَلَتُهُمْ وَشَيْخُهُمْ وَذَا التَّجْرِيَةِ مِنْهُمْ، وَكَانَ دَاهِيًا فَطِنًا، وَكَانَ لِذَلِكَ يُنسَبُ إِلَى الزَّنْدَقَةِ.

وإنما سُمِّيَ مَرْوَانَ الْجَعْدِيَّ بِالْجَعْدِيِّ بنِ دِرْهَمٍ^٢، رَجُلٌ كَانَ يُرْمَى بِالزَّنْدَقَةِ، وَكَانَ مُؤَدِّبَ مَرْوَانَ؛ فيقولون أَنَّهُ هُوَ فَتَحَ لَهُ بَابَهَا وَحَمَلَهُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَزَلْ مَرْوَانُ عَامِلًا لِخُلَفَاءِ أَهْلِهِ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ عَلَى ثَغْرِ أَرْمِينِيَّةَ دَهْرًا طَوِيلًا، يَفْتَحُ الْفُتُوحَ وَيُقَارِعُ [٥٩٠ظ] الأعداء.

^١ نصر بن سيار بن رافع بن حرّي بن ربيعة الكناني، الأمير، أحد القادة الدهاة الشجعان، كان زعيم مضر بخراسان، والي بلخ. ثم تولى إمرة خراسان سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م، فغزا ما وراء النهر، ففتح حصونًا وغنم مغانم كثيرة، وتوفي سنة ١٣١هـ/٧٤٨م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٩٥-٣٩٧؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٠٩؛ الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج ٤، ص ٢٢٥.

^٢ والجعد بن درهم مولى لسويد بن غفلة، توفي سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٣٠٥.

وَيُرْوَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ سَأَلَ الْمَنْصُورَ فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمْرُ مَرْوَانَ؟
فَقَالَ الْمَنْصُورُ: اللَّهُ دَرُّ مَرْوَانَ، مَا كَانَ أَسْوَسَهُ وَأَعَقَّهُ وَأَشَجَّعَهُ، وَلَكِنْ خَانَهُ أَمْنَاؤُهُ
وَطَوَّوْا الْأَخْبَارَ عَنْهُ.^١

وَلَقَدْ كَانَ نَضْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَارِسَ خُرَاسَانَ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْصَحُ
وَيُكَاتِبُ ابْنَ هُبَيْرَةَ، وَمَرْوَانَ لَا يَعْلَمُ بِمَا هُوَ فِيهِ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ شِعْرًا مِنْهُ
(شِعْرًا):^٢

أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ وَأَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَلْيَقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ زِيَامُ

فَلَمْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ شَيْئًا بِمُحَاطَلَةِ ابْنِ هُبَيْرَةَ نَضْرُ بْنُ سَيَّارٍ حَتَّى ذَهَبَ الْفَرْعُ
وَالْأَصْلُ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْمُؤَكَّدَةِ لِصَلَاحِ مُؤَضِّعِ بَغْدَادَ، أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ أَحْزَمَ مَلِكٍ
وَخَلِيفَةَ وَبِيٍّ مِنْذُ عَهْدِ مُعَاوِيَةَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ. وَقَدْ جَالَ الْأَرْضَ فَبَلَغَ طَنْجَةَ، وَأَقَامَ
بِالْبَصْرَةِ وَدَخَلَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ، وَكَانَ نَزُولُهُ فِيهَا عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ أَزْهَرُ السَّمَانِ^٣. وَقَدْ
كَانَ أَيْضًا وَبِيٍّ كُورَةَ مِنْ كُورِ الْأَهْوَازِ أَيَّامَ بَنِي أُمِّيَّةٍ، وَكَانَ فِي أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

^١ راجع مقالة المنصور في مروان بن محمد لدى ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٧٥، ص ٣٣٣، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٧٣٤.

^٢ قارن هذه الأبيات لدى الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م، ج ٤، ص ٢٧١؛ أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٥٧.

^٣ أزهر بن سعد السمان الباهلي البصري، صحب المنصور قبل أن يتولى الخلافة، له وقائع وحكايات ماثورة. وتوفي سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م. انظر في ترجمته وأخباره: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١، ص ١٩٤.

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا خَرَجَ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ وَبَلَغَ مَعَهُ إِلَى أَصْبَهَانَ -
وَكَانَ يُحْجُّ وَيُجَاوِرُ بِمَكَّةَ، وَيَدْخُلُ الْكُوفَةَ فَيُقِيمُ بِهَا أَيْضًا، وَجَوْلَ بُلْدَانَ الْجَزِيرَةِ
وَدِيَارِ بَنِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَكَانَ مَعَ أَبِيهِ وَعُمُومَتِهِ بِالشَّرَاءِ^١.

وَكَانَ مَعَ هَذَا طَلَّابَةً لِلأَدَبِ وَالْعُلُومِ، مُحِبًّا لِلسِّيَاسَةِ، بَعِيدًا هِمَّةً، وَكَانَ جَيِّدَ
الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ، وَتَمَثَّلَ لَمَّا قُتِلَ أَبُو مُسْلِمٍ وَأَرَادَ بِهَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ لَمْ يُشَاوِرْ أَحَدًا.

[الطويل]

طَوَى كَشْحَهُ عَنِ أَهْلِ كُلِّ مَشُورَةٍ وَبَاتَ يُتَاجِي نَفْسَهُ ثُمَّ صَمَّمَ
وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ ابْنُ هَرْمَةَ^٢ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يُشَاوِرُ أَحَدًا فِيمَا يَبْهَمُ بِهِ (شعر):

[الطويل]

إِذَا مَا أَرَادَ الأَمْرَ نَاجَى ضَمِيرَهُ فَنَاجَى ضَمِيرًا غَيْرَ مُخْتَلِفِ العَقْلِ
وَلَمْ يُشْرِكِ الأَدِينِ فِي جُلِّ أَمْرِهِ إِذَا انْتَقَصَتْ بِالأَضْعَفِينَ قُوَى الحَبْلِ

[٦٠] وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِعَيْسَى بْنِ مُوسَى^٣ لَمَّا اسْتَرْجَعَ حِينَ رَأَى أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى
طَرَفِ البِسَاطِ قَتِيلًا: يَا أَبُو مُوسَى، لَا تَسْتَرْجِعْ وَاحْمَدَ رَبِّكَ، فَإِنَّكَ هَجَمْتَ عَلَى نِعْمَةٍ
وَلَمْ تَهْجُمْ عَلَى مُصِيبَةٍ.

^١ انظر فيما تقدم ص ٣٣٢.

^٢ إبراهيم بن علي بن سلمة، أبو إسحاق، شاعر مفلق، فصيح مهذب مجيد، حسن القول، سائر الشعر، من سكان المدينة، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، اتصل بعدد من الخلفاء الأمويين، ثم انقطع إلى الطالبين، وله شعر فيهم، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم. اختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ

بغداد، ج ٧، ص ٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٤٠.

^٣ عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. وزير المنصور. انظر فيما تقدم ص ١١٥.

وتمثل (شعر):

[الطويل]

وما العجزُ إلا أن تُشاوِرَ عاجِزًا وما الحزْمُ إلا أن تهمُّ وتفعلاً

فبهذا الحزْمِ وهذه التَّجْرِيبِ، ويُعَدُّ هذه الهِمَّةُ، والأسْفَارُ الكَثِيرَةُ ومُشَاهَدَةُ
 ٣ البُلْدَانِ البَعِيدَةِ رَأَى أَنْ يَخْتَارَ هَذَا الْمَوْضِعَ مَدِينَةً وَمَنْزِلًا وَمُسْتَقَرًّا. هَذَا وَخُرَاسَانَ
 تَمَخَّضُ، وَفِي أَكْتَانِ الشَّامِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يَحَاوِلُونَ طَلَبَ الْمَلِكِ، وَبِالْحَرَمَيْنِ
 طَالِبِيُونَ يَرُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَلِكِ.

٦ ثُمَّ لَمَّا عَزَمَ عَلَى بَنَاتِهَا وَرَأَاهَا أَهْلًا وَكُلَّ بِهَا جِلَّةً قُوَادِهِ وَرُؤَسَائِهِ فَقَسَمَهَا أَزْبَاعًا
 وَدَفَعَ كُلَّ رِبْعٍ إِلَى قَائِدٍ وَوَكَّلَهُ بِنَائِهِ. وَلَقَدْ أَمَكَّنَ الْمَنْصُورَ الْإِشْرَافُ عَلَى خُرَاسَانَ عِنْدَ
 خَلْعِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^١ إِيَّاهُ حَتَّى أَخَذَهُ أُسِيرًا.

٩ كَمَا أَمَكَّنَهُ الْإِشْرَافُ عَلَى مَكَّةَ وَالْبَصْرَةَ عِنْدَ خَلْعِ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ
 الْحَسَنِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - حَتَّى بَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مُرَادَهُ لِتَوْسُطِ الْمَوْضِعِ، وَلِتَوْسُطِهِ أَيْضًا
 أَمَكَّنَهُ أَنْ يُوجِّهَ الْمَهْدِيَّ إِلَى الرَّيِّ وَطَبْرِسْتَانَ وَجُرْجَانَ، وَأَنْ يُوجِّهَ الْمَهْدِيَّ بِالْهَادِي إِلَى
 ١٢ جُرْجَانَ، وَأَنْ يُوجِّهَ الْمَهْدِيَّ بِالرَّشِيدِ إِلَى صَافِنَةَ الرُّومِ، وَأَنْ يَمْضِيَ الرَّشِيدُ بِنَفْسِهِ
 يُرِيدُ سَمَرْقَنْدَ، وَأَنْ يُوجِّهَ الْأَمِينُ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ^٢ إِلَى خُرَاسَانَ، وَأَنْ يُوجِّهَ

^١ عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، أحد الأمراء الشجعان الأشداء الجبارين، ولاة المنصور إمرة خراسان سنة ٧٥٧/١٤٠م، قتل كثيرا من أهلها بتهمة الدعاء لولد علي بن أبي طالب. ثم خلع طاعة المنصور، فأسر ثم قطعت يده ورجلاه وضرب عنقه بالكوفة سنة ٧٥٩/١٤٢م. انظر في ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١٥، ٤٣٢-٤٣٥؛ ابن حبيب: المحبر، ص ٤٥٠-٤٨٦.

^٢ تقدمت ترجمته ص ٢٧٤.

- المأمون لعبد الله بن طاهر^١ إلى مضر ويُسرف على بابك بالحبال، وأن يفتح
المعتصم طبرستان وعمورية ويأخذ بابك من البَدْ^٢. ولو لا توسط بغداد لكان الأُمُرُ
أعسر والمطلب أبعد والأخبار أبطأ، والله يفعل ما يشاء. ٣
- ومن غريب سعادة بغداد أنه لم يمُت فيها خليفة قط حَتَفَ أنفه، وذلك أن
المنصور بناها وتوفي بيثر ميمون ودُفِنَ بمكة. وتوفي المهدي بالرد، والرد والراق
من عمل الجبل. وتوفي الهادي بعيسى أباذ. ٦
- وتوفي الرشيد بطوس من أرض خراسان. وقُتِلَ الأمين وحمل رأسه إلى
خراسان فهو في قهندز [٦٠٦] سمرقند. وتوفي المأمون بالبذندون ودُفِنَ بطرسوس.
وتوفي المعتصم بسرمرى، وقُتِلَ المتوكل بسرمرى. ٩
- وقد أقام بمدينة السلام ثلاثة من الخلفاء عمّر كل واحد منهم تسعاً وعشرين
سنة، وهم المنصور والرشيد والمأمون، ولم يمُت بها منهم أحد. وقد قيل إنَّ
نويخت^٣ اختار لبنايتها وقتاً طالعه القوس وصاحبه المشتري^٤. ١٢
- وذكر بطلميوس في بُرج المدينة إليه طالع الوقت، أوّل البرج الذي فيه القمر في
الوقت، قال: وإن جهل ذلك من أمر المدينة؛ فمعرفة ذلك من طالع الملك الذي
ابتناها، والحق أن يكون طالع مدينة السلام وطالع منسئتها واحداً، وذلك لسعادتهما
واتفاق جميل الوصف لهما وفيهما. ١٥

^١ انظر فيما تقدم ص ٣٠٢.

^٢ البَدْ: يقال أنها كانت قرية بابك الحرّمي، وهي بأذربيجان.

^٣ انظر فيما تقدم ص ٢٥٥.

^٤ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٠.

وَأَنْشَدَ لِذُعَيْبٍ^١ يَمْدَحُ بَغْدَادَ وَيَذَمُّ سُرْمَرِيَّ (شِعْرًا):

[مخلع البسيط]

بَغْدَادُ دَارُ الْمُلُوكِ كَانَتْ حَتَّى ذَهَابَهَا الَّذِي ذَهَابَهَا
مَا غَابَ عَنْهَا سُرُورُ مُلْكٍ عَادَ بَلْدَةً سِوَاهَا
مَا سُرْمَرِيَّ بِسُرْمَرِيَّ بَلْ هِيَ بُؤْسَى لِمَنْ يَرَاهَا
عَجَّلَ رَبِّي لَهَا خَرَابًا بِرَغْمِ أَنْفِ الَّذِي ابْتَنَاهَا^٢

[المنسرح]

٣ وقال آخر^٣:

يَا دَارُ أَقْوَتٍ وَخَفَّ عَامِرُهَا كَأَنَّ حَطَّ الزَّبُورِ دَائِرُهَا
سَقِيًّا لِذَهْرِ الصَّبِيِّ وَغِرَّتِيهِ أَيَّامَ تَضْطَادُنَا جَاذِرُهَا
أَيَّامَ إِذَا نَحْنُ جِرَّةٌ خَلِطُ يَتَأَمُّ قَبْلَ الْعِشَاءِ سَامِرُهَا
ذَلِكَ وَلَمْ يَلْعَبِ الزَّمَانُ بِبَغْدَادَ [وتعثر بها عَوَائِرُهَا]^٤

^١ ساقطة من الأصل: والتتمة من الطبري: تاريخ.

^٢ دجبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي، الشاعر المشهور، أصله من الكوفة. وأقام ببغداد، له أخبار وشعره جيد، وكان هجاءً خبيث اللسان قبيح الهجاء لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء ولا أولادهم، ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن. صنف كتاباً في طبقات الشعراء. وتوفي في سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٤٦-٢٦٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٦٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٨٤.

^٣ انظر: ديوان دجبل، تحقيق: عبد الكريم الأشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٣م. ص ٢٧٠.

^٤ نسب الطبري هذه الأبيات إلى الخريمي، وهو إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب، الشاعر المشهور، أدركه الجاحظ وسمع منه، وهو صاحب (الرائية) في وصف الفتنة بين الأمين والمأمون وهي في ١٣٥ بيتاً أوردتها الطبري في تاريخه كاملة. [انظر: ج ٨، ص ٤٤٨-٤٥٤]. توفي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٩٣-٢٩٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٣٣٥.

إِذْ هِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ بَاطِنُهَا دَلَّ يَصِيدُ الْهَوَىٰ وَظَاهِرُهَا
 جَنَّةٌ دُنْيَا وَدَارٌ مَغْبَطَةٌ قَلَّ مِنَ النَّائِبَاتِ وَاتْرَاهَا
 كَدْرَةُ الْبَحْرِ صَمَّهَا صَدَفٌ غَالَىٰ بِأَعْلَى التَّلَادِ تَاجِرُهَا
 دَرَّتْ خُلُوفُ الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا وَقَلَّ مَغْسُورُهَا وَعَاسِرُهَا
 وَانْفَرَجَتْ بِالنَّعِيمِ وَانْتَجَعَتْ فِيهَا بِلْدَاتُهَا حَوَاضِرُهَا
 فَالْقَوْمُ مِنْهَا فِي رَوْضَةِ أَنْفٍ أَشْرَقَ غَبَّ الْقَطَارِ زَاهِرُهَا
 مِنْ عَرَّةِ الْعَيْشِ فِي بُلْهِنِيَّةِ لَوْ أَنَّ دُنْيَا يَدُومُ عَامِرُهَا
 دَارُ مُلُوكٍ قَرَّتْ أَسْرَتَهَا فِيهَا وَقَرَّ بِهِمْ مَنَابِرُهَا
 أَهْلُ الْقِرَى وَالنَّدَى وَأَنْدِيَّةِ الْمَجْدِ إِذَا عُدَّدَتْ مَفَاخِرُهَا
 أَبْنَاءُ دُنْيَا فِي عِزِّ مَمْلَكَةٍ شَدَّتْ عُرَاهَا لَهُمْ أَكَابِرُهَا

وقال يزيد جرد بن مهنبذ الكسروي^١: قد أكثر الناس في مدينة السلام إكتاراً،

لم يحصلوا منه دليلاً، ولا أفادونا به محضولاً، ولم يزيدوا على أن يقولوا: بلدٌ ولا تُشبهُ
 ٣ البلدان، وما أعجب الأمر فيه، وأبعد الشأ في تحديد من به من ساكنيه، وأعظم
 شأنه في الشئون، وأعسر كونٍ مثله على الدهور والسنين.

كما لا يزيدون على أن يقولوا: فيه مائتا ألفٍ حمامٍ بل الضعفُ أو كالضعف من
 ٦ ذلك، ومن المساجد كذا ومن الطرز كذا. فإذا أخذوا أو أكثرهم بتحصيل العلم في
 بدائع البلدِ وغرائبِ أنواعِهِ حصلوا على خيرٍ قليلٍ وحُكْمٍ معلولٍ.

^١ اجترأ الصابغ: أخبار نفقات أهل بغداد من كتاب فضائل بغداد ليزدجرد بن مهنبذ الكسروي، في كتابه
 رسوم دار الخلافة، تحقيق: مختار عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٨م. ص ٢٠-١٨.

ونستفتح القول باتباعِ أُعدِلِ الكَلَامِ وأبِينِ الأَعْلَامِ، ولا نقولُ كالذي قالوه في
 عدَّةِ الحَمَامَاتِ واعتقدوه في كثرةِ الدُّورِ والمساجِدِ والطَّرَازَاتِ، إشفاقًا من الإشرافِ
 على السَّامِعِينَ. فإنَّا إذا وجدنا كثيرًا من الخاصَّةِ والعامَّةِ مُذَعِّينَ بعدَّةِ الحَمَامَاتِ،
 وإنَّها مائتا ألفِ حَمَامٍ دون ما هو فوقها من الزِّياداتِ. ثمَّ قال آخرون: بل هي مائةُ
 ألفٍ وثلاثون ألفَ حَمَامٍ.

٦ واقتصر المقلُّ على مائة ألفٍ وعشرين ألفًا. وهذا قول الشَّاهِ بن ميكال^١
 وطاهر بن محمد بن عبد الله^٢، وكانا قد وقفًا على ذلك من جهاتٍ وقتلَهُ عِلْمًا من
 أمورٍ صحَّحتَ لهما ذلك، حتى عليهما ووقفًا عليه وأتقناه.

٩ وقد قال قومٌ بالزيادة على هذا، وقال غيرهم بالنقص، فرجعنا عند اختلافهم
 إلى حدِّ رجونا أن يكونَ عدلًا مفروضًا وحكمًا مقبولًا، واقتصرنا من عددِ
 الحَمَامَاتِ على ستين ألفَ حَمَامٍ استظهارًا، وجعلنا العِلَّةَ في ذلك أن نأخذَ بأوسطِ ما
 ذكروه من أعدادِها وما وجدنا الخاصَّةَ، أو أكثرهم يدعيه في اعتقاده، وهو مائةُ
 وعشرون ألفَ [٦١ظ] حَمَامٍ، وبه قال الشَّاهِ وطاهرٌ، فاقْتصرنا على النِّصْفِ من المائةِ
 والعشرين ألفًا لئلا يقبُح في التَّقديرِ وتجنُّو عنه الأَسْباعُ.

^١ إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال، أبو العباس، الإمام العلامة الأديب، شيخ خراسان ووجهها في
 عصره، من ذرية كسرى يزجرد بن بهرام جور الفارسي، استعمل المقنن أباه عبد الله على مملكة الأهواز،
 توفي بنيسابور سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٢،
 ص ٧٢٢-٧٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٥٦-١٥٧.

^٢ طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر، أحد كبار الشعراء بخراسان، كان يخدم آل سامان جهراً ويجهوهم سراً.
 انظر: الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٤،
 ص ٧٩-٨٤.

- ثُمَّ نَظَرْنَا بِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ حَمَامٍ مِنَ الْقَوَامِ الَّذِينَ لَا قَوَامَ لِكَمَالِ الْحَمَامِ بِمَا هُوَ دُونَهُمْ، فَوَجَدْنَا كُلَّ حَمَامٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعَةِ نَفَرٍ لِأَبْدَانِهَا مِنْهُمْ: صَاحِبُ الصُّنْدُوقِ وَالْقَيْمِ وَالْوَقَّادُ وَكَتَّاسُ الْوَقُودِ، وَرَبِّمَا أَطَافَ بِالْحَمَامِ الْوَاحِدِ الضَّعْفُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ، وَلَكِنَّا رَكِبْنَا سَنَنَ الْاِسْتِظْهَارِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَفِي جَمِيعِ مَا تَضَمَّنَا نُصْرَةَ الْقَوْلِ بِهِ لِيَكُونَ مُعِينًا عَلَى انْتِحَالِهِ وَأَمَانًا مِنْ إِبْطَالِهِ. فَإِذَا وَجَدْنَا عِدَّةَ الْحَمَامَاتِ عَلَى مَا رَتَبْنَا بِيَعْدَادِهِ، وَهُوَ سِتُونَ أَلْفَ حَمَامٍ، فَقَدْ حَصَلَ عَدَدٌ مِنْ ذِكْرِنَاهُ مِنَ الْقَوَامِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا بُدَّ لِلْحَمَامِ مِنْهُمْ مِائَتَا أَلْفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ قَيْمٍ وَغَيْرِهِ.
- ثُمَّ وَجَدْنَا بِالْعِيَانِ حُكْمًا ثَانِيًا، وَهُوَ أَنْ نَجْعَلَ عَلَى التَّقْرِيبِ اسْتِظْهَارًا لِكُلِّ حَمَامٍ حَجَامَيْنِ، فَيَحْصُلُ لَنَا أَيْضًا مِنْ عِدَّةِ الْحَجَامَيْنِ مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَجَامٍ، فَيَكُونُ عِدَّةُ الْحَجَامَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحَمَامَاتِ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ حَمَامِيٍّ وَحَجَامٍ.
- ثُمَّ فَرَضْنَا أَيْضًا بِهَذَا التَّقْرِيبِ وَالْمُمْكِنِ الْمُقْرُونِ بِهِ لِكُلِّ حَمَامٍ مِائَتِي مَنَزِلٍ قِيَاسًا عَلَى تَرْتِيبِ الْمَنَازِلِ وَالْحَمَامَاتِ الْمَعْدُودَةِ بِمَدِينَةِ الْمَنْصُورِ، فَإِنَّا وَجَدْنَاهُ يَحْقُقُ لِكُلِّ حَمَامٍ بِهَا مِنَ الْمَنَازِلِ نَيْفَ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ مَنَزِلٍ، فَاسْتِظْهَرْنَا بِاسْقَاطِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنَ النِّصْفِ، وَفَرَضْنَا لِكُلِّ حَمَامٍ مِائَتِي مَنَزِلٍ فَاجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ مَنَزِلٍ.
- ثُمَّ وَجَدْنَا الْمَنَازِلَ قَدْ يَجْتَمِعُ فِي الْوَاحِدِ مِنْهَا عِشْرُونَ إِنْسَانًا وَأَكْثَرُ، وَفِي غَيْرِهِ إِنْسَانَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ وَمَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ. فَاحْتَجْنَا إِلَى قِسْمَةِ عَدَدٍ يَعْتَدُلُ بِهِ الْعَدَدُ، فَاسْقَطْنَا مِنَ الْعِشْرِينَ نِصْفَهَا، وَزِدْنَا عَلَى الثَّلَاثَةِ ضِعْفَهَا، ثُمَّ أَمْدَدْنَا

الاستيظهار للحاشيتين معاً، فنقصنا من العشرة سدسها وزدنا على الستة سدسها،
 وجبرنا الحاشيتين ليحصل لنا أشرف نسب الأعداد وما يليق شكله بالحيوان
 ٣ وقسمة العمران، وهو الثمانية [٦٢] من الأعداد فإنه نصف قطر المتقابلين بأمر
 الفروض، فاجتمع لنا في كل منزل ثمانية نفر، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً،
 فاجتمع لنا من عدد الجماعة ستة وتسعون ألف إنسان.

٦ وقد قال الناس في أحوال البصرة وتفخيم شأنها أقاويل مختلفة تشبه بعضها
 بعضاً. ففريق زعم أنها أعظم في مقدارها وأوسع في أقدارها من مدينة السلام.
 وقال آخرون: بل هي في قدرها سواء. وقالوا: بل هي ذوتها وأضغر حداً من
 ٩ حدها.

لم نزد في اقتصاص أقاويلهم هذه في البصرة ثمثيلاً، أو ثمثيلاً بين بغداد وبلد في
 العالم جميعاً من البلدان سواها، ولا شيئاً بذلك أكثر من تفخيم أمر البصرة، وأنها
 ١٢ من الأمهات العظام ومن المدائن الجليلة من بلدان الإسلام.

ثم وجدنا حالاً من الزمان قد ألجا أهل البصرة جميعاً كما ألجا أهل الأبله
 وسائر كور الأهواز، وجميع العمران من كور دجلة ودستميسان وكسگر وأجام
 ١٥ الريد، وما بين هذه من المدائن العظام وبين واسط العراق من الأتهار المشحونة
 بالحيوان الناطق برًا وبحراً.

^١ الأجام: جمع أجمة، وهو منبت القصب الملتف، وأجام البريد ما استأجم من طريق البريد إلى ميسان
 ودستميسان. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥١.

ثُمَّ كَانَ بِوِاسِطٍ مِنْ أَهْلِهَا وَسَوَادِهَا وَكُورِ الصَّلْحِ وَكُورِ الْمُبَارَكِ^١ وَمَا هُوَ لَهَا فِي حَيْزِهَا مِنَ الْقُرَى وَالْبِقَاعِ الْمَشْحُونَةِ بِالنَّاسِ إِلَى مَدَائِنِ النَّهْرَوَانَاتِ الثَّلَاثَةِ، وَمَا هُوَ لِكُورِ النَّهْرَوَانَاتِ وَبِأَزَائِهَا مِنَ الصِّيَاعِ، وَسَقِي جَوْخَى^٢ إِلَى حُدُودِ بَادَرَايَا^٣ وَبَاكْسَايَا^٤ وَحُدُودِ الْبِنْدَنِيَجِينَ^٥ وَسَوَادَاتِ طَرِيقِ حُرَّاسَانَ إِلَى بَطْنِ الْمَدَائِنِ.

ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ كَمَدَائِنِ الرَّوَابِي^٦ وَسَقِي نَيْلِ الْفُرَاتِ وَقَمَ النَّيْلِ إِلَى سَوَادَاتِ الْكُوفَةِ وَبَارُوسِيَا^٧ وَتَهْرَ الْمَلِكِ وَمَا لَابَسَ الصَّرَاةِ، إِلَى حُدُودِ جُنْبِلَاءَ^٨ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَمْ نَذْكُرْهُ وَنُحْصِيهِ وَلَا نَعْلَمُهُ، فَتَسْتَوِيهِ فِيهَا بَيْنَ كُلِّ بَلَدٍ وَقُرَاهِ، وَكُلِّ قَرْيَةٍ وَنظَائِرِهَا مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ وَلَا يَعْلَمُ كُنْهَ مَدَدِهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ مُسْتَجِيرِينَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فَلَمْ يَلْتَبُوا فِيهَا وَلَا أَعْلَوْا مِنْهَا سِعْرًا.

فَإِذَا وَجَدْنَا هَذَا الْحَيَوَانَ النَّاطِقَ [٦٢ظ] الَّذِينَ هُمُ النَّاسُ، قَدْ شَغَلُوا مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ مَكَانًا مِنَ الْأَرْضِ عَرِيضًا وَمَلَأُوا فِيهَا فَنَاءً فَيَسِيحًا، قَدْ وَرَدَ بِهِمُ الْمِقْدَارُ وَسَاقَتْهُمْ الْأَقْدَارُ مُسْتَجِيرِينَ بِمَحَلٍّ لَا يَضِيقُ بِهِمْ دِيَارَهُ، وَلَا يَمْتَلِي مِنْهُمْ

^١ كور الصلح وكور المبارك: من نواحي كسكر، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٦١.

^٢ جوحى: موضع بالبادية بين عين صيد وزباله في ديار بني عجل كان يسكله حجاج واسط. نفسه، ج ٢، ص ١٧٨.

^٣ بادرايا: بلدة بقرب باكسايا من نواحي واسط. نفسه، ج ١، ص ٣١٦.

^٤ باكسايا: بلدة قرب البندنيجين بين بغداد وواسط في الجانب الشرقي من أقصى النهروان. نفسه، ج ١، ص ٣٢٧.

^٥ البندنيجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد. نفسه، ج ١، ص ٤٩٩.

^٦ الروابي: أربعة أنهر بالعراق، نهران فوق بغداد ونهران تحتهما، يقال لكل واحد منها الزاب. نفسه، ج ٣، ص ١٥٥.

^٧ باروسيا: ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسيا العليا وباروسيا السفلى من كورة الأستان الأوسط. نفسه، ج ١، ص ٣٢٠.

^٨ ج ١، ص ٣٢٠.

^٨ مر تعريفها ص ٣٣٨.

أَقْطَارُهُ، وَلَا تَغْلُو بِكَثْرَتِهِمْ أَسْعَاؤُهُ، وَلَا يَتَحَاكَمُ فِي أَقْوَابِهِمْ تَجَارُهُ وَلَا يَعْجَزُ عَنْ مَبْرَتِهِمْ مُتَّارُهُ، وَلَا يُحْسُ أَهْلُهُ بِالْوَارِدِينَ مِنْهُمْ إِذَا آتَوْا وَلَا الصَّادِرِينَ إِذَا مَضَوْا.

٣ أَفْتَحَسَبُ أَثْمًا الْإِنْسَانُ، أَنَّ بَلَدًا وَاحِدًا لَا تَحِيلُ عَلَيْنَا أَقْطَارُهُ، وَلَا يَذْهَبُ عَنَّا مِقْدَارُهُ، وَلَا تَشْتَبِيهِ عَلَيْنَا طُرْفُهُ، وَلَا نَضِلُّ فِي مَسَالِكِهِ، يَسْعُ أَجْرَامًا مُتَحَرِّكَةً وَأَجْسَامًا مَتَّصِرَةً، لَا مِقْدَارَ لَعَدَدِهَا وَلَا سَبِيلَ إِلَى إِحْصَائِهَا.

٦ ثُمَّ لَا يَكُونُ كَثْرَةُ النَّاسِ فِيهِ وَتَحْرُكُهُمْ فِي حَوَاشِيهِ إِلَّا قَرِيبًا مِمَّا كَانُوا وَشِبْهًا بِمَا عَرَفُوا، إِنَّ هَذَا الشَّأْنَ عَجِيبٌ وَأَمْرٌ ظَرِيفٌ. وَسَتَأْخُذُ مِنْ أَخْصِرِ وَجْهِهِ الْكَلَامَ. ثُمَّ نَجْعَلُ ذَلِكَ بَيْنَ حَالَيْنِ لَا يُخْرِجَانِ عَن تَحْصِيلِ الْحَاقِصَةِ، كَمَا لَا يَذْهَبَانِ عَن عَقُولِ الْعَامَّةِ، يَشْتَمَلُ عَلَيْنِهَا الْبُرْهَانُ الْمَوْصُولُ بِحُجَّةِ الْعِيَانِ. وَنَصِيرُ إِلَى ذِكْرِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِمَدِينَةِ الْمَنْصُورِ فَتَحْصَلُهُ ذَرْعًا مُكْسَرًا.

١٢ ثُمَّ نَقْسِمُ ذَلِكَ عَلَى الْمُصَلِّينَ فِيهِ فِي آخِرِ جُمُعَةٍ يَجْمَعُ النَّاسُ مِنَ الشَّهْرِ الشَّرِيفِ أَوْ أَوْلَاهَا، بَعْدَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَصَلٍّ فِيهِ سَيَسْتَعْمَلُ مَرْكَزًا لِلصَّلَاةِ لِرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَقِيَامِهِ وَقُعُودِهِ، يَكُونُ حَمْسَةَ أَشْبَارٍ فِي شِبْرَيْنِ، لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ بِهَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْمَرَائِزِ.

١٥ ثُمَّ نَضِيفُ إِلَى أَرْبَابِ الصَّلَاةِ بِيَعْدَادِ الَّذِي سَلَفَ مِنَّا ذِكْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْأَبْلَةِ وَسَائِرِ الْكُورِ الَّتِي عَدَدْنَاهَا وَالْمَدَائِنِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَمَا هُوَ بَيْنَ ذَلِكَ وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَمَنْ خَلْفَهُ وَقَدَامِهِ فَنَجْعَلُهُمْ ضِعْفًا لِمَنْ صَمَّمَتْهُ بَعْدَادُ مِنْ أَهْلِهَا الرَّائِيَيْنِ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ بِالْوَاوِجِبِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَقَاوِيلِ أَنْ يَكُونُوا أضعافًا مُضَاعَفَةً عَلَى مَا صَمَّمَتْهُ مِنْ أَهْلِهَا وَمَسَاكِينَهَا.

وقد قلنا إنَّ عددَ من يبغدادَ من النَّاسِ رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، ستَّة وتسعونَ ألفَ ألفِ إنسانٍ. [٦٣] إذا أضعفوا بمن أضيفَ إليهم مائةٌ واثنانِ وتسعونَ ألفَ ألفِ إنسانٍ. ثم سقطَ من هذه العِدَّةِ بحقِّ النساءِ والصِّبيانِ والمريضِ وأهلِ الذِّمَّةِ.

وقد ذكرنا قَدْرَ مَرَكزِ المُصلِّي وأعلمنا أنَّ حَمْسَةَ أَشبارٍ يضبطُ بها ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده في شبرين، لا تَطِيبُ الصَّلَاةُ في دُونِها. وقد حصلَ من ذرعِ المَسجِدِ الجَماعِ الغَربِيِّ دونَ رِحابِهِ وما زِيدَ فيه ماتِي ذِرَاعٍ، في ماتِي ذِرَاعٍ يَكُونُ مُكسَّرًا أربَعينَ ألفَ ذِرَاعٍ. وجبرنا رِحابَهُ، وهي دُونُهُ في الذَّرعِ، فجعلناها في القِسْمَةِ مثلها فكانت ماتِي ذِرَاعٍ في مثلها.

فصارَ جميعُ ذِرْعِ المَسجِدِ الغَربِيِّ مع رِحابِهِ وبنائِهِ وأزكانِهِ وأساطينِهِ، فأسقطنا حصَّتها من الذَّرعِ، استَظها رَافعا ثمانينَ ألفَ ذِرَاعٍ مُكسَّرةً، شغلها من أهلِ الصَّلَاةِ بها على ما فرَضنا من مَرَكزِ الصَّلَاةِ الواجِبَةِ من عددِ النَّاسِ اثنانِ وثلاثونَ ألفَ إنسانٍ. وهذا حُكْمُ القَوْلِ في المَسجِدِ الشَّرقيِّ بها أو نحوه.

فيكونُ إذا جَمعنا ما يَسعُ الجَنائِبَ ورِحابِها من المُصلِّينَ على ما ذكرنا أربَعَةَ وستينَ ألفَ إنسانٍ، وهو جُزءٌ واحدٌ من ألفِ جُزءٍ مَن قَدَرنا أنَّه يَخضُرُ، وهو الثُّلثُ من جميعِ أهلِ مَدِينَةِ السَّلَامِ ومن ذكرنا، وهذه -يزحمك اللهُ- عِدَّةٌ يَسْتغْرِفُها دونَ عِدَّةِ الحِجَّامِينَ وقَوامِ الحِمامِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، كما قد سَلَفَ من القَوْلِ بِكِبَرٍ جَدًّا.

فإنَّ الذي قَرَّبَ البَعيدِ، وبَسَطَ القَرِيبِ، وجعلَ الصَّغِيرَ كَبِيرًا والكَبِيرَ صَغِيرًا، هو الذي اسْتودِعَ عَقولنا الإقْرَارَ بِقُدْرَتِهِ على تَوَسُّعِهِ، ما لا سَبِيلَ إلى اتِّساعِهِ إلاَّ به،

ولا حيلة في حطة وازتفاعه إلا عنه، ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ [غافر: ٨١]. أفليس الواجب علينا الإقرار إذا بما لا يدفع الإقرار به من قدرة الله إلا عنادا واعتدادا.

وإذا اتسع القول بأن الله ﷻ يُلطفُ خلقه لطفًا ييسرُ به البعيد ويطوي به القريب، أمكن من ذلك أن الله ييسرُ لأقرب خلقه إليه وأعز بقاعه عنده أو على ما شاء كما شاء.

ولا أرى [٦٣ظ] الواثقين باتساع قدرة الله يجهلون برأي العين قدر مساحة المسجد الحرام بمكة أو يحتجون عن إدراك من نفذ إليه من مشارق الأرض ومغاريبها. فإنه يذكر كثير، ممن لا يتهم في تميزه وذكره كما ليس بضنين في دينه وسيره، المجتمع من عدد الحاج في المسجد الحرام ألف ألف وخمسة مائة [الف] إنسان، وذلك هو الحد في الغاية التي لا مزيد عندهم فيها. وأن الحد في الغاية التي لا انتقاص معها هو أن يكونوا ستمائة ألف إنسان.

وقد وجدنا مساحة المسجد الحرام مع البيت طولًا وعرضًا ثلاثمائة ذراع في مائتي ذراع، يكون ذراعًا مكسرًا بستين ألف ذراع. وجعلنا للمصلي فيه أن يأخذ من مساحة المسجد استظهارًا وتقليلاً ذراعًا في ذراعين يكون لركوعه وسجوده وقيامه وقعوده، فيكون قدر ما يحتاج إليه الغاية القصوى الذين قلنا أنهم ألف ألف وخمسة مائة ألف إنسان، من الدرع لما فرضنا ثلاثة آلاف ألف ذراع مكسرة. ويكون قدر ما تسعه مساحة المسجد الحرام إنما هو ثلاثون ألف إنسان، وذلك خمس العدد الذي يذكرون.

وهكذا لو عملنا حساب ستمائة ألف إنسان ما كان أيضا إلا خارجا عن
 صورة القياس جميعا. أفحسبت أيها الواثق بما غاب عنه من حكمة الله، والمقرئ
 بالحقمي عليه من قدرة الله، أن القياس أن يسع المسجد الحرام من هم أوسع من
 أضعافه أضعافا مضاعفة، وهو برأي العين ما وسعوه قط، وقد اطردت الآن
 وجوه الكلام بأن الله ﷻ يُلطفُ لخلقهِ من حيث لا يحتسبون ويضع لهم من حيث
 لا يشعرون. ٦

ووصلنا من القول إن الله بقدرته ينسط للناس المسجد الجامع بمدينة السلام
 ليسع من لا يسعهم في رأي العين أضعافه ذرعا ومساحة. وإذ أمكن أن يقول: أن
 الله ﷻ ينسط بالزيادة على قدر المساحة ذراعا واحدا، جاز أن يقول باعسا، وإذا
 جاز أن يقول باعسا واحدا، جاز أن يقول [١٦٤] فرسخا واحدا، وإذا جاز ذلك
 القول بفراسخ كثيرة، إلا أن الله ﷻ لم يُعطينا القدرة على علم ذلك ومعاينة مثله.
 وإذا تتابعت الآيات، وتناسبت العلامات، وتمكنت الدلالات، رجونا بها زوال
 الشبهات واستقبال الحقائق والممكنات. ٩ ١٢

ونقول إنه بالواجب متى استجاز أرباب المدائن المشهورة التي ذكرناها،
 والباق العظام التي أشرنا إليها وأخصيناها بمدينة السلام، حتى يحلوا بها
 ويستوطنوا فيها، أن يضعف عدد المساكين بها وتتضاعف المنازل في حواشيتها
 وأسطحها للعالم الوارد والدّمهم الوافد. ١٥

وقد قلنا إن من الممكن القريب أن يكونوا في عددهم ضعفا لمن يبغداد من
 أهلها قياسا صحيحا وحكما لازما، كما قد قلنا بما رتبناه ونزلنا القول فيه وقريناه، ١٨

أَنَّ عِدَّةَ الْمَنَازِلِ بِبَغْدَادَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَنَزِلٍ، وَجَدْنَا الْعِيَانَ قَدْ أَوْجَدْنَا أَنَّ مَنَزِلًا مِنْهَا لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْ مِضْبَاحٍ يُنِيرُ فِيهِ لَيْلًا يَتَّقِدُ بِدُهْنِ الْبِزْرِ.

٢ ثم لا يغسر علينا أن نقول إنَّ في هذه المنازِلِ ما قد يُوقَدُ فيه أَمْنَانٌ عِراقِيَّةٌ وَأُزْطَالٌ مِنْ دُهْنِ الْبِزْرِ إِلَى مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ الْقَدْرِ مِنَ الدُّهْنِ. فَإِذَا صَرَبْنَا قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ دُهْنِ الْبِزْرِ، قَلِيلُهُ بِكَثِيرِهِ وَكَبِيرُهُ بِصَغِيرِهِ، فَرَضْنَا لِكُلِّ مَنَزِلٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ دُهْنِ الْبِزْرِ أَوْقِيَّتَيْنِ^١ بِأَوَاقِ الْعِراقِ.

٦ وقد حَصَلَ مِنْ عِدَّةِ الْمَنَازِلِ كَمَا قَدَّمْنَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَنَزِلٍ سِوَى مَا اسْتَظْهَرْنَا بِإِسْقَاطِهِ مِنَ الْمُسْتَجِيرِينَ بِبَغْدَادَ عِنْدَ خَرَابِ الْبَصْرَةِ وَسَائِرِ الْبِقَاعِ وَالْمَدَائِنِ الْعِظَامِ سِتِينَ مَتَوَالِيَةً وَأَعْوَامًا مُتَتَابِعَةً، فَحَصَلَ لِمِصَابِيحِ الْقَنَادِيلِ حِسَابٌ لِكُلِّ مَنَزِلٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَوْقِيَّتَيْنِ مِنْ دُهْنِ الْبِزْرِ أَلْفَا أَلْفِ رَطْلٍ، ثُمَّ وَجَدْنَا عِدَّةَ الْحَمَامَاتِ كَمَا قَدَّمْنَا سِتِينَ أَلْفَ حَمَامٍ وَحِصَّةُ الْحَمَامِ الْوَاحِدِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ دُهْنِ الْبِزْرِ رُبْعُ الرَّطْلِ^٢ الْعِراقِي، فَيَكُونُ بِحَقِّ الْحَمَامَاتِ أَيْضًا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَطْلٍ، فَصَارَ [٦٤٤ظ] جَمِيعُ ذَلِكَ أَلْفِي أَلْفِ رَطْلٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَطْلٍ.

١٥ ثُمَّ أَمَدَدْنَا الْاسْتِظْهَارَ بِمَثَلِهِ مِنَ الْاسْتِظْهَارِ فَأَسْقَطْنَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَمَامَاتُ عَمَلًا عَلَى أَنَّ فِي الْمَنَازِلِ مَا لَا مِضْبَاحَ فِيهِ وَمَا لَا يَكُونُ مِصَابِيحُهُ بِدُهْنِ الْبِزْرِ، وَهِيَ

^١ الأوقية: تساوي أربعين درهماً، وهي عند الأحناف نحو ١٢٥ جرام، أي ٨/١ كيلو جرام تقريباً. انظر: علي جمعة: المكييل والموازين، ص ٢١.

^٢ الرطل: معيار يوزن به، وهو مكيال أيضاً، وإذا أُطلق في الفروع فإن المراد به الرطل البغدادي أو الرطل العراقي، وهو يساوي ١٣٠ درهماً. أي ٤٠٦,٢٥ جرام. انظر: علي جمعة: المكييل والموازين الشرعية، ص ٢٩.

خمسة عشر ألف رطل بزر، كما استظهرنا بإسقاط ما كان يحتاج إليه أرباب الكور
 المضافة إلى بغداد عند خراب البصرة، واقتصرنا على ما وجدناه، قومنا مبلغاً، وهو
 ٣ ألفاً ألف رطل من الزيت في الليلة الواحدة، يكون ثمنها على سعر زماننا هذا، وهو
 أعدل الأسعار، ألف ألف درهم، وفي الشهر الواحد ثلاثون ألف ألف درهم وفي
 السنة الواحدة ثلاثمائة ألف ألف وستون [ألف ألف] درهم، قيمتها عيناً بسعر
 ٦ زماننا اثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف دينار^١.

ثم نظرنا في باب الزيت وفي قدر ما يحتاج إليه مساكين الخليفة للمصايح
 والمطابخ وخبز الرقاق وسائر أنواع الخبز، ومن هو دون الخليفة من خاصته وبطانته
 ٩ وولده وسائر حشمه، ثم ما يحتاج إليه من ذلك أيضاً ولأه العهود ومن أطاف بهم
 من خواصهم، ثم الوزراء وسائر الأمراء، ثم القواد وجوه أرباب السيف، ثم
 الكتاب وكتابهم والعمال وعمّاهم، ثم الثناء وأرباب النعم وسائر الوجوه، ثم وجوه
 ١٢ التجار وأرباب الصناعات الكثيرة، ثم من هو أدنى من هذه الطبقات وأنقص من
 هذه الدرجات، صغاراً وكباراً، خواصاً وعواماً، وفي الواحد من الجماعات ممن
 ذكرنا منازلهم واقتصصنا مراتبهم، ممن يحصل في مستقره بمدينة السلام في كل يوم
 ١٥ وليلة من الزيت ما لا يخصه جزاء ولا يعد رفاقاً.

وقد جعلنا تقدير ما نخصيه من الزيت ليوم واحد من شهر رمضان، فصرنا
 قدر ما يحتاج من الزيت لمطابخ أمير المؤمنين وسائر ما يستعمل فيه الزيت لئله

^١ يستفاد من هذا الخبر أن سعر الصرف الدينار الذهبي مقابل الدرهم الفضي في بغداد في هذه الفترة هو

ومن دونه من الطبقات الفاضلة إلى أن وصلنا إلى من هو في [٦٥] أصغر الطبقات
 وأيسر الدرجات من الناس ببغداد. فجعلنا لكل منزل منها في كل ليلة [من] ليالي
 ٣ شهر رمضان أوقيتين من الزيت لتصلح القسمة ويأتلف الكلام. فجعل من ذلك
 في الليلة الواحدة ألف رطل من الزيت.

ثم قسمنا بحق كل حمام عشرة مساجد، ثم زدنا الاستظهار استظهاراً فأسقطنا
 ٦ النصف من عدد المساجد، فحصل لنا لكل حمام خمس مساجد، فاجتمع لنا من عدد
 المساجد ثلاثمائة ألف مسجد، وفرضنا لكل مسجد في كل ليلة من ليالي شهر
 رمضان من دهن الزيت لمصايحه، إذا ضربنا كثير ذلك في قليله وصغيره في كبيره،
 ٩ استظهاراً رطلاً واحداً، وفي المساجد ما يستغرق أرتالاً كثيرة، فاجتمع من ذلك في
 الليلة الواحدة ثلاثمائة ألف رطل زيت.

ثم نظرنا في الإنفاق الممكن، فإنه ليس يعسر أن ينفق الناس في الأعياد العظام
 ١٢ والأيام السعيدة بمثل ما ربنا عليه طبقات الناس في الحاجة إلى الزيت، أن تكون
 الحاجة إلى ذلك كالحاجة إلى استعمال الصابون، وأن نجعل لكل منزل واحد، وعدد
 المنازل اثنا عشر ألف منزل، في كل يوم من أيام شهر رمضان من الصابون
 ١٥ رطلاً واحداً. فإن أوشك القول بذلك فأسقط من عدد الديار ما ترى به زوال
 الشبهة وامتناع الريبة، وهو النصف من عددهم، ليتمكن لك التظاهر بالعيان
 ونزيد لك ذلك في قوة البرهان.

١٨ فإن جمحت بك الظنون وحيل بينك وبين مناسبة اليقين، فلك بحق الترحيم
 من المنازل الثلاثين ليكون الحاصل لحصتك في اليوم الواحد من ذلك الشهر أربعة

٣ آلاف ألفِ رطلِ صابونٍ، فيكونُ حقُّها من الزَّيْتِ اسْتِظْهَارًا ألفَ ألفِ رطلٍ، يكونُ جميعُ ما ذكرناه في اليَوْمِ الواحِدِ واللَّيْلَةِ الواحِدَةِ من أَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ [٦٥ظ] لِتَمَازِلِ المُلُوكِ والأَذْنَى، فالأَذْنَى من الطَّبَقَاتِ، ولمصاييح المساجِدِ ثلاثةَ آلافِ ألفِ رطلٍ وثلاثمائةِ ألفِ رطلٍ زَيْتٍ.

٦ ويكونُ ثَمَنُها بِسَعْرِ زَمَانِنَا هذا وَرِقًا ثلاثمائةِ ألفِ ألفِ وثلاثينَ ألفِ ألفِ ذِهْمٍ، تكونُ عَيْنًا ثلاثةَ آلافِ ألفِ وتسعمائةِ ألفِ وستينَ ألفِ دينارٍ. وفي السَّنَةِ الواحِدَةِ عَيْنًا سَبْعَةَ وأربعينَ ألفَ ألفِ وخمسمائةِ ألفِ وعشرينَ ألفَ دينارٍ.

٩ ومن العامِّ المُشْتَرِكِ وما لا اشْتِيَاءَ في حاجَةِ العامَّةِ والخاصَّةِ إليه البقُولُ المُسْتَعْمَلَةُ في كُلِّ يَوْمٍ في كُلِّ مَنْزِلٍ، فإنَّها وإنْ كانتْ ذَوَاتِ ألوانٍ عامَّةٍ وأنواعٍ خاصَّةٍ، وكانَ مَتًّا من يَتَناعُ منها بالدَّنانيرِ والكثيرِ من الدِّراهمِ، ومَتًّا من لا يَصِلُ إلى المَبايعةِ منها بمثلِ ذلكِ، ومَتًّا من يَغْبُ الخَاصَّ منها خاصَّةً، ومَتًّا من لا سَبِيلَ له إلى أعمِّ العامِّ منها. ١٢

١٥ فإذا خَصَّصْنَا من أَيَّامِ السَّنَةِ لاسْتِعْمَالِ العامِّ من البقُولِ يَوْمًا واحِدًا وجَعَلْنَاهُ أوَّلَ يَوْمٍ من شَهْرِ رَمَضَانَ أو أوَّلَ يَوْمٍ من شَوَّالٍ. ثمَّ جَعَلْنَا النَّاسَ بينَ حاشِيَتَيْنِ، هما الغايَتانِ كالحليفةِ ارتفاعًا أو حارسِ الدَّربِ انْصاعًا، لم يَحُلْ مَنْزِلٌ واحِدٌ من الحاجَةِ إلى بَقْلِ، بحَبَّتَيْنِ^١ من الفِضَّةِ في هذا اليَوْمِ الذي خَصَّصْنَاهُ دونَ سائِرِ الأيَّامِ، إنْ رَأَى الإقْرارُ لايَّامِ السَّنَةِ جميعًا بذلكِ، وعددِ المَنازِلِ اثنا عشرَ ألفَ ألفِ مَنْزِلٍ، فيكونُ قَدْرُ ما يَرْتَفِعُ من أَحْسَنِ أثمانِ البقُولِ في يَوْمٍ واحِدٍ دونَ ما هذا دُونُهُ منها، ١٨

^١ قد ذكر فيما قبل أن وزن الحبة = ١٠٠/٦ من الجرام تقريبًا، وعلى ذلك يكون وزن الحبتين من الفضة نحو ١٢,٠ جرام من الفضة.

فإنَّ اسْقَطْنَاهُ لِحُصُومِهِ كَاللَّفْتِ وَالْقُنَيْطِ^١ وَالسَّلْبِيِّ وَالسَّرْمَجِ^٢ وَالْإِسْفَانَاخِ^٣ وَالْبَصَلِ
وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ حَيْهٍ، وَمَبْلَغُ الْحَبَّاتِ خَمْسُ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ،
وَفِي الشَّهْرِ الْوَاحِدِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وإنَّا لَمُسْتَدْرِكُونَ شَيْبَهَا بِذَلِكَ فِي بَابِ الْأَعْتَابِ فِي أَوَائِهَا وَالْأَرْطَابِ فِي أَرْمَائِهَا.
وَنَقُولُ إِذَا حَصَلَ لَنَا عَلَى التَّرْتِيبِ الْمُتَظَاهِرِ وَالتَّمثِيلِ الْمُتَنَاسِبِ تَقْرِيبًا وَاسْتِظْهَارًا مِنْ
عَدَدِ النَّاسِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ سِتَّةٌ وَتِسْعُونَ أَلْفَ أَلْفِ إِنْسَانٍ. ثُمَّ أَصَفْنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُمْ
فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ مِنْ [٦٦] الْمُسْتَحْجِرِينَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْأُبَلَّةِ وَكُورِ دِجْلَةَ
وَسَوَادِ الْأَهْوَازِ وَالنَّهْرَوَانَاتِ الزَّوَابِي وَسَقَى جَوْخَى وَكَثِيرٍ مِنْ أوديةِ الْفُرَاتِ،
اجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ تَقْرِيبًا مِائَةٌ وَاثْنَانِ وَتِسْعُونَ أَلْفَ أَلْفِ إِنْسَانٍ. ثُمَّ وَصَلَ بِنَا إِلَى إِيَّانِ
الْأَعْتَابِ فِي أَوْسَطِ أَوْقَاتِهَا وَأَعْدَلَ أَسْعَارَهَا، وَأَقْوَاتُ النَّاسِ مِنَ الْأَعْتَابِ بِمَقَادِيرِ
مُخْتَلِفَةٍ جِدًّا يَنْقُصُ وَيَزِيدُ، إِلَّا إِنِّي أَرَى أَنَّ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَالغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ يَتَكَافَتُونَ
فِي أَكْلِ الْأَعْتَابِ حَتَّى لَا يَتَعَدَّرُ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَرُوحَ فِي أَوَانِ كَثَرَتِهَا وَاعْتِدَالِ أَسْعَارِهَا
دُونَ أَكْلِهِ رَطْلًا مِنَ الْعِنَبِ الْعَامِّ.

ثُمَّ صَرَبْنَا بَعْضًا بِبَعْضٍ وَجَعَلْنَا قَدْرَ مَا يَأْكُلُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِنَ الْعِنَبِ رَطْلًا
وَاحِدًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، رَجَالًا وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا، فُقَرَاءً وَأَغْنِيَاءَ، فَكَانَ مَبْلَغَ ذَلِكَ
مِنْ أَرْطَالِ الْعِنَبِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِائَةٌ وَاثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ رَطْلٍ.

^١ الْقُنَيْطُ: أَغْلَظُ أَنْوَاعِ الْكَرْنَبِ، وَهُوَ الْقَرْنَيْطُ، بَلْغَةُ أَهْلِ مِصْرَ. انظُر: الزَّبِيدِي: تَاجُ الْعُرُوسِ، مَادَّةُ [ق ن ط] ج ٢٠، ص ٥٦.

^٢ السَّرْمَجُ: وَيُقَالُ لَهُ السَّرْمَقُ، وَهُوَ الْقَفْطَفُ: نَبَاتٌ رَخِصٌ عَرِيضٌ الْوَرَقُ يَطْبِخُ. انظُر: ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ: (ق ط ف) ج ٩، ص ٢٨٧.

^٣ الْإِسْفَانَاخُ: وَيُقَالُ: الْإِسْبَانَاخُ. وَالسَّبَانَاخُ بَلْغَةُ أَهْلِ مِصْرَ. انظُر: الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، ص ١٨.

فكان مبلغ ما اجتمع من هذه الأبطال على أقرب الأسماع المعتدلة في الأعتاب العامة، حساب إثني عشر رطلاً بديهم، ستة عشر ألف ألف درهم، وفي الشهر الواحد أزيح مائة وثمانين ألف ألف درهم. ٣

ثم استظهرنا بإسقاط الأطفال والأمراض ومن لا يأكل العنب بته، فسقط لهم من عدد الأبطال ستة آلاف ألف رطل، فحصل من بعد ذلك من عدد الأبطال تسعون ألف ألف رطل عنب. ٦

أفحسبت أيها المعتصم بالعدل المفرد بصحة العقل، أن في البعض من ساعات اليوم الواحد واللييلة الواحدة ما يتسع لمن ترى من قاطفي الأعتاب ومعيها ووزانها، فهم الذين تراهم وترى أن يصنعوا من ذلك بما لا يتقن به إلا من هو في حكم القياس أضعافهم عدداً. لكن الله نعماً ينعم بها ورحمةً يلطف بها مقدارها غير مقادير عقول المزيوين، وتذبير المدبرين، وهو الإقرار له بطوله فيها وقدرته على ما بسط علينا منها. ١٢

وستعترضك الشكوك فتستريب باليقين الباهر والبزهان المتظاهر، حتى إذا شئت ألا تنظر ياخذى عينيك، [٦٦ظ] وتسمع بالواحدة من أذنك، علمت أنك إذا رأيت خليفة الله، أمير المؤمنين وإمام المسلمين، قد حل بمحل من الأرض كحلولة بمدينة السلام، ومن أطاف بأمر المؤمنين من ولاية العهود والأمراء، وسائر الولد والوزراء، والمتلاحقين بهذه المراتب من الوجوه والرؤساء، وسائر أرباب السيوف، ووجوه الكتاب وكتائبهم، وخواص من هو لهم وبهم من أرباب النعم والتناء، ١٥
وأرباب الصياع الموسرين منهم، دون المقترين من أفانهم، ثم وجوه التجار، ١٨

٣ ومُلُوكِ الصَّيَارِفِ، وَالْبَرَازِينَ وَالْعَطَّارِينَ، وَأَزْبَابِ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ، وَأَهْلِ الصَّنَاعَاتِ الشَّرِيفَةِ، وَالْأَغْنِيَاءِ جَمِيعًا مِنَ الْجَمَاعَةِ دُونَ الْفُقَرَاءِ، وَالْمُوسِرِينَ دُونَ الْمَعْسِرِينَ، وَغَيْرِ الْمُتَجَمِّلِينَ الْمَسْتُورِينَ، وَمَنْ لَا يُشْبِعُ يَدَهُ بِغَيْرِ الْمَيْسُورِ مِنَ الْأَمْرِ وَالْقَصْدِ مِنَ الشَّانِ.

٦ وقد قُلْنَا إِنَّ عَدَدَ مَا بِيَعْدَادَ مِنَ الْمَنَازِلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ مَنَزِلٍ، فَاجْعَلِ الْآنَ حَاجِزًا بَيْنَ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ وَالْأَغْنِيَاءِ وَسَائِرِ الْوُجُوهِ وَالْكُبْرَاءِ مِنَ الْمُتَسَعِّينَ بِالنَّعْمِ، الْمُعْتَصِمِينَ بِالسَّعَةِ وَمَنْ هُوَ دَوْنَهُمْ مِنَ الضُّعْفَاءِ وَالْمُتَحَوِّلِينَ وَأَهْلِ الْقَنَاعَةِ وَالْمَسْتُورِينَ، لِتَحْسُنَ بِهِ ظُنُونَنَا وَيُتِمَّكَنُ عِيَارُهُ فِي أَوْهَامِنَا وَعُقُولِنَا، وَهُوَ أَنْ نَفْرَضَ لِكُلِّ عَشْرَةِ مَنَازِلَ مِنَ الطَّبَقَاتِ الصَّغِيرَاتِ مَنَزِلًا وَاحِدًا مِنَ الطَّبَقَاتِ الْعَالِيَاتِ. ٩ فَيَكُونُ عَدَدُ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْوَرَرَاءِ وَسَائِرِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْعُشْرَ مِنْ جَمَاعَةِ مَنَازِلِ النَّاسِ.

١٢ فَإِنْ آتَيْتَ دُونَ الَّذِي جَرَتْ عَادَتُكَ فِي الْإِسْرَافِ، وَأَقَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ حَاطِطَةِ الْإِضْعَافِ، وَانْتَحَلْتَ الْاسْتِظْهَارَ مِلَّةً وَدِينًا، وَمَكَّنْتَ لِنَفْسِكَ بِالظَّاهِرِ بَيْعِنَا، مَدَدْنَا بِذَلِكَ إِلَيْكَ يَدًا طَالَمَا نَاوَلْتَنَا الْبَعِيدَ وَسَهَّلْتَ لَدَيْكَ الْعَسِيرَ. وَجَعَلْنَا عِدَّةَ مَنَازِلِ الضُّعْفَاءِ وَالْحَاقِمِينَ وَأَهْلِ التَّجْمِيلِ وَالْمُقْتَصِدِ أَضْعَافِ أَضْعَافِ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ وَالْإِسْرَافِ. فَيَكُونُ إِذْ ذَاكَ عَدَدُ مَنَازِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ عِدَّةِ مَنَازِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ كِنِسْبَةِ شَيْءٍ إِلَى مِثْلِهِ عَشْرِينَ مَرَّةً، فَيَحْضُلُ لَنَا عَدَدٌ هُوَ نِصْفُ الْعُشْرِ مِنَ الْجَمِيعِ.

١٨ [٦٧] وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ عَدَدَ الْمَنَازِلِ بِيَعْدَادِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ مَنَزِلٍ، يَكُونُ نِصْفُ عَشْرِهَا سِتْمِائَةَ أَلْفِ مَنَزِلٍ.

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُنْفَقَ فِي الْأَعْيَادِ الْعِظَامِ وَالْأَفْضَلِ مِنَ الْأَيَّامِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، يَوْمَ
النَّخْرِ أَوْ يَوْمَ الْفِطْرِ فِي آوَانٍ مِنَ الزَّمَانِ لَا تَتَوَالَدُ فِيهِ الْأَغْنَامُ بِالْعِرَاقِ، بِحَيْثُ يَلَابِسُ
مَدِينَةَ السَّلَامِ إِلَّا غَرِيبًا خَاصًّا وَعَشِيرًا شَاذًا، كَشَهْرِ خُرْدَاذْمَاهُ، أَوْ شَهْرِ
مُرْدَاذْمَاهُ^١.

وَقَدْ امْتَنَعَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ مَائِدَةً وَاحِدَةً مِنَ الْمُقْسُومِينَ عَلَى أَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ
وَأَعْظَمِ الطَّبَقَاتِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَسَائِرِ الْوُجُوهِ وَالْأَغْنِيَاءِ خَلَوْا مِنْ جِدِّي
وَاحِدٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، الَّذِي قَلْنَا إِنَّهُ الْأَعْيَادُ الشَّرِيفَةُ وَالْأَيَّامُ السَّعِيدَةُ ظَنًّا
قَرِيبًا وَحُكْمًا مُصِيبًا. فَيَكُونُ إِذَا قَدَّرَ مَا يُبَاعُ فِي أَسْوَاقِ بَغْدَادَ مِنَ الْجِدَاءِ فِي الْفِطْرِ
أَوْ فِي النَّخْرِ سِتْمِائَةَ أَلْفِ جِدِّي.

أَفْظَنْتَ أَيُّهَا الْبَحَاثُ الْمُنْذَكَّرُ وَالنَّظَّارُ الْمُتَفَكِّرُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُلْطَفُ لِإِيجَادِ مَا شَاءَ
مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَعَلَى رُؤُوسِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ.

بَلْ لَا نَظْنَ أَنْ وَكَيْلًا مِنْ وَكَلَاءِ الْوِظَائِفِ وَأَمِينًا مِنْ أَمَنَاءِ الْمَطَايِخِ رَجَعَ
مُنْصَرَفًا مِنْ أَحْسَسِ الْأَسْوَاقِ وَمَا لَا يُتَأَسَّبُ مِنْهَا بَابُ الْكَرْخِ وَبَابُ الطَّاقِ فِي وَقْتِ
وَاحِدٍ مِنَ الزَّمَانِ وَسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ النَّهَارِ، فَاسْتَحَلَّ أَنْ يَقُولَ لِعَدَمِ الْجِدَاءِ الرُّضْعِ
بِبَغْدَادِ.

^١ خُرْدَاذْمَاهُ: الشهر الثالث من شهور السنة الفارسية، ويساوي شهر يونيو من السنة [الشمسية] الميلادية.
مُرْدَاذْمَاهُ: الشهر الخامس من شهور السنة الفارسية، ويساوي شهر أغسطس من الميلادية. وشهور السنة
الفارسية هي: أفرودين ماه، أرديهشت ماه، خرداذماه، تيرماه، مراداذ ماه، أرديهشت ماه، أبان ماه، آذر ماه،
دينه ماه، بهمن ماه، استفندار مذ ماه. انظر: المسعودي: مروج الذهب، ج ٢ ص ٢١٧.

وإني طلبتُ جدِّيَا رَضِيْعًا فَتَعَدَّرَ عَلَيَّ، وَاتَّمَسْتُ مَخَالِيفَ الدَّرَاجِ^١ فِي غَيْرِ أَوَانِهَا،
وَصِغَارِ الْفَرَارِيحِ^٢ فِي دُورِ إِبَانِهَا، وَالْقَبْجِ^٣ وَالشَّفَانِينَ^٤ وَالصَّلَاصِلَ^٥ وَالْوَارِشِينَ^٦
وَالسَّمَانَ وَالكَرَاجِيَّ^٧ وَالطَّيْهُوجَ^٨ وَالْقَمَارِيَّ^٩ وَالْعَصَافِيرَ وَالذَّبَاسِيَّ^{١٠}.

وَالغُرْبَانَ وَالْعُقْبَانَ أَوْ الثَّعَالِبَ وَالذَّنَابَ وَالضُّبَابَ وَالذَّبَابَ وَالْفَيْلَ وَالسَّمُورَ
وَالأَزْنَْبَ وَالْحَنْزِيرَ، وَمَا لَا يُحْصَى عَدْدُهُ وَلَا يُحْصَلُ مَدَدُهُ مِنْ أَنْوَاعِ مَا فِي الْبَرِّ،
وَعَرَائِبِ مَا فِي الْبَحْرِ مِنَ السَّلَاحِفِ وَالسَّرَطَانَاتِ^{١١} وَالسَّقَنْقُورِ^{١٢} وَالشُّورْمَاهِي^{١٣}،

^١ الدراج: طائر أرقط من طير العراق. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: درج] ج ٥، ص ٥٥٥.

^٢ الفرائح: لفظة فارسية معربة، وتعني أفراخ الدجاج. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ١٩٢.

^٣ القيج: مر ذكره ص ٣٣١.

^٤ الشفانين: ضرب من الحمام حسن الصوت تسميه العامة بمصر الياهم. الجاحظ: الحيوان، ج ٧، ص ٤٣-١٣٣.

^٥ الصلاصل: اسم من أسماء الحمام. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١٢، ص ٨٠.

^٦ الوارشين: نوع من الحمام. انظر: الجاحظ: الحيوان، ج ٧، ص ١٠٠-١١٢.

^٧ الكراكي: طائر أعبر طويل الساقين في قدر الإوزة. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا،

طبعة بيروت المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٥ م. ج ٢، ص ٦٩.

^٨ الطيهوج: طائر عنقه أحمر، ومنقاره ورجلاه حمر، مثل الحجل، وما تحت جناحيه أسود وأبيض. انظر: أبو

البقاء الدميري: حياة الحيوان الكبرى، بيروت، ٢٠٠٣ م. ج ٢، ص ١٤٠.

^٩ القماري: من الحمام. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ١٥٩.

^{١٠} الذباسي: نوع من الحمام. نفسه، نفس الجزء والصفحة.

^{١١} السرطانات: حيوانات بحرية من فصيلة القشريات تعرف بالسلطعون. ابن منظور: المصدر السابق، ج ٧،

٣١٤؛ المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٢٧.

^{١٢} السقنقور: هو الوزل المائي، حيوان بحري يغتذي بالسماك، يشبه الضب، مشهور بمصر، يستعمل في

الأدوية. الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج ٢، ص ٣٢-٣٣؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية ج ١١ ص ٥٧.

^{١٣} الشورماهي: نوع من السمك طيب اللحم كثير الدسم. القزويني: آثار البلاد، ص ٤٩٣.

والصير^١ والمارماهي^٢ والجرّي^٣ والزّامور^٤ وكلب الماء والجرّجور^٥.

وقد تعرّضنا من ذلك لما لا سبيل إلى إحصائه ولا حيلة لنا في [٦٧ظ] عدّه واستيفائه،
ومتى تظنّ أو ظننت أنّ عليلاً مات أو يموت بمدينة السلام يفقدان دواءً مغرّوف^٣
أو بحسرة غذاءٍ لطيفٍ أو كثيفٍ، فقد ظننت محالاً وأدزت في خلدك باطلاً.

وكذلك أيضًا لا يستطيع أحدٌ أن يقول إنَّ عليلاً أو صحيحاً تاق إلى الأظطابِ
في الثاني من الكوائين، وإلى الكمأة^٦ في الأوّل من التّشارين، وإلى الحلالِ^٧ في أيلول،
أيلول، وإلى البُسر^٨ في القمّر والطلّع في الحرّ، وإلى التّرجسِ في حُزيران، والقثاءِ
والخيارِ في آذار فيغدُر وجودُ ذلك عليه^٩.

^١ الصير: لفظة فارسية معربة. وهو نوع من صغار السمك يؤكل مملحا. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [ص ي ر] ج ١٢، ص ٣٧٣.

^٢ المارماهي: اسم فارسي لنوع من السمك يشبه الحيات، يعرف بالعربية باسم الجرّي. نفسه، مادة: [ص م ر] ج ١٢، ص ٣٤٧.

^٣ الجرّي: نوع من السمك يعرف باسم الجرث. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ١٩٣؛ ابن منظور: المصدر السابق، [مادة: ج ر ث] ج ٢، ص ١٢٨.

^٤ الزّامور: حوت صغير الجسم يستأنس ويتلذذ بأصوات الناس، وربما يقصد بها أسماك الدولفين. انظر: أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣ م، ص ١٣٧.

^٥ الجرّجور: اسم يطلق على الإبل العظيمة. انظر: الزبيدي: المصدر السابق، [مادة: ج ر ر] ج ١٠، ص ٤٠٢.

^٦ الكمأة: نبات يخرج من الأرض كما يخرج القطر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٤٨.

^٧ الحلال: البلح بلغة أهل البصرة. نفسه، [مادة: خ ل ل] ج ١١، ص ٢٢٠.

^٨ البُسر: البلح إذا اصفرّ لونه. ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج ١، ص ٥٣٧.

^٩ يستعمل أسماء الشهور السريانية، فالثاني من الكوائين هو كانون الثاني: شهر يناير، والتشارين: تشرين الأول: أكتوبر، وتشرين الثاني: نوفمبر، وأيلول: سبتمبر، وحزيران: يونيو، وآذار: شهر مارس.

أوعسآك ظننت أن وجود هذا هو شيءٌ للخاصّ دون العامّ، والغنيّ دون الفقير، والكبير دون الصّغير، وأن بلدًا لا يمتنع فيه وجود غذاء في كلّ زمانٍ، وكلّ دواءٍ في كلّ إبانٍ، يجمع لك الأنواع مع تفرّق أوقات الزّمان حتى يُناسب بين المتضادات في أزمانها، ويؤلّف بين المتنافيات في إبانها، كبلدٍ عزيز الشّان عند الله، عظيم النّصيب من لطف الله.

زعم لنا جامع بن وهب، وهو أحدُ وجوه المُجهّزين من الصّيادلة، أن قدر ما كان فُقد بمدينة السّلام من أنواع الصّيدلة بما كان يأتي من نواحي البحر، خاصّة البصرة، وانقطع سبيلها ألف نوعٍ وأربعائة نوعٍ وثلاثة وسبعون نوعًا معدودةً مُحصّلةً مبيّنةً مُفصّلةً.

قال: فقلنا: ذلك مع أنواع العطر؟ فقال: نعم، مع بعض أنواع العطر. فلما رأى تعجّبنا من ذلك واستفظاعنا له التفت إلينا فقال: من يذكر منكم أنه ابتاع أسًا^١ رطبًا في مُدّة حياته؟! فقلنا جميعًا بلسان واحد: ما نذكر ذلك. فقال: فاعلموا أنه يُباع في دار البطيخ في كلّ يومٍ من أيّام الشّتاء والصّيف من الأس الرّطب بخمسة وعشرين ألف دزهم، يكوّن قدر ذلك في الشّهر الواحد ورقًا سبعمائة ألف وخمسين ألف دزهم، وفي العام الواحد تسعة آلاف ألف. فإذا كانت هذه في الأس بها وخذها، فما ظنك بغيره من سائر الأجناس؟ ثمّ [٦٨] رجّع بنا النّظر بعد ذكر الدّواء والغذاء إلى شبيهه بما كنّا فيه من ذكر الجداء، وقلنا: إنّا إذا كنّا قد فرضنا لكلّ مائدةٍ جدّيًا، فوصلنا من عدد الجداء إلى ما ذكرنا، وهو ستمائة ألف جدّي في يومٍ واحد.

^١ الأس: البلع. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [آي س] ج ١٥، ص ٤٢٧.

- فَلتَفَرِّصَ الآنَ اسْتَظْهَارًا لِكُلِّ ذِي مَائِدَةٍ جِذِيٍّ وَأَرْبَعَةَ دَجَاجَاتٍ وَأَرْبَعَةَ فِرَاحٍ.
 فَيَكُونُ عَدَدُ الدَّجَاجِ وَالْفِرَاحِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنْ أَيَّامِ الْأَعْيَادِ الْعِظَامِ أَرْبَعَةَ
 ٣ آَلَفَ أَلْفٍ وَثَمَانِئَةِ [ألف] فَرِيحٍ وَدَجَاجَةٍ. يَكُونُ ثَمَنُ كُلِّ دَجَاجَةٍ اسْتَظْهَارًا دِرْهَمًا
 وَاحِدًا، وَثَمَنُ الْفَرِيحَيْنِ دِرْهَمًا وَاحِدًا، فَيَكُونُ ثَمَنُ الْجَمِيعِ مِنَ الدَّجَاجِ وَالْفِرَاحِ فِي الْيَوْمِ
 الْوَاحِدِ أَيْضًا ثَلَاثَةَ آَلَفِ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.
- ٦ وَقَدْ وَجَدْتَنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ حَلِيفَ اسْتَظْهَارٍ فِيهَا اذَّعَيْتُ وَمُسَاحِمًا لَكَ فِي اعْتِبَارِ
 مَا نَحَوْتُ. فَظَنَّ إِنْ شِئْتَ مُكْذِبًا لِلْعَيَانِ وَطَاعِنًا عَلَى فُضُولِ الْبُرْهَانِ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي
 ذَكَرْنَا وَقُمْنَا بِحَقِّهِ وَفَضَّلْنَاهُ هُوَ بِخِلَافِ مَا أَصَلَّنَاهُ، فَاعْقِدِ الْآنَ مِنْ جُمْلِ ذَلِكَ عَلَى
 ٩ انْتِصَافِهَا وَأَثْلَاثِهَا وَأَرْبَاعِهَا أَوْ أَسَدَاسِهَا.
- أَفْحَسِبْتَ أَنَّكَ اعْتَقَدْتَ مِنْ سِتِّينَ أَلْفِ حَمَامٍ عَلَى عَشْرَةِ آَلَفِ حَمَامٍ، لِيُعْقَدَ مِنْ
 سِتِّمِائَةِ أَلْفِ جِذِيٍّ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ جِذِيٍّ، وَمَنْ كَذَا عَلَى كَذَا، أَنَّ الْبَاقِي بَعْدَ ذَلِكَ لَا
 ١٢ تَرَاهُ عَجِبًا عَجِيبًا وَشَأْنًا غَرِيبًا فَكَيْفَ وَالْأَمْرُ فِي الْأَصُولِ كَمَا نَقُولُ بِكُلِّ بُرْهَانٍ
 وَبِكُلِّ دَلِيلٍ.
- وَسَنَذْهَبُ فِي نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّكَ وَالْحَقُّ لَتَشْهَدُ أَنَّكَ لَتَرَى فِي ظَاهِرِ
 ١٥ الْعَيَانِ وَعَلَى حُكْمِ الْأَيَّامِ وَالزَّمَانِ أَنَّ وَكَيْلًا مِنْ وَكَلَاءِ الْوِطَائِفِ، لَوْ اعْتَرَضَ جَمِيعُ
 مَا فِي بَابِ الطَّاقِ وَسُوقِ بَابِ الْكَرْخِ وَسَائِرِ الْأَسْوَاقِ فِي عِدَاةٍ مِنَ الْعَدَوَاتِ
 مَعْتَرِضًا بَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لِابْتِنَاعِ جَمِيعِ مَا فِيهَا، وَلَمَّا تَرَكَهَا مَذْبُوحًا بَرِيًّا وَلَا
 ١٨ حَيَوَانًا بَحْرِيًّا، كَمَا لَا يَدْعُ فِيهَا تَفَاحًا وَلَا رِيحَانًا وَلَا أَتْرَجًا وَلَا رُمَّانًا.

- وإذا شئت مع ذلك من القول أن تعلم الحق عليك وتتناول الصدق إليك،
 فأطف للإشراف [٦٨ظ] على مطابخ الملك الأعظم وعلى ما استودعت من ذلك
 ٣ مجالسه ومواضع موافده، فإنك تُعانيها مشحونة بما لا تصل إلى معاينة مثله في
 الأسواق ولا كصغير ما هنالك بباب الكرخ والطاق.
- فإن أنت أمددت الحق حقاً وأضفت إلى الصدق صدقاً، وجمعت بين ما تراه في
 ٦ مساكن الملك الأعظم ببغداد وبين ما في منازل البطانة وسائر الأهل والولد
 والحشم وولادة العهود والوزراء وكبار الأمراء وسائر الوجوه والرؤساء وكبار
 التجار والأغنياء دون المقتصدين والفقراء، وصلت من معاينة ما ترى أن مادته إنما
 ٩ هي من باب الكرخ والطاق وسائر الشوارع والأسواق في اليوم الواحد ما لا سبيل
 إلى معاينة مثله في باب الطاق ولا في شارع وزقاق، وأرى أن الظلم جميعاً مجموع في
 ذلك، يدفعك من ذلك ما لا يندفع وفي منعك منه ما لا تمتنع.
- ١٢ وسأريك بعين عقلك مثلاً عجيباً: أنت تعبد الله بتكذيبه لولا امتحانه، وأسرع
 مما هو أعجب مما تعجبت منه، وستدين الله بالتحود به، لولا برهانه وبيانه.
- فإنما متى دعوناك إلى الإقرار بجملته تتباعد عن الإذراك والمعقول، وتنسب في
 ١٥ الظاهر إلى التمويه والأباطيل فما استبشعته ثم استيقنته هو الحكم فيما استبعدته.
- والدليل على ذلك إذا وجدت بيوت الشطرنج أربعة وستين بيتاً. ثم جعلت في أول
 بيت منها حبة من الحنطة، وفي الثاني حبتين، وأضعفت ذلك على نظام التصاعيف
 ١٨ حتى تأتي على آخرها بيتاً.

أُكُنْتُ مُسْتَدْرَكًا ظَنًّا وَتَرْجِيحًا وَحَزْرًا وَتَوْهِيماً فِي ظَاهِرِ الْحَسِّ وَبَاطِنِ النَّفْسِ
أَنَّ الْمُجْتَمِعَ لَكَ مِنْ تَضَاعِيفِ الْحَبَّةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْحِنْطَةِ فِي آيَاتِ الشُّطْرُنَجِ يَكُونُ
٣ إِلَّا قَفِيزًا^١ أَوْ كِبْغُضِ الْقَفِيزِ الْوَاحِدِ؟.

فَإِنْ ظَنَنْتَ الْآنَ أَنَّ الْمُجْتَمِعَ لَكَ مِنْ عَدَدِ الْحَبِّ فِي ظَاهِرِ الْحَسِّ ظَنًّا وَتَرْجِيحًا
هُوَ قَفِيزٌ أَوْ عَشْرَةٌ أَقْفِيزَةٌ، فَظَنُّهُ أَكْثَرُ، وَإِنْ ظَنَنْتَهُ كُرًّا^٢ أَوْ كُرَيْنٍ أَوْ عَشْرَةَ أَكْرَارٍ أَوْ
٦ عَشْرِينَ [٦٩] كُرًّا فَظَنُّهُ أَكْثَرُ، وَإِنْ ظَنَنْتَهُ مِائَةً كُرًّا أَوْ خَمْسَمِائَةَ كُرًّا فَظَنُّهُ أَكْثَرُ،
وَإِنْ ظَنَنْتَهُ أَلْفَ كُرٍّ فَهُوَ أَكْثَرُ، وَإِنْ تَوَهَّمْتَهُ عَشْرَةَ أَلْفِ كُرٍّ فَهُوَ أَكْثَرُ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُ
مِائَةُ أَلْفِ كُرٍّ أَوْ مِائَتَا أَلْفِ كُرٍّ فَهُوَ أَكْثَرُ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُ مِائَتَا أَلْفِ أَلْفِ كُرٍّ كَانَ
٩ أَكْثَرُ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ أَلْفِ كُرٍّ كَانَ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، حَتَّى تَصِلَ
مِنْ أَعْدَادِ الْحِنْطَةِ إِلَى عَدَدِهِ هُوَ فِي ظَاهِرِ الْحُكْمِ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْعِلْمِ لَوْ عَدِمَ
الْبُرْهَانَ عَلَيْهِ لَأَسْتَحَقَّ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الرَّجْمَ.

١٢ أَفَلَيْسَ إِذَا دَلَلْنَا عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ وَفَصَّلْنَاهُ وَأَشْرْنَا إِلَى اسْتِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ وَحَصَلْنَاهُ،
كَانَ الْحُكْمُ فِيهَا دَعْوَانًا إِلَى تَصْدِيقِهِ وَأَشْرْنَا إِلَى تَحْقِيقِهِ فِي أَمْرِ بَغْدَادَ، فَاسْتَضَعَبَ عَلَيْكَ
عِيَارُهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا ذَكَرْنَا كَانَ حَقًّا.

^١ من المكاييل التي تفاوت الناس في تقديرها، لاختلاف الاصطلاح فيها، وقد ذكر الأزهرى، وابن الأثير،
وابن منظور: أن القفيز يسع ثمانية مكاييل، وهذا يوافق تقدير الشافعية أن القفيز: يساوي ١٢ صاعا، وعليه
فإن وزن القفيز عند الشافعية، وعند جمهور الفقهاء عدا المالكية = ٢٤,٤٨٠ كيلو جرام. انظر: علي جمعة:
المكاييل والموازين الشرعية، ص ٣٩-٤٠.

^٢ الكُرُّ: مكيال لأهل العراق، والكر = ٧٢٠ صاعا، وهو عند الأحناف = ٢٣٤٠ كيلو جرام، وعند الجمهور =
١٤٦٨,٨ كيلو جرام. نفسه: ص ٤٢.

والدليل على ذلك أن حبةً من حنطة إذا جُعِلَتْ في بيتٍ من بيوت الشطرنج،
ثم أضعفت ذلك إلى آخرها بيتًا، أن المجتمع من ذلك - الحب الحنطة - شيءٌ يفِي
٢ بقوت ستين ألف إنسانٍ لحمسين ألف سنةٍ إذا كان المبتاع منه في كل يومٍ
دائمًا بخمسمائة ألف دينار بأعدل الأسعار وأقربها من الرخص، وهو حساب
الكر بثلاثين دينارًا، ويكون تقدير ما يفرق في كل يومٍ من الحنطة من جملة ما يجتمع
٦ من الحب ألف ألف قفيز، وهو ستة عشر ألف كُرُّ بالمعدل، وستائة وستون كُرًّا
وأربعون قفيزًا.

ونظرنا في جملة ما ارتفع به العدد من تضاعيف آيات الشطرنج من الحب
٩ فوجدنا مبلغه ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف وأربعمائة وستة وأربعين
ألف ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربعة وأربعين ألف ألف ألف وثلاثة
وسبعين ألف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف وتسعة ألف ألف وخمسمائة وواحدًا
١٢ وخمسين ألفًا وستمائة وخمسة عشر حبةً.

ثم أردنا أن نعلم كَيْلَ هذا العدد من حب الحنطة بالكر المعدل كَيْلَ مدينة
السلام. فقلنا [٦٩٦] إن تقدير وزن القفيز الواحد من الحنطة، وهو مائة وعشرون
١٥ رطلًا، ووزن الرطل مائة وثمانية وعشرون ذرهماً وأربعة أسباعٍ ذرهماً، وهو
تسعون مثقالًا.

فعملنا على أن وزن الدرهم الواحد من الحب القجل الممتلئ ثلاث وستون
١٨ حبةً استظهارًا، ووزن المثقال درهمٍ وثلاثة أسباعٍ ذرهماً، فيكون وزنه من الحب

تسعين حبة، والرطل تسعون مثقالاً، فضربنا تسعين في تسعين، فكان مبلغه ثمانية آلاف ومائة حبة، وهو وزن الرطل الواحد.

٣ ثم ضربنا ذلك في عدد الأبطال التي هي وزن القفيز، وهو مائة وعشرون رطلاً، فكان مبلغ ذلك تسعمائة ألف واثنين وسبعين ألفاً، وهو عدد مبلغ ما يكون في القفيز الواحد من الحنطة. فجبنا ذلك وجعلناه ألف ألف حبة استظهاراً أو تقريباً. ٦

ثم ضربنا ذلك في عدد قفيزان الكُرِّ، وهو ستون قفيزاً. فكان مبلغ ذلك ستين ألف ألف حبة وهو مبلغ كيل الكُرِّ الواحد. ثم ضربنا ذلك في ألف فكان مبلغه ستين ألف ألف ألف ومبلغ كيله ألف كُرِّ. ثم ضربنا ذلك أيضاً في ألف فكان مبلغه ستين ألف ألف ألف ألف، ومبلغ كيله ألف ألف ألف كُرِّ.

١٢ ثم ضربنا ذلك في ثلاثمائة، فكان مبلغه ما قدمنا ذكره، وهو مبلغ ما ارتفع به العدد من جملة حساب تصاعيف الشطرنج بالأمر المشهور عند أرباب الحساب.

فبلغ ذلك بالكُرِّ المعدل ثلاثمائة ألف ألف كُرِّ، وما زاد على ذلك - وهو أقل من عشر رُبع الجملة التي هي ثلاثمائة ألف ألف كُرِّ دون الذي هو سبعة آلاف ألف ألف كُرِّ وما زاد. ١٥

ثم قومنا الكُرِّ بأعدل القيم ثلاثين ديناراً، فكان مبلغ ذلك تسعة آلاف ألف ألف دينار. فمن هاهنا قلنا إن الله ﷻ لو خلق هذا المقدار من الحنطة دفعة، وجعل الدنيا باقية بأهلها خمسين ألف سنة. ثم بيعت [٧٠] الحنطة بسعر الزمان الذي فرضناه في كل يوم بخمسمائة دينار يبعاً دائماً متتابعاً على اتصال الأيام ١٨

والشهور والسنين، أن ذلك لم يكن يستغرق بيع جميع ما اجتمع من تصاعيف حبات الحنطة إلا في خمسين ألف سنة.

والدليل على بيان ذلك أن السنة ثلاثمائة وستون يوماً. فإذا ضربناها في خمسين ألف سنة كان مبلغها ثمانية عشر ألف ألف يوم، وهو مبلغ أيام خمسين ألف سنة. ثم أردنا أن نضرب عدد هذه الأيام التي هي ثمانية عشر ألف ألف يوم في الخمسمائة دينار التي ذكرنا البيع بها في كل يوم. فبسطنا ضربها ليكون أظهر عند السامعين ف ضربناها في خمسة أصلاً، فكان مبلغه تسعين ألف ألف. ثم ضربنا ذلك في مائة فكان مبلغه تسعة آلاف ألف ألف. ثم ضربنا ذلك في ألف فكان مبلغه تسعة آلاف ألف ألف ألف. فهو مبلغ ما ذكرنا من جملة ثمن ما اجتمع لنا من تصاعيف حبات الحنطة بالسعر المفروض، وهو ثلاثمائة ألف ألف ألف كُر غير ما اشقطنا من الزيادة، وهو سبعة آلاف ألف ألف كُر وما زاد.

فإن الذي بلغك [من] الإقرار بأن الحبة الواحدة من الحنطة تبلغ بتضاعيفها في أعداد بيوت الشطرنج حتى يكون مبلغها ثلاثمائة ألف ألف ألف كُر وسبعة آلاف ألف ألف وما زاد.

وإنها قوت لستين ألف ألف إنسان خمسين ألف سنة بعد الإنكار، هو الذي يُبلغك الإقرار بغرائب بغداد وبدائع مدينة السلام. وإنما تجشمتنا ذكر ذلك لتعلموا أن كثيراً من الأمور تستبعد في الظنون وتستنكر في الأوهام والعقول لولا الاعتداء بأصولها والابتكالم على تفصيلها^(*).

(*) إلى هنا ينتهي ما استخرجه ابن الفقيه من كتاب فضائل بغداد ليزجرد الكسروي.

وقال أبو بكر بن عيَّاش وذكر بغداداً: هي اليوم مضرُّ العرب. وكان بغضهم يقول: بغدادُ دارُ دُنْيَا وآخرَةٍ.

وتقدير الجوالي ببغدادَ مائة ألفٍ وثلاثون ألفاً. وتقدير الأرحاء والأسواق ٣

[٧٠ظ] ودور الصَّربِ في كلِّ سنةٍ من الورق ألف ألفٍ وخمسمائة ألفٍ درهمٍ.

قال: ومن عجائب بغدادَ الدَّارِشُ^١ واللِّكَّاءُ^٢ فالدَّارِشُ يُتَّخَذُ من جانبِ

واللِّكَّاءُ من جانبِ فمتى عدلَ بأحدهما عن جانبه الذي يعملُ فيه، لم يكن منه شيءٌ ٦

فقد امتحنَ هذا غيرَ مرَّةٍ فما استوى إلا في الموضع الذي رُسِمَ فيه، وإنَّ في هذا لعبرةٌ وأعجوبةٌ فتبارك اللهُ ربُّ العالمينَ.

^١ الدارِش: لفظة معربة عن الفارسية: وتعني الجلد الأسود. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: درش]

ج ٢، ص ٣٨٢-٣٨٤.

^٢ اللِّكَّاء: فارسي معرب، صنع أحمر تصبغ به الجلود التي يقال لها اللِّكُّ. نفسه، [مادة: ل ك ك] ج ١٠،

ص ٤٨٤.

ما ذُكر في ذمِّ بغداد وكرَاهةِ نزولِها

٢ وقد كره قومٌ من العلماءِ السُّكنى ببغدادَ والمقامَ بها وعابوها، وذكرُوا أنَّها دارٌ
فَتِنَةٌ لكثرةِ ما فيها من الفَسَادِ ومن أنواعِ الفُجُورِ وشُرْبِ الخُمُورِ والزَّناءِ وكثرةِ
الرِّبَا.

٦ وَرَوَى أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ^١ قَالَ: كُنْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^٢ عَلَى قَنْطَرَةِ قُطْرُبَلٍ
فَقَالَ: مَا يُدْعَى هَذَا النَّهْرُ؟ قُلْتُ: دِجْلَةٌ. قَالَ: هَذَا؟ قُلْتُ: دُجَيْلٌ. قَالَ: فَهَذَا؟ قُلْتُ:
الصَّرَاةُ. قَالَ: فَهَذَا النَّخْلُ؟ قُلْتُ: قُطْرُبَلٌ. فَرَكِبَ فَرَسَهُ ثُمَّ أَسْرَعَ حَتَّى خَرَجَ عَنِ
القَنْطَرَةِ؛ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ^٣: «تُبْنَى مَدِينَةٌ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالدُّجَيْلِ

^١ عبد الرحمن بن مَثَل بن عمرو بن عدي البصري، أبو عثمان النهدي، الإمام الحجة شيخ الوقت، أسلم في عهد
الرسول ﷺ ولكنه لم يلقه، يعد من كبار التابعين، توفي سنة ٧٩٥هـ/٧١٤م. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى:
ج ٧، ص ٩٧-٩٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤٥٩.

^٢ جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، صحابي، أسلم في العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، نزل قرقيسيا وتوفي
بها سنة ٦٧١هـ/٥٥١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٢؛ ابن عبد البر
القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٩.

^٣ أورد الخطيب البغدادي هذا الحديث بسنده إلى أبي عثمان النهدي، ونصه: «تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة، تحبى إليها خزائن الأرض، وجبايرتها، هي أسرع ذهابا في الأرض من الوند الحديد في
الأرض الرخوة». وقد بين أوجه لعله الحديث المذكور، وقال: ليس لهذا الحديث أصل. وصالح بن بيان
ضعيف، وممام بن مسلم مجهول. انظر: تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٣٦-٣٣٣؛ قارن: نص الحديث لدى
المقدسني: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٠.

وَقُطْرَيْلَ وَالصَّرَاةَ، تُجْبَى إِلَيْهَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ، يَنْزِلُهَا الْجَبَّارُونَ يُخَسِّفُ بِهَا فُلْهِي
أَسْرَعُ ذَهَابًا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْوَتْدِ الْحَدِيدِ فِي الْأَرْضِ الرَّخْوَةِ».

٣ وقال أبو العالية^١: يَكُونُ خَلِيفَةُ يَمْلِكُ عَشْرِينَ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا. ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَنْ

هَلَكَةِ الْعَرَبِ، تُبْنَى مَدِينَةٌ بَيْنَ قَرْيَةِ الْخُبَّرِ وَدِجْلَةَ، وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مُشِيدَةٍ: شَرْقِيٌّ
وَعَرَبِيٌّ وَعِرَاقِيٌّ وَشَامِيٌّ. يَظْهَرُ فِيهَا الْفِسْقُ يُخَسِّفُ بِهَا، وَلِبْنِي حَامٍ^٢ عَلَيْكُمْ نَزْوَةٌ،

٦ يَحَارِبُونَكُمْ حَرْبَ الْإِسْتِصَالِ. وَلِبْنِي قَنْطُورًا^٣ نَزْوَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ لَا تَسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ.

وَكَانَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ^٤ يَقُولُ: مَا أُسِّسَتْ بَغْدَادُ إِلَّا عَلَى الْبَلَاءِ: مَرَّةً حَرْقًا، وَمَرَّةً

٩ عَرَقًا، وَمَرَّةً فِتْنًا.

^١ رفيع بن مهران الرياحي البصري، أبو العالية الرياحي، الإمام، الثقة، المقرئ، المفسر، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق، رضى الله عنه، وهو أول من أذن بها وراء النهر، توفي سنة ٧١٢/٥٩٣. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد، المصدر السابق، ج ٧، ص ١١٢-١١٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج ٣، ص ٣٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٠٧.

^٢ نسبة إلى حام بن نوح أبو السودان، والعقب من حام في كوش وكنعان ويصير بني حام. وتفصيل أنسابهم في المشجرات. الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٢، ص ٣٩.

^٣ بنوقطورا: هم الترك والصين، وقنطورا اسم أهمهم. ويقال أنها كانت جارية لإبراهيم عليه السلام. ابن منظور: لسان العرب ج ٥ ص ١١٩.

^٤ بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، أبو نصر، المعروف بالحافي، من كبار الصالحين، أحد الثقات الزهاد الورعين، من أهل بغداد أصله من مرو، توفي سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حبان: الثقات، ج ٨، ص ١٤٣؛ الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج ٤، ص ٢٢٠٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٥٤٥.

وقال الهذيل بن بلال^١ عن عطاء^٢ قال: خرَجَ أميرُ المؤمنينَ عليَّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [٧١١] مُتَوَجِّهًا إِلَى الشَّامِ. فَنَزَلَ بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: قَطْرُبُلُّ، ذَاتِ نَخْلِ وَبَسَاتِينَ. فَسَأَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا فَقَالَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قَالَ: قَطْرُبُلُّ.

فقال عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: ازْحَلُوا، وَسَارَ عَنْهَا فَرَعَا حَتَّى نَزَلَ السَّيْلِحِينَ^٣ وقال لِأَصْحَابِهِ: ضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَأَمْتِعَتَكُمْ، فَقَدْ نَجَوْتُمْ مِنَ الْبَلَاءِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْهَا فَقَالَ: يَا لَهَا مِنْ قَرْيَةٍ مَا يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهَا وَعَلَى مَا يَقْتَرِفُونَ.

ثُمَّ حَانَتْ مِنْهُ نَظْرَةٌ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا تَلٌّ عَظِيمٌ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ، لَتَكُونَنَّ تَحْتَ هَذَا التَّلِّ وَقَعَّةٌ صَيْلَمَةٌ^٤ يُحَدِّثُ عَنْهَا كُلُّ نَاجٍ مِنَ الْقَتْلِ، آيَةُ ذَلِكَ إِذَا شُقِقَتْ فِيهَا الْأَنْهَارُ وَبُنِيَتِ الْقُصُورُ وَشِيدَتِ الدُّورُ وَكُتِرَ الْفُجُورُ وَلَمْ يَتَنَاهَى أَهْلُهَا عَنْ مُنْكَرٍ، فَهُنَالِكَ تَحِلُّ بِهِمِ الْبَلِيَّةُ لَمَّا ارْتَكَبُوا مِنَ الْخَطِيئَةِ.

^١ الهذيل بن بلال الفزاري المدائني، أبو البهلول. كان ضعيفاً متروك الحديث. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣٢٠؛ طبقات خليفة بن خياط، ٦٠٦؛ ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء، ج ٣، ص ٩٥؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ١٨، ص ٣٩٧؛ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج ١٦، ص ١١٨.

^٢ عطاء بن السائب الثقفي الكوفي، أبو زيد، من الثقات الصالحين، وقد بقي عدلاً رغم أنه خلط في آخر عمره، ولم يخرج به تخليطه عن العدالة. توفي سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٣٨؛ ابن حبان: الثقات، ج ٧، ص ٢٥١.

^٣ قرية قرب نهر عيسى ببغداد، سُميت بذلك لوجود مسالح لكسرى بها. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩٩.

^٤ صيلمة: أي مستأصلة مييدة، واصطلم القوم إذا أيدوا عن بكرة أبيهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: (ص ل م) ج ١٢، ص ٣٤٠.

وقال أبو صالح الباهلي^١: قال لي شيخ من أهل الكتاب في أيام مروان بن محمد: هذا أوان ذهاب ملك بني أمية. قلت: وما آية ذلك؟ قال: تظهر رايات سود^٢ من خراسان فتطوي ملك بني أمية طياً^٣.

فلم يلبث إلا قليلاً حتى ظهر أبو مسلم، وكان من أمره وأخذ الدولة ما كان. ثم لقيت ذلك الرجل في وسط أيام أبي مسلم فقلت: قد صح ما قلت، فأين تكون دار المملكة؟ قال: أرض يقال لها بغداد، تجسر بها الجسور ويكثر أهلها وتجتمع إليها الأموال.

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة فقال في خطبته: يا أهل الكوفة، أتم اليوم بخير، فكيف بكم إذا حشرتم [في] ذات نخل وكرم، يجتمع إليها كل بر وفاجر؟ فقال: بغداد باغية طاغية، بل بناها رجل من ولد العباس يقال له عبد الله، رخص الشعر^٤، تكون خلافته زماناً. ثم ذكر فيها أشياء. ثم قال: ويخرج رجل لو شئت لأبأتكم باسمه واسم أبيه، فإذا خرج ذلك الرجل قتل لبني العباس: فليحرقوا بوادي القرى كما كانوا قديماً.

^(٢) في الأصل: السود.

^١ درهم الباهلي البصري، ولم أقف على سنة وفاته. وابنه صالح من ثقات المحدثين. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٢٧٨؛ الذهبي: المقتضى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، المدينة المنورة، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٨٤.

^٢ أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال: (يخرج رايات سود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بيلياء) حديث رقم ٨٨٩٦.

^٣ رخص الشعر إذا سهل وتيسر. والمعنى أن أبا جعفر كان يقول الشعر بالسليقة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: [رخ ص] ج ٧، ص ٢٧٣.

وقال إسماعیل بن إبراهيم عن إبراهيم بن بشير^١، قال: أنصرفتُ من بغضِ الصَّوائِفِ تُريدُ البَصْرَةَ، فلَمَّا صرنا [٧١٧ظ] إلى موضعِ بَغْدَادَ، وليسَ هناكِ إِلَّا نخلٌ وقرىٌ وديَرٌ في موضعِ العتيقة^٢ وآخرُ يقابلُهُ من موضعِ الدَّعَاجِةِ، والباقي صخرٌ، وهناكِ رَاهِبٌ في صومعةٍ، فدنوتُ منه وحادثتهُ ساعةً.

ثمَّ قلتُ له: يا رَاهِبُ، ما أرى لك هَاهُنَا زَرْعًا ولا ضَرْعًا. فضحك ثمَّ قال: أخبرني أبي عن جدِّي - وكان عالمًا بالكُتُبِ القَدِيمَةِ - أنَّ مُلِكَ بَنِي أُمَيَّةَ زَائِلٌ عنهم بِرَجُلٍ يُخْرِجُ من خُرَاسَانَ، مَجْهُولُ النَّسَبِ معه خَلْقٌ قد سَوَّدُوا ثيابَهُم.

فإذا أزالوا سُلْطَانَ بَنِي أُمَيَّةَ دَفَعُوا المُلْكَ إلى رَجُلٍ من بني العباسِ، فيملكه عِدَدَ سِنِينَ، ثمَّ يهلكُ ويقومُ أخوهُ مكانه، فيبني هَاهُنَا مَدِينَةً لا يكونُ على الأَرْضِ مثلها في كَثْرَةِ الأَمْوَالِ والنَّاسِ والأسواقِ.

فَضَحِكْتُ تَعَجُّبًا منه فقال: لا تضحكُ فَإِنَّ عَمَّرَ رَأَيْتَ. فما مَثُ حتى رأيتُ ما قاله لي.

^١ إسماعیل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي الكوفي، أبو بشر، ويعرف بابن علية سكن البصرة، أحد المتكلمين، وكان ثقة ثبتا في الحديث، تولى صدقات البصرة، كما تولى المظالم ببغداد في آخر خلافة هارون الرشيد، وتوفي بها سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣٢٥؛ وكيع: أخبار القضاة، ج ٢، ص ٦٦-٦٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ١٩٦.

^٢ إبراهيم بن بشير الأزدي، متروك الحديث وضعفه رجال الحديث، لم أقف على سنة وفاته، له ذكر عند ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٢، ص ٩٠.

^٣ راجع فيما تقدم، ص ٢٤٣.

^٤ رحبة بالبصرة: وتعرف برحبة دعلج، أي رحبة بني هاشم. انظر فيما تقدم ص ٢٧٣-٢٧٧؛ وقارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ٤٩٣.

وقال العُتَيْبِيُّ^١: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: اجْتَزَتْ فِي بَعْضِ سُورِعِ بَغْدَادَ يَوْمًا فِي السَّحْرِ وَقَدْ اشْتَبَكَتْ أَصْوَاتُ الْمُؤَذِّنِينَ، فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ وَحَدَّثْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي وَيَقُولُ: مَا الَّذِي يُعْجِبُكَ فِي مَدِينَةِ فَجَرَ اللَّيْلَةَ فِيهَا سَبْعُونَ أَلْفًا، وَافْتَضَّ مِنْ ذَلِكَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَرَجَّ حَرَامٍ.

وقال إبراهيم بن عيينة^٢: كنت مع قيس بن الربيع^٣ ببغداد، فلما انتهينا إلى باب البصرة وجزنا القنطرة قال: هذا المكان الذي يُحَسِّفُ به، وهو ناحية دور الصحابة وما إلى ذلك^٤. وكان الفضيل بن عياض^٥ إذا ذُكِرَتْ عنده بغداد قال: أمَّا أسواقها فكافرة، وأمَّا مساجدها فلا عنة.

^١ أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية العتيبي البصري، أديب، حسن الشعر، راوية للأخبار، له تصانيف، توفي بالبصرة سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٣٨؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٣١٤-٣١٦؛ النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٧٧-٣٧٨؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٥٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٥٦٢-٥٦٤.

^٢ إبراهيم بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، أبو إسحاق، أخو سفيان بن عيينة، محدث وإمام خير. توفي سنة ١٩٩هـ/٨١٥م. انظر ترجمته في: البخاري: التاريخ الكبير، ج ١، ص ٣١٠؛ ابن حاتم: الجرح والتعديل، ج ٢، ص ١١٨؛ ابن حبان: الثقات، ج ٨، ص ٥٩-٦٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٧٥.

^٣ قيس بن الربيع الأسدي، أبو محمد الكوفي، صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. توفي بالكوفة في آخر خلافة المهدي سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٧٧؛ طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٨٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٦٩-٤٧٠.

^٤ نسب الخطيب البغدادي هذا الخبر إلى سفيان بن عيينة. قارن: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٤٢.

^٥ الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني، كان ثقة نبيلًا فاضلاً عابدًا ورعًا كبير الحديث، توفي في خلافة هارون الرشيد سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٠٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٢١-٤٤١.

وقال بشر بن الحارث: جاء أبو جعفر إلى هذه البلدة فخطب عليها. وجاء بآبائنا فأسكنهم فيها، وكانوا لا يعملون. ثم نشأ الأبناء فسألوا وفتشوا ودققوا النظر.

ثم أقاموا فصار مثلهم كمثل الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]

وإن أراد ربك أن يُغْرِقَهُمْ فما يَضِيعُ. أما سمعت بقوله [تعالى]: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وقال بشر: [٧٢] والله، للخروج منها على جهد أحب إلي من المقام فيها على حُسن حال.

وقال الفضيل بن عياض: لا تكوننَّ ببغداد مؤذناً.

وقال بشر: ودعت عيسى بن يونس^١ فقال لي: يا بشر، إلى أين تنتقل، إلى تلك القرية السوءة؟!.

وقال بعضهم: المتعبد ببغداد كالتعبد في الحش^٢.

وأقام ابن المبارك^٣ ببغداد أياماً يسيرة، فكان يتصدق كل يوم بدينار.

^(١) رسمت في الأصل: الحشر، والصواب ما أثبتناه.

^١ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي، نزل الشام مرابطاً، وكان ثقة ثباتاً مأموناً في الحديث. اختلف في سنة وفاته على أقوال منها سنة ١٩١هـ/٨٠٧م - ١٨٧هـ/٨٠٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٨٨؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج ٦، ص ٤٠٦، ابن حبان: الثقات، ج ٧، ص ٢٣٨.

^٢ أي كالتعبد عند اضطرام الفتن، يقصد أن بغداد دار فتنة. ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٢٨٥.

^٣ عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي التميمي، أبو عبد الرحمن، الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. توفي سنة ١٨١هـ/٧٩٧م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣٧٢؛ البخاري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٢.

وكتب بعضهم إلى العتّابي^١ يستوصفه بغداد فكتب إليه: أمّا بعد، فإنك في بلادٍ
 وجدّهم بالدنيا وجدّ من لا يزجو معادًا، قد نصبت لهم الجبّارة علم التكاثر؛
 فحلّت بهم الفتن وأحكام <لغات> القرآن^٢، فارم تلك النحلة بالهجران والنس
 منها جنة الحدر، فإن في جوارهم مشبهة لنار الحرص وغضيض الشهوات، معايتهم
 ذم القناعة بصغير النعم. قد آمنهم الأمل مكر الله، وهل يأمن مكر الله إلا القوم
 الخاسرون.^٦

وقال أبو صالح شعيب بن حرب^٣: قلت لسفيان الثوري^٤: لي والدة ببغداد
 آتيها؟ قال: لا. قلت فإن آتيتها فحضرت الصلاة أصلي فيها؟ قال: لا إلا الجمعة.

^١ كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، أبو عمرو، كاتب، وشاعر مجيد حسن الترسل، شامي سكن بغداد مدح
 هارون الرشيد وآخرين، وله تصانيف. وتوفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز:
 طبقات الشعراء، ص ٢٦١؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٥١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥،
 ص ٢٢٤٣.

^٢ والمعنى: أن أهل بغداد قلدوا ملوكهم في الاستكثار من الزينة والرياش، وانشغلوا بطلب ذلك عن طلب
 الآخرة، فلحقت بهم الفتن واستوجبوا اللعنة.

^٣ شعيب بن حرب المدائني، أبو صالح البغدادي، الإمام، القدوة، العابد، شيخ الإسلام، جاور بمكة وحدث
 بها إلى أن مات فيها، واختلف في سنة وفاته على أقوال منها ١٩٧هـ/٨١٣م - ١٩٩هـ/٨١٥م. انظر في ترجمته
 وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣٢٠؛ ابن حبان: الثقات، ج ٨، ص ٣٠٨؛ الخطيب
 البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٣٣٠.

^٤ سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري، العالم الجليل النقاد، سيد أهل زمانه في الحديث وعلوم
 الدين والتقوى، وصاحب التصانيف، توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ/٧٧٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد:
 المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٧١؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج ٤، ص ٩٢؛ النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٨٣ -
 ٨٤؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ٨٤.

ولا يطَّوِّعُ فِيهَا فَأَيْمًا دَارُ فِتْنَةٍ. وَقَالَ رَجُلٌ لِسُفْيَانَ: لِي قَرَابَةٌ بِيغْدَادَ لَا بَأْسَ بِهِ؟ قَالَ: يَقُولُ لِرَجُلٍ يَسْكُنُ بَغْدَادَ: لَا بَأْسَ بِهِ^١.

٢ وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ^١: سَأَلْتُ سُفْيَانَ عَنِ الْجَلْبِ إِلَى بَغْدَادَ فَقَالَ: اجْلِبْ إِلَيْهَا كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْكُرَاعَ وَالسَّلَاحَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنِّي لِأَمْشِي فِي بَغْدَادَ فَكَأَنَّمَا أَمْشِي فِي النَّارِ. وَكَانَ ابْنُ إِدْرِيسَ^٢ يَقُولُ: أَحْرَجُ عَلَى مَنْ ذَكَرَ حَدِيثِي بِبَغْدَادَ.

٦ وَقَالَ ابْنُ الرَّبِيعِ^٣: قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ أَيَّامَ مَحْنَةِ ابْنِ حَنْبَلٍ: اذْغُ اللَّهُ لَهُ. قَالَ: لَا أَفْعَلُ، قُلْتَ: لَمْ؟ قَالَ: هُوَ يَسْكُنُ بَغْدَادَ.

٩ وَجَاءَ الْوَلِيدُ الْبَغْدَادِيُّ الْقَاضِي^٥ إِلَى الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ وَأَقْبَلَ يُسَائِلُهُ وَالْفَضِيلُ قَدْ أَعْجَبَ بِهِ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ: أَيْنَ الْمَسْكُنُ؟ قَالَ: بَغْدَادُ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ.

^١ عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، أبو الأحوص الكوفي، وثقه ابن معين وابن حبان. انظر في ترجمته: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٧، ص ١٤؛ ابن حبان: الثقات، ج ٥، ص ٢٧٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٢٣١.

^٢ عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود، أبو محمد الأودي الكوفي، الإمام، الحجة، الفقيه العابد، توفي سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٨٩؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج ٥، ص ٤٧؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١١، ص ٦٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٢.

^٣ قيس بن الربيع الأسدي، مر ذكره ص ٣٨٤.

^٤ إبراهيم بن صالح بن درهم الباهلي، أبو محمد البصري. وثقه ابن حبان. انظر في ترجمته: البخاري: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٢، ص ١٠٦؛ ابن حبان: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥.

^٥ خلف بن الوليد الجوهري، أبو الوليد البغدادي، سكن مكة، وثقه ابن معين وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم. انظر في ترجمته: البخاري: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٥؛ ابن حبان: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢٧.

ثم قال: يجيء أحدكم يسأل عن المسألة [٧٢٧] كأنه من عمال الله أو من الدعاة إليه. فإذا قيل له فإذا قيل له أين المسكن؟ قال: في عَشْرٍ^(أ) الظلمة.

وقال بعض الصالحين إذا دُكرت عنده بغدادُ تمثل (شعر)^١: [الخفيف]

قُلْ لِمَنْ أَظْهَرَ التَّصَوُّفَ لِلنَّاسِ وَأَمْسَى يُعَدُّ فِي الزُّهَادِ
الزَّمِ الشَّغْرَ وَالتَّوَاضَعِ فِيهِ لَيْسَ بِغَدَادٍ مَنْزِلَ الْعِبَادِ
إِنَّ بِغَدَادَ لِلْمُلُوكِ مَحَلًّا وَمُنَاخَ لِلْقَارِي الصِّيَادِ

وسأل المعتصمُ أبا العيناء^٢ عن بغدادَ، وكان سمى الرأي فيها فقال: هي، يا أمير المؤمنين كما قال عمارة بن عقيل (شعر)^٣: [الرجز]

مَا أَنْتِ يَا بِغَدَادُ إِلَّا سَلْحُ
إِذَا اعْتَرَاكِ مَطَرٌ أَوْ نَفْحُ
وَأِنْ جَفَفَتْ قَتْرَابٌ بَرُخُ

^(أ) في الأصل: عشر.

^(ب) في الأصل: شيوخنا.

^١ قارن هذه الأبيات لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، [ما قبل في ذم بغداد] ج ١، ص ٤٦٤.

^٢ أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلاد، الأديب الأخباري اللغوي البصري الضرير النديم. توفي سنة

٢٨٣/٥٨٩٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٤١٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،

ج ٤، ص ٢٨٤؛ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج ٦، ص ٢٦٠٤-٢٦١٢.

^٣ مرت ترجمته ص ٢٥٦.

وكما قال آخرُ (شعر)^١:

[الطويل]

هَلِ اللهُ مِنْ بَغْدَادَ يَا صَاحِ مَخْرَجِي فَأَصْبِحَ لَا تَبْدُو لِعَيْنِي قُصُورَهَا
وَمِيدَانُهَا الْمَذْرِي عَلَيْنَا تُرَابُهَا إِذَا شَحَجَتْ أَبْغَالُهَا وَحَمِيرُهَا
فهي أمُّ الوُحُولِ ومَطْرُحُ النُّعُولِ، عَدْرَتُهَا فِي طَرْقِهَا، وَقَدْرُهَا فِي وَسْطِهَا.
يَمُوتُ أَهْلُهَا فِي الصَّيْفِ حَرَقًا، وَفِي الشِّتَاءِ غَرَقًا. المَيْتُ فِيهَا مَطْرُوحٌ لَا يَجِدُ مِنْ
يَجْمَلُهُ، وَالْمَسْكِينُ بِهَا مَا يُصِيبُ أَحَدًا يَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَالْقَرِيبُ فِيهَا مُنْكَدَرٌ وَالْعَرَبُ بِهَا
أَهْلٌ، شُيُوخُهَا^٢ يَتَصَانَعُونَ، وَشَبَابُهَا يَتَنَاهَدُونَ، وَصِيبَاتُهَا يُؤَاجِرُونَ، وَنِسَاؤُهَا
يَزْنُونَ وَيَسَاحِقُونَ، الْبِغَاءُ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْكِرٍ، وَالْقُرُونُ مِنْ رِجَالِهِمْ لَا تُسْتَرُ، وَهُمْ مَعَ
هَذَا يَتَامَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

[المنسرح]

وقد قال فيهم الشَّاعِرُ (شعر)^٣:

أدُمُ بَغْدَادَ وَالْمَقَامَ بِهَا مِنْ بَعْدِهَا خَيْرٌ وَتَجْرِبِ
مَا عِنْدَ أَمْلَاقِهَا لُخْتِطِ خَيْرٌ وَلَا فَرْجَةٌ لِمَكْرُوبِ
يَخْتِاجُ بَاغِي النَّوَالِ عِنْدَهُمْ إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ بَعْدِ تَثْرِبِ
كُنُوزُ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَعُمَرُ نُوحٍ وَصَيْرِ أَيُّوبِ [٧٣]
قَوْمٌ مَوَاعِيدُهُمْ مُزْخَرَفَةٌ بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ وَالْأَكَاذِبِ
خَلُّوا سَبِيلَ الْعُلَى لغيرِهِمْ وَتَأَفَّسُوا فِي الْفُسُوقِ وَالْحَوْبِ

^٢ في الأصل: شيوخنا.

^١ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٥.

^٣ هذه الأبيات من شعر الحسن بن مالك، أبو العالية الشامي. مودب العباس بن المأمون. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ٩٧٥.

وقال آخر:

[المقارب]

أَقَمْتُ بِيغْدَادَ مُذْ أَشْهُرٍ وَكُنْتُ بِيغْدَادَ ذَا غَرَّةٍ
 قَمَا إِنْ قَطَعْتُ بِهَا شَعْرَةَ وَمَا أَنْ فُتِنْتُ بِهَا بَعْرَةَ
 وَمَا إِنْ تَوَفَّقُوا لِي حَاجَةً كَأَنِّي وَطِئْتُ عَلَى نَشْرَةَ
 وَعَانَدَنِي الْحَيَّرُ مُذْ جِئْتُهَا مُعَانِدَةَ الضَّرَّةِ لِلضَّرَّةِ
 وَإِنِّي بِهَا عَاشِقٌ دِرْهَمًا وَمَنْ لِي يَا صَاحِبَ الزُّهْرَةِ
 وَعُجْبِي بِسَيْرِي إِلَى بَلَدِهِ كَعُجْبِ الطَّفِيلِ بِالسُّفْرَةِ
 وَلَوْ كُنْتُ مَمَّنْ يُجِيدُ الْغِنَاءَ لِأَحْرَزْتُ مُذْ جِئْتُهَا بَدْرَةَ
 فَإِنْ رَدَّنِي اللَّهُ مِنْ ضَيْقِهَا سَلِيمًا إِلَى جِهَةِ الْبَصْرَةِ
 وَعُدْتُ إِلَيْهَا فَعُرْسِي طَلَاقٌ ثَلَاثًا وَجَارِيتِي حُرَّةً

وقال آخر (شعر):

[الطويل]

لَقَدْ طَالَ فِي بَغْدَادَ لَيْلِي وَمَنْ يَبْتَ بِيغْدَادَ يُضِيحُ لَيْلَهُ غَيْرَ وَاحِدٍ
 بِبِلَادٍ إِذَا وَلَّى النَّهَارُ تَنَافَرَتْ بَرَاغِيئُهَا مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَوَاحِدٍ
 دِيَارِجَةٌ شُهْبُ الْبُطُونِ كَأَنَّهَا بَغَالٌ بَرِيدٌ أُرْسِلَتْ فِي مَدَاوِدِ

وقال آخر^١:

[الخفيف]

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ لَيْلَكَ يَا بَغْدَادُ لَيْلٌ يَطِيبُ فِيهِ النَّسِيمُ
 وَلَعَمْرِي مَا ذَاكَ إِلَّا لَمًّا خَالَفَهُمُ بِالنَّهَارِ مِنْكَ السَّمُومُ
 وَقَلِيلُ الرَّخَاءِ يُتْبِعُ الشَّدَّةَ عِنْدَ الْعِبَادِ أَمْرٌ عَظِيمُ

^١ أورد ياقوت الحموي هذه الأبيات وذكر أنها رويت عن طاهر بن الحسين. انظر: معجم البلدان، ج ١،

وقال آخر شعر^١:

[الطويل]

تَرَحَّلَ فَمَا بَغْدَادُ دَارُ إِقَامَةٍ وَلَا عِنْدَ مَنْ يُرَجَى بَبغْدَادَ طَائِلٌ
مَحَلُّ أَنْاسٍ سَمْتُهُمْ فِي أَدِيمِهِمْ وَكُلُّهُمْ مِنْ حِلْيَةِ الْمَجْدِ عَاطِلٌ

وقال بغض الصالحين: مَا أَحِبُّ أَنْ أَسْكُنَ أَحَدَ الْمِضْرِينَ عَلَى أَنْ أَتَصَدَّقَ كُلَّ

يَوْمٍ عَلَى مِائَتِي مَسْكِينٍ. فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ مِضْرِينَ هُمَا؟ قَالَ: مِضْرُ وَبَغْدَادُ.

وقال يعقوب بن إسحاق^٢: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ^٣، وَسَأَلَهُ

رَجُلٌ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ فَقَالَ: إِنَّ أَبَوِي يَكْرَهُانِ أَنْ أُخْرَجَ عَنْ بَغْدَادَ. فَقَالَ يَزِيدُ: إِنَّ أَحَبَّ

أَبْوَاكَ أَنْ يُقِيمَا بِأَرْضِ الشَّرِكِ، أَتُقِيمُ مَعَهُمَا؟ قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُهُ [٧٣ظ] بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ

مُقِيمًا بِبَغْدَادَ.

^١ أورد الخطيب البغدادي هذه الأبيات، ونسبها إلى أبي العالية السابق الذكر، انظر: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٦٦؛ البخلاء، ص ١٢١؛ كما أوردها ياقوت في خمسة أبيات قائلاً أنه رأها: «بخط عبيد الله بن أحمد بن جحجج قال أبو العالية...». انظر: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٦.

^٢ يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري، أبو محمد، أحد القراء العشرة، وإمام البصرة ومقرئها، له تصانيف، كتاب الجامع جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات توفي بالبصرة سنة ٢٠٥هـ/٨٢١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٣٠٤؛ ابن حبان: الثقات، ج ٩، ص ٢٨٣؛ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج ٦، ص ٢٨٤٢؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٩٤.

^٣ يزيد بن هارون بن زاذي بن ثابت السلمى الواسطي، أبو خالد، الإمام، الحجة، العابد شيخ الإسلام، أحد الحفاظ الثقات، توفي بواسط سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م. انظر ترجمته وأخباره: البخاري في: التاريخ الكبير، ج ٨، ص ٣٦٨؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٩، ص ٢٩٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٦، ص ٤٩٣.

وقال ابن الكلبي: سُمِّيَتِ الْبَرْدَانُ الَّتِي فَوْقَ بَغْدَادَ بِأَزْبَعَةِ فَرَايِخِ بَرْدَانَا؛ لِأَنَّ
مُلُوكَ الْفُرْسِ كَانُوا إِذَا أَتَوْا بِالسَّبِي فَنَقَوْا شَيْئًا مِنْهُ قَالُوا: بَرْدَه. أَيِ أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى
الْقَرْيَةِ، وَكَانَتِ الْقَرْيَةُ الْبَرْدَانُ فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ^١.

قال: وَكَانَتِ بَرْدَانُ الْكُوفَةِ لِيُورَةَ بْنِ رُومَانَسَ أَخِي النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ لِأُمَّهُ، فَمَاتَ
وَدُفِنَ بِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ: مَكْحُولُ بْنُ حُرْثَةَ يَزِيدِيهِ (شِعْر):

[الوافر]

فَمَا الدُّنْيَا بِسَاقِيَةٍ لِحَيٍّ وَمَا حَيٌّ عَلَى الدُّنْيَا بِبَاقٍ
لَقَدْ تَرَكُوا عَلَى الْبَرْدَانِ قَبْرًا وَهَمُّوا لِلتَّفَرُّقِ بِانْطِلَاقِ

قال: وَأَنْشَدَنِي الْهَيْثُمُ بْنُ عَيْسَى الْكَاتِبُ لِبَعْضِهِمْ (شِعْر)^٢:

[الطويل]

كَفَّمِي حَزَنًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْتَنِي بِيغْدَادَ قَدْ أَعَيْتَ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
أَصَاحِبُ مِنْ لَا أَسْتَلِدُّ صَحَابَهُ وَأَلْفُ قَوْمًا لَسْتُ فِيهِمْ بِرَاغِبٍ
وَلَمْ أَتَوْ فِي بَغْدَادَ حُبًّا لِأَهْلِهَا وَلَا أَنْ فِيهَا مُسْتَفَادًا لِطَالِبِ
سَازَحَلُّ عَنْهَا قَالِيًا لِسَرَاتِنَهَا وَأَثْرُكُهُمْ تَرَكَ الْمَلُولِ الْمُجَانِبِ
فَإِنْ أَلْجَأْتَنِي النَّائِبَاتُ إِلَيْهِمْ فَأَيْرُ حِمَارٍ فِي حَرِيمِ النَّوَائِبِ

^١ فسر ياقوت الحموي كلمة "برده" الفارسية في نهاية هذا الخبر بقوله: «قلت أنا: وتحقيق هذا أن برده بالفارسية هو الرقيق المجلوب في أول إخراجها من بلاد الكفر، ولعل هذه القرية كانت منزل الرقيق فسميت بذلك، لأنهم يلحقون الدال والألف والنون في بعض ما يجعلونه وعاء للشئ».

قارن: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦.

^٢ قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٦.

وقال آخر (شعر):

[السريع]

ازكَبْ بِيغْدَادَ وَجَوَّلْ بِهَا
تَجِدُهُ مِنْ كَانَ إِذَا حِجَّتَهُ
يُبِيدِي لَكَ الْفَقْرَ وَيَطْوِي الْعِنَى
يُنْخَضِعُ فِي الْمَنْطِقِ مِنْ بُخْلِهِ
وَأَقْصِدْ لِمَنْ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ
مُسْتَتِرًا عَنْكَ بِإِفْلَاسِ
مِنْكَ وَيُذْنِيكَ مِنَ الْيَاسِ
وَقَلْبُهُ كَالْحَجَرِ الْقَاسِي

وَأُنشِدُ لِمُطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ (شعر) ^١:

[الخفيف]

حَبَّذَا عَيْشُنَا الَّذِي زَالَ عَنَّا
إِنَّ هَذَا مِنْ ذَلِكَ سَقِيًا لَهَذَاكَ
زَادَ هَذَا الزَّمَانُ شَرًّا وَعُسْرًا
بِلَدَّةٍ تُنْطِرُ التُّرَابَ عَلَى النَّاسِ
حِينَ نِلْنَا الْمُنَى وَلَا حَبَّذَا دَا
وَلَسْنَا نَقُولُ سَقِيًا هَذَا
عِنْدَنَا إِذْ أَحَلَّنَا بَغْدَادًا
كَمَا تُنْطِرُ السَّمَاءُ الرَّذَاذَا [٧٤٧]
فَإِذَا مَا أَعَادَ رَبِّي بِلَادًا
مِنْ عَذَابٍ كَبَعْضِ مَا قَدْ أَعَادَا
بِأَعْمَالِ أَهْلِهَا كَلَّوَادَا
خَرِبَتْ عَاجِلًا كَمَا خَرَبَ اللَّهُ

^١ مطيع بن إياس الكفائي الكوفي، أبو سلمى، كان شاعرًا مليح النادرة، ظريفًا ماجنًا، من مخضرمي الدولتين، وكان في شعره ما يتغنى به، توفي بالبصرة سنة ١٦٦هـ/٧٨٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٩٣-٩٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٨٠-٤٩٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٥، ص ٣٠١.

^٢ هذه الأبيات لدى: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م. ج ١٣، ص ٢٢٤؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١٥، ص ٣٠١؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧٧.

وقال محبوب بن أبي العَسَنَةِ النَّهْشَلِيُّ (شعر):^١

[البيسط]

لرَوْضَةٍ من رِيَاضِ [الْحَزْنِ]^(٢) أو
يَفُوحُ منه إِذَا مَجَّ النَّدى أَرَجَّ
أَمَلِي وأَحَلَّ لِعَيْنِي إِنْ مَرَزْتُ به
وَاللَّيْلُ نِصْفَانِ نِصْفٌ لِلْهُمُومِ فما
أَبِيتُ حينَ تُسَامِينِي أوَائِلُهَا
سُودٌ مَدَالِيحُ في الظَّلْمَاءِ مُؤَدَّةٌ
طَرَفٌ من القُرْبَةِ جَزْدٌ غيرَ مَحْرُوثِ
يَشْفِي الصُّدَاعَ وَيَشْفِي كُلَّ مَغُوثِ
من كَرخِ بَغْدَادَ ذِي الرِّمَانِ وَالثُّوثِ
أَقْضِي الرِّقَادِ وَنِصْفٌ لِلْبَرَاغِيثِ
أَنْزُوا أوِ أَخْلِطُ تَسْهِيحًا بِتَغْوِيثِ
وَلَيْسَ مُلْتَمَسٌ منها بِمَشْبُوثِ

[الطويل]

وقال بعض الكِلَابِيِّينَ^٣، وكان ببغدادَ فَادَتْهُ البَرَاغِيثُ (شعر):

أَصْبَحْتُ سَأَلْتُ البَرَاغِيثَ بَعْدَمَا
فِيَا كَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَزُورَنَّ بِلْدَةً
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ صُمُرٍ
تَرَاطُنُ حَوِيٍّ كُلَّمَا ذَرَّ سَارِقٌ
وَهَلْ أَرِيَنَّ الدَّهْرَ نَارًا بَأَرْضِهَا
مَضَتْ لَيْلَةٌ مِنِّي وَقَلَّ رُقُودُهَا
قَلِيلٌ بِهَا أَوْبَاشُهَا وَسَنِدُهَا
تُطَالَعُ بِالرُّكْبَانِ صَغَرًا خُدُودُهَا
بِبَغْدَادَ أَنْبَاطُ القُرَى وَعَيْدُهَا
بِنَفْسِي وَأَهْلِي أَرْضِهَا وَوَقُودُهَا

^(١) ساقطة من الأصل، والتتمة من الجاحظ: الحيوان، ياقوت: معجم البلدان.

^١ قارن الأبيات لدى الجاحظ: الحيوان، ج ٥، ص ٢٠٦، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٠ ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ١٨.

^٢ انظر: [مادة: حزن] في ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٤-٢٥٥؛ وانظر أيضًا مادة: (القربة) ج ٤، ص ٣٤٠.

^٣ أورد الجاحظ هذه الأبيات في كتابه الحيوان، ونسبها إلى يزيد بن نبيه الكلابي، انظر: ج ٥، ص ٢٠٧-٢٠٨.

[مَنْبَعُ دِجْلَةَ وَنَجْرَاهُ]

قال (a) عَبَّاسُ بْنُ بَاغَرَ (a) الرَّقِيُّ: مُبْتَدَأُ دِجْلَةَ مِنْ تَحْتِ حِصْنِ (b) فِي جَبَلِ بَامِدٍ،
 ٣ وَعَرْضُهَا عِنْدَ مَنْبَعِهَا أَقْلٌ مِنْ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ. ثُمَّ تَمَرُّ بِجِبَالِ السُّلْسِلَةِ، وَفِي جِبَالِ
 السُّلْسِلَةِ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ تَصُبُّ فِي دِجْلَةَ. ثُمَّ تُخَالِطُهَا أَنْهَارٌ عَظِيمَةٌ مِنْهَا الْحَابُورُ وَالزَّرْمُ
 وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَنْهَارِ. ثُمَّ تَصُبُّ إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عَمْرِ التَّغْلَبِيِّ (c). وَتَخَالِطُهَا أَيْضًا أَنْهَارٌ
 ٦ كِبَارٌ مِنْ نَوَاحِي [٧٤٧ظ] أَرْمِينِيَّةَ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى بَلَدٍ (d).
 ثُمَّ إِلَى الْمَوْصِلِ. فَإِذَا جَازَتِ الْمَوْصِلَ بِسَبْعِ فَرَاسِخٍ صَبَّ إِلَيْهَا الزَّابُ الْكَبِيرُ،
 وَمِنْ تَلٍّ فَأَقَانَ تُحْمَلُ فِيهَا الشَّفْنُ وَالْأَطْوَافُ، فَإِذَا بَلَغَتِ السَّنَّ صَبَّ إِلَيْهَا الزَّابُ
 ٩ الصَّغِيرُ، ثُمَّ تَخَالِطُهَا بِنِغْدَادِ أَنْهَارٍ مِنَ الْفُرَاتِ، مِنْهَا الصَّرَاةُ وَهَرُّ عَيْسَى وَغَيْرُهُمَا
 حَتَّى تَصِيرَ إِلَى الْبَطَائِحِ (e).

(a - a) في الأصل: عياش بن باغان. والتصويب من النديم: الفهرست.

(b) في الأصل: حضر، والتصويب من ياقوت: معجم البلدان.

١ العباس بن باغار بن الربيع، أبو الربيع، قال عنه النديم: «من أصحاب علوم الهيئة، وله من الكتب كتاب
 قسمة المعمور من الأرض وهيئة الدنيا». انظر: الفهرست، ج ٢، ص ٢٥٢.

٢ وهذا الحصن يعرف بحصن ذي القرنين ومن تحته تخرج عين دجلة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي: معجم
 البلدان، ج ٢، ص ٤٤١.

٣ بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، لها رستاق واسع خصب ملء بالخيرات. انظر: ياقوت الحموي: المصدر
 السابق، ج ٢، ص ١٣٨.

٤ انظر فيما تقدم ص ٣٣٧.

٥ قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤١.

وَرُوِيَ عَنْ كَعْبٍ^١ أَنَّهُ قَالَ: النَّيْلُ نَهْرُ الْعَسَلِ فِي الْجَنَّةِ، وَدِجْلَةٌ نَهْرُ اللَّبَنِ، وَالْفَرَاتُ نَهْرُ الْحَمْرِ، وَسَيْحَانُ نَهْرُ الْمَاءِ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ^٢.

٣ وقال أحمد بن محمد الحائبي^٣: أَمَرَ الْمُتَوَكَّلُ بِتَسْهِيلِ أَبْوَابِ دِجْلَةَ مِنَ الْمُوَصِّلِ إِلَى بَغْدَادَ وَقَلَعَ الْحِجَارَةَ الَّتِي فِي الطَّرِيقِ [وَالَّتِي يُقَالُ لَهَا الْأَبْوَابُ. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ عَمَّكَ الْمَأْمُونُ قَدْ كَانَ أَمْرًا بِمِثْلِ مَا أَمَرْتُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ الصُّخُورَ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الضَّرْرِ عَلَى الْمُجْتَازِينَ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ لِعِبَادِهِ وَعِمَارَةِ بِلَادِهِ مِنْ جِهَةِ مَعَائِشِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرُدُّ حَمِيَّةَ الْمَاءِ عَنْ حَافَتِي دِجْلَةَ، مَقَامُهَا مَقَامُ الشُّكُورِ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا أَيْضًا لِيَنْضَمَّ الْمَاءُ وَلَا يَتَفَرَّقُ فَيُحْمَلُ عَلَى الْأَنْهَارِ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ لَقَعَّرَ الْمَاءُ دِجْلَةَ حَتَّى تَنْحَطَّ، وَأَضْرَّ ذَلِكَ بِالنَّاسِ وَبَطَلَتِ الْعِمَارَةُ؛ فَأَمْسَكَ عَمَّا كَانَ هَمًّا بِهِ.

١٢ قال: وَبِأَسْفَلِ وَاسِطٍ تَسْكُنُ جَرِيَّةُ دِجْلَةَ وَتَحِفُّ. وَهُنَاكَ تَأْخُذُ مِنْهَا أُنْهَارُ كَسْكَرٍ وَنَوَاحِيهَا. فَأَمَّا مَا يَأْخُذُ مِنْهَا وَيَسْقِي الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ فَالْقَنَا تَانِ الشَّتْوِيَّةُ وَالصَّيْفِيَّةُ. وَهُمَا اللَّتَانِ عَمَلُهَا الْمُتَوَكَّلُ لِسَرْمَرِي. كَانَتَا تَدْخُلَانِ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَتَتَخَلَّلَانِ شَوَارِعَ سَرْمَرِي، ثُمَّ النَّهْرُ الَّذِي قَدَرَهُ أَيْضًا وَعَمَلٌ عَلَى أَنَّهُ يَدْخُلُ الْحَيْزَ فَلَمْ يَتَمَّ.

١٥

^١ هو كعب الأخبار، وقد مرت ترجمته، ص ١١٢.

^٢ أوردته الخطيب البغدادي بسنده إلى كعب الأخبار: - «قال كعب: نهر النيل: نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة: نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات: نهر الحمير في الجنة، ونهر سيحان: نهر الماء في الجنة، قال: فأطلق الله نورهن ليصيرهن إلى الجنة». تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٦١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ١، ص ١٥٨.

^٣ أحمد بن محمد الحاسب: «لا يعرف من أمره أكثر من هذا، وله من الكتب: كتاب إلى محمد بن موسى في النيل. كتاب المدخل إلى علم النجوم. كتاب الجمع والتفريق». انظر: النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٢٥٦.

وقد كان أنفق عليه سبعمائة ألف دينار، وكان السبب في أنه لم يتم أن المتوكل قتل قبل الفراغ منه. وقد حاول المتصر أن يتممه فلقصر أيامه لم يستو ذلك^١.

ثم القاطول الكسروي^٢ يسقي [٧٥] النهروان وعليه شاذروان^٣ فوقه، يسقي رُستاق بين النهريين من طسوج بُرزجسابور^٤، ثم القاطول المعروف بأبي الجند، يأخذ من دجلة ويصب أسفل الشاذروان^٥.

وإن الذي أخذته الرشيد عند عمله ذلك الشاذروان عوضاً لأهل النهروان بسبب ما سد عنهم الشاذروان. ثم نهر السلام، يأخذ من دجلة ويسقي كلواذي، ونهر بين بُرزجسابور، ونهر بوق^٥، وفي الجانب الغربي النهروان المعروف بالإسحاقية. مبتدأه من تكريت، وهو يسقي العمارات، والقناة القديمة تسقي أيضاً العمارات. ودجيل^٦ يسقي قَطْرَبَل ومسكن^٧.

^٥ لدى ياقوت: «يصب في النهروان تحت الشاذروان».

^١ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٥.

^٢ القاطول: من فعول، وقطل أي قطع. وقد حفر القاطول الكسروي، كسرى أنوشروان العادل ليأخذ من دجلة في الجانب الشرقي، ثم قام الرشيد بحفر القاطول المسمى بأبي الجند. انظر: فيبا تقدم ص ٣٠٦؛ وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٧.

^٣ شاذروان: لفظه فارسية معربة تعني الحائط أو الجدار. وهو جدار صخري عال كالسد يججز الماء خلفه. انظر: المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٢٨٣.

^٤ بزرجسابور: إحدى طساسيج بغداد. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٠.

^٥ انظر فيبا تقدم ص ٢٣٢.

^٦ دجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٣.

^٧ مسكن: موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجائليق، وفيها كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان، ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢هـ/٦٩١م. فقتل مصعب وقبره هناك. نفسه، ج ٥، ص ١٢٧-١٢٨.

القول في سُرْمَرَى

٣

قال الشَّعْبِيُّ^١: كان سَامٌ بن نُوحٍ له جَمَالٌ وَرَوَاءٌ وَعَقْلٌ وَمَنْظَرٌ، وكان يَصِيفُ بِالْقَرْيَةِ التي ابْتَنَاهَا نُوحٌ عند خُرُوجِهِ مِنَ السَّفِينَةِ بِبَارْبَدَى^{٢(a)} وَسَمَّاهَا تَمَانِينَ.

ويشتو بأرضِ جَوْحَى^٣، وكان مَمْرُهُ من أرضِ جَوْحَى إلى بَارْبَدَى^{٤(a)} على شاطئِ دِجْلَةٍ من الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، فَسُمِّيَ ذلك المَكَانُ إلى الآن سَامَرًا^(b).

وقال إِبْرَاهِيمُ بن الجُبَيْدِ: سَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ أَنَّ سَامَرًا بَنَاهَا سَامٌ بن نُوحٍ، ودَعَا أَنْ لا يُصِيبَ أَهْلَهَا سُوءٌ. فَأَرَادَ السَّفَاحُ أَنْ يَبْنِيَهَا، فَبَنَى مَدِينَتَهُ بِالْأَنْبَارِ بِحِذَائِهَا. وَأَرَادَ الْمَنْصُورُ بَعْدَ مَا أُسِّسَ بَعْدَادَ وَسَمِعَ فِي الرِّوَايَةِ بِبَرَكَةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَبْنِيَهَا فَاِبْتَدَأَ بِالْبِنَاءِ فِي الْبَرْدَانِ^٥ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ وَبَنَى بَعْدَادَ.

وأَرَادَ الرَّشِيدُ أَيْضًا بِنَاءَهَا فَبَنَى بِحِذَائِهَا قَصْرًا وَسَمَّاهُ الْمُبَارَكَ، وهو بِحِذَاءِ أَثْرِ بِنَاءِ قَدِيمٍ كان لِلْكَاسِرَةِ، ثُمَّ بَنَاهَا الْمُعْتَصِمُ وَنَزَلَهَا سَنَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَمِائَتِينَ^٦.

(b) في ياقوت زيادة: سام راه يعني طريق سام.

(a) رسمت في الأصل: بازيدي.

^١ مرت ترجمته ص ١٩٨.

^٢ مر تعريفها ص ٣٣٧.

^٣ سبق ذكرها ص ٣٥٦.

^٤ مرت ترجمته ص ٢٣١.

^٥ سبق تعريفها ص ٢٥٤.

^٦ بنصه لدى ياقوت الحموي، معجم البلدان [مادة: سامراء] ج ٣، ص ١٧٤.

وَرَوَى لَيْثٌ^١ عَنْ مُجَاهِدٍ^٢ قَالَ: حَيْثُمَا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ فَهُوَ مِضْرٌ.
 وَلَمْ يَبْنِ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ بِسَرْمَرَى مِنَ الْأَيْبَةِ الْجَلِيلَةِ مَا بَنَاهُ الْمُتَوَكَّلُ فَمِنْ ذَلِكَ:
 الْقَصْرُ الْمَعْرُوفُ بِالْعَرُوسِ، أَنْفَقَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ^٣.
 وَالْمُخْتَارُ: خَمْسَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْوَحِيدُ: أَلْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْمُسْنَاءُ: [٧٥٥ظ]
 عَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْبُرْجُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.
 وَالْجَوْسُقُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ: أَلْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْجَعْفَرِيُّ الْمُحَدَّثُ: عَشْرَةَ آلَافِ
 أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْغَرِيبُ: عَشْرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالشَّيْدَانُ^٤: عَشْرَةَ آلَافِ أَلْفِ
 دِرْهَمٍ. وَالْبُرْجُ: عَشْرَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالصُّبْحُ: خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْمَلِيحُ:
 خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ. وَالْقَصْرُ فِي بُسْتَانَ الْإِيْتَاخِيَّةِ: عَشْرَةَ آلَافِ أَلْفِ.
 وَالتَّلُّ عَلُوهُ وَسُقْلُهُ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ. وَالْجَوْسُقُ فِي مَيْدَانِ الصَّخْرِ: خَمْسَمِائَةَ
 أَلْفِ. وَالْمَسْجِدُ الْجَامِعُ: خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَبَرْكُوَارَا لِلْمُعْتَزِّ: عَشْرِينَ أَلْفَ
 أَلْفِ دِرْهَمٍ.

^٤ في الأصل: الشيدار، والتصويب من ياقوت.

^١ الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، قال عنه الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. له تصانيف وتوفي بمصر سنة ١٧٥هـ/٧٩١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٥١٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥٢٤؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٧٨.

^٢ مجاهد بن جبر: وقد مرت ترجمته ص١٠٨.

^٣ ومن الجدير بالذكر أن: سعر صرف الدينار للدرهم استقر في عهد المتوكل كل خمسة وعشرين درهماً بدينار. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٢، ص١٤٣.

وَالْقَلَايَةُ: خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَجَعَلَ فِيهَا أُنْبِيَّةً بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. وَالْفَرْدُ فِي دِجْلَةَ: أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْقَضْرُ بِالتَّوَكُّلِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ المَاخُوزَةُ: خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالبَهُو: خَمْسَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ. وَاللُّؤْلُؤَةُ: خَمْسَةُ آفَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَذَلِكَ الجَمِيعُ مِائَتَا أَلْفِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَتِسْعُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وَكَانَ المُعْتَصِمُ وَالمُؤَاتِقُ وَالمُتَوَكِّلُ، إِذَا بَنَى أَحَدُهُم بِنَاءً مِنْ قَضْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَعمَلُوا فِيهِ [شِعْرًا]^(أ) فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الجَهْمِ^(ب) فِي الجَعْفَرِيِّ^(ج) الَّذِي بَنَاهُ المُتَوَكِّلُ:

[المقارب]

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ المُلُوكَ	تَبَنِي عَلَى قَدْرِ أَقْدَارِهَا
وَأَعْلَمُ أَنَّ عَقُولَ الرِّجَالِ	يُقَضَى عَلَيْهَا بِأَثَارِهَا
فَلَمَّا رَأَيْنَا بِنَاءَ الإِمَامِ	رَأَيْنَا الخِلَافَةَ فِي دَارِهَا
بِتَدَائِعٍ لَمْ تَرَهَا فَارِسٌ	وَلَا الرُّومُ فِي طُولِ أَعْمَارِهَا
وَلِلرُّومِ مَا سَيِّدَ الأَوَّلُونَ	وَلِلْفَرَسِ آثَارُ أَحْرَارِهَا
وَكُنَّا نُحِسُّ لَهَا نَخْوَةً	فَطَأَمَنْتُ نَخْوَةَ جَبَّارِهَا
وَأَنْشَأْتُ نُحْتَجُّ لِلْمُسْلِمِينَ	عَلَى مُلْحِدِيهَا وَكُفَّارِهَا
صُحُونٌ تُسَافِرُ فِيهَا العُيُونُ	إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا
وَقُبَّةٌ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجُومَ	تُفَضِّي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا

(أ) تسمية من ياقوت.

^١ راجع فيما تقدم ص ٣٠٧.

^٢ مرت ترجمته ص ٣٣٩.

^٣ راجع فيما تقدم ص ٣٠٧.

تَحِرُّ الْوَفُودُ لَهَا سُجَّدًا سُجُودَ النَّصَارَى لِكُفَّارِهَا
 [وإن أوقدت نَارَهَا بِالْعِرَاقِ أَضَاءَ الْحِجَازَ سَنَا نَارَهَا]^(a) ١
 لَهَا شُرْفَاتٌ كَأَنَّ الرَّبِيعَ كَسَاهَا الرِّيَاضَ بِأَنْوَارِهَا
 نَظَّمْنَ الْفَسَافِسَ نَظْمَ الْحَيِّ لِعُونِ النِّسَاءِ وَأَبْكَارِهَا
 فَهِنَّ كَمُضْطَحَبَاتٍ بَرَزْنَ لِفِضْحِ النَّصَارَى وَإِطَارِهَا
 فَمِنْ بَيْنَ عَاقِصَةِ شَعْرِهَا وَمُرْسِلَةِ عَقْدِ زُنَّارِهَا
 وَأَرْوِقَةَ شَطْرِهَا لِلرُّخَامِ وَللْتَّيْرِ أَكْرَمُ أَشْطَارِهَا
 إِذَا رُمِقتْ تَسْتَبِينُ الْعِيُونَ فِيهَا مَثَابِثُ أَشْقَارِهَا [٧٦٦]
 وَسَطِحٍ عَلَى شَاهِقٍ مُشْرِفٍ عَلَيْهِ النَّخِيلُ بِأَثْمَارِهَا
 إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ لَهَا أَسْمَعَتَكَ عَزِيفَ الْقِيَانِ بِأَوْتَارِهَا
 أَطَاعَتَكَ دِجْلَةٌ فَاسْتَنْجَدَتْ عَلَيْكَ بِأَغْزَرِ أَثْمَارِهَا
 وَفَوَازَةٌ نَارُهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ نَارِهَا
 تَرُدُّ عَلَى الْمُرْنِ مَا أَنْزَلَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِذْرَابِهَا
 لَوْ أَنَّ سُلَيْمَانَ أَدَّتْ لَهُ شَيْطَانِيئَهُ بَعْضَ أَخْبَارِهَا
 لِأَيَقْنَ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ يقدِّمُهَا فَضْلُ أَخْطَارِهَا
 فَلَا زَالَتِ الْأَرْضُ مَعْمُورَةً بِعُمْرِكَ يَا خَيْرَ عَمَّارِهَا^٢

(a-2) ساقطة من الأصل، والتتمة من ابن قتيبة: عيون الأخبار.

١ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٤٣٢.

٢ قارن: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٤٣٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٥-١٧٦.

قال: وحدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي^١، قال: أنشدني حماد بن إسحاق الموصلّي^٢ لأبيه في الواثق، ويصف سرّمرى وصيده بها، ويذكر النجف. وزعم أنه كتبها عنه كلُّ ذي نعمةٍ وأدبٍ ببغداد.

أولهم ابن أبي داود^٣ وفيها عدّة الحانٍ صاغها المغنون (شعر)^٤: [البيسط]

يا رَاكِبَ العَيْسِ لا تُعْجَلِ بِنَا وَقِفِ نُحْيِي دَارًا لِسُعْدَى ثُمَّ نُنْصَرِفِ
 وَاثِقِ المَعَاهِدِ مِنْ سُعْدَى وَجَارَتْهَا فِيهِ البُكَاءُ شِفَاءُ الهَائِمِ الكَلْفِ
 لا تَمْنَعِ العَيْنَ مِنْ دَمْعِ نَجْوُدُ بِهِ فِي دَارِ سُعْدَى وَلَكِنْ خَلَّهَا تَكْفِ
 أَشْكُو إِلَيَّ اللهُ يَا سُعْدَى جَوَى كَبِدِ حَرَى عَلَيْكَ مَتَى مَا تُذَكِّرِي تَجْفِ
 أَهِيْمُ وَجَدًا بِسُعْدَى وَهِيَ تَضْرُمُنِي هَذَا لَعَمْرُكَ شَكْلٌ غَيْرُ مُؤْتَلَفِ
 أَمَا أَنَا لِكَ أَنْ تَهَاكَ تَجْرِبَةٌ عَنْهَا وَمَا كَانَ مِنْ وَعْدٍ وَمِنْ خُلْفِ
 دَعُ عَنْكَ سُعْدَى فَسُعْدُ عَنْكَ نَازِحَةٌ وَاكْتَفَى هَوَاكَ وَعَدَّ القَوْلَ فِي لَطْفِ

^١ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي المغيثي، نسبة إلى قرية المغيشة ببيهق. انظر في ترجمته وأخباره: البيهقي: تاريخ بيهق وذكر العلماء والأئمة والأفاضل الذين نبغوا فيها أو انتقلوا إليها، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، دار أقرأ، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ٢٩١-٢٩٢.

^٢ حماد بن إسحاق بن إبراهيم التميمي المعروف بالموصلّي، كان أديباً راوية، أخذ أكثر علم أبيه، ولحق بكبار مشايخه، له تصانيف. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٤٤١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٢٣.

^٣ أحمد بن أبي داود بن حريز الإيادي، ولي قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق، وهو من أعلن مذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وتوفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٦٦-٧٨.

^٤ ذكرت بعض هذه الأبيات في كتاب: الأغاني، ج ٥، ص ٢٣٢-٢٣٣، ج ٩، ص ٢١١؛ وراجع مادة النجف لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧١-٢٧٢.

لم ينزل^(a) النَّاسَ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ
كَانَ ثُرَيْبَةُ مِنْكَ يَفُوحُ بِهِ
حُفَّتْ بَيْرٌ وَيَحْرِ مِنْ جَوَانِبَهَا^(b)
وَبَيْنَ ذَلِكَ بَسَاتِينٌ يَسِيحُ بِهَا
وَمَا يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ أَيَّامِهِ
تَلْقَاكَ مِنْهُ قُبَيْلَ الصُّبْحِ رَائِحَةٌ
لَوْ حَلَّهُ مُدْنَفٌ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهِ
يُؤْتِي الحَلِيفَةَ مِنْهُ كُلَّمَا طَلَعَتْ
وَالصَّيْدُ مِنْهُ قَرِيبٌ إِنْ هَمَمْتَ بِهِ
مِنْ كُلِّ أَقْرَنَ مَمْشُوقٍ قَوَائِمُهُ
وَطَيْرٌ مَاءٍ وَدُرَّاجٌ يُسَاوِرُهُ
فِيَا لَهُ مَنْزِلًا طَابَتْ مَسَاكِنُهُ
حَلِيفَةٌ وَائْتَقُ بِاللهِ هِمَّتُهُ
سَاسَ البَرِيَّةَ فَانْقَادَتْ لَطَاعَتِهِ
أَقَامَ فِيهِمْ قَنَاءَةَ العَدْلِ فَانْتَصَبَتْ

أَصْفَى هَوَاءً وَلَا أَعْدَى مِنَ النَّجَفِ
أَوْ عَنَبٌ دَافَهُ العَطَارُ فِي الصَّدْفِ
فَالْبُرُّ فِي طَرْفِ وَالبَحْرُ فِي طَرْفِ
نَهْرٌ يَجِيشُ بِجَارِي سَيْلِهِ القَصْفِ
يَأْتِيكَ مِنْهُ بِرِيًّا رُوَصَّةٌ أَنْفِ [٧٦٦ظ]
تَشْفِي السَّقِيمَ إِذَا أَشْفَى عَلَى التَّلْفِ
إِذَا شَفَاهُ مِنَ الأَسْقَامِ وَالدَّنْفِ
شَمْسُ النَّهَارِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّحْفِ
يَأْتِيكَ مُؤْتَلِفًا فِي زِيٍّ مُخْتَلِفِ
وَكُلُّ بِحَرْجَةٍ مُنْشَقَّةِ الظَّلْفِ
بِأَنْ يُعْلَقَهُ فِي جَوْ مَخْتَطِفِ
لَحِيرٍ مِنْ حَازٍ بَيْنَ العِزِّ وَالشَّرْفِ
تَقْوَى الإِلَهَ بِحَقِّ الله مُعْتَرِفِ
طَوْعًا بِلَا حَرْقٍ مِنْهُ وَلَا عُنْفِ
وَسَارَ فِيهِمْ بِلَا مَيْلٍ وَلَا جَنْبِ^١

^(a) في الأصل: ما إن رأى، والتصويب من أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني.

^(b) في الأصل: "حف بير وبحر فهي بينهما".

^١ قارن: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٧، ص ١٤٩-١٥٠.

وقال الحسين بن الضحَّاك^١ في سُرْمَرَى من شِعْرِ طَوِيلِ (شِعْرِ):

[المقارب]

^a [إِلَى حَازِنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ سِرَاجَ النَّهَارِ وَبَدْرَ الظُّلْمِ]^a
 رَحَلْنَا غَرَايِبَ زَيَافَةَ^٢ بِدَجَلَةَ فِي مَوْجِهَا الْمَلْتَطِمِ
 سَوَائِحَ أَيَقَنَ أَلَا قَرَارَ دُونَ مُبَارَكَةِ الْمُعْتَصِمِ
 فَلَمَّا دُفِعْنَا لِقَاطُوهَا وَدُهُمُ قَرَايِرَهَا تَضَطَّدِمِ
 سَكَنَّا إِلَى خَيْرِ مَسْكُونَةٍ تَيَمَّمَهَا رَاغِبٌ مِنْ أَمَمِ
 مُبَارَكَةٍ شَادَ بُنْيَانَهَا بِخَيْرِ الْمَوَاطِنِ خَيْرِ الْأَمَمِ
 كَأَنَّ بِهَا نَشَرَ كَافُورَةٍ لِيَرِدَ ثَرَاهَا وَطِيبِ النَّسِمِ
 كَظْهَرِ الْأَدِيمِ إِذَا مَا السَّحَابُ صَابَ عَلَى مَتْنِهَا وَأَنْسَجِمِ
 مُبْرَأَةً مِنْ وَحُولِ الشِّتَاءِ ^b إِذَا مَا طَمَى وَخَلُّهُ وَازْتَكَمِ^b
 فَمَا إِنْ يَزَالُ بِهَا رَاجِلٌ بَغِيثِ سَمَاءٍ وَلَا يَزْتَطِمِ
 يَمُرُّ عَلَى رِشْلِهِ آمِنًا نَقِيَّ الشَّرَاكِ نَقِيَّ الْقَدَمِ

^(a-a) ساقطة من الأصل، وتتمه الأبيات من أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني.

^(b-b) في الأصل: إذا بحره والنظم، والتصويب من أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني.

^١ الحسين بن الضحَّاك بن ياسر الخليل الباهلي البصري، أبو علي، يلقب بالأشقر، له شعر رقيق عذب، اتصل بعدد من الخلفاء العباسيين ونادهم. وتوفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٦٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٥٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٠٦٣-١٠٦٧.

^٢ الغرايب: جمع غراب، وهي سفن سريعة سوداء اللون. درويش التخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، منشورات جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م. ص ١٠٤؛ وزياقة: أي السريعة. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ٢٣، ص ٤١٢.

بِجَرَعَاءَ لَا صَيْفُهَا سَاطِعٌ تَحَرَّقَ فِي بَرِّهَا بَعْرُهَا
فَأَخَذَقَ حَوَازَاتِهَا بِالسَّلْمِ فَلِللَّضَبِّ وَالثُّونِ فِي بَطْنِهَا
جِوَارٌ مَرَاتِعٌ لِلنَّعَمِ إِذَا مَا الرَّبِيعُ بِأَنْوَائِهِ
كَسَاهَا زَخَارِفَ مِمَّا نَجَمُ وَعَمَّ أَغْلَامُهَا زَهْرَةٌ
وَجَلَّلَ قِيَعَاتِهَا وَالْأَكَمِ غَدَوْتَ عَلَى الْوَحْشِ مَنْظُومَةً
رَوَاتِعَ فِي نَوْرِهَا الْمُنْتَظَمِ وَرُحْتُ عَلَيْهَا وَأَسْرَابُهَا
شَوَارِعُ فِي عَدْرِهَا تَزْدَحِمُ كَأَنَّ شَوَادِنَ غِزْلَانِهَا
نَجُومٌ بِأَكْتَانِهَا تَبْتَسِمُ فَلَا أَيْنَ عَن وَطَنِ خَصَّةُ
عَقِيدُ السَّمَاحِ وَأَسُّ الْكَرَمِ^١

[الكامل]

وقال فيها أيضاً (شعر): [٧٧٧]

إِنَّ الْمَصِيفَ بِهَا كَفَضْلِ سِوَاهَا كُلُّ الْبِلَادِ لِسُرْمَرَى شَاهِدٌ
وَعُدُّوْهَا وَرَوَاحِهَا وَضَحَاهَا فِنِحَاءُ طَابَ مَقِيلُهَا وَمَيْتُهَا
وَجَرَتْ بِطَيْبِ نَسِيمِهَا وَنَشَاهَا إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَفَّسَتْ بِرِبَاعِهَا
مِنْ جَنَّةٍ حَضَبَاوْهَا وَثَرَاهَا فَكَأَنَّهَا سَبَقَتْ إِلَيْكَ بِنَفْحَةٍ

[الطويل]

وقال أيضاً (شعر):

مَجَلَّةٌ مِنْ مُغْرَمِ بَهَاوَاهَا عَلَى سُرْمَرَى وَالْمَصِيفِ نَحِيَّةٌ
تُقَرَّبُ مِنْ ظِلِّيْهَا وَذُرَاهُمَا أَلَا هَلْ لِمُسْتَقِيقِ بَيْغَدَادِ رَجْعَةٌ
عَزِيمَةٌ رُشِدٍ فِيهَا فَاصْطَفَاهُمَا حَلَّانَ لَقَى اللَّهَ خَيْرَ عِبَادِهِ
عَلَى أَهْلِ بَغْدَادِ جُعِلَتْ فِدَاهُمَا وَقَوْلَا لِبَغْدَادَ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ
حَرُورُكَ حَتَّى رَأَيْتِي نَاطِرَاهُمَا أَفِي بَعْضِ يَوْمٍ شَفَّ عَيْنِي

^١ قارن: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٧، ص ١٤٩-١٥٠.

وقال أيضاً (شعر):

[الرجز]

أخذُ بما تَسْمَعُهُ يا حَادِي وَقُلْ بِرَتِيلِكَ فِي الْإِنْشَادِ
جَادِكِ يَا بَعْدَادَ مِنْ بِلَادِ إِلَي تَمَارِي مِنْ قُرَى السَّوَادِ
فَحُقْبَةَ السَّيْبِ فَبَطْنِ الْوَادِي فَالْعَرَصَةِ الطَّيِّبَةِ الْمُرَادِ
صَيِّبُ كُلِّ رَائِحٍ وَغَادِ يَا كَيْتَ شِعْرِي وَالْحَيْنُ زَادِي
هَلْ لِي إِلَى ظِلِّكَ مِنْ مَعَادِ اللَّهُ مَا هَجَّتْ عَلَى الْبِعَادِ
لِقَلْبِ حِرَّانَ إِلَيْكَ صَادِ بَدَلْ مِنْ رَيْفِكَ الْبَوَادِي
بِقَفْرَةٍ مُوحِشَةٍ الْأَطْوَادِ مَجْهُولَةٍ مَجْدِيَّةِ حَمَادِ
بَعِيدَةِ الْوَرْدِ مِنَ الْوَرَادِ

[الخفيف]

٣ وقال فيها أيضاً (شعر): [٧٧ظ]

سَرَمَرِي أَسْرُ مِنْ بَعْدَادِ قَالَهُ عَنْ بَعْضِ^١ ذِكْرَهَا
حَبْدًا مَسْرَحٌ هَا لَيْسَ يَجْلُو أَبَدًا مِنْ طَرِيدَةٍ وَطَرَادِ
وَرِيَاضٌ كَأَنَّهَا نَسْرُ الرَّهْرِ عَلَيْهَا مُجَبَّرُ الْأَبْرَادِ
وَأَذْكَرُ الْمُشْرِفِ الْمُطَّلِّ مِنَ التَّلِّ عَلَى الصَّادِرِينَ وَالْوَرَادِ
وَإِذَا رَوَّحَ الرَّعَاءُ فَلَا تَنْسَ دَوَاعِي فَوَاقِدِ الْأَوْلَادِ

^١ في الأصل: عن ذكر ذكرها المعتاد.

وقال فيها أيضاً (شعر):

[الطويل]

سَقَى اللهُ مَا وَالِي الْمَصِيفَ وَمَا انطوى
 فَلَمْ أَرَ أَيَّامًا تَسُرُّ قِصَارَهَا
 بِلَادٌ خَلَّتْ مِنْ كُلِّ رَبِّ فَلَا تَرَى
 أَصَبُ بِمَشْتَاهَا وَلِيْنِ مِصِيفَهَا
 كَأَنَّ حِصَاهَا بُثٌّ فِي عَرَصَاتِهَا
 تُرِيكَ إِذَا الْوَسْمِيُّ جَادَ مُتَوَّهَا
 رِيَاضًا تَحَارُّ الْعَيْنُ فِي جَنَابَتِهَا
 كَأَنَّهَا فِي كُلِّ فَجٍّ سَلَكْتُهُ
 تَرَاعَى بِهَا عُفْرُ الطَّبَّاءِ سَوَاكِتَا
 سَكَنَ إِلَى حَامٍ حَاهُنَّ رَافَةٌ
 كَفَاهُنَّ رَوْعَاتِ الطَّرَادِ ذِمَامُهُ
 يَهَادِينَ بِالْحَيْرَيْنِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ
 كَأَنَّ مَرَايِعَ السَّجَالِ خِلَالَهَا
 تَرَاهُنَّ مِنْ قَرْطِ الْمِرَاحِ شَوَاخِمَا
 فَلَا بَرِحَتْ دَارُ الْإِمَامِ بَغِيطَةٍ
 تَخَيَّرَهَا دُونَ الْبِقَاعِ مُوَفَّقُ

عَلَى سُرْمَرِي مُسْتَهَلًّا وَمُبَكِّرَا
 أَسْرًا مِنَ الْأَيَّامِ فِيهَا وَأَقْصَرَا
 بِلَادًا تُؤَاوِيهَا غِذَاءً وَمَنْظَرَا
 وَرِقَّةً فَضْلِيهَا إِذَا الْأَفْقُ أَشْقَرَا
 فَرَائِدَ مَرْجَانٍ وَدُرًّا مُسَطَّرَا
 وَعَادَ عَلَيْهِنَّ الْوَلِيُّ فَأَمْطَرَا
 إِذَا ضَفَرَ الْأَرْضَ الرَّبِيعُ وَحَمَّرَا
 تَهَارِقُ زُرْيَابٍ وَوَشْيَا مُحَبَّرَا
 أَوَامِنَ فِي أَكْتَاْفِهَا أَنْ تُتَفَرَا
 فَمَدَّ حَمِيٍّ مِنْ دُونِهَا وَحَيَّرَا
 فَمَا تَعْرِفُ الطَّرَادَ إِلَّا تَذَكَّرَا
 حَدَائِقَ جَنَاتٍ وَمَاءً مُفَجَّرَا
 نُجُومٌ تَهَادَى مُنْجِدَاتٍ وَعُورَا
 مِنَ الْعُجْبِ مَا يَمْشِينَ إِلَّا تَخْتَرَا
 وَلَا زَالَ شَأْنِيهَا بِأُصْلَدٍ أَوْعَرَا
 أَصَابَ طَرِيقَ الرَّشْدِ فَمَا تَحْيَّرَا

[٧٨] وكان المتوكل قد انتقل من سمرى إلى الجعفرى، وانتقل معه عامة أهل سمرى حتى كادت أن تخلو، فقال في ذلك، أبو علي البصير^١ (شعر):

[الكامل]

إِنَّ الْحَقِيقَةَ غَيْرُ مَا تَوَهَّمُ فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ أَيَّ أَمْرِ تَعَزِّمُ
 أَتَكُونُ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ تَأْخِرُوا عَنْ حَظِّهِمْ أَمْ فِي الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
 لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومُ نَفْسِكَ حِينَ لَا يُجِدِي عَلَيْكَ تَأْسُفٌ وَتَنْدُمُ
 أَضْحَتْ قِفَارًا سُرْمَرَى مَا بِهَا إِلَّا لِنُقْطِيعِ بِهِ مُتَلَوِّمُ
 تَبْكِي بِظَاهِرٍ وَخَشِيَةٌ وَكَأَنَّهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ تَبْكِي بَعَيْنِ تَسْجُمُ
 كَأَنْتَ تَنْظَلَمُ كُلُّ أَرْضٍ مَرَّةً عَنْهَا فَصَارَتْ بَعْدُ وَهِيَ تُظَلَّمُ
 رَحَلَ الْإِمَامُ فَأَضْبَحَتْ وَكَأَنَّهَا عَرَصَاتُ مَكَّةَ حِينَ يَمْضِي الْمَوْسِمُ
 وَكَأَنَّهَا تِلْكَ الشَّوَارِعُ بَعْضُ مَا أَخَلَّتْ إِيَّادًا مِنَ الْبِلَادِ وَجُرْهُمُ
 كَأَنْتَ مَرَادًا لِلْعُيُونِ فَأَضْبَحَتْ عِظَةً وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
 وَكَأَنَّ مَسْجِدَهَا الْمَشِيدَ بِنَاوِهِ رُبْعُ أَحَالَ وَمَنْزِلُ مَرَسَمُ
 وَإِذَا مَرَزَتْ بِسُوقِهَا لَمْ تُنْجِ عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ وَلَمْ تَحْجِزْ مِنْ يَزْحَمُ
 وَتَرَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ كَأَنَّهُمْ خَلَقُوا أَقَامُ وَغَابَ عَنْهَا الْقِيَمُ
 فَارْحَلْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَخْتَلُّهَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِنْ ذَلِكَ أَحْزَمُ
 وَأَنْزِلْ مُجَاوِرُهُ بِأَكْرَمِ مَنْزِلِ وَتَيَسَّمُ الْجِهَةَ الَّتِي يَتَيَسَّمُ
 أَرْضٌ تَسَالِمُ صَيْفُهَا وَشِتَاؤُهَا فَالْجِسْمُ بَيْنَهُمَا يَصِحُّ وَيَسْلَمُ

^١ أبو علي البصير: الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب الأنباري، لقب بالبصير لذكائه، وهو أحد الأديباء البلغاء الظرفاء، كان به ميلا للتشيع، توفي في سامراء في خلافة المعتد بالله. انظر في ترجمته وأخباره: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٤٣٩٧؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣١٤.

وَصَفَتْ مَشَارِبُهَا وَرَاقَ هَوَاؤُهَا وَالتَّدُّ بَرْدٌ نَسِيمُهَا التَّنَسُّمُ
سَهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ لَا تَجْتَوِي حَرًّا وَلَا قَرًّا وَلَا تُسْتَوْحَمُ^١

[٧٨] وَيُقَالُ إِنَّ الْمُعْتَصِمَ مَلِكَ ثَمَانِي سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ. وَكَانَ مُلْكُهُ
٣ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْفُتُوحِ ثَمَانِيَّةٌ. وَبَنَى ثَمَانِيَةَ قُصُورٍ.
وَوَلَدَ لَهُ ثَمَانِيَةُ ذُكُورٍ وَثَمَانِي إِثَاثٍ وَخَلَّفَ فِي بَيْتِ الْمَالِ ثَمَانِيَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَثَمَانِيَةَ
أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَمِنَ الْقُصُورِ: الْجَوْسُوقُ، وَالْقَيْدُ الْمَلْلِيُّ، وَقَصْرُ الْجِصِّ، وَقَصْرُ
٦ الْقُصُورِ، وَعَمُورِيَّةٌ، وَقَصْرُ الْمَطَامِيرِ، وَالْقَصْرُ السَّيَّانِيُّ، وَالْقَصْرُ الْحَقَّاقَانِيُّ. وَالْفُتُوحُ:
الزُّطُّ^٢، وَالْمُحَمَّرَةُ، وَبَابُكَ، وَعَمُورِيَّةٌ^٣، وَالْمَازِيَارُ^٤، وَجَعْفَرُ الْكُرْدِيُّ^٥، وَالْحَسَنُ ابْنُ
حَلْيُونِهِ، وَالْحَوْفُ بِمَضْرُ^٦.

^١ راجع مادة الجعفري لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤٣.

^٢ عن محاربة الزط وتأديبهم: راجع: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، [حوادث سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م]،
ج ٩، ص ٨-١٠.

^٣ عن استتفار المعتصم، وأهل مدينة السلام تجاه الحمرة، وقتله بابك، وفتح عمورية. انظر: الطبري: المصدر
السابق، [حوادث سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م - ٢٢٢هـ/٨٣٧م]، ج ٩، ص ٦٥-٧٠.

^٤ مازيار بن قارن، والي المعتصم على طبرستان. خالف على المعتصم وحجب الخراج، وحاول الاستقلال
بـطبرستان. للمزيد من التفاصيل انظر: الطبري، المصدر السابق، [حوادث سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م]، ج ٩،
ص ٨٠-٨٧.

^٥ جعفر الكردي، أحد الخارجين خالف على المعتصم وسبى الذراري والنساء. للمزيد انظر: أبو حنيفة الدينوري،
الأخبار الطوال، ص ٤٠٢-٤٠٦.

^٦ من أسكنهم المعتصم بحوف مصر «... وكان المعتصم قد اصطنع قوماً من أهل الحوف بمصر،
واستخدمهم، وسأهم المغاربة، وجمع خلقاً من سمرقند، وأسروشنة، وفرغانة، وسأهم الفراغنة، فكانوا من
أصحابه، ويقوا بعده». انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، [حوادث سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م]، ج ٦، ص ١٦.

وكتب عبد الله بن المعتز^١ إلى بعض إخوانه يذكر سرّ مرّى بعد خرابها ويذمّ
بغداد وأهلها:

«كُتِبْتُ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدَةٍ قَدْ أَتْهَضَّ الدَّهْرُ سَكَّاتَهَا، وَأَقْعَدَ جُدْرَانَهَا، فَشَاهَدُ الْيَأْسَ ٣
فِيهَا يَنْطِقُ، وَحَبْلُ الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ، فَكَأَنَّ عُمْرَاتَهَا يُطْوَى، وَكَأَنَّ خَرَابَهَا يُنْشَرُ. قَدْ
وَكَلَّتْ إِلَى الْهَجْرِ نَوَاحِيهَا، وَحُتَّ بِأَقْيَمِهَا إِلَيْنَ فَانِيهَا، وَتَمَزَّتْ بِأَهْلِهَا الدِّيَارُ. فَمَا يَجِبُ ٦
فِيهَا حَقُّ جَوَارٍ، فَالظَّاعِنُ عَنْهَا مَمْحُوءُ الْأَثَرِ.

والمقيم بها على طرف سفره تهاؤه إزجاف، وسروره أحلام، ليس له زاد ٣
فيرحل، ولا مدع فيرتع. فحالمها تصف للعيون الشكوى، وتشير إلى دم الدنيا،
بغدا كانت بالرأى القريب جنة الأرض وقرار الملك. تفيض بالجنود أقطارها ٩
عليهم أزدية السيوف وغلائل الحديد، كأن رماحهم قرون الوعول، ودروعهم زبد
السيول، على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالنقع ستائرها.

قد ثيرت في وجوهها غرر كأنها صحائف البرق، وأمسكها تخجيل كأسورة ١٢
اللجين، وقطت عذرا كالسنوف في جيش يتلقف الأعداء أوائله ولم تنهض
أواخره. قد صب عليه وقار الصبر، وهبت له ريح النضر.

يصرفه ملك يملأ العين جمالا، والقلوب جلالا، لا تختلف خيلته، ولا تنقص ١٥
مريته ولا يخطئ بسهم الرأي غرض الصواب، ولا يقطع بمطايا اللهو سفر [٧٩]

^١ عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي، كان كثير السماع غزير الرواية، واحد دهره
في الأدب والشعر، صاحب تصانيف. قتل سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست،
ج ١، ص ٣٥٩-٣٦٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٣٠٢-٣٠٨.

الشباب، قابضاً بيد السياسة على أقطارٍ مُلكٍ لا يتشبرُ حبلُهُ، ولا تتشظى عصاهُ،
ولا تطفئ جمرتهُ، في سنِّ شبابٍ لم ينجنِ مائتاً وشيبٍ لم يراهقِ هَرَمًا. قد فرسَ مهَاد
عذله، وخفّض جناحِ رحمته، راجحاً بالعواقبِ [الظنون] ^(a) لا تطيشُ عن قلب
فاضلِ الحزمِ بعدَ العزمِ، ساعياً على الحقِّ يعملُ به عارفاً بالله يقصدُ إليه، مُقِرّاً
للحلمِ ويندله، قادراً على العقابِ ويعدُّ فيه.

٦ إذا النَّاسُ في دهرٍ عَافِلٍ قد اطمَانتْ بهم سيرةٌ لينةُ الحواشي، حَشِنَةُ المَرَامِ، تطيرُ
بها أجنحةُ الشرورِ. ويهبُ فيها [تَسِيمٌ] ^(b) الحُبُورِ، فالإطراقُ على مَسْرَةٍ، والنظرُ إلى
مِسْرَةٍ، قبلَ أنْ تُحَبَّ مطاياَ الغيرِ، وتُسْفِرَ وجوهُ الحذرِ، وما زالَ الدهرُ مليئاً
٩ بالنوائبِ، طارِقاً بالفجائعِ، يُؤمَنُ يَوْمُهُ ويغدُرُ غَدُهُ.

على أنّها وإن جُفِيتْ معشوقةُ السكنى رحيبةُ الثوى، كوكبها يقظانٌ، وجوها
عُزَيَانٌ، وحصاها جَوْهرٌ، وتَسِيمُها ^(c) [مُعَطَّرٌ، وتُرايها مِسْكٌ أذقرٌ، ويومها عَدَاةٌ،
١٢ وليئها] ^(c) سَحَرٌ، وطعامها هَنِيءٌ، وشرايها مَرِيءٌ، وتاجرُها مَالِكٌ، وفقيرُها فَاتِكٌ.

لا كَبْغَدَا دِكْمُ الوَسِخَةِ السَّمَاءِ، الوَمْدَةُ الهَوَاءِ، جَوْها تَارٌ، وأزُضها نَخَابٌ، وماؤُها
حَمِيمٌ، وتُرايها سِرَجِينٌ، وحيطاؤها نُزُورٌ، وتشرينها تَمُوزٌ، فكم في سَمْسِها من محترقِ،
١٥ وفي ظلِّها من عَرِيقٍ ^١.

^(a) ساقطة من الأصل: والتتمة من ياقوت.

^(b) التكملة من ياقوت.

^(c-c) ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

^١ قارن: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٧.

صَيِّقَةُ الدِّيَارِ، قَاسِيَةُ الْجَوَارِ، سَاطِعَةُ الدُّخَانِ، قَلِيلَةُ الصَّيْفَانِ، أَهْلُهَا ذِنَابٌ،
 وَكَلَامُهُمْ سِبَابٌ، وَسَائِلُهُمْ مَحْرُومٌ، وَمَاهُهُمْ مَكْتُومٌ، لَا يُجُوزُ إِنْفَاقُهُ، وَلَا يُخْلَى
 خِنَاقُهُ، حَشُوشُهُمْ مَسَائِلٌ، وَطَرَقُهُمْ مَزَابِلٌ، وَحِيَطَانُهُمْ أَخْصَاصٌ، وَيُوتُّهُمْ أَفْقَاصٌ،
 وَلِكُلِّ مَكْرُوهٍ أَجَلٌ، وَلِلْبِقَاعِ دَوْلٌ، وَالذَّهْرُ يَسِيرٌ بِالْمُقِيمِ، وَيَمزُجُ البُؤْسَ بِالنَّعِيمِ،
 وَبَعْدَ اللَّجَاجَةِ انْتِهَاءٌ، وَاهْمٌ إِلَى فَرْجَةٍ، وَلِكُلِّ سَابِلِهِ قَرَارٌ، وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ، وَهُوَ
 مُحَمَّدٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ^١.

وَفِي خَرَابِ سُرْمَرِي يَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ (شِعْرًا):

[الطويل]

عَدَّتْ سُرْمَرِي فِي الْعَفَاءِ كَأَنَّهَا قَفَا نَبِكٍ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
 أَصْبَحَ أَهْلُوهَا شَبِيهَا بِحَالِهَا لَمَّا نَسَجْتُهُمْ مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
 إِذَا مَا امْرُؤٌ مِنْهُمْ شَكَأَ سُوءَ حَالِهِ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ^٢

^١ نص الرسالة بتامها لدى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٧.

^٢ انظر مادة سامراء لدى ياقوت الحموي- ج ٣، ص ١٧٨.

الْقَوْلُ فِي السَّوَادِ وَصِفَتِهِ وَأَعْلَامِ حُدُودِهِ
وَكُورِهِ وَطَسَائِسِيَجِهِ وَسَبَبِ مِسَاحَةِ أَرْضِهِ
وَتَقْدِيرِ خَرَاஜِهِ وَطُولِهِ وَعَرْضِهِ

[٧٩ظ] قال المدائني^١: السَّوَادُ عَشْرُ كُورٍ وَهُوَ مِنْ لَدُنِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى أَوَّلِ حَدِّ الْجَبَلِ دُونَ حُلْوَانَ، وَالسَّوَادُ الَّذِي وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْمِسَاحَةُ مِنْ لَدُنِ نَحْوِ الْمُؤَصِّلِ مَاذَا مَعَ الْمَاءِ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ عَبَادَانَ مِنْ شَرْقِيٍّ دِجْلَةَ، هَذَا طُولُهُ.
فَأَمَّا عَرْضُهُ فَحَدُّهُ مُنْقَطِعِ الْجَبَلِ مِنْ أَرْضِ حُلْوَانَ إِلَى مُتَهَيِّ طَرَفِ الْقَادِسِيَّةِ الْمُتَّصِلِ بِأَرْضِ الْعُدَيْبِ. فَهَذِهِ حُدُودُ السَّوَادِ وَعَلَيْهَا وَضِعَ الْخَرَاجُ.^٢
وقال الأضمعي^٣: السَّوَادُ سَوَادَانِ فَسَوَادُ الْبَصْرَةِ: الْأَهْوَازُ وَدَسْتَمِيسَانُ وَقَارِسُ.
وَسَوَادُ الْكُوفَةِ: كَسْكُرُ إِلَى الزَّابِ وَحُلْوَانَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ.

وقال أبو معشر^٤: إِنَّ الْكَلْدَانِيَّيْنَ هُمَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْزِلُونَ بَابِلَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ.
ويقال: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَكَنَهَا وَعَمَّرَهَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَهَا بِعَقَبِ الطُّوفَانِ.

^١ مرت ترجمته ص ٢٢٣.

^٢ بنصه لدى أبو عبيد البغدادي: الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨١ م. ص ٩١؛ الصولي: أدب الكاتب، تصحيح وتعليق: محمد بهجت الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٩٢٣ م. ص ٢١٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٠٣.

^٣ تقدمت ترجمته ص ١٩٩.

^٤ أبو معشر: نجيب بن عبد الرحمن السندي المدني. مشهور بكنيته. ضعفه رجال الحديث، توفي ببغداد سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤١٨؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج ٨، ص ١١٤؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٤٩٣-٤٩٤.

فَصَارَ هُوَ وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنَ السَّفِينَةِ إِلَيْهَا لِيَطْلُبَ الرَّفَاءَ^(أ) فَأَقَامُوا بِهَا وَتَنَاسَلُوا فِيهَا وَكَثَرُوا مِنْ بَعْدِ نُوحٍ، وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمْ مُلُوكًا، وَابْتَنَوْا بِهَا الْمَدَائِنَ، وَاتَّصَلَتْ مَسَاكِنُهُمْ بِدِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ، إِلَى أَنْ بَلَغُوا مِنْ دِجْلَةَ إِلَى أَسْفَلِ كَسْكَرٍ وَمِنْ الْفُرَاتِ إِلَى مَا وَرَاءَ الْكُوفَةِ. وَمَوْضِعُهُمْ هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ السَّوَادُ.

وَكَانَتْ مَلُوكُهُمْ تَنْزِلُ بِبَابِلَ. وَكَانَ الْكَلْدَانِيُّونَ جُنُودَهُمْ. فَلَمْ تَزَلْ تَمْلِكُهُمْ قَائِمَةً إِلَى أَنْ قُتِلَ "دَارَا" آخِرَ مَلُوكِهِمْ، ثُمَّ قُتِلَ مِنْهُمْ حَلَقٌ [كَثِيرٌ]^(ب) فَذَلُّوا وَانْقَطَعَ مُلْكُهُمْ^١.

وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ^٢: أَنَّ مَدِينَةَ بَابِلَ كَانَتْ اثْنِي عَشَرَ فَرَسَخًا^٣ فِي مِثْلِ ذَلِكَ. وَكَانَ بَابُهَا مِمَّا يَلِي الْكُوفَةَ. وَكَانَ الْفُرَاتُ يَجْرِي بِبَابِلَ حَتَّى صَرَفَهُ بُحْتُ نَصْرٍ^٤ إِلَى مَوْضِعِهِ الْآنَ مَخَافَةَ أَنْ يَهْدِمَ عَلَيْهِ سُورَ الْمَدِينَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَجْرِي مَعَهُ.

قَالَ: وَمَدِينَةُ بَابِلَ بَنَاهَا بِيورَاسِبٌ^٥ وَاشْتَقَّ اسْمُهَا مِنْ اسْمِ الْمُشْتَرَى، لِأَنَّ بَابِلَ بِاللُّسَانِ الْبَابِلِيِّ الْأَوَّلِ اسْمٌ لِلْمُشْتَرَى. وَلَمَّا بَنَاهَا جَمَعَ فِيهَا كُلَّ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ

^(أ) في الأصل: لطلب الدنى، والتصويب من ياقوت: معجم البلدان.

^(ب) في الأصل: خلقًا. والزيادة من ياقوت.

^١ أورد ياقوت الحموي هذه الأخبار بتامها في مادة السواد، وعزاها إلى المصادر المذكورة آنفًا. راجع: ج ٣، ص ٢٧٣.

^٢ هشام بن محمد، انظر فيما تقدم ص ١٢٨.

^٣ الفرسخ: ثلاثة أميال، وبالاطوال الحديثة حوالي ٦ كيلومترات. انظر: فالترهتس: المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.

^٤ مرت ترجمته ص ١٦٣.

^٥ بيوراسب أو بيوراسف. وقد تقدمت ترجمته.

العلماء. وبنى لهم اثني عشر قصرًا على عدد [٨٠ و] البروج وسمّاها بأسمائهم. فلم
تزل عامرة حتى خرّج الإسكندر فأخرّبها^١.

٢ وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكِينَ مِنْ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ [البقرة:

١٠٢]. فرؤي عن الأعمش^٢ قال: كان مجاهد^٣ لا يسمع بشيء من الأعاجيب إلا
مصى حتى ينظر إليه، وإنه صار إلى حضرموت حتى نظر إلى بئر برهوت^٤.

٦ وأتى بابل فلقى رجل من رؤساء أهلها كان عارفاً به. فلما لقيه أكبره وقال له:

أبا الحجاج، ما تصنع هاهنا؟! قال: حاجة لي إلى رأس الجالوت، أحب أن تدخلني

إليه وتعرفه من أنا. فأدخله إليه وعرفه محله وموضعه. وقال له: حاجة إليك؟ قال:

٩ وما حاجتك؟ قال: تأمر بغض اليهود أن يُرَبِّي هَارُوتَ وَمَارُوتَ.

فامتنع عليه طويلاً، ثم قال له: أخشى أن لا تتمسك. قال: أزجو أن لا يكون

إلا ما تحب. فأرسل إلى رجل من اليهود فقال: اذهب بهذا، فأدخله إلى هاروت

١٢ وماروت. فقال له اليهودي: كيف تجد قلبك؟ قال: ما شئت.

^١ أورد ياقوت الحموي هذا الخبر بتامه ونسبه إلى هشام بن محمد الكلبي. انظر: مادة بابل، ج ١، ص ٣١٠.

^٢ سليمان بن مهران الأسدي. أبو محمد، الملقب بالأعمش، من كبار التابعين، وأحد العلماء بالقرآن والفرائض
والحديث. توفي سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م.

انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٤٢-٣٤٣، البخاري: التاريخ الكبير، ج ٤،
ص ٣٧-٣٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٥؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٢،
ص ٧٦.

^٣ أي مجاهد بن جبر، وقد مرت ترجمته ص ١٠٨.

^٤ بئر بحضرموت: يقال إن ماء أسود متين تذهب إليه أرواح الكفار. انظر مادة برهوت لدى ياقوت الحموي:

معجم البلدان، ج ١، ص ٤٠٥-٤٠٦.

فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَكَانٍ غَامِضٍ فِي الصَّخْرَاءِ، وَإِذَا صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ فَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا كَلَامًا ذَكَرَ أَنَّهُ مِنَ التَّوْرَةِ. فَأَقْبَلَتْ تَهْتَرًا، ثُمَّ رَفَعَهَا وَأَزَالَهَا عَنْ مَكَانِهَا وَكَانَتْ لَا يَقْلُهَا مِائَةٌ رَجُلٍ. وَإِذَا تَحْتَهَا شَيْبَةٌ بِالسَّرْبِ. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: تَعَلَّقْ بِي وَانظُرْ أَنْ لَا تَذْكُرَ اللَّهَ. ٣
فَنَزَلَ مَعَهُ مُجَاهِدٌ فَلَمَّ يَزِلُّ يَبْهَوِي بِهِ حَتَّى صَارَ إِلَى فِضَاءٍ عَظِيمٍ، وَإِذَا هُمَا مِثْلَ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، مَنكُوسَانِ عَلَى رُؤُوسِهِمَا، وَعَلَيْهِمَا الْحَدِيدُ مِنْ أَعْتَاقِهِمَا إِلَى أَفْدَانِهِمَا ٦
مُصَفِّدِينَ بِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا مُجَاهِدٌ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فَاضْطَرَبَا اضْطِرَابًا شَدِيدًا حَتَّى كَادَا أَنْ يَقْطَعَا مَا عَلَيْهِمَا مِنَ الْحَدِيدِ.

وَخَرَّ الْيَهُودِيُّ وَمُجَاهِدٌ عَلَى وُجُوهِهِمَا وَقَتًا طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَا فَقَالَ الْيَهُودِيُّ لِمُجَاهِدٍ: ٩
أَلَمْ أَتَقَدَّمْ إِلَيْكَ أَلَّا تَذْكُرَ اللَّهَ!؟ كِدْنَا وَاللَّهِ، أَنْ نَهْلِكَ وَلَا نَقْدِرَ عَلَى الْخُرُوجِ أَبَدًا. فَتَعَلَّقَ بِهِ مُجَاهِدٌ، فَلَمْ يَزَلْ يَضَعُدُّ بِهِ حَتَّى خَرَجَا إِلَى الْأَرْضِ^١.

وَيُقَالُ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْحَطَّابِ سَأَلَ دَهْقَانَ الْقَلُوجَةَ عَنْ عَجَائِبِ بِلَادِهِمْ. فَقَالَ: ١٢
كَانَتْ بَابِلُ سَبْعِ مُدُنٍ، فِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَعْجُوبَةٌ لَيْسَتْ فِي [٨٠ظ] الْأُخْرَى، فَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي يَنْزِلُهَا الْمَلِكُ بَيْتٌ فِيهِ صُورَةُ الْأَرْضِ كُلِّهَا بَرَسَاتِيئِهَا وَقُرَاهَا وَأَنْهَارُهَا. فَمَتَى التَّوَى [أَحَدًا]^٩ بِحَمْلِ الْحِرَاجِ أَوْ غَيْرِهِ [مِنْ]^٨ أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ جَمِيعِ الْبُلْدَانِ، ١٥
خَرَقَ أَنْهَارُهُمْ فَعَرَفْتَهُمْ وَأَتَلَفَتْ زُرُوعُهُمْ وَجَمِيعَ مَا فِي بِلَادِهِمْ حَتَّى يَرْجِعُوا عَمَّا هُمُوا بِهِ. ثُمَّ يَسُدُّ بِأَصْبَعِهِ تِلْكَ الْأَنْهَارَ فَتَنْسُدُّ فِي بِلَادِهِمْ.

^٩ ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

^١ لم أقف على هذه الرواية في أي من المظان المعبرة، ولا تصح نسبة هذه الحكايات - المختلقة والدخيلة على تراثنا الإسلامي - إلى تابعي كبير في حجم مجاهد بن جبر.

٢ وفي المدينة الثانية حوض عظيم، فإذا جمعهم الملك لحضور مائدتِهِ حمل كلُّ رجلٍ مَنّ مِحْضَرُهُ من منزله شراباً يَحْتَارُهُ. ثمَّ صَبَّهُ في ذلك الحَوْضِ. فإذا جَلَسُوا على الشَّرْبِ شَرِبَ كُلُّ واحدٍ شَرابَهُ الذي حملَهُ من منزله.

٦ وفي المدينة الثالثة طَبْلٌ مَعْلَقٌ على بابها، فإذا غَابَ من أهلها إنسانٌ وَخَفِيَ أمرُهُ على أهله وأحبُّوا أن يعلموا أَحْيَى أم مَيَّتٌ، ضَرَبُوا ذلك الطَّبْلَ، فإن سَمِعُوا له صَوْتًا فَإِنَّ الرَّجُلَ حَيٌّ، وإن لم يسمِعُوا صَوْتًا فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ مات.

٩ وفي المدينة الرَّابِعَةِ مِرْآةٌ من حَدِيدٍ. فإذا غَابَ الرَّجُلُ عن أهله فأحبُّوا أن يعرفوا خَبْرَهُ على صِحَّتِهِ، أتوا تِلْكَ المِرْآةَ فَتَنَظَرُوا فيها، فَيَرَوْنَهُ على الحَالِ التي هو فيها. وفي المدينة الحَامِسَةِ إِرْزَةٌ من نُحَاسٍ على عَمُودٍ من نُحَاسٍ مُنْصُوبٌ على بابِ المدينة. فإذا دَخَلَهَا جَاسُوسٌ صَوَّتَتِ الإِرْزَةُ بِصَوْتٍ يسمِعُهُ سائرُ أهلِ المدينة، فيعلمون أن قد دَخَلَهَا جَاسُوسٌ.

١١ وفي المدينة السَّادِسَةِ قَاضِيانِ جَالِسَانِ على الماء. فإذا تقدَّم إليهما الحَضَمَانِ وجَلَسَا بين أيديهما غاص البُطْلُ منهما في الماء وثَبَّتَ المِحْقُ. وفي المدينة السَّابِعَةِ سَجْرَةٌ من نُحَاسٍ، صَخْمَةٌ، كَثِيرَةُ الغُصُونِ، لا تَظِلُّ سَاقِهَا، فإن جَلَسَ تَحْتَهَا واحدٌ أَظَلَّتْهُ إلى ألفِ نفسٍ، فإنَّهَا تُظِلُّهُمْ كُلَّهُمْ، فإن زادُوا على ألفٍ واحداً صاروا كُلُّهُمْ في الشَّمْسِ^١.

^١ أورد ياقوت الحموي هذه العجائب السبعة-التي ذكرها ابن الفقيه- بتامها في مادة بابل معلقاً على تلك المادة بقوله: «... قلت وهذه الحكاية كما ترى خارقة للعادات، بعيدة من المعهودات، ولو لم أجدها في كتب العلماء لما ذكرتها. وجميع أخبار الأمم القديمة مثله، والله أعلم». انظر: معجم البلدان، ج ١،

وقال يزيد بن عمر الفارسي^١: كانت ملوك فارس تعدّ السّواد اثني عشر إستاناً
 وتحسبه ستين طسوجاً. وتفسير الإستان^٢ "إحازة" وترجمة الطسوج: ناحية^٣.
 وكان الملك من ملوكهم إذا غني بحيز من الأرض عبّره وسمّاه باسمه.
 وكانوا ينزلون [٨١] السّواد لما جمع الله في أرضه من مرافق الخيرات وما يوجد
 فيها من غصارة العيش وخصب المحلّ وطيب المستقرّ ولما ينصب إليها من مواد
 الأطراف ومنافعها وسعة ميرها من أطعمتها وأدويتها وأمتعتها وعطرها ولطيف
 صناعاتها.

وكانوا يشبهون السّواد بالقلب وسائر الدنيا بالبدن، ولذلك سمّوه: دل
 إيرانشهر، أي قلب إيرانشهر، وإيرانشهر: الإقليم المتوسط لجميع الأقاليم. وإنما
 شبهوه بذلك لأنّ الآراء تشعب عن أهله بصحة الفكر والرؤية، كما تشعب من
 القلب بدقائق العلوم ولطائف الآداب والأحكام الكتابية. فأما ما حوّلها من البلاد
 فأهلها يستعملون أطرافهم بالمباشرة والعلاج.

وخصب بلاد إيرانشهر بشهول لا عوائق فيها ولا شواهد تشينها ولا مفاويز
 موحشة ولا براري منقطعة عن تواصل العمارة. والأهوار المطردة في رساتيقها وبين

^١ لم أجد له ترجمة، وربما كان: زاذان أبو عمر الفارسي، أدرك عمر، وكان من أصحاب عبد الله، وكان من شيعة
 علي، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر في ترجمته: الدولابي: الكنى والأسماء، تحقيق: أبو قتيبة نظر
 محمد، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٧٧٣.

^٢ الإستان والكورة واحد. وينقسم الإستان إلى الرساتيق، وينقسم الرستاق إلى الطسائيج، وينقسم كل
 طسوج إلى عدة من القرى. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧.

^٣ انظر: ابن خردادبه: المسالك والممالك، تحقيق: دي خويه، ليدن، ١٨٨٩م، ص ٥-٦.

قُرَاهَا. مَعَ قِلَّةِ جِبَاهِهَا وَأَكَامِهَا وَتَكَائُفِ عِمَارَتِهَا وَكَثْرَةِ أَصْنَافِ غَلَاتِهَا وَتِمَارِهَا
وَالنِّفَافِ أَشْجَارِهَا وَعُدُوبَةِ مَائِهَا وَصَفْوِ هَوَائِهَا وَطِيبِ تُرْبَتِهَا. مَعَ اعْتِدَالِ طِينَتِهَا
٢ وَتَوْسُطِ مَزَاجِهَا وَكَثْرَةِ أَجْنَاسِ [الطَّيْرِ وَ] ^aالصَّيْدِ فِي ظِلَالِ شَجَرِهَا وَبَيْنِ عُشْبِهَا
وَخِلَالِ زَهْرَتِهَا مِنْ طَائِرٍ [بِجَنَاحٍ] ^a وَمَاشٍ عَلَى ظِلْفٍ وَسَابِحٍ فِي الْبَحْرِ.

أَمِنَةٌ مِمَّا يَنَالُ الْبُلْدَانَ مِنْ غَارَاتِ الْأَعْدَاءِ وَبَوَائِقِ الْمُخَالَفِينَ، مَعَ مَا حُصِّتَ بِهِ مِنْ
٦ الرَّافِدِينَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ، إِذَا هُمَا مَادَّانٍ لَا يَنْقَطِعَانِ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا عَلَى بُعْدِ
مَنَابِعِهَا، وَزُورِحٍ مُبْتَدَأِهَا [فِيَانِهِ] ^a لَا يَتَنَفَّعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ عِمَارَةٌ حَتَّى يَدْخُلَهَا، فَيَسِيحُ
مَاؤُهُمَا فِي جِنَانِهَا وَيَتَبَطَّحُ بَيْنَ رَسَائِقِهَا. فَتَأْخُذُ صَفْوَهُ وَعُدُوبَتَهُ وَتُرْسِلُ كَدْرَهُ وَأَحْنَهُ
٩ [إِلَى الْبَحْرِ] ^b. هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ وَضِفْهَا، وَيَسِيرٌ مِنْ نَعْتِ جَلِيلِهَا ^١.

قَالُوا: وَأَوَّلُ طُولِ السَّوَادِ عَلَى مَا حَدَّثَهُ مَلُوكُ فَارِسَ مِنْ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالْعَلْتِ ^٢
عَلَى حَدِّ طَسُوجٍ بَزْرَجَسَابُورَ مِنْ شَرْقِيِّ دِجْلَةَ، وَقَرْيَةٍ فِي غَرْبِيِّ دِجْلَةَ مُقَابَلَتِهَا
١٢ حَرْبِي ^c عَلَى حَدِّ طَسُوجٍ مَسْكَنٍ، بَيْنَهُمَا عَرْضُ دِجْلَةَ، إِلَى آخِرِ الْكُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ

^a ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

^b التمة من ياقوت.

^c رسمت في الأصل: تجري.

^١ نقل ياقوت الحموي مقالة "يزيد بن عمر الفارسي" بتامها من ابن الفقيه دونها إشارة أو تصرف. انظر: مادة السواد، ج ٣، ص ٢٧٣.

^٢ العلت: قرية في أول العراق تقع على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٤٥.

^٣ حربى: بليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكرت. نفسه: ج ٢، ص ٢٣٧.

[٨١ظ] بِيَهْمَنْ أَرْدَشِيرَ، وَهِيَ فُرَاتُ الْبَصْرَةِ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْهَا مَتَّصِلَةٌ بِالْبَحْرِ تُعْرَفُ بِمَيَّانُ رُودَانَ^١ وَهُوَ مِائَةٌ فَرَسِيخٍ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ فَرَسِيخًا.

٣ وَعَرَضُهُ مِنْ عَقَبَةِ حُلْوَانَ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْعُدَيْبِ، وَذَلِكَ ثَمَانُونَ فَرَسِيخًا^٢، يَكُونُ جَمَلُهُ ذَلِكَ مُكْسَّرًا عَشْرَةَ آلَافٍ فَرَسِيخٍ. وَالْفَرَسِيخُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ ذِرَاعٍ بِالذِّرَاعِ الْمُرْسَلَةِ^٣، يَكُونُ بِالذِّرَاعِ الْمَهَاشِمِيَّةِ تِسْعَةَ آلَافٍ ذِرَاعٍ، وَهُوَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ أَشْلًا، يَكُونُ ذَلِكَ فِي مِثْلِهِ اثْنَيْ وَعِشْرِينَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ جَرِيْبٍ، هَذَا لِكُلِّ فَرَسِيخٍ.

فَإِذَا ضُرِبَتْ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ بَلَعَتْ مِائَتِي أَلْفِ أَلْفٍ وَ[خَمْسَةَ] وَعِشْرِينَ أَلْفَ [أَلْفِ] جَرِيْبٍ، يَسْقُطُ مِنْهَا بِالتَّخْمِينِ أَكَاْمُهَا وَأَجَامُهَا وَسِبَاخُهَا وَمَجَارِي أَنْهَارِهَا ٩ وَمَوَاضِعُ مَدْنِهَا وَقَرَاهَا وَمَدَى مَا بَيْنَ طَرَفَيْهَا التُّلُكُ، فَيَبْقَى مِائَةٌ أَلْفِ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفِ جَرِيْبٍ، يُرَاحُ مِنْهَا النُّصْفُ وَيُعَمَّرُ النُّصْفُ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْكَرَمِ وَالتَّخْلِ وَالشَّجَرِ وَالْعِمَارَةِ الدَّائِمَةِ الْمُتَّصِلَةِ. فَيَقَعُ التَّخْمِينُ بِالتَّقْرِيْبِ عَلَى كُلِّ جَرِيْبٍ قِيَمَةٌ مَا ١٢ يَلْزَمُهُ لِلخَرَاكِ دِزْهَمَانٍ، وَذَلِكَ أَقْلُ مِنَ الْعُشْرِ، عَلَى أَنْ يُضْرَبَ بَعْضُ مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْعَلَّاتِ بِبَعْضِ سِوَى خَرَاكِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَسِوَى الصَّدَقَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَدْخُلُ فِي الخَرَاكِ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ دِزْهَمٍ مِثَاقِيلٍ.

^١ ميان رودان: لفظة فارسية تعني وسط الأنهار فلفظة ميان أي وسط، وروذان الأنهر. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٣٩.

^٢ قارن: السعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٥؛ أبو عبيد البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٤٢.

^٣ الذراع المرسل: هي عين الذراع الشرعية أو ذراع اليد، وتساوي وفق الأطوال الحديثة: [٤٩، ٨٧٥] فالترهتس: المكابيل والموازين، ص ٨٩.

وكانت غَلَّاتُ السَّوَادِ تَجْرِي عَلَى الْمُقَاسِمَةِ^١ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ فَارِسَ إِلَى أَنْ مَلَكَ قُبَاذُ بْنُ فَيْرُوزَ^٢، فَإِنَّهُ مَسَحَهُ وَجَعَلَ عَلَى أَهْلِهِ الْحَرَاجَ. وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ مَتَّصِيْدًا فَاَنْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَتْبَاعِ صَيْدٍ طَرَدَهُ حَتَّى وَغَلَ فِي شَجَرٍ مُلْتَفٍّ، وَغَابَ الصَّيْدُ الَّذِي أَتْبَعَهُ عَنْ بَصَرِهِ فَقَصَدَ إِلَى رَايِيَةٍ يَتَشَرَّفُ عَلَيْهَا إِذَا تَحْتِ الرَّايِيَةِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ.

٦ وَنَظَرَ إِلَى بُسْتَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُ فِيهِ نَخْلٌ وَرُمَّانٌ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الشَّجَرِ وَإِذَا امْرَأَةٌ وَاقِفَةٌ عَلَى تَنْوِيرٍ تَخْبِزُ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، كَلَّمَا غَفَلَتْ عَنْهُ مَضَى إِلَى شَجَرَةِ رُمَّانٍ مُثْمِرَةٍ لِيَتَنَاوَلَ مِنْ رُمَّانِهَا، وَهِيَ تَمْتَنِعُهُ مِنْ [٨٢] ذَلِكَ وَلَا تَتْرُكُهُ يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْهُ فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ خُبْزِهَا وَجَمِيعَ مَا هِيَ وَالصَّبِيُّ فِيهِ بِمَشْهَدٍ مِنَ الْمَلِكِ.

١٢ فَلَمَّا أَحْتَمَهُ أَصْحَابُهُ وَوَزَّرَاوَهُ قَصَّ^٥ عَلَيْهِمْ مَا رَأَى مِنَ الْمَرْأَةِ وَالصَّبِيِّ، وَوَجَّهَ إِلَيْهَا مِنْ سَأَلِهَا عَنِ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ مَنَعَتْ وَلَدَهَا أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ الرَّمَّانِ فَقَالَتْ: لِلْمَلِكِ فِيهِ حِصَّةٌ وَلَمْ يَأْتِنَا الْمُسْتَأْذُونَ^٦ بَعْدَ لِقَبْضِهَا وَهِيَ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا لَا يَجُوزُ أَنْ نَخُوتَهَا وَلَا نَتَنَاوَلَ مِنْ جَمِيعِ مَا تَحْتِ أَيْدِينَا شَيْئًا حَتَّى يَأْخُذَ^٧ الْمَلِكُ حَقَّهُ.

^٥ في الأصل: قبض.

^٦ في ياقوت: المأذون.

^٧ في ياقوت: يستوفي.

^١ المقاسمة: من نظم جباية الضرائب لدى الفرس، واستخدم في صدر الدولة الإسلامية. عنه انظر: أبو يوسف القاضي: كتاب الحراج، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٢هـ. ص ٥٤-٥٥، ٩٢-٩٣؛ الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٩٨.

^٢ قُبَاذُ بْنُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجَرْدِ بْنِ بَهْرَامِ جُورٍ، مِنْ مُلُوكِ بِلَادِ فَارِسَ، اِمْتَدَّ حُكْمُهُ مِنْ سَنَةِ ٤٨٨ "حَتَّى سَنَةِ ٥٣١" لِلْمِيلَادِ. وَاِمْتَدَّ مَلِكُهُ ٤٣ سَنَةً عَنْهُ اِنْظَرُ: اِبْنُ قَتِيْبَةَ: اَلْمَعَارِفُ، ص ٦٣٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٩٠-٩٥؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٥، ص ٢١٠.

فَلَمَّا سَمِعَ قُبَاذَ قَوْلِهَا أَذْرَكَتُهُ الرَّقَّةُ عَلَيْهَا وَعَلَى الرَّعِيَّةِ وَقَالَ لُوْزَرَائِهِ: إِنَّ الرَّعِيَّةَ
 فِي شِدَّةِ شَدِيدَةٍ وَسُوءِ حَالٍ^(أ) بِيَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ غَلَّاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ مَمْنُوعُونَ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ
 بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْهِمْ مِنْ يَأْخُذُ حَقَّنَا مِنْهُمْ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ حِيلَةٌ تُفَرِّجُ بِهَا
 عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ؟^١

فَقَالَ بَعْضُ وُزَرَائِهِ: نَعَمْ، يَا مُرَّ الْمَلِكِ بِالْمِسَاحَةِ عَلَيْهِمْ وَ[يَأْمُرُ أَنْ]^(ب) يُلْزِمَ كُلَّ
 جَرِيْبٍ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ بِقَدْرِ مَا يَخْصُ الْمَلِكُ مِنَ الْعَلَّةِ لِيُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيُطْلَقُ أَيْدِيهِمْ
 فِي غَلَّاتِهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى قُرْبِ مَخَارِجِ الْمِيَرِّ وَيُعَدِّهَا مِنَ الْمَمْتَارِينَ.

فَأَمَرَ قُبَاذَ بِمِسَاحَةِ السَّوَادِ وَالزَّمَّ الرَّعِيَّةِ الْخَرَاجَ بَعْدَ حَطِيطَةِ النَّفَقَةِ وَالْمُوْتَةَ عَلَى
 الْعِمَارَةِ وَالنَّفَقَةَ عَلَى كَرْزِي الْأَنْهَارِ وَسِيَاقَةِ الْمَاءِ وَإِضْلَاحِ الْبَرَنْدَاتِ^(ج) وَأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ
 عَلَى بَيْتِ الْمَالِ.

فَبَلَغَ خَرَاجُ السَّوَادِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ
 مِثْقَالٍ. فَحَسُنَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ وَدَعَاوُا لِلْمَلِكِ بِطُولِ الْبَقَاءِ لِمَا أَنَاهُمْ مِنَ الْعَدْلِ
 وَالرَّقَاهِيَّةِ^٢.

^(أ) في ياقوت: «في بلية وشدة وسوء حال»

^(ب) التتمة من ياقوت.

^(ج) في ياقوت: البريدات.

^١ البرندات: ويقال البريدات، وهي لفظة فارسية تعني مفاتيح الماء. انظر: أبو يوسف القاضي، كتاب الخراج،

ص ١١٠.

^٢ انظر: مادة السواد لدى ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٢٧٣-٢٧٤.

* [كُور وِطَسَايِجِ السَّوَادِ]

وكان أوَّل ما يعدُّ من السَّوَادِ كُورَة إِسْتَانِ حُشْرُو شَاذ فَيْرُوز^(a) وهي كُورَة حُلْوَان. خَمْسَة طَسَايِجِ: طَسُوْجُ فَيْرُوز قُبَاذ^(b)، طَسُوْجُ الْجِبَلِ، طَسُوْجُ تَامَرًا، طَسُوْجُ إِزْبَلِ، طَسُوْجُ حَايِقِيْنَ.

[الْجَانِبِ]^(c) الشَّرْقِي

سَقِي دِجَلَة وَتَامَرًا

كُورَة إِسْتَانِ شَاذ هُرْمُز^(d). سَبْعَة طَسَايِجِ: طَسُوْجُ بُرْزَجَسَابُورِ، طَسُوْجُ نَهْرِ بُوْقِ، طَسُوْجُ [٨٢ظ] كَلْوَادِي وَنَهْرِ بِيْنِ، طَسُوْجُ جَاوَزِ، طَسُوْجُ الْمَدِيْنَةِ الْعَتِيْقَةِ، طَسُوْجُ رَاذَانَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ. كُورَة إِسْتَانِ شَاذ قُبَاذ^(e).

ثَمَانِيَة طَسَايِجِ: طَسُوْجُ رُوْسْتَقْبَاذِ، طَسُوْجُ مَهْرُودِ، طَسُوْجُ جَلْوَلَاءِ وَجَلْوَلَاءِ^(f)، طَسُوْجُ الذِّيْبِيْنَ، طَسُوْجُ الْبِنْدِيْجِيْنَ، طَسُوْجُ بَرَاذِ الرُّوزِ، طَسُوْجُ الدَّسْكَرَةِ وَالرَّسَاتِيْقِ^(g). كُورَة إِسْتَانِ بَايْحَانَ، خَمْسَة طَسَايِجِ: طَسُوْجُ النَّهْرَوَانِ

^(a) في ابن خُرْدَاذْبِه: إِسْتَانِ شَاذ فَيْرُوزِ.

^(b) في قَدَامَةِ: طَسُوْجِ شَاذ فَيْرُوزِ قِبَاذِ.

^(c) سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ: وَالتَّمَّةُ مِنَ ابْنِ خُرْدَاذْبِه.

^(d) في قَدَامَةِ: إِسْتَانِ شَاذ قِبَاذِ.

^(e) في قَدَامَةِ: إِسْتَانِ حُسْرُو شَاذ هَرْمِزِ.

^(f) في ابن خُرْدَاذْبِه؛ وَقَدَامَةِ: جَلْوَلَاءِ وَجَلْلَتَا.

^(g) في ابن خُرْدَاذْبِه: الدَّسْكَرَةُ وَالرَّسَاتِيْقِيْنَ.

(هـ) من هنا يبدأ النص الذي استخرجه "ابن الفقيه" من كتاب "المسالك والممالك"، لابن خُرْدَاذْبِه

¹ راجع: ابن خُرْدَاذْبِه، ص ٦-٧؛ قَدَامَةُ بِنِ جَعْفَرِ: الْخِرَاجُ وَصِنَاعَةُ الْكِتَابَةِ، تَحْقِيقُ: عَمَدِ حَسَنِ الزَّيْلِي، دَارُ الرَّشِيدِ، بَغْدَادِ، ١٩٨١م، ص ١٦٠، وَرَاجِعُ: [مَادَةُ شَاذِ هَرْمِزِ] لَدَى يَاقُوْتِ الْحَمَوِيِّ: مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ، ج ٣، ص ٣٠٤-٣٠٥.

الأعلى، طَسُوْجُ النَّهْرَوَانِ الْأَسْفَلِ، طَسُوْجُ النَّهْرَوَانِ الْأَوْسَطِ، طَسُوْجُ بَادْرِيَا، طَسُوْجُ بَاكْسَايَا.

سَفِي دِجَلَةَ وَالْفُرَاتِ

كُورَةَ إِسْتَانَ شَاذِ شَابُورِ، وَهِيَ كَنْكَر. أَرْبَعَةُ طَسَايِسِيْجٍ: طَسُوْجُ الزَّنْدَوْرَدِ، طَسُوْجُ الْبِزْبُونِ^١ طَسُوْجُ الْإِسْتَانَ، طَسُوْجُ الْجَوَازِرِ^٢.

كُورَةَ إِسْتَانَ شَاذِ بَهْمَنْ^(أ)،^٣ وَهِيَ كُورَةُ دِجَلَةَ. أَرْبَعَةُ طَسَايِسِيْجٍ: طَسُوْجُ بَهْمَنْ أَرْدَشِيْرٍ، طَسُوْجُ مِيْسَانَ، طَسُوْجُ دَسْتُمِيْسَانَ، وَهُوَ الْأَبْلَةُ. قَالَ غِيْلَانُ بْنُ سَلْمَةَ الثَّقَفِيُّ^٤، (شِعْر):

[الكامل]

ظَلَّتْ تَحِيْدُ مِنَ الدَّجَاجِ وَصَوْتِهِ وَصَرِيْفِ بَابِ بِالْأَبْلَةِ مُغْلَقُ

طَسُوْجِ أْبْرُقْبَادِ. خَرَاجُ كُورِ دِجَلَةَ: ثَمَانِيَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

^(أ) في قدامة: خسرو شاذ بهمن.

^١ وردت هذه اللفظة لدى ابن خُرْداذبِه مرتين، مرة طسوج الثرثور، ص ٧، ومرة أخرى طسوج البيزون. وهو الصواب، وأيضًا لدى قدامة بن جعفر، ص ١٦٠.

^٢ راجع: ابن خُرْداذبِه، ص ٧؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٠؛ ومادة شاذ شابور لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٤.

^٣ انظر: مادة شاذ بهمن لدى ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٠٤.

^٤ غيلان بن سلمة الثقفي، حكيم وشاعر جاهلي، أسلم بعد فتح الطائف، وتوفي في آخر خلافة عمر في عام ٢٣٣هـ/٦٤٤م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥، ص ٢٥٥-٢٥٦.

[من غربي دجلة]^(a)

سَقِي الفُرَاتِ وَدُجَيْلٍ

كُورَةَ إِسْتَانَ الْعَالِي^(b). أَرْبَعَةُ طَسَاسِيحٍ: طَسُوْجُ فَيْرُوزِ سَابُورٍ، وَهُوَ الْإِتْبَارُ،
طَسُوْجُ مَسْكِيْنٍ. قَالَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ^١ (شِعْرًا):

[الكامل]

إِنَّ الزَّرِيَّةَ يَوْمَ مَسْكِيْنٍ وَالْمُصِيبَةَ وَالْفَجِيْعَةَ

وَطَسُوْجُ قَطْرَبُلٍ وَطَسُوْجُ بَادُوْرِيَا.

كُورَةَ إِسْتَانَ أَرْدَشِيْرٍ بَابَكَانِ^٢. خَمْسَةُ طَسَاسِيحٍ: طَسُوْجُ بُهْرِيْسِيْرٍ، طَسُوْجُ الرُّومَقَانَ،
طَسُوْجُ كَوْتِي، طَسُوْجُ تَهْرَ دَرْقِيْطٍ، طَسُوْجُ تَهْرَ جُوْبِيْرٍ.

كُورِ إِسْتَانَ دُونِقِ مَاسِيَانِ^٣ وَهِيَ الزَّوَابِي. ثَلَاثَةُ طَسَاسِيحٍ: طَسُوْجُ الزَّابِ
الْأَعْلَى، طَسُوْجُ الزَّابِ الْاَوْسَطِ، طَسُوْجُ الزَّابِ الْاَسْفَلِ.

(a) الزيادة من: ابن خرداذبه.

(b) في الأصل: إستان الكاليا. والتصويب من ابن خرداذبه؛ وقدامة؛ وياقوت.

^١ ابن قيس الرُّقِيَّاتِ: عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، شاعر قريش في العصر الأموي، لقب بابن قيس الرقيات؛ لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية، توفي بالشام سنة ٧٠٤هـ/٧٠٤م. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٣٨، ص ٩٤-٩٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٦٣.

^٢ قارن: ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٧-٨.^٣ قارن: ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٨؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦١.

كُورَة بهُقْبَاذِ الأَوْسَطِ^١ أَرْبَعَةُ طَسَايِجٍ، طَسُوجُ الجُبَّةِ [٨٣و] والبُدَاةُ، طَسُوجُ سُورَا وَبَرْيِسَمَا، طَسُوجُ بَارَسَمَا، طَسُوجُ [نَهْرًا]^(أ) المَلِكِ.

٣ كُورَة إِسْتَانَ بهُقْبَاذِ الأَسْفَلِ. خَمْسَةُ طَسَايِجٍ: طَسُوجُ نِسْتَرِ، طَسُوجُ قَرَاتِ بَادَقْلِي، طَسُوجُ السَّيْلِحِينَ، طَسُوجُ رُوزْمِسْتَانَ، طَسُوجُ هُرْمُزْجَرْدِ.

تَقْدِيرُ السَّوَادِ^٢

الجانب الغربي

(ب) سَقْيُ القَرَاتِ وَدُجَيْلِ^(ب)

٩ طَسُوجُ الأَثْبَارِ. رَسَاتِيْقُهُ خَمْسَةٌ، بِيَادِرُهُ^٣ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ بِيَدْرَا، الحِنْطَةُ: أَلْفَانِ وَثَلَاثِمِائَةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَأَرْبَعِمِائَةِ كُرٍّ، الوَرِقُّ: ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ وَخَمْسُونَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. طَسُوجُ قَطْرَبُلِ. رَسَاتِيْقُهُ: عَشْرَةٌ، بِيَادِرُهُ: مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ بِيَدْرَا، الحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ كُرٍّ، الوَرِقُّ: ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

(أ) ساقطة من الأصل: والتتمة من ابن خُرْدَاذْبِه.

(ب-ب) في الأصل: سقي دجلة والفرات، والتصويب من ابن خُرْدَاذْبِه.

^١ انظر: ابن خُرْدَاذْبِه: المصدر السابق، ص ٨، وراجع مادة إستان البهقباد لدى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٧٤؛ ص ٥١٦.

^٢ أورد قدامة بن جعفر تقديرات السواد مشيرًا إلى ذلك بقوله: «ولبتدي بذكر ارتفاع السواد بحسب ما هو عليه في ذلك الوقت وعلى عبرة سنة مائتين وأربع، وهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين بالحضرة، لأن الدواوين أحرقت في الفتنة التي كانت في أيام الأمين، المعروف بابن زبيدة، وهي سنة ثلاث وثمانين ونسق ذلك، وحد العراق من جهة الغرب على هذا التفصيل...» انظر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٢.

^٣ البيدر: الجمع بيادر، وهو الموضع الذي يجمع فيه الحب. انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٧٨.

- ٤ طَسُوْجُ مَسْكِنَ. رَسَاتِيْقُهُ: سِتَّةٌ، بِيَادِرُهُ: مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِيَدْرًا، الْحِنْطَةُ: ثَلَاثَةُ
 ٥ أَلْفِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفُ كُرٍّ^(٥)، الْوَرِقُ: مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
- ٦ طَسُوْجُ بَادُوْرِيَا. رَسَاتِيْقُهُ: عَشْرَةٌ، بِيَادِرُهُ: أَرْبَعِمِائَةٌ وَعَشْرُونَ بِيَدْرًا، الْحِنْطَةُ:
 ٧ ثَلَاثَةُ أَلْفِ كُرٍّ وَخَمْسِمِائَةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفًا كُرًّا، الْوَرِقُ: أَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ.
- ٨ طَسُوْجُ بَهْرَسِيْرٍ. رَسَاتِيْقُهُ عَشْرَةٌ، بِيَادِرُهُ: مِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ^(٦) بِيَدْرًا، الْحِنْطَةُ: أَلْفٌ وَسَبْعٌ
 ٩ مِائَةُ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَسَبْعِمِائَةِ كُرٍّ^(٧)، الْوَرِقُ: مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ^(٨).
- ١٠ طَسُوْجُ الرُّومَقَانَ. رَسَاتِيْقُهُ: عَشْرَةٌ، بِيَادِرُهُ: مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ بِيَدْرًا، الْحِنْطَةُ ثَلَاثَةُ
 ١١ أَلْفِ وَثَلَاثِمِائَةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: ثَلَاثَةُ أَلْفِ وَخَمْسُونَ كُرًّا، الْوَرِقُ: خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ
 ١٢ وَأَرْبَعُونَ [أَلْفَ] دِرْهَمٍ.
- ١٣ طَسُوْجُ كَوْثِي. وَرَسَاتِيْقُهُ تِسْعَةٌ، بِيَادِرُهُ: مِائَتَانِ وَعَشْرَةٌ بِيَادِرَ، الْحِنْطَةُ: ثَلَاثَةُ
 ١٤ أَلْفِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: أَلْفًا كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
- ١٥ طَسُوْجُ مَهْرَ دَرْزِيْقِطٍ. رَسَاتِيْقُهُ: ثَمَانِيَةٌ، بِيَادِرُهُ: مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ بِيَدْرًا ،
 ١٦ الْحِنْطَةُ: أَلْفًا كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفُ كُرٍّ، الْوَرِقُ: مِائَتَا أَلْفٍ دِرْهَمٍ.
- ١٧ طَسُوْجُ مَهْرَ جُوْبِرٍ. وَرَسَاتِيْقُهُ: عَشْرَةٌ، بِيَادِرُهُ: مِائَتَانِ وَسِتَّةٌ [٨٣ظ] وَعَشْرُونَ
 ١٨ بِيَدْرًا ، الْحِنْطَةُ: أَلْفَانِ وَسَبْعِمِائَةِ كُرٍّ، الشَّعِيرُ: عَشْرَةُ أَلْفِ كُرٍّ، الْوَرِقُ: مِائَةُ أَلْفِ
 ١٩ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

(٥) لدى ابن خُرْدَاذْبِه: ألفا كر.

(٦) لدى ابن خُرْدَاذْبِه: مائتان وأربعون.

(٧) لدى ابن خُرْدَاذْبِه: تسعمائة كر.

(٨) في المسالك والممالك: مائتا ألف وخمسون ألف درهم.

١ راجع: ابن خُرْدَاذْبِه: المسالك والممالك، ص ٨-٩؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٣.

- كُورَةُ الزَّوَابِي. ثَلَاثَةُ طَسَاسِيحٍ، رَسَاتِيقُهَا اثْنِي عَشَرَ، بِيَادِرُهَا: مِائَتَانِ وَأَرْبَعَةٌ
وَأَرْبَعُونَ بَيْدَرًا، الْحِنْطَةُ: أَلْفٌ وَأَرْبَعِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: سَبْعَةُ آلَافٍ وَمِائَتَا كُرًّا، الْوَرِقُّ:
أَلْفٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. ٣
- طَسُوجُ بَابِلَ وَخَطْرُنِيَّةَ. الرَّسَاتِيقُ: اثْنِي عَشَرَ، الْبِيَادِرُ: ثَلَاثِمِائَةٌ وَسَبْعُونَ بَيْدَرًا، الْحِنْطَةُ:
ثَلَاثَةُ آلَافٍ كُرًّا، الشَّعِيرُ: خَمْسَةُ آلَافٍ كُرًّا، الْوَرِقُّ ثَلَاثِمِائَةٌ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
طَسُوجُ الْفَلُوجَةِ الْعُلْيَا. رَسَاتِيقُهَا خَمْسَةٌ عَشَرَ، الْبِيَادِرُ: مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ بَيْدَرًا،
الْحِنْطَةُ: خَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: خَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُّ: سَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. طَسُوجُ
الْفَلُوجَةِ السُّفْلَى. الرَّسَاتِيقُ: سِتَّةٌ، الْبِيَادِرُ: ^a اِثْنَانِ وَتِسْعُونَ بَيْدَرًا، الْحِنْطَةُ: أَلْفًا كُرًّا،
الشَّعِيرُ: ثَلَاثَةُ آلَافٍ كُرًّا، الْوَرِقُّ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَتِمَانُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ^a. ٩
- طَسُوجُ التَّهْرِينِ. الرَّسَاتِيقُ: ثَلَاثَةٌ، الْبِيَادِرُ: مِائَةٌ وَوَاحِدٌ وَتِمَانُونَ بَيْدَرًا، الْحِنْطَةُ:
ثَلَاثِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَرْبَعِمِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُّ: خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. طَسُوجُ عَيْنِ
التَّمْرِ. الرَّسَاتِيقُ: ثَلَاثَةٌ، الْبِيَادِرُ: أَرْبَعَةٌ عَشَرَ، الْحِنْطَةُ: ثَلَاثِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَرْبَعِمِائَةٌ
كُرًّا، الْوَرِقُّ: خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ^١.
- طَسُوجُ الْجَبَّةِ وَالْبُدَاةِ. الرَّسَاتِيقُ: ثَانِيَةٌ، الْبِيَادِرُ: وَاحِدٌ وَسَبْعُونَ بَيْدَرًا، الْحِنْطَةُ:
أَلْفٌ وَمِائَتَا كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَسِتِّمِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُّ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ١٥

(a-a) لدى ابن خُرداذبِه: «البيادر اثنان وسبعون بيدرا الحنطة خمس مائة كُرًّا، الشعير خمس مائة كُرًّا، الورق

سبعون ألف درهم»

^١ قارن: ابن خُرداذبِه: المسالك والممالك، ص ٩-١٠؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٣-١٦٤.

طَسُوجُ سُوَارَ وَيَرْيَسِمَا: الرَّسَاتِيْقُ: عَشْرَةٌ، الْبِيَادِرُ: مَائَتَانِ وَخَمْسُونَ بِيَدْرًا،
الْحِنْطَةُ: سَبْعِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَأَرْبَعِمِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٌ^١

٢ طَسُوجُ بَارُوسِمَا وَهَرِ الْمَلِكِ. الرَّسَاتِيْقُ: عَشْرَةٌ، الْبِيَادِرُ: سِتْمِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ
بِيَدْرًا، الْحِنْطَةُ: أَلْفٌ وَخَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَرْبَعَةُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَتَا
أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ [دِرْهَمٍ].^٢

٦ السَّبِينِ [٨٤و] وَالْوَقُوفُ^٣. ضِيَاعٌ جُمِعَتْ مِنْ عِدَّةِ طَسَائِيحٍ وَصِيْرَتْ ضَيْعَةً
وَاحِدَةً فَهِيَ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْ طَسُوجَيْنِ، وَتَقْدِيرُ الْعَشْرَةِ مِنْهَا مِنَ الْحِنْطَةِ: خَمْسِمِائَةٌ كُرًّا،
وَمِنَ الشَّعِيرِ: خَمْسَةُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، وَمِنَ الْوَرِقِ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ.^٩

١٢ طَسُوجُ قُرَاتٍ بَادِقَلَى^٣ وَرَسَاتِيْقُهُ عَشْرَةٌ، بِيَادِرُهُ: مَائَتَانِ وَوَاحِدٌ وَسَبْعُونَ بِيَدْرًا،
الْحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَخَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: تِسْعِمِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. طَسُوجُ
السَّيْلِيْحِنِ. وَفِيهِ الْحَوْرَتَقُ وَطَبِيْرُنَابَاذُ، بِيَادِرُهُ: أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ بِيَدْرًا، الْحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرًّا،
الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَخَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

١٥ طَسُوجُ رُوذْمَسْتَانَ وَهَرْمُزْجَرْدَ: الْحِنْطَةُ: خَمْسِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: [خَمْسِمِائَةٌ كُرًّا]^٤
الْوَرِقُ: عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. طَسُوجُ نِسْتَرِ.

^١ في الأصل: السبين والموقوف، والتصويب من ابن خرداذبه.

^٢ ساقطة من الأصل: والتكلمة من ابن خرداذبه؛ قدامة بن جعفر.

^٣ راجع: ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١٠.

^٤ قارن: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٤.

^٥ قارن: ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص ١١؛ قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص ١٦٤.

الرَّسَاتِيْقُ: سَبْعَةٌ: الْبِيَادِرُ: مِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ وَسِتُّونَ بِيَدْرًا، الْحِنْطَةُ: أَلْفٌ وَمِائَتَانِ
 وَخَمْسُونَ كُرًّا، الشَّعِيرُ وَالْأُرْزُ أَلْفَا كُرًّا، وَالْوَرِقُ: ثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفِ دِرْهَمٍ.
 ٣ إِيغَارٌ يَقْطِيبَن. مِنْ عِدَّةِ طَسَاسِيحٍ. تَقْدِيرُهُ مِنَ الْوَرِقِ: مِائَتَا أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ [أَلْفِ
 دِرْهَمٍ] ^٥ وَثَمَانِمِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ دِرْهَمًا بِحَقِّ بَيْتِ الْمَالِ ^١.

سَقْيُ دِجْلَةَ وَالْفَرَاتِ

كُوْرُ كَسْكَر. وَمِنْهَا نَهْرُ الصَّلَةِ وَبَرْقَةُ وَالرِّيَّانُ، وَكَانَ يَرْتَفِعُ مِنْ خِرَاجِهَا وَسَائِرِ
 أَبْوَابِ مَالِهَا: سَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَتَقْدِيرُهَا مِنَ الْحِنْطَةِ: ثَلَاثَةُ أَلْفِ كُرًّا، وَمِنْ
 ٩ الشَّعِيرِ وَالْأُرْزِ: عَشْرُونَ أَلْفَ كُرًّا، وَمِنْ الْوَرِقِ: مِئَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ ^٢.

الْجَانِبُ الشَّرْقِيُّ

طَسُوْجُ بَزْرَجَسَابُور. رَسَاتِيْقُهُ تِسْعَةٌ، بِيَادِرُهُ مِائَتَانِ وَسِتُّونَ بِيَدْرًا الْحِنْطَةُ: أَلْفُ
 ١٢ كُرًّا وَخَمْسُمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفَا كُرًّا، الْوَرِقُ ثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفِ دِرْهَمٍ. الرَّادَانِيْنَ.
 وَرَسَاتِيْقُهُمَا: سِتَّةَ عَشَرَ، بِيَادِرُهُمَا: ثَلَاثُمِائَةٌ وَائْتَانِ وَسِتُّونَ، [بِيَدْرًا] الْحِنْطَةُ: أَرْبَعَةٌ أَلْفِ
 وَثَمَانِمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفُ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفِ دِرْهَمٍ. طَسُوْجُ كَلْوَادِي وَنَهْرِيْن.

^٥ ساقطة من الأصل: والتكملة من ابن خردادذبه.

^١ راجع: ابن خردادذبه: المسالك، ص ١١؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٥.

^٢ راجع: ابن خردادذبه: والمالك المصدر السابق، ص ١٢؛ قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص ١٦٥.

الرَّسَاتِيْقُ: ثَلَاثَةٌ، الْبِيَادِرُ: أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ، الْحِنْطَةُ: أَلْفٌ وَسِتْمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَخُمْسِائَةٌ [ظ٨٤] كُرًّا، الْوَرِقُ: ثَلَاثِائَةٌ أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ [ألف^٥] دِرْهَمٌ^١.

٣ طَسُوْجُ جَاوِزَ وَالمَدِيْنَةَ العَتِيْقَةَ. الرَّسَاتِيْقُ: سَبْعَةٌ، الْبِيَادِرُ مِائَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ عَشْرَ بِيَدْرَا، الْحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَخُمْسِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. طَسُوْجُ مَهْرُوْدٌ وَسِلْسِلٌ. الْحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفَانِ وَخُمْسِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَتَا أَلْفٍ وَخُمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

٦ طَسُوْجُ جَلُوْلَاءَ وَجَلُوْلَاءَ^٦. الرَّسَاتِيْقُ: خُمْسَةٌ، الْبِيَادِرُ: سِتَّةٌ وَسِتُّونَ بِيَدْرَا، الْحِنْطَةُ: أَلْفُ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفُ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. طَسُوْجُ الدِّيْبِيْنَ. الرَّسَاتِيْقُ: أَرْبَعَةٌ، الْبِيَادِرُ: مِائَتَانِ وَثَلَاثُونَ، الْحِنْطَةُ: سَبْعِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَثَلَاثِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

٩ طَسُوْجُ الدَّسْكَرَةِ وَالرَّسَاتِيْقِ. الرَّسَاتِيْقُ: سَبْعَةٌ، الْبِيَادِرُ: أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ بِيَدْرَا، الْحِنْطَةُ: أَلْفَا كُرًّا، الشَّعِيرُ: أَلْفَا كُرًّا، الْوَرِقُ: سَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. طَسُوْجُ بَرَاذِ الرُّوْزِ. الرَّسَاتِيْقُ: سَبْعَةٌ، الْبِيَادِرُ: سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ بِيَدْرَا، الْحِنْطَةُ: ثَلَاثَةٌ أَلْفٍ كُرًّا، الشَّعِيرُ: خُمْسَةٌ أَلْفٍ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

١٢ طَسُوْجُ البَنْدَرِيْجِيْنَ. الرَّسَاتِيْقُ: خُمْسَةٌ، الْبِيَادِرُ: أَرْبَعَةٌ وَخُمْسُونَ بِيَدْرَا، الْحِنْطَةُ: سِتْمِائَةٌ كُرًّا، الشَّعِيرُ: خُمْسِائَةٌ كُرًّا، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ.

^٥ ساقطة من الأصل: والتكملة من: ابن خُرْدَاذْبِه.

^٦ في ابن خُرْدَاذْبِه؛ وقدامة: جلولاء وجللتا.

- طَشُوجُ النَّهْرَوَانَاتِ. الرَّسَاتِيْقُ: وَاحِدٌ وَعَشْرُونَ، الْبِيَادِرُ: ثَلَاثُمِائَةٌ وَثَمَانُونَ.
 النَّهْرَوَانُ الْأَعْلَى. الْحِنْطَةُ: أَلْفَانِ وَسَبْعِمِائَةٌ كُرٌّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَثَمَانِمِائَةٌ كُرٌّ، الْوَرِقُ:
 ٣ ثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
- النَّهْرَوَانُ الْأَوْسَطُ. الْحِنْطَةُ: أَلْفٌ كُرٌّ، الشَّعِيرُ: خَمْسِمِائَةٌ كُرٌّ، الْوَرِقُ: مِائَةٌ أَلْفٌ
 دِرْهَمٍ. النَّهْرَوَانُ الْأَسْفَلُ. الْحِنْطَةُ: أَلْفٌ كُرٌّ، الشَّعِيرُ: أَلْفٌ وَمِائَةٌ كُرٌّ، الْوَرِقُ: مِائَةٌ
 ٦ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
- طَشُوجُ بَادَرَايَا وَبَاكْسَايَا. الْحِنْطَةُ: أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَسَبْعِمِائَةٌ كُرٌّ، الشَّعِيرُ: خَمْسَةُ
 ٩ آلَافٍ كُرٌّ، الْوَرِقُ: ثَلَاثُمِائَةٌ أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ [٨٥] أَلْفَ دِرْهَمٍ. كُورَةُ إِسْتَانَ سَادَ فَيْرُوز،
 وَهِيَ حُلْوَانُ. وَوُظِفَتْهَا مَعَ الْجَبَابِرَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَكْرَادِ: أَلْفُ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةٌ أَلْفُ
 دِرْهَمٍ^(*).

[هَيْتٌ وَعَانَاتٌ]

- ١٢ وَكَانَتْ هَيْتٌ وَعَانَاتٌ مُضَافَةً إِلَى طَشُوجِ الْإِتْبَارِ. فَلَمَّا مَلَكَ أَنْوَشِرَوَانُ^٢ بَلَغَهُ أَنَّ
 طَوَائِفَ مِنَ الْأَعْرَابِ يَعْبُرُونَ عَلَى مَا قُرْبَ مِنَ السَّوَادِ إِلَى الْبَادِيَةِ. فَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ سُورِ
 مَدِينَتِهِ تَعْرِفُ بِاللُّوسِ^(٥)، كَانَ سَابُورُ ذُو الْأَكْتَفِ بَنَاهَا وَجَعَلَهَا مَسْلِحَةً^٣ لِحِفْظِ مَا

(٥) رَسَمَتْ فِي الْأَصْلِ: بِاللَّيْسِ. وَالتَّصْوِيبُ مِنْ يَاقُوتِ.

(*) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي مَا اسْتَخْرَجَهُ ابْنُ الْفَقِيهِ مِنَ الْمَسَالِكِ وَالْمِهَالِكِ، لِابْنِ خُرْدَاذِبِهِ.

^١ رَاجِعْ: ابْنُ خُرْدَاذِبِهِ: الْمَسَالِكُ وَالْمِهَالِكُ، ص ١٤؛ قَدَامَةُ بِنِ جَعْفَرِ: الْخِرَاجُ وَصِنَاعَةُ الْكِتَابَةِ، ص ١٦٦.

^٢ أَنْوَشِرَوَانُ بِنِ قَبَادِ. انظُرْ فِيهَا تَقْدِمَ ص ٣٤٢.

^٣ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ الثَّغُورَ مِنَ الْعَدُوِّ.

قَرَبَ مِنَ الْبَادِيَةِ. وَأَمْرٌ بِخَفْرِ خَنْدِقٍ مِنْ هَيْتٍ يَشْتَقُّ طَفَّ الْبَادِيَةِ إِلَى كَاطِمَةِ مِمَّا يَلِي
 الْبَصْرَةَ وَيَنْفُذُ إِلَى الْبَحْرِ. وَيُنَى عَلَيْهِ الْمَنَاطِرُ وَالْجَوَاسِقُ وَنَظْمُهُ بِالْمَسَالِحِ لِيَكُونَ ذَلِكَ
 ٢ مَائِعًا لِأَهْلِ الْبَادِيَةِ عَنِ السَّوَادِ. فَخَرَجَتْ هَيْتٌ وَعَانَاتٌ، بِسَبَبِ ذَلِكَ السُّورِ، عَنِ
 طَشُوجٍ شَاذٍ فَيُرُوزُ لِأَنَّ عَانَاتٍ كَانَتْ قُرِيًّا مَضْمُومَةً إِلَى هَيْتٍ^١.

وَوَجِدَ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْفُرْسِ أَنَّ مُلُوكَ الْأَرْضِ قَسَمُوا الْأَرْضَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ:
 ٦ فِجْزَةً مِنْهَا: مَغَارِبُ الْهِنْدِ وَأَرْضُ التُّرْكِ إِلَى مَشَارِقِ الرُّومِ. وَجُزءٌ مِنْهَا: الرُّومُ
 وَمَغَارِبُهَا وَأَرْضُ الْقِبْطِ وَالْبَرْبَرِ.

وَجُزءٌ مِنْهَا: أَرْضُ السُّودَانَ، وَهُوَ بَيْنَ أَرْضِ الْبَرْبَرِ إِلَى الْهِنْدِ. وَجُزءٌ مِنْهَا مِنْ تَهْرَ
 ٩ بَلْخَ إِلَى أَدْرَبِيْجَانَ وَأَرْمِينِيَّةَ [وَأَلْقَادِيسِيَّةَ إِلَى الْفُرَاتِ]. ثُمَّ بَرِّيَّةُ الْعَرَبِ إِلَى عُمَانَ وَإِلَى
 كَرْمَانَ وَأَرْضِ طَيْرِشْتَانَ إِلَى كَابُلَ وَطُخَارِشْتَانَ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي سَمَّيْتُهَا الْفُرْسُ
 يِلَادَ الْخَاضِعِينَ.

١٢ وَهَذَا الْجُزءُ هُوَ صَفْوَةُ الْأَرْضِ وَوَسَطُهَا، لَا يَلْحَقُهُ عَيْبٌ وَلَا يَنَالُهُ تَقْصِيرٌ. وَلِذَلِكَ
 اعْتَدَلَتْ أَلْوَانُ أَهْلِهَا وَاقْتَدَرَتْ أَجْسَامُهُمْ. فَسَلِمُوا مِنْ شُقْرَةِ الرُّومِ وَالصَّقَالِبَةِ
 وَسَوَادِ الْحَبْسَةِ وَالزَّنْجِ وَغِلْظِ التُّرْكِ وَدِمَامَةِ الصِّينِ. وَاجْتَمَعَتْ فِيهِمْ مَحَاسِنُ جَمِيعِ
 ١٥ الْأَقْطَارِ وَكُلُّ مَا اعْتَدَلُوا فِي الْحَلِيَّةِ. كَذَلِكَ لَطَفُوا فِي الْفِطْنَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِمَحَاسِنِ
 الْأُمُورِ وَشَرِيفِ الْأَخْلَاقِ.

١٨ وَلَمْ تَرَلْ طَسَاسِيْجُ [٨٥] السَّوَادِ عَلَى الْعِدَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا حَتَّى قَدِمَ الْحَجَّاجُ بْنُ
 يُوْسُفَ وَالْيَا عَلَى الْعِرَاقِ.

^١ مثل هذا التحديد لدى ياقوت، مصرحاً بنقله عن ابن الفقيه الهمداني. انظر: [مادة: عانة] ج ٤، ص ٧٢.

وكان كاتبه القادِم معه والمتوَيِّ لأمره صالح بن عبد الرحمن^١. فقال له الحجاج: التمس كاتباً ناصحاً من الفرس، عالماً بكتابتهم يعمل الحساب. فوجد رجلاً يقال له: زاذنفرُوخ بن بيري^٢، فقلده أمر الديوان^٣.

فلم يكن صالح وأصحابه ينتدون إلى العمل، وكان زاذنفرُوخ وكتابه يعملون الحساب بالفارسيَّة. فشكا صالح ذلك إلى الحجاج وعرفه أنه في غير شيء مع زاذنفرُوخ فأمر الحجاج زاذنفرُوخ أن يتجشم له نقل الدواوين من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي فععل ذلك وميز النواحي وكور الكور، فرسم طسايسج السواد. فكان ما رسم من ذلك أن جعل السواد عشرة كور، كل كورة إستان، وطسايسجة ستون طسوجا، وقد ذكرنا ذلك في موضعه.

فلما فعل هذا ونقله إلى العربيَّة تصرف صالح وأصحابه ووقفوا عليه. وكان بتاحية كسكر مدينة عظيمة كثيرة الأهل. فخرج أهلها في الزمن الأول حذراً من الطاغون إلى بعض المواضع، فهلكوا كلهم.

^١ انظر فيما تقدم ص ١٢٧.

^٢ زاذنفرُوخ بن بيري، كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي، قتل يوم الزاوية، سنة ٧٠١/٥٨٢ م. انظر حوادث سنة ٧٠١/٥٨٢ م، لدى الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٣٦٨-٣٨١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٩٣-٤٩٤.

^٣ الديوان: فارسي معرب، معناه مجمع الصحف أو السجل، وقد استخدمت الكلمة للدلالة على دوائر الإدارة المالية التي تتولى الإشراف على دخل الدولة جمعاً وتحصيلاً و صرفاً، وكان يسمى أيضاً دار المحاسبات، أو دار الزمام. راجع: ابن سيده: المخصص ج ٤ ص ٤٨؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية ج ٣ ص ١٦٨، ج ٥ ص ٣٥٢.

^٤ انظر تقديرات السواد فيما تقدم.

^٥ عن نقل ديوان الفارسية إلى العربية انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٢١.

وَحَرِبَتْ وَبَقِيَ فِيهَا بَيْتُ أَصْنَامِهِمْ، فَبَنَتْهُ النَّصَارَى عُمْرًا وَسَمَّتهُ بَيْنُسُ^١ وَرُسُومُ
 هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَأَثَارُ سُورِهَا ثَابِتٌ إِلَى الْيَوْمِ لَمْ يَذْرُسْ^٢. وَمِنْ ذَلِكَ خُسْرُو سَابُورِ،
 ٣ وَسَابَاتُ بِنَاهَا سَابُورِ^٣. وَمِنْ ذَلِكَ شَهْرُ أَبَادُ، وَهِيَ مَدِينَةُ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 وَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً، جَلِيلَةً الْقَدْرِ، رَاكِبَةً لِلْبَحْرِ^٤ فَنَضَبَ الْبَحْرُ عَنْهَا وَأَنْخَسَ مَاؤُهُ
 فَبَطَلَتْ، وَمَوْضِعُ مَجْرَاهُ وَسَمَّتهُ مَعْرُوفٌ إِلَى الْيَوْمِ^٥.

٦ قال: وكانت بالقرب منها أيضًا مدينةٌ كبيرةٌ جلييلةٌ، تُسَمَّى سَاهَا^٥ فَحَرَبَتْهَا إِيَادًا
 إِيَادًا لِأَنَّهَا كَانَتْ تُغَيَّرُ عَلَيْهَا. وَيُقَالُ: أَنْ إِيَادًا أَوْ غَيْرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ غَلَبُوا عَلَيْهَا
 وَمَلَكُوهَا فِي أَيَّامِ سَابُورَ وَخَلَعُوا [٥٨٦] طَاعَتَهُ وَنَابَدُوهُ الْحَرْبَ وَانْتَصَرُوا بِمَلِكِ الرُّومِ
 ٩ وَأَطْمَعُوهُ فِي مَمْلَكَةِ فَارِسَ، فَأَمَدَّهُمْ بِمَرَائِبٍ فِي الْبَحْرِ فِيهَا مَقَاتِلَةٌ.

وَاتَّصَلَ الْحَبْرُ بِسَابُورَ فَرَحَلَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ عَلَيْهَا حَتَّى فَتَحَهَا، فَقَتَلَ فِيهَا مَائَتِي
 ١٢ أَلْفِ رَجُلٍ وَأَخْرَبَهَا وَجَمَعَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ وَالْمَشَائِخَ. فَأَسْكَنَهُمْ مَدِينَةً بِنَاهَا، يُقَالُ
 لَهَا الْهَفَّةُ، وَهِيَ الرِّعِيَّةُ عَنْ مُحَالِطَتِهِمْ وَمُنَاكِحَتِهِمْ، وَتَقَدَّمَ أَلَّا تَدْخُلَ الْعَرَبُ مِنَ
 الْبَدْوِ إِلَى الْحَضَرِ فَمِنْ دَخَلَ بِغَيْرِ جَوَارٍ قُتِلَ^٦.

^(٥) في ياقوت: بزيادة يعني الفرات. ^(٦) رسمت في الأصل: بالليس. والتصويب من ياقوت.

^١ نينس: اسم إله بابلي باللغة اليونانية، وهو زوج الإلهة سمرميس.

^٢ أي يرسم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: (درس) ج ٦، ص ٧٩.

^٣ سابور بن هرمز. تقدمت ترجمته. انظر: ص ١٤٥.

^٤ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٥.

^٥ نفسه، ج ٣، ص ٣١١.

^٦ نفسه، ج ٥، ص ٤٠٨.

قال: وكان من يسخط عليه ملوك فارس نفته إلى هذه المدينة، ووسمتها بالنقي واللعن، وسمتها الببط "هفاطرناي" وأثار سورها بيته لم تدرس. وكان بقربها أيضا عدة مدن. منها دورى الزندوزد. ومنها ألوس^a ومنها دارا سابور والهكة والهفة التي بناها سابور وجعلها لمن ينفى.

ويقال: إن حد كورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سفي النهروان إلى أن يصب [دجلة]^b في البحر [كله]^b ^c [من كسكر فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها]^c، وإن المبارك وعبدسي والمدار ونغيا وميسان ودستميسان وآجام البريد في كسكر، وإن العرب فرقته حيث مصرت البصرة، وكذلك إشكاف العليا والسفلى ونفر وسمر ويهذف وقرقوب، كل هذا منها^١.

وقال المدائني: أول من مسح الأرض ووضع الدواوين وحدد حدود الحراج والوظائف قباد، فصير ديوان الحراج بخلوان وسماه "ديوان العدل" فكان كل شيء يجبي في مملكة الفرس من السواد مائة ألف ألف درهم متاقل.^{١٢}

وذلك أن الملك كان يأخذ نصف الحراج، ويترك النصف للناس فتصلح أحوالهم إلى أن كانت أيام قباد^٢ فإنه جبي السواد مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف متاقل.^{١٥}

^a رسمت في الأصل: بالليس. والتصويب من ياقوت.

^b التمة من ياقوت. ^c - التمة من ياقوت.

^١ راجع: [مادة: كسكر] لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٦١.

^٢ قباد بن فيروز العادل، تقدمت ترجمته ص ٤٢١.

^٣ قباد الثاني "شبرويه". انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٨٨-٨٩.

٣ وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يُمنَح السَّوَادُ، وطولُه من العَلْثِ في الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ومن حَزَبِي في الجَانِبِ الغَرْبِيِّ مَاذَا إلى عَبَادَانَ، وهو مِائَةٌ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا. وعَرْضُهُ [٨٦٦ظ] من عَقَبَةِ حُلْوَانَ إلى العُدَيْبِ، وهو ثَمَانُونَ فَرَسَخًا. فَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُخْرِجَ عَنْهُ الْجِبَالُ وَالْأَوْدِيَةُ وَالْأَنْهَارُ وَمَوَاضِعُ الْمَدِينِ وَالْقُرَى سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ جَرِيْبٍ.

٦ فَوَضَعَ عَلَى جَرِيْبِ الحِنْطَةِ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، وَعَلَى جَرِيْبِ الشَّعِيرِ دِرْهَمَيْنِ، وَعَلَى جَرِيْبِ النَّخْلِ ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ، وَعَلَى جَرِيْبِ الكَرَمِ [والشَّجَرِ] ^٩ وَالرُّطَابِ سِتَّةَ دَرَاهِمَ. وَخَتَمَ الحِزْبِيَّةَ عَلَى سِتْمِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ، وَجَعَلَهَا طَبَقَاتٍ: الطَّبَقَةُ العَالِيَةُ: ثَمَانِيَةُ وَأَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، وَالْوَسْطَى: أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا، وَالسُّفْلَى اثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا. فَجَبَى السَّوَادَ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ وَثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

١٢ وَجَبَاهُ الحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ عَلَى غَشْمِهِ وَظُلْمِهِ وَعَسْفِهِ وَخُرْقِهِ ^(ب) ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ. فَقَالَ: وَأَسْلَفَ الفَلَاحِينَ لِلعِمَارَةِ أَلْفِي أَلْفٍ، فَحَصَلَ لَهُ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ. وَمَنَعَ أَهْلَ السَّوَادِ لَمَّا شَكَّوْا إِلَيْهِ خَرَابَ بَلَدِهِمْ مِنْ دَبْحِ البَعْرِ لِتَكْثُرِ العِمَارَةُ^١، فَقَالَ الشَّاعِرُ (شِعْرًا):

شَكَّوْنَا إِلَيْهِ خَرَابَ السَّوَادِ فَحَرَّمَ جَهْلًا لِحُومِ البَقْرِ

١٥ وَكَانَ خَرَاجُ العِرَاقِ أَيَّامَ زِيَادٍ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

^(أ) التتمة من ياقوت.

^(ب) لدى ياقوت: «عسفه وظلمه وجبروته».

^١ راجع: ابن خردادذبه: المسالك والممالك، ص ١٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٧٤.

- وأيام عبيد الله بن زياد^١ أكثر منه أيام زياد بعشرين ألف ألف^٢. وكان في أيام ابن هبيرة مائة ألف ألف سوى طعام الجند وأزراق الفعلة الذين يكونون في العسكر.
- ٣ وأجيبى لكسرى أبرويز^٣ خراج مملكته في سنة ثمان عشرة من ملكه أربعمائة ألف ألف وعشرين ألف ألف، ثم زاد خراجه بعد ذلك^٤.
- وذكر بعض كتاب الفرس أن العراق كان يجبي في أيام أنوشروان^٥ ستمائة ألف ألف مثقال. وزعم أنه جبي^(a) في آخر أيام أبرويز تسعمائة ألف ألف مثقال. وترك في أيدي الناس [٨٧] كلهم من جميع غلاتهم مائة ألف ألف، فهلك الناس حتى إن الجارية النفيسة كانت تُباع بذرهم.
- ٦ وجبي بعض أمراء خراسان ثمانية وعشرين ألف ألف مثقال. وجبي الجند بن عبد الرحمن^٦ أرض الهند خمسة وعشرين ألف ألف مثقال. وكانت جباية البصرة خمسة وسبعين ألف ألف درهم، وأرض الكوفة خمسة وعشرين ألف ألف درهم.

(a) رسمت في الأصل: خبر.

^١ تقدمت ترجمته ص ١٢٦.

^٢ راجع مادة السواد لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٤-٣٧٥.

^٣ كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان، أحد حكام بلاد فارس، اشتهر بالبطش والجبروت، حكم من سنة ٤٨٤-٤٩٥ م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٧٦-١٨٨.

^٤ راجع: ابن خردادبه: المسالك والممالك، ص ١٥؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٦. أنوشروان بن قباد. انظر ترجمته: ص ٣٤٢.

^٦ الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث المري الدمشقي: تولى إمارة خراسان هشام بن عبد الملك، وهو أحد الأمراء الشجعان الأجواد. توفي بخراسان سنة ١١٥/٧٣٣ م. انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٢-٣٤٥؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٣٢٢-٣٢٦.

وكان يُوسُفُ بنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ^١ يَحْمَلُ من خَرَجِ العِراقِ ما بين سِتِّينَ أَلْفَ أَلْفِ
وَسَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ وَيَحْتَسِبُ بَعْطاءً من قِبلِهِ من جُنْدِ الشَّامِ بِسِتَّةِ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ،
وفي نَفَقَةِ البَرِيدِ أَرْبَعَةَ أَلْفِ أَلْفِ، وفي الطَّرَازِ أَلْفِي أَلْفِ، وَيَبْقَى في بَيْتِ المِمالِ
لِلأَحْداثِ والبِوائِقِ عِشْرَةَ أَلْفِ أَلْفِ ذِهم.

وقال المَدائِنِيُّ: كانت مَيْسانُ ودَسْتُمَيْسانُ في دِيوانِ حُلُوانَ من تَعْدِيلِ قُبَاذِ تَوَدِّي
أَرْبَعَةَ أَلْفِ أَلْفِ وَأَبزُقُبَاذِ تِسْعَةَ أَلْفِ أَلْفِ، وكان يُؤخَذُ من البُرِّ والشَّعِيرِ والأُرْزِ
الحُمُسِ، ولا يُؤخَذُ من سائِرِ الحُبوبِ شيءٌ، وكان يُؤخَذُ من كُلِّ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ
نَخْلَةَ ذِهمٍ، ومن كُلِّ سَبْعَةِ عَشَرَ فَارِسِيًّا ذِهمٍ.

وقال بَعْضُ الجُلَسَاءِ: سَمِعْتُ المُعْتَرِّ يَقولُ لِأَحْمَدَ بنِ إِسْرَائِيلَ: ^٢ يا أَحْمَدُ كَمْ خَرَجِ
الرُّومِ؟ فقال: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، خَرَجْنَا مع جَدِّكَ المُعْتَصِمِ في عَزَاتِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا بِلدَ
الرُّومِ صارَ إلينا بِسِيلُ الحَرَشَنِئِيِّ^٣ وكان على خَرَجِ الرُّومِ. فَسألَهُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ
المَلِكِ^٤ عن مَبْلَغِ خَرَجِ بِلَدِهِمِ فقال: خَمْسَمِائَةِ قِنْطَارٍ وكذا وكذا قِنْطَارًا. قال: فَحَسَبْنَا
ذلكَ فإذا هو أَقلُّ من ثَلَاثَةِ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ.

^١ مرت ترجمته ص ١٦٧.

^٢ أحمد بن إسرائيل بن الحسن الأنباري، أبو جعفر الكاتب، ولي ديوان الخراج للمتوكل والمتنصر، ثم الكتابة للمعتز والوزارة. كان يضرب بحفظه المثل. قتل سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٣٢-٣٣٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٥٢.

^٣ نسبة إلى حَرَشَنَةَ: وهي بلد قرب ملطية من بلاد الروم. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٩.

^٤ محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات. تولى الوزارة للخليفة العباسي المعتصم والوائق، كان أديبًا فاضلًا عالمًا بالنحو واللغة، قتله المتوكل ونكل به سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٥٩٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧٢.

- فقال: الْمُعْتَصِمُ: اُكْتُبْ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ: أَنِّي سَأَلْتُ صَاحِبِكَ عَنْ خَرَاكِ أَرْضِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَذَا وَكَذَا وَأَخْسُ نَاحِيَةٍ مِنْ مَمْلَكَتِي خَرَاجُهَا أَكْثَرُ مِنْ خَرَاكِ أَرْضِكَ،
- ٣ فَكَيْفَ تُنَابِدُنِي وَهَذَا اِرْتِفَاعُ بَلَدِكَ^(٨) !؟ فَضَحِكَ الْمُعْتَزُّ وَقَالَ: مَنْ يَلُومُنِي عَلَى حُبِّ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ، مَا سَأَلْتُهُ قَطُّ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا جَاءَنِي بِقِصَّةٍ^١.
- وقال عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان^٢: مَالُ السَّوَادِ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ
- ٦ [٨٧ظ] مَا نَقَصَ مِمَّا فِي يَدِ السُّلْطَانِ مِنْهُ فَهُوَ فِي يَدِ الرَّعِيَّةِ، وَمَا نَقَصَ مِنْ يَدِ الرَّعِيَّةِ فَهُوَ فِي يَدِ السُّلْطَانِ^٣.
- وقال الهيثم بن عدي^٤: لَمْ يَكُنْ لِفَارِسَ كُورَةٌ أَهْلُهَا أَقْوَى مِنْ أَهْلِ كُورَتَيْنِ: كُورَةُ سَهْلِيَّةٍ وَكُورَةُ جَبَلِيَّةٍ. أَمَا السَّهْلِيَّةُ فَكَسَكُرٌ، وَأَمَا الْجَبَلِيَّةُ فَأَصْبَهَانٌ. وَكَانَ خَرَاكِ كُلِّ
- ٩ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ مُثْقَالٍ [ذَهَبًا]^٥.
- ولم تكن بالعراق كورة مثل جوحى، كان خراجها تمانين ألف دهم حتى
- ١٢ صرقت دجلة عن جوحى فخربت. وأصابهم بعد ذلك طاعون شيرويه فأتى عليهم.

^(٨) لدى ياقوت: «وهذا خراج أضع».

^١ أورد ياقوت الحموي هذا الخبر نقلاً عن ابن الفقيه. انظر: مادة الروم، ج ٣، ص ١٠٠.

^٢ عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان بن علي، أبو الفضل، كان من كملة بني العباس في لسانه وعقله وعلمه. المزي:

تهذيب الكمال: ج ٢٦، ص ٦٣٨.

^٣ بنصه لدى ياقوت الحموي، انظر: مادة السواد، ج ٣، ص ٢٧٥.

^٤ تقدمت ترجمته ص ١٧٨.

^٥ قارن: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٧.

ولم يزل السَّوَادُ فِي إِذْبَارٍ مِنْذُ كَانَ طَاعُونُ شِيْرُوِيَهْ وَلَمْ تَزَلْ فَارَسُ فِي إِذْبَارٍ مِنْذُ كَانَ ذَلِكَ الطَّاعُونُ^١.

٣ «وكان المعروفُ بأبي الوَيزِرِ الكَاتِبِ^٢ عَمِلَ تَقْدِيرًا لِلدُّنْيَا وَعَرَضَهُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ فِي خِلَافَةِ الْهَادِي سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ. قَالَ: أَثْمَانُ الْغَلَّاتِ بِالسَّوَادِ: سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةَ أَلْفٍ وَثَمَانُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

٦ وَمِنْ أَبْوَابِ الْمَالِ بِهِ أَيْضًا: أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفٍ وَثَمَانِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. وَمِنْ الْحَلَلِ الْبُحْرَانِيَّةِ: مِائَتَا حُلَّةٍ وَمِنْ الطَّيْنِ الْأَسْوَدِ الْإِتْبَارِيِّ مَا يُفَرَّقُ فِي الدَّوَاوِينِ: مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حِمْلًا. كَسَكَرَ: مِنَ الْوَرَقِ: أَحَدُ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. كَوْرُ دِجَلَةَ: مِنَ الْوَرَقِ: عَشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَثَمَانِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ.

٩ حُلْوَانٌ: أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفٍ وَثَمَانِائَةَ دِرْهَمٍ. الْأَهْوَاؤُ: خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ. وَمِنْ صُنُوفِ السُّكَّرِ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفٍ رَطْلٍ. فَارَسٌ: سَبْعَةٌ وَعَشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. وَمِنْ مَاءِ الْوَرْدِ: ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ قَارُورَةٍ. وَمِنْ مَاءِ الزَّبِيبِ وَالسَّمْبِيهِ^٣ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْرِبَةِ: عَشْرُونَ وَمِائَةً أَلْفَ رَطْلٍ وَمِنْ السَّفَرَجَلِ: مِائَتَا أَلْفِ سَفَرَجَلَةٍ. وَمِنْ الرُّمَّانِ مِثْلُ ذَلِكَ.

^١ انظر مادة جُوخَى لَدَى يَاقُوتِ الْحَمُوي: مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ، ج ٢، ص ١٧٩.

^٢ «من هنا يبدأ الاتفاق مع كتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري.

أبو الوزير: عمر بن مطرف، من أهل مرو، تولى للمهدي ديوان المشرق، وهو ولي عهد. انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ٢٨١.

^٣ المية: لفظة معربة عن الفارسية، تعني الشراب السفرجلي. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [م ي ب]

- ومن الزَّيْبِ الْفَارِسِيِّ بِالْكُرِّ الْهَاشِمِيِّ: سَبْعَةُ أَكْرَارٍ^(أ). ومن السَّكَنْجِينِ^١: خَمْسَةُ
 ٤ آلاف رَطْلٍ. ومن الطَّيْنِ السَّيرَافِيِّ: خَمْسَةُ آلافِ رَطْلٍ^(ب).
- ٣ كِرْمَانٌ: من الْوَرَقِ: أَرْبَعَةُ آلافِ ألفٍ وَمِائَتَا ألفٍ دِرْهَمٍ، ومن الثَّيَابِ الْبِمِيَّةِ^٢
 وَالْخَيْصِيَّةِ: [سِتَّة] [٨٨٨] وَتِسْعُونَ ألفَ دِينَارٍ. فَلَسْطِينٌ: ثَلَاثُمِائَةَ ألفٍ وَسِتُّونَ ألفَ
 دِينَارٍ.
- ٦ ومن جَمِيعِ أَجْنَادِ الشَّامِ: من الزَّيْتِ: خَمْسُمِائَةَ ألفِ رَطْلٍ. ومن التُّفَّاحِ: مِائَتَا ألفِ
 تُفَّاحَةٍ. ومن التَّيْنِ: عَشْرَةُ آلافِ مَنٍّ. ومن الخَرْبُوبِ: ثَلَاثُونَ ألفَ رَطْلٍ.
- ٩ مِضْرٌ - سِوَى تِنِّيْسَ وَدِمْيَاطَ وَالْأَشْمُونِينَ -^(ج) فَإِنَّ مَالَ هَذِهِ الْكُورِ مِضْرُوفٌ إِلَى
 شِرَاءِ الْحَيْلِ^(د). وَالتَّفَقَّةُ عَلَى الطَّرِزِ: ثَلَاثَةُ آلافِ ألفٍ وَتِسْعُ مِائَةِ ألفٍ وَأَرْبَعُونَ ألفَ
 دِينَارٍ. وَمِنْ أَنْوَاعِ الثَّيَابِ: الدَّبِيْقِيُّ وَاللِّصْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ: عَشْرُونَ ألفَ ثَوْبٍ.
 الْإِسْكَندَرِيَّةُ: ألفُ ألفٍ وَثَمَانِ مِائَةَ ألفِ دِرْهَمٍ.
- ١٢ بَرْقَةٌ: ألفُ ألفِ دِرْهَمٍ. إِفْرِيقِيَّةٌ: ثَلَاثَةُ عَشَرَ ألفَ ألفِ دِرْهَمٍ. وَمِنْ الْبُسْطِ
 الْكَبَّارِ: خَمْسُمِائَةَ بَسَاطٍ. وَمِنْ الزَّيْتِ: مِائَتَةُ ألفِ رَطْلٍ.

^(أ) لدى الجهشياري: ثلاثة أكرار.

^(ب) لدى الجهشياري: خمسون ألف رطل.

^(ج-د) لدي الجهشياري: «فإن هذه وقتت للنفقات».

^١ السكنجين: لفظة معربة عن الفارسية، هو نوع من الشراب المركب من السكر والخل. نفسه، ج ١٧، ص ٤٧٤.

^٢ الثياب البمية: نسبة إلى مدينة بم، إحدى مدن كهرمان؛ والثياب الخيضية: نسبة إلى مدينة خبيص بكرمان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩٠٥؛ ج ٢، ص ٤٣٥.

مكة والمدينة: ثلاثمائة ألف دينار. ومن التمر الصيحاتي: ألف رطل. من الصيحات^١: خمسون رطلاً.

٢ اليمن: من العين: ثمانمائة [ألف]^٥ وسبعون ألف دينار. ومن العنبر: ثمانون رطلاً. ومن أصناف الحلل وغيرها من الثياب: أربعة آلاف ثوب. ومن الورد^٢: خمسة آلاف رطل. ومن الزبيب: خمسمائة قفيز.

٦ اليمامة والبحرين وعمان وسيراف: من الورد: ثلاثة آلاف ألف درهم. ومن الثياب الصحاريّة: خمس مائة ثوب.

٩ ومن التمر اليماني: مائتا ألف رطل. جوالي الكوفة والبصرة ومدينة السلام وما بين المضرين: من الورد: ألف ألف وثلاثمائة ألف وسبعون ألف درهم. ولم يثبت في هذا التقدير قزوين لأنها تفرقت في الكور^٥.

^٥ ساقطة من الأصل: والتمة من الجهشياري.

^١ الصيحات: نخل باليمامة. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ص ي ح] ج ٦، ص ٥٦٠-٥٦١.

^٢ الورد: نبات كالسمسم يوجد باليمن دون غيرها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٢٥٤.

*) إلى هنا ينتهي الاتفاق بين نص كتاب "ابن الفقيه" وكتاب "الوزراء والكتاب" للجهشياري، وقد تصرف فيه بالإضافة والحذف والتقديم والتأخير، ما يظهر تفاوتاً واختلافاً بين القائمتين؛ فإن هذه القائمة بها لدى الجهشياري: في كتاب الوزراء، حيث وضع في نهايتها تقدير بجملة ما كان يُعمل إلى بيت المال في بغداد، وكذلك القائمة المقارنة التي ألحقت بنص الكتاب.

القول في الأهواز

قال المغيرة بن سليمان: أرض الأهواز نحاسٌ ينبت الذهب، وأرض البصرة

٣ [ذهب]^(a) تُنبت النحاس^١.

وقال ابن المقفع: أوّل سورٍ وضع في الأرض بعد الطوفان سور الشوس وتُستّر.

٦ (b) ولا يُدرى من بنى سور الشوس وتُستّر والأبله^(b) ٢ وتكر^٣.

وقال أبو المنذر: الشوس من بناء سام بن نوح، فأما تُستّر فبعض الناس [٨٨ظ]

يُجعلها من الأهواز وبعضهم يجعلها من أرض البصرة.

وقال ابن عون مولى المسور^٤: حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد اختصم إليه

٩ أهل الكوفة وأهل البصرة في تُستّر و[كانوا]^(c) حضروا فتحها، فقال: أهل الكوفة

[هي]^(c) من أرضنا. وقال أهل البصرة: بل هي من أرضنا، فجعلها عمر من أرض

البصرة^(d) [لقربها منها]^(d).

(a) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

(b-b) لدى ياقوت: « ولا يدري من بناهما والأبله ».

(c) التتمة من ياقوت.

(d) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

^١ بنصه لدى ياقوت الحموي. انظر: مادة الأهواز: ج ١، ص ٢٨٥.

^٢ انظر مادة تُستّر لدى ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٢٧٠-٢٧١؛ ص ٣٠.

^٣ لم أجد شيئاً بهذا الاسم أو ما يقاربه، ولعل هذه الكورة قد اندثرت.

^٤ أبو عون مولى المسور بن مخرمة، روى عن الزبير والمسور بن مخرمة. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٧١.

^(d) الخبر بتامه لدى ياقوت. انظر: [مادة تُستّر] ج ٢، ص ٣٠.

[كور] الأهواز هي: سوق الأهواز ورَامَهُزْمَز، وإِيذَج، وَعَسْكَر مُكْرَم، وَتُسْتَر، وَجُنْدَيْسَابُور، وَالسُّوس، وَسَرَقُ^(a)، وَنَهْرُ يَبْرِي وَمَنَازِرُ^(b) ١.

٢ وَخَرَاجُ الْأَهْوَاذِ: ثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَكَانَتِ الْفُرْسُ تُقَسِّطُ عَلَى

خُوزِسْتَانَ^(c) - وَهِيَ الْأَهْوَاذُ - خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَثَاقِيلَ^٢. وَبَنَى سَابُور

بِالْأَهْوَاذِ مَدِينَتَيْنِ سَمَّى إِحْدَاهُمَا بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْآخَرَ بِاسْمِ نَفْسِهِ، وَجَمَعَهُمَا بِاسْمِ

وَاحِدٍ، وَهِيَ هُرْمُزْد سَابُور^(d) وَسَمَّيْتُهَا الْعَرَبُ سُوقَ الْأَهْوَاذِ. ٦

وَبَنَى جُنْدَيْسَابُور، وَكَانَتِ غَيْضَةً، فَمَرَّ بِهَا، وَأَكَاژُ يَحْرُثُ أَرْضًا بِالْقُرْبِ مِنْهَا.

فَقَالَ لَهُ سَابُور: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبْنِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَدِينَةً. فَقَالَ الْأَكَاژُ، وَكَانَ شَيْخًا

كَبِيرًا وَكَانَ اسْمُهُ بِيَل، تَعَجَّبًا مِنْ قَوْلِهِ: إِنْ جَاءَ مِنِّي كَاتِبٌ جَاءَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ٩

مَدِينَةً. فَقَالَ سَابُور: وَاللَّهِ مَا يَتَوَلَّى بِنَاءَهَا وَالنَّفَقَةَ عَلَيْهَا غَيْرُكَ.

ثُمَّ أَمَرَ بِحَمْلِ الشَّيْخِ فَحَمِلَ، وَأَمَرَ بِحَلْقِ رَأْسِهِ وَحَيْثُ كَيْ لَا يَشْتَغِلَ عَنِ

التَّعْلِيمِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ مُعَلِّمًا وَأَخَذَ بِتَعْلِيمِهِ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ الخَشَبِ مِنَ الْغَيْضَةِ فَقُطِعَ. ١٢

وَمَهَرَ الشَّيْخُ فِي الْكِتَابَةِ وَحَذَقَهَا وَعَرَفَ جَمِيعَ أُمُورِهَا فِي سَنَةٍ.

(a) لدى ابن خُرْدَاذْبَه بِزِيَادَةِ: سَرَق، وَهِيَ دُورِق.

(b) لدى الْمُقَدِّسِيِّ: «عَلَى جَمِيعِ الْإِقْلِيمِ».

(c) لدى ابن خُرْدَاذْبَه بِزِيَادَةِ: وَمَنَازِرُ الْكَبْرَى وَمَنَازِرُ الصَّغْرَى.

(d) فِي الْأَصْلِ: هَرْمُزْد أَرْدَشِير، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ.

١ قَارَنَ: ابْنَ خُرْدَاذْبَه: الْمَسَالِكُ وَالْمَالِكُ، ص ٤٢؛ قَدَامَةُ بِنِ جَعْفَرٍ: الْخَرَاجُ وَصَنَاعَةُ الْكِتَابَةِ: ص ١٧٠-١٧١؛

يَاقُوتُ الْحَمُوي: ج ١، ص ٢٨٥.

٢ رَاجِعُ: الْمُقَدِّسِيِّ: أَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَقْلِيمِ، ص ٤١٨.

فلما بلغ من ذلك غاية ما يحتاج إليه أدخله المعلم إلى سَابُور وعرفه أمره وأنه قد بلغ النهاية في الكتابة. فضحك سَابُور وقال له: يا بيل، تعلمت الكتابة؟ قال: نعم. قال: اذهب فقد قلدتك نفقات المدينة. ٣

وأمره أن يقوم على الفعلة، فبنى جُنْدَيْسَابُور. فلما فرغ منها نظر إلى بعض جوانبها يكره عليه من السيل. فنقضه وبناه بالأجر والكلس^١، وبنى باقيها باللبن. فأهل الأهواز يسمون جُنْدَيْسَابُور "بيلاباذ" باسم الشيخ الذي تولى بناءها والتفقه عليها. وفي ذلك سَابُور بن أردشير ظهر ماني^٢ [٨٩١] صاحب الزنادقة. فدعا سَابُور إلى مذهبه، فما زال يشوقه ويساطله حتى استخرج ما عنده. ٦

فوجدته داعية للشيطان، فأمر به فسلخ جلده وحشي تينا وعلق على باب مدينة جُنْدَيْسَابُور. فالباب إلى الساعة يسمى باب الماني. والزنادقة تحج إليه وتعظم ذلك الموضع. ٩

ويقال: إن معنى نَيْسَابُور وسَابُور حَوَاسْت وجُنْدَيْسَابُور^٣، أن أصحاب سَابُور، لما فقدوه لقول المنجمين له إنك تشقى سبع سنين، خرج هاربا يسيح في الأرض، وخرج أصحابه يطلبونه، فبلغوا نَيْسَابُور، فطلبوه هناك، فلم يجدوه. ١٢

^١ الكلس: ما تظلي به الحوائط في باطن القصور، وهو ما يعرف بالحص أو الجير. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٩٧.

^٢ ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير، اتخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنوة المسيح، فقتله بهرام بن هرمز، وهرب أتباعه إلى الصين. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ١١.

^٣ قارن: مادة سابور حَوَاسْت لدى ياقوت، ج ٣، ص ١٦٧.

فقالوا: نيست سَابُور. أَي لَيْسَ سَابُور، [فَسُمِّيَتْ نَيْسَابُورًا]^(a) ثُمَّ وَقَعُوا إِلَى سَابُورِ خُوَاشْتِ [فَسَبَّلُوا مَا تَصْنَعُونَ؟!]^(b) فقالوا: سَابُورِ خُوَاشْتِ، أَي طَلَبَ سَابُورِ هُنَاكَ [فَسُمِّيَ الْمَوْضِعُ بِذَلِكَ]^(c)، ثُمَّ وَقَعُوا عَلَيْهِ بِجُنْدَيْسَابُورِ، فقالوا: وَنَدَدَ سَابُورِ^(d)، أَي وَجَدَ الْمَلِكُ، وَبَنَى أَرْدَشِيرَ مَدِينَةَ سُوقِ الْأَهْوَازِ.

[أَنْهَارُ الْأَهْوَازِ]

٦ قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ: أَرْدَشِيرُ خُورَه^(e) ١ حَفَرَ الْمَسْرُقَانَ وَدُجَيْلَ ٢ وَأَنْهَارَ خُوزِسْتَانَ السَّبْعِ وَهِيَ: سُرُقٌ وَرَامَهْرُمُزٌ وَسُوقُ الْأَهْوَازِ وَالشُّوسُ^(f) وَجُنْدَيْسَابُورَ وَمَنَاذِرُ وَنَهْرَ تِيرِي. وَيُقَالُ: لَا بِنَاءَ بِالْحِجَارَةِ وَلَا أَبْهَى مِنْ شَادِرْوَانَ ٣ تُسْتَرُ لِأَنَّهُ بِالصَّخْرِ وَأَعْمَدَةَ ٩ الْحَدِيدِ وَمِلَاطِ الرِّصَاصِ. وَخَرَجَ دُجَيْلُ الْأَهْوَازِ مِنْ أَرْضِ أَصْبَهَانَ وَيُصَبُّ فِي الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ.

(a) ساقطة من الأصل: والتكملة من ياقوت.

(b) تنمة من ياقوت.

(c) التكملة من ياقوت.

(d) لدى ياقوت: وندي سابور.

(e) لدى ياقوت: أردشير بهمن بن أسفنديار.

(f) رسمت في الأصل: الشوش، والتصويب من ياقوت.

١ انظر مادة نهر تيري لدى ياقوت، ج ٥، ص ٣١٩.

٢ المسرقان: نهر بالأهواز يجري من ناحية تستر وينتهي إلى عسكر مكرم؛ دجيل: نهر بالأهواز مخرجه من

أصبهان ومصبه قرب عبدان. انظر: ياقوت الحموي، ج ١، ص ٢٨٥؛ ج ٢، ص ٤٣٤.

٣ الشادروان: لفظة فارسية تعني: الستر العظيم والذي يعمل على سراقق السلاطين والوزراء، وعلى الشرفة من

القصر والدار. انظر: السيد آدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٩٩.

وقالوا: من أقام بالأهوازِ حولًا ثم تفقد عقله وجد النقصان فيه بيئًا^١. فأمَّا
 قصبَةُ الأهوازِ فنقلتُ كلَّ من نزلها من بني هاشمٍ وأشرفِ النَّاسِ إلى طيِّبَتِهَا.
 ٣ ولا بُدَّ للهاشميِّ قبيحِ الوجهِ كان أو حسنًا من أن يكونَ لوجهه وشماله
 [طباعٌ يبيِّنُ بها]^٢ من جميعِ قُرَيْشٍ وجميعِ العَرَبِ. فلقد كادتِ الأهوازُ أن تنقلَ
 ذلك وتبدِّله، ولقد تحيَّفتُهُ^٣ وأدخلتِ الضَّيْمَ عليه وبيَّنتِ أثرها عليه.
 ٦ فما ظنُّكَ بصنِيعِهَا في سائرِ الأجناسِ؟! ولفسادِ عقولِهِم ولؤمِ طبعِ بلادِهِم. لا
 تراهُم مع تلكِ الأموالِ الكَثيرةِ والضَّياعِ النَّفيسةِ يخبُّون من^٤ البينِ والبناتِ^٥ ما يجبهُ
 أو ساطُ أهلِ الأَمْصارِ في الثَّرْوَةِ واليسارِ، وإن طال ذلك، والمالُ مُنبهَةٌ كما يعلمُ النَّاسُ.
 ٩ وقد يكتسبُ الرَّجُلُ من غيرِهِم، [٨٩٩ظ] المويِّلِ اليَسيرِ، ولا يرضى لولدهِ [حتى
 يفرَّضَ]^٦ له المؤدِّينَ ويحرصُ له على الأدبِ بالقطرِ النَّفيسِ، فما يقدرُ عليه.
 والحوزيُّ بخلافِ ذلك كلِّه، فإنَّه إذا ترعرعَ ولدهُ وكبرَ وعقل، شغلَهُ بالغرِبةِ
 ١٢ وأبلاه بالأسفارِ والكسبِ، فهو من بلدِ إلى بلدٍ ومن مدينةِ إلى أخرى، وليستِ في
 الأرضِ صناعةٌ مذكورةٌ ولا أدبٌ شريفٌ ولا مذهبٌ محمودٌ لهم في شيءٍ منه
 نصيبٌ، وإنَّ حَسَّ^٧ وقَلَّ ودقَّ وجَلَّ.

(١-٢) تكملة السياق من الجاحظ: الحيوان.

(٣) رسمت في الأصل: لحقيقه.

(٤-٥) رسمت في الأصل: التين والبيان.

(٦) ساقطة من الأصل.

(٧) كما في الجاحظ: في الأصل حشو؛ وفي ياقوت: حسن.

^١ انظر: ابن خردادبه: المسالك والممالك، ص ١٧٠.

ولم يُر بها وجنة حمراء لصبي ولا صبية، ولا دِماءً ظاهراً ولا قريباً، وهي قتالة للغرباء^١.

نقل ابن الفقيه هذه المقولة عن الجاحظ بتصريف يسير دون أن يشير إلى مصدره، ونصها كالتالي: «... فأما قصبة الأهواز، فإنها قلبت كل من نزلها من بني هاشم إلى كثير من طباعهم وشئائهم، ولا بد لها شمي، قبيح الوجه كان أو حسناً، أو دميماً كان أو بارعاً رائعاً، من أن يكون لوجهه وشئائه طباع بين بها من جميع قريش وجميع العرب. فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدله، ولقد تحمّته وأدخلت الصميم عليه، وبيّنت أثرها فيه؛ فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس؟! ولفساد عقولهم، ولؤم طبع بلادهم، لا تراهم مع تلك الأموال الكثيرة، والضياع الفاشية، يحبون من البنين والبنات ما يحبه أوساط أهل الأمصار على الثروة واليسار، وإن طال ذلك. والمال منبهة كما تعلمون. وقد يكتسب الرجل، من غيرهم، المويل اليسير، فلا يرضى لولده حتى يفرض له المؤدبين، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك. وليس في الأرض صناعة مذكورة، ولا أدب شريف، ولا مذهب محمود، لم في شيء منه نصيب وإن خس. ولم أر بها وجنة حمراء لصبي ولا صبية، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك. وهي قتالة للغرباء. وعلى أن حمّاه خاصة ليست للغريب بأسرع منها إلى القريب. ووباؤها وحمّاه، في وقت انكشاف الوباء ونزوع الحمى عن جميع البلدان. وكلّ محمود في الأرض فإن حمّاه لا تنزع عنه، ولا تفارقه، وفي بدنه منها بقية، فإذا نزع عنه فقد أخذ منها عند نفسه البراءة، إلى أن يعود إلى الخلط، وأن يجمع في جوفه الفساد وليست كذلك الأهواز لأنها تعاود من نزعته عن من غير حدث، كما تعاود أصحاب الحدث؛ لأنهم ليسوا يؤتون من قبل النهم، ومن قبل الخلط والإكثار، وإنما يؤتون من عين البلدة. وكذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعي في جبلها الطاعن في منازلها، المظلل عليها؛ والجزارات في بيوتها ومقابرها ومنابرها. ولو كان في العالم شيء هو شر من الأفعى والجرّارة، لما قصّرت قصبة الأهواز عن توليده وتلقيحه. وبليتها أنها من وراثتها سبّاخ ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقها مسابيل كنفهم، ومياه أمطارهم وموتضّاتهم. فإذا طلعت الشمس فطال مقامها، وطالت مقابلتها لذلك الجبل، قبل بالصخرية التي فيه تلك الجزارات. فإذا امتلات يبسا وحرارة، وعادت جمرّة واحدة، قذفت ما قبلت من ذلك عليهم. وقد تُحدث تلك السبّاخ وتلك الأنهار بُخاراً فاسداً، فإذا التقى عليهم ما تُحدث السبّاخ وما قذفه ذلك الجبل، فسد الهواء. وبفساد الهواء يفسد كل شيء يشتمل عليه ذلك الهواء».

الحیوان، ج ٤، ص ٣٢٧-٣٢٨؛ وقارن: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ٣١٩؛ ونص المقولة: لدى الثعالبي:

نهار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٥٥٠.

- وعلى أن مُحَّاهَا حَاصَّةٌ لَيْسَتْ إِلَى الْعَرِيبِ بِأَسْرِعِ مِنْهَا إِلَى الْقَرِيبِ، وَوَبَاوَهَا
 وَحُمَّاهَا فِي وَقْتِ انْكِشَافِ الْوَبَاءِ، وَنَزْوَعُ الْحُمَّى مِنْ جَمِيعِ [الْبُلْدَانِ]^(a) وَكُلُّ مَحْمُومٍ
 ٣ فِي الْأَرْضِ. فَإِنَّ مُحَّاهَا لَا تَنْزِعُ عَنْهُ وَلَا تُفَارِقُهُ، وَفِي بَدَنِهِ مِنْهَا بَقِيَّةٌ. فَإِذَا نَزَعَتْ فَقَدْ
 وَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِنْهَا الْبَرَاءَةَ إِلَى أَنْ تَعُودَ بِهَا يَجْتَمِعُ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ^(b).
- وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ الْأَهْوَازُ لِأَنَّهَا تُعَاوِدُ مِنْ نَزَعَتْ عَنْهُ وَمِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَمَا تُعَاوِدُ^(b)
 ٦ أَصْحَابُ [الْحَدَثِ]^(c) لِأَنَّهُمْ لَيْسَ يُؤْتُونَ مِنْ قِبَلِ التُّخْمِ وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْأَكْلِ، وَإِنَّمَا
 يُؤْتُونَ مِنْ عَيْنِ الْبَلَدَةِ. وَلِذَلِكَ جَمَعَتْ سُوقُ الْأَهْوَازِ الْأَفَاعِي فِي جَبَلِهَا الطَّاعِنِ فِي
 مَنَازِلِهَا الْمُطَّلِّ عَلَيْهَا، وَالْجَرَّرَاتُ فِي بِيُوتِهَا [وَمَنَازِلِهَا]^(d) وَمَقَابِرِهَا.
- ٩ وَلَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ هُوَ شَرٌّ مِنَ الْأَفَاعِي وَالْجَرَّرَاتِ^(e) [وَهِيَ عَقَارِبُ قَتَالَةَ
 تَجْرُ ذَنْبِهَا إِذَا مَشَتْ لَا تَرْفَعُهُ كَمَا تَفْعَلُ سَائِرُ الْعَقَارِبِ]^(e) مَا قَصَّرَتْ قَصَبَةُ الْأَهْوَازِ
 عَنْ تَوَلِيدِهِ وَتَلْقِيحِهِ.

(a) ساقطة من الأصل: والتكلمة من الجاحظ؛ ياقوت.

(b) رسمت في الأصل: تجاوز.

(c) ساقطة من الأصل: والتكلمة من الجاحظ.

(d) التتمة من ياقوت.

(e-e) ساقطة من الأصل: والتكلمة من ياقوت.

¹ أورد ياقوت الحموي هذا الخبر نقلاً عن ابن الفقيه وليس عن الجاحظ، مصرحاً بذلك، على عكس ما قاله
 الأستاذ عبد السلام هارون، محقق كتاب الحيوان: من أن ياقوت الحموي اعتمد في نقله على الجاحظ، بالرغم
 من تصريح ياقوت. فقد استهل حديثه عن قصبة الأهواز بقوله: «وقال أحمد بن محمد الهمداني...».
 قارن: الجاحظ: الحيوان، ج ٤، ص ١٤٠-١٤٣؛ ومادة: الأهواز، في معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٦.

وَبَلَيْتِهَا أَنْ مِنْ وَرَائِهَا سِبَاخًا وَمَنَاقِعَ مِيَاهٍ غَلِيظَةٍ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ تَشُقُّهَا مَسَائِلُ كُنُفِهِمْ^(a) وَمِيَاهُ أَمْطَارِهِمْ وَمَتَوَضَّائِهِمْ.

٣ فَإِذَا طَلَعَتِ [الشَّمْسُ]^(b) فَطَالَ مُقَامُهَا وَطَالَتْ مُقَابِلَتُهَا لِذَلِكَ الْجَبَلِ قَبْلَ
بِالصَّخْرِيَّةِ الَّتِي فِيهِ تِلْكَ الْجَرَارَاتُ. فَإِذَا امْتَلَأَتْ يُنْسَا وَحَرًّا وَعَادَتْ جَمْرَةً وَاحِدَةً
قَذَفَتْ مَا قَبَلَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ بَخَّرَتْ تِلْكَ السَّبَاخُ وَ [تِلْكَ]^(b) الْأَنْهَارَ
٦ [بُخَارًا فَاسِدًا]^(c) فَإِذَا التَّقَى عَلَيْهِمْ مَا بَخَّرَ مِنَ السَّبَاخِ وَمَا قَذَفَهُ ذَلِكَ الْجَبَلُ فَسَدَ
الْهَوَاءُ فَفَسَدَ بِفَسَادِهِ كُلُّ شَيْءٍ يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْهَوَاءُ.

٩ وَخَبَّرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ^٢ عَنْ مَشِيخَةٍ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ عَنِ الْقَوَائِلِ
أَنْهَنْ رَبًّا قَبْلَنْ الطُّفْلَ الْمَوْلُودَ فَيَجِدْنُهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مُحْمُومًا [٩٠و]، يَعْرِفُنْ ذَلِكَ
وَيَتَحَدَّثُنْ بِهِ^٣.

(a) في الأصل: مسائل كتفهم.

(b) ساقطة من الأصل: والتكلمة من: الجاحظ.

(c) التتمة من: الجاحظ

^١ انظر: الجاحظ: الحيوان، ج ٢، ص ٣٢٨.

^٢ إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق الصولي، من كاتب العراق المعدودين. قرّبه الخلفاء فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل، له تصانيف، توفي بسامراء سنة ٢٤٣/٨٥٧م. أنظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج ١، ص ٣٧٨-٣٧٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٣٠؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٧٠.

^٣ نقل ابن الفقيه هذا الخبر من الجاحظ، بتصريف، ودون إشارة. وابتدأ حديثه: «خبر إبراهيم بن العباس بن محمد... متجاهلاً مصدره، وتامها في الجاحظ: «وحدثني إبراهيم بن عباس بن محمد بن منصور، عن مشيخة من أهل الأهواز...». وربما دلت هذه النقول على تأثر ابن الفقيه الواضح بأسلوب الجاحظ، في طريقة التأليف وكذلك طريقة صياغته للأخبار وعرضه لها. انظر: الحيوان، ج ٤، ص ٣٨٢.

- ولقد أخبرني به زَيْدُ بن مُحَمَّدٍ^١، وكان صَدُوقًا، وكان أَقَامَ بالأهوازِ حَوْلًا ورأى شِدَّةَ حَرِّهَا وكثرةَ هَوَامِّهَا وحياتها وجراراتِهَا بِأَمْرِ فِطْيِيعٍ. ثمَّ قال: وكيف لا يَكُونُ كَذَلِكَ وطعامُ أهلِهَا [خُبْزٌ]^٢ الأرزُ، [ولا يَطْبُوبُ ذلك إِلَّا سُخْنًا]^٣ وهم يَجْبُرُونَ في كُلِّ يَوْمٍ [في منازلهم]^٤، فيَقْدَرُ أَنَّهُ يُسَجَّرُ بها في كُلِّ يَوْمٍ آخِمْسُونَ أَلْفَ تَنُورٍ. فما ظَنُّكَ ببِلَدٍ إذا اجْتَمَعَ فيه حَرُّ الهَوَاءِ وَبُخَارُ هذه النِّيرانِ؟^٥
- ٦ وحَلَفَ بالله ﷻ أَنَّهُ عَزَمَ مِرَارًا أَنْ يُغْرِقَ نَفْسَهُ في المَسْرُقَانِ لما كان يَلْقَى من الكَرْبِ وشِدَّةِ الحَرِّ والسَّمُومِ. وَيَقُولُ أَهْلُ الأَهْوَازِ: [إِنَّ] جِبَلَهُمْ إِنَّمَا هو من عُثَاءِ الطُّوقَانِ تَحَجَّرَ، وهو حَجَرٌ يَنْبُتُ وَيَزِيدُ في كُلِّ وَقْتٍ.
- ٩ قالوا: ولنا السُّكَّرُ وأنواعُ التَّمْرِ. وهم أَخَذُوا الأُمَّةَ في اتِّخَاذِ أنواعِ السُّكَّرِ. ولهم الخِزُّ السُّوسِيُّ والذِّبَايُجُ التُّسْتَرِيُّ. وكُلُّ طَيْبٍ يَحْمَلُ إلكِ الأَهْوَازِ فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ وتَذَهَبُ رائِحَتُهُ وَيَبْطُلُ حتَّى لا يُنْتَفَعَ منه بِكَثِيرِ شَيْءٍ^٦.
- ١٢ والأَهْوَازُ أَفْتَحَهَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ في وِلايَةِ عُمَرَ بنِ الحِطَّابِ - رضي اللهُ عنهما - وأَخْرَجُ مَدِينَةَ أَفْتِيحَتْ من الأَهْوَازِ السُّوسِ.

^(١) ساقطة من الأصل: والتمة من ياقوت.

^(ب) التمة من ياقوت.

^(ج) والتكلمة من ياقوت.

^١ أبو الحسن زيد بن محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد العلوي، كان أديبًا مليح الشعر، أسر في الواقعة التي استشهد فيها أبوه ولم يزل عند إسماعيل بن أحمد الساماني مكرمًا وكتب إليه المكتفي في حمله فدافعه ولم يزل على حاله تلك عنده وعند بيته إلى أن مات ٣١٤هـ / ٩٢٦م، انظر في أخباره: أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص ٥٤٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ٢٩.

^٢ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٦.

فلَمَّا فَتَّحَهَا وَأَخَذَ الْمَدِينَةَ وَسَمَى الذُّرِّيَّةَ وَظَفَرَ بِالخَزَائِنِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُجْحِي مَا فِيهَا
كَانَ فِي قَلْعَتِهَا نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ خَزَانَةٍ.

فَرَأَى خَزَانَةً مِنْهَا وَعَلَيْهَا سِتْرٌ عَلَيْهِ الدُّهْنُ. فَأَمَرَ خَزَانَ الْقَلْعَةِ أَنْ يَفْتَحُوهُ،
فَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَيَحْلِفُونَ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. فَجَعَلَ أَبُو مُوسَى
لَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا حِرْصًا عَلَى فَتْحِهِ حَتَّى هَمَّ بِكَسْرِ الْبَابِ.

فَلَمَّا رَأَى الْخَزَانَ ذَلِكَ قَالُوا لَهُ: نَحْنُ نَصُدِّقُكَ عَمَّا فِيهِ. قَالَ: قَوْلُوا. قَالُوا: فِيهِ
جَسَدٌ دَانِيَالٍ. قَالَ: وَكَيْفَ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَصَابَنَا الْقَحْطُ سَبْعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً
حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْهَلَاكِ، وَكَانَ هَذَا الْجَسَدُ عِنْدَنَا، وَقَوْمٌ مِنَ النَّصَارَى يَسْتَسْقُونَ بِهِ
إِذَا أَجْدَبُوا فَيَسْقُونَ وَيُخْصَبُونَ.

فَأَتَيْنَاهُمْ وَطَلَبْنَا إِلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِضُوا نَاهِ فَأَبَوْا عَلَيْنَا فَرَهْنَا هُمْ خَمْسِينَ أَهْلَ بَيْتٍ مَتًّا عَلَى
أَنْ نَسْتَقِي بِهِ فِي عَامِنَا ذَلِكَ وَنَرُدَّهُ. فَدَفَعُوهُ إِلَيْنَا، فَلَمَّا اسْتَقَيْنَا بِهِ سَقِينَا وَأَخْصَبْنَا،
فَضَنَّنَّا بِهِ وَحَبَسْنَاهُ عَنْ أَصْحَابِهِ وَرَغَبْنَا فِيهِ فَهُوَ عِنْدَنَا نَسْتَقِي بِهِ فِي الْجُدُوبِ.

فَأَمَرَ أَبُو مُوسَى بِفَتْحِ الْبَابِ، فَإِذَا فِي الْبَيْتِ سَرِيرٌ عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ، وَاضِعٌ
[٩٠ظ] مَرْفَقُهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ الْيُمْنَى فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ يُعَلِّمُهُ فَتَحَ الْمَدِينَةَ وَيَقْصُّ
عَلَيْهِ خَبَرَ دَانِيَالٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَحْضَرَتِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ
نَبِيٌّ وَأَنَّ بُحْتَ نَصْرٍ لَمَّا غَزَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَسَمَى أَهْلَهُ، كَانَ دَانِيَالٌ مِمَّنْ سَبِيَ وَنُقِلَ إِلَى
أَرْضِ بَابِلَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ^١.

^١ أورد ابن قتيبة قصة العثور على قبر النبي دانيال عليه السلام بطريقة مختلفة، للمزيد: قارن هذا الخبر في كتابه:

- ^a فكتبَ عمرُ إلى أبي موسى يُخبرُهُ بالذي انتهَى إليه من أمرِهِ، وأمرُهُ بأن يُحَنِّطَهُ وَيَكفِّنَهُ وَيُدْفَنَهُ من غير أن يُغسَلَهُ، ويَكُون دَفنُهُ إِيَّاهُ في جَوْفِ اللَّيْلِ حتَّى يَكُون اللهُ تَعَالَى هو الذي يَبْعَثُهُ كما يَبْعَثُ خَلْقَهُ. ٣
- فلَمَّا انتهَى كِتَابُ عمرُ إلى أبي موسى عمَدَ إلى نَهْرٍ من أنهارِ الشُّوسِ فأمرَ بِسَكْرِهِ فَسَكَّرَ. ثمَّ حَفَرَ لَدَانِيَالٍ في جَوْفِ النَّهْرِ، ثمَّ عمَدَ إليه فَحَنِّطَهُ وَكفَّنَهُ وَحَمَلَهُ أَرْبَعَةَ من المُسْلِمِينَ في جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَبَرَهُ في ذلكِ النَّهْرِ، ثمَّ أجزَى عليه المَاءَ فلم، يَعلَمُ أَحَدٌ مَوْضِعَ قَبْرِهِ إلى يَوْمِنَا هذا^a ١.
- وَيُقَالُ إِنَّهُ أَخَذَ خَاتِمًا كَانَ في أَصْبَعِهِ. وكذلك يُقَالُ أَيضًا إِنَّهُ وَجَدَ مَعَهُ كِتَابًا فيها ٩
- أَخْبَارُ المَلَاحِمِ وما يَكُونُ في الفِتَنِ، وَإِنَّمَا صَارَتْ إلى كَعْبِ الأَخْبَارِ.
- وعَسَكَرَ مُكْرَمٍ: نُسِبَتْ إلى مُكْرَمِ بنِ [مَعزَاءِ الحَارِثِ] ^b أَحَدِ بَنِي جَعُونَةَ بنِ الحَارِثِ بنِ نُمَيْرٍ^٢، وَكَانَ الحَجَّاجُ بنِ يوسُفَ وَجْهَهُ لمَحَارِبَةِ حُرْزَادِ بنِ بَاسِ حِينَ عَصَى وَلَحِقَ بِالإِيذِجِ وَتَحَصَّنَ في قَلْعَةٍ تُعْرَفُ بِهِ. فلَمَّا طَالَ عليه الحِصَارُ نَزَلَ ١٢
- مُسْتَحْفِيًا لِيَلْحَقَ بِعَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرَوَانَ.

^(a-b) لدى ابن قتيبة: «فكتب أبو موسى إلى عمر بذلك. فكتب إليه عمر: إن الرجل هو دانيال، فادفنه حيث لا تمسه أيدي الخاطئين. فكفنه، وقطع نهر تستر، ثم جعله في جرن حجارة ودفنه في النهر، ثم أجرى عليه الماء.»
^(b) الزيادة من ياقوت؛ وفي البلاذري: مكرم بن الفرز.

^١ قارن مادة الأهواز والسوس لدى: ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٩؛ البلاذري فتوح البلدان، ص ٣٥١-٣٥٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨١.
^٢ مكرم بن معزاء الحارث، أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة، صاحب الحجاج بن يوسف، وقيل غير ذلك. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٣.

فظَفَّرَ به مُكْرَمٌ ومعه دُرَّتَانِ فِي قَلَنْسُوتِهِ، فَأَخَذَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ [فَضْرَبَ
عُنُقَهُ] ^(a)، ^(b) وَكَانَتْ هُنَاكَ قَرْيَةً قَدِيمَةً فَبَنَاهَا مُكْرَمٌ، وَلَمْ يَزَلْ بَيْنِي وَيَزِيدٌ حَتَّى جَعَلَهَا
مَدِينَةً وَسَمَّاهَا "عَسْكَرَ مُكْرَمٍ" ^(b).

وَقَالَ التُّوزِيُّ ^(c): الْأَهْوَاؤُ تُسَمَّى بِالْفَارِسِيَّةِ هُوَزْمَشِيرٌ ^(d) وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهَا
الْأَخْوَاؤَ، فَعَرَّبَهَا النَّاسُ وَقَالُوا: الْأَهْوَاؤُ. وَأَنْشَدَ لِأَعْرَابِيٍّ (شِعْرًا):
[البيسط]

لَا تَرْجِعَنَّ إِلَى الْأَخْوَاؤِ ثَانِيَةً وَقُفِّعَانَ الَّذِي فِي جَانِبِ السُّوقِ
وَمَهْرٍ بَطٌّ الَّذِي أَمْسَى يُؤَزِّقُنِي فِيهِ الْبَعُوضُ بَسَلٍ غَيْرِ تَشْفِيقِ

وَمَهْرٌ بَطٌّ كَانَ عِنْدَهُ مَرَاخٌ لِلْبَطِّ. فَقَالَتْ الْعَامَّةُ مَهْرٌ بَطٌّ، كَمَا قَالُوا دَارٌ بَطِّيخٌ. وَقَالُوا:
[٩١] بَلْ كَانَ يُسَمَّى مَهْرٌ نَبَطٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ^(e) كَانَ لَامْرَأَةٍ نَبَطِيَّةٍ فَحُفِّفَ وَقِيلَ مَهْرٌ بَطٌّ ^(e).

^(a) التهمة من البلاذري.

^(b-b) لدى البلاذري: « فسمى ذلك أجمع عسكر مكرم وهو اليوم مصر جامع ».

^(c) في الأصل الثوري: والتصويب من ياقوت.

^(d) كما في الأصل. في البلاذري: هوزمسير؛ وفي ياقوت: هرمشير.

^(e-e) كما في الأصل، وياقوت. ولدى البلاذري: « كان لامرأة تسمى البطة فنسب إليها ثم حذف »

¹ قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٣٩-٥٤٠؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٨٦؛
ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٣-١٢٤.

² أبو يعلى محمد بن الصلت التوزي، ينسب إلى توز [بلدة من أعمال فارس]، نزل البصرة وحدث بها، ووفاته
على أقوال منها سنة ٢٢٨هـ/٨٤٣م. انظر في ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير ج ١، ص ١١٨؛ ابن حبان:
الثقات، ج ٩، ص ٨٢؛ ابن ماكولا: أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر المتوفى: ٤٧٥هـ/١٠٨٣م، الإكمال في
رفع الارتباب عن المؤلف، ج ١، ص ٥٨٨. وقد نقل ياقوت هذا الخبر وابتدأه بقوله: « وقرأت بعد ما أثبتته
عن التوزي أنه قال: الأهواؤ... ». انظر: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٤، ج ٢، ص ٤٠٤.

وأهل الأهواز أئمة الناس وأبخلهم، وهم أصبر خلق الله على العربة والتنقل. ويحسبك أنك لا تدخل بلداً من سائر البلدان ولا إقليماً من جميع الأقاليم إلا وجدت في تلك المدينة صفاً للخور لشحهم وحرصهم على جمع المال.

وذكر الأصبعي قال: الخور هم الفعلة وهم الذين بنوا الصرح^(أ) [لفرعون]^(ب) واسمهم مشتق من الخنزير، وذهبوا إلى أن اسمه بالفارسية خوك^(ج) فجعلته العرب خوز^(د) ولك هذا ذهبوا^١. وقال آخرون: معنى قولهم خوزي: أي زيهم زي الخنزير. وروى أبو خيرة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ليس في ولد آدم شر من الخوز ولم يكن منهم نبي قط ولا نجيب^٢.

وقال عبد الله بن سلام^٣: خلق الله البخل عشرة أجزاء، تسعة في الخوز وجزء في سائر الخلق. وقال علي عليه السلام فيما روي عنه: على مقدمة الدجال رجل خوزي يقال له مهران.

^(أ) في الأصل: الطرح. والتصويب من ياقوت. ^(ب) التهمة من ابن قتيبة: المعارف

^(ج) في الأصل: خو.

^(د) في الأصل: خنزيراً. والتصويب من ياقوت.

^١ راجع: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦١٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٤.

^٢ صرح ياقوت بنقله من ابن الفقيه، مشيراً إلى الأصمعي أيضاً، ولكن دون أن يسمي أي من مؤلفاته.

^٣ عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري، أبو يوسف، صحابي، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، وكان اسمه "الحصين" فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله. اعتزل الفتنة، وتوفي بالمدينة سنة ٥٤٣هـ/٦٣٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٥٢-٣٥٣؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة

الأصحاب، ج ٣، ص ٩٢١-٩٢٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ١٠٢-١٠٤.

وقال عُمَرُ رضي الله عنه: لَئِنْ عَشْتُ إِلَى قَابِلٍ لِأَيِّعَنَّ الْحُوْرَ وَلَا أَجْعَلَنَّ أُنْثَاهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَفِي خَيْرٍ آخَرَ: مَنْ كَانَ بَجَارِهِ حُوْرِيًّا وَاحْتِجَاجًا إِلَى ثَمَنِهِ فَلْيَبِعْهُ^١. وَكَتَبَ كَبِيرِي إِلَى بَعْضِ عَمَّالِهِ أَنْ ابْعَثْ إِلَيَّ بِشَرِّ طَعَامٍ مَعَ شَرِّ النَّاسِ عَلَى شَرِّ الدَّوَابِّ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِرَأْسِ سَمَكَةٍ مَالِحَةٍ مَعَ حُوْرِيٍّ عَلَى حِمَارٍ.

وقال أبو وائل^٢: خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ إِلَى قَرْيَةٍ بِالْقَادِسِيَّةِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَثْبَاطِ فِي حَاجَةٍ. فَالْتَمَتَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:-

«تَارِكُوا التَّرْكَ مَا تَرَكَوْكُمْ، وَلَا تُجَاوِرُوا الْأَثْبَاطَ فِي بِلَادِهِمْ، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا إِسْلَامَهُمْ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ وَتَمَكَّنُوا فِي الْمَرْبَاعِ وَأَحْتَشُوا فِي الْمَجَالِسِ وَرَاجَعُوا الرَّجَالَ فِي كَلَامِهِمْ فَاهْرَبْ الْهَرَبَ، وَلَا تُتَاكِحُوا الْحُوْرَ فَإِنَّ لَهُمْ أَعْرَاقًا تَدْعُو إِلَى غَيْرِ الْوَفَاءِ»^٣.

^١ تظهر هذه العبارات المنسوبة إلى كبار الصحابة نوعاً من الشعبية الفارسية، التي لا يجوز أن تكون موجودة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أشرنا من قبل إلى لجوء المصنف إلى نسبة أقوال موضوعة في أوصاف الشعوب والبلدان إلى كبار الصحابة، إرضاء لعصية في نفسه.

^٢ شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي الكوفي، شيخ الكوفة وعالمها، مخضرم جليل، توفي سنة ٨٢هـ/٧٠١م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٩٦. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٣٧٠.

^٣ أخرج الطبراني: في المعجم الكبير، هذا الحديث بنفس هذا السند، ولفظه هكذا: «اتركوا الترك ما تركوكم؛ فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما حولهم الله بنو قنطوراء». أما ما زاده ابن الفقيه على هذا فليس من متن الحديث أصلاً. قارن: أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير: تحقيق: حدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية: القاهرة، ط ٢، ١٩٩٤م. ج ١٠، ص ١٨١.

الْقَوْلُ فِي فَارِس

حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ^١، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجَيْدِ،
حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبَانَ^٢، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْمُحَبَّرِ^٣، عَنْ الصَّلْتِ بْنِ دِينَارٍ^٤،

^(٥) في الأصل: المخير.

^١ أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل بن يحيى بن القاسم بن عون بن عبد الله بن الحارث بن عبد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، حدث بهمدان، ولم أقف على سنة وفاته. له ذكر عند ابن العديم، فقد وقع كتاب ابن الفقيه في يده وهو ببغداد ونقل مادة تخص مدينة أنطاكية من ابن الفقيه بسند يرجع إلى نفس الراوي المذكور، وإن لم يكن في نسب ابن الفقيه "الزيات"، حيث صرح بقوله:

«ووقع إلي ببغداد كتاب من تأليف أحمد بن محمد بن إسحاق الزيات الهمداني الفقيه، فنقلت منه: حدثنا أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل قال: «...». انظر: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م. ج ١، ص ٤٥٤.

^٢ بشر بن محمد بن أبان بن مسلم السكري، أبو أحمد الواسطي، سكن بغداد وحدث بها، وهو من الثقات. انظر في ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير، ج ٢، ص ٨٤؛ ابن حبان: الثقات، ج ٨، ص ١٣٩؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٥٢٩.

^٣ داود بن المحبر بن قحزم بن سليمان بن ذكوان، أبو سليمان الطائي البصري، ضعفه رجال الحديث. لأنه يروي عن المجاهيل. انظر ترجمته وأخباره في: ابن حبان: المجروحين، ج ١، ص ٢٩١؛ الدارقطني: الضعفاء والمتروكين، ج ٢، ص ١٥٢؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٢٦.

^٤ الصلت بن دينار الأزدي الهنائي، أبو شعيب المجنون، من أهل البصرة، ضعيف متروك الحديث: انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٧٩؛ ابن حبان: المجروحين، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦؛ الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٥، ص ١٢٥-١٢٨.

[٩١ظ]، عن عبد الله بن أبي مليكة^١ قال: قال رسول الله ﷺ «أهل فارس غضبتنا»^٢. ويروى عن أنس بن مالك قال: إن الله خير بين خلقه فخيرته من العرب^٣ قرينش، وخيرته من العجم فارس.

ويروى عن النبي ﷺ: «أسعد الناس بالإسلام أهل فارس،^٤ وأشقى العرب به بهراء وتغلب»^٥.

وقال في قوله ﷺ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] قال الناس إذ ذاك: فارس والروم.

وفي قوله: ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] قال: فارس.

ولمّا هدم ابن الزبير البيت قال: اطلبوا من العرب من بينيه، فلم يجدوا فقال: استعينوا بأهل فارس فإنهم [من] ولد إبراهيم عليه السلام، ولن يرفع البيت إلا ولد إبراهيم^٦.

(٥-٥) في المختصر: «وأشقى العرب هذا الحي من بهراء وتغلب».

^١ عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التميمي المكي، كان قاضياً لعبد الله بن الزبير ومؤدباً له، من كبار أصحاب عبد الله بن عباس وكان ثقة كثير الحديث توفي بمكة سنة ١١٧هـ/٧٣٥. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٧٢؛ طبقات خليفة بن خياط، ص ٤٩٢؛ ابن حبان: الثقات، ج ٥، ص ٢؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ٦٩.

^٢ حديث ضعيف لم يرد في كتب الصحاح الستة، أورده أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، المتوفى ٤٣٠هـ/١٠٣٩م، في تاريخ أصفهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، ١٩٩٠م. ونصه كالتالي: «فارس غضبتنا أهل البيت لأن إسما عيل عم ولد إسحاق وإسحاق عم ولد إسما عيل» ج ١، ص ٢٩.

^٣ قارن مختصر الكتاب، ص ١٩٦.

وقال رسول الله ﷺ: «أبعد الناس من الإسلام الروم ولو كان الإسلام مُعَلَّقًا بالثرثريَّا لتناولته فارس»^(a) [يعني الإسلام]^(a).

٣ قال: وذكر النبي ﷺ: كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ فقال: «ويل أمه، ما أعمق سِلْمَهُ لو كان أسلم»، وروي عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦] قال: أهل فارس.

٦ وقال عتبة السلام: لا تسبوا فارس فإنهم عصبتنا. وقال عتبة السلام: ^(b) [إنَّ الله جُنْدًا في أهلِ فارس إذا غَضِبَ على قومٍ انتقمَ بهم]^(b).

٩ وقال الشعبي: أوَّل من استنبت الأثمار العظام أنوشروان، وما دبَّ الملك واستصلح الرعية بعده مثله.

١٢ وكان أنوشروان إذا أفرص يُقدِّم الفارسيَّ على رجلين من الديلم، وعلى خمسة من الترك، وعلى عشرة من الروم، وعلى خمسة عشر من العرب، وعلى الثلاثين من [أهل]^(c) الهند، لأنهم كانوا أشجع [الناس]^(c) ممن ذكرنا قلوبًا وأعزهم نفراً^(d) وأعظمهم ملكًا وأكثرهم عددًا وأوسعهم بلدًا وأخصبهم جنانًا وأشدهم قلوبًا وأزجحهم عقولًا وأحسنهم تدبيرًا وأصحهم جوابًا وأطلقهم السنًا^(d).

(a-a) تكلمة من المختصر.

(b-b) ساقطة من الأصل والتمة من المختصر.

(c) التمة من مختصر الكتاب.

(d) رسمت في الأصل: ثغرا، وفي المختصر: نفوسا.

^١ قارن: مختصر كتاب البلدان، ص ١٦٩-١٧٩.

وقال أبو البَحْتَرِيُّ: بَلَعْنَا أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^١ وَلَدَ ابْنًا يُقَالُ لَهُ: نَفِيسٌ
فَوَلَدَ لِنَفِيسِ الْعَيْصِ قَبَائِلَ مِنْ فَارِسٍ مِنْهُمْ أَهْلُ إِصْطَخَرِ وَسَابُورِ وَأَزْدَشِيرِ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ^٢ (شِعْرًا):

[الطويل]

مَنَابِرُ مُلْكٍ كُلُّهَا مُضَرِّيَّةٌ يُصَلِّي عَلَيْنَا مِنْ أَعْرَنَاهُ مَنَبْرًا
وَأَبْنَاءُ إِسْحَاقِ اللَّيْثُ إِذَا ارْتَدَوْا^٣ [حَمَائِلُ مَوْتٍ لَابِيسِينَ السَّنَوْرَاءُ]^٤
إِذَا انْتَسَبُوا عَدُّوا الصَّبَهْبَهْدَ مِنْهُمْ وَكِسْرَى وَعَدُّوا الْهَرْمُزَانَ وَقَيْصَرَ

وكان إدريس بن عمران يقول: أهل إصطخر أكرم الناس أحسابًا ملوك أبناء
الأنبياء^٥ ^٦. وقال أزديشير: [٩٢٧] الأَرْضُ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ، فَجُزْءٌ مِنْهَا أَرْضُ الثَّرْكِ مَا
بَيْنَ مَعَارِبِ الْهِنْدِ إِلَى مَشَارِقِ الرُّومِ. وَجُزْءٌ مِنْهَا أَرْضُ الْمَغْرِبِ، مَا بَيْنَ مَعَارِبِ الرُّومِ
إِلَى الْقَيْطِ وَالْبَرْبَرِ. وَجُزْءٌ مِنْهَا أَرْضُ كُورِ الشَّوَادِ مَا بَيْنَ الْبَرَابِرِ إِلَى الْهِنْدِ.

وَالجُزْءُ الرَّابِعُ، هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَى فَارِسٍ مَا بَيْنَ نَهْرِ بَلُخٍ إِلَى مَنَقَطِعِ
أَذْرَبِجَانَ وَأَرْمِينِيَّةِ الْفَارِسِيَّةِ إِلَى الْفَرَاتِ، ثُمَّ بَرِّيَّةِ الْعَرَبِ إِلَى عَمَّانَ وَمُكْرَانَ إِلَى كَابِلِ
وَطَخَارِسْتَانَ، فَكَانَ هَذَا الْجُزْءُ صَفْوَةَ الْأَرْضِ، وَهُوَ مِنَ الْأَرْضِينَ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ

(٨-٨) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

(٩) لدى ياقوت: أبناء ملوك.

^١ انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٣٠٦-٣١٩؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٩٦.

^٢ جرير بن عطية بن الخطفي، أبو حرزة التميمي البصري، الشاعر المشهور. توفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م. انظر في

ترجمته وأخباره: ابن سلام الجعفي: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٢٩٧؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء،

ج ١، ص ٤٥٦.

^٣ انظر مادة إصطخر لدى ياقوت الحموي، ج ١، ص ٢١١.

والشَّرة والسَّنَامِ والبَطْنِ، أمَّا الرَّأسُ فإنَّ ملوكَ أَقْطَارِ الأَرْضِ مذ كان إيرج بن أفریدون^١، كانت دائنةً لوكنا، يسموئهم أملاك الأَرْضِ، ويتحاكمون إليهم فيما شَجَرَ بينهم من أمرهم فيما يملكون على أنفسهم، ويهدون لهم صفايا ما في أرضهم.

٣ وأمَّا الشَّرةُ فإنَّ أرضنا وضعت من الأَرْضين موضعَ الشَّرةِ من الجسد في البسطة والكرم، وفيما جمع لنا مما ترأسهم به، فأعطينا فرسيَّةَ التُّركِ، وفطنةَ الهنْدِ وصناعةَ الرُّومِ، وأعطينا في كلِّ شيءٍ من ذلك الزيادة على ما أعطوا وأضفينا ما حُرِّموا بأدبِ الدِّينِ في أدبِ الملِكِ، وأعطينا إلى مَسَامِ سِيَاءٍ^٢ مَشْنُوعَةٍ في صُورِنَا وألواننا وشغورنا، كما شوَّهت سائر الأممِ بصنوفِ الشُّهرةِ من لونِ السَّوادِ وشِدَّةِ الجُعُودَةِ والشُّبُوطَةِ وصغرِ العيونِ وقِلَّةِ اللَّحْيِ، فأعطينا الأوساطَ من [المحاسِنِ]^٣ والشُّعُورِ والألوانِ والصُّورِ والأجسامِ.

٦ وأمَّا السَّنَامُ: فإنَّ أرضنا على [صِغَرِهَا]^٤ عند بَقِيَةِ الأَرْضينَ هي أكثرُ منافعها وألين من جميع ما سواها. وأمَّا البَطْنُ: فإنَّ الأَرْضينَ كُلُّها تُجَلِبُ إليها منافعها من علمها ورفقها وأطعمتها وأذويتها وأمتعتها وعطرها كما تُجَبِّي الأَطْعِمَةَ والأشْرِبَةَ إلى البَطْنِ.

^(٤) زيادة من المختصر.

^١ إيرج بن أفریدون، من ملوك الفرس، وهو ابن أفریدون الأصغر وحاكم بابل. انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٤.

^٢ والمعنى: أنهم عرفوا بين الناس بصفات وعلامات تعد من وجوه الحسن، كصغر الفم والأنف والأذن. انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [س و م] ج ٣٢، ص ٤٣٢.

وقال الواقدي: شاور عمر بن الخطاب رضي الله عنه الهرمزان في فارس وأصبهان وأذربيجان فقال: إن أصبهان وأذربيجان الجناحان، فإن قطعت أحد الجناحين بقي الرأس، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان فابداً بالرأس.^٣

وكان أول من جمع فارس وملكها أزدشير بن بابك بن ساسان^١، وهو أحد ملوك الطوائف وكان على إسطخر، وهو من أولاد [٩٢ظ] الملوك المتقدمين قبل ملوك الطوائف فرأى أنه وارث ملكتهم، فكتب [إلى] ^(a) من [كان] ^(a) بقره من ملوك فارس، ومن نأى عنه من ملوك الطوائف فنجبرهم بالذي أجمع عليه من الطلب بالملك، لما فيه من صلاح أمور الرعية وإقامة الدين والسنة.

^(b) [وكتب كتاباً، صدره: «بسم الله وفي الرحمة» بإبكار من أزدشير، المستأثر دونه بحقه، المغلوب على ثراث آبائه، الداعي إلى قوام دين الله وسنته، المستنصر بالله الذي وعد المحقين الفلج^٢، وجعل لهم العواقب، إلى من بلغه كتابي هذا من ولاة الطوائف. سلامٌ عليكم بقدر ما تستوجبون من معرفة الحق، وإنكار الباطل وال جور] ^(b)، فمنهم من أقر له بالطاعة ومنهم من لم يقر له، - حتى قدم عليه - ومنهم من عصاه، فصار عاقبة أمره إلى القتل والهلاك^٣.

^(a) زيادة من ابن قتيبة: المعارف.

^(b-b) ساقطة من الأصل والتممة من ابن قتيبة: المعارف.

^١ انظر فيما تقدم ص ١٦٤.

^٢ أي الفوز والظهور والغلبة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة ف ل ج] ج ٢، ص ٣٤٦-٣٤٨.

^٣ قارن: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٥٣.

حتى استوثق له ملكه، وهو الذي افتتح الحضر [وهو بإزاء مسكن]^٨. وكان ملك السواد متحصنًا فيه، وكانت العرب تسميه الساطرون^١. وفيه يقول أبو داود^٢ (شعر): وقد أتينا بخبره فيما تقدم:

ورأى الموت قد تدلّى من الحضر على رب أهله الساطرون
وهو أول من وضع السكك وحذف أذئاب [دواب] البرد^٣ وبنى مدينة جور بفارس، وكان موضعها صحراء يقال له أخربوه، فمرّ بها أردشير فأمر بيناتها وسمّاها أردشير خره، وسمّتها العرب الجور.

وهي مبنية على صورة دراجرد، ونصب فيها بيت نار^٤، وبنى مدينة رام أردشير، وبمن أردشير خره وهي فرات البصرة، وأستاراباذ وهي كرخ ميسان وهي من كور دجلة ومدينة سوق الأهواز ومدينة الأبلّة وغير ذلك، وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر^٥.

^٨ ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

^١ نقل ابن الفقيه هذا الخبر بتمامه من ابن قتيبة، ولم يشر إلى مصدره. قارن: المعارف، ص ٦٥٣.

^٢ أبو داود الإيادي الشاعر، واسمه جويرية بن الحجاج، من الشعراء القدماء. انظر: ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتباب، ج ٣، ص ٣٣٦.

^٣ السكك جمع سكة، وهي موضع كان يسكنه الفيوج المرتبون من بيت أو قبة أو رباط، وكان يرتب في كل سكة بغال للبريد، والبرد: كلمة فارسية أصلها [بريده دم] أي محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذئاب كالعلامة لها، فعرّت. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٨٦.

^٤ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر من ابن الفقيه مصرحًا بمصدره حيث قال: «قال ابن الفقيه: بنى أردشير بن بابك ملك ساسان مدينة جور بفارس...». انظر: [مادة جور] معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨١.

^٥ قارن: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٥٤.

- وقالوا: سَمُوا فَارِسَ بِفَارِسِ بْنِ طَهْمُورِثَ، وَهُوَ الَّذِي تُنْسَبُ الْفُرْسُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُمْ [من] وَلَدِهِ، وَكَانَ مَلِكًا عَادِلًا مُنَحْنِنًا عَالِيًا^٥ مُخْتِطًا عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ، وَكَانَ لَهُ عَشْرَةٌ بَيْنَ مِنْهُمْ: جَمُّ وَشِيرَازُ وَاصْطَخْرُ وَفَسَا وَجَنَابَا وَكَسْكَرُ وَكَلَوَازِئِي وَفَرْقِيسِيَاءُ وَعَقْرُقُوفُ [وَدَارَابَجَرْدًا]^٦. فَأَقْطَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْبَلَدَ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ وَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَسْكُنُونَ الْحِيَامَ^٢. وَيُقَالُ أَنَّ مَلِكَهُ كَانَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ.
- ٦ وَمِنْ مَدِينَةِ سُوقِ الْأَهْوَازِ إِلَى مَدِينَةِ أَرْجَانَ - أَوَّلَ عَمَلِ فَارِسَ، مِنْ هَذَا الْوَجْهِ - وَاحِدٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسَخًا، وَأَرْجَانَ بَنَاهَا قُبَادُ بْنُ فَيْرُوزَ لِأَنَّهُ لَمَّا اسْتَرْجَعَ الْمَلِكُ مِنْ أُخِيهِ جَامَاسِيفَ غَزَا الرُّومَ فَافْتَتَحَ مَدِينَتَيْنِ مِنْ مَدِينِ الْجَزِيرَةِ مِمَّا كَانَتْ فِي أَيْدِي الرُّومِ تُدْعَى وَاحِدَةً آمِدَ وَالْأُخْرَى مِيَاْفَارِقِينَ، وَأَمَرَ فُبَيْثَ فِيهَا بَيْنَ حَدِّ فَارِسَ وَالْأَهْوَازِ مَدِينَةً سَمَّاهَا أَبْرُقْبَادَ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى أَرْجَانَ، وَأَسْكَنَ فِيهَا سَبِيَّ هَمْدَانَ [٩٣و] وَكُوْرَهَا كُوْرَةَ وَضَمَّ إِلَيْهَا رَسَاتِيْقَهَا مِنْ كُوْرَةَ رَامَهْرُْمَزَ، وَكُوْرَةَ سَابُورَ، وَكُوْرَةَ أُرْدَشِيرُخْرَةَ، وَكُوْرَةَ أَصْبَهَانَ.
- ١٢ وَبَنَى أَيْضًا مَدِينَةَ حُلُوَانٍ مِمَّا يَلِي الْمَكَاهَاتِ. وَبَنَى مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا: قُبَادُخْرَةَ، وَكُوْرَ أَيْضًا كُوْرَةَ أُخْرَى بِأَرْضِ مَيْسَانَ وَسَمَّاهَا شَادُقْبَادَ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى إِسْتَانَ الْعَالِ، وَوَضَعَ لَهَا أَرْبَعَةَ طَسَاسِيِجَ، طَسُوجَ فَيْرُوزَ سَابُورَ وَهِيَ الْأَنْبَارُ، وَكَانَ مِنْهَا هَيْتُ

^٥ ساقطة من الأصل.^٦ في المختصر: على رعيته.^١ راجع مختصر الكتاب، ص ١٩٩.^٢ نقل ابن الفقيه هذا الخبر من ابن الكلبي ولم يشر؛ راجع: ياقوت الحموي. انظر: مادة فارس في معجم

البلدان، ج ٤، ص ٢٢٦.

وعانات فأقردها^(أ) يزيد بن معاوية في أيامه [وجعلها] إلى الجزيرة^١. وطسوج بادورياً وطسوج قَطْرُبُل وطسوج مَسْكِن.

٣ وكور أيضاً كورة بهقباد الأعلى ووضع لها ستة طساييج: طسوجي النهرين

وطسوج عَيْنِ التَّمْرِ والفَلُوجَيْنِ العُلْيَا والسُّفْلَى، وطسوجي بَابِل وخطزنية. وكور

أيضاً بهقباد الأوسط ووضع لها أربعة طساييج: طسوج سُوَارَ وطسوج بَارُوسَا

٦ والحبية والبداة وطسوج ونهر الملك. وكور أيضاً بهقباد الأسفل ووضع لها خمسة

طساييج: طسوج قُرَاتِ بَادَقْلِي والسَّيْلِحِينَ، وطسوج الحيرة وطسوج نِسَر

وطسوج هُرْمُزْجَزْدَ. وفرق كورة أضبهان على شقين شق جي، وشق التيمرة.

٩ وأمر فبنيت مدينة شهرزور وهي بأرض به. وفيما بين^(ب) جرجان وإيران شهر

مدينة سماها شهرقباد، وبأرجان قنطرة كسروية طويلة أكثر من ثلاثمائة ذراع مبنية

بالحجارة على وادي أرجان.

١٢ قال: وأخبرني محمد بن أحمد الأصبهاني قال: بأرجان كهف في جبل ينبع منه ماء

يشبه بالعرق من حجارتة فيكون منه هذا المونياي^٢ الأبيض الجيد، وعلى هذا

الكهف باب [من] حديد وحفظة: ويغلق ويحتم بخاتم السلطان وقاضي البلد إلى

١٥ يوم من السنة يفتح فيه، ويحتم القاضي وشيوخ البلد حتى يفتح بحضرتهم

(أ) رسمت في الأصل: فأوعرها والتصويب من ياقوت. (ب) في المختصر: وبنى بين جرجان.

^١ انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨٤.

^٢ الموم: لفظة فارسية: مفردها: مومة، وهي الشمع. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (م و م) ج ١٢، ص

٥٦٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٣، ص ٤٦٨.

وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ رَجُلٌ عُرْيَانٌ ثِقَةٌ، فَيَجْتَمِعُ مَا قَدْ اجْتَمَعَ مِنَ الْمُؤْمِيَّاي، وَيُجْعَلُهُ فِي قَارُورَةٍ
وَيَكُونُ مِقْدَارُ ذَلِكَ مِائَةً مِثْقَالٍ وَدُونَهَا، ثُمَّ يُخْرَجُ^٨ وَيَخْتَمُ الْبَابَ بَعْدَ قَفْلِهِ إِلَى السَّنَةِ
الْأُخْرَى، وَيُوجِهُ بِهَا قَدْ تَجَمَّعَ مِنْهُ إِلَى السُّلْطَانِ وَخَاصِيَّتُهُ لِكُلِّ كَسْرٍ وَصَدْعٍ فِي الْعَظْمِ
يُسْقِي الْإِنْسَانَ الَّذِي قَدْ انْكَسَرَ شَيْءٌ مِنْ عِظَامِهِ مِثْلَ الْعَدْسَةِ فَيَنْحَطُّ أَوَّلَ مَا يَشْرَبُهُ
[٩٣ظ] إِلَى مَوْضِعِ الْكَسْرِ فَيَجْبُرُهُ وَيُصْلِحُهُ لَوْفَتِهِ^١.

٦ وَمِنْ أَرْجَانِ إِلَى التُّوبِنْدَجَانِ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا، وَفِيهَا شَعْبٌ بَوَّانٍ
الْمَوْصُوفُ بِالْحُسْنِ وَالتَّزَاهَةِ، وَكَثْرَةِ الشَّجَرِ وَتَدْفُقِ الْمِيَاهِ، وَهِيَ مَوْضِعٌ مِنْ أَحْسَنِ مَا
يُعْرَفُ فِيهِ شَجَرُ الْجَوْزِ وَالزَّيْتُونِ وَجَمِيعِ الْفَوَاكِهِ النَّائِبَةِ فِي الصَّخْرِ^٢.

٩ وَرُوي عَنِ الْمَبْرَدِ^٣ أَنَّهُ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى شَجَرَةٍ فِي شِعْبِ بَوَّانٍ هَذِهِ الْآيَاتِ
(شِعْرًا):

[الطويل]

إِذَا أَشْرَفَ الْمَكْرُوبُ مِنْ رَأْسِ تَلْعَةٍ	عَلَى شِعْبِ بَوَّانٍ أَفَاقَ مِنَ الْكَرْبِ
وَالنَّهَاءُ بَطْنٌ كَالْحَرِيرَةِ مَسَّهُ	وَمُطَرِدٌ يَجْرِي مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَطَيْبٌ ثِمَارٌ فِي رِيَاضِ أَرِيضَةٍ	عَلَى قُرْبِ أَغْصَانِ جَنَاهَا عَلَى قُرْبِ
فِي اللَّهِ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ تَحْمَلِي	إِلَى أَرْضِ بَغْدَادَ سَلَامَ فَتَيَّ صَبِّ

^٨ فِي الْأَصْلِ: يَخْتَمُ.

^١ صَرَحَ يَاقُوتُ الْحَمُوي بِأَنَّهُ نَقَلَ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ ابْنِ الْفَقِيهِ. انظُرْ: [مَادَّة: أَرْجَانُ]، ج ١، ص ١٤٣.

^٢ قَارَنَ: [مَادَّة: بَوَّانُ] لَدَى يَاقُوتِ الْحَمُوي، ج ١، ص ٥٠٣.

^٣ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ ص ٣١٤.

وإذا أسفل منه مكتوب (شعر):

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الَّذِينَ تَرَكْنَا خَلَقْنَا فِي الْعِرَاقِ هَلْ يَذْكُرُونَا
 أَمْ لَعَلَّ الْمَدَى تَطَاوَلَ حَتَّى قَدَّمَ الْعَهْدُ دُونَنَا فَتَسُونَا
 وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى شَجَرَةِ ذُلْبٍ^١ تَظَلُّ عَلَيْنَا حَسَنَةً بِشِعْبِ
 بَوَّانِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ (شعر):

[الطويل]

مَتَى تَبْغِي فِي شِعْبِ بَوَّانٍ تَلْقَنِي لَدَى الْعَيْنِ مَشْدُودَ الرِّكَابِ إِلَى الذُّلْبِ
 أَقْضِي وَإِخْوَانِي الْفُتُوَّةَ حَقَّهَا بِيَا شِئْتَ مِنْ جَدٍّ وَمَا شِئْتَ مِنْ لَعِبِ
 يُدِيرُ عَلَيْنَا الْكَأْسَ مَنْ لَوْ رَأَيْتَهُ بَعَيْنِكَ مَا لَمْتُ الْمُحِبَّ عَلَى الْحُبِّ

وَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ الصَّخَاكِ الْفَلَكيُّ^(a) إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَصِفُ شِعْبَ بَوَّانٍ:-

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]^(b)، كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ شِعْبِ بَوَّانٍ وَلَهُ عِنْدِي يَدٌ بَيْنَاءٌ
 مَذْكُورَةٌ، وَمِنَّةٌ غَرَاءٌ^(c) مَشْهُورَةٌ، بِيَا أَوْلَادِيهِ مِنْ مَنْظَرٍ أَعْدَى عَلَى الْأَخْزَانِ، وَأَقَالَ
 مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ، وَسَرَّحَ طَرْفِي فِي جَدَاوِلِ تَطَرُّدٍ بِمَاءٍ مَعِينٍ مُنْسَكِبٍ أَرْقٍ مِنْ
 دُمُوعِ الْعُشَّاقِ مَرَّرْتَهَا^(d) لَوَاعِ الْفِرَاقِ، وَأَبْرَدَ مِنْ ثَعُورِ الْأَحْبَابِ عِنْدَ الْإِتِثَامِ كَأَنَّهَا

^(a) في المختصر: التكنكي. ^(b) ساقطة من الأصل، والتكلمة من ياقوت.

^(c) في الأصل بزيادة: صروف. ^(d) في الأصل: مزنها، والتصويب من ياقوت.

^١ الذُّلْبُ: شجر الصنار، وهو نوع من الشجر عظيم مفروض للأوراق، لا نور له ولا ثمر. انظر: ابن منظور:

حين [١٩٤] جرى إذ بها تترفرق، وتدافع تيارها يتدقق، وازتج حبابها يتكسر في
 خلال زهر ورياضي تزئو بحديق تولد قُضِبَ لجين في صفائح عقيان، وسُمُوط دُرٌّ
 بين زبرجد ومزجان، أثر على^(a) حِكْمَةِ صَانِعِهِ شَهِيدٌ، وَعَلِمَ عَلَى لُطْفِ خَالِقِهِ دَلِيلٌ،
 إِلَى ظِلِّ سَجْسَجٍ^١ أَحْوَى، وَخَضِلِ الْمَى^٢ قَدْ غَنَّتْ عَلَيْهِ أَعْصَانُ فَيْتَانَةٍ.

وَقُضِبٌ غَيْدَانَةٌ تَسَوَّرَتْ لَهَا الْقُدُودُ الْمُهْفَهْفَةُ خَجَلًا، وَتَقِيلَتُهَا الْخُصُورُ الْمُرْهَفَةُ^(b)
 تَشْبَهُهَا يَسْتَقِيدُهَا النَّسِيمُ فَتَنْقَادُ، وَيَعْدِلُ بِهَا فَتَنْعَدِلُ، فَمِنْ مَتَوَرِّدٍ يَرُوقُ مَنْظَرُهُ،
 وَمُرْتَجٍ يَتَهَدَّلُ مُنِيرُهُ مَشْتَرَكُهُ فِيهِ حُمْرَةٌ نَضِجِ الثَّمَارِ، يَنْفِخُهُ نَسِيمُ النُّوَارِ، وَقَدْ أَقَمْتُ
 فِيهِ يَوْمًا^(b) لِحَايَالِكَ مُنَادِمًا وَلَشَوْقِكَ مُسَامِرًا وَشَرِبْتُ لَكَ تَذَكَارًا، وَإِذَا تَفَضَّلَ اللَّهُ
 بِإِتْمَامِ السَّلَامَةِ إِلَيَّ أَنْ أُوَافِيَ شِيرَازَ كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَبْرِي بِمَا تَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى.^٣

(a) ساقطة من الأصل، والتكلمة من ياقوت

(b-b) في المختصر: «...والخصور المرهفة ميلاً، والأعجاز المثقلة حُجَلًا، والمعاصم الشبطة، والأبدان الرطبة،
 والعيون النُّجَل، والحدق المراض، والجاذر النواعم، والخور الحسان، والخرذ الطراف، فأقمت فيه يوماً
 لِحَايَالِكَ...».

^١ ظل سَجْسَجٍ: أي طيب لين الهواء. انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة [س ج ج] ج ٦، ص ٢٩.

^٢ خَضِلِ الْمَى: أي نديي كثيف الخضرة. انظر الزبيدي: تاج العروس، مادة (ل م ي) ج ٣٩، ص ٤٨٢-٤٨٣.

^٣ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتامه، وعزاه إلى أحمد بن الضحاك الفلكي. حيث قال: «كتب أحمد بن
 الضحاك الفلكي إلى صديق له يصف شعب بؤان: بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت إليك من شعب بؤان...».
 انظر مادة بؤانة، ج ١، ص ٥٠٥.

[كُورَ وَرَسَاتِيْقُ فَارِسِ]

- ٣ ومن النُوبَنْدَجَانِ إِلَى شِيرَازِ نَيْفٌ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا، ^(*) وَشِيرَازِ مِنْ كُورَ
أَزْدِشِيرِ خُرَّعَةَ، وَرَسَاتِيْقُهَا: جُورُ، [وَمِيْمَنْد] ^(a) وَالْحَبْرُ، وَالصَّيْمِكَانُ، وَالْبَرْجَانُ،
وَالكَهْرَجَانُ، وَالْحَوَازُوسْتَانُ، وَكَبِرُ، وَسِيْنَزُ، وَسِيْرَافُ، وَالرُّوَيْجَانُ، وَكَامُ فَيْرُوزُ،
وَكَازَرُوزُ، وَكُرَّانُ، وَأَبْرُ وَ[تَوَج] ^(a). وَمِنْ سُوْقِ الْأَهْوَازِ إِلَى الدُّورِقِ فِي الْمَاءِ تَمَانِيَةَ
٦ عَشْرَ فَرَسَخًا، وَعَلَى الظَّهْرِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا.
كُورَةُ سَابُورُ: وَمَدِيْنَتُهَا النُّوبَنْدَجَانُ، وَرَسَاتِيْقُهَا: الْحَشْتُ، وَالْكِيمَارَجُ، وَكَازَرُوزُ
وَحُرَّهَ وَبَنْدَرُفَهْمَانُ، وَدَشْتُ بَارِيْنِ، وَالْهِنْدِيْجَانُ، وَالذُّرْخُوْنِدُ، وَتَنْبُوكُ، وَالْحَوْبَدَانُ،
٩ وَالْمِيْدَانُ، وَمَاهَانُ، وَالْجَبُنْدُ، وَالرَّانْجَانُ، وَالذَّيْبِيْنَجَانُ، وَالشَّاهِجَانُ، وَمُوْزُ، وَدَاذِيْنِ،
^(b) [وَشَادَرُوزُ، وَجَنْجَانُ، وَالسِّيَاهُ مَصَّ وَأَبُوْرَان] ^(b) وَمُهَايْجَانُ السُّفْلَى، وَمُهَايْجَانُ
العُلْيَا، وَتِيْرْمَرْدَانَ ^١.
١٢ كُورَةُ إِصْطَخْرُ وَالْمَدِيْنَةُ وَرَسَاتِيْقُهَا: مَدِيْنَةُ الْبَيْضَاءِ، وَبِهْرَانُ، وَأَسَارُ، وَإِيْرَجُ،
وَمَائِيْنِ، وَخَبْرُ إِصْطَخْرُ، وَنِيْرَزُ، وَأَبْرُقُويهِ، وَالْبَرَانْجَانُ، وَالْمِيَادَوَانُ، الْكَاسْكَانُ،
وَالهَرَارُ.

١٥

^(a) زيادة من ابن خُرْدَاذْبَه.

^(b-b) ساقطة من الأصل والتتمة من: ابن خُرْدَاذْبَه؛ والمختصر.

^(*) من هنا يبدأ ما استخرجه ابن الفقيه من كتاب المسالك والممالك: لابن خُرْدَاذْبَه، ص ٤٤-٤٧. وانظر مختصر

الكتاب، ص ٢٠٢.

^١ قارن: ابن خُرْدَاذْبَه، المسالك والممالك، ص ٤٤-٤٥.

- ومن شيراز إلى مدينة فسًا^a [ثلاثون فرسخًا، ومن مدينة فسًا إلى مدينة]^a
 ٣ درابجرد ثمانية عشر فرسخًا، ورساتيقيها: كُرم وجهرم وتيريز والفسستجان
 والابجرد والانديان وجويم وفرج وطمستان.
- كورة أرجان ورساتيقيها: قاش ريشهر اسلجان الملجان^b قزك. ومن شيراز
 إلى مدينة [٩٤ظ] جور عشرون فرسخًا، وبين شيراز^c وسابور عشرون فرسخًا،
 ٦^d [ومنها إلى البيضاء سبعة فراسخ، ومن النوبندجان إلى شيراز ثلاثة وعشرون
 فرسخًا]^d، وبين شيراز واصطخر اثنا عشر فرسخًا،^d [ومن شيراز إلى زرقان
 أربعة فراسخ، ثم إلى اصطخر ثمانية فراسخ]^d.
- ٩ زُموم^e الأكراد بفارس: وتفسيرُ الزُموم محالُّ الأكرادِ ومنازلهم وهي أربعة
 زُموم: زَمُّ الحُسَيْنِ ابنِ جيلويه يسمَّى البازنجان، وهو من شيراز على أربعة عشر
 فرسخًا، وزمُّ أزدام بن جوانانه، من شيراز على ستة وعشرين فرسخًا، وزمُّ القاسم
 ١٢ بن شهریار ويسمَّى الكوريان من [شيراز]^f على خمسين فرسخًا.

(a - a) ساقطة من الأصل والتممة من ابن خرداذبه؛ والمختصر.

(b) رسمت في الأصل: البحار.

(c) في الأصل: بين سابور.

(d - d) ساقطة من الأصل: والتممة من ابن خرداذبه.

(e) في الأصل: رموم؛ وكذا ياقوت. والصواب ما أثبت.

(f) ساقطة من الأصل والتممة من ابن خرداذبه؛ المختصر؛ ياقوت.

وَرَمَّ الْحُسَيْنَ بْنَ صَالِحٍ يَسْمَى السَّوْرَانَ، مِنْ شِيرَازَ عَلَى سَبْعَةِ فَرَاسِخٍ^(*).

وقال المدائني: كانت إصطخر تُجَبِّي سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَسَابُورَ: أَرْبَعَةَ

عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَزْدَشِيرُ: ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَدَرَابِجَرْدَ: ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وكانت أَرْجَانَ بَعْضُهَا لِكِ أَصْبَهَانَ، وَبَعْضُهَا لِكِ إِصْطَخْرَ، وَبَعْضُهَا لِكِ رَامَ

هَرَمَزَ، فَصِيرَتْ فِي الْإِسْلَامِ كُورَةَ وَاحِدَةً. فَصَارَتْ فَارِسَ تَحْسَ كُورَ وَهِيَ:

إِصْطَخْرَ، وَسَابُورَ، وَأَزْدَشِيرُخْرَةَ، وَدَرَابِجَرْدَ، وَفَسَا وَأَرْجَانَ، وَفَارِسَ مِائَةَ وَخَمْسُونَ فَرَسَخًا فِي مِثْلِهَا.

وافتتحت عنوة على يدي أبي موسى الأشعري، وعثمان بن العاص رضي الله عنهما،

ويقال أن نمرود إبراهيم عليه السلام من إصطخر، ويقال: بل كان من قرية يقال

لها^(a) أبرقويه. وخراج فارس ثلاثة وثلاثون ألف ديزم بالكفاية.

وذكر الفضل بن مروان: أنه قبلها بخمسة وثلاثين ألف ديزم بالكفاية،

على أنه لا مؤونة على السلطان.

^(a) ساقطة من الأصل والتمة من المختصر.

^(*) إلى هنا ينتهي ما استخرجه ابن الفقيه من المسالك والممالك: لابن خردادذه، قارن، ص ٤٤-٤٧.

¹ في المختصر بزيادة: «... قال صاحب كتاب المسالك والممالك وهو عبد الله بن محمد بن خردادذه: هي أربعة زموم: زم الحسين بن جيلويه... الخ». ويتضح من هذه العبارة: أن "الشيرازي" حين اختصر كتاب ابن الفقيه كانت بيده مبيضة الكتاب التي ربما صرح فيها ابن الفقيه بما أخذه من كتاب المسالك والممالك لابن خردادذه.

وجباها الحجاج بن يوسف والأهواز ثمانية عشر ألف دهم. وكان عمرو بن الليث^١ يجني من خراجها واحداً وثلاثين ألف دهم، ومن ضياعها أربعة عشر ألف دهم، ويحمل إلى السلطان في كل سنة خمسة عشر ألف دهم. وجباها الناصر^٢ في سنة ثمان وسبعين ومائتين ألف دهم. وكانت الفرس قسّطت على كور فارس أربعين ألف [دهم]^(a) مئاقيل^٣.

ومن العجائب بفارس، شجرة تفاح بشيراز، نصف التفاحة حلو في نهاية الحلاوة، ونصفها حامض في غاية الحموضة^(b)، [وليس بفارس كلها من هذا النوع إلا هذه الشجرة الواحدة^(b)]، وهم سائبور: وفيها الأذهان الكثيرة^(c) [والروائح السنية، وهذا مغدوم في شيء من البلدان إلا فيها لأنهم زعموا جميعاً أن]^(c) [٩٥] من دخل سائبور لم يزل يشتم ريحاً طيبة حتى يخرج منها، وذلك لكثرة ريحها وأنوارها وبساتينها. وهم جور وبها يعمل المآورد الجوري، وهو النهاية من المآورد.

^(a) التمة من ابن خرداذبه.

^(c-c) التمة من المختصر.

^(b-b) ساقطة من الأصل والتمة من المختصر

^١ عمرو بن الليث الصفار، ثاني أمراء الدولة الصفارية. وأحد الشجعان الدهاة. ولي بعد وفاة أخيه يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية، وأقره الخليفة العباسي المعتمد على أعمال أخيه كلها، وهي: خراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان. ثم عزله فامتنع ثم أسر إلى بغداد، وتوفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م. انظر في ترجمته وأخباره: - ابن الجوزي: المتظم، ج ١٣، ص ١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٥١٦-٥١٧.

^٢ هو الموفق بالله العباسي، ولي عهد الخليفة المعتمد على الله، وقد مرت ترجمته.

^٣ انظر: ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٤٨؛ وقارن مختصر الكتاب ص ٢٠٤.

^٤ انظر: مادة شيراز لدى ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٣٨١.

ولهـم الثياب السّينيزية^١ والجنّابية^٢ والتوزية^٣ والسّابورية^٤ وهـم أخذق النّاس^(أ)
 باتخاذ المرآيا والمجاميع وغير ذلك من [آلات]^(ب) الحديد.
 وقال الأضمعي: حشوش^(ج) الدّنيا ثلاثة: عَمَان والأبلة وسيراف^٦.

٣

^(أ) في المختصر: الأمة.

^(ب) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

^(ج) ساقطة من المختصر.

^١ تنسب الثياب السّينيزية إلى مدينة سينيز، بلدة على ساحل بحر فارس [الخليج] أقرب إلى البصرة من سيراف
 وتقرب من جنّابة، اشتهرت بنسيج الكتان الرقيق المعروف بالسّينيزي، خربها القرامطة وقتلوا أهلها سنة
 ٣٢٦١هـ/ ٩٣٣م. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣ ص ٣٠٠.

^٢ تنسب الثياب الجنّابية إلى جنّابة، بلدة صغيرة من سواحل فارس، وقبالتها في وسط البحر جزيرة خاراك، في
 شماليها من جهة البصرة مهروبان، وجنوبيها سينيز، وقد قيل: جنّابة بالبحرين، وهو غلط. راجع ياقوت
 الحموي: معجم البلدان، ج ١ ص ٣٤٨.

^٣ تُنسب الثياب التوزية إلى مدينة توز، يُقال لها أيضاً توج بالجيم، بلدة صغيرة من أعمال إقليم فارس، تقع على
 بحيرة لها بين نهرين، ترتفع منها الثياب التوزية التي تُحمل إلى الآفاق، وهي ثياب رقيقة مهلهلة النسيج كأنها
 المنخل، إلا أن ألوانها حسنة، ولها طرزٌ مذهّبة، تُباع حزمًا بالعدد، وكان أهل خراسان يرغبون فيها، وتُجلب
 إليهم كثيرًا، راجع: -- حدود العالم ص ١٤٥، معجم البلدان ج ٢ ص ٥٦.

^٤ الثياب السابورية نسبة إلى كورة سابور، تعرف أيضًا بالثياب الكازرونية، وسابور كورة مشهورة بأرض
 فارس ومدينتها النوبندجان في قول ابن الفقيه، وقال المقدسي مدينتها شهرستان، وقال الإصطخري:
 مدينتها سابور، وبهذه الكورة مدن أكبر منها مثل النوبندجان وكازرون، ولكن هذه كورة تنسب إلى سابور
 الملك لأنه هو الذي بنى مدينة سابور. راجع معجم البلدان ج ٣ ص ١٦٧-١٦٨.

^٥ الحشوش جمع حش، وهو البستان، أو مجتمع النخل. ابن منظور: لسان العرب ج ٦ ص ٢٨٦.

^٦ قارن: -- مختصر كتاب البلدان، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، بتحقيق كرامز،
 كرامز، طبعة دار بريل، ليدن، ١٩٣٩م المصورة في دار ومكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٥م. ص ٢٩٩.

القول في كَرَمَانَ

قال ابن الكلبي: سُمِّيَتْ كَرَمَانَ بِكَرْمَانَ بن فُلُوجٍ من بني لَنْطِي^(a) بن يَافِثِ بن نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويقال: إِنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْفُرْسِ أَخَذَ قَوْمًا فَلَا سِفَةَ فَحَبَسَهُمْ [في حَبْسٍ لَهُ]^(b) وقال: لَا يَدْخُلُ إِلَيْكُمْ إِلَّا الْحَبِيزُ وَحَدَهُ، وَخَيْرُهُمْ فِي إِدَامٍ وَاحِدٍ^(c)، فَاخْتَارُوا الْأُتْرَجَ^(d) [فَأَخْبَرَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ وَبِاخْتِيَارِهِمْ]^(d) فَقِيلَ لَهُمْ كَيْفَ اخْتَرْتُمُ الْأُتْرَجَ دُونَ غَيْرِهِ؟ قَالُوا: لِأَنَّ قَشْرَهُ الظَّاهِرُ طَيِّبٌ فَنَشْمُهُ، وَأَمَّا دَاخِلُهُ ففَاقِيهَةٌ، وَأَمَّا حُمَاضُهُ فَأَدَمٌ^(e)، وَأَمَّا حَبَّةُ فَدِهْنٍ¹.

فَأَمَرَ بِهِمْ فَأَسْكَنُوا كَرَمَانَ، وَكَانَ مَاؤُهَا لَا يُخْرَجُ إِلَّا عَلَى خَمْسِينَ ذِرَاعًا فَهَنْدَسُوهُ حَتَّى أَظْهَرُوهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، ثُمَّ غَرَسُوا بِهَا الْأَشْجَارَ، فَالْتَفَتَ كَرَمَانُ كُلُّهَا بِالسَّجَرِ، فَعَرَفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ فَقَالَ: أَسْكَنُوهُمْ الْجِبَالَ، فَأَسْكَنُوهَا فَعَمِلُوا الْفَوَارَاتِ وَأَظْهَرُوا الْمَاءَ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ فَقَالَ الْمَلِكُ: اسْجِنُوهُمْ فَعَمِلُوا فِي السَّجَنِ الْكِيمِيَاءِ وَقَالُوا: هَذَا عِلْمٌ لَا نُخْرِجُهُ إِلَى أَحَدٍ، وَعَمِلُوا مِنْهُ مَا عَمِلُوا أَنَّهُ يَكْفِيهِمْ مُدَّةَ أَعْمَارِهِمْ، ثُمَّ أَحْرَقُوا كُتُبَهُمْ وَأَنْقَطَعَ عِلْمُ الْكِيمِيَاءِ.

وقال بعضُ عُلَمَاءِ الْفُرْسِ: كَانَتِ الْأَكَايِسَةُ تُجَبِّي السَّوَادَ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفِ وَعِشْرِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ سِوَى ثَلَاثِينَ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْوَصَائِعِ لِمَوَائِدِ الْمُلُوكِ.

^(a) رسمت في الأصل: ليطي، والتصويب من المختصر؛ وياقوت.

^(b) التتمة من المختصر. ^(c) في المختصر: «ويخبرون الإدام في سائر الأيام».

^(d-e) التتمة من المختصر. ^(e) في المختصر: «فإنه خل نافع طاهر».

¹ قارن مختصر الكتاب، ص ٢٠٥؛ وعن الأتراج: انظر فيما تقدم ص ٣١٥.

وكانوا يَجْبُونُ فَارِسَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ، وكانوا يَجْبُونُ كَرْمَانَ سِتِينَ أَلْفَ أَلْفٍ لِسَعَتِهَا، وهي ثَمَانُونَ وَمِائَةٌ فَرَسِيخٍ فِي مِثْلِهَا، وكانت كُلُّهَا عَامِرَةً، وبلغَ في عِمَارَتِهَا أَنَّ الْقَنَاةَ تَجْرِي مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ لَيَالٍ، وكانت كَرْمَانَ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَعُيُونٍ وَأَنْهَارٍ. ٣

وَمِنْ شِيرَازَ إِلَى السَّيْرَجَانَ مَدِينَةُ كَرْمَانَ أَرْبَعَةٌ وَسِتُونَ فَرَسِيخًا، وَكَرْمَانَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِئْبَرًا صِغَارًا وَكِبَارًا^١ وَمِنْ مَدِينَتِهَا: الْقُقُصُ، وَالْبَارِزُ، وَالْمُرَاجُ، وَالْبُلُوصُ، ٦

[٩٥٥ظ] وَجِيْرَفَتْ - وهي مِنْ أَعْظَمِ مَدِينَتِهَا - وَالسَّيْرَجَانَ وَبِهَا تَنْزَلُ الْوَلَاةُ، وَهَرْمُزُ^٢ وَلِافَتْ وَهِيَ الرِّبَاطُ وَقَلْعَةُ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَّ قَصَبَتِي الْبَلَدِ جِيْرَفَتْ وَالسَّيْرَجَانَ. ٦

وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكَرْمَانِيُّ قَالَ: بِكَرْمَانَ مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا: دَمِنْدَانُ. ٩

وهي مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ وَبِهَا أَكْثَرُ مَعَادِنِ كَرْمَانَ، بِهَا مَعْدَنُ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ [وَالتُّوتِيَا]^٣ وَالتُّوْسَادِرِ وَمَعْدَنُهُ بِجَبَلٍ يُقَالُ لَهُ دُبَّأَوْنَدُ، مَرْتَفِعٌ شَاهِقٌ أَرْفَاعُهُ ثَلَاثَةٌ فَرَسِيخٍ، وَهَذَا الْجَبَلُ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا خُوَاشُ^٤ عَلَى سَبْعَةِ فَرَسِيخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَفِي هَذَا الْجَبَلِ كَهْفٌ عَظِيمٌ مَظْلَمٌ يُسْمَعُ مِنْ دَاخِلِهِ دَوِيٌّ وَخَرِيرٌ ١٢

^(١) في الأصل: هزوركند، والصواب ما أثبت.

^(٢) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت؛ وفي المختصر: الصفرة.

^(٣) كما في الأصل، والمختصر. في ياقوت: جواشير.

^١ نقل ياقوت الحموي كل ما تقدم ذكره عن مدينة كرمان من ابن الفقيه مصرحًا. قارن مادة كرمان، ج٤، ص ٤٥٤-٤٥٥؛ مختصر كتاب البلدان، ص

^٢ هرمز: فُرْصَةُ كَرْمَانَ، وَإِلَيْهَا تَرْفَأُ الْمَرَاقِبُ وَمِنْهَا تَنْقَلُ أَمْتَعَةُ الْهِنْدِ إِلَى كَرْمَانَ وَيَسْجِسْتَانُ وَخِرَاسَانَ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَسْمِيهَا هَرْمُوزَ. وَرَبِّمَا قَصْدُ هَرْمُزَعَنْدَ: وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيِ مَرُوزَ. وَلَيْسَتْ مِنْ إِقْلِيمِ فَارِسَ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ فِي الْمَتْنِ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٤٠٢.

مثل خَرِيرِ الماءِ، وَيَرْتَفِعُ مِنْهُ بُخَارٌ مِثْلُ الدُّخَانِ فَيَلْتَصِقُ حَوَالِيهِ، فَإِذَا كَثُفَ وَكَثُرَ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، فَيُقْلَعُ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ، وَقَدْ وَكَّلَ السُّلْطَانُ بِهِ قَوْمًا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ سَائِرُهُ أَخَذَ السُّلْطَانُ مِنْهُ الحُمْسَ وَأَخَذَ أَهْلُ البَلَدِ بَاقِيَهُ فَاقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ عَلَى سِهَامٍ قَدْ تَرَاضَوْا [بِهَا]، فَهُوَ النُّوْشَادِرُ الَّذِي يُحْمَلُ إِلَى سَائِرِ الأَقَاقِي^١.

٦ وبها مدينةٌ يقال لها خَيْبِصُ لَمْ يُمَطَّرْ دَاخِلَهَا قَطُّ وَيُمَطَّرُ خَارِجَهَا، فَرُبَّمَا أَخْرَجَ الإِنْسَانُ يَدَهُ مِنَ السُّورِ فَيُصِيبُهَا المَطَرُ وَلَا يُقَطِّرُ دَاخِلَهَا قَطْرَةً^٢، وَبِهَا خَشَبٌ لَا تَمْرُقُهُ النَّارُ يُلْقَى فِيهَا وَيُتْرَكُ الوَقْتُ الطَّوِيلَ ثُمَّ يُنْجَرُ مِنْهَا وَهُوَ صَحِيحٌ مَا اخْتَرَقَ.

٩ والنَّصَارَى يُمَوِّهُونَ الخَشَبَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنَ الخَشَبِ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ - بقولهم - المَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكان مع بعضِ الرُّهْبَانِ صَلِيبٌ مِنْ هَذَا الخَشَبِ فَافْتَنَّ بِهِ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُلْقِيهِ فِي النَّارِ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ثُمَّ يُنْجَرُهُ عَنْهَا وَلَمْ تَعْمَلْ فِيهِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ المَدِينَةِ.

١٥ فَأَتَى بِقِطْعَةٍ خَشَبٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَفَعَلَ بِهَا كِفْعَلِ الرَّاهِبِ فَبَطِلَ مَا كَانَ بِمَخْرَقِ^١.

^١ نقل "ياقوت الحموي" ما ذكره ابن الفقيه عن مدينة دمندان، وصرح بذلك قائلًا: «... هذا كله منقول من كتاب ابن الفقيه». انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٧١؛ كذلك صرح "القزويني" إلا أنه تصرف في هذه المادة بالاختصار. قارن: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٩٢.

^٢ علق ياقوت الحموي على هذا الخبر بقوله: «... وهذا من العجب الخارج عن العادات، والمعهد في هذه الحكاية عليه». انظر: ج ٢، ص ٣٤٥.

وقال المأمون: لو أخذ الطُّحْلُبُ فَجُفِّفَ في الظِّلِّ وطُرِحَ في النَّارِ لم يَحْتَرِقْ^٢.
 وطَائِرٌ يُعْرَفُ بِالسَّمْنَدَلِ^٣ يَدْخُلُ النَّارَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا كَمَا دَخَلَ لَا يَحْتَرِقُ مِنْ رِيْشِهِ وَلَا
 وَاحِدَةً. وذكر طَمِيَاثُ الْحَكِيمِ في كِتَابِ الْحَيَوَانِ: أَنَّ بِالْمَشْرِقِ طَائِرًا يُقَالُ لَهُ بَنْجَسٌ
 في مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ الشَّمْسِ وَلَيْسَ لَهُ أُتْنَى وَلَا شَكْلٌ يُشْبِهُهُ، وَأَهْلُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ
 يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَيَسْجُدُونَ [٩٦] لَهَا سَاعَةَ طُلُوعِهَا.

وَتَسَمَّى الْمَدِينَةُ اغْفُطُوسَ، وَهَذَا الطَّائِرُ يَكُونُ بِهَا وَلَا يُعْرَفُ فِي غَيْرِهَا، فَإِذَا أَرَادَ
 اللَّهُ بِإِذْنِهِ جَمَعَ بِمِنْقَارِهِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِيدَانِ الدَّارِصِينِيِّ ثُمَّ لَا يَزَالُ يَضْرِبُ تِلْكَ
 الْعِيدَانَ بِجَنَاحَيْهِ مُكِبًّا عَلَى ذَلِكَ لَا يَقْتَرِحُ حَتَّى تَشْتَعَلَ فِيهِ النَّارُ، فَإِذَا عَلَا هُبُّهَا قَذَفَ
 نَفْسِهِ يَحْتَرِقُ وَتَأْكُلُهُ النَّارُ فَيَصِيرُ رَمَادًا. فَإِذَا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ يُعْرِفُونَ عَدَدَهَا، تَصُورُ مِنْ

^١ أورد "الجاحظ" هذه الرواية في كتابه الحيوان باختلاف طفيف، وهذا نصها: «وزعم ابن أبي حرب أن قسًا
 راهن على أن الصليب الذي في عنقه من خشب، أنه لا يحترق؛ لأنه من العود الذي كان صلب عليه المسيح،
 وأنه كان يفتن بذلك ناسًا من أهل النظر، حتى فطن له بعض المتكلمين، فأتاهم بقطعة عود يكون بكرمان.
 فكان أبقى على النار من صلبه». انظر: ج ٥، ص ١٦٧.

ومن الجدير بالذكر أن النص المذكور يتفق مع النص الموجود في المختصر، وليس مع نسخة الأصل التي بين
 أيدينا، وربما كان تفسير ذلك: أن "الشيزري" مختصر الكتاب فطن إلى أن مصدر ابن الفقيه في هذه الرواية هو
 الجاحظ فأثر رواية الجاحظ على رواية ابن الفقيه. قارن المختصر: ص ٢٠٧؛ وانظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار،
 ج ٢، ص ١٢٢؛ الثعالبي: نهار القلوب في المصاف والمنسوب، ص ٤٥٢.

^٢ نقل ابن الفقيه هذه الرواية أيضا عن الجاحظ دون أن يشير، وتام القول في الجاحظ: «وَبَيِّتُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 الْمَأْمُونِ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ أَخَذَ الطُّحْلُبُ فَجُفِّفَ فِي الظِّلِّ، ثُمَّ أَسْقَطَ فِي النَّارِ لَمْ يَحْتَرِقْ». الحيوان: ج ٥، ص ١٦٧.

^٣ السمندل: حيوان من رتبة البرمائيات صغير الجسم غالبا يشبه العظاءة في شكلها العام، وزعموا أنه طائر
 بالهند لا يحترق بالنار. المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٥٢؛ وانظر: الجاحظ: الحيوان، ج ٢، ص ٣١٠، ج ٥،
 ص ١٦٧؛ ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٣٤٨؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج ٢، ص ٤٥-٤٦.

٢ ذلك الرَّمَادُ دُودَةٌ كَبِيرَةٌ فَلَا تَرَالُ تَكْبُرُ حَتَّى تَصِيرَ مِثْلَ الْفَرِّخِ، ثُمَّ يُبْنِتُ اللَّهُ لَهُ جَنَاحِينَ وَرِيشًا وَتَعُودُ صُورَةٌ ذَلِكَ الطَّائِرِ لَا يُعَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا. وَأَهْلُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ يَذْكُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي كُلِّ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ.

٦ وفي بَعْضِ مَدِينِ خُرَاسَانَ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي جَبَلٍ فِيهَا نَارٌ تَتَّقَدُ وَلَا تَطْفَأُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا، وَفِي هَذِهِ الْهُوَّةِ جِرْدَانٌ كَبَارٌ بَيَضُ تَحْتَرِقُ النَّارُ فِي دُخُولِهَا وَخُرُوجِهَا، فَإِذَا كَانَتْ خَارِجَةً مِنَ الْهُوَّةِ وَنَظَرْتَ إِلَى إِنْسَانٍ بَادَرَتْ فَخَاصَّتْ النَّارُ مُخْتَرِقَةً الْهُوَّةَ إِلَى مَوَاضِعِهَا لَا تُؤْذِيهَا النَّارُ وَلَا تَحْرِقُهَا.

٩ وَمِنْ كَرْمَانَ إِلَى سِجِسْتَانَ مِائَةٌ وَثَمَانُونَ فَرَسَخًا، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينِ: زَالِقُ، وَكَرْكُوبِيَّةُ، وَهَيْسُومُ، وَزَرَنْجُ، وَرُوشْتُ، وَنَاشِرُودُ، وَالْقَرَيْنِ. وَبِهَا أَثَرٌ مَرْبُطٌ فَرَسُ رُسْتَمِ الْمَعْرُوفِ بِالشَّدِيدِ، وَنَهْرُهَا الْمَعْرُوفُ بِالْهُنْدَمَنْدِ^(أ).

١٢ يَقُولُ أَهْلُ سِجِسْتَانَ: أَنَّهُ يَنْصَبُ إِلَيْهِ مِيَاهُ أَلْفِ نَهْرٍ فَلَا يَظْهَرُ فِيهَا زِيَادَةٌ، وَتَنْشَقُّ مِنْهُ أَلْفُ نَهْرٍ وَلَا يُرَى فِيهَا نُقْصَانٌ.

١٥ وَفِي شَرَطِ أَهْلِ سِجِسْتَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ [لَمَّا فَتَحُوهَا]^(ب) أَلَّا يُقْتَلُ مِنْ بَلَدِهِمْ قُنْفِذٌ وَلَا يُصَادَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ بَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ قُنْفِذٌ فَهُوَ كَثِيرُ الْأَقَاعِي، وَالْقَنَافِذُ تَأْكُلُ الْأَقَاعِي، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَأَتَتْ عَلَيْهِمْ. وَالْقَنَافِذُ بِسِجِسْتَانَ مِثْلُ النَّمْسِ بِمِصْرَ فَلَوْلَاهَا لَأَتَتْ الثَّعَالِبُ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ.

^(أ) كما في الأصل، وكذلك ابن خردادبه؛ ولدى ياقوت: بست.

^(ب) الزيادة من ياقوت.

^١ انظر مدن سجستان لدى ابن خردادبه: المسالك والممالك، ص ٥٠؛ وقارن: مادة هندمند لدى ياقوت،

ومن مدينتها^(a) الرُّخَج وبلاد الدُّوَار⁽¹⁾، وهي مملكة رُسْتَم الشَّدِيد⁽²⁾ ملكة إناها كَيْقَاوس⁽³⁾.

وبين مدينة سِجِسْتَانَ إلى مدينة هَرَاة ثمانون فرسخًا، ومن شيراز إلى تَيْسَابُور مائة وعشرون فرسخًا، ومن شيراز إلى دَرَابِجُرد سبعة وأربعون فرسخًا، ومن إصطخر إلى السَّيرجَان مدينة كَرْمَانَ تسعة وخمسون فرسخًا،^(b) [ومن السَّرْمَقَانَ وهو آخر عمل فَارِس تسعة عشر فرسخًا]^(b) ومن كَرْمَانَ إلى حدِّ عمل فَارِس ستة عشر فرسخًا⁽⁴⁾.

^(a) لدى ابن خُرْداذبِه: والرُّخَج وبلاد الداور وهي مملكة رستم الشديد ملكة كيقاوس ومن مدينة سجستان إلى مدينة هراة ثمانون فرسخًا.

^(b-b) التتمة من المختصر.

⁽¹⁾ نقل ابن الفقيه هذا الخبر عن ابن خُرْداذبِه دون إشارة. انظر: المسالك والممالك، ص ٤٥٠ بينا صرح ياقوت الحموي بنقله هذا الخبر من ابن الفقيه الهمداني. انظر معجم البلدان: مادة سجستان، ج ٣، ص ١٩١.

⁽²⁾ رستم الشديد بن داستان بن نريان بن جودنك بن كرشاسب، بطل فارسي مشهور وكان جبارا مديد القامة، شديد القوة، عظيم الجسم ولاء كيقاوس مملكة سجستان وخراسان. انظر في أخباره: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٠٤-٥٠٦.

⁽³⁾ كيقاوس بن كنعان، ملك فارس هزمه وأسرته "ذو الأذعار" في اليمن، ثم أنقذه من يده وزيره رستم، وزحف إليه بجموع فارس إلى اليمن وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسرته. وانصرف رستم بكيقاوس إلى بابل، وكتب كيقاوس لرستم عتقًا من عبودية الملك، وأقطعته سجستان وزابلستان، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوجه، وأمره أن يجلس على سرير من فضة، قوائمه من ذهب، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهرًا طويلًا. وكان ملكه مائة وخمسين سنة.

انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٠٧-٥٠٩.

⁽⁴⁾ انظر: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٠٨.

[٩٦ظ] ومن جِيرَفَت إلى بَمَ عشرون فرسخًا، ومن جِيرَفَت إلى أوَّل عمل مُكْرَانَ واحدٌ وأزْبَعُونَ فرسخًا، ومن أوَّل عمل مُكْرَانَ إلى مَنْصُورَة مُلتَكَان السُّنْد ثلاثمائة وثمانية وخمسون فرسخًا،^(a) [والطريق في بلاد الزط وهم حفاظ الطريق]^(a) ومن [زَرْجَج]^(b) مدينة سِجِسْتَانَ إلى المُولْتَانَ مسيرة شهرين.

القول في الجبل

وَيُسَمَّى [هذا الصُّقْعُ]^(b) بلاد البَهْلَوِيِّين، وهي هَمْدَان، وَمَاسَبَنْدَانَ [ومَهْرَجَانْتَقْدُق - وهي]^(b) الصَّمِيرَة -^(c) وَقُمَّ، وَمَاهُ البَصْرَة وَمَاهُ الكُوفَة وقَرْمِيسِينَ^١، وما يُنسَبُ إلى الجَبَلِ وليس منه: الرِّيُّ وَأَصْبَهَانَ، وَقُومِس^(c)، وَطَيْرِستَانَ، وَجُزْجَانَ، وَسِجِسْتَانَ، وَكَرْمَانَ، وَمُكْرَانَ، وَقَزْوِينَ، وَالدَّيْلَمُ، [والبَيْر]^(d)، وَالتَّيْلَسَانَ^٣.

(a - a) التمة من ابن خُرْداذبِه

(b) ساقطة من الأصل والتكلمة من المختصر.

(c - c) حدد المقدسي إقليم الجبل بقوله: [بلاد البهلويين وأما هي: همدان وماسبدان ومهرجانتقدق وهي الصيمرة وماه البصرة وهي نهاوند وماه الكوفة وهي الدينور، ولها من المدن أسداواذ آوه بوسته رامن وبه سيراوند ووذراور طرز والنواحي ماه الكوفة ماه البصرة ماسبدان].

(d) التمة من المختصر.

^١ حدد ابن خُرْداذبِه بلاد البهلويين بأنها تضم [الرِّيِّ، وأصبهان، وهمدان، والدينور، ونهاوند، ومهرجانتقدق، وماسبدان، وقزوين وبها مدينة موسى ومدينة المبارك]: المسالك والممالك، ص ٢٠.

^٢ قارن المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٨٦.

^٣ قارن: مختصر كتاب البلدان ص ٢٠٩.

القول في قَرْمِيسِينَ

وقال أبو المنذر هِشَامُ بن السَّائِبِ الكَلْبِيُّ: لَمَّا ظَفَرَ قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ^١ بِقَيْرُوز بن

كِسْرَى يَزْدَجِرْدٍ^٢، حيثُ افْتَتَحَ خِرَاسَانَ أَخَذَ ابْنَتَهُ شَاهَ أَفْرِيدَ ومَعَهَا سَفْطُ مَخْتومٍ^٣

فَوَجَّهَ بِهَا إِلَى الحَجَّاجِ، فَحَمَلَهَا الحَجَّاجُ إِلَى الوَلِيدِ بن عَبْدِ المَلِكِ، فَوَلَدَتْ لَهُ يَزِيدَ

النَّاقِصِ، وَفَضَّ الحَجَّاجُ السَّفْطَ فَإِذَا فِيهِ كِتَابٌ بِالفَارِسِيَّةِ.

فَدَعَا زَادَنْفَرُوخَ بن بَيْرَى الكَسْكَرِيَّ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللّٰهِ المُّصَوِّرِ مِيزَ قُبَادِ^٦

بن قَيْرُوزِ إِقْلِيمِهِ، وَوَزَنَ المِيَاهَ [والتراب]^(a) لِيُنِي لِنَفْسِهِ مَدِينَةً يَنْزِلُهَا، فَوَجَدَ أَنزَهُ

بِقَاعِ إِقْلِيمِهِ بَعْدَ أَنْ بَدَأَ بِالعِرَاقِ الَّتِي هِيَ سُرَّةُ الأَقَالِيمِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا: المَدَائِنَ،

وَالشُّوسَ، وَجُنْدَيْسَابُورَ، وَتُسْتَرَ، وَسَابُورَ، وَأصْبَهَانَ، وَالرَّيَّ، وَبَلْخَ، وَسَمَرْقَنْدَ،^٩

وَبَاوَزْدَ، وَبَطْنَ بِنَهَاوَنْدَ- يَعْنِي رُودَزَاوَرَ- وَمَاسَبَنْدَانَ، وَمَهْرَجَانَقَنْدُقَ، وَتَلَّ مَاسِيرَ.

وَوَجَدَ أَبْرَدَ بِقَاعِ إِقْلِيمِهِ سِتَّةَ مَوَاضِعَ: قَالِيْقَلَا، وَدَبِيلَ^(a)، وَهَمْدَانَ، وَقَزْوِينَ،

وَجُوانِقَ^(b).^{١٢}

^(a) التثمة من المختصر.

^(b) كما في الأصل، والمقدسي، في المختصر: أردبيل.

^(c) كما في المختصر، والمقدسي؛ في الأصل: جوالق.

^١ قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص، أحد الأمراء الشجعان الدهاة، يعد من مفاخر

العرب، تولى الري لعبد الملك بن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد. وافتتح من المدائن: خوارزم،

وسجستان، وسمرقند. وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية. وأذعن له بلاد ما وراء النهر كلها. وتوفي

سنة ٧١٥/هـ ٧١٥م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٠٦-٤٠٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧،

ص ٢٢-٢٣.

^٢ عن فيروز بن كسرى بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى إبرويز. انظر فيها تقدم ص ٢٣٢.

- ٣ [بَطْنًا بِنَهَاوْنِدًا]^٩ وَخُوَارِزْمَ، وَمَرْوُ، وَوَجَدَ أَوْبًا بِقَاعِ إِقْلِيمِهِ سِتَّةَ مَوَاضِعَ: الْبِنْدِيغِيْنَ، وَبَطْنَ مَاسْتُونِ- وَهُوَ سَابُورُ خُوَاسْتِ- وَجُرْجَانَ، وَالخُوَارَ [بَطْنًا بِالرِّيِّ]^٩، وَبِرْذَعَةَ، وَرَنْجَانَ.
- ٦ وَوَجَدَ أَفْحَطَ بِقَاعِ إِقْلِيمِهِ ثَمَانِيَةَ مَوَاضِعَ: مَيْسَانَ، وَبَادَوْرَايَا، وَدَسْتَمِيْسَانَ، وَالْكَلْتَانِيَّةَ، وَبَاكْسَايَا وَمَاسَبَنْدَانَ وَالرِّيَّ وَأَضْبَهَانَ، وَوَجَدَ أَبْخَلَ أَهْلَ إِقْلِيمِهِ تِسْعَةَ مَوَاضِعَ: خُرَاسَانَ، وَأَضْبَهَانَ، وَأَزْدِيْلَ، وَمَاسَبَنْدَانَ، وَبَادَوْرَايَا، وَبَاكْسَايَا، وَإِضْطَخَرَ، وَشِيرَاذَ، وَفَسَا.
- ٩ وَأَخْصَبُ بِقَاعِ إِقْلِيمِهِ عَشْرَةَ مَوَاضِعَ: أَرْمِيْنِيَّةَ، وَأَذْرَبِيْجَانَ، وَجُورَ، وَمُكْرَانَ، وَكَرْمَانَ، وَدَسْتَمِيِّيَ، [٩٧] وَمَاهُ الْكُوفَةَ، وَمَاهُ الْبَصْرَةَ، وَأَرْجَانَ، وَدَوْرَقَ.
- ١٢ وَوَجَدَ أَجْمَلَ بِقَاعِ إِقْلِيمِهِ عَشْرَةَ مَوَاضِعَ: الْحِيْرَةَ، وَالْمَدَائِنَ، وَكَلْوَاذِيَّ، وَسَابُورَ، وَإِضْطَخَرَ، وَجَنْابَا، وَالرِّيَّ، وَأَضْبَهَانَ، وَقُمَّ، وَالنَّشَوِيَّ.
- ١٥ وَوَجَدَ أَغْقَلَ أَهْلَ إِقْلِيمِهِ سَبْعَةَ مَوَاضِعَ: عُكْبَرَا، وَقُطْرَيْلَ، وَعَقْرُقُوقَ، وَالرِّيَّ، وَأَضْبَهَانَ، وَمَاسَبَنْدَانَ، وَمَهْرَجَانِقْدُقَ. وَوَجَدَ أَفْطَنَ أَهْلَ إِقْلِيمِهِ سِتَّةَ مَوَاضِعَ: إِسْكَافَ الْعُلْيَا، وَإِسْكَافَ السُّفْلَى، وَنَقْرَ وَسَمْرَ، وَكَسْكَرَ، وَعَبْدَيْبِيَّ.
- ١٥ وَوَجَدَ أَحْسَدَ أَهْلَ إِقْلِيمِهِ خَمْسَةَ مَوَاضِعَ: جَزْأَجْرَايَا، وَحُلُوَانَ، وَسَحَارَانَ، وَهَمْدَانَ، مَاسَبَنْدَانَ.

^٩ زيادة من المختصر.^١ قارن: مختصر كتاب البلدان ص ٢١٠.

ووجد أعلم أهل إقليمه بالسلاح أربعة مواضع: همذان، وحلوان، وأصبهان،
وشهرزور.

٣ ووجد أخف مياه إقليمه عشرة مواضع: دجلة، والفرات، وجنديسابور،

وماسبندان، وبلخ، وسمرقند وقزوين، وماء سوار - وهي عين بقرويسين - وماء
ذات المطاير، وماء ملجان^(أ) قرية الثلج بماسبندان. ووجد أمكر أهل إقليمه أحد

٦ عشر موضعا: خراسان، وأصبهان، والرّي، وهمذان وأزمينية، وأذربيجان،
وماسبندان، ومهرجانقذق، وتستر، والمدار، وأزوتى.

ووجد أسرى قواكه إقليمه سبعة مواضع: المدائن، وسابور، وأرجان، والرّي،

٩ وتهاوند وماسبندان، وحلوان [الجيل]^(ب).

ووجد أقل [أهل]^(ب) إقليمه نظرا في العواقب أهل ثمانية مواضع: البندنجين

وماسبندان، ومهرجانقذق، وأزدشيرخرة، ورامهزمز، وأزمينية، وأذربيجان،

١٢ وبخروذ - قرية من قرى قم^١. خرج منهم في وقت موافاة العرب أربعة آلاف رجل

مع كل رجل خادم وسائس وخباز وطباخ إلى تهاوند ليقاتلوا العرب ويمنعوهم

من المقام في بلد العجم، فقتلوا كلهم [عن آخرهم]^(ج) بالإسفيدهان فلم يقلت منهم

١٥ إلا رجلا واحدا.

^(أ) في المختصر: «ماء منجابي».

^(ب) التكمة من المختصر.

^(ج) التكمة من المختصر.

^١ قارن: الأصفهاني: طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، ج ١، ص ١٧٠-١٧٥؛ المقدسي: أحسن

التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج ١، ص ٥٧-٦١.

٢ ووجد أسفل أهل إقليمه أهل ستة مواضع: البندنجين، وبأدورايا، وبأكساياء، وبهندف، وقهقور - بطناً بهاسبندان - وجرود - بطناً بنهاوند - ولم يجد ما بين المدائن إلى نهر بلخ بقعة على الجادة أنزه ولا أعذب ماء ولا [الذ^أ] نسيماً من قزميين إلى عقبه همدان.

٦ فأنشأ قزميين [٩٧ط] وبنى فيها لنفسه بناءً مُمعداً على ألف كرم، فقزميين كلمة فارسية معناها كزمان شاهان^١.

٩ وبنى الأكاسرة من المدائن إلى عقبه همدان وقصر شيرين^٢ معتبرة آل ساسان وعقرقوف مقبرة الكيانيين^٣، ثم نقل قبأ الأشراف من فارس وخراسان، وكذلك أهل [الشرف]^أ والجمال والأدب والفروسيّة فأسكنهم حافتي دجلة.

١٢ وأنزل أصحاب الصناعات بطن جوخي، وأنزل من كان من وجوه الناس الذين هم دون الأشراف، النهروانات. وأنزل الحاكة [الشوس، وتُستر]^ب، والحجامين بأدورايا وبأكساياء، وأنزل التجار الأهواز، وأنزل الأطباء، السيروان، قرية بهاسبندان.

^أ التتمة من المختصر.

^ب التتمة من ياقوت.

^١ قارن: الأصفهاني: طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، ج ١، ص ١٧٥؛ أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج ١، ص ٦١.

^٢ انظر: مادة قزميين، ومادة قصر شيرين لدى ياقوت الحموي، ج ٤، ص ٣٢٩-٣٣٠؛ ص ٣٥٨-٣٥٩.

^٣ الكيانيون: أمة من النبط كانوا ملوكاً بالعراق قبل الفرس. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٢.

فلَمَّا مِيزَ قُبَاذَ إِقْلِيمِهِ، وَعَرِفَ أَهْلَ بِقَاعِهِ، مَسَحَ الْبِلَادَ، وَوَقَفَ عَلَى الْحُدُودِ وَعَدَدَ
 الْفَرَايِخَ، اخْتَارَ التَّرْوَلَ بِالْمَدَائِنِ لِيَقْرُبَ مِنَ الرُّومِ [وَكَانَتِ الْأَنْبَارُ رُومِيَّةً]^(a)، وَأَخَذَ
 فِي بِنَائِهَا وَابْتَدَأَ بِعَمَلِ قَصْرِ لِيَسْكُنَهُ، فَكَانَ كُلَّمَا رَفَعَ مِنْ حَائِطِهِ شَيْئًا هَبَّتْ رِيحٌ
 عَظِيمَةٌ فَاقْتَلَعَتْهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَجَّهَ إِلَى بَلَنْيَاسِ^١ الْمُطَلْسِمِ فَأَخْضَرَهُ مِنْ بَلَدِهِ وَأَمَرَهُ
 أَنْ يُطَلْسِمَ مَوَاضِعَ آفَاتِ إِقْلِيمِهِ، وَقَالَ لَهُ: ابْدَأْ بِالْمَدَائِنِ.
 وَجَعَلَ لَهُ [عَلَى كُلِّ] ^(a) طَلْسِمٍ يَعْمَلُهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَأَتَّخَذَ لَهُ فِي مَوْضِعِ
 الْإِيوَانِ - مَكَانٍ وَسَطِ الْقَصْرِ - طَلْسِمًا كَبِيرًا، وَجَعَلَ حَوْلَهُ أَحَدَ عَشَرَ طَلْسِمًا، فَأَمَّا
 الْكَبِيرُ فَاللرَّيْحِ الَّتِي كَانَتْ تَقْتَلِعُ الْحَائِطَ فَسَكَنْتْ وَتَمَّ الْبِنَاءُ.
 وَطَلْسَمٌ لِلْعَقَارِبِ فَقَلَّتْ بِهَا، وَأَخَرٌ لِلْحُمَّى [فَقَلَّتْ الْحُمَّى بِهَا]^(b)، وَأَخَرٌ
 لِلجَّرَارَاتِ^٢ [فَقَلَّتْ]^(b)، ^(c) وَأَخَرٌ لِلسَّبَاعِ^(c)، وَأَخَرٌ لِلْبَرَاعِثِ، وَأَخَرٌ لِاجْتِمَاعِ كَلِمَةِ
 أَهْلِهَا [شَهِدُوا أَوْ غَابُوا مَا دَامَ الْمَلِكُ فِيهِمْ]^(d)، وَأَخَرٌ لِيُطِيعَ أَهْلَهَا مُلُوكَهُمْ مَا بَقُوا،
 وَأَخَرٌ لِلْمُلُوكِ الْأَقَالِيمِ أَنْ يَهَابُوا مَلِكَ الْعِرَاقِ وَلَا يَخَالِفُوهُ، وَأَخَرٌ لَتَعَفَّ نِسَاؤُهُمْ عَنِ
 الْفَجُورِ، وَأَخَرٌ لَتَرْكُو عَلائِمَهُمْ وَثِيَابَهُمْ^٣.

^(a) ساقطة من الأصل.
^(b) زيادة من المختصر.
^(c-c) في المختصر: وأخر للأسد فقلت، وأخر للربيع.
^(d) زيادة من المختصر.

^١ بلنياس الحكيم، أبو لونيوس الطياني حرف اسمه بالعربية إلى بلنياس، صاحب كتاب الطلاسم الأكبر،
 التديم: الفهرست، ج ٢، ص ٣٤١.

^٢ الجرارات: جمع جرارة وهي عقارب صفراء صغيرة على شكل التينة من أخبث العقارب. انظر: المعجم
 الوسيط، ج ١، ص ١١٦.

^٣ انظر: مختصر كتاب البلدان ص ٢١٠-٢١١.

وَجَعَلَ عَلَى يَمِينِ كُلِّ طَلَسِمٍ مِنْهَا وَشَتَّالَهُ وَقَدَّامَهُ وَوَرَاتِهِ كَنْزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ طَلَسَمَهَا وَكُنُوزَهَا أَنْ تُخْفَى عَنِ النَّاسِ فَخَفِيَتْ.

ويقال إنه ما بُنِيَ بِالْأَجْرِّ وَالْجِصِّ بَيْنَهُ أَبِي وَلَا أَجَلٌ وَلَا أَحْكَمٌ وَلَا أَعْلَى سَقْفًا وَلَا أَكْثَرَ ذِرْعًا مِنْ إِيوَانَ كِسْرَى بِالْمَدَائِنِ^١.

وفيه يقول البُخْتَرِيُّ مِنْ شِعْرِ طَوِيلٍ (شعر):

[الخصيف]

وَكَانَ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْعَةِ جَوَّبٌ فِي جَنْبِ أَرْعَنِ جَلَسِ
[٩٨٧] مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرْفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤْسِ رَضْوَى وَقُدْسِ
لَيْسَ يُدْرَى أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحْنٌ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ حِنٍّ لِإِنْسِ

وَأَنْشَدَنِي ابْنُ الْحَاجِبِ^٢ لِنَفْسِهِ يَصِفُ إِيوَانَ كِسْرَى (شعر):

[الكامل]

إِنْ خَانَنِي زَمَنٌ فَمَنْ هَذَا الَّذِي لَمْ تَسْتَبِحْهُ حَيَاتُهُ الْأَزْمَانَ
أَخْنَى عَلَى عَادٍ وَأَهْلَكَ تُبَعًا^(٨) وَسَطًا بِقُدْرَتِهِ^(٩) عَلَى النُّعْمَانِ
وَأَزَالَ مِثْلَكَ الْفُرْسِ بَعْدَ ثُبُوتِهِ وَهَوَى بِكِسْرَاهَا أَنْوَشِرْوَانَ
أَنَارَهُمْ تَنْبِيكَ عَنِ أَخْبَارِهِمْ نَصًّا وَلَيْسَ مُغَيَّبٌ كَعِيَانِ

(٨-٩) في المختصر: وحنى بكلكله.

^١ صاحب هذه المقولة هو الرحالة الفارسي ابن خُرداذبه. حيث قال: «... وأنا أقول ما بناء بالجلس والأجر أبي من إيوان كسرى بالمداين...» انظر: المسالك والممالك، ص ١٦٢.

^٢ محمد بن أحمد المعروف بابن الحاجب، أديب شاعر، كان صديقًا لابن الرومي. انظر في أخباره: المرزباني:

معجم الشعراء، ص ٤٥٢-٤٥٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٣٦.

هل أسمعَت أذُنَاكَ مثل حديثهم
 قَصُرَ يَكَادُ يَرُدُّ حُسْنَ بِنَائِهِ
 تَعَلُّوْهُ شَرَفٌ كَانَ شُخُوصَهَا
 حَفَّتْ بِهِ كَحُفُوفٍ وَفِدٍ أَحَدَقُوا
 وَكَأَنَّهَا فِي وَسْطِ كُلِّ دُجْنَةٍ
 أَوْ فَنِيَّةٍ شَرَبُوا فَأَثَّرَ فِيهِمْ
 وَضَعُوا الْأَكْفَافَ عَلَى الْخُصُورِ وَرَفَعُوا
 مُضْطَفَّةً كَبَنَاتِ نَعَشٍ فِي ذُرَى
 أَلْفَتْ بِجَاوَرَةِ السَّمَاءِ سُمُوكُهُ
 فَكَأَنَّهَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَهُ
 صُورٌ مِنَ الْأَسَادِ فِي جَنَابَتِهِ
 أَسَدٌ عَلَى فَرْسِ الرَّجَالِ قَدِيرَةٌ
 وَمُعَسْكَرَانِ لِكُلِّ حِزْبٍ مِنْهُمَا
 لَوْلَا وَقُوعُ الْيَأْسِ مِنْ حَرَكَاتِهِمْ
 فَفَتَى يَقِيهِ مِنَ السَّنَانِ مُحِبُّهُ
 لَبَسُوا مِنَ الْأَلْوَانِ أَصْفَرَ فَأَقْعَا
 وَمُورَدٌ فِي خَضْرَاءِ فَكَأَنَّه زَهْرٌ
 أَوْ عَائِنَتْ عَيْنَاكَ كَالْإِيْوَانِ^١
^(٨-٨) عِنْدَ التَّمَلُّلِ أَعْيُنَ الْعُمَيَّانِ^(٨)
 بِيضُ الْحَمَائِمِ فِي ذُرَى الْأَغْصَانِ
 بَحْرِيمِ بَيْتِ اللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ
 نَارٌ تُشَبُّ لِعَابِدِ الرَّهْبَانِ
 فِعْلُ الشَّرَابِ مِخْلَةَ النَّشْوَانِ
 فَوْقَ الرُّؤُوسِ أَكَلَةَ الْمَرْجَانِ
 عَالِي السُّمُوكِ مُوْتَقٍ الْبُنْيَانِ
 وَتَرَفَعَتْ عَنْ يَذْبُلِ وَأَبَانِ
 شَرٌّ فَمَا يَنْبِيَانِ يَتَّحِبَانِ
 مَا إِنْ لَهَا أَجْمٌ سِوَى الْجُدْرَانِ
 لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الْحَيْوَانِ
 لَمْ يَبْقَ مِنْ جَمْعِيهِمَا رَجُلَانِ
 لَطَنَّتْ أَمَّهَا سَيَقْتَتِلَانِ
 وَمُقَحَّمٌ يَهْوِي بِحَدِّ سِنَانِ
 فَأَتَاهُ نَاصِعُهُ بِأَحْمَرٍ قَانِ
 تَكْتَفَى حَاقَتِي بُسْتَانِ

(٨-٨) في المختصر: «بصراء عنه نواظر العمياء».

^١ انظر: مختصر كتاب البلدان ص ٢١٣.

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلِ فِي قَرْمِيسِينَ وَذَكَرَ عَجَائِبَهَا

[٩٨ظ] قال أبو المنذر: طَلَسَمَاتُ إِبْرَانِشَهْرٍ عَيْنٌ ظَاهِرَةٌ، وَعِنْدَ كُلِّ طَلَسَمٍ مِنْهَا
عَلَامَةٌ إِمَّا صَخْرَةٌ وَإِمَّا بَيْتٌ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ طَلَسَمٍ عَلَى أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، ^(a) [ثُمَّ
وَجْهًا إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَلِ] ^(a) قَالَ: وَلَمَّا انْتَهَى بَلْتِيَّاسٌ إِلَى طَرَارِشْتَانَ وَعَمِلَ بِأَرَاءِ الْقَنْطَرَةِ
طَلَسَمًا لِلغَرَقِ فَسَلِمَ أَهْلَهَا مِنْهُ، وَآخِرَ خَلْفِ الْقَنْطَرَةِ فَتَمَّ بِنَاؤُهَا، وَآخِرَ عَنْ يَمِينِهَا
فَجَرَى الْمَاءُ الَّذِي عِنْدَهَا، وَآخِرَ عَنْ يَسَارِهَا فَسَلِمَتْ مِنَ السَّخْرِ. ^(b)
وَعَمِلَ بِالْبُنْدِنِجِينَ طَلَسَمًا لِلغَرَقِ فَأَمِنُوا، وَآخِرَ لِلْقِيَارَةِ ^(b) ^(c) - عَيْنُ الْقِيرِ - حَتَّى
نَضِبَتْ. لَوْلَا ذَلِكَ مَا أَمَكَّنَ أَحَدٌ أَنْ يَشْرَبَ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي هُنَاكَ.
وَكَذَلِكَ عَمِلَ آخِرَ ^(c) [فَوْقَهُ عَلَى قَرَسِخٍ] ^(c) لِلنَّقَاطَةِ ^(d) حَتَّى انْصَرَفَ شَعْبُ النَّقْطِ
إِلَى جِهَةِ أُخْرَى عَنِ الْمَاءِ ^(d). وَعَمِلَ عَنْ يَسَارِ الْبُنْدِنِجِينَ طَلَسَمًا لِلزَّنَانِيرِ ^(e) وَآخِرَ
لِلذُّبَةِ ^(e) [فَسَلِمُوا مِنْهَا] ^(e) فَقَلَّتْ، وَكَانَتْ أَكْثَرَ الْأَرْضِ ذِئبَةً وَزَنَانِيرَ.

(a) - التمة من المختصر.

(b) في المختصر: للمنارة.

(c) - ساقطة من الاصل.

(d) - في المختصر: «حتى نضبت ولولا ذلك لأفسد ماءهم».

(e) التمة من المختصر.

¹ القيارة: عين بالموصل ينبع منها القار وهي حمة يقصدها أهل الموصل ويستشفون بهاها. انظر [مادة: القيارة] لدى ياقوت، ج ٤، ص ٤١٩.

² الزنانير: ذباب صغير يسكن في الحشائش. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: زن ر] ج ١١، ص ٤٥٢.

³ الذئبة: داء يصب الدواب في حلوقها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ذأ ب] ج ١، ص ٣٧٩.

وَعَمَلٌ بَقْرِيَّةٌ مِنْ قَرْيَةِ مَاسَبَنْدَانَ - تُسَمَّى ثُومَانَ^(أ) - طَلَسًا لِأَجْمَةِ كَانَتْ هُنَاكَ لَا يَسْلُكُهَا أَحَدٌ فِي الشِّتَاءِ إِلَّا عَرَقَ فِي طِينِهَا، وَعَمِلَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَيْضًا: ^(ب) طَلَسًا لِحِمَّةِ كَانَتْ هُنَاكَ مَآوَاهَا شَدِيدُ الْحَرِّ كَانَتْ تَظْهَرُ فِي الشِّتَاءِ وَيَنْقَطِعُ مَآوَاهَا فِي الصَّيْفِ، فَلَمَّا طَلَسَهَا أُجْرِي مَآوَاهَا شِتَاءً وَصَيْفًا وَلَمْ يَنْقَطِعْ فِي وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ السَّنَةِ^(ب).

وَمِنْ عَجَائِبِ قَرْوَيْسِينَ أَنَّ^(ج) الْهَوَاءَ لَمْ يَكُنْ يَهْبُ فِيهَا فِي الصَّيْفِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا^(ج)، فَشَكَا قُبَادُ إِلَى بَلْتِيَّاسٍ ذَلِكَ فَعَمِلَ لَهَا طَلَسًا حَتَّى هَبَّ الْهَوَاءُ بِهَا عَلَى مَا يَهْبُ فِي غَيْرِهَا.

وَطَلَسَ أَيْضًا قَرْيَةً بِالْقُرْبِ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا: كِرْكَانَ، وَكَانَتْ تَقُومُ بِهَا سُوقٌ [عَظِيمَةٌ] فِي كُلِّ عَامٍ^(د) فَيَتَلَفُ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ بِالْعَقَارِبِ^(د)، فَكَلَّتِ الْعَقَارِبُ فِيهَا وَخَفَّ عَنْ أَهْلِهَا مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنْهَا.

فَيُقَالُ إِنَّهُ لَا يُوجَدُ فِيهَا عَقْرَبٌ، وَإِنْ وَجَدَ لَمْ يَضُرَّ. وَمَنْ أَخَذَ مِنْ تُرَابِهَا وَطَبَّنَ بِهِ حَيْطَانَ دَارِهِ فِي أَيِّ بَلَدٍ كَانَ لَمْ يُرَ فِي دَارِهِ عَقْرَبٌ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَيْضًا عِنْدَ لَسَعَةِ الْعَقْرَبِ عُوْرِي لَوْقَتِهِ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا وَأَخَذَ الْعَقَارِبَ بِيَدِهِ لَمْ يَخْشَهَا^(هـ).

^(أ) في المختصر: ترمان.

^(ب-ب) في المختصر: «ترمان حمة يتخيل إلى الإنسان أن النار يتقد فيها تعمل في الشتاء ولا تعمل في الصيف، وحمة ترمان شظية من حمة ماء الكوفة».

^(ج-ج) في المختصر: «أن الريح كانت لا تهب فيها أيام الصيف بالليل».

^(د-د) في المختصر: «فكان في كل سنة يموت عالم من الناس».

^١ نقل هذا الخبر عن ابن الفقيه كل من ياقوت الحموي والقزويني، انظر: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٢؛ آثار

[صُورَةُ الْفَرَسِ شَبْدِيز]

ومن عجائبها - وهو أحد عجائب الدنيا - صورة شَبْدِيز، وهو في قَرْيَةٍ يقال لها
 ٣ جَاتَان^(a)، ومُصَوَّرُهُ قَنْطُوس^(b) بن سِنْتَار [الرومي]^(c).
 و سِنْتَارُ هو الذي بنى [٩٩٩] الحَوْرَتُق بِالْكُوفَةِ^(d)، وكان سَبَبُ صُورَتِهِ فِي هَذِهِ
 الْقَرْيَةِ أَنَّهُ كَانَ أَذْكَى الدَّوَابِّ وَأَعْظَمَهَا خَلْقًا^(e) وَأَظْهَرُهَا خُلُقًا، وَأَضْبَرَهَا عَلَى طُولِ
 ٦ الرَّكْحَصِ، وَكَانَ مَلِكُ الْهِنْدِ أَهْدَاهُ إِلَى أَبُو رِيزِ الْمَلِكِ [مُؤَدَّبًا]^(f) فَكَانَ لَا يَبُولُ وَلَا
 يَرُوثُ مَا دَامَ عَلَيْهِ سِرْجُهُ وَجِلَامِهِ، وَلَا يَنْخَرُ وَلَا يُزِيدُ، وَكَانَتْ اسْتِدَارَةُ حَافِرِهِ سِتَّةَ
 أَشْبَارٍ. فَلَمَّا نَفَقَ وَوَقَفَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غِنَاءِ الْبَهْلَبَنْدِ^(g) أَمَرَ قَنْطُوسَ بِتَصْوِيرِهِ،
 ٩ ^(h) فَلَمَّا فَرَعَّ مِنْهُ أَعْلَمَ أَبُو رِيزِ بِذَلِكَ^(h). فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ، وَاسْتَعْبَرَ
 بِأَكْيَا عِنْدَ تَأْمُلِهِ إِيَّاهُ وَقَالَ: لَشَدَّ مَا نَعَى هَذَا التَّمَثَالُ إِلَيْنَا أَنْفُسَنَا وَذَكَرْنَا مَا نَصِيرُ إِلَيْهِ
 مِنْ فَسَادِ حَالِنَا^٢.

^(a) كما في الأصل: وأبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان؛ وفي ياقوت: خاتان.

^(b) في الأصل: قطرس، والتصويب من: ياقوت.

^(c) زيادة من المختصر. ^(d) لدى القزويني: «بظاهر الحيرة».

^(e) لدى ياقوت: «أعظمها خلقة». ^(f) زيادة من المختصر.

^(g) رسمت في الأصل: الفلهيد.

^(h-h) لدى ياقوت: «فصوره على أحسن وأتم تمثال حتى لا يكاد يفرق بينها إلا بإدارة الروح في جسدهما».

^١ تقدمت ترجمته ص ٤٣٨.

^٢ راجع: من ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣١٩؛ القزويني: آثار البلاد بأخبار العباد: ص ٣٤٣.

ولئن كان في الظاهر^(a) أمرٌ من أمور الدنيا يخلو من أمور الآخرة^(a) إنَّ فيه
 لدليلاً على الإقرار بموت جسدنا وانهدام بدننا وطُمُوسِ صورتنا ودرسِ أثرنا لليلِ
 الذي لا بُدَّ منه،^(b) مع الإقرار باليأس من البقاء الذي لا سبيلَ إليه^(b) أنَّ^(c) يُبقي من
 جمالِ صورتنا ومثالِ بدننا إلَّا رَسْمًا يتجدد به أمرنا من الباقيين بعدنا مع ما يدرس
 من آثارنا وذكريتنا^(c).

(a-a) في المختصر: «فقال ولئن كان في الظاهر أمر من أمور الدنيا يدل على أمور الآخرة.»

(b-b) لدى ياقوت: «مع الإقرار بالتأثير الذي لا سبيلَ إليه.»

(c-c) لدى القزويني: «وسيبقى هذا التمثال أثرًا من جمال صورتنا للواقفين عليه حتى كأننا بعضهم
 ونشاهدهم.»

¹ نقل كل من ياقوت الحموي: في معجم البلدان، والراغب الأصفهاني: في معاضرات الأدباء ومحاورات
 الشعراء البلغاء، هذه القصة عن ابن الفقيه. وقد أكمل ياقوت هذا الخبر بقوله: «... فاتفق أن شَبْدِيز اشتكى
 وزادت شكواه، وعرف أبرويز ذلك وقال: لئن أخبرني أحد بموته لأقتلته. فلما مات شَبْدِيز خاف صاحب
 خيله أن يسأله عنه فلا يجد بدًّا من أخباره بموته فيقتله. فجاء إلى البَهْلَبَنْد مغنيه. ولم يكن فيما تقدم من
 الأزمان ولا ما تأخر أحذق منه بالضرب بالعود والغناء.. قالوا: كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد
 من قبله: فرسه شَبْدِيز، وسريته شيرين، ومغنيه بَهْلَبَنْد.

وقال: اعلم أن شَبْدِيز قد نفق ومات. وقد عرفت ما أوعده به الملك من أخبره بموته، فاحتل لي حيلة ولك
 كذا وكذا. فوعده الحيلة. فلما حضر بين يدي الملك غنَّاه غناء ورَّى فيه عن القصة إلى أن فطن الملك وقال له:
 ويحك! مات شَبْدِيز؟ فقال: الملك يقوله. فقال له: زه. ما أحسن ما تخلصت وخلصت غيرك. وجزع عليه
 جزعًا عظيمًا...».

هذا ولم نجد هذه التهمة في النسخة التي بين أيدينا، ولا في مختصر الكتاب، بالرغم من تصريح ياقوت في بداية
 الخبر أنه نقله من ابن الفقيه. وربما كانت النسخة التي اعتمد عليها ياقوت أكمل من التي بين أيدينا. انظر:

- ٣ فَمِنْ يَحْتَرُّ بِبَالِهِ هَذَا فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَا أَمَرْنَا بِهِ مِنْ هَذَا التَّمَثَالِ، وَلَيْسَتْ يَنْقُضُ بِدُرُوسِ رَسْمِهِ وَذِهَابِ بَهْجَتِهِ، وَإِلَّا فَالْهَلَاكُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَدْ أَخَذَتْ لَنَا وَقُوفَنَا عَلَى هَذَا التَّمَثَالِ ذِكْرًا لَمَّا بَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُنَا، وَتَوَهَّمْنَا وَقُوفَ الْوَاقِفِينَ عَلَيْهِ بَعْدَنَا حَتَّى كَانْنَا بَعْضُهُمْ وَمُشَاهِدُونَ لَهُمْ، أَوْ مِنْ حَضَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مِنْ ذِكْرِ الْحَالَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اخْتَلَفْنَا بِصَاحِبِهِ مِنَ الْحَيَاةِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَنَفَاذِ الْأَمْرِ وَمَا حَارَ إِلَى ذَلِكَ مَحَارَةٌ.
- ٦ وَمِنْ عَجَائِبِ هَذَا التَّمَثَالِ أَنَّهُ لَمْ يَرِ مِثْلَ صُورَتِهِ صُورَةً، وَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْذُ صُورَةٍ مِنْ أَهْلِ الْفِكْرِ اللَّطِيفِ وَالنَّظْرِ الدَّقِيقِ إِلَّا اسْتَرَابَ بِصُورَتِهِ وَعَجِبَ مِنْهَا وَأَطَالَ الْفِكْرَ فِيهَا، حَتَّى لَقَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِنْ هَذَا الصَّنْفِ يَخْلُقُونَ أَوْ يَقَارِبُونَ
- ٩ الْيَمِينَ أَنَّمَا لَيْسَتْ مِنْ صُنْعِ الْعِبَادِ وَلَا تَصْوِيرِ الْمَخْلُوقِينَ.
- وَسَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ كِبَارِ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَظَائِرِهِمْ يَخْلِفُ بِالْإِيمَانِ الْمُغَلَّظَةِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صُنْعِ الْعِبَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ فِيهِ حَيِّئَةٌ سَوْفَ يُظْهِرُهَا يَوْمًا مَا.
- ١٢ وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْفُقَهَاءِ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: [٥٩٩] لَوْ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ فَرْغَانَةَ الْقُصُوعِي، وَآخَرَ مِنَ الشُّوسِ الْأَبْعَدِ قَاصِدِينَ إِلَى شَبْدِيزِ حَتَّى يَنْظُرَا إِلَيْهِ مَا عُنُفَا عَلَى ذَلِكَ.
- ١٥ وَأَنْتَ إِذَا فَكَّرْتَ فِي أَمْرِ صُورَةِ شَبْدِيزِ هَذِهِ وَجَدْتَهَا كَمَا ذَكَرَ الْمُعْتَزِلِيُّ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مِنْ صِنْعَةِ الْأَدَمِيِّينَ فَقَدْ أُعْطِيَ هَذَا الْمُصَوِّرُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْجَبُ وَأَظْرَفُ وَأَشَدُّ امْتِنَاعًا مِنْ أَنَّهُ سُخِرَتْ لَهُ الْحِجَارَةُ كَمَا يُرِيدُ، فَفِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ أَسْوَدَ أَسْوَدًا، وَفِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَحْتَاجُ أَنْ يَكُونَ أَحْمَرَ أَحْمَرَ، كَذَلِكَ الْبَيَاضُ وَسَائِرُ الْأَلْوَانِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ.

وقال بعض أهل العلم^١: ما يكون أن تكون حجرة واحدة اختفر فيها هذه الألوان في المواضع التي أختيج إليها،^(١) ولكنه لما فرغ من الصورة صبغها بما احتاج إليه من الأصباغ. ثم دهنها بعد ذلك بدهن كان يقف عليه^(٢). يؤهم أن تلك الألوان خلقة في الحجر غير معالجة بشيء من الأشياء.

قال: وأنشدني أبو محمد العبدى الهمداني^٢ لنفسه من صورة شبديز (شعر):

[السرير]

مَنْ نَاطِرٌ مُعْتَبِرٌ أَبْصَرَتْ مُقَلَّتْهُ صُورَةُ شَبْدِيزِ
تَأَمَّلَ الدُّنْيَا وَأَنَارَهَا فِي مَلِكِ الدُّنْيَا أَبْرُويزِ
يُوقِنُ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَأْتِي يُلْحِقُ مَوْطُودًا بِمَهْرُوزِ
أُبْعَدَ كِسْرَى اعْتَاَصَ مِنْ مَلِكِهِ مَحَطُّ رَسْمٍ ثُمَّ مَرْمُوزِ
يَغْبِطُ جِيرَانًا عَلَى عَيْشَةٍ رَنَقِ يُعَايِنُهَا بِتَوْفِيْزِ
الْغَمُّ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا طَائِلُ فِيهَا لِذِي لُسْبٍ وَتَمْيِيزِ
نُعْمَى وَيُؤَسَى أَعْقَبَتْ هَذِهِ تِيكَ فَذُو الْعِزِّ كَمَغْرُوزِ

(١-٢) في المختصر: «محال أن يكون حجر واحد بجميع هذه الألوان، ولكنه لما فرغ من الصورة دهنها بالدهن الصيني».

^١ سُمي في المختصر: أبو علي محمد بن هارون بن زياد. وتمام الخبر في المختصر كالتالي: «... وقال لي أبو علي محمد بن هارون بن زياد. وكان حكيمًا فيلسوفًا. وقد تجارينا ذكر شبديز فوصلنا إلى هذا الفصل...». انظر: ص ٢١٥.

^٢ أبو محمد العبدى الهمداني، أحد الشعراء المعاصرين لابن الفقيه نقل عنه غير مرة مصرحًا بلفظ أنشدني، ولم أجد له ديوانًا مطبوعًا، ولم أقف على ترجمة له في المظان.

وَأَنْشَدَنِي الْحُسَيْنَ بْنَ أَبِي سَرْحٍ لِأَبِي عِمْرَانَ الْكِسْرَوِيِّ^٢ مِنْ شِعْرِ يَذْكَرُ فِيهِ الْفَرَسَ
(شِعْر):

[الطويل]

وَهُمْ نَقَرُوا شَبْدِيزَ فِي الصَّخْرِ عِبْرَةً وَرَاكِبُهُ بَرْوِيزُ كَالْبَدْرِ طَالِعُ
عَلَيْهِ بِهَاءُ الْمَلِكِ وَالْوَفْدُ عُكْفٌ يَخَالُ بِهِ فَجْرٌ مِنَ الْأَفْقِ سَاطِعُ
تُلَاحِظُهُ شِيرِينُ وَاللَّحْظُ قَاتِنٌ وَتَغْطُو بِكَفٍّ حَسَنَتِهَا الْأَشَاجِعُ
يَدُومُ عَلَى كُرِّ الْجَدِيدِينَ شَخْصُهُ وَيُلْقَى قَوِيمَ الْجِسْمِ وَاللُّونُ نَاصِعُ

وَقَالَ آخِرُ^٣ (شِعْر):

[البيط]

شَبْدِيزٌ مَنُحَوْتُ صَخْرٍ بَعْدَ بَهْجَتِهِ لِلنَّاطِرِينَ فَلَا جَزِيٍّ وَلَا حَبَبٍ
[١٠٠] عَلَيْهِ بَرْوِيزٌ مِثْلَ الْبَدْرِ مُتَّصِبًا لِلنَّاطِرِينَ فَلَا يُجْدِي وَلَا يَهَبُ
وَرَبَّمَا قَاصٌّ لِلْعَافِينَ مِنْ يَدِهِ سَحَابٌ وَذُقُّهَا الْمَرْجَانُ وَالذَّهَبُ
فَلَا تَزَالُ مَدَى الْأَيَّامِ صُورَتُهُ نَحْنُ سَوْقًا إِلَيْهَا الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ

^١ الحسين بن أبي السرح، أبو عبد الله، الأخباري من المصادر التي اعتمد عليها ابن الفقيه في كتاب أخبار البلدان، إذ هو من شيوخه وأصدقاء أبيه. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٤٦٠.
^٢ لم ألق على ترجمته.

^٣ ثم علق ياقوت في نهاية الخبر بقوله: « قلت: وعندني أشعار وأراجيز اكتفيت منها بهذا القدر تجنباً للإطالة». انظر: مادة شبديز، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٠-٣٢١.

وقال أبو الحسن العجلي^١ في صورة شبديز (شعر):

[الرجز]

أَبَاحَ لِلطَّرْفِ الشَّهَادَ وَالسَّهَرَ وَوَكَّلَ الْجَفْنَ بَمَاءِ مُنْهَمِرِ
 طَيْفٌ سَرِيٌّ وَهِنًا لَرِيًّا فَظَهَرَ يَا حَبْدَا الطَّارِقُ فِي وَجهِ السَّحَرِ
 فِي اللَّيْلِ يَبْدُو وَالنَّهَارَ يَسْتَتِرُ تَلَكَّ الَّتِي تَزْرِي بِشَمْسٍ وَقَمَرِ
 وَغُرَّةَ زَاهِرٍ تُغْشِيهِ الْبَصَرَ حَالَ بَهَائِهَا الْجَمَالَ فَقَطَّرُ
 شَبَّهْتُهَا حِينَ تَبَدَّتْ فِي حَضَرِ شِيرِينَ فِي حُسْنِ اعْتِدَالٍ وَقَدَّرُ
 كَأَنَّهَا تَنْفُثُ سِحْرًا مُسْتَمِرَّ تَكَادُ تَسْبِي نَاطِرَاهَا مِنْ نَظَرِ
 بِطُرَّةٍ مُشْرِقَةٍ مِنَ الطَّرَرِ وَحَاجِبٌ حُطَّ بِبِمْسِكَ فَشَطَّرُ
 وَشَاهِدٍ عَقْرَبَ فِي الْحَدِّ النَّضْرِ مَا إِنْ بِهِ مِنْ نُدْبٍ وَلَا أَثَرِ
 لَوْلَا الَّذِي مِنْ أَنْفِ شِيرِينَ كُسِرَ سُلَّتْ يَدَا أَمْرِهِ وَالْمُؤَمِّمِ
 لَقَدْ أَتَى بِفِعْلِهِ إِحْدَى الْكُبَرِ مَا كَانَ أَقْوَى قَلْبُهُ حِينَ جَسَرَ
 وَيُلُّ أُمَّهُ لَقَدْ تَعَاطَى فَعَقَرَ فَجَاءَهُ أَمْرُ الْأَمِيرِ فَحَبَّرُ
 وَعَمَّرَ الْبَهُوَ وَقَدْ كَانَ دَثْرَ وَهِيَ كَهَاتِيكَ وَلَكِنْ مِنْ حَجَرِ
 كِسْرَى وَشِيرِينَ وَسَيْخُ ذُو كِبَرِ عَلَيْهِمُ التَّيْجَانُ مِنْ فَوْقِ الْوَقَرِ

^١ أحمد بن عبد الله بن صالح، أبو الحسن العجلي الكوفي، الإمام الحافظ القدوة، من أئمة أصحاب الحديث الحافظين المتقين، خرج إلى المغرب أيام فتنة القرآن وسكن طرابلس المغرب، صاحب تصانيف، توفي سنة ٨٧٥/٥٢٦١م.

انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٣٤٩؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ١٠٧-١٠٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٥١.

تَسْقِيهِمْ شِيرِينَ رَاحًا بِقَدَرٍ فِي الْبَهْوِ وَالْبَهْوِ عَلَيْهِ مُحْتَجِرٌ
يُحْتَمُّهُمْ مُدَجِّجٌ عَلَى ظَهْرِ مُنْصَلِتٍ حَزْبُهُ ذَاتُ شَرِّ
كَأَنَّمَا يَطْرُدُ مَهْدُوبَ الْوَيْرِ أَوْ الشَّبِيهَاتِ بَعِيرَانِ الْبَقَرِ
لَا الزَّامَ أَنْسَى وَلَا الطَّرْفَ أَعْرَ وَالنَّزْسُ فِي يُمْنَاهُ لَمَّا يَسْتَتِرُ
كَأَنَّمَا الدَّرْعُ عَلَيْهِ قَدْ سُمِرَ فِيهِ صُنُوفِ الصَّيْدِ مِنْ بَحْرِ وَبَرٍ
وَفَارِسٍ عَنِ الشَّمَالِ مُسْتَدِيرِ وَفَوْقَ عَقْدِ الْبَهْوِ عِنْدَ الْمُخْتَبِرِ
[١١٠٠] وَتَأْتِمُ فَوْقَ الْحِصَانِ مِنْ سَكَّرِ وَالشَّرَفَاتِ فَوْقَ هَامَاتِ الْحَزَرِ
وَفَوْقَ عَقْدِ الْبَهْوِ عِنْدَ الْمُخْتَبِرِ فِي الطَّاقِ لَنْ بِالْحَدِيدِ وَالْدُّسْرِ
ثَلَاثَةٌ مِنْ عَاقِرٍ وَمُعْتَقَرٍ وَعَقْدُ طَيْقَانٍ وَنَهْرٍ مُحْتَمَرٍ
يَدْفَعُهُ مِنْ نَهْرٍ إِلَى نَهْرٍ وَصَاحِبُ النَّهْرِ عَلَى الْمَاءِ خَطَرٌ
فِيهِ لِمَنْ عُمَّرَ وَعُظُّ وَعِبرَ شَرَفَتْ كِسْرَى وَأَنْكَرَتْ مَا ذُكِرَ
يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ ذُو الْوَجْهِ الْأَعْرَ مِنْ شَرَفِ الْمُلْكِ الْقَدِيمِ وَالْحَطَرِ^١

^١ انفراد ابن الفقيه الهمداني بإيراد هذه القصيدة عن أبي الحسن العجلي، وتعد من القصائد الرائقة التي تنبض بالمعاني الجميلة والتساوير الدقيقة التي يظهر منها حسن تصوير الفرس شبيذ.

قال: وأنشدني - أبو نصر - رجلٌ من الأهواز، من أهلِ قَصْرِ اللُّصُوصِ يذُكُرُ
شَبْدِيزَ والبِنَاءِ الذي بَقَصِرِ اللُّصُوصِ (شِعْر):

[مجزوء الكامل]

يَاطَلِبِي غُرَرَ الأَمَاكِينِ حَيُّوا الدِّيَارَ بَبْرَ مَاهِنِ
وَسَلُّوا السَّحَابَ تُجُودَهَا وَتَسَحُّ فِي تِلْكَ الأَمَاكِينِ
وَتَزُورُ شَبْدِيزَ المُلُوكِ وَتُنَشِّي نَحْوَ المَسَاكِينِ
وَأَهَا لَشِيرِينَ التي قَرَعَتْ فُؤَادَكَ بِالمَحَاسِنِ
تَمَضَى عَلَى غَلَوَاتِهِ لَا تَسْتَكِينِ وَلَا تُدَاهِنِ
وَأَهَا لِمِعْصِمِهَا المَلِيحِ وَلِلسَّوَالِفِ وَالمَغَايِنِ
فِي كَفِّهَا الوَرَقُ المَمْسُوكِ وَالمُطِيبُ وَ المُدَاهِنِ
وَرُجَاجَةٌ تَدْعُ الحَكِيمِ إِذَا انْتَشَى فِي زِيِّ مَاجِنِ
أَنعَطْتُ حِينَ رَأَيْتَهَا وَاهتَاجَ مِنِّي كُلِّ سَاكِينِ
فَسَقَى رِبَاعَ الكَسْرُويَّةِ بِالجِبَالِ وَبِالمَدَائِنِ
دَانٍ يَسِيفُ رَبَابُهُ وَتَنَالُهُ أَيْدِي الحَوَاضِنِ^١

وقال بعضُ الشعراءِ في شَبْدِيزِ، وقد اجْتَاَزَ بِمَوْضِعِهِ رَجُلٌ مِنَ المُلُوكِ فَاسْتَحْسَنَ
المَكَانَ وَشَرَبَ هُنَاكَ،^(٨) ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُخْلَقَ وَجْهُ شَبْدِيزَ وَشِيرِينَ بِالزَّعْفَرَانِ، ففَعَلَ
ذَلِكَ^(٩).

(٨-٩) لدى ياقوت: « فاستدعى خلقا وزعفرانا فخلق وجه شبديز وشيرين والملك ».

^١ أورد ياقوت هذه الأشعار عند حديثه عن مدينة برزماهن وقصر شيرين. انظر: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٢؛ ج ٤، ص ٣٥٨، وانظر أيضا: القزويني: آثار البلاد بأخبار العباد، ص ٤٤٢.

(شعر):

[الخفيف]

كَادَ شَبْدِيزَ أَنْ يُحْمَحَمَ لَمَّا خُلِقَ الْوَجْهُ مِنْهُ بِالزَّعْفَرَانِ
 [١٠١] وَكَأَنَّ الْهَمَامَ كِسْرَى وَشِيرِينَ مَعَ الشَّيْخِ مُوبَذَ الْمُوْبَذَانِ
^(a) مِنْ خَلْقٍ قَدْ ضَمَّخُوهُ جَمِيعًا ^(b) أَصْبَحُوا فِي مَطَارِقِ^(b) الْأَرْجَوَانِ^١

٢ وَبَقَرْمِيسِينَ^٢ الدُّكَّانَ الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ فَعْفُورُ
 مَلِكُ الصِّينِ وَخَاقَانَ مَلِكُ التُّرْكِ وَدَاهِرَ مَلِكِ الْهِنْدِ وَقَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ عِنْدَ كِسْرَى
 أَبْرُوزِ، وَهُوَ دُكَّانٌ مُرْبَعٌ مِائَةِ ذِرَاعٍ فِي مِثْلِهَا مِنْ حِجَارَةٍ مُهَنْدَمَةٍ مُسَمَّرَةٍ بِمَسَامِيرِ
 ٦ الْحَدِيدِ، لَا يَتَبَيَّنُ فِيهِ مَا بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ^(c) فَلَا يُشَكُّ مِنْ رَأْيِهِ أَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: رَأَيْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ أَبِي سَرِيحٍ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ
 مَوْتِهِ، وَكَأَنِّي أَسْأَلُهُ أَنْ يُمْلِيَ عَلَيَّ خَبَرَ شَبْدِيزِ، وَمِنْ صَوْرَتِهِ وَكَيْفِ صُورِهِ فَقَالَ:
 ٩ اسْتَأْنَسُوا بِمَلَابِسِ الصُّخُورِ وَلَمْ يَسْتَوْقِفُوا مِنْ صَغَائِرِ الْأُمُورِ، وَصَوَّرُوا الْجَوَارِي
 الْأَبْكَارَ فِي الصُّخُورِ الْكِبَارِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ.

^(a-a) في المختصر: «من خلق عمدا قد أريق عليهم».

^(b) في المختصر: قطائف.

^(c) في المختصر: «فلا يتبين فيه خرق بين حجرين».

^١ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٠.

^٢ قارن مادة قرميسين لدى ياقوت، ج ٤، ص ٣٣١.

^٣ أبو عبد الله محمد بن إسحاق، والد المؤلف. وقد ذكر ياقوت الحموي: أن ابن الفقيه الهمداني قد روى عن

أبيه. انظر: ترجمة ابن الفقيه الهمداني لدى ياقوت: معجم الأدباء، ج ١، ص ٤٥٩-٤٦٠.

[وأشده لأحمد بن محمد:]

[الطويل]

^{a)} بوشتان طاق نيس في الأرض مثله
 ويرويز فيه والمراب حوله
 وبهرام جور والمقاول مثل
 وخزين قد أجرى وأومئ بسنمه
 وموبد هم في الطاق صور عبرة
 وكث يحوز الماء في النهر واقف
 وأسراب عين والكلاب تحوشها
 وصور فيه كل وحش وطائر
 وأسد وثيران وشاة وأعتر
 وما دب من دز ونمل وعقرب
 وقبج ودراج وظبي وأزنب
 ومكتب صيان وتاديب غلمة
 وصور قنطوس على الطاق نفسه
 فسبحان رب سحر الصخر عنوة
 لقد أبدع الرومي في الطاق بدعة
 وفيه تصاوير من الصخر محكم
 وشيرين تسقيهم وشيخ مزمزم
 وشروين فيهم قاعد متعمم
 لك طفلة حسنة لا تكلم
 وهزبدهم بالجهل والجور يحكم
 ليقسم فيما بينهم ليس يظلم
 وطرف عليه المرزبان المكرم
 من الطير والعنقاء ما الله أعلم
 وحياتان بحر في السفين نعووم
 وفيل وقبال عليه يدمدم
 وبار وصقر قد يصيد وقشعم
 وشيخ عديم قيل هذا معلّم
 عليه جناح طائر لا يحوم
 فصور فيه كل شيء مقوم
 أقر له بالحذق عرب وأعجم^{a)}

ولأحمد بن محمد^١ فيه أيضًا:

[البسيط]

(٨) [بين القناطر والدكان أبنية^١ فآقت على كل آثار وبنيان
 دكان صخر على تل بنوه فما نذري لجن بنوه أم لإنسان
 لأنها صخرة ملسا مملمة عجية الشأن فيها كل ألوان
 قد هندسوه فأوفوه على عميد وهندموه فما يخفى على جان
 قالوا بأن ملوك الأرض اجتمعوا عليه عند أبريز بن ساسان]^(٨-٥)

٣

(٨-٥) زيادة من المختصر.

^١ ربما قصد ابن الفقيه نفسه بهذه الإشارة.

في أبنية البلدان وخواصها وعجائبها

- ٣ قال بطليموس^١: إنَّ اختلاف الأُمَمِ في ألوانهم وأخلاقهم وأجسامهم وطبائعهم، وجميع حالاتهم من ثلاثة وجوه. وإحداها: من بُعد الأرض من خط الاستواء. وهو مثل البلاد وانحرافها عن الخط يمينه أو يسره.
- ٦ والثاني: من قِلِّ طبائع البروج المحاذية لسمت تلك البلاد والعالية على طبائعها. والثالثة: بُعد البلاد من مدار الشمس وقربها منه.
- ٩ فأما الأرض العائرة في رُبع الأرض الشمالي، فما كان منها مقيمًا وهو ما بين تغيّر الربيع إلى تغيّر الصيف، وهو الذي محاذيها في البروج ما بين الحمل إلى السرطان.
- ١٢ فإذا تَوَسَّطَتِ الشَّمْسُ وَسَطَ السَّمَاءِ كَانَتْ عَلَى سَمْتِ رُؤُوسِهِمْ فَأَحْرَقَتْهُمْ؛ فَلِذَلِكَ صَارَتْ أَجْسَادُهُمْ سَوْدَاءَ، وَشُعُورُهُمْ قَطَطًا، وَجُثَّتْهُمْ ذَابِلَةٌ، وَطَبَائِعُهُمْ حَادَةٌ وَعَامَّةٌ أَشْكَالُهُمْ مَتَوَحِّشَةٌ لِشِدَّةِ حَرِّ أَرْضِهِمْ.

^١ بطليموس القلوزي الفلكي السكندري صاحب كتاب المجسطي، عاش في مصر ما بين سنة ٨٧-١٥٠ للميلاد، من أوائل صانعي الآلات الفلكية، ويعتبره المؤرخون أهم مؤسسي علم الجغرافيا، راجع في ترجمته: النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٢١٤-٢١٦؛ وانظر: المراجع التي أوردتها المحقق في الهوامش، وراجع أيضًا:- فؤاد سزجين: مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، بجامعة فرانكفورت، ١٩٨٧ م. ص ١٠-١٨.

وهم الحبشة والزنج والثوبة وأنواع السودان، وليس يكون ذلك فيهم وخذهم،
ولكنه يكون في الهواء المحيط بهم، وكذلك ينس دواب أرضهم وشجرهم في جميع
٢ ذلك تحرقه أرضهم^١.

وأما من كان متيامناً [١٠١ظ] من الأرض فلتباعد سمت رؤوسهم عن مدار
الشمس وحرارتها ومدار البروج، كان مكانهم يارداً تتألم كثرة الرطوبة، وتكون
٦ ألوائهم بينضاء، وشعورهم سبطة، وأجسادهم عظاماً، وطبائعهم [تميل] إلى البرد،
وشكلهم متوحش لشدّة برّد أرضهم، وشتاؤهم شديدٌ مُفرط البرد، وشجرهم
عظامٌ ودوائهم على مثل هواء أرضهم. وهم الترك.

٩ وأما من كان من الذين سمت رؤوسهم تحت السرطان، ومن سمت رؤوسهم
تحت الدنية^(أ) فلأن الشمس لا تستوي على رؤوسهم، ولأنهم لم يميلوا إليها جداً
فلذلك هواؤهم حسن التمزيج وموضعهم معتدل، ليس فيه برّد شديد ولا حرّاً شديداً،
١٢ وألوائهم وأجسامهم وسط، وطبائعهم ممتزجة، ومراتبهم في جميع حالاتهم متقاربة.

(أ) في الأصل: الدنية.

^١ أورد ابن الخائك الهمداني صيغة أخرى لما نُقل عن بطليموس. قال: « فالذين مساكنهم فيما بين رأس الحمل ورأس
السرطان وهو ما بين خط الاستواء وموسط الحجاز وما أخذ أخذه شرقاً وغرباً فقد يعرض لهم أن الشمس يحرقهم
عمرها على سمت رؤوسهم، فتكون أبدانهم سوداً وشعورهم سوداً جعدة كثيفة، ووجوههم قحلة، وجنثهم قصيفة،
وطبائعهم حارة وأخلاقهم في أكثر الأمر وحشية لدوام الحر في موضع مساكنهم واتصاله بهم. قال: وهم الذين
نسميهم باسم عام الحبش، ولستأ نراهم على هذه الحال من الحرارة فقط بل يظهر الحر الشديد في الهواء المحيط بهم
أيضاً في سائر الحيوان والنبات الذي عندهم. » قارن صفة جزيرة العرب، ليدن، ١٨٨٤م، ص ٢٩-٣٠.

- وَمَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ مُتَيَامِنًا فَعَامَّتَهُمْ أَهْلُ ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ وَدِقَّةِ نَظَرٍ وَعِلْمٍ بِالنُّجُومِ
وغير ذلك من العلوم، لِقُرْبِ سَمْتِ رُؤُوسِهِمْ مِنْ مَدَارِ الكَوَاكِبِ الجَارِيَةِ وَالبُرُوجِ.
٣ فَمَنْ أَجَلِ ذَلِكَ تُنَازِعُهُمْ نَفُوسُهُمْ إِلَى طَلَبِ عِلْمِ النُّجُومِ وَالأَدَابِ.
- وَمَنْ كَانَ مُشْرِقًا فَهَمُّ مُذَكَّرُونَ وَأَنْفُسُهُمْ شَدِيدَةٌ، وَهَمُّ أَهْلِ تَنَافُسٍ فِي الشَّرَفِ
وَالرِّيَاذَةِ لِأَنَّ المَشْرِقَ فِيهِ طَبِيعَةُ الشَّمْسِ.
٦ وَمَنْ يُعْرِفُ مِنْهُمْ مُغْرَبًا فَإِنَّهُمْ مُؤَثَّنُونَ وَأَجْسَامُهُمْ كَيْتَةٌ، وَعَامَّةُ أَعْمَالِهِمْ خَفِيَّةٌ،
لِأَنَّ المَغْرِبَ لِلقَمَرِ.
- وَأَوَّلُ رُؤْيَتِهِ مِنْ مَهَلِّ المَغْرِبِ، فَلذَلِكَ جُعِلَ المَغْرِبُ مُؤَثَّنًا كَيْتًا. وَالشَّمَالُ
٩ خِلَافُ المَشْرِقِ. وَفِي هَذِهِ الأَقْسَامِ قِسْمٌ مُخْتَلِفٌ فِي الشَّبهِ وَطَبَائِعِ وَالأَدَابِ، عَلَى
نَحْوِ مَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ هَوَاءِ الحَارِّ وَالبَارِدِ وَالمُمْتَرِجِ، وَذَلِكَ يَنْقُصُ وَيَزِيدُ فِي كُلِّ
كَوَكَبٍ وَمَكَانٍ عَلَى نَحْوِ ارْتِفَاعِ الأَرْضِ وَانْخِفَاضِهَا.
- وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ، أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ صَارُوا نَوَاتِيَّةً. وَهَمُّ أَصْحَابِ السُّفَنِ
١٢ البَحْرِيَّةِ لِقُرْبِ أَرْضِهِمْ مِنَ البَحْرِ. وَصَارَ آخَرُونَ أَهْلَ دِعَةٍ وَرَاحَةٍ لِخِصْبِ بِلَادِهِمْ
وَكَثْرَةِ خَيْرِهِمْ.
- وَكذلك مُوَافِقَةُ الأَقَالِيمِ لِلبُرُوجِ الَّتِي تَلِيهَا فِي الطَّبَائِعِ؛ فَإِنَّ طَبَائِعَ كُلِّ إِقْلِيمٍ عَلَى مِثْلِ
١٥ طَبَائِعِ البُرُوجِ الَّتِي تَتَوَلَّاهُ. وَقُسِّمَتِ [١٠٢] الأَرْضُ العَامِرَةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ:

^١ قارن نص ترجمة بطليموس لدى ابن الخائك الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٠.

فَأَوَّلُ الْأَجْزَاءِ: أَوْرُبَا^(a)، وهي بين الشَّمالِ والدَّبُّورِ، يُوَأْفِقُهَا مِنْ مُثَلَّثَاتِ الْبُرُوجِ^١ التي لها ما بين الشَّمالِ والدَّبُّورِ، وهي مُثَلَّثَةُ الْحَمَلِ، وَالْأَسَدِ، وَالْقَوْسِ، وَيُدَبَّرُهَا الْمُشْتَرَى وَالْمَرْيَخُ. وَجَمِيعُ مَا فِي هَذَا الرَّبْعِ مِنَ الْأُمَمِ وَبِرِطَانِيَّةِ^(b)، وَغَالِيَا^(c)، وَجِرْمَانِيَّةِ، وَأَبُولِيَّةِ^(d)، وَسَقَلِيَّةِ، وَطُورِينِيَا^(e).

^(a) في الأصل: أورش، والتصويب من: ثابت بن قرة: جوامع لما قاله بطلميوس في قسمة الأرض.

^(b) رسمت في الأصل: بريطانيا.

^(c) رسمت في الأصل: عليا.

^(d) رسمت في الأصل: أنولية.

^(e) رسمت في الأصل: طونيا.

^١ طبقاً لنظرية طبائع أهل الأرض، قَسَمَ بطلميوس القلوزي دائرة البروج إلى أربعة أقسام وهي المثلثات، وقسم كل ثلاثة أبراج على طبيعة من الطبائع الأربعة وهي: النارية، والترابية، والهوائية، والمائية. فأول المثلثات النارية: هي الحمل والأسد والقوس. والمثلثة الثانية الترابية وهي: الثور والعذراء والجدي، والمثلثة الثالثة الهوائية وهي: الجوزاء والميزان والدَّلُو، والمثلثة الرابعة المائية وهي: السرطان والعقرب والحوت. وقد رأى أن كل قسم من هذه المثلثات يطبِّع الإقليم الذي يحيط به بطابعه. لمزيد من التفاصيل انظر:- ابن خُرْداذبِه: المسالك والممالك، ص ١٥٨؛ ثابت بن قرة: جوامع لما قاله بطلميوس في قسمة الأرض على البروج والكواكب، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ٢٠١٠م، ص ١١٥.

^٢ يتناول ابن الفقيه مجمل الأراضي الأوروبية حيث تشمل المناطق المشار إليها الجزر البريطانية، وبلاد الغال [فرنسا] وجرمانية وأبولية التي تضم أراضي [ألمانيا والنمسا، وبولندا] أما صقلية، وطورنيا فهي [إيطاليا الحالية]. للمزيد عن أوصاف هذه البلدان. انظر: ابن الحائك الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٣-٤٣؛ و لدى المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٥٩؛ بعض أوصافها القديمة، وكذا عند الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة تشرولي وآخرون، نابولي. روما، ١٩٧٩م. ج ٢، ص ٧٩٤.

وهم أعزاء غير خاضعين يُحْسِنُونَ أَخْذَ السِّلَاحِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَهُمْ أَصْحَابُ زِيٍّ
 وَلبَاسٍ يَجُبُّونَ مُجَامَعَةَ الذُّكْرَانِ وَيَغَارُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَرُونَ [في] ذَلِكَ شَيْئًا وَلَا
 مَأْتَمًا، وَأَنْفُسُهُمْ مُذَكَّرَةٌ وَلَيْسَتْ لَهُمْ غَيْرَةٌ عَلَى نِسَائِهِمْ، وَيَهْتُونَ عَلَيْهِمُ الْجِمَاعَ. ٣
 وَالرُّبْعُ الثَّانِي: هُوَ الَّذِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالصَّبَا. ^(أ) [في النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ بِلَادِ آسِيَا
 الْعُظْمَى فَإِنَّ النَّوَاحِي مِنْهُ تَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَكْرَانَ وَكِرْمَانَ وَقَارِسَ
 وَبَابِلَ وَمُلْتَقَى النَّهْرَيْنِ وَأَشُورًا] ^(ب) وَهُمْ الْمُثَلَّثَاتُ: الثَّوْرُ وَالْعَذْرَاءُ وَالْجُدْيُ، وَوَالِي
 تَدْبِيرِهِمُ الزُّهْرَةُ وَرُحْلُ مُشَرَّقِينَ. وَطَبَائِعُ هَذِهِ الْكَوَاكِبُ عَلَى نَحْوِ طَبَائِعِ الَّذِي
 يُدَبِّرُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَسْجُدُونَ لَهَا وَيَسْمُونَ الزُّهْرَةَ إِسْبِسَ ^(ب)، وَالرُّحْلُ مَيْسُونَ ^(ج).
 ٩ وَفِيهِ كَهَنَةٌ يُجَبُّونَ عَنِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَنْ تَحْدُثَ، وَيُعَظِّمُونَ أُمَّهَاتِهِمْ وَأَخَوَاتِهِمْ
 وَجَمِيعَ الْإِنَاثِ لِتَدْبِيرِ الزُّهْرَةِ وَرُحْلِ إِيَّاهُمْ، وَفِيهِمُ الْوَرَعُ لِأَنَّ الزُّهْرَةَ طَبِيعَتُهَا الْوَرَعُ،
 وَبِلَادِهِمْ حَارَةٌ وَيُحِبُّونَ الْمُجَامَعَةَ وَالرُّقْمَى وَالرَّقْصَ وَاللَّهُوَ وَالْمُجُونَ مِنْ أَجْلِ الزُّهْرَةِ
 ١٢ أَيْضًا، وَلَا يَجَامِعُونَ الذُّكْرَانَ وَيَنْكَحُونَ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُولِدُونَهُمْ، وَيَرُونَ أَنَّ ذَلِكَ تَعْظِيمًا
 لَهُنَّ، وَأَنْفُسُهُمْ عَظِيمَةٌ وَهُمْ أَشِدَّاءُ مَقَاتِلُونَ لِتَشْرِيقِ رُحْلِ.

(أ - أ) تكملة من ابن الحائك الهمداني.

(ب) رسمت في الأصل: انيس.

(ج) لدى ابن الحائك الهمداني: «مترا الشمس».

^١ عن أسماء الكواكب السبعة بالهندية انظر: البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة،
 طبعة القاهرة عام ٢٠٠٣م، المصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية النظامية، بحيدر آباد - الدكن ١٩٥٨م
 ص ١٧٣؛ وعن أسماء الكواكب السبعة بالفارسية، انظر: الفلقلشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،
 طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ج ٢، ص ١٦٨-١٧٣.

وَنَصِيبُ هَذَا الرَّبِيعِ مِنْ وَسْطِ الْأَرْضِ أَرْوَمِيَّةٌ وَقُوقْلَادَسٌ^(أ) وَأَثُورِيَا^(ب) وَحَالِدِيَا^(د). وَهَذِهِ الْبُلْدَانُ بَيْنَ الشَّمَالِ وَالذُّبُورِ وَهُوَ الْحَمَلُ وَالْأَسَدُ وَالْقَوْسُ. وَوَالِي تَدْبِيرِهِمُ الْمُشْتَرِيُّ، وَالْمَرْيِخُ وَالشَّمْسُ وَعُطَارِدٌ وَلِذَلِكَ صَارُوا أَهْلَ تَدْبِيرِ صِنَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ وَعَقْلٍ وَسَخَاءٍ وَكِتَابِيَّةٍ وَفَهْمٍ وَغَشٍّ وَخُبَيْثٍ.

وَأَمَّا الرَّبِيعُ الثَّلَاثُ: [هُوَ] الْقَسَائِمُ مِنْ أَسْيَا الْكُبْرَى. فَالْبُلْدَانُ الَّتِي فِيهَا عَلِي لَضِيٌّ فَمِنْهَا أَرْمِينِيَّةُ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثَةُ وَالرَّابِعَةُ، وَالْبُلْدَانُ الَّتِي بَيْنَ الشَّمَالِ وَالصَّبَا، وَهُوَ أَحَدُ الْأَرْبَاعِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْجَامِعُ وَوَالِيهَا مِنَ الْمُتَلَثَّاتِ الَّتِي بَيْنَ الشَّمَالِ وَالصَّبَا، وَهِيَ الْجَوْزَاءُ وَالْمِيزَانُ وَالذَّلْوُ [١٠٢٦ظ] وَأَصْحَابُ تَدْبِيرِهَا زُحَلُ وَالْمُشْتَرِيُّ مُشْرِقِينَ، فَلِذَلِكَ صَارَ الَّذِينَ فِي هَذِهِ الْكُورِ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ وَالْمُشْتَرِيِّ، وَهُمْ يُشَبِّهُونَ الْمَجُوسَ^١.

^(ب) رسمت في الأصل: توريا.

^(أ) رسمت في الأصل: قيلسوسينا.

^(د) رسمت في الأصل: حلبايا.

^١ وتام النص لدى ابن الخائك: «... وأما سائر أجزاء هذا الربع الذي يلي وسط جميع الأرض المسكونة وما يقع في جزيرة العرب منها مثل إيدوما وأرض سورية وأرض فلسطين وبلاد اليهود العتيقة من إيليا وتسمى بالعبرانية يروشلم، وتعربها العرب فتقول أوراشلم، وبلاد الأعراب الخصبية يريد فلاة العرب من نجد والحجاز والعروض وبلاد فونيقا يريد اليمن وما إلى هذه البلدان، فإنه يقبل أيضاً مشاكل المثلث المنسوب إلى ناحية الشمال والذبور وهو مثلث الحمل والأسد والرامي الذي يديره المشتري والمريخ وعطارد أيضاً، ولذلك صار أهل هذه البلدان أكثر تقبلاً في التجارة من غيرهم، أصحاب معاملات وأصحاب مكر وغلش متهاونين للأموال للسخاء الذي فهم ومعهم رجاحة عقل وذكاء وتدبير في الأخذ والعطاء ويمجون أنفسهم وهم بالجملة ذوو وجهين ولسانين لأجل مشاكلتهم لهذه الكواكب...». قارن: ابن الخائك الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٦.

وعِبَادَاتِهِمْ وَأَدَابِهِمْ حَسَنَةً، وَلَهُمْ مَلَاحَةٌ وَقَبُولٌ قَاضِينَ لِلْحَقِّ مُقْتَصِدِينَ فِي
مُجَامَعَةِ النِّسَاءِ وَيُحِبُّونَ الْبِرَّ وَالصَّلَةَ وَعَامَةً ذَلِكَ مِنْ تَشْرِيقِ زُحَلٍ وَالْمُشْتَرَى.

٣ فَأَمَّا الرَّبِيعُ الرَّابِعُ الَّذِي بَيْنَ الْحَوْتِ وَالْمِيزَانَ وَإِلَيْهِ مِنَ الْمُثَلَّثَاتِ: السَّرَطَانُ
وَالْعَقْرَبُ وَالْحَوْتُ. وَمُدَبَّرُهُمْ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمَرِّيخِ وَالزُّهْرَةَ مُعَرَّبَيْنِ،^(أ) - [يُرِيدُ أَنَّهُمَا
مِنْ حِيزِ الْمَغْرِبِ - جَنُوبِيَّانَ لِأَنَّ الزُّهْرَةَ جَنُوبِيَّةً وَشَرْقَ الْمَرِيخِ جَنُوبِيَّانَ]^(ب)، فَاسْمَاءُ
٦ الْأُمَمِ الَّتِي فِي هَذَا الرَّبِيعِ: بَرْتَنِيَّةُ^(ب) وَنُومِيدِيَّةُ^(ج) وَإِفْرِيقِيَّةُ وَمُورَطَانِيَّةُ وَطَنْجَةُ
وَمَرَاقِيَّةُ ١.

فَلذَلِكَ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ يُمْلِكُونَ رِجُلًا وَامْرَأَةً. فَأَمَّا الرَّجُلُ فَيَمْلِكُ الرَّجَالَ،
٩ وَالْمَرْأَةُ تَمْلِكُ النِّسَاءَ. وَيُحِبُّونَ مُجَامَعَةَ الْإِنَاثِ وَعَامَةً نِكَاحِهِمْ زِنًا. وَيُحِبُّونَ الزَّيْنَةَ
وَالْمَالَ وَيَتَزَيَّنُونَ بِزِينِ النِّسَاءِ مِنْ أَجْلِ الزُّهْرَةِ.

^(أ-ب) تكملة من ابن الحائك الهمداني.

^(ب) في الأصل: توبية، والتصويب من أورو سيوس: تاريخ العالم.

^(ج) في الأصل: ميدنية. والتصويب من أورو سيوس: تاريخ العالم.

^١ يرى الجغرافيون القدامى أن مثلثة السرطان والعقرب والحوت تؤثر على الإقليم الإفريقي، الذي يضم
الشمال الإفريقي وبلاد النوبة، والسودان الغربي، ويتضح من سياق النص أنه يتناول تأثير الكواكب على
منطقة الساحل الإفريقي على البحر المتوسط من غربي مصر إلى طنجة، إذ عرفت هذه المنطقة في الجغرافيا
اليونانية بإقليم "لوبيا"، وتعرف المنطقة الساحلية المطلة على جبل طارق باسم مورطانية الإفريقية [ما بين
سبته وطنجة]. راجع: باولوس أورو سيوس: كتاب تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن
بدوي، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م. ص ٦٩-٧٠، حسين مؤنس:
تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٦م،
ص ٤-٦.

وهم أهل غشّ وسحرٍ وجُراة، [يُلْقُونَ] أنفُسَهُمْ في المهلكة من أجلِ المَرِيخِ
 وولايته إياهم. ونصيبُ هذا الرِّيحِ من وَسَطِ الأَرْضِ: سُورُومَاطِيقًا^١ والبُرط
 السُّفلى^٢، وأطرزُ المَغْرِبِ^٣، ومَارِثُ^٤، والحَبْشَةُ الأوسَطُون.

وهم ما بين الشَّمالِ والصَّبَا. ولهم من المثلثاتِ: التَّوْمِينِ والمِيزَانَ والدَّلْوِ،
 ومُدَبَّرُهُم من الكَوَاكِبِ: زُحَلِ والمُشَرِّئِ وعُطَّارِدِ.

وهذه الكورُ فقريَّةٌ من مدارِ الكَوَاكِبِ الحَمْسَةِ الجارية إذا كانت مُعَرَّبَةً،
 ولذلك هم أهلُ تَدْيِينٍ وتعظيمِ الآلهة، يعرفون حَقَّهَا ويحبُّون النَّيَاحَةَ، ولهم آدابٌ
 كثيرةٌ مختلفةٌ وأديانٌ مُتَفَرِّقةٌ، وإذا مَلِكُوا كانوا أذلاءً جُبْناءَ صَابِرِينَ، وإذا مَلِكُوا
 كانوا أهلَ طيبِ أنفُسٍ وَعَطِيَّةٍ كثيرة، وخلَقَهُمْ على نحوِ طَبِيعَةِ أَرْضِهِمْ، وعامةٌ
 ذُكْرَانُهُمْ ضَعْفَاءُ مُؤَثِّثُونَ، يتركون الجَمَاعَ من حيث يَنْبَغِي، ويأتون النِّسَاءَ من حيث
 لا يَنْبَغِي لتَقْرِيبِ الزُّهْرَةِ.

^١ رسمت في الأصل: سقى وتمر بقی، والتصويب من ابن الحائك.

^٢ رسمت في الأصل: مارثنا، والتصويب من ياقوت.

^١ البُرط السفلى: يقصد بها جبال البُرت، أو البرتات الفاصلة بين شبه الجزيرة الإيبيرية والأراضي الفرنسية.
 وهي كلمة لاتينية تعني المر أو الميناء. للمزيد انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٧٣٠.

^٢ أطرز المغرب: يقصد بها سلسلة جبال أطلس المغربية، وهي مجموعة جبلية تمتد موازية لساحل البحر
 المتوسط حتى الصحراء الإفريقية.

^٣ مارث: ناحية من جبال عمان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٨.

^٤ قارن ترجمة ثابت بن قرة: لجوامع ما قاله بطلميوس في قسمة الأرض المسكونة على البروج والكواكب،

وذكروا أن الأرض والماء وسائر الطبائع كُرِّيَّة، وأن استدارة الأرض كلها وجبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل، وأن قطرهما وعمقها وعرضها سبعة آلاف [وِسْتائَة]^(a) وستة وثلاثون [مِيلاً]^(b).

وأهم استدركو ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينتين، وهما على [حَطَّ واحد من]^(c) حَطَّ الاستواء مثل مدينة تَدْمُر [١٠٣] و^(d) [التي في البرية بين العراق والشام]^(d) و[مثل مدينة]^(c) الرِّقَّة، فوجدوا ارتفاع القطب في مدينة الرِّقَّة خمسة وثلاثين جزءاً وثلاثاً، وارتفاع القطب في مدينة التَّدْمُر أربعة وثلاثين بينها زيادة جزء وثلاث، ثم مسحوا ما بين الرِّقَّة وتدمر فوجدوه سبعة وستين^(e) ميلاً فعلموا أن لكل جزء وثلاث جزءاً من أجزاء الفلك الأعظم^٢.

فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلاً من الأرض، والفلك ثلاثمائة وستون جزءاً على ما اتفق عليه علماء الروم والهند وبابل.

وإنما قسموه هكذا لأنهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثنا عشر، ووجدوا الشمس تقطع كل بُرج منها في شهر، وتقطع البروج كلها في ثلاثمائة وستين يوماً. فبهذه القسمة والمقاييس استدركو علم الساعات والكسوفين.

^(a) التمة من المسعودي: مروج الذهب. ^(b) الزيادة من ياقوت.

^(c) تكملة من: المسعودي. ^(d-d) التمة من المسعودي: مروج الذهب.

^(e) في الأصل عشرين: والتصويب من المسعودي.

^١ انظر ما نقله ياقوت في مقدمة معجمه حول قطر الأرض من كتاب المجسطي: لبطلميوس ج ١، ص ٢٠.

^٢ قارن: المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧ أبو عبيد البكري: المسالك والممالك، ج ١، ص ٤٨٠.

وبها استخرجوا الآلات والإسطرلابات^١ وعليها وضَعُوا كتبهم. وقالوا أيضًا:
 بَأَنَّ الْفَلَكَ مُسْتَدِيرٌ. واستدلُّوا بذلك: لَأَنَّهُ يَدُورُ عَلَى مَحْوَرَيْنِ وَقُطْبَيْنِ، اللّذَيْنِ هُمَا
 ٣ الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ وَالْجَنُوبِيُّ^(أ). فَأَمَّا أَهْلُ الْبُلْدَانِ الَّتِي مَالَتْ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ، فَأَيْتَهُمْ
 يَزُورُونَ الْقُطْبَ الشَّمَالِيَّ وَبَنَاتِ نَعَشٍ وَلَا يَزُورُونَ الْقُطْبَ الْجَنُوبِيَّ وَلَا الْكَوَاكِبَ الْقَرِيبَةَ
 مِنْهُ. وَلِذَلِكَ صَارَ سُهَيْلًا لَا يُرَى بِنَاحِيَةِ خُرَاسَانَ وَيُرَى بِالْعِرَاقِ أَيَّامًا فِي السَّنَةِ^(ب).
 ٦ فَأَمَّا فِي الْبُلْدَانِ الْجَنُوبِيَّةِ فَإِنَّهُ يُرَى فِيهَا السَّنَةُ كُلَّهَا. فَمَتَى مَالَ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ
 غَابَ عَنْهُ الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ وَالْكَوَاكِبُ الَّتِي تُقَارِبُهُ. وَهَذِهِ الْكَوَاكِبُ الَّتِي هِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ
 الْقُطْبِ تَدُورُ حَوْلَهُ دَوْرَانًا مُسْتَدِيرًا مُسْتَوِيًا يُرَى بِالْعِيَانِ مِثْلَ الشَّمْسِ، فَإِنَّهَا بِالصَّيْفِ
 ٩ تَطْلُعُ مِنَ وَسْطِ الْمَشْرِقِ ثُمَّ تَضَعُ فِي الْفَلَكَ صُعُودًا مُسْتَوِيًا، ثُمَّ تَهْبِطُ عَلَى مِثَالِ ذَلِكَ
 الدَّوْرِ، ثُمَّ تَغِيبُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَتَدُورُ هُنَاكَ مِثْلَ مَا تَدُورُ هَاهُنَا حَتَّى تَطْلُعَ^٢.

(أ) لدى المسعودي بزيادة: «وأنها بمنزلة محوري النجار والحراط الذي يخرط الكرة والقِصَاعَ وغيرها من الآلات الخشب، وأن من كان مسكنه وسط الأرض وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره سائر الدهور، ورأى هذين المحورين، أعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي جميعًا».

(ب) في مروج الذهب بزيادة: «ولا تقع عين جمل من الجمال عليه إلا هلك، على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان خاصة».

^١ الإسطرلاب: لفظه معربة عن اليونانية وتعني «مرآة النجوم» وهي آلة رصد فلكية قديمة طوّرها العرب واستخدموها في مجال القياسات الفلكية. انظر: مادة إسطرلاب بدائرة المعارف، ج ١، ص ٧٤٤-٧٤٩؛ وما جمعه فؤاد سيزكين عن ما كتب عن الآلات الفلكية في كتاب: «نصوص ودراسات حول الآلات الفلكية ودور الرصد في العالم الإسلامي»، فرانكفورت، ١٩٩٨ م.

^٢ قارن: المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧.

- وَزَعَمُوا أَنَّ الْبَحْرَ أَيْضًا كُرِّيٌّ مُدَوَّرٌ^(a). وَبُرْهَانَ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا لَجَجْتَ فِيهِ غَابَتْ
عَنكَ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى تَخْبِيَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَلَا تَرَى شَيْئًا مِنْ
شَوَامِخِ الْجِبَالِ إِذَا أَقْبَلْتَ نَحْوَ السَّاحِلِ ظَهَرَتْ [١٠٣] لَكَ قُلُلُ الْجِبَالِ وَأَجْسَامُهَا
شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. فَإِذَا قَرَبْتَ مِنَ السَّاحِلِ ظَهَرَتْ الْأَرْضُ وَالْأَشْجَارُ.
وَالْأَرْضُ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا مَسْكُونٌ وَالْآخَرُ غَيْرُ مَسْكُونٍ،^(b) وَالْمَسْكُونُ مِنْهُ
قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا مُفْرِطُ الْحَرِّ وَهُوَ جِهَةُ الْيَمِينِ^(b) لِأَنَّ الشَّمْسَ تَقْرُبُ مِنْهُ فَيَلْتَهَبُ
هَوَاؤُهُ. وَالْآخَرُ جِهَةُ الشَّمَالِ وَهُوَ مُفْرِطُ الْبَرْدِ لِبُعْدِ الشَّمْسِ مِنْهُ.^١
- فَكُلُّ مَدِينَةٍ مَوْضُوعَةٍ فِي جِهَةِ الْمَشْرِقِ فِيهِ أَشَدُّ اعْتِدَالًا وَأَقْلُ اسْتِقَامًا، لِأَنَّ
الشَّمْسَ تُصَفِّي تِلْكَ الْمِيَاهُ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا. وَالْمَدُنُ الْمَوْضُوعَةُ بِأَزَاءِ الْمَغْرِبِ تَكْثُرُ
أَمْرَاضُ أَهْلِهَا، لِأَنَّ مِيَاهَهُمْ كَدِرَةٌ مُتَغَيِّرَةٌ وَهَوَاءُهُمْ غَلِيظٌ لِأَنَّهُ يُبْقِي تِلْكَ الرُّطُوبَاتِ
فِيهِ فَتَعْلُظُ مِيَاهُهُمْ، وَالْمَدُنُ الْمَوْضُوعَةُ عَلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ تَكُونُ مِيَاهُهَا حَارَّةً كَدِرَةً
مُتَغَيِّرَةً مَالِحَةً لِيَنَّهُ تَسْخُنُ فِي الصَّيْفِ وَتَبْرُدُ فِي الشِّتَاءِ. وَأَبْدَانُ أَهْلِهَا رَطْبَةٌ لِيَنَّهُ لَمَّا
يَنْجَلِبُ إِلَيْهَا مِنَ الرُّطُوبَاتِ مِنْ أَرْضِهِمْ. وَتُكْثِرُ نَسَاؤَهُمُ الْإِسْقَاطَ بِسَبَبِ الرُّطُوبَاتِ
وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِضَعْفِ رُؤُوسِهِمْ، لِأَنَّ كَثْرَةَ ذَلِكَ يَعْثُرُ
أَذْمِغَتَهُمْ وَيُغَيِّرُهَا وَقَلَمَّا يَغْرِضُ لَهُمُ الْحُمَمِيَّاتِ الْحَارَّةَ.

(a) لدى المسعودي: «أن البحر مستدير على مواضع الارض».

(b-b) في التنبيه والإشراف: «والعامر المسكون منها على أقسام أحدها مفراط الحر وهو ما كان من جهة

الجنوب».

^١ قارن: المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٧ وانظر أيضا: التنبيه والإشراف، ص ٢٣.

والمُدُنُ المَوْضُوعَةُ فِي جِهَةِ الشَّامِ عَلَى إِزَائِهِ فَإِنَّ مِيَاهَهَا فَاسِدَةٌ رَطِيئَةٌ ثَقِيلَةٌ
 التُّضَجِ وَأَهْلِهَا ^(a) [أَقْرَبِيَاءَ أَشْدَاءَ عِرَاضِ الصُّدُورِ دِقَاقِ السُّوقِ رُؤُوسَهُمْ صَحِيحَةٌ
 يَابِسَةٌ وَأَعْمَارُهُمْ] ^(a) طَوِيلَةٌ لِحَصَّةِ أَبْدَانِهِمْ وَكَثْرَةِ فُضُولِ الرُّؤُوسِ. ٢
 وَتَكُونُ أَخْلَاقُهُمْ وَخَشِيئَتُهُمْ، وَيَقِلُّ حَمْلُ نِسَائِهِمْ، لَكِنَّهُمْ لَا يُسْقِطُنَ لِبَرْدِ الْمَاءِ
 وَيُبْسِهِ وَيَلِدْنَ بِشِدَّةٍ وَضَعُوبَةٍ، وَتَتَسَّعُ لَذَلِكَ صُدُورُهُنَّ، وَإِنَّمَا رَقَّتْ سُوقُهُنَّ لِارْتِفَاعِ
 الْحَرَارَةِ عَنْهَا، وَيُكْثِرُنَ الْأَكْلَ وَلَا يُكْثِرُنَ الشَّرَابَ. قَالَ: وَسُكَّانُ نَاحِيَةِ الْجَنْتُوبِ سُودٌ ٦
 جَعَادَ رِقَاقِ الْكُعُوبِ كُحْلُ الْعَيُونِ سُودَ الشُّعُورِ خِفَافِ اللَّحُومِ، فِيهِمُ الْحِفْظُ
 وَالذِّكَاؤُ وَالْبِرُّ [وَالْكَذِبُ] ^(b) وَالطَّرْبُ وَالْحِرْصُ وَالسَّرِقَةُ.
 وَسُكَّانُ نَاحِيَةِ الصَّبَا أَقْرَبُ شَبْهًا بِأَهْلِ نَاحِيَةِ الْجَنْتُوبِ وَهُمْ دُوْنَهُمْ ^(c) [فِيهَا
 وَصَفَتْ، وَسُكَّانُ نَاحِيَةِ الدَّبُورِ أَقْرَبُ شَبْهًا بِأَهْلِ نَاحِيَةِ الْجَنْتُوبِ وَهُمْ دُوْنَهُمْ] ^(c).
 وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ يَخْتَلِفُونَ فِي هَيْئَاتِهِمْ، فَأَمَّا سُكَّانُ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْهُمْ فَقَرِيبٌ شَبْهُهُمْ
 مِنْ سُكَّانِ نَاحِيَةِ الْجَنْتُوبِ، وَسُكَّانُ نَاحِيَةِ الصَّبَا قَرِيبٌ شَبْهُهُمْ بِنَاحِيَةِ الشَّامِ. ١٢
 وَأَهْلُ [١٠٤] الْهِنْدِ مِمْتَرِجُونَ لِأَنَّ بِلَادَهُمْ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَالْجَنْتُوبِ ^١.
 وَلِذَلِكَ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ وَاعْتَدَلَتْ. وَكَذَلِكَ مِنْ كَانَتْ
 مَحَلَّتُهُ بَيْنَ الشَّامِ وَالْجَنْتُوبِ وَهُمْ أَعْدَلُ مَزَاجًا وَأَحْسَنُ عُقُولًا. ١٥

(a-a) التمة من المختصر.

(b) تمة من المختصر.

(c-c) ساقطة من الأصل، والتمة من المختصر.

^١ قارن: المختصر [باب في مدح البناء]، ص ١٥١-١٥٢.

- وأهل مِصرَ أهلُ غَفْلَةٍ وَقَلَّةُ فِطْنَةٍ. والبربرُ الفِطْنَةُ فيهم فاشية، وليس فيهم كبيرٌ ولا لهم مَكْرٌ. والرُّومُ لهم صِلْفٌ^١ وتكَلَّفٌ. وأهلُ الشَّامِ أهلُ غَفْلَةٍ وسَلَامَةٍ. وأهلُ الحِجَازِ أهلُ معَاذِفٍ وهو ومُدَاعِبَةٌ وتَأْنِيثٌ.
- ٣ وأهلُ العِراقِ أهلُ فِطْنَةٍ وَعَدْرٍ، وأهلُ الهِنْدِ أهلُ غَفْلَةٍ وسَجَاعَةٍ ولِينٍ. وأهلُ الصِّينِ أهلُ طَلَبٍ وَخِفَّةٍ وَجُبِينٍ وَحَذِقٍ بالصَّنَاعَاتِ. وأهلُ اليَمَنِ أهلُ غَفْلَةٍ وَخِفَّةٍ ولِينٍ. وأهلُ حُرَّاسَانَ أهلُ غَفْلَةٍ وَيُخْلِ وَجِرْصٍ وسَجَاعَةٍ.
- ٦ وقال بَقْرَاطٌ^٢ في كِتَابِ الأَهْوِيَةِ والبُلْدَانِ: إنَّ ما كان في الأَمْصَارِ مُقَابِلَ شَرْقِ الشَّمْسِ، فرياحُه سَلِيمَةٌ ومَاؤُهُ عَذْبٌ وأهلُه قَلَمًا يضرُّهم تَغْيِيرُ الهَوَاءِ، وكان يقول:
- ٩ المِياهُ التي تَنْبُعُ من مَوَاضِعِ مُشْرِقَةٍ ومن تِلَاعٍ^٣ وَرَوَايِ أَفْضَلِ المِياهِ وَأَصْحَها، وهي عَذْبَةٌ وبُلْدانُها أَصْحُ البِلادِ ولا تَحْتَاجُ إلى كَثْرَةِ مَرْجِ الشَّرَابِ، ولا سِيَّما الشَّرْقِيِّ والصَّيْفِيِّ، لِأَنَّها تَكُونُ [بَرَّاقَةً]^٤ طَيِّبَةً الرِّيحِ اضْطِرَّارًا.

^٤ ساقطة من الأصل، والتمة من المختصر.

^١ الصلف: هو التجاوز في الظرف والادعاء والتكبر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، [مادة: ص ل ف] ج ٩، ص ١٩٦-١٩٧.

^٢ بقراط بن إيراقليس، أشهر أطباء العالم القديم، ويطلق عليه بقراط الكبير والحكيم الإلهي، صاحب تصانيف توفي على الأرجح سنة ٣٥٧ ق.م. انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٢٧١-٢٧٤؛ ابن جُلجُل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م، ص ١٦-٢٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص ٩٠-٩٥؛ فؤاد سيزكين: نصوص ودراسات حول بقراط عند العرب، سلسلة الطب الإسلامي، فرانكفورت، ١٩٩٦ م.

^٣ التلاع جمع تلة: وهي مجرى الماء من أعلى الوادي. انظر: ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ج ١، ص ٤٠٣.

وقال قسطنطوس^١ في كتاب الفلاحة: أضلح مواضع البنيان أن يكون على تل أو كرش^٢ (أ)^٤ وثيق ليكون مطلاً، وأحق ما جعلت إليه أبواب المنازل وأفنيئها وكواؤها المشرق واستقبال الصبا.

فإن في ذلك صلاح الأبدان لسرعة طلوع الشمس ومرها^٥ عليهم^٣، وأن توسع البيوت ويرفع سمنكها، وتكون أبوابها إلى المشرق لأن ريح الجنوب أشد حراً وأثقل وأسقم. وأصح البلدان ما كانت على الجبال والأماكن التي تواجه مهب الصبا، وما كان في قعور وأغوار ومواجهة لريح الجنوب، أو الدبور فهي مواضع رذية مولدة للأمراض.

والصواب أن تتخذ الدور بين الماء والمشرق، وأن تكون شرقية والبساتين غربية. ومن قرب منزله من النهر كان أقل آنية من [١٠٤ظ] بعد عنه، وقالوا: لتكن دوركم شرقية وضياعكم غربية.

(أ) في المختصر: كبس.

(ب) في المختصر: وضونها.

^١ الحكيم قسطنطوس بن سكوار أسكينه، صاحب كتاب الفلاحة الرومية، ترجمه: سرجس الرومي، من اليونانية إلى العربية، ويشتمل على اثني عشر باباً - وعربه أيضاً: قسطا بن لوقا البعلبكي المتوفى سنة ٣١١هـ/٩٢٤م. للمزيد انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة بيروت المصورة عن طبعة مكتبة المنشي ببغداد، سنة ١٩٤١م، ج ٢، ص ١٤٤٧.

^٢ الكرش: كل ما علا من الأرض كالجبال والمضاب. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ك ر ش]، ج ١٧، ص ٣٥٣.

^٣ قارن: مختصر الكتاب، ص ١٥٢-١٥٣؛ وانظر: ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج ١، ص ٤٣٢.

وقال ابن كَلْدَةَ^١: جَمِيعُ خِصَالِ الدَّارِ أَنْ تَكُونَ عَلَى طَرِيقِ نَافِذٍ، وَمَاؤُهَا يَخْرُجُ
 وليس عليها مُشْرِفٌ وَحُدُودُهَا لَهَا، وَتَكُونُ بَيْنَ المَاءِ وَالسُّوقِ، وَتَصْلُحُ أَفْنِيتُهَا لِحَطِّ
 ٣ الرِّحَالِ وَبَلِّ الطَّيْنِ وَمَوْقِفِ الدَّوَابِّ، وَإِنْ كَانَ لَهَا بَابَانِ فَذَلِكَ أَمْتَلٌ،
 وَكَانَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ^٢ يَقُولُ: شَرَقِيٌّ كُلُّ بَلَدٍ أَفْضَلُ مِنْ غَرْبِيَّةٍ. وَكَانَ يَقُولُ:
 ٤ (أ) الْجَارُ نَمَّ الدَّارُ كَمَا الرَّفِيقُ نَمَّ الطَّرِيقُ (أ).

وقال يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ^٣: دَارُ الرَّجْلِ دُنْيَاهُ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَنَوَّقَ فِي دِهْلِيْزِهِ^٤، فَإِنَّهُ وَجْهُ
 ٦ دَارِهِ وَمَنْزِلُ صَيْفِهِ، وَجَلِيسُ صَدِيقِهِ إِلَى أَنْ يُؤَدِّنَ لَهُ، وَمُسْتَرَاخُ خَدَمِهِ، وَمَوْضِعُ
 مَوْدَبٍ وَوَلَدِهِ (ب)، وَمُنْتَهَى حَدِّ الْمُسْتَأْذِنِ عَلَيْهِ.

(أ-ب) في المختصر: «وتكون نقي الجوار لأن الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق».

(ب) في المختصر: المعلم.

١ الحارث بن كلدَةَ بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف، طبيب العرب المشهور، وكان شاعرًا حكيمًا، من
 أهل الطائف، رحل إلى بلاد فارس رحلتين فأخذ الطب عن أهلها. وتعلم الضرب على العود بفارس
 واليمن. انظر في ترجمته: الأمدي: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض
 شعرهم، ص ٢٢٦؛ ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص ١٠٩.

٢ إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو وائلة: ولي قضاء البصرة، فكان يضرب به المثل في الفطنة والذكاء
 والفراسة، كان عجيب الفراسة، ملها وجيها عند الخلفاء، قال عنه الجاحظ: أنه من مفاخر بني مضر. وتوفي
 بواسطة سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٥؛
 وكيع: أخبار القضاة، ج ١، ص ٣١٢-٣٢٥.

٣ انظر ترجمته فيما تقدم ص ٢٨٦.

٤ يتنوق بمعنى يتأنق، والمعنى: أن يعتني بأمر دهليز داره فيوسعه ويجوده، ويبالغ في تنظيفه وأثاثه.
 انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ٩، ص ٢٤٤.

ولَمَّا قَدِمَ مُوسَىٰ بن جَعْفَرٍ^١ عَلَى المَهْدِيِّ، كَلَّمَهُ فِي رَدِّ فَذَكَ^٢. فَقَالَ لَهُ: أَنَا نَاطِرٌ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَيْنَ حُدُودَهَا؟ قَالَ: أَمَّا الْأَوَّلُ: فَعَرِشُ مِصْرَ.

وَالثَّانِي: دَوْمَةُ الجَنْدَلِ. وَالثَّلَاثُ: أَحَدُ. وَالرَّابِعُ: سَيْفُ البَحْرِ طَرْفُهُ. فَقَالَ المَهْدِيُّ: هَذِهِ الدُّنْيَا كُلُّهَا؟! فَقَالَ مُوسَىٰ بن جَعْفَرٍ: هَذَا كَانَ فِي أَيْدِي اليَهُودِ فَأَفَاءَهُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ^٣.

وَكَانَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ ثِقِيفِ دَيْنٍ فَطُولَبَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: بَعِ أَرْضَكَ وَأَقْضِ دَيْنَكَ وَأَرِحْ نَفْسَكَ. فَقَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَبِيْعَ التُّرَابِ حَتَّى نَصِلَ إِلَى التُّرَابِ^٤.

وَقَالَ عِيسَىٰ بن بِشْرِ الكُوفِيُّ: أَرَدْتُ شِرَاءَ دَارٍ، فَسَأَلْتُ جَعْفَرَ بن مُحَمَّدٍ^٥ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: اشْتَرَاهَا، فَإِنَّ الدَّارَ مَكْرُومَةٌ. وَفِي بَعْضِ الخَبَرِ قَالَ: مِنْ قَدِيمِ بَلَدًا فَأَخَذَ مِنْ تُرَابِهِ وَجَعَلَهُ فِي مَائِهِ وَسَرَبَهُ، عُرِفَ مِنْ وَبَائِهِ.

^١ موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، توفي بالبصرة سنة ١٨٣هـ/٧٩٢م. انظر في ترجمته وأخباره: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٥، ص ١٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٧٠-٢٧٣.

^٢ فذكَ: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٨.

^٣ قارن هذا الخبر بما أورده الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٦٠.

^٤ انظر مختصر الكتاب، ص ١٥٤.

^٥ جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين القرشي، الملقب بالصادق، سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية. من أجلاء التابعين، ولم يعرف عنه الكذب قط. توفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م.

انظر في ترجمته وأخباره: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٩٨-٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٦٠-٢٦٩.

وقال قتيبة بن مسلم^١: للحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْدِرِ: ما السرور؟! قال: امرأةٌ حسناء،
ودارٌ قوزاءٌ وفرسٌ مُرتَبَطٌ بالفناء^٣.

٣ وقيل لرجلٍ بنى دارًا وأعظمَ النِّفَقَةَ عليها: ما أشدُّ ما مرَّ عليك في بناءِ هذه
الدار؟!^(a) قال: أشدُّ ذلك جميعًا فإنَّما الفَعْلَةُ، وأسهلُ الأمور النِّفَقَةُ^(a).

وقال بعضهم: سَعَةُ الدَّارِ تَزِيدُ فِي عَقْلِ الرَّجُلِ، كما أَنَّ ضَيْقَهَا تَنْقُصُ مِنْ عَقْلِهِ،
٦ وذلك أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ ضَيْقَ الْمَسْكَنِ فَدَخَلَ إِلَيْهِ دَاخِلٌ فَيَضِيقُ عَقْلَهُ عِنْدَ حُرْمِهِ،
مَخَافَةَ أَنْ تَبْدُو مِنْهُنَّ عَوْرَةٌ [أَوْ عَثْرَةٌ]^(b)، أَوْ يَظْهَرَ مِنْهُنَّ مَا لَا يَجِبُ ظُهُورَهُ. فَإِذَا كَانَ
وَاسِعَ الْمَسْكَنِ [١٠٥] فَجَمِيعُ عَقْلِهِ مَعَهُ.

٩ وذكر بيهود بن القردمان^٤: أَنَّهُ لَمَّا فَرَعَ مِنْ بِنَاءِ الدَّارِ الَّتِي بُنِيَتْ لِأَنْوَشِرَوَانَ
بِالْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَعْلَمَ بِذَلِكَ. فَأَمَرَ الْمُتَجَمِّينَ بِاخْتِيَارِ يَوْمٍ لِيَسْتَقَلَّ إِلَيْهَا فِيهِ. فَفَعَلُوا
ذَلِكَ. فَلَمَّا دَخَلَهَا وَقَدْ نُصِبَ سَرِيرُهُ وَسُدِّلَتْ سُتُورُهُ وَهَمِيَ لَهُ تَاجَهُ.

(a-a) في المختصر: «أسهل الأمور النفقة وأعظمها معاذة الفعلة».

(b) التهمة من المختصر.

^١ مرت ترجمته ص ٤٨٢.

^٢ الحُضَيْنِ بْنِ الْمُنْدِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ الرَّقَاشِيِّ، مِنَ التَّابِعِينَ، صَاحِبِ رَايَةِ عَلِيِّ يَوْمَ صَفِينِ، وَتُوفِيَ سَنَةَ
٧٩٧/٧١٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٥٥؛ طبقات خليفة بن
خياط، ص ٣٤٢؛ الدارقطني: المؤتلف والمختلف، ج ٢، ص ٥٥٣.

^٣ الخبر بتامه لدى كل من: الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٢٠؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار: ج ١، ص ٣٦٧.
^٤ لم أجد له ترجمة.

^٥ أنوشروان بن قباد. وقد مرت ترجمته ص ٣٤٢.

فلما استوى على السرير ورأى بهاتها وحسنها وجلالة فرشها وآلتها، استعبر
 عند ذلك باكيًا لحطرة خطرت بباله من ذكر الموت وقال: إذا كان سرور الدنيا
 ٣ الذي يمنعه فناؤه وكثرة ما يتوبه من العاهات، فكيف يسرور الآخرة مع بقائه
 وخلوصه من كل مكروه؟! وإن في هذا لعة ينجي ألا تسقط على ذي حجبى،
 فيرفض الكثير الفاني للقليل الباقي، وما أحسبنا إلا ونجد إسرافنا من الدنيا فيما
 ٦ رفضنا من مخفوض محالها وأشخصنا الأبصار إلى ما تطأ من أعلام غورها،
 ونحن أخرياء أن نوجه ذلك جهته، فيكون غفرانا لما بلغت الدنيا فينا من نهمتها.

ثم قال: أيها الناس! إن الذي بلغنا منه بأقصى قدرتنا لا يمتنع من الخراب
 ٩ والبلى بتوزيعنا إيائه وفقدته إيانا، وإن مداه قليل الغنا عتًا عند طول الأجل بنا.

ثم نادى بمناديه أن الملك يعزم على كل من حصر إلا قام فأخبر بعبء إن عرفه
 في بناء الملك، فأحجم الناس جميعًا عن ذلك، فأقام رجلٌ دميم المنظر رث الهيئة
 ١٢ فقال: إن الملك قد عزم علينا بما عزم، فلو لا التأثم من عزمه لكان موضوعًا عتًا ما
 أمر به، فلذلك نستحيز أن نقول ما وافقه أو خالفه.

ومن غيوب بئانه أنه بُني في هبطة من الأرض لا تقع عليه العيون حتى تقرب
 ١٥ منه، وأولى المواضع ببناء المدن والدور المشرف من الأرض ليعلو على ما حولها،
 وتنظر [ها] الوفود من بعد، ومنها أن منزل نساءه أعلى منزله، وذلك دليل في
 الطيرة على أن أمر النساء سيعلو على أمور الرجال.

ومنها: أَنَّ حَقَّ صَحْنِ الدَّارِ أَنْ يُعَمَّرَ بِالْحَدَمِ وَالْحَاشِيَةِ، وَكَثْرَةُ مَنْ يَدْخُلُ وَيُخْرَجُ. وَهَذَا الصَّحْنُ يُفْضَلُ عَنْ حَاشِيَةِ الْمَلِكِ وَخَوَاصِهِ وَيَتَّسِعُ عَنْهُمْ.

٣ وأخرى ولسنتُ أذكرها، فإن يكن الملك قد عرفها [١٠٥ظ] وإلا فليغفني من ذكرها. فقال له أتوشروان: كأنك تقول إنني لم أنفق فيما علمتُ من هذا دِزَهَمًا من بيوتِ أموالنا، وإنما عملتُ ذلك مما أفاءت علينا أطرافُ الأسيَّةِ ونُحُورُ الحَيْلِ من أموالِ أهلِ حَرْبِنَا، وأعداءِ أهلِ مِلَّتِنَا الْمُكْتَنَفِينَ لِحُوزَتِنَا. قال: لئن قال الملكُ ذلك فما أفاء دِزَهَمًا إلا بإثلافِ رَاسِي من رُؤُوسِ أَسَاوِرَتِهِ وَلَا عِوَضٍ مِنْهُمْ بِمَا خَطَرَ بِهِمْ فِيهِ وَعَرَّضَهُمْ لَهُ. فَهَذَا الَّذِي عِنْدِي مِنْ عُيُوبِ هَذَا الْبِنَاءِ.

٩ فقام رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَةَ هَذَا فِي عَيْبِ مَا عَابَ فِي بِنَاءِ الْمَلِكِ. وَإِنَّا لَنَقُولُ مِثْلَ قَوْلِهِ عَنْ فَضْلِ طَاعَتِهِ مِئَةً وَرِضَا مَنَّا عَنْهُ. فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الْإِسْحَاطِ لِلَّذِي رِضَاهُ خِلَافَ رِضَانَا، وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ أَبَاهُ بِجَهَالَةٍ بِمَا فِيهِ، فَلَيْسَ بِأَضْعَفَ الْخَطَايِنِ وَلَا أَقْلَهُمَا، فَبِمَا لَزِمَهُ مِنْ وِزْرِهِ، بَلْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَةٍ فِيهَا لَا نَشْكُ فِيهِ مِنْ التَّقْصِيرِ عَنْ شُكْرِهِ، لَكَانَ الْمَلِكُ هُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ.

١٥ وأشدُّ من هذا وأفحش أن الملكَ عسى أن يقول: إنني إنما أردتُ بما شئدتُ من هذا البناءِ إعزازَ الدِّينِ وَتَفْخِيمَ أَمْرِهِ. فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مُوَافِقًا لِأَمْرِ الدِّينِ، أَوْ يُعَزِّزُ أَحَدَهُمَا إِلَّا بِمَا أَذَلَّ الْآخَرَ، فَقَدْ صَدَقَ فِي ظَنِّهِ، وَكَذَلِكَ الْعَائِبُ لَهُ، وَإِلَّا فَالْعَيْبُ فِي ذَلِكَ لَا زِمَ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ.

وقام آخر فقال: قد سمعت أئبا الملك ما قالا وسباني به. وأنشد منه وأعيب إن
 كان خاصة الملك وأحباؤه لم يجهلوا هذا وأغضوا عليه فلم يؤد أحد منهم إليه شيئا
 من حقه في تبينه له، أو جهلوه ولم يعرفوه. فكل أحد أغنى له وأفصح منهم له،
 وأحق بالموضع الذي وضعهم به. ثم أطرق الناس.

فقال الملك خافضا صوته: قد علمنا أن أم الفواحش لم تكن لتسوغنا ما هجينا
 به من مجلسنا هذا حتى يكدره علينا من طمع في ذلك من ورائها فقد لزمته الحيرة
 والخطأ. ثم سأل عن النفر المتكلمين فإذا هم قوم متظلمون: اثنان من أهل تشر
 والآخر من أهل أزدشيرخره، فأمر بإنصافهم.

٩ وأنشد أبي محمد القاسم بن يحيى المرتضى في بناء دار [١٠٦] (شعر):

[البسيط]

أتمها الله من دارٍ وأكملها	وبالأمان من الآفات ظللها
الله ما هي أهبها وأنبلها	الله ما هي أخلاها وأشكلها
هذا تلوؤها قبل التمام فلو	تمت حمت كل ذي طرف تأملها
الله جللها نورا وجملها	وبالحسين فتى الأفضال فضلها
سبحان خالقه سبحان خالقها	سبحان من منه بالتشريف سربلها
لم يبق في الدور بل في الأرض من	حسني إلا وأصبح مجموعا بها ولها
فالحسن خارجها والحسن داخلها	والحسن يضحك أعلاها وأسفلها
لو كملت صورة من حسنها بشرًا	لكملت وهي بمثل ممثلها
كأنها غادة أهدت لمالكها	عشقا فوشحها حينا وكللها

حبا أعاليها من عسجدٍ بدعا صيغت وبالدرِّ والمرجان فصلها
 ما يبصر المرء فيها بدعةً بعدت إلا رأى حنرةً ألا يقبلها
 كأنها ذرةٌ بيضاء أبدرها لا تعرف العين أخراها وأولها
 كأنها روضةٌ زهراء ناضرةٌ جاد الحيا زهرها لئلا فأخصلها
 كأنها جنةٌ الفردوس أنزلها إليه ذو العرش إكرامًا لينزلها
 لم يقض في مصر أن تبدو محاسنها إلا ليؤمنها من أن يزلزلها
 في بقعةٍ حرّةٍ كالمسك تزيئها فلم يكن لسوى حرٍّ ليجعلها
 لقد حبا داره منه وحوها فتى يرى الأرض نزرًا أن يحوها
 لم يبينها ويوسع بابَ مدخلها إلا ليقصدها الرّاجي ويدخلها
 فلن يساويه حرٌّ فيعدله حتى تساويها دارٌ فتعدله

[ما جاء في دمّ النبأ]

[١٠٦] وقد كره قومُ النبأ ودمّوه، ورووا في ذلك أخبارًا كثيرةً، أنا ذاكِر

بعضها إن شاء الله: رَوُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ مِنْ نَفَقَةٍ فَعَلَى اللَّهِ
 ٣ خَلْفَهَا ضَامِنًا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَفَقَةٍ فِي بُيُوتِ أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ»^١.

^١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى
 أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرَغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِيَّاهِ أَخِيكَ. مسند الإمام أحمد، حديث رقم ١٤٩٣٦؛ بينما أخرجه
 الدارقطني في سننه بلفظ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَنَفْسِهِ كُتِبَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا وَقَى بِهِ
 الْمُرءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ، وَمَا أَنْفَقَ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّ خَلْفَهَا عَلَى اللَّهِ ضَامِنٌ، إِلَّا مَا كَانَ فِي بُيُوتِ أَوْ
 مَعْصِيَةٍ». حديث رقم ٢٨٩٥، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م،

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ هَوَانًا، أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الْبُنْيَانِ^١.

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ^٢ بن زُخْرٍ: مَنْ كَسَبَ مَا لَا حَرَامًا بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُتَّصِرَاتٍ مِنْ

الأَرْضِ. وقال مروانُ لأبي هُرَيْرَةَ: اكْتُبْ لَنَا شَيْئًا نَذُكُّكَ بِهِ. فقال: تَبْنُونَ مَا لَا

تَسْكُنُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، قال: اكْتُبْ لَنَا غَيْرَ هَذَا.

قال: مَا عِنْدِي غَيْرُهُ^٣.

وقال الله ﷻ فِي دَمِّ الْبِنَاءِ: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ

لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨]. ودخل النبي ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

رَوَاحَةَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ بِمَسَاحَتِهِ. فقال ما هذا؟ قال أَرَدْنَا أَنْ نَمْسَحَهُ ثُمَّ نَسْأَلُ فِي

الْأَنْصَارِ فَنَبِيَّهُ مِثْلَ الْمَسْجِدِ الَّذِي بِالشَّامِ. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خُشِّيَاتٍ وَثِيَامٍ، ظِلَّةٍ كَظَلَّةِ

مُوسَى وَالْأَمْرُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»^٤.

^١ في الأصل: عبد الله.

^١ لم أقف على هذه الرواية في أي من المظان المعتمدة.

^٢ عُبَيْدُ اللَّهِ بن زحر الضمري الإفريقي، ولد بأفريقية ودخل العراق في طلب العلم، ضعيف متروك الحديث.

انظر في ترجمته: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٥، ص ٣١٥؛ المجروحون لابن حبان، ج ٢، ص ٢٦-٣٦؛

المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٩، ص ٣٦-٣٩.

^٣ جاء مضمون هذه الرواية في أكثر من مصدر منسوبة لأبي الدرداء، في وصية منه لأهل حمص وقيل لأهل

دمشق، وليست من مرويات أبي هريرة. ونصها كالتالي: «... يأهل دمشق، مالكم تجمعون ما لا تأكلون،

وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون...» قارن: ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٥٧؛ ابن

عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٧، ص ١٣٣-١٣٤.

^٤ لم أعر في أقوال النبي ﷺ على حديث بهذا اللفظ لا صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً.

وقال إسحاق بن سويد^١: كانت المساجد بالقصبِ مُدَّةً، ثمَّ صارت بالرَّهصيِّ حينًا، ثمَّ صارت باللَّبَنِ [والطَّيْنِ]^(أ)، زَمَنًا، ثمَّ صارت بالأَجْرِّ [والجِصِّ]^(ب)، فكان أصحابُ القصبِ خَيْرٌ من أصحابِ الرَّهصيِّ، وأصحابُ الرَّهصيِّ خَيْرٌ من أصحابِ اللَّبَنِ [والطَّيْنِ]^(أ)، وأصحابُ اللَّبَنِ [والطَّيْنِ]^(أ)، خَيْرٌ من أصحابِ الأَجْرِّ [والجِصِّ]^(ب).

وقيل للمسيح عليه السلام: لو اتَّخَذْتَ بَيْتًا جَدِيدًا. قال: يَكْفِينَا حُلُقَانُ من كان قَبْلَنَا. وقال حذيفةُ لسَلْمَانَ^٢: أَلَا تَبْنِي لَكَ بَيْتًا؟ فَكَأَنَّهُ كره ذلك فقال حذيفةُ: زُوَيْدًا حتَّى أُخْرِكَ، أي ابنِ لكَ بَيْتًا إذا اضْطَجَعْتَ فيه كان رَأْسُكَ من هذا الجَانِبِ ورجلك من الجَانِبِ الأَخر، وإذا قُمتَ أَصَابَ رَأْسُكَ سَفْفُهُ. قال: كَأَنَّكَ كُنْتَ في نَفْسِي.

ولما بنى مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه الخُضْرَاءَ قال لأبي مُرَيْرَةَ: كيف تَرى هذا البِنَاءَ؟ قال: إنَّ كُنْتَ بَنَيْتَهُ من مَالِ الله فَإِنَّكَ من الحَائِثِينَ، وإنَّ كُنْتَ بَنَيْتَهُ من مَالِكَ فَإِنَّكَ من المُسْرِفِينَ^٣.

(أ) تَمَّة من المَخْتَصِر.

(ب) تَكْمَلَة من المَخْتَصِر.

^١ إسحاق بن سويد بن هيرة العدوي البصري، من التابعين الثقات، توفي سنة ١٣١هـ/٧٤٩م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٤٣؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج١، ص٣٨٩؛ ابن حبان: الثقات، ج٦، ص٤٧.

^٢ الصحابيَّان الجليلان حذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي.

^٣ ذكر ابن عساکر أن هذا الحوار كان بين عبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن الحارث، انظر: تاريخ دمشق ج٢٩، ص٤٠.

وكان الثوريُّ يقول: ما أنفقتِ دِرْهَمًا قَطُّ في بِنَاءِ.

وَبَلَغَ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ عُمَّالِهِ يُقَالُ [١٠٧] لَهُ هَارُونَ جَصَّصَ بَيْتِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ

٢ إِلَى هَارُونَ بْنِ أُمِّ هَارُونَ وَبَيْتِهِ الْمُجَصَّصِ.

وَبَنَى ابْنُ مُسْعُودٍ فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ: بَنَيْتَ شَدِيدًا، وَتَأْمَلُ بَعِيدًا، وَتَمُوتُ قَرِيبًا. وَبَنَى

رَجُلٌ بِنَاءً عَالِيًا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الزُّهَادِ: نَزَلَتْ حَيْثُ رَحَلَ النَّاسُ.

٦ وَأَنْشَدَ (شِعْرًا):

[البسيط]

أَبْعَدَ عَادٍ تَرْجُونَ الْخُلُودَ وَهَلْ يَنْقَى عَلَى الدَّهْرِ بَيْتَ أَشْهُ الْمَدْرُ

إِلَى الْفِرَاقِ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُمْ يَصِيرُ كُلُّ بَنِي أُمِّ وَإِنْ كَثُرُوا

وَبَنَى رَجُلٌ دَارًا فَقَالَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: كَيْفَ تَرَى هَذَا الْبِنَاءَ؟ قَالَ: أَمَّا أَهْلُ

الْأَرْضِ فَعَزَّوْكَ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّمَاءِ فَمَقْتُوكَ. وَقَالَ الْحَسَنُ لِرَجُلٍ بَنَى بُيُوتًا عَالِيًا:

٩ عَمَدَتْ إِلَى رِزْقِ اللَّهِ فَجَعَلْتَهُ فِي رَأْسِ قَصْرِ جَبَّارِ.

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: لَمَّا بَنَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ [بِنِ ابْنِهِ] الْبَيْضَاءَ^(ب) بِالْبَصْرَةِ أَمَرَ وَكَلَاهُ

أَنْ لَا يَمْنَعُوا أَحَدًا دَخُولَهَا، وَأَنْ يَحْتَفِظُوا كَلَامًا مَا إِنْ تَكَلَّمَ بِهِ إِنْسَانٌ. فَدَخَلَهَا

١٢ أَعْرَابِيٌّ، وَكَانَ فِيهَا تَصَاوِيرٌ فَتَأْمَلَهَا ثُمَّ قَالَ: لَا يَتَنَفَّعُ بِهَا صَاحِبُهَا، وَلَا يَلْبَثُ فِيهَا إِلَّا

قَلِيلًا، فَأَتَى بِهِ ابْنُ زِيَادٍ وَأَخْبَرَ بِمَقَالَتِهِ فَقَالَ لَهُ: لِمَ قُلْتَ هَذَا؟! قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ أَسَدًا

^(أ) تئمة من ياقوت.

^(ب) لدى القزويني: «دارا عجيبة سبأها البيضاء»

كَالِحًا، وَكَلْبًا نَابِحًا، وَكَبْشًا نَاطِحًا. فكان الأمر على ما قال. لم يَسْكُنْهَا إِلَّا يَسِيرًا
حتى أخرجهُ أهل البَصْرَةِ إلى الشَّامِ ولم يَعُدْ إليها^١.

٣ وفي خيرٍ آخر: أَنَّهُ لَمَّا بَنَى الْبَيْضَاءَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْمَعُوا مَا يَقُولُ النَّاسُ^٢،
فَجَاوَوْهُ بِرَجَلٍ فَقِيلَ لَهُ: أَنَّهُ قَرَأَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩].

٦ فقال ما دَعَاكَ إِلَى هَذَا؟ قَالَ: آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَرَضَتْ لِي. فَقَالَ: وَاللَّهِ لِأَعْمَلَنَّ
فِيكَ بِالْآيَةِ الثَّلَاثَةِ ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بِطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠] ثُمَّ أَمَرَ فَبُنِيَ عَلَيْهِ
رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْقَصْرِ.

٩ وَأَنْشَدَ لِبَعْضِهِمْ (شِعْرًا):

[الرجز]

يَا أَيُّهَا الْبَائِي بِنَاءٍ يَفْتَنِي هل أنت مُحْتَمَلٌ فَبَائِي حِصْنَا
مَنْ حَدَّثَ الدَّهْرَ يَكُنْ مُجِبًّا أم لِلْخَرَابِ يَا ضَعِيفٌ بَيْنَا
إِنْ كُنْتَ لَا تَبْقَى فَلِمَ تُعْنَى يَكْفِيكَ بَيْتٌ أَنْ يَكُونَ كُنَّا
أَمَا تَرَى الدَّهْرَ الَّذِي قَدْ أَخْنَى على بَنِي آدَمَ كَيْفَ أَفْنَا
السَّلَفِ الْمَاضِينَ قَرْنَا قَرْنَا فلم يَدَّرْ مِنْهُمْ أَبَا وَلَا ابْنَا

^١ في المختصر: «أن يستمعوا من أفواه الناس»

^٢ نقل ياقوت الحموي هذا الخبر بتامه من ابن الفقيه. انظر: مادة البيضاء، ج ١، ص ٥٣٠؛ وقارن: القزويني:

آثار البلاد، ص ٣١٠.

[١٠٧ظ] وقال بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَقَدْ نَظَرَ لِي قُصُورَ آلِ طَاهِرٍ بِالشَّاذِيَاخِ وَقَدْ خَرِبَتْ^١

(شعر):

[الوافر]

وكان الشاذياخُ مُنَاخَ مَلِكٍ فزَالَ المُلْكُ عن ذَاكَ المُنَاخِ
وكانت دُورُهُم لِلهُوِ وَقَفَا فصارت للنَّوَانِحِ والصُّرَاخِ
فَعَيْنُ الشَّرْقِ بَاكِئَةٌ عَلَيْهِم وَعَيْنُ الغَرْبِ تُسَعِدُ بِانْتِصَاخِ
كَذاكَ يَكُونُ من صَحْبِ التَّرَاخِي فذَاكَ الدَّهْرُ يَعْقُبُهُ التَّرَاخِ^(a)

وقال آخر في ذلك:

[الطويل]

فإن يُمَسِّ وَخَشَا بِبَابِهِ^(b) فَلرَّبِّمَا^(c) تَزاحَمَ^(d) أَفْوَاجًا لَدِيهِ الرِّكَائِبُ
يُحْيُونَ بَسَامًا كَأَنَّ جَبِينَهُ هِلَالٌ بَدَا وَأَنْجَابَ عَنْهُ السَّحَائِبُ
وما غَائِبٌ من غَابٍ يُرْجَى إِيَابَهُ ولكنَّ من قد صَمَمَهُ القَبْرُ غَائِبُ

(a-a) زيادة من المختصر.

(b) في المختصر: داره.

(c) في المختصر: فلطالما.

(d) في المختصر تناطح.

^١ هذه الأبيات ذكرت في المختصر منسوبة إلى الشاعر: محمد بن حبيب الضبي، والتي قالها في دور آل طاهر؛

والشاذياخ: هو البستان الذي اتخذ عبد الله بن طاهر والي خراسان، فلما خطه وتوسع في عمارته صار

ملاصقاً لمدينة نيسابور ثم أصبح بعد ذلك من جملتها. انظر: ياقوت الحموي: مادة الشاذياخ، ج ٣،

ص ٣٠٥-٣٠٧؛ وقارن: مختصر الكتاب، ص ١٧٥-١٥٨.

وقال آخر في ذلك^١:

[الطويل]

فِتْلِكَ قُصُورُ الشَّاذِيَاخِ بِلَاقِعِ
وَأُضْحَتْ خَلَاءَ شَادِمِهْرٍ وَأُضْبِحَتْ
وَعَنَى مُعْنَى الدَّهْرِ فِي آلِ طَاهِرٍ
عَقَا الْمَلِكُ مِنْ أَوْلَادِ طَاهِرٍ مِثْلَمَا^(a)
خَرَابٌ يَبَابُ وَالْمِيَانُ مَزَارِعُ
مَعَطَّلَةٌ فِي الْأَرْضِ تِلْكَ الْمَصَانِعُ
عَقَا جَشْمٌ مِنْ أَهْلِهِ وَالْفَوَارِعُ
فَأَزْهَقَهُمْ دَهْرٌ فَرَدَّ الْوَدَائِعُ^(b)

وقال آخر في البرامكة (شعر):

[الخفيف]

أَوْحَشَ التُّوْبَهَارُ^٢ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرٍ
قُلٌّ لِيَحْيَى أَيْنَ الْكَهَانَةُ وَالسَّخَرُ
أَنْسَبَتِ الْمَقْدَارُ أَمْ زَاغَتِ الشَّمْسُ
كَيْفَ لَمْ تَسْحَرِ السُّيُوفَ فَلَا تَعْمَلُ
إِنَّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ وَبَيْنَهُ
وَلَقَدْ كَانَ بِالْبَرَامِكِ يَغْمَرُ
وَأَيْنَ التُّجُومُ عَنْ قَتْلِ جَعْفَرٍ
عَنِ الْوَقْتِ حِينَ قُمْتَ تُقَدِّرُ
فِي جَعْفَرٍ كَمَا كَانَتْ تَسْحَرُ
أَصْبَحُوا فِكْرَةً لِمَنْ يَتَفَكَّرُ

٣ وقال آخر منهم (شعر):

[الطويل]

مَرَرْتُ عَلَى رَنْجِ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
فَكَادَتْ مَعَانِيهِ تَقُولُ مِنَ الْبَلَى
وَبَاطِنُهُ يَشْكُو الْخَرَابَ وَظَاهِرُهُ
لَسَاتِلُهُ عَنْ أَهْلِهِ مَاتَ عَامَرُهُ

(a-a) زيادة من ياقوت.

(b-b) زيادة من المختصر.

^١ جاءت هذه الأبيات في نص المختصر بعد الخاتمة السابقة، ومنسوبة أيضًا إلى الشاعر: محمد بن حبيب الضبي.

ص ١٧٥؛ قارن: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٦.

^٢ التوبهار: بناء كان للبرامكة بمدينة بلخ. انظر: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٠٧، وما يلي ص ٧٧٨.

وقال آخر (شعر)^١: [١٠٨]

[الطويل]

مَرَرْتُ عَلَى دَارٍ لَطِيْبَاءَ بِاللَّوَى وَدَارٍ لِلَّيْلِ إِتْمَنَ قِفَارُ
فَقُلْتُ لَهَا يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبِلَى وَعَصْرَانِ لَيْلٌ مَرَّةً وَنَهَارُ
فَقَالَتْ نَعَمْ أَفْتَى الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ وَأَنْتِ سَتُفْنِي وَالشَّبَابُ مَعَارُ
لِئِنْ طَلَنْ أَيْامًا بِحَزْوِي لَقَدْ آتَتْ عَلَيَّ لَيْالٍ بِالْعَيْتِي قِصَارُ

وقال يحيى بن معاذ^٢: اضْرَفَ طَرْفَكَ فِي الْقُصُورِ الْمُسَيِّدَةِ، وَالْحُصُونِ الْمُرَدَّةِ،

٣ والأَرْكَانِ الشَّاهِقَةِ، وَالجُدْرَانَ السَّامِيَةَ. وَأَنْظَرَ إِلَى الْأَبْوَابِ الْعَجِيْبَةِ الْبُنْيَانِ كَيْفَ
نُظِمَتْ بِكَيْدِ الْمُحْتَالِينَ، وَإِنْفَاقِ الْمُسْرِفِينَ وَمَهَارَةِ الشَّائِدِينَ، عَرِيضَةَ الْقَوَاعِدِ،
مُحْكِمَةَ الْوَسَائِدِ، مُنِيفَةَ الدَّرِيِّ، صَعْبَةَ الْمُرْتَقَى لِلطَّيْرِ فِي جَوَائِبِهَا وَكُورِ.

٦ وَللْقَطْرِ فِي مَعَالِمِهَا نُدُوبٌ، قَدْ آتَاَتْ عَلَى الْأَبْنِيَةِ بِاعْتِلَائِهَا، وَتَطَاوَلَتْ عَلَى

الهَضَابِ بَارْتِفَاعِهَا، وَأَحْكَمَهَا عَامِلُوهَا وَجَرَدُوا أَفْكَارَهُمْ فِيهَا وَبَدَّلُوا ذَخَائِرَهُمْ
فِيهَا وَأَزَاخُوا عِلْلَ مُشَيْدِيهَا وَبَلَّغُوا أَفْصَى الْأَمَلِ بَيْنِيهَا، وَجَعَلُوهَا عِدَّةً لِلدَّهْرِ،
٩ وَحِصْنًا لِلزَّمَنِ؛ فَمَا يَنَالُهُمْ فِيهَا ثَابٌ مُتَاوِلٌ، وَلَا ظَفْرٌ مُحَاوِلٌ، فِيهَا الْعُيُونُ الْجَارِيَةُ
وَالْقِيَابُ الْعَالِيَةُ وَالْحُجَرُ السَّامِيَةَ.

^١ ذكر ياقوت الحموي هذه الأبيات عند حديثه عن مدينة حرزوى، ج ٢، ص ٢٥٥.

^٢ يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا، الإمام الواعظ الزاهد، لم يكن له نظير في وقته، أقام ببلخ، وتوفي
بنيسابور سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م. انظر في ترجمته وأخباره: أبو عبد الرحمن السلمى: طبقات الصوفية، تحقيق:

محمد عبد القادر عطا، بيروت، ١٩٩٨م؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٦، ص ٣٠٦؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٥.

- والخرد^١ النواعم والأبكار الفواتين يجررن في عرصاتها الذبول، يسطع منهن
 ذكي المسك وأنيق العنبر، ترى باطن حيطانها كلواذية تبرق بياض الطرارة، قد مثل
 ٣ فيها التصاوير من الطير والسباع والبهائم، والنساء المرسلات الشعور القاتبات
 الثغور، إذا تأملها الناظر توهمها تنطق بأدبية الابتهاج، فكانت لهم مساكن مدة من
 الدهر يكلفون بعمارتها، ويفيئون في فئونها نعمتها، ويرتعون في صحن عرصاتها.
 ٦ حتى إذا قصدتهم العزم بائزاز ما في أيديهم من عوارف النعم، وصحبتهم
 المثل بخواطف التكبر فأسلمتهم إلى مدة الفناء ونزعتهم من البقاء، فعادت القصور
 خلاء لا أنيس فيها ولا ديار بها، قد أخذ الحراب في أطرافها، واستحالت إلى تحير
 ٩ القصد محارثها، وتكرت لها الأيام مترجمة عما توول إليه عواقب أمرها، فللرياح
 فيها هتيف، وللجن بها عريف، تصفقها هوج الأعاصير.
 وتنتب في أعراضها أسهم الدهار، يؤقد من منبها عين البلى، وتناولتها يد
 ١٢ الفناء، يحار الطرف في حجراتها وتعجب الأفكار من عرصاتها، لا أنيس فيها ولا
 أحد يجبر عنها، ولا عالم ينبئك عن أهلها، ولا يحدثك عن سكانها، يرتاع قلبك إذا
 دخلتها، وتخفق جوانحك متى تأملتها، ويسرهن اعتبارك [١٨٠ظ] نقوش طيقانها،
 ١٥ وأصباغ حيطانها بعد ما كانت قرة عين الناظرين، عادت عبرة للمتأملين. وكذلك
 فعل الله ﷻ بالعباد وآثاره في البلاد.

^١ لفظة فارسية معربة، تطلق على نوع من الطيور. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٩٠.

[قَصْر شِيرِينَ]

- قال: وكان السَّبَبُ في بِنَاءِ قَصْرِ شِيرِينَ - وهو أَحَدُ عَجَائِبِ الدُّنْيَا - أَنَّ أَبْرُويز
 ٣ الْمَلِكَ^١ [وكان مُقَامَهُ بِقَرْمَيْسِينَ]^٢ أَمَرَ أَنْ يُبْنَى لَهُ بَاغٌ^٣ يَكُونُ فَرَسَخِينَ في فَرَسَخِينَ،
 وَأَنْ يُحْصَلَ فِيهِ مِنْ كُلِّ صَيْدٍ حَتَّى يَتَنَاسَلَ جَمِيعَهُ. وَكُلُّ بَدَلِكِ أَلْفَ رَجُلٍ، وَأَجْرِي
 عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَةَ أَرْغِفَةٍ [مِنَ الخُبْزِ]^٤ وَرَطَلَيْنِ لَحْمًا وَدَوْرَقَ كَحْمٍ.
 ٦ فَأَقَامُوا فِي عَمَلِهِ، وَمَا أَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ فِيهِ مِنَ الصَّيْدِ سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى فَرَعُوا مِنْ
 جَمِيعِ ذَلِكَ. فَلَمَّا تَمَّ وَاسْتَحْكَمَ صَارُوا إِلَى الْبَهْلَبَنْدِ الْمُغْنِيِّ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخْبِرَ الْمَلِكَ
 بِفِرَاعِهِمْ مِمَّا أَمَرَهُمْ بِهِ.
 ٩ فَقَالَ أَفْعَلْ: ثُمَّ عَمَلَ صَوْتًا وَغَنَاءَهُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ، وَسَمَّاهُ "بَاغُ نَخْجِيرَانَ" أَي:
 بَاغُ الصَّيْدِ. فَطَرَبَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لِلصَّنَاعِ بِإِلٍ فَجَعَلُوهُ لِلْبَهْلَبَنْدِ.
 فَلَمَّا سَكِرَ أَبْرُويز قَالَ لِشِيرِينَ: سَلِينِي حَاجَةً، قَالَتْ: حَاجَتِي أَنْ تُصَيِّرَ فِي هَذَا
 ١٢ الْبَاغِ نَهْرَيْنِ مِنْ حِجَارَةِ تَجْرِي فِيهَا الْحَمْرُ، وَتُبْنِي لِي بَيْنَهُمَا قَصْرًا لَمْ يُبْنَ فِي مَمْلَكَتِكَ
 مِثْلَهُ. فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ، وَكَانَ الشُّكْرُ قَدْ عَمَلَ فِيهِ فَأُنْسِي مَا سَأَلْتَهُ، وَلَمْ تَجْسُرْ عَلَى
 أَنْ تُذَكِّرَهُ لَهُ، فَقَالَتْ لِلْبَهْلَبَنْدِ: ذَكَرَهُ حَاجَتِي وَإِلَيْكَ عَلَيَّ أَنْ أَهْبُ لَكَ ضَيْعَتِي

^١ التتمة من ياقوت.^٢ زيادة من ياقوت.^٣ مرت ترجمته ص ٤٣٨.^٤ لفظة فارسية تعني: البستان. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ١٨٣.

بأصبهان، فأجابها إلى ذلك، وعمل صوتًا ذكره فيه ما وعد شيرين وغناه إياه. فقال: أذكرتني ما كنت قد أنسيته،^(a) وأمر ببناء النهرين والقصر^(a) فبني ذلك^(b). ووفت شيرين للبهلبند بضمائها. فنقل عياله إلى هناك، فلذلك صار من يتسبي إليه بأصبهان^٣.

وقال بعض أهل الأدب قرأت على باب قصر خراب في المفاوز هذه الأبيات (شعر):^٦

[البيط]

يأباني القصر كم أنفقت من مالٍ على بنائك هذا والينا بالي
أطمعت نفسك في سكناه مجتهدًا فصار منك ومن يقتني خالي
وعاد بعدك قصرًا لا أنس به لم يبق منه سوى رسمٍ وأطلال
هذا دليل على توحيد خالقنا أرضنا وتنقل من حال إلى حال

[١٠٩] ومَرَّ مُعَاوِيَةُ بُوَادِي الْقُرَى فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ﴾ [الشعراء: ١٤٧] ثُمَّ قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ وَهِيَ بِلَادِ عَادٍ. فَأَيُّ الْعَيْونِ؟ فَجَاءَنَا رَجُلٌ وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ. أَفْتَجِبُ أَنْ أُسْتَخْرَجَ الْعَيْونِ؟ قَالَ نَعَمْ: فَاسْتَخْرَجَ ثَمَانِينَ عَيْنًا، وَعَرَفَ مُعَاوِيَةَ ذَلِكَ فَقَالَ: اللَّهُ أَصْدَقُ مِنْ مُعَاوِيَةَ.^٩^{١٢}

(a-a) لدى ياقوت: «وأمر بعمل النهرين وبناء القصر».

(b) لدى ياقوت: «فبني على أحسن ما يكون وأحكمه».

^١ هذه المادة بتامها لدى ياقوت، مصرحًا بنقلها من ابن الفقيه. انظر: مادة «قصر شيرين» ج ٤، ص ٣٥٨.

وقال مُحَمَّد بن [أبي] عَيْنَةَ المَهْلَبِيِّ^١: البِثْرُ التي بِالْمَاوِيَّةِ^٢ وهي بِثْرٌ عَادٍ لَا يَقْلُ مَاوَهَا، ولو وَرَدَهَا سَائِرُ أَهْلِ الأَرْضِ.

وإياها عنى أَبُو النَّجْمِ العِجْلِيُّ^٣ بقوله (شعر)^٤: [الرجز]

مَنْ نَحَتْ عَادٍ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ

وذكر الكَلْبِيُّ قال: بَيْنَمَا قَوْمٌ مِنْ كَلْبٍ يُعْرِفُونَ بِنَبِيِّ عَمَدِ اللهِ بْنِ كِنَانَةَ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ، وَقَدْ نَحَرُوا جَزُورًا وَمَعَهُمْ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الكَلْبِيُّ^٥، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَقَايَا عَادٍ يُقَالُ لَهُ: عُبَيْدُ بْنُ مَسْهَرٍ، وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ جِسْمًا حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَهَاتَمَ لَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: هَلْ مِنْ طَعَامٍ؟ فَقَالَ لَهُ زُهَيْرُ دُونِكَ الْجَزُورُ فَأَهْوَى إِلَيْهَا فَأَكَلَهَا كُلَّهَا ثُمَّ قَالَ: هَلْ مِنْ مَاءٍ؟! ٦

^١ محمد بن أبي عينة بن المهلب العتكي المهلبى، شاعر مطبوع من أهل البصرة اشتهر بالهجاء ورواية الحكايات. انظر في ترجمته: الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج ٣، ص ١٦٠٥؛ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج ٦، ص ١٢٥-١٢٦.

^٢ الماوية: بئر مشهورة يعد من أعذب مياه العرب، ويقع في طريق البصرة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٨.

^٣ الفضل بن قدامة العجلي، مرت ترجمته.

^٤ انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٨.

^٥ زهير بن جناب بن هبل الكلبي، من أهل اليمن، وهو أحد أمراء العرب وشجعانهم المشهورين في الجاهلية، وخطيب قضاة وسيدها وشاعرها ووافدها إلى الملوك، يدعى الكاهن لصحة رأيه، توفي سنة ٦٤ق.هـ/٥٦٠م. انظر في ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٦٧-٣٦٩؛ ابن سلام الجمحي:

المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥-٣٧.

فقال: دُونَكَ الرَّكَّاءُ^١ فَشَرِبَ جَمِيعَهُ. ثُمَّ وَقَعَ نَائِمًا، فَأَقَامَ فِي نَوْمِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَهَرَبَ الْقَوْمُ فُرْعَاءَ، وَتَبَتَ زُهَيْرٌ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَالَ: أَيْنَ قَوْمُكَ؟ قَلْتُ: هَرَبُوا مِنْ رَهْبَتِكَ. فَقَالَ: أَمَا لَيَنْفَعَنَّكَ ذَلِكَ. قُمْ ازْكَبْ مَعِيَ. فَزَكَبَ مَعَهُ فَدَلَّهُ عَلَى مِيَاهٍ كَانَتْ لِعَادٍ مُنْدَفِنَةٍ.

ولم يكن بقي أحدٌ يَعْرِفُهَا غَيْرَهُ. مِنْهَا: الدَّمْعَانَةُ^٨، وَأَثْرَى، وَتَكْبٌ، وَرَجٌّ وَالْحَالَةُ وَغَيْرَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ عُيَيْدٌ لَزُهَيْرٍ: أَخْبِرْنِي عَنْ رِيحِكُمْ. قَالَ: زَقْفٌ^٢ تُسْقِطُ الْوَرَقَ. فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ مَطْرِكُمْ. قَالَ: يُزِيلُ الْعُودَ وَيَقْلِبُ الْحَجَرَ. قَالَ: بِحَسَبِ رِيحِكُمْ يَكُونُ مَطْرِكُمْ.

٩ قَالَ: وَالْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ بَنِي زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ أَقْوَمُ الْعَرَبِ مِيَاهًا، وَهِيَ الَّتِي أَوْقَفَ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا عُيَيْدُ بْنُ مَسْهَرٍ الْعَادِيَّ.

١٢ وَلِبَنِي غَاصِرَةَ^٣ مِيَاهٌ تُعْرَفُ بِلَيْئَةٍ^٤ يُقَالُ أَتَّهَا ثَلَاثُ مِائَةِ عَيْنٍ، وَيَزْعُمُ أَهْلُ السَّيْرِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، خَرَجَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يُرِيدُ الشَّامَ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى

^٨ في الأصل: الدمقانة، والتصويب من: ياقوت.

^١ الرَّكَّاءُ: وادٍ بديار بني عجلان. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٢؛ ابن منظور: لسان العرب، ج ٨، ص ٨٦.

^٢ الزقفة: رياح شديدة لها صوت في الشجر. انظر: ابن منظور: المصدر السابق، مادة: [ز ف ف] ج ٩، ص ١٣٦-١٣٧.

^٣ انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة: [غ ض ر] ج ١٣، ص ٢٤٣-٢٤٤.

^٤ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة: [لينة]، ج ٥، ص ٢٩-٣٠.

هذا المَوْضِع الذي يُقال له لِينَةٌ - وهي أَرْضٌ خَشِينَةٌ - عَطِشَ النَّاسُ وَلِحِقَ أَهْلُ العَسْكَرِ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِنْ ذَلِكَ.

٣ وَوَجَّهَ سُلَيْمَانُ [١٠٩ظ] عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمَاعَةً يَطْلُبُونَ المَاءَ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ لِعَطَشِ النَّاسِ. قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ إِلَى شَيْطَانٍ يَضْحَكُ وَيَسْتَعْرِبُ مِنَ الضَّحْكِ فَعَاظَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ.

٦ فَقَالَ: لِمَا تَقْتُلَنِي يَا نَبِيَّ اللهُ!؟ فَقَالَ: لَضَحَكَكَ وَالنَّاسُ مِشْرَفُونَ عَلَى المَوْتِ. فَقَالَ: إِنَّمَا الضَّحْكَ لِعَطَشِهِمْ وَهُمْ عَلَى لُجَّةِ بَحْرِ. قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَيْفَ ذَلِكَ!؟ قَالَ: مَرُّهُمْ أَنْ يَخْفَرُوا فَإِنَّ المَاءَ عَلَى ذِرَاعٍ. فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، فَحَفَرُوا وَأَنْبَطُوا المَاءَ. وَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ حَفَرَ حَفِيرَةً لِنَفْسِهِ، فَلَمَّا طَالَ عَلَى ذَلِكَ الدَّهْرُ يُدْفَنَ عَامَتَهَا وَيَبْقَى نَمِيرَهَا مَا ذَكَرْنَا. وَفِيهَا يَقُولُ مُضَرَّسُ الأَسَدِيِّ^١ (شعر):

[الكامل]

لَمِنَ الدِّيَارِ عَشِيَّتُهَا بِالْإِثْمِدِ بَصْفَاءً^(a) لِينَةً كَالْحَمَامِ اللَّبِيدِ^(b)

^(a) في الأصل: فصرنا، والتصويب من ياقوت.

^(b) لدى ياقوت: الرُّكْد.

^١ مُضَرَّسُ بنِ رَبِيعِ بنِ لَقِيْطِ الأَسَدِيِّ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ اشْتَهَرَ بِحَسَنِ التَّشْبِيهِ وَالمَوْصُفِ، وَلَمْ تَذَكَرْ لَهُ المَصَادِرُ سَنَةَ وَفَاةٍ. انظُرْ فِي تَرْجُمَتِهِ وَأَخْبَارِهِ: الأَمْدِيُّ: المُوْتَلَفُ وَالمُخْتَلَفُ فِي أَسْمَاءِ الشُّعْرَاءِ، ص ٢٥١؛ المَرْزُبَانِيُّ: مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ، ص ٣٩٠.

^٢ اطَّلَعَ يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ عَلَى دِيْوَانِ مُضَرَّسِ الأَسَدِيِّ، وَقَدْ أَضَافَ بَعْضَ الأَبْيَاتِ لِإِتْمَامِ المَعْنَى. انظُرْ: مَعْجَمُ البُلْدَانِ، ج ٥، ص ٢٩-٣٠.

ويقال: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ قَوْمٌ قَطُّ عَطَشًا إِلَّا عَلَى مَاءٍ. وَمَاتَ قَوْمٌ مِنَ الْعَطَشِ
بِالسَّجِيِّ^١ فِي أَيَّامِ الْحَجَّاجِ. وَالسَّجِيُّ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ طَرِيقِ مَكَّةَ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ،
فَاتَّصَلَ خَبَرُهُمْ بِالْحَجَّاجِ، فَقَالَ: إِنِّي أَظُنُّهُمْ دَعَا اللَّهَ حِينَ بَلَغَ بِهِمُ الْجَهْدَ، فَاحْفَرُوا^٢
فِي مَكَانِهِمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ النَّاسَ.
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: قَدْ قَالَ الشَّاعِرُ (شِعْرًا):

تَرَاءَتْ لَهُ بَيْنَ اللَّوَى وَعُنَيْزَةَ وَبَيْنَ السَّجِيِّ مِمَّا أَحَالَ عَلَى الْوَادِي
مَا تَرَاءَتْ لَهُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ عَيْدَةَ السَّلْمِيَّ^٣ أَنْ يَحْفَرَ بِالسَّجِيِّ بِئْرًا،
فَحْفَرَ فَأَنْبَطَ مَاءٌ لَا يُتْرَحُ^٤.

وَكَانَتِ الْفَلَّاسِفَةُ تَقُولُ: أَفْضَلُ مُسْتَنْبِطِ الْمِيَاهِ مَا كَانَ مُحَاطًا بِشِعَابِ الْأُودِيَةِ،
وَأَمْثَلُ مَنَازِلِ السَّفَرِ مَا اتَّخَذَ عَلَى مَجَامِعِ الطَّرِيقِ، وَأَمْثَلُ الْغَيْثِ مَا أَمْرَعُ. وَقَالَ بَعْضُ
الْعَرَبِ: إِنَّ اللَّهَ اجْتَبَى مَاءَ بَارَمَ وَالْبَدِيدَةَ^٥، وَنَعْمَانَ^٦ وَعَلَّلَانَ^٦ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

^١ انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مادة سجي، ج ٣، ص ٣٢٦-٣٢٧.

^٢ عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي، تولى إفريقية والأندلس للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وتوفي بعد سنة ١١٤هـ/٧٣٢م. انظر ترجمته وأخباره: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٥٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٩-٢١٠.

^٣ الخبر بتامه لدى ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٣٠؛ وأيضًا لدى: ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، شرح وتحقيق: أحمد أمين وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م، ج ٥، ص ٢٧٧.

^٤ البديعة: ماء بحسمى. وحسمى جبل بالشام. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٥٩.

^٥ نعمان: واد قريب من الفرات على أرض الشام. نفسه، ج ٥، ص ٢٩٣-٢٩٤.

^٦ عللان: ماء بحسمى. نفسه، ج ٤، ص ١٤٧.

وهذه المياه كلها [بحسمنى]^(٨). وقال المنصور يوماً لجلسائه، وقد تذاكروا البرّ
 والبخر، عدّوا أربع عشرة مرحلة من أي موضع شئتم، فإنكم لا تبلغوا آخر العدد
 حتى تصلوا إلى البحر، إن شئتم شرقاً وإن شئتم غرباً.
 وقال السدي^١: الجبل الذي تطلع الشمس من ورائه ارتفاعه في السماء ثمانون
 فرسخاً.

[١١٠] وقال المروزي^٢: قرأت على المأمون جواب أرسطاطاليس^٣ أستاذ
 الإسكندر إلى الإسكندر فيما أعلمه من فتحه^(٩) البلدان وجمعه الأموال التي يتعدّر
 عليه حملها، وعجبه من بيت ذهب ظهر عليه بالهند. فأجابته: إنّي رأيتك تعجب من
 عمل عملة أيدي الآدميين، وتترك التعجب من هذا السقف الرفيع الذي يمرّ
 فوقك وتزيين من زينه بالكواكب ونصبه على الحكمة البالغة.

(٨) زيادة من ياقوت. (٩) رسمت في الأصل: قيمة.

- ^١ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي. صاحب التفسير والمغازي والسير، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام
 الناس. توفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م. انظر في ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٢٣؛ طبقات
 خليفة بن خياط، ص٦٦٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٢٤-٧٢٥.
- ^٢ أبو يحيى المروزي السرياني، الطبيب المشهور بمدينة السلام، كان فاضلاً عالماً بالمنطق وباللغة السريانية.
 انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج٢، ص٢٠٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص٤٣٥؛ ابن أبي أصيبعة: عيون
 الأنبياء في طبقات الأطباء، ج١، ص٢٣٤-٢٣٥.
- ^٣ أرسطاطاليس بن نيقوماخس بن ماخاتن، عاش بين سنتي ٣٨٤-٣٢٢ق. م. وقد أولع به العرب وترجموا
 الكثير من مؤلفاته في المنطق والطبيعة والطب. انظر في ترجمته وأخباره: النديم: الفهرست، ج٢، ص١٥٧-
 ١٦٠؛ ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٢٥-٣٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص٢٧؛
 وانظر ما جمعه فؤاد سيزكين: في كتابه أرسطوطاليس عند العرب، نصوص ودراسات، فرانكفورت، ٢٠٠٠م.

فَأَمَّا الْبُلْدَانُ الَّتِي افْتَسَخَتْهَا فَلْيَكُنْ مُلْكُكَ إِيَّاهَا بِالتَّوَدُّدِ إِلَى أَهْلِهَا، وَلَا تَمْلِكْهَا عَلَيْهِم بِالْقَهْرِ وَالبَغْضَاءِ، فَإِنَّ طَاعَةَ الْمَوَدَّةِ أَحْمَدُ بَدَأَ مِنْ عَاقِبَةِ الْقَهْرِ وَالاسْتِكْرَاهِ.

فَأَمَّا الْأَمْوَالُ، فَلْيَكُنْ حَمْلُكَ إِيَّاهَا فِي جِلْدِ ثَوْرٍ. فَفَهَمَ عَنْهُ الْإِسْكَانْدَرُ مَا رَمَزَ بِهِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ اللَّقْطَةِ، وَدَفَنَ فِي كُلِّ بَلَدٍ شَيْئًا مِنَ الْأَمْوَالِ، وَأَثَبَتْ مَوَاضِعَ الْكُنُوزِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ مَذْبُوحٍ وَحَمَلَهُ إِلَى الرُّومِ فَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ بَاقٍ فِي خَزَانَةِ الْمَلِكِ. فَرَبِّمَا أَمْرٌ يَأْخُرَاجُهُ وَانْتِسَاخَ مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَأَنْفَذَ قَوْمًا مِنْ أَضْحَايِهِ وَكَتَبَهَا لَهُمْ فَاسْتَخْرَجُوهَا. وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُخْفَى أَمْرُهَا.

وَاجْتَازَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَهُوَ يَغْرِسُ فَيْسِيلاً، وَكَانَ الْغَارِسُ شَيْخًا كَبِيرًا. فَقَالَ لَهُ: كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ السِّنِينَ أَيُّهَا الشَّيْخُ؟! قَالَ: قَدْ جُرْتُ السَّبْعِينَ^(a). قَالَ: فَمِثْلُكَ يَعْمَلُ مَا أَرَى؟! فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ (شَعْرٌ):

[البسيط]

اغْرِسْ فَيْسِيلاً وَتَمَّ عَنْهُ فَسَوْفَ تَرَى يَوْمًا فَيْسِيْلَكَ إِنْ عُمِّرْتَ عِيدَانًا^(b)
[فَالْعِرْقُ يَسْرِي إِذَا مَا نَامَ صَاحِبُهُ وَلَيْسَ يَسْرِي إِذَا مَا كَانَ يَقْظَانًا]^(b)

نَغْرِسُ يَا أَخَا تَمِيمٍ مَا تَرَى، فَإِنْ عَشْنَا أَكَلْنَا مِنْ تَمْرِهِ، وَإِنْ مُتْنَا خَلَفْنَاهُ الْأَوْلَادُ. قَالَ: إِنَّكَ لَبَعِيدُ الْأَمَلِ. قَالَ: إِي وَاللَّهِ. إِي لَبْعِيدُ الْأَمَلِ خَائِفٌ لِقُرْبِ الْأَجْلِ، وَلَسْتُ مِنْ يَفْرَطُ فِي عُمْرَانِ دَارٍ لَا يَذْرِي لَعَلَّهُ سَيَطُولُ مَقَامُهُ فِيهَا، وَمِنْهَا يَتَزَوَّدُ إِلَى الدَّارِ

(b-b) زيادة من المختصر.

(a) في المختصر: الستين.

¹ انظر: الثعالبي: التمثيل والمحاضرة: تحقيق: محمد عبد الفتاح الحلوة، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨١م،

التي لا يذري متى يصير إليها. ولو أن من كان قبلنا أخذوا بمثل رأيك ما خلف
الوالد لولده شيئًا ولا ورث ميت حيا.

٣ قال التميمي: فأنصرفت عنه وعبرت برهة من الدهر، ثم مررت بذلك المكان.

فرايت نخلًا عاليًا مثيرًا وآخر دونه. وإذا فتيان وأحداث، فقعدت إليهم وقلت:

[١١١] من غرس هذا النخل؟ قالوا: ذاك الشيخ. فأتيته فسلمت عليه ثم قلت له:

٦ أتعرفني؟ فتأملني ثم قال: لأحسبك صاحبنا المعنف لنا على غرس ما ترى. قلت:

أنا والله هو، وأنشدته بيته، فعآقني وأقبل يحدثني وقال: إن الله فاعل ما يشاء.

فلا يكونن خوفك ماحقًا لرجائك ولا يأسك عاليًا لطمعك. وإذا الفتيان بنوه

٩ ويؤبونه فأقمت في ضيافته أيامًا ثم أنصرفت.

وقال بعضهم^١: قرأت على باب قصر خراب^(أ) (شعر):

[البسيط]

كَمْ قَدْ تَوَارَتْ هَذَا الْقَصْرُ مِنْ مَلِكٍ [قمت] ^(ب) وَالْوَارِثُ الْبَاقِي عَلَى أَثَرِ

قال: وقرأت على باب مدينة خراب (شعر):

[البسيط]

كَمْ مِنْ مَدَائِنٍ بِالْأَفَاقِ خَالِيَةٍ أُمَسَّتْ خَرَابًا وَذَاقَ الْمَوْتَ بَانِيهَا

^(أ) في المختصر: على قصر بالعقيق.

^(ب) ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

^١ روى ابن أبي الدنيا أن من رأى هذا البيت مكتوبًا على قصر بالعقيق هو: عمر بن عبد الله بن محمد العمري.

انظر: قصر الأمل، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م، باب البناء وذمه،

وقال بعضهم: مررتُ في رَيْضِ أَبِي يَزِيدِ الشَّرَوِيِّ^١ وقد خَرَّبَ. وإذا على بابِ
قَصْرِهِ مَكْتُوبٌ (شعر):

[الكامل]

أَفْتَى جَمِيعَهُمْ وَخَرَّبَ دُورَهُمْ مَلِكٌ تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ عَزِيزُ

٣ وَقُرئَ عَلَى بَابِ قَصْرِ (شعر):

[جزء الخفيف]

نَزَلَ الْمَوْتُ مَنَزِلًا سَلَبَ الْقَوْمَ وَارْتَحَلَ

وقال صَالِحُ الْمُرِّيُّ^٢: دَخَلْتُ قَصْرًا بِالْبَصْرَةِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ فَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ

مَكْتُوبًا: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٨]. وإذا في

٦ الجَانِبِ الْآخَرَ: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٥]. وفي الجَانِبِ الْآخَرَ:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلِكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٨]. وفي الرَّابِعِ: ﴿فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ حَاوِيَةٌ بِهَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

٩ وَقُرئَ عَلَى حَائِطِ بَيْعَةِ بِالْحِيرَةِ: بُنِيَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ، وَالْمَلِكُ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْدَرِ بْنِ

الشُّقَيْقَةِ^٣. عَلَى يَدَيِ عَمْرُو بْنِ حَيَانَ، فَالْإِلَهُ يُغْفِرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقْبَلُ نَقْلَتَهُ إِلَى دَارِ الْحَقِّ.

^١ أبو يزيد الشروي: مولى علي بن عبد الله بن عباس. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٠١.

^٢ صالح بن بشير المري البصري، كان يجلس للقص في مسجد البصرة، متروك الحديث. توفي سنة ١٧٦هـ/٧٩٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٨١؛ ابن أبي حاتم: الجرح

والتعديل، ج ٤، ص ٣٩٦؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٤١٥.

^٣ النعمان بن امرئ القيس بن المنذر، ملك الحيرة في الجاهلية، كان شجاعاً رقيق الذكر، وهو الذي بنى القصرين الشهيرين الخورنق والسدير، توفي ١٩٨ق. هـ/٤٣١م. انظر في ترجمته وأخباره: محمد بن حبيب: المحبر،

ص ٣٥٨؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٤٧.

وأَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ مَكْتُوبٌ (شِعْرٌ):

[الوافر]

رَأَيْتُ الْحَطْبَ بِالْإِنْسَانِ جَمًّا وَلَا تُنْجِي مِنَ الدَّهْرِ الْحُدُودُ
وَلَا تُنْجِي مِنَ الْأَجَالِ أَرْضٌ تَحِلُّ بِهَا وَلَا قَصْرٌ مَشِيدٌ

وَحَدَّثَنَا بَعْضُ إِخْوَانِنَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى بَابِ قَصْرِ أَشْنَأَسَ بَسْرَمَرَى (شِعْرٌ):

[البيسط]

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتُهُمْ فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَصِيبٍ مَا لَهُ حَظْرٌ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ صُرُوفُ الدَّهْرِ فَانْتَقَلُوا إِلَى الْقُبُورِ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ

[الطويل]

وَقُرِئَ عَلَى حَائِطِ قَصْرِ عَادِيٍّ (شِعْرٌ): [١١١ظ]

يَمُوتُ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِنَاؤُهُ أَلَسْتَ تَرَى بِاللَّهِ فِي ذَلِكَ عِبْرَةً
فِيَا غَافِلًا عَنْ حِينِهِ أَيْنَ مِنْ بَنِي مَدَائِنٍ أَضْحَتْ بَعْدَهُ الْيَوْمَ قَفْرَةً
رَمَتْ بِهِمُ الْأَيَّامُ فِي عَرَصَةِ الْبَلَى كَأَن لَمْ يَكُونُوا زِينَةَ الْأَرْضِ مَرَّةً
وَمَا زَالَ هَذَا الْمَوْتُ يَغْشَى دِيَارَهُمْ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةً
فَأَجْلَاهُمْ عَنْهَا سَرِيعًا فَأُضْبِحَتْ مَسَاكِنُهُمْ فِي الْأَرْضِ لِحْدًا وَحَفْرَةً

[الرجز]

وَقُرِئَ عَلَى بَابِ قَصْرِ (شِعْرٌ):

مَا حَالٌ مِنْ عَمَلِ الْقُصُورَا وَبَاتَ فِيهَا آمِنًا مَسْرُورَا
ثُمَّ غَدَا فِي رَمْسِهِ مَقْبُورَا يُقِيمُ فِيهَا أَبَدًا مَأْسُورَا
حَتَّى يُرَى مِنْ قَبْرِهِ مَحْشُورَا إِمَّا قَرِيرَ الْعَيْنِ أَوْ مَثْبُورَا

^١ أشناس التركي، من موالى الخليفة هارون الرشيد. وقد تقدمت بعض أخباره.

وعلى آخر (شعر):

[الكامل]

يَا مَنْ يُشِيدُ لِلخَرَابِ بِنَاءَهُ شَيْدُ بِنَاءِكَ فِي الثَّرَى وَتَحَصَّنَ
وَذَكَرَ رَجُلٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى بَابِ قَصْرِ فِي بَعْضِ السَّوَاهِلِ مَكْتُوبًا (شعر)

[البيسط]

كَمْ كَانَ يَغْمُرُ هَذَا الْقَصْرَ مِنْ مَلِكٍ سَهْلٍ الْمُحْيَا كَرِيمِ الشَّيْمِ^(أ) وَالنَّسَبِ
دَارَتْ عَلَيْهِ الْمَنَايَا فِي تَقْلِبِهَا فَصَارَ مَاوَاهُ بَعْدَ الْعِزِّ فِي التُّرْبِ

قال: وَدَخَلْتُ قَصْرًا قَرَأْتُ قَصْرًا حَسَنًا كَثِيرَ الْمَجَالِسِ. فَبَيْنَمَا أَنَا أَدُورُهُ إِذْ

دَخَلْتُ مَجْلِسًا مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَفِيهِ قَبْرٌ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ (شعر):

[الطويل]

وَلَمَّا بَنَيْتُ الْقَصْرَ أَمَلْتُ نَفْعَهُ وَإِنِّي فِيهِ بَاقِيًا آخِرَ الدَّهْرِ
فَلَمَّا اسْتَوَيْتُ وَالتَّامُ بُوَاتُ كَارِهَا مِنْ الْقَصْرِ فِي بَيْتِ هُنَاكَ وَفِي قَبْرِ
كَذَلِكَ كَانَ الدَّهْرُ يَفْعَلُ قَبْلَنَا وَلَكِنْ تَجَاهَلْنَا وَخَدَّنَا عَنِ الْأَمْرِ

قال: وَرَأَيْتُ فِي مَجَالِسِهِ أَيْضًا مَكْتُوبًا (شعر):

[البيسط]

جَارَ الزَّمَانَ عَلَيْنَا بَعْدَ غِبْطَتِنَا فَلَمْ يُعَادِرْ لَنَا فِي الْقَصْرِ إِنْسَانًا
وَصَارَ مَاوِي لِيُوحِشِ الْأَرْضِ تَسْكُنُهُ أَفْنَاهُ رَبُّ زَمَانٍ نُمُّ^(ب) أَفْنَانًا

ولو لم يُفدك هذا الكتاب من الأخبار العجيبة والأشعار الظريفة والأوليات
الغريبة، لكان فيما يُفديك من أخبار البلدان وعجائب الكور والأمصار بلاغًا
ومُتَمَفَعًا؛ فكيف وقد أفادك [١١٢] و[١١٣] عِلْمُ الْمَاضِينَ وَأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ.

^(أ) في الأصل: خير

^(ب) في الأصل: الخيم

- وذلك علمُ المعنَيْنِ ووقفك على الطريقينِ وأزشدك إلى الأمرينِ جميعًا. حِكْمَةٌ
بالغةٌ ومَوْعِظَةٌ مُوجِزَةٌ تعرَّفَتْ منه أخبارُ الماضينِ، وأنبئة من قد سلفَ من الأولينِ.
- ٢ وفي هذا الخبر الذي أثبتهُ هَاهُنَا عِبْرَةٌ لِمَن اِعْتَبَرَ، وَفِكْرَةٌ لِمَن تَفَكَّرَ، وَدَلِيلٌ عَلَى
وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَحَبُّرٍ عَنِ آيَاتِهِ وَقُدْرَتِهِ. فَصَفَّ ذِهْنَكَ وَفَرَّغَ قَلْبَكَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ
بِسْمِعِكَ وَتَفَكَّرَ فِيهِ، وَفِيهَا تَضَمَّتُهُ مِنَ الْأَعْجُوبَةِ. فَإِنَّ فِيهِ لِعِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ.
- ٦ قال عبد الرحمن بن محمد بن نصر^١ سمعتُ أحمد بن الحسن يذكر عن علي بن
عاصم عن أبيه قال: كان الخضرُ عَليهِ السَّلَامُ يَأْتِي شَابًّا زَاهِدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيُحَدِّثُهُ كَمَا
يَأْتِي الرَّجُلَ أَخَاهُ وَصَدِيقَهُ.
- ٩ وكان الشَّابُّ خَيْرًا فَاضِلًا. فَبَلَغَ ذَلِكَ مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ إِلَى الشَّابِّ
فَدَعَاهُ وَقَالَ: بَلِّغْنِي أَنَّ الْخَضِرَ يَأْتِيكَ فَيُحَدِّثُكَ كَمَا يُحَدِّثُ الرَّجُلَ أَخَاهُ. قَالَ الْفَتَى:
نعم. قال: فإذا جاء فأُتِنِي بِهِ. قال: كيف آتيتك به أيُّهَا الْمَلِكُ؟! قال: والله لتَأْتِيَنِي بِهِ
أَوْ لِأَقْتُلَنَّكَ. قال: أجهد. ثمَّ انصرفت الفتى.
- ١٢ فلما كان بعد أيامٍ أتاه الخضرُ عَليهِ السَّلَامُ فقال له: إِنَّ مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ لِي كَذَا
وَكَذَا. قَالَ الْخَضِرُ: انطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ. فَانطَلَقَا حَتَّى دَخَلَا عَلَيْهِ.
- ١٥ فَوَقَفَ الْخَضِرُ فَقَالَ الْمَلِكُ: أَنْتَ الْخَضِرُ؟ قَالَ: نعم. فَأَعْظَمَهُ وَبَجَّلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ:
حَدِّثْنِي بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ: أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ أَنِّي مَرَرْتُ بِمَدِينَتِكَ
هَذِهِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ لَمْ أَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِثْلَهَا حُسْنًا وَجَمَالًا، وَكَثْرَةَ أَهْلِ وَأَسْوَاقِ

^١ لم أقف على ترجمته.

وعِمارة، فَدَنَوْتُ من بَعْضِ البَوَائِنِ فَقُلْتُ: متى بُنِيَتْ هذه المَدِينَةُ ومن الذي بَنَاهَا؟ فقال لي: ما يَذْكَرُ أَحَدٌ من النَّاسِ متى بُنِيَتْ ولا من بَنَاهَا. فَتَرَكْتُهَا ومَضَيْتُ وَغَبَرْتُ عنها خَمْسَإِثْنَيْ عَشَرَ عَامًا، ثُمَّ اجْتَزْتُ بها، فَإِذَا هِيَ تُلْوَلُ وَخَرَابَاتٌ ولم أَرِ أَحَدًا أَسْأَلُهُ عنها، فَعَلَوْتُ بَعْضَ تِلْكَ التُّلُولِ، فَإِذَا أَنَا بِرِاعٍ يَزْعَمُ غَنَمًا فَنَزَلْتُ إِلَيْهِ، وَسَأَلْتُهُ عن المَدِينَةِ وَمَتَى خَرُبَتْ.

فقال: ما نَعْلَمُ أَنَّهُ كانت هَاهُنَا مَدِينَةٌ قَطُّ، ولا نَعْرِفُ غيرَ هذه التُّلُولِ والخراباتِ ولا يُدْرِي أَيُّ شَيْءٍ أَمْرُهَا. فَتَرَكْتُه ومَضَيْتُ. وَغَبَرْتُ خَمْسَإِثْنَيْ عَشَرَ عَامًا، ثُمَّ مَرَرْتُ بها [١١٢ظ] فَإِذَا مَوْضِعُهَا بَحْرٌ وَقَدْ زَالَتْ هذه التُّلُولُ والخراباتُ فَصَارَتْ كُلُّهَا فِيهِ. وَإِذَا الجَمَاعَةُ يَغْوِضُونَ فَيُخْرِجُونَ اللُّؤْلُؤَ من قَرَارِهِ، فَدَنَوْتُ من بَعْضِهِمْ وَقُلْتُ: مُذْ كَمْ صَارَ هذا البَحْرُ هَاهُنَا فَضَحِكَ ثُمَّ قال: سُبْحَانَ الله ما زالَ هذا البَحْرُ وهذا المَكَانُ منذَ كانتِ الدُّنْيَا.

فَمَضَيْتُ وَغَبَرْتُ خَمْسَإِثْنَيْ عَشَرَ عَامًا ثُمَّ اجْتَزْتُ بالمَوْضِعِ فَإِذَا ذاكَ البَحْرُ قد غَاصَ ماؤُهُ وفي مَكَانِهِ غَيْصَةٌ مُلْتَمَّةٌ بالقِصْبِ والبَرْدِيِّ، وَبَيْنَ ذلكَ القِصْبِ والبَرْدِيِّ مَنَاقِعُ ماءٍ فِيهَا سَمَكٌ كَثِيرٌ وصِيَّادُونَ يَصِيدُونَ ذلكَ السَّمَكِ في زَوَارِقٍ صِغارٍ. فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ: أَكانَ هَاهُنَا بَحْرٌ؟ قال: لا. ما كانَ هَاهُنَا إِلَّا هذه الأَجَامُ وهذه المِياهُ لا غَيْرَ ذلكَ. فَانصَرَفْتُ وَغَبَرْتُ خَمْسَإِثْنَيْ عَشَرَ عَامًا ثُمَّ اجْتَزْتُ بالمَكَانِ فَإِذَا رِمالٌ مُتَّصِلَةٌ بَيْنَها حَمَّةٌ.

وإذا [هي] أكثر بلاد الله ظيَاء، فالتَمَسْتُ أن أرى إنسانًا فلم أرَ إلا رجلاً يصيدُ
تلك الطَّيَّاءَ بِجِبَالَةٍ لَهُ، فَذَنَوْتُ مِنْهُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ تِلْكَ الْأَجَامِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ
وَلَا أَبَاؤَنَا وَلَا أجدَادَنَا هَذَا الْبَلَدَ إِلَّا عَلَى مَا تَرَاهُ وَمَا كَانَتْ فِيهِ أَجْمَةٌ وَلَا شَجَرٌ وَلَا
مُسْتَنْقَعٌ قَطُّ.

فَانصَرَفْتُ مُتَعَجِّبًا وَعَبْرْتُ خَمْسَمِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ اجْتَرَزْتُ بِهِ فَإِذَا هُوَ جَبَلٌ وَعِزٌّ وَفِيهِ
كُهُوفٌ يُخْرَجُ مِنْهُ الدُّخَانُ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَسْأَلُهُ عَنْهَا إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ رَجُلًا مُتَعَسِّفًا
فَقَصَدْتُهُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ تِلْكَ الرِّمَالِ فَقَالَ: مَا نَعْرِفُ الْمَوْضِعَ إِلَّا عَلَى مَا تَرَى.

فَتَرَكْتُهُ وَمَضَيْتُ. وَغَبَيْتُ خَمْسَمِائَةَ عَامٍ ثُمَّ عُدْتُ فَإِذَا مَدِينَتِكَ هَذِهِ فِي تِلْكَ
الْمَوَاضِعِ، وَإِذَا هِيَ أَحْسَنُ مَا يَرَاهُ النَّاسُ مِنْ قُصُورِهَا وَدُورِهَا وَحَدَائِقِهَا وَأَسْوَاقِهَا،
فَذَنَوْتُ مِنْ بَعْضِ الْبَوَائِبِ وَسَأَلْتُهُ عَنْهَا وَمُذْ كَمْ بَنِيَتْ فَقَالَ: يَا هَذَا مَا نَعْرِفُ هَذِهِ
الْمَدِينَةَ إِلَّا كَمَا تَرَاهَا، وَلَا حَدَّثْنَا أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَانَا أَنَّهُ يَعْرِفُ بَانِيَهَا. فَهَذَا أَعْجَبُ شَيْءٍ
رَأَيْتُهُ فِيهَا أَطُوفُهُ مِنَ الْبُلْدَانِ وَاخْتَرَقْتُهُ مِنَ الْمَقَاوِرِ وَالْقِفَارِ.

فَوَثَبَ الْمَلِكُ عَنْ سَرِيرِهِ فَسَجَدَ لِلْخَضِرِ. فَقَالَ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاسْجُدْ لِلَّذِي
خَلَقَنِي وَخَلَقَكَ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكَ وَأُخَلِّيَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ. فَقَالَ: لَا
تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. لِأَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا وَغَدًا بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَعْدَ غَدٍ بِمَكَّةَ، وَلَكِنْ إِنْ
أَرَدْتَ الْعِبَادَةَ فَاصْحَبْ هَذَا الْفَتَى وَكُنْ مَعَهُ. قَالَ: فَتَرَكَ [١١٣] الْمَلِكُ مَمْلَكَتَهُ وَخَرَجَ
هُوَ وَالشَّابُّ يَسِيحَانِ فِي الْأَرْضِ.

وَأَنْشَدَ لِبَعْضِهِمْ [فِي] الزَّمَانِ (شِعْر):

[الكامل]

وَلرُبَّ حِصْنٍ قَدْ تَحَرَّمَ أَهْلَهُ
عَدَتِ الْمُتُونُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
فَتَفَرَّقَتْ أَجْيَادُهُمْ وَجُنُودُهُمْ
لَمْ يُدْفَعُوا عَنْهُمْ وَإِنَّ سِلَاحَهُمْ
مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ النَّبِيِّ أَعَدَهَا
لَوْ أَنَّهُمْ سُئِلُوا الْقِتَالَ لِقَاتَلُوا
فَانْتَزَعَهُمْ رَبِيبُ الْمُتُونِ نَفُوسَهُمْ
حَلُّوا بُطُونَ الْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا
صَارَتْ نَسَاؤُهُمْ حَلَاتِلَ غَيْرِهِمْ
فَأَسْمَعُ وَأَبْصِرُ أَيْنَ عَادَ أَصْبَحَتْ
أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا فَأَصْبَحَ مَا بَنَوْا
رَيْبُ الزَّمَانِ فَبَابُهُ مَسْدُودٌ
وَالْقَوْمُ فِيهِ آمِنُونَ هُجُودٌ
عَنْهُمْ فَكُلُّهُمْ هُنَاكَ شَدِيدٌ
مُتَيَسِّرٌ يَفْسِنَائِهِمْ مَوْجُودٌ
لِلْحَرْبِ يَوْمَ أَعَدَهَا دَاوُدُ
وَلَنَيْلَ مِنْهُمْ فِيهِمُ الْمَجْهُودُ
قَسْرًا وَإِنَّ حُمَاتِهِمْ لَشُهُودُ
وَمَضَى بِهِمْ سَفَرٌ هُنَاكَ بَعِيدٌ
خَلَفَتْ عَلَيْهِمْ سِفْلَةٌ وَعَيْدٌ
أَخَلَّتْ مَنَازِلَهَا وَأَيْنَ تَمُودُ
فِيهَا إِلَّا غُرُورًا أَوْ [خَرَابٌ]^a مَشِيدٌ

٣ وقال خَالِدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ السُّلَمِيُّ^١: كُنَّا مَعَ مَسْلَمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي غَزْوَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ يَدْعُو إِلَى الْمُبَارَاةِ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَرِ فَارِسًا كَانَ مِثْلَهُ.

^a ساقطة من الأصل.

^١ خالد بن عمير بن الحباب بن جعمه بن إياس بن هلال السلمي الذكواني، ممن غزا القسطنطينية مع مسلمة بنت عبد الملك، وكان فارسًا شاعرًا. انظر في ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٦، ص ١٧٩-١٨٠.

فَتَجَاوَلْنَا عَامَةً يَوْمِنَا فَلَمْ يَظْفَرْ وَاحِدٌ مِنَّا بِصَاحِبِهِ ثُمَّ تَدَاعَيْنَا إِلَى الْمَصَارِعَةِ،
فَصَارَعْتُ مِنْهُ أَشَدَّ الْبَأْسِ، فَصَرَعَنِي وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِي لِيَذْبَحَنِي، وَكَانَ رَسْنُ
ذَابْتِهِ مَشْدُودًا فِي عَاتِقِهِ، وَأَنَّهُ لِيُعَالِجَنِي لِلذَّبْحِ إِذْ حَاصَتْ ذَابْتُهُ حَيَاصَةً جَذَبْتُهُ عَنِّي ٣
وَوَقَعَ مِنْ عَلَى صَدْرِي، وَبَادَرْتُ إِلَيْهِ وَجَلَسْتُ عَلَى صَدْرِهِ فَتَفَسَّتُ بِهِ عَنِ الْقَتْلِ،
وَأَخَذْتُهُ أَسِيرًا وَجِئْتُ بِهِ إِلَى مَسْلَمَةَ فَسَأَلْتُهُ فَلَمْ يُجِبْهُ بِحَرْفٍ.

٦ وَكَانَ أَجْسَمَ الرَّجَالِ وَأَعْظَمَهُمْ فَأَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ بِهِ إِلَى هِشَامٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ [١١٣ظ]
بِحِرَّانٍ فَقُلْتُ: وَلَيْبِي الْوِقَادَةَ بِهِ [إِلَيْهِ]. قَالَ: إِنَّكَ لِأَحَقُّ النَّاسِ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ بِهِ
مَعِي، فَأَقْبَلْتُ أَكَلَّمُهُ وَهُوَ لَا يُكَلِّمُنِي حَتَّى انْتَهَيْتَنَا إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ دِيَارِ مُصَرِّ يُعْرَفُ
٩ بِالْجُرَيْشِ^١ وَتَلَّ مَحْرَى^٢ فَقَالَ لِي: مَا يُقَالُ لِهَذَا الْمَكَانِ؟ قُلْتُ: الْجُرَيْشُ وَتَلَّ مَحْرَى
فَقَالَ (شِعْرًا):

[الوافر]

تَوَلَّى بَيْنَ الْجُرَيْشِ وَتَلَّ مَحْرَى فَوَارِسُ مِنْ نُهُارَةَ غَيْرِ مِيلٍ
فَلَا جَزَعِينَ إِنْ صَرَّاءَ نَابَتْ وَلَا فَرِحِينَ بِالْحُفَيْرِ الْقَلِيلِ

١٢ فَإِذَا هُوَ أَفْصَحُ النَّاسِ. ثُمَّ سَكَتَ فَكَلَّمْنَاهُ وَهُوَ لَا يُجِيبُنَا. فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى الرَّهَاءِ
قَالَ: دَعُونِي أَصَلِّي فِي بَيْعَتِهَا. قُلْنَا دُونَكَ فَصَلَّ.

^١ الجريش: قرية من كورة الفرج من أعمال الموصل. وذكرها ياقوت في تل محري، الجريش بالجيم. انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٥٠.

^٢ تل محرى: بليدة بين حصن مسلمة بن عبد الملك والرقعة. نفسه، ج ٢، ص ٤٣-٤٤.

- فلما صرنا إلى حران قال: أما إنَّها أوَّل مَدِينَةٍ بُنِيَتْ بعد بَابِل. ثم قال: دُعُونِي اسْتَحِمَّ فِي حَمَامِهَا وَأَصَلِّي، فَتَرَكْنَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا كَأَنَّهُ بِرَطِيلٍ^١ فِضَّةٍ بَيَاضًا وَعِظْمًا.
- ٣ فَأَذَحَلْتُهُ إِلَى هِشَامٍ وَأَخْبَرْتُهُ جَمِيعَ قِصَّتِهِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ إِيَادٍ أَحَدَ بَنِي حُذَافَةَ. قَالَ لَهُ: أَرَأَيْكَ غَرِيبًا، لَكَ جَمَالٌ وَفَصَاحَةٌ، فَأَسْلِمَ تَحْقِنَ دَمِكَ. قَالَ: كَمَا أَنَّ لِي بِلَادِ الرُّومِ أَوْلَادًا. فَقَالَ: وَتَفُكُّ أَوْلَادَكَ وَتُحْسِنُ عَطَاءَكَ.
- ٦ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَزْجِعَ عَنْ دِينِي. فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَذْبَرَ فَأَبَى. فَقَالَ دُونَكَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ. فَضْرِبْتُ عُنُقَهُ^٢.

*

* *

^١ البرطيل: حجر عظيم مستطيل شبه به رأس الناقة. والمعنى: أن الرجل صار نظيفًا شديد البياض كقطعة كبيرة من الفضة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٥٠-٥١.

^٢ صرَّح ياقوت بأنه نقل هذا الخبر من ابن الفقيه الهمداني، راجع: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣-٤٤؛ كما نجده لدى ابن عساکر: في تاريخ دمشق من مصدر آخر. قارن: تاريخ دمشق، ج ١٦، ص ١٧٩-١٨٠.

القول في همدان

قال أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي^١: سُميت همدان بهمدان بن الفلوج بن

سام بن نوح عليه السلام. وهمدان وأصبهان أخوان، بنى أحدهما أذربيجان والآخر همدان، فسُميت كل مدينة منها باسم بانيها.

وسُميت بهاوند: لأنهم وجدوها كما هي. ويقال أنها من بناء نوح عليه السلام. وإنما

هي نوح أوند أي أنها من بناء نوح، وهي أعتق مدينة بالجبل.

قال: وقرأ عليّ بعض النصارى كتاباً بالسريانية فيه أخبار الملوك والبلدان،

فترجمه لي وذكر أن الذي بنى همدان ملك يقال له كرميس بن حليمون. وذكر

بعض الفرس أن اسم همدان مقلوب، إنما هي ناذمه ومعناه المحبوبة^٢.

وروي عن شعبة^٣ قال: الجبال عسكر وهمدان معممعتها وهي أعذبها ماء وأطيبها

هواء. وروي عن ربيعة بن عثمان^٤: [١١٤ و] كان فتح همدان في جمادى الأولى على

^١ تقدمت ترجمته: ص ١٢٨.

^٢ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: همدان]، ج ٥، ص ٤١٠.

^٣ شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي البصري، كان عالماً بالأدب والشعر، صاحب تصانيف، توفي بالبصرة سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٨٠؛ ابن قتيبة: المعارف ص ٥٠١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٣٥٣.

^٤ ربيعة بن عثمان بن ربيعة بن عبد الله بن الهدير القرشي التميمي، يعد في الكوفيين، توفي سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م. انظر في ترجمته وأخباره: طبقات خليفة بن خياط، ص ٤٧٤؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج ٣،

ص ٤٧٦-٤٧٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٩، ص ١٣٢-١٣٥.

رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ مَقْتَلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَكَانَ الَّذِي فَتَحَهَا الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ^١ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

٣ وَفِي خَيْرِ آخِرٍ قَالَ: وَجَّهَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ - وَهُوَ عَامِلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ عَزْلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ عَنْهَا - جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ^٢ إِلَى هَمْدَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا وَأَصِيبَتْ عَيْنُهُ بِسَهْمٍ فَلَذَّهَبَتْ. فَقَالَ: أُخْتَسِبُهَا عِنْدَ اللَّهِ الَّذِي زَيَّنَ بِهَا وَجْهِي وَنَوَّرَ لِي مَا شَاءَ ثُمَّ سَلَبْنِيهَا فِي سَبِيلِهِ.

٦ وَجَرِيٌّ أَمْرٌ هَمْدَانٍ عَلَى مِثْلِ صُلْحِ تَهَاوُنْدِ^٣ وَذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ. وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْفُرْسِ: كَانَتْ هَمْدَانُ أَكْبَرَ مَدِينَةِ بِالْجَبَلِ، وَكَانَتْ أَرْبَعُ فَرَاسِخٍ فِي مِثْلِهَا، وَكَانَ طَوْلُهَا مِنَ الْجَبَلِ إِلَى قَرْيَةِ يُقَالُ لَهَا "زَيْنَوَابَادُ".

٩ وَكَانَ صَفُّ الْفَاخِرَانِيِّينَ^٤ بِهَا وَصَفُّ الصَّيَارِفَةِ بِسِنْجَابَادِ^٥. وَكَانَ الْقَصْرُ الْحَرَابِ الَّذِي بِسِنْجَابَادَ تَكُونُ فِيهِ الْخَزَائِنُ وَالْأَمْوَالُ.

^(a) لدى ياقوت بزيادة «...» وغلب على أرضها قسراً وضمها المغيرة إلى كثير بن شهاب والي الدينور، وإليه ينسب قصر كثير في نواحي الدينور...».

^(b) في الأصل: سيجاباد. والتصويب من ياقوت.

^١ مرت ترجمته: ص ١٠٠.

^٢ مرت ترجمته: ص ٣٧٩.

^٣ قارن: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: همدان]، ج ٥، ص ٤١٠.

^٤ الفاخرايين: صناع آنية الفخار.

^٥ سنجاباد: وذكرت أيضاً سيجاباد. قرية من همدان، كانت قديماً داخلة في جملة المدينة، اشتهرت بالنشاط

الصيرفي. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٦١.

وكانَ صَفُّ البَرَّازِينِ بَقْرِيَّةً يُقالُ لها: بَرَشِيقَانٌ^(أ). فيقالُ أنَّ بُخْتَ [نَصْرًا] بعَثَ إليها قائِدًا يُقالُ له صُقْلَابٌ في حَمْسِائَةِ ألفِ رَجُلٍ، فَأَتَاخَ عليها وَأَقَامَ بِمُجَارِبِ أَهلِها مُدَّةً وهو لا يَقْدِرُ عليها، فلما أَعْيَنَتِ الحِيلَةَ فيها وَعَزَمَ على الانْصِرَافِ اسْتَشَارَ أَصْحابَهُ. فقالوا له: الرَّأيُ أنَّ تَكْتُبَ إلى بُخْتَ نَصْرَ تُعَلِّمُهُ أَمْرَكَ وَتَسْتَأْذِنُهُ في الانْصِرَافِ.

٦ فَكَتَبَ إليه: أَمَّا بعدُ فإني وَرَدْتُ على [مَدِينَةٍ] حَصِينَةٍ كَثِيرَةِ الأهلِ، مَنِيعةً واسِعَةً الأَنْهارِ مُلْتَفَّةِ الأشْجارِ كَثِيرَةِ المُقاتَلَةِ، وقد رُمْتُ فَتَحَها فلم أَقْدِرْ عليها، وقد ضَجِرَ أَصْحابِي بالمَقامِ وَضَاقَتْ عليهم المِيزَةُ والعُلُوفَةُ، فإنَّ أذْنَ لي المَلِكِ بالانْصِرَافِ أَنْصِرِفَ.

١٢ فَلَمَّا وَرَدَ الكِتابُ على بُخْتَ نَصَرَ كَتَبَ إليه: أَمَّا بعدُ: فقد فَهِمْتُ كِتابَكَ وقد رَأَيْتُ أنَّ تُصَوِّرَ لي المَدِينَةَ بِجِبَالِها وَعُيُونِها وطُرُقِها وَقِراها وَمَنْبِعِ مِياهِها، وَتُنْفِذُ إليَّ بِذلكَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي، ففعلَ صُقْلَابٌ ما أَمَرُهُ به وَصَوَّرَ له المَدِينَةَ، وَأَنْفَذَ الصُّورَةَ إليه وهو بِبِابِلَ، فَلَمَّا وَقَفَ عليها جَمَعَ الحُكَماءَ وقال: أَجِيلُوا الرَّأيَ في هذِهِ الصُّورَةَ وَأَنْظُرُوا من أَيْنَ تُنْفِثُ هذِهِ المَدِينَةَ. ^(ب) فَأَجْمَعُوا على أَنَّ تُسَدَّ عُيُونُها [١١٤ظ] حَوْلًا ثُمَّ يُفْتَحَ السَّدُّ وَيُرْسَلُ على المَدِينَةِ فَإِنَّها تَغْرُقُ^(ب).

^(أ) في الأصل: برشقان.

^(ب - ب) لدى ياقوت: ..فأجمعوا على أن مياه عيونها تحبس حولاً ثم تفتح وترسل على المدينة فإنها تغرق.

^١ قارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، [مادة

- فَكَتَبَ بُخْتَ نَصَرَ إِلَى صُقْلَابِ بِذَلِكَ وَأَمَرَهُ بِمَا قَالَهُ الْحُكَمَاءُ. فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا
 كَانَ عِنْدَ الْحَوْلِ فَتَحَ الْمَاءَ وَأَرْسَلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فَهَدَمَ سُورَهَا وَعَرَّقَ أَكْثَرَهَا وَدَخَلَهَا
 صُقْلَابُ، فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذَّرِّيَّةَ وَأَقَامَ بِهَا، فَوَقَعَ فِي أَصْحَابِهِ الطَّاعُونَ قِمَاتَ ٣
 عَامَتَهُمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَذُفِنُوا فِي أَحْوَاضٍ مِنْ خَزَفٍ فَقُبُورُهُمْ مَعْرُوفَةٌ إِلَى
 وَقْتِنَا هَذَا تَبَيَّنَ فِي الْمَحَالِّ وَالسُّكُكِ.
- وَلَمْ تَزَلْ هَمْدَانَ خَرَابًا حَتَّى كَانَتْ حَرْبُ دَارَا بْنِ دَارَا وَالإِسْكَانْدَرِ. فَإِنَّ دَارَا
 اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي أَمْرِهِ فَلَمَّا أَظْلَهُ الإِسْكَانْدَرُ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِمَحَارَبَتِهِ بَعْدَ أَنْ يُحْرَزَ
 حُرْمَةُ وَأَمْوَالُهُ وَخَزَائِنُهُ بِمَكَانٍ مُنْبَعٍ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ وَيَتَجَرَّدُ هُوَ لِلْقِتَالِ.
- فَقَالَ: انظُرُوا مَوْضِعًا حَرِيظًا حَصِينًا لِذَلِكَ. فَقَالُوا لَهُ: مِنْ وَرَاءِ الْمَاهِنِينَ جِبَالًا لَا
 تُرَامُ وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالسَّنْدِ. وَهَنَّاكَ رَسْمَ مَدِينَةٍ عَتِيقَةٍ قَدْ خُرِبَتْ وَبَادَتْ وَهَلَكَ أَهْلُهَا،
 وَحَوْلَهَا جِبَالٌ شَاخِجَةٌ يُقَالُ لَهَا هَمْدَانَ.
- فَالرَّأْيُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهَا مِنْ يَأْمُرِهِ بِنَائِهَا وَإِحْكَامِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي وَسْطِهَا
 حِصْنًا يَكُونُ لِلْحُرْمِ وَالْحَزَائِنِ وَالْعِيَالِ وَالْأَمْوَالِ، وَتُبْنَى حَوْلَ الْحِصْنِ دُورٌ لِعِيَالِ
 الْقَوَادِ وَالْحَاصَّةِ وَالْمَرَازِبَةِ. ثُمَّ يُوَكَّلُ بِالْمَدِينَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ خَاصَّةِ الْمَلِكِ
 وَثِقَاتِهِ يَحْمُونَهَا وَيَقَاتِلُونَ عَنْهَا مَتَى رَامَهَا أَحَدٌ. ١٥
- فَأَمَرَ دَارَا بِبِنَاءِ هَمْدَانَ وَبِنَى فِي وَسْطِهَا قَصْرًا عَظِيمًا مُشْرِفًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْجُهُ وَسَمَّاهُ
 سَارُوقَ،^١ وَجَعَلَ فِيهِ أَلْفَ مَخْبَأٍ لِحَزَائِنِهِ وَأَمْوَالِهِ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ حَدِيدٍ،

^١ مرت ترجمته ص ١٦٤.

كُلِّ بَابٍ فِي اِرْتِفَاعِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا، ثُمَّ أَمَرَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَزَائِنِهِ فَحُوِّلُوا إِلَيْهَا وَأُسْكِنُوهَا، وَجَعَلَ فِي وَسْطِ الْقَصْرِ قَصْرًا آخَرَ صَبَّرَ فِيهِ خَوَاصَّ حُرْمِهِ وَأَحْرَزَ ٣
أَمْوَالَهُ فِي تِلْكَ الْمَخَابِيءِ^(٨). وَوَكَّلَ بِالْمَدِينَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَجَعَلَهُمْ حَرَسًا عَلَيْهَا.

وَذَكَرَ بَعْضُ مَسَائِخِ هَمْدَانَ : أَمَّا أَعْتَقَ مَدِينَةَ بِالْجَبَلِ وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ ٦
بَقِيَّةِ بِنَاءِ قَدِيمٍ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ. وَهُوَ طَاقٌ عَظِيمٌ شَاهِقٌ لَا يُدْرَى مِنْ بِنَاؤِهِ وَلِلْعَامَّةِ فِيهِ
أَخْبَارٌ عَامِّيَّةٌ^١ يَذْكُرُونَ [١١٥] أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي الطَّاقِ حَجْرًا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ: مِنْ
إِضْطَخَرِ عَدَوْتَنَا، وَفِي هَذَا الطَّاقِ قَيْلُنَا، وَبِالنَّشَامِ مَبِيَّتَنَا.

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ سُليمانَ بْنِ دَاوُدَ كَتَبَهُ، وَأَنَّ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْتَازَ ٩
هَذَا الْمَكَانَ فَرَأَى عُرَابًا سَاقِطًا عَلَيْهِ - وَيُقَالُ إِنَّ الْعُرَابَ يَعِيشُ أَلْفَ سَنَةٍ - فَقَالَ لَهُ
سُليمانُ: خَبِّرْنِي خَبْرَ هَذَا الطَّاقِ وَمَنْ بَنَاهُ. فَقَالَ: أَنَا هَاهُنَا مِنْذُ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ، وَأَقَامَ أَبِي
قَبْلَ هَاهُنَا أَلْفَ سَنَةٍ، وَجِدِي قَبْلَ ذَلِكَ أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ عَلَى حَالَتِهِ كَذَا وَجَدْنَاهُ مَا
تَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ. ١٢

وَأَخْبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ: أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي بَعْضِ الْمَخَابِيءِ الَّتِي فِي الْقَصْرِ
الْمَعْرُوفِ بِسَارُوقٍ، رُقْعَةً فِيهَا كِتَابَةٌ بِالْفَارَسِيَّةِ فَتُرْجِمَتْ فَكَانَتْ: وَظَّفَ الْمَلِكُ عَلَى
أَهْلِ مَرَوْ لِيْنَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنَ الطَّيْنِ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ وَقُر. ١٥

(٨ - ٨) فِي الْمَخْتَصَرِ: «وَاسْتَعْمَلُوا الْفَعْلَةَ فِي بِنَائِهَا، وَصَبَّرُوا فِي الْقَصْرِ ثَلَاثِمِائَةَ خِزَانَةٍ وَأَمْوَالَهُ...».

^١ قَارَنَ: مَخْتَصَرُ كِتَابِ الْبُلْدَانَ، ص ٢١٩؛ وَقَدْ نَقَلَ يَاقُوتٌ فِي مَادَّةِ هَمْدَانَ جَمِيعَ الْأَخْبَارِ السَّابِقَةِ عَنِ ابْنِ الْفَقِيهِ،
بِنَفْسِ نَسْقِ التَّرْتِيبِ وَالصِّيَاغَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَشِرْ إِلَى نَقْلِهِ مِنْهُ. قَارَنَ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانَ، مَادَّةُ هَمْدَانَ: ج ٥،

قال: وإذا تَفَقَّدتَ طينَ المَدِينَةِ ونَظَرْتَ إلى أبنيتها القَدِيمَةِ رَأَيْتَ الطينَ مُخْتَلَفًا ما بين أبيضٍ وأحمرٍ وأسودٍ وغير ذلك، وَرَعَمُوا أَنَّ المُلُوكَ كانت تُوظَّفُ على رعاياها حملَ الطينِ في وَقتِ، والماءِ في وَقتِ، والأجرِ والحِجَارَةِ في وَقتِ إلى ما يَبْنُونَهُ من المَدَن لِيَعْرِفُوا بِذلك سَمْعَهُم وطاعَتَهُم.

وعن بعض أهل هَمْدَانَ قال: قَدِمْتُ على جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ عليه السلام فقال لي: من أين أنت؟ قلتُ: من الجَبَلِ. قال: من أيِّ مَدِينَةٍ؟ قلتُ: من مَدِينَةِ هَمْدَانَ. قال: أتعْرِفُ جَبَلَهَا الذي يُقالُ له رُونْدًا؟ قلتُ: جعلني اللهُ فِدَاكَ إِنِّها يُقالُ له أروند. قال: نعم. أَمَا إِنِّ فيه عَيْنًا من عُيُونِ الجَنَّةِ.

قال: فأهلُ البَلَدِ يرونَ أَنِّها الحَمَّةُ التي على قَلَّةِ الجَبَلِ، وذلك أَنَّ ماءَها يُخْرَجُ في وَقتِ من أوقاتِ السَّنَةِ معلُومٍ، ومَنبَعُهُ من شِقِّ في صَخْرَةٍ. ^(a) وهو ماءٌ عَذْبٌ ^(a) يشربُ منه الواحدُ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ مائةَ رَطَلٍ وأكثرَ ولا يروى ولا يُؤذيه ^(b) كَثْرَةُ ما يشربُ منه، بل يَنْفَعُهُ ^١. فإذا تَجَاوَزتْ أَيَّامُهُ المَعْدُودَةَ التي يُخْرَجُ فيها، وَذَهَبَ إلى وَقتِهِ من العَامِ المُقْبِلِ لا يَزِيدُ يَوْمًا ولا يَنْقُصُ يَوْمًا في خُرُوجِهِ وانقِطَاعِهِ ^(c).

^(a) - (a) في المختصر: «وهو ماء عذب طيب شديد البرودة خفيف».

^(b) في المختصر: ولا يضره.

^(c) لدى ياقوت بزيادة: «...وهو شفاء للمرضى يأتونه من كل وجه. ويقال إنه يكثر إذا كثرت الناس عليه ويقال إذا قلوا عنه».

^١ قارن مختصر كتاب البلدان، ص ٢١٩.

^٢ قارن ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة أروند] ج ١، ص ١٦٣-١٦٤.

وقال محمد بن بشار^١ يذكر أزوند في شعر طويل (شعر): [١١٥ظ]

[الكامل]

ولقد أقول تيامني وتشاءمي وتواصلي ديمًا على همدان
بلد نبات الزعفران ثرابه وشرابه عسل بماء قنان
سقى لأوجه من سقى لذكرهم ماء الجوى بزجاجة الأخران
كاد الفؤاد يطير بما شفه شوقًا بأجنحة من الخفقان
فكسا الربيع بلاد أهلك روضة تفر عن نفل عن حوذان
حتى تعانق من خزامك الدرئ بالجهلتين شقائق النعمان
وإذا تبجست الثلوج تبجست عن كوثر شيم وعن حيوان
متسلسلين على مذاب تلعة تنغو الجداء بها مع الحملان

وقال أيضًا:

٣

[الطويل]

ترينت الدنيا وطابت جنائها وناح على أغصانها وزشائها
وأمرعت القيعان واخصر نبتها وقام على الوزن السواء زمائها
وجاءت جنود من قرى الهند لم لتأتي إلا حين يأتي أوائها
مسودة دعج العيون كأنما لغات بنات الهند يحكي لسانها
لعمرك ما في الأرض شيء نلده من العيش إلا فوقه همدانها

^١ محمد بن بشار بن داود بن كيسان البصري البغدادي، الإمام الحافظ، لقب ببندار الحديث لكثرة حفظه، توفي سنة ٢٥٢/٥٢٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٧٣؛ ابن حبان: الثقات، ج ٩، ص ١١١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٤٥٨.

إذا استقبل الصيف الربيع
 وهاج عليهم بالعراق وأرضه
 سقتك ذرى أزوند من سنج ذائب
 ترى الماء مُستتاً على متن صخره
 كأن بها شوباً من الجنة التي
 فيا ساقى كأسى أصبحاني مُدامة
 مُكللة بالنور تحكي مضاحكا
 كأن عروس الحي بثت خلاتها
 تهاويل من خمير وضمير كأنها
 شباريح من أزوند شم قناتها
 هواجز يشوي أهلها لهباتها
 من الثلج أنهارا عذاباً رعائها
 يتابع يزهي حُسْنها واستينائها
 يفيض على سگاتها حيواتها
 على روضة يشفي المحب جناها
 شقاتها في غاية الحسنى بانها
 قلاؤد ياقوت زهاها افترائها
 ثنايا العذارى ضاحكا أفحوائها

وقال أيضاً: [١١٦و]

[البيسط]

سُقيا لظلك يا أزوند من جبل
 هل يعلم الناس ما كلفنتي حججاً
 لازلت تُكسى على الأنوار أزدية
 حتى تزور العذارى كل شارقة
 وأنت في حلال والجو في حلال
 وإن رميناك بالهجران والملل
 من حب مائك إذ يشفي من العلل
 من ناضير أنيق أو ناعم خصل
 أفياء سفحك يستصين ذا الغزل
 والبيض في حلال والرؤص في حلال

[فَضْلُ الْمَاءِ وَخَوَاصُّهُ]

٣ وقالوا: أَطْيَبُ الْبُلْدَانِ مَا طَابَ هَوَاؤُهُ وَعَذَبَ مَأْوُهُ وَكَثُرَ كِلَاؤُهُ، وَالْمَاءُ
 [البارد] ^(a) مِرْأَجُ الرُّوحِ وَصَفِي [النَّفْسِ] ^(a) وَقِوَامُ الْأَبْدَانِ ^(b) النَّاطِقُ وَغَيْرُ النَّاطِقِ ^(b)
 بِمَجَانِسَتِهِ لَهَا وَمُعَادَلَتِهِ إِيَّاهَا، وَمَنْ فَضِيلَتِهِ أَنَّ كُلَّ شَرَابٍ وَإِنْ رَقَّ وَصَفَا وَعَذَبَ
 ٦ وَحَلَا فَلَيْسَ بَعْوَضٍ مِنْهُ وَلَا مُغْنٍ عَنْهُ، بَلْ يَطِيبُ بِمُزَاجَةِ الْعَذْبِ وَبِمُخَالَطَتِهِ حَتَّى
 يَسْرِي فِي الْعُرُوقِ بِلَطَافَتِهِ وَيَنْسَابُ فِي الْمَفَاصِلِ بِرَقَّتِهِ مَعَ خَاصِّيَّتِهِ فِي رِيِّ الظَّمَا
 وَإِطْفَائِهِ ضِرَامِ نَارِ الْحَشَاءِ، وَلَوْلَا هُ مَا عُرِفَ فَضْلُ الْبُسْتَانِ عَلَى الْجِنَانِ، وَلَكَانَ وَغَيْرُهُ
 ٩ سِيَّانًا. وَلَقَدْ جَعَلْتُهُ الْعَرَبُ مَثَلًا فَقَالَ الْقَطَامِيُّ ^١ (شِعْر):

[البسيط]

فَهُنَّ يَنْبُذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي
 وقال آخر ^٢:

[الطويل]

أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى عِدَابٌ كَأَنَّمَا سَقَّتْكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمًا بَرْدًا

^(a) ساقطة من الأصل: والتتمة من المختصر. ^(b-b) في المختصر: « من الناس والحيوان ».

^١ تقدمت ترجمته ص ١٨٣؛ وانظر مختصر كتاب البلدان، ص ٢٢١.

^٢ البيت للشاعر: الرَّمَّاحُ بْنُ مِيَادَةَ الْمَرِي، أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ. انظر في ترجمته: الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج ٢، ص ١١٠٠.

وذكر أبو جعفر مَحْبَرَةُ النَّدِيمِ^١ أَنَّهُ حَمَلَ لِلْمَوْفِقِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الْجَبَلِ مِنْ مَاءٍ دِجْلَةَ أَلْفِ خُمَاسِيَّةٍ فَلَمَّا وَافَى هَمْدَانَ وَصِفَ لَهُ مَاوَاهَا فَشَرِبَ مِنْهُ وَاسْتَطَابَهُ وَتَرَكَ مَاءَ دِجْلَةَ وَجَعَلَهُ شَرَابُهُ.

(*) وَطَلَبَ الشَّعْبِيُّ^٢ عَلَى مَائِدَةِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ - وَقَدْ قِيلَ غَيْرُهُ - مَاءً، فَلَمْ يُدْرَ اللَّبَنُ يُرِيدُ أَمْ الْعَسَلُ أَمْ الْمَاءُ، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ الْأَشْرِيَةِ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: أَعَزُّهَا مَفْقُودًا وَأَهْوَنُهَا مَوْجُودًا. فَقَالَ قُتَيْبَةُ: اسْقُوهُ مَاءً.

وكان أبو العتاهية^٣ في جماعة من الشعراء عند بعض الملوك فشرِبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَاءً وَقَالَ:

بَرَدَ الْمَاءُ وَطَابَا .

فقال أبو العتاهية: حَبَّذا الْمَاءُ شَرَابًا .

وقال الله ﷻ مَفْحَمًا لِأَمْرِ الْمَاءِ [١١٦ظ]: ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥].

^١ محبرة النديم هو: محمد بن يحيى بن أمي عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكري اللغوي المعروف بالنديم، كان حسن الأدب ونامد المعتضد، صنّف كتابًا في اللغة سماه "جامع النطق". انظر في ترجمته: النديم: الفهرست، ج ١، ص ١٧٦؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٦٢؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٣، ص ٢٣٢.

(*) من هنا تبدأ نقول "ابن الفقيه" من كتاب "الحيوان"، للجاحظ.

^٢ مرت ترجمته ص ١٩٨.

^٣ أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزّي، الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢١١هـ/٨٢٦م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧٨١؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٢٧-٢٣٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٢٦-٢٣٧.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ بغير السَّلَامَةِ مِنَ التَّغْيِيرِ إِذَا كَانَ [الماء] ^(a) مَتَى كَانَ خَالِصًا
 لَمْ يَحْتَجِ أَنْ يُشْرَبَ بِشَيْءٍ ^(b) غَرِيبًا فِي ^(b) خَلْقَتِهِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالْعَذُوبَةِ وَالْبَرْدِ وَالطَّيِّبِ
 ٣ وَالْحَسَنِ.^١
 قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ^٢:

[الرمل]

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقُ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي
 ٦ وَفِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قَالَ: عَنِ الْمَاءِ الْبَارِدِ
 فِي الصَّيْفِ وَعَنِ الْحَارِّ فِي الشِّتَاءِ.
 وَقَالُوا فِي النَّظْرِ إِلَى الْمَاءِ الدَّائِمِ وَالْجَارِي مَا قَالُوا.
 ٩ وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ: مَنْ كَانَ بِهِ مَرَضٌ فَلْيَأْخُذْ دِرْهَمًا حَلَالًا وَلْيَشْتَرِ بِهِ عَسَلًا ثُمَّ
 لِيَشْرَبْهُ بِمَاءِ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

^(a) زيادة من الجاحظ: الحيوان.

^(b- b) لدى الجاحظ: غير ما.

^١ ينقل هنا ابن الفقيه عن الجاحظ بتصريف يسير دون أن يشير إلى مصدره قارن: الحيوان: [باب ما قيل من الشعر في الماء] ج ٥، ص ٧٦.

^٢ عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي، شاعر من دهاة الجاهليين، كان يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، واتخذ في خاصته وجعله ترجمانا بينه وبين العرب، توفي سنة ٣٥٥ ق.هـ/٥٩٠ م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٢١٩-٢٢٤؛ المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٤٩.

والرَيْقُ^(٥) هو الماء عند العرب^١. وما ظنُّكَ بِشَرَابٍ إِذَا مَلَحَ وَخَبِثَ^(٦) أثمر العنبر وولَّد الدر، وإذا صفا وطاب أخيا الأنفس. وقال الله ﷻ: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ [النمل: ٤٤]. لَأَنَّ الرَّجَاجَ أَكْثَرَ مَا يُخْرَجُ بِهِ أَنْ يُقَالَ كَأَنَّهُ الْمَاءُ الْجَارِي.

وقال الله تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [فاطر: ١٢] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: ٤٥] ويقال: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ مَاءٌ، أَوْ قَدْ أَصَابَهُ مَاءٌ، أَوْ قَدْ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ، وَالتُّطْفَةُ تُسَمَّى مَاءً وَالْمَاءُ يُسَمَّى نُطْفَةً. وقال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]. وقال ابن عباس: السَّاءُ مَوْجٌ.

وقال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١].

وحيث اجتهدوا في تسمية امرأة بالجمال والحسن والصفاء والبياض قالوا: [ابنة]^(٧) ماء السَّاء، وقالوا: المنذر بن ماء السَّاء^٢ ويقولون: ^(د)صَبِغْ لَهُ مَاءً، وَلَوْ نْ لَهُ مَاءً^(د)^٣

^(٥) رسمت في الأصل: ريف. ^(٦) رسمت في الأصل: خشب.

^(٧) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

^(د-د) ساقطة من الأصل والتتمة من الجاحظ: الحيوان.

^١ انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة [ري ق] ج ١٠، ص ١٣٢-١٣٦.

^٢ لقيت به أم المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عدي، واسمها ماوية بنت عوف بن جشم، وسميت بياء الساء تشبيهاً به في الحسن والصفاء والطهارة. انظر: الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٥٦٢.

^٣ انظر: الجاحظ: الحيوان، ج ٥، ص ٧٩.

وَفُلَانٌ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَاءٌ، وَرَدَنِي فُلَانٌ وَوَجْهِي بِمِائِهِ^١.
قال الشاعر:

[الطويل]

مَاءُ الْحَيَاءِ يَجُورُ فِي وَجَنَاتِهِ
ووصف الرَّاجِزِ جَمَلًا كَرِيمًا فَقَالَ:

أَرَاكَ فِي مَاءِ الْمَهَارِيِّ مُنْتَفِعٌ^٢.

وقالت أم فروة^٣ في صفة الماء (شعر):

[الطويل]

وَمَا مَاءٌ مَزِنَ أَيِّ مَاءٍ تَقُولُهُ تَحَدَّرَ مِنْ عُرِّ طُوَالِ الدَّوَائِبِ
يُمْنَعِرِجُ أَوْ بَطْنِ وَاذِ تَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ رِيَا حُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
نَفَى نَسَمَ الرِّيحِ عَنِ مَثُونِهِ قَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعَائِبِ
a) [بِأَطْيَبِ مِمَّا يَقْضُرُ الوَصْفُ تُقَى اللهُ وَاسْتِحْيَاءُ تِلْكَ العَوَاقِبِ] b)

[١١٧] والأبيضان: الماء واللبن، والأسودان: التمر والماء. وسواد العراق: ماؤه

الكثير. والماء إذا كان له عمق أشتد سواده في العين^٤.

(a-b) زيادة يتم بها المعنى. الجاحظ: الحيوان.

^١ انظر: الجاحظ: الحيوان، ج ٥، ص ٧٩.

^٢ المهاري: الإبل المهرية نسبة إلى مهرة وهو حي من قضاة. والإبل المهرية نجائب تسبق الخيل. انظر:

الزبيدي: تاج العروس، ج ١٤، ص ١٥٨.

^٣ زينب بنت فروة المرية. انظر: أبو علي القالي: الأمالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٨٧.

^٤ قارن: الجاحظ: المصدر السابق، ج ٥، ص ٧٩؛ ج ٣، ص ١٢٠.

وقال العُكْلِيُّ^١ في صِفَةِ المَاءِ (شِعْر)^٢:

[الرجز]

عَاوَدُهُ مِنْ ذِكْرِ سَلَمَى عَوَدَهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ مُطْلَخِمْ أَسْوَدَهُ
فَبِتُّ لَيْلِي سَاهِرًا مَا أَرْقُدُهُ مُرْتَفَعًا أَوْ قَائِمًا مَا أَقْعُدُهُ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَوَلَّى كَيْدُهُ وَانْكَبَّ لِلْعَوْرِ انْكِبَابًا فَرَقْدُهُ
وَحَتَّةً حَادٍ كَمَيْشٍ يَطْرُدُهُ أَعْرُ أَجْلَى مُغْرِبٍ مُجْرَدُهُ
أَصْبَحَ بِالْقَلْبِ جَوَى مَا يُبْرُدُهُ مَاءٌ عَمَامٍ فِي الرَّصَاقَةِ مِقْلُدُهُ
زَالَ بِهِ مِنْ رَأْسِ تَيْنٍ صَلْدُهُ عَنْ ظَهْرِ صَفْوَانٍ مُزَلِّ مَجْسَدُهُ
حَتَّى احْتَلِيلُ تَنَاهَى مَدَدُهُ وَمُسْكِرِ المَاءِ الَّذِي يَسْتُنْكِدُهُ
بَيْنَ خُزَامِي وَأَنَاجٍ تُلْهِدُهُ ظِلُّ نَسِيمٍ مِنْ صِبَا يَسْتَوْدُهُ
كَأَنَّهَا تَشْهَدُهُ أَوْ تَفْقِدُهُ فَهُوَ سَقَا الصَّبْرُ مِمَّا يَعْمَدُهُ

وقال جرير^٣ (شِعْر):

٣

[الكامل]

لَوْ شِئْتُ قَدْ نَقَعَ الْفُؤَادُ بَشْرِيَّةً تَجِدُ الحَوَائِمَ لَا يَجِدُنْ مَقِيلًا
العَذْبُ مِنْ وَسْطِ الفَلَاتِ مَقِيلَةٌ قَصْرَ الأَبَاطِحِ لَا يَزَالُ ظَلِيلًا

^١ سويد بن عمرو العكلي، شاعر فارس مقدم، كان في العصر الأموي صاحب الرأي والتقدم في بني عكل. توفي سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م. انظر في ترجمته وأخباره: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٦١٩؛ ابن سلام

الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ١٧١-١٧٧.

^٢ قارن الأبيات لدى الجاحظ: الحيوان، ج ٥، ص ٨٠.

^٣ مرت ترجمته ص ٤٦١.

قالوا: وفي الماء، أَنَّ أَطْيَبَ شَرَابٍ عُمَلٌ وَرُكْبٌ مِثْلُ الْجَلَّابِ^١ وَالسَّكَنْجِينِ^٢ وَالْمَيْعَةِ^٣ وغير ذلك، مما يُشْرَبُ مِنَ الْإِنْبِجَاتِ وَالْإفْشَرَجَاتِ، فَإِنَّ تَمَامَ لَذَّتِهِ وَغَايَةَ طَعْمِهِ أَنْ يَجْرَعَ شَارِبِهِ بَعْدَ شُرْبِهِ إِيَّاهُ جَزَعًا مِنَ الْمَاءِ يَغْسِلُ بِهَا فَمَهُ وَيُطَيِّبُ بِهَا نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْحَلَّةِ وَالْحَمْضِ جَمِيعًا، وَهُوَ لِتَسْوِيعِ الطَّعَامِ فِي الْمَرِيِّ، وَهُوَ الْمَوْصَلُ الْغِذَاءَ فِي الْأَعْضَاءِ.

فَالْمَاءُ يُشْرَبُ صِرْفًا وَمَمْزُوجًا، وَالْأَشْرِبَةُ لَا تُشْرَبُ صِرْفًا وَلَا يُتَمَعُّ بِهَا إِلَّا بِمَمَّا زَجَّتْهُ. وَهُوَ بَعْدُ طَهُورُ الْأَبْدَانِ وَعَسْوَلُ الْأَذْرَانِ. وَقَالُوا: هُوَ الْمَاءُ الَّذِي يُطَهَّرُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْمَاءُ لَا يُنَجِّسُهُ [١١٧ظ] شَيْءٌ إِلَّا مَا ظَهَرَ فِي طَعْمِهِ وَرِيحِهِ"^٤. وَمِنَهُ يَكُونُ الثَّلْجُ، وَالثَّلْجُ يَجْمَعُ الْحُسْنَ فِي الْعَيْنِ وَالْكَرَمَ فِي الْبَيَاضِ وَالصَّفَاءَ وَحُسْنَ الْمَوْقِعِ مِنَ النَّفْسِ.

^(٥) لدى الجاحظ: البنفسج.

^١ الجلاب: لفظه فارسية معربة، تعني ماء الورد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٢٧٤.

^٢ السكنجين: كلمة فارسية معربة، مركبة من سك أنكين، وتعني شراب مركب من الخل والعسل. انظر: معجم الألفاظ الفارسية: ص ٩٢.

^٣ الميعة: عطر طيب الرائحة، انظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٤٥؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٢٢، ص ٢٢٣-٢٢٤.

^٤ أخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: «قال رسول الله ﷺ: الماء لا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ». أما ما زاده ابن الفقيه على هذا فليس من متن الحديث أصلاً.

انظر: مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، حديث رقم ١١٢٨٨، ص ٦٩٩.

ومن فَضَّلَ الْجَبَلِ عَلَى الْعِرَاقِ: أَنْكَ لَوْ قُلْتَ لِمَرِيضٍ قَدْ نَقَّهَ مِنْ عِلَّتِهِ بِيغْدَادٍ فِي أَيَّامِ حُزَيْرَانَ وَتَمُوزَ وَبِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ مَا تَشْتَهِي؟! لَقَالَ: أَشْتَهِي شَرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ أَوْ قِطْعَةَ ثَلْجٍ أَوْ جَلِيدٍ. ٣

وقد أَقْسَمُوا بِالْمَاءِ قَالَ الشَّاعِرُ:

[السريع]

عَضِبِي فَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَشْرَبُ الْبَارِدَ أَوْ تَرَضِي

وسمى اللهُ ﷻ أَضْلَ الْمَاءِ غَيْثًا بَعْدَ أَنْ قَالَ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧].
وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبا:١٤-١٦] ومن الْمَاءِ زَمَزَمَ وهو لِمَا شَرِبَ لَهُ^١، ومنه مَا يَكُونُ دَوَاءً مِنَ الْأَدْوَاءِ الْعَلِيظَةِ كَالْحَمَّاتِ*.

وَبِهَمْذَانَ حَمَّاتٌ كَثِيرَةٌ نَافِعَةٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ غَلِيظَةٍ مِثْلَ النَّقْرَسِ وَالْجَرَبِ، وَالرِّيَّاحِ الْمُسْتَصْعَبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَيَنْفَعُهَا مَنَفَعَةٌ تَامَةٌ. مِنْهَا مَاءٌ [حَمَّة] ^٢ أَرْوَدُ وَلُونْدَانُ، وَحَمَّةٌ بِسَازِقِينَ ^٣، وَحَمَّةٌ دَارُ نَبْهَانَ، وَمَاءُ آسْتِ، وَعَبْدُ اللَّهِ أَبَاذُ، [وَمَاءُ بَذِينَ] ^٤ وَمَاءُ سَامِينَ ^٥، وَغَيْرُ ذَلِكَ ^٦.

^١ ساقطة من الأصل والتمة من المختصر.

^٢ كذا في الأصل.

^٣ في المختصر سامير.

^٤ أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، [باب الشرب من ماء زمزم] مجلد ٤، حديث رقم: ٣١٧٨.

^٥ إلى هنا تنتهي نقول "ابن الفقيه" من كتاب "الحيوان" للجاحظ.

^٦ قارن: مختصر الكتاب: ص ٢٢٢-٢٢٣.

وقالوا: أحسنُ الأشياءِ: صَفْوُ هَوَاءٍ وَعُدُوبَةُ مَاءٍ وَخُضْرَةُ كِلَاءٍ. وَالْمَاءُ حَيَاةٌ

كُلُّ شَيْءٍ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَزْكَانِ الْأَزْبَعَةِ الَّتِي هِيَ: الْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالنَّارُ وَالْهَوَاءُ.

وقالوا: أَفْضَلُ الْمِيَاهِ مَاءُ السَّمَاءِ إِذَا أُخِذَ فِي تَوْبٍ نَظِيفٍ، ثُمَّ مَا وَقَعَ عَلَى جَبَلٍ

فاجْتَمَعَ عَلَى صَخْرَةٍ، ثُمَّ مَاءُ الْغُدْرَانِ الْعِظَامِ، [ثُمَّ مَاءُ] الْمُسْتَنْقَعِ فِي الصَّحَارِيِّ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عُشْبٌ، ثُمَّ مَاءُ الْقُنِيِّ، ثُمَّ مَاءُ الْحَوْضِ الْكَثِيرِ الْعُمُقِ، ثُمَّ مَاءُ

الْعُيُونِ وَمَا يَنْحَدِرُ مِنَ الْجِبَالِ وَالْمَاءُ الْجَارِي الْمَغْلِي جَيِّدٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ جَيِّدٌ

لِلْحُمَى وَالزُّكَامِ وَجَيِّدٌ لِلرِّيَّاحِ وَالْبَلْغَمِ.

وقالوا: لَوْلَا أَنَّ مَاءَ هَمْدَانَ مُتَفَرِّقٌ - وَهِيَ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ - فِي أَقْطَارِهَا، لَكَانَ إِذَا

اجْتَمَعَ مَائُهَا مِثْلَ دِجْلَةَ وَالْفَرَاتِ.

وقال ثاؤينس^(a): الْمَاءُ حَيَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهَلَاكٌ كُلُّ شَيْءٍ وَعَضَارَةٌ كُلُّ شَيْءٍ

وَكَايِفٌ بِأَلِ كُلِّ شَيْءٍ. فَأَمَّا قَوْلُهُ حَيَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ: فَبِهِ يَحْيَا الْإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ اللَّهُ

أَشْرَفَ صَنِيْعَةً مِنْهُ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَكُلِّ مَأْكُولٍ مِنَ الثَّمَرِ وَغَيْرِهِ.

وَهُوَ عَضَارَةٌ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَنَضْرَتَهَا، وَأَمَّا كُسُوفُ بَالِ كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا عَدِمَ مِنْهُ الْمَاءُ

تَغَيَّرَتْ نَضْرَتُهُ وَذَلِكَ كُسُوفٌ بِأَلِهِ،^(b) [وَأَمَّا هَلَاكٌ كُلُّ شَيْءٍ. فَإِنَّ الْغَرَقَ مِنْهُ وَكَثْرَةَ

شُرْبِهِ تُورِثُ الْأَذْوَاءَ كَمَا أَنَّ الْاِقْتِصَادَ فِيهِ يُذْهِبُ كُلَّ دَاءٍ]^(b).

(b-b) تمة النص من المختصر.

(a) رسمت في الأصل: ثياؤوس، والتصويب من النديم.

¹ ثاؤينس: فليسوف يوناني تكلم في علم الفلك وما تحدث به الكواكب، وله تصانيف منها كتاب الطوفانات،

وكتاب الكواكب المُنْدَبَةِ. انظر: النديم: الفهرست، ج ٢، ص ٢٢٠؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص ٨٠.

(وهو فيه: باذنيوس).

وماء السماء إذا أخذ في شيءٍ نقيٍّ وصُفي [١١٨] وشرب منه صاحب السُّلِّ
واليرقان^١ نفعهما، وإذا أخذ منه في جَمٍ قبل أن يقع إلى الأرضِ وشربه من أراد
الدُّكاء زاد في حفظه ودكائه. ٣

وإن أخذ ماء السماء وخلط مع العسل والمُصطكى^٢ وشرب نفع من البهق،
وماء البرد إذا أخذ وألقي على قصبِ فارسيٍّ محرقٍ واستيك به نفع من الحُفْرِ
والقلح^٣ وأذهب بذلك وصلب الأسنان. ٦

وماء الثلج إذا أخذ مع عرق إنسانٍ ثم سقي به من الكزاز^٤ سکن فيه.
وإذا أخذ مع لبن الإبل وسقي من به حَفَقان الفؤاد سکنه.

وإن خلط به زبدُ البحرِ ثم طلي به الجربُ ذهب به. وإن أخذ مع رَماد الزيتون
فطلي بهما البهق الأسود نفعه. وإن أخذ ماء البئرِ أول ما ينبع ثم شربه من سقي
السُّم كان نافعاً له. ٩

^١ اليرقان: مرض يصيب الإنسان والحيوان، يمنع وصول الصفراء إلى المعدة، ويُغيّر لون الإنسان إلى الصفرة
أو السواد. انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ١٨٨؛ ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٤؛ المعجم
الوسيط ج ٢ ص ١٠٦٤.

^٢ المصطكى: العلك الرومي، لبان تجاري ثمين معروف يستخرج من شجر الكيا أو الضرو، يكثر استخدامه في
الأدوية. انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١٠، ص ٢٦؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية ج ٦ ص ٥١٢.

^٣ القلح: جمع قلح، وهو صفرة ووسخ تعتلئ الأسنان من طول ترك السواك. انظر: الزبيدي: تاج العروس،
[مادة قلح] ج ٧، ص ٦٠-٦١.

^٤ الكزاز: عدلة من ثمى أو برد وقيل: داء يصيب الإنسان فيرعد حتى يموت. انظر: ابن سيده: المخصص،
تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م. ج ١، ص ٤٧٥.

وإن أخذ أيضًا ثم فُت فيه خُبز من حِنطَة حديثه وجُعِل معه قند^١ وأكله من به
وجع الفؤاد نفعه. وأوّل ما يَظْهَر من العين عند حَفْرها فهو نافع من الجُتُونِ
٣ والوسواس.

وإن ظهرت عينٌ في سَبَخِه فطرح فيها الإسقيِل المَشوي^٢ وأصل الكَبَر كان دواءً
للمَجْدُومين. والعُيون الكَثِيبِيَّة تَنفَع من الجرب. وماءُ البَحْرِ إذا أُخِذ مع السُنْبُلِ
٦ المَذْقُوق والسُّعد^٣ ودُلكَ به اللِّسان قطع البَحْر وطيب رائحة الفم.

وأثبِد لأبي صَالِحِ الحَدَّاءِ^٤ من شِعْرِ طَوِيلٍ كَتَبَ به إلى ابْنِه - وكان غَائِبًا - يَذْكُرُ
له طيب هواءِ هَمْدَانَ وحُسْنِهَا ونَزْهَتِهَا وعُدُوبَةَ مَائِهَا ويُسَوِّقُه إليها (شِعْر):

[السريع]

فَارْحَلْ إِلَيْنَا رِحْلَةً قَبْلَ^(a) (b) أَنْ تَرِنِي بِرِمْسٍ مَذْفُونِ^(a)
فَقَدْ هَدَتْ سُورَةَ أَيَّامِنَا وَأَنْسَلَخْتَ أَيَّامَ تَشْرِينِ

^(a) في المختصر: تنجلي.

^(b-b) في المختصر: منا غيابات لمحزون.

^١ القند: عصارة قصب السكر، وقيل: غسل قصب السكر إذا جمد. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٩٦٨؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة [ق ن د] ج ٩، ص ٧٣-٧٤.

^٢ الإسقيِل: نبتة طبية تنبت في البراري على الماء والندى، يقال لها بصل العُنصل، وتعرف عند العامة ببصل
القار. انظر: الزبيدي، المصدر السابق، مادة [ع ص ل] ج ٢٩، ص ٤٨٩؛ المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٣٦.

^٣ السعد: نبت له أصل تحت الأرض أسود طيب الريح. الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ٢، ص ٤٤-٤٥؛ ابن
منظور: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٦.

^٤ لم أجد له ترجمة.

وَجَاءَنَا الشَّهْرُ الَّذِي صُفِّدْتُ فِيهِ عَفَارِثُ الشَّيَاطِينِ
 وَطَابَ لِلسَّارِينَ وَجْهَ الشَّرَى فِي طَرِيقِ الرَّيِّ وَقَزْوِينَ
 وَالذَّهْرُ فِي تَقْوِيمِ سَاعَاتِهِ كَدِزْهِمِ أَيْضِ مَوْزُونِ
 هَذَا وَبِنْتُ الكَرَمِ قَدْ أَكْمَلَتْ عِدَّتُهَا فِي النَّارِ وَالطَّيْنِ
 عَذْوًا يَأْقُوتَهُ أُبْرِرَتْ تُحْطَبُ مِنْ خَدْرِ الدَّهَاقِينَ
 قَوْمٌ تَرَاهُمْ فَتَرَى أَنَّهُمْ نُجَّارُ عِطْرِ فِي الدَّكَاكِينِ
 وَالطَّيْرُ قَدْ آبَتْ إِلَى آبَائِهَا بِكُلِّ أَلْوَانِ التَّرَايِينِ
 قَدْ أَقْبَلْتُ وَارِدَةَ أَرْضِنَا يُقَدِّمُهَا سِرْبُ الشَّفَانِينِ
 مِنْ بَعْدِ أَنْ أَقْحَمَهَا عُجْمَةٌ غَنَّتْ بَلْحَنِ غَيْرِ مَلْحُونِ

[١١٨ظ]

تَزَيَّنْتُ فِي الْجَوْ مَحْتَالَةً تَحْتَدِي تَرْجِيعِ الْوَرَاثِينَ
 وَالْوُزُقُ مِنْ ذِكْرِ فَوَاحِيَتِهَا تُسْعِدُهَا خُضْرُ الْوَرَاثِينَ
 تَبْكِي عَلَى فُرْقَةٍ أَلَا فِيهَا شَجَوًا بَدَمِعٍ غَيْرِ مَهْتُونِ
 وَقَدْ بَدَأَ أَرْوَنْدُ يُمِيدِي لَنَا مِنْ سَفْحِهِ كَلَّ التَّحَاسِينَ
 تَزَيَّنْتُ غُرَّةً أَفْيَاثِهِ بِوَشِيهِ أَحْسَنِ تَزْيِينِ
 وَأَنْحَسَرَتْ مِنْهُ رُؤُوسُ الرُّبَى عَنْ نَاصِرٍ أَنْحَصَرَ مَسْجُونِ
 وَالقَبِيحُ مِنْ نَسَمِهِ أزدَفْتُ فِرَاحَهَا خَوْفَ الشَّوَاهِينِ
 وَلِلظَّبَا سِرْبٌ إِذَا أَقْبَلْتُ مِنْ فَجِّهِ كَالْحَرْدِ الْعِينِ

والشَّاءُ تَنُغُّوا بَيْنَ جِجَلَيْهَا قَدْ أَمِنْتُ كَيْدَ السَّرَاحِينِ
 وَالْمَاءُ يَجْرِي مِنْ مَثُونِ النَّدَى عَلَى الْخُرَامِي وَالرِّيَّاحِينِ
 نَسِيمُهَا عِنْدَ هُبُوبِ الصَّبَا أَطِيبَ مِنْ نَفْحَةِ نِسْرِينِ
 وَاللَّهُ يَسْقِي الرَّيِّ رِيَانَةً مِنْ كَانَ مِنْ سُكَّانِ رَامِينِ
 إِنَّ لَهُمْ مِنْ فَرْطِ شُكْرِي بِيَا صَانُوكَ أَجْرًا غَيْرَ مَثُونِ
 أَجْرُ الْأَلَى صَانُوا إِمَامَ الْهَدَى أَغْنِي عَلَيَّا يَوْمَ صِفِينِ
 فَهَآكِهَآ مَكْنُونَةٌ صُغْتُهُآ حُلِيًّا لِعَرْضِ لِكَ مَكْنُونِ
 أَبْكَارُ أَلْفَآظٍ وَمَا يَكْرُ مَا يُهْدَى مِنَ الْأَلْفَآظِ كَالْعُونِ
 تَمَّتْ ثَمَانِينَ وَتَأْرِجُهَا فِي سَنَةِ الْإِخْدَى وَتَسْعِينَ^(a)

[وقالوا: كل جبل في الدنيا إلا القليل فهاؤه من أسفله ومنابعه من سفوحه

إلا أروند، فإن منابعه من أعلاه ومنابعه في ذروته]^(b)

[الطويل]

وقال آخر (شعر):

٣

تَذَكَّرْتُ أَرْوَنْدَا وَطَيْبَ نَسِيمِهِ فَقُلْتُ لِقَلْبِ بِالْفُرَاقِ سَقِيمِ
 سَقَى اللَّهُ أَرْوَنْدَا وَرَوْضِ شِعَابِهِ وَمِنْ حَلَّةٍ مِنْ ظَاعِنِ وَمُقِيمِ
 وَآيَاتِنَا إِذْ نَحْنُ فِي الدَّارِ جِيزَةٍ وَإِذْ دَهْرُنَا بِالْوَصْلِ غَيْرِ دَمِيمِ

^(a) في المختصر: وسبعين.

^(b-b) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

^١ قارن هذه الأبيات بيا في المختصر، ص ٢٢٤-٢٢٥.

وقال آخر (شعر):

[البيط]

سَقِيًّا لِأَزْوَنْد مَا أَهْنَا الْمَصِيفَ بِهِ ظِلُّ ظَلِيلٍ وَمَاءٌ يَنْفَعُ الْكَبِيدَا
وَتُرْبَةٌ كَسَحِيقِ الْمِسْكِ نَكْهَتُهَا وَجِرَةٌ كَبُحُورٍ تَقْدِفُ الزَّبَدَا

٣ وقال آخر (شعر):

[البيط]

قَالُوا تَرَى النَّيْلَ فِي مِضْرٍ فَتَأَلَّفُهُ إِذْ تَرَامِي عَلَى آذِنِهِ الزَّبْدُ
فَقُلْتُ أَحْسَنُ مِنْ نَيْلٍ بِمِضْرِكُمْ مَاءُ الْعُيُونِ عَلَى الرَّضْرَاضِ يَطْرِدُ
فِي جَانِبِيهِ رِيَاضُ الزَّهْرِ زَيْنَتُهَا نَسِيمٌ تَوَارَهَا وَالطَّائِرُ الْغَرْدُ
تَرَى الْحِزَامِي يُتَاغِي الْأَفْحُوَانَ بِهَا عِنْدَ الْغُدُوِّ كَمَا تَاغَى أَبَا وَالدُّ

وَأَتَشَدُّ لَوْهَبِ بْنِ شَادَانَ الْهَمْدَانِي^١ (شعر): ١١٩ر

[البيط]

أَلْقَى الرَّبِيعُ عَلَى أَرْوَنْدَنَا خُلَعًا خُضْرًا وَخُلَعَتُهُ الْبَيْضَاءُ قَدْ نَزَعَا
كَسَاهُ تَوْبًا مِنَ النَّوَارِ تَنْسُجُهُ أَيِّدِي الَّذِي لَهَا حَفْصًا وَمُرْتَفَعَا
مَلَاءَةٌ نَسَجْتَهَا دِيمَةٌ فَلَهَا بَدَائِعُ جَمَّةٍ قَدْ فَاقَتِ الْبِدْعَا
إِذَا بَكَتْ مُزْنَةٌ مِنْ فَوْقِهَا صَحِيكَتْ شَقَائِقُ أُخْرِجَتْ مِنْ سِمَطِهَا لَمْعَا
طَوْدٌ مَيِّفٌ عَلَيْهِ شَمِيلَةٌ نُسَجَتْ خُضْرَاءُ فَارْتَفَعَتْ فِيهِ كَمَا ارْتَفَعَا

^١ له أشعار استشهد بها كل من الراغب الأصفهاني في: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ٢،

ص ٧٥٨؛ وياقوت الحموي: معجم البلدان، قارن: [مادة همدان] ج ٥، ص ٤١٣.

فَانظُرْ إِلَى بَطْنِ أَرْوَنْدَائِهِمْ تَرَى بَابًا إِلَيْهِ مِنَ الْفَرْدَوْسِ قَدْ شُرِعَا
 وَاسْمَعْ إِذَا قَرَّرَ الْقُمْرِيُّ مِنْ طَرَبٍ وَهَاجَ وَزَشَانُهُ فِي سَفْحِهِ وَدَعَا
 مِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذُرَى أَرْوَنْدٍ مُعْتَكِفًا فَذَاكَ عَنْ صُحْبَةِ اللَّذَّاتِ قَدْ جَزَعَا
 وَيُقَالُ: إِنَّ أَكْثَرَ الْجِبَالِ مَأْوُهُ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَّا أَرْوَنْدٌ فَإِنَّ مَاءَهُ فِي أَعْلَاهُ وَمَتَابِعُهُ فِي

[الكامل]

ذُرُوتِهِ. وَأَنْشُدْ لِبَعْضِهِمْ فِي أَرْوَنْدٍ (شعر):

أَزْدَى الشِّتَاءِ وَهَاجَ كُلُّ مُغْرَدٍ وَبَدَتْ مَعَالِمُ اللَّرْبِيعِ الْأَغْيَدِ
 عَكَفْتُ عَلَى أَرْوَنْدٍ كُلِّ سَحَابَةٍ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً كَلَوْنَ الْإِثْمِدِ
 تَبْكِي مَدَامِعُهَا وَيَضْحَكُ نَعْرُهَا عَنْ مُشْرِقِ كَالْكَوْكَبِ الْمُتَوَقِّدِ
 هَمَلْتُ بِهَا حَمَلْتُ فَأَلْبَسْتُ الرَّيِّ مِنْ نَسْجِهَا حُلَلًا وَإِنْ لَمْ تُعْقِدِ
 مِنْ كُلِّ أَخْضَرٍ كَالْحَرِيرِ وَفَاقِعٍ غَضٌّ وَأَحْمَرٍ سَاطِعٍ وَمُورِدِ
 شِمِلْتُ عِصَابَةَ نُورِهِ هَامَ الثَّرَى فَتَعَمَّمْتُ مِنْهَا هِضَابُ الْفَدْفِدِ
 صَارَتْ عَيْونَا لِلرَّيِّ لَمَّا بَكَتْ فِيهَا السَّحَابُ بِأَعْيُنٍ لَمْ تَجْمُدِ
 وَكَأَنَّهَا قَمَرٌ وَقَدْ طَلَعَتْ لَهَا شَمْسُ الضُّحَى مِنْ جَوْهَرٍ مُتَبَدِّدِ
 حَسَنْتُ فَحَسَنْتِ الثَّرَى بِبِدَائِعِ حَسَرْتُ مَسَاوِيَّ لِلشِّتَاءِ الْأَنْكِدِ
 شَرِبْتُ مِنَ الْوَسْمِيِّ أَوَّلَ صَوْبِهِ وَمِنَ الزُّلَالِ الْبَارِدِ الْمُتَطَرِّدِ
 وَكَأَنَّهَا لَبَسَ الْبِقَاعُ مُعْضَفَرًا مِنْهَا وَوَشَّحَ صَدْرَهُ بِمُورِدِ
 نَفَتْ الصَّبَا عَنْهُ الْقَدَى بِنَسِيمِهَا فَكَأَنَّهُ لَمَعَانُ مَتْنٍ مُهْنَدِ

[١١٩ظ] وكانوا يقولون: شتاء بغداد، وربيع همدان، ومصيف أذربيجان، وخريف

وقالت الحكماء: أحسن الأرض مخلوقة الرِّيِّ ولها السَّرُّ والسَّرْبَان، وأحسنها
 مَصْنُوعَةٌ نَيْسَابُورُ ولها حُسْنُ الآبَارِ، وَمَرَوْ لَهَا الرِّزِيقُ والمَاجَان، وِدَمَشْقُ لَهَا الغُوطَةُ
 ٣ والوَادِيَان، وَنَصِيبِيْن ولها هِرْمَاس، والصَّيْمِرَةَ ولها يَحْوِي الحِصْنَان، والبَصْرَةَ ولها
 النَّهْرَوَان، وقَارِس ولها شِعْب بَوَّان، وشَهْرزُور ولها المُسْتَشْرَف، وبَاكَرْخِي ولها من
 هَاهُنَا بُسْتَان ومن هَاهُنَا بُسْتَان، وعَمَّر [في] المِيَان، والمدَائِنُ ولها دِجْلَةَ والشُّوس
 ٦ وتُسْتَرُ وهما بين أَرْبَعَةِ أَنهَارٍ: دُجَيْلِ والمَسْرَقَانِ ومَهْرُوبَان^(أ) وبَرْوَقَان^(ب)، وَبَلْخِ
 وَنَهَاوَنْد وَأَصْبِهَانَ^١.

^(أ) في الأصل: ماهينان، والتصويب من ابن خُرْداذبَه . ^(ب) رسمت في الأصل: نرويان، والتصويب من ياقوت.

^١ نقل ابن الفقيه هذه المقولة عن ابن خُرْداذبَه بتصرف يسير دون أن يشير إلى مصدره، ونصها كالتالي: «وقالت
 الحكماء: أحسن الأرض مخلوقة الرئي ولها السر والسربان، وأحسنها مصنوعة جرجان، وأحسنها مفروقة
 طبرستان، وأحسنها مستخرجة نيسابور، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جنديسابور ولها حسن أنهار،
 ومرو ولها الرزيق الرفيق والماجان، والغوطة ولها الواديان، ومن دام فيها يأكل البصل أربعين يوماً كلف
 وجهه، ونصيبين ولها الهرماس والصيامرة ولها ما يحوي الحصنان، والبصرة ولها النهران، وفارس ولها شعب
 بوان، ومستشرف شهرزور وباكرخي ولها من هاهنا بستان ومن هاهنا بستان، ونهر في الميان، والمدائن
 والشوس وتستر وهي بين أربعة أودية دجيل والمسرقان ومهروبان والباسيان، ونهاوند وأصفهان وبلخ،
 وأنزها وأجمعها طيباً وحسناً مستشرف سمرقند من جبل السغد، وقد شبهها حزين بن المنذر الرقاشي
 فقال: [كانت] الساء للخضرة وقصورها الكواكب للأشراق ونهرها المجرة للاعتراض وسورها الشمس
 للأطباق]. وقال قباذ الملك: أجود مملكتي فاكهة المدائن وسابور وأرجان والرئ ونهاوند وحلوان
 وماسبذان».

انظر: المسالك والممالك، ص ١٧١-١٧٢؛ وقارن: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٥٩؛

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٦.

وقال أبو الوفاء الهمداني^١ في إقبال همدان ومُنْتَزَهَاتِهَا فِي شِعْرِ طَوِيلٍ (شعر):

[الكامل]

رِيَانٌ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ كَأَنِّي غُضِنُ أَمَالْتَهُ الصَّبَا فَتَأَوَّدَا
 أَرَمِي بَعِينِي الرِّيَاضِ وَأَجْتَنِي مِنْ حُلَيْهِنَّ لَالِيَا وَرَبْرَجِدَا
 مَا بَيْنَ أَعْلَى مُتَوَجِّحِينَ وَدُوْنَهَا مُتَّصِبَاتٍ طَوْرًا وَطَوْرًا مُضْعِدَا
 وَإِذَا عَلَوْتَ لِي بِقَاعِ سَنِينِس وَأَحَثَّ عَيْنِيكَ الْمُرَادَ الْآبَعِدَا
 عَايَنْتِ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ مَا جَالَ النَّدَى وَمَسْأَلُهُ مِنْ نَسْجِهِ لَنْ يَنْفِيدَا
 زَهْرًا زَهَتْ غُرُرُ الرِّيَاضِ بُنُورِهِ لَمَّا عَدَا أَعْلَى الرَّبِيِّ مُتَسَرِّدَا
 حَمْرَاءُ نَاصِعَةً وَأَصْفَرَ فَاقِعَةً وَمُرْعَفَرًا فِي لُونِهِ وَمُورَّدَا
 يَفْتَرُّ مُبْتَسِمًا كَأَنَّ وَمِيضُهُ شَرُّ أَطَارِثَةِ الصَّبَا فَتَوَقَّدَا
 وَإِذَا الْغَزَالَةُ حُلَّ عَقْدُ حِمَارِهَا أَهْدَتْ لَهَا مِنْهَا نَدَى مُتَجَدِّدَا
 نُورٌ تُبِيرُ لَهَا الرِّيَاضَ وَتَغْتَدِي تَبْدُو لَهُ أَسْرَارُهُنَّ إِذَا بَدَا
 وَتَرَى الْجِنَانَ قَدْ اكْتَسَيْنَ نَصَارَةً وَجَلِيلَ ذُرًّا فِي الْعُصُونِ مُنْضَدَا

^١ لم أقف على ترجمته، وربما يكون هو محمد بن عبد العزيز بن سهل، أحد أمراء الجبل من آل دلف، الذي نسب إليه أبو حيان التوحيدي هذه الأبيات في كتاب، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر،

وقال أيضاً^١ [١٢٠]:

[البيسط]

يَاللِّيَالِي تَرْمِينِي بِأَسْهُمِهَا وَمَا لَهَا تِرَةٌ عِنْدِي وَلَا نَارُ
 إِذَا اضْطَفَيْتُ خَلِيلًا أَوْ أَخًا ثِقَةً لَا تَشْنِي مِنْهُ أَوْ تَنْأَى بِهِ الدَّارُ
 يَا أَيُّهَا الْمُغْتَدِي نَحْوَ الْجِبَالِ لَهُ فِيهَا هُنَاكَ كِبَاكَاتٌ وَأَوْطَارُ
 أَقْرَا السَّلَامَ عَلَى أَرْوَنْدٍ مِنْ جَبَلٍ يَهْجِنِي نَحْوَهُ شَوْقٌ وَتَذْكَارُ
 وَاخْضُصْ أَمَاكِينَ فِيهِ كُنْتُ أَعْهَدُهَا فِيهِنَّ مِنِّي عِلَامَاتٌ وَأَنَارُ
 وَارْبِعَ بِمُرْتَبِعٍ كُنَّا نَلُودُ بِهِ قَدْ أَيْنَعَتْ فِيهِ اللَّذَاتُ أَشْجَارُ
 بِسَفْحِ مَرْجَانَةِ الْمَحْسُودِ سَاكِنُهَا رَوْضٌ أَرِيضٌ وَمَاءٌ ثُمَّ مَوَارُ
 شِعْبٌ قَرَوْدٌ فِيهِ كُلُّ مُوْتَقَّةٍ وَفِيهِ لِلَّهِوَ أَشْجَارُ وَأَنْهَارُ
 سَفْحٌ تَرَّينَ فِي الدُّكَّانِ مُجْتَمِعٌ فَحَلَّهُ كُلَّمَا حَلَّتْهُ أَنْطَارُ
 مُسْتَشْرِفٌ فِيهِ لِلْأَبْصَارِ مُتَّسِعٌ يَرُوقْنَا زَهْرٌ فِيهِ وَأَنْوَارُ
 وَفِيهِ لِلْقَلْبِ وَالْأَسْمَاعِ مَا طَلَبْنَا مِنْ الشُّرُورِ إِذَا غَرَّدْنَا أَطْيَارُ
 يُجِيبُ أَلْحَانَهَا مَنَا إِذَا هَزَجَتْ وَعَرَّدَتْ طَرَبًا عُوْدٌ وَمَزْمَارُ
 تِلْكَ الْبِلَادُ الَّتِي تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا لَا مَا تَلَهَّبَ فِي حَاقَاتِهِ النَّارُ
 أَرْضٌ تُنْعَمُ أَهْلِهَا إِذَا نَعِمُوا بَأَنْ تَكُنْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَبَارُ

^١ قارن: أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ٥، ص ٢٠٨.

[مُجَاراة عَبْدِ الْقَاهِرِ وَالْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ

فِي مَدْحِ هَمْدَانَ وَالْعِرَاقِ وَذَمِّهِمَا]

٣ وكان عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنِ هَمَزَةَ الْوَاسِطِيُّ وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي سَرْحٍ^١ كَثِيرًا مَا يَلْتَقِيَانِ فَيَتَجَارِيَانِ^(a) الْأَدَابَ وَيَتَدَاكِرَانِ الْعُلُومَ.

٦ وكان عَبْدُ الْقَاهِرِ لَا يَزَالُ يَذُمُّ الْجَبَلَ وَهَوَاءَهُ وَأَهْلَهُ وَشِتَاءَهُ، لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ مَخَالِفًا لَهُ، كَثِيرُ الذَّمِّ لِلْعِرَاقِ وَالطَّعْنِ عَلَى أَهْلِهِ، فَالْتَقِيَا يَوْمًا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْفَقِيهِ^٢ وَكَانَ يَوْمًا شَاتِيًا صَادِقَ الْبَرْدِ كَثِيرَ الثَّلْجِ.

٩ وكان الْبَرْدُ قَدْ بَلَغَ إِلَى عَبْدِ الْقَاهِرِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَسَلَّمْ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْجَبَلَ وَلَعَنَ سَاكِنِيهِ، وَخَصَّ اللَّهُ هَمْدَانَ مِنَ اللَّعْنِ [١٢٠ ظ] بِأَوْفَرِهِ وَأَكْثَرِهِ.

١٢ فَمَا أَكْثَرَ هَوَاءَهَا وَأَشَدَّ بَرْدَهَا وَأَذَاهَا وَأَكْثَرَ مَوَوْتَهَا وَأَقَلَّ خَيْرَهَا^(b) [وَأَكْثَرَ شَرِّهَا]^(b)، قَدْ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهَا الزَّمْهَرِيرَ الَّذِي يُعَدُّبُ بِهِ أَهْلَ جَهَنَّمَ مَعَ مَا يَخْتِاجُ الْإِنْسَانُ فِيهَا إِلَيْهِ مِنَ الدُّنَا وَالْمَوْنِ الْمُجْحِفَةِ.

^(a) لدى ياقوت: فيتحدان.

^(b - b) ساقطة من الأصل والتتمة من ياقوت.

^١ الواسطي وابن أبي السرح: من المصادر الشفهية التي اعتمد عليها ابن الفقيه في بناء مادة كتاب أخبار البلدان، حيث يصرح في أكثر من موضع بالأخذ عنها، ويبدو أنها من أصدقاء أبيه كما يتضح من سياق النص؛ وقارن الخبر بتهامه لدى ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٢-٤١٣.

^٢ أبو عبد الله محمد بن إسحاق، والد المؤلف. وقد مر ذكره.

فوجوهكم يا أهل همدان مُشَقَّةٌ^(a) وأتوفكم سائلةً وأطرافكم خصرة وثيابكم
مُتَسِّخَةٌ وروائحكم قذرة ولجأكم دُخَانِيَّةٌ^(b) وسبلكم مُنْقَطِعَةٌ والفقر عليكم ظاهرٌ
والمستور في بلدكم مهتوك؛ لأنَّ شتاءكم يهدم الحيطان ويترز الحصان ويُفسد الطُّرُق
ويُشِعُّ الأَطَامُ^١.

فطرقكم وحلة تتهاقت فيها الدوابُّ، وتقدُر فيها الثياب وتتحطَّم الإبل
وتنخسف فيها الآبار وتغيض المياه، وتكفُّ الشطوح وتبيح الرياح العواصف،
وتكون فيه الزلازل والحسوف والرعود والبروق والثلوج والدمق^(c) فتقطع عند
ذلك السبل ويكثر الموت وتضيُق المعاش.

فالناس في جبلكم هذا سائر^(d) أيام الشتاء يتوقعون العذاب ويخافون السخط
والعقاب، ثمَّ يُسمونه العدوَّ المحاصر والكلب الكلب. ولذلك [كتب] عمر بن
الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله: أنه قد أظلكم الشتاء وهو العدوَّ المحاصر فاستعدوا له
الفرء واستنعلوا الجداء^٢.

(a) لدى ياقوت: ماثلة. (b) رسمت في الأصل: دخانيكم. والتصويب من ياقوت.

(c) رسمت في الأصل: التيق، والتصويب من ياقوت. (d) لدى ياقوت: جميع.

^١ الأَطَام: الحصون والبيوت المرتفعة المبنية من الطين. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج ١٤، ص ٣٢؛ المعجم
الوسيط، ج ١، ص ٢١.

^٢ نقل ياقوت هذه المجارة بأكملها في مادة همدان، وقد دارت بين عبد القاهر بن حمزة الواسطي والحسين بن
أبي سرح في بيت محمد بن اسحاق الفقيه، والد مصنف كتابنا هذا، وهي مجارة أدبية رفيعة المستوى، ووثيقة
معبرة عن ثقافة العصر الذي كتبت فيه، ولعل معجم البلدان هو المصدر العربي الوحيد الذي اعتنى بذكرها.

قارن: معجم البلدان، [مادة همدان] ج ٥، ص ٤١٢-٤١٧.

وقد قال الشاعر^١:

[الوافر]

إذا جاء الشتاء فأذفوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

فالشِّتَاءُ يَهْدِمُ الْحَيْطَانَ فَكَيْفَ الْأَبْدَانَ لَا سِيَّامًا شِتَاءُكُمْ الْمَلْعُونِ!؟.

٣ ثُمَّ فِيكُمْ أَخْلَاقُ الْفُرْسِ وَجِفَاءُ الْعُلُوجِ وَبُخْلُ أَهْلِ أَصْبَهَانَ وَوَقَاحَةٌ^(أ) أَهْلِ الرِّيِّ وَفَدَامَةٌ^٢ أَهْلِ نِهَاوَنْدٍ وَغِلْظُ طَبِيعِ أَهْلِ هَمْدَانَ.

٦ عَلَى أَنْ بَلَدَكُمْ هَذَا أَشَدُّ الْبُلْدَانَ بَرْدًا وَأَكْثَرُهَا تَلْجًا وَأَضْيَقُهَا طُرْقًا وَأَوْعَرُهَا مَسَلَكًا^(ب) [وَأَغْلَظُهَا مَوْنَةً]^(ب) وَأَفْقَرُهَا أَهْلًا.

وكان يقال: إِنَّ أْبَرِدَ الْبُلْدَانَ ثَلَاثَةٌ: بَرْدَعَةٌ^٣ وَقَالِيْقَلَاءُ^٤ وَخُوَارِزْمُ. وَهَذَا قَوْلٌ مِنْ لَمْ يَدْخُلْ بَلَدَكُمْ وَلَمْ يُشَاهِدْ شِتَاءَكُمْ.

٩ ^(ج) وَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَكْتَبِيُّ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ^(ج) عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ^١ هَمْدَانَ أُرْقِدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ فَكَانَ إِذَا سَخِنَ بَاطِنُ كَفِّهِ أَصَابَ ظَاهِرَهَا الْبَرْدُ، وَإِذَا سَخِنَ ظَاهِرُهَا أَصَابَ بَاطِنَهَا [الْبَرْدُ].

^(أ) في المختصر: رقاعة. ^(ب-ب) ساقطة من الأصل والتتمة من المختصر.

^(ج-ج) في المختصر: « وقد روى ثقاتكم عن عبد الله بن المبارك ».

^١ ينسب هذا البيت إلى: ربيع بن ضبع الفزاري أحد المعمرين. انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ٢١، ص ٤٨.

^٢ القدامة: من القدم، والقدم من الناس، العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٥٠.

^٣ بلد في أقصى أذربيجان. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٩-٣٨٠.

^٤ قاليقلا: ناحية بأرمينية العظمى. نفسه، ج ٤، ص ٢٩٩-٢٣٠.

فقال (شعر) [١٢١]:

[الوافر]

أَقُولُ لَهَا وَنَحْنُ عَلَى صِلَاءٍ أَمَا لِلنَّارِ عِنْدِكَ حَرٌّ نَارِ
لِئِنْ خُيِّرْتُ فِي الْبُلْدَانِ يَوْمًا فَمَا هَمَّذَانُ عِنْدِي بِالْخِيَارِ
ثُمَّ التَّمَّتْ إِلَى ابْنِ أَبِي سَرْحٍ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! وَهَذَا وَالذُّكَّ يَقُولُ (شعر):

٣

[الكامل]

النَّارُ فِي هَمَّذَانَ يَبْرُدُ حَرُّهَا وَالْبَرْدُ فِي هَمَّذَانَ دَاءٌ مُسْقِمٌ
وَالْفَقْرُ يُكْتَمُ فِي بِلَادٍ غَيْرَهَا وَالْفَقْرُ فِي هَمَّذَانَ مَالًا يُكْتَمُ
فَذَقَّ كِسْرَى حِينَ أَبْصَرَ بِلَدَكُمْ هَمَّذَانَ فَانْصَرَفُوا فِتْلِكَ جَهَنَّمَ

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ الْأَكَايِرَةَ كَانَتْ لَا تَدْخُلُ هَمَّذَانَ؛ لِأَنَّ بِنَاءَهُمْ مُتَّصِلٌ مِنْ

المدائن إلى أزرَمِيدُخْت^٢ مِنْ أَسَدَابَادَ^٢ وَلَمْ يَجُوزُوا عَقْبَةَ أَسَدَابَادَ.

٦

وَبَلَّغْنَا أَنَّ كِسْرَى أَبْرُوزِيزَ هَمَّ بِدُخُولِ هَمَّذَانَ، فَلَمَّا بَلَغَ مَوْضِعًا يُقَالُ لَهُ: دُزُوخُ دَرِهٍ
وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ: كَهْفُ جَهَنَّمَ. قَالَ لِبَعْضِ وَرَرَائِهِ: مَا يُسَمَّى هَذَا الْمَكَانَ؟ فَعَرَّفَهُ.

فَقَالَ: انْصَرَفُوا^٨ لَا حَاجَةَ لَنَا فِي دُخُولِ مَدِينَةٍ فِيهَا ذِكْرُ جَهَنَّمَ.

٩

^(٨) فِي الْمَخْتَصَرِ: انْطَلَقُوا.

^١ مَرَّتْ تَرْجَمَتُهُ ص ٣٨٥.

^٢ أَزْرَمِيدُخْتُ: بَلِيدَةٌ قَرِبَ قَرْمِيسِينَ. سَمِيَتْ بِاسْمِ مَلِكَةٍ مِنْ أَوَاخِرِ مُلُوكِ الْفَرَسِ. انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمُوي،

المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٨.

^٣ أَسَدَابَادُ: مَدِينَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ هَمَّذَانَ، كَمَا تَقَعُ بِالْقَرْبِ مِنَ الْعِرَاقِ. نَفْسُهُ، ج ١، ص ١٧٦.

وقال شاعركم: وهو وهب بن شاذان الهمداني^١ (شعر):

[المقارب]

أما آن من همدان الرّحيلُ من البلدة الحزنة الجامدة
 قما في البلادِ ولا أهلها من الحير من خضلة واحدة
 يثيبُ الشبابُ ولا يهرموا بها من صبابتها الرّائدة
 سألتهم أين أفضى الشتاء ومُستقبلِ السنة الواردة
 فقالوا إلى جمره المنتهى فقد سقطت جمره حامدة

وقال أيضًا (شعر):

٣

[المنسرح]

يَوْمٌ من الزّمهرير مَقْرورُ عليه جُبُّ الصّبَابِ مَزْرورُ
 كأنما حَشُو جَوْه إبرُ وأرضه وجْهها قَوَاريرُ
 وشمسُه حرّةٌ مُخدّرةٌ تسلّبت حين حُمّ مقدورُ
 تُخال بالوجه من صبابتها إذا أخذت جِلْدَهُ زَنانيرُ
 يرى البصيرُ الحديد نظرتُه منها لأجفانه سَماديرُ

وسأل عُمَرُ بن الحَطّابِ رضي الله عنه رجلاً فقال: من أين أنت؟ فقال: من همدان. قال

٦ أما أنّها مدينة هم وأذى تجمد قلوب أهلها كما يجمد ماؤها.

^١ مر ذكره ص ٥٧٠.

وقال شاعركم أيضاً أحمد بن بشار^١ يذم بلدكم ويذكر شدة برده وغلظ طبع أهله وما يحتاجون إليه من المون المَجْحِفَةِ الغليظة (شعر) [١٢١ظ]:

[الطويل]

٣

أنتك إماراتُ الشتاءِ ودلائله	ووافقك من بردِ الحريفِ أوائله
فأصبحتُ محزوناً ودمعي كأنه	جنانٌ على الحددينِ ينثر هامله
أمامي صيفٌ رعائي بها	وتيه رحيبٌ جوزُه ومجاهله
إذا الثلجُ رذاهُ رداءً كأنه	ملاءٌ عليه قد تنوقُ غاسله
وهبت له ريحُ الصبا ثم أعقبت	جنوباً وهبت بعد ذاك شمائله
وجدتُ فوادي طائراً من حداره	وقلبي كئيباً ما تكفُّ بلائله

وقال آخر:

[المتقارب]

أتانا الزمانُ يبرد الشتاءِ	وسأل به سيئه مُكفِّهراً
وهبت سبيلُ شمالِ الرياحِ	فكراً الفقيرِ لها واقشعراً
يقربُ من رأسه منكيه	ويغدو إلى ناره مُشمراً
وأحجرتِ الكلبَ هوجُ الرياحِ	وصرَّ بأذنيه للبردِ صراً
وفارقتِ الوحشُ أوطانها	إلى كلِّ غورٍ يقيهنَّ شراً
وكرَّ الولاة على من يكونُ	فلم يجد المرءَ منهم مفراً
وشحَّ البخيلُ على ماله	وزوئى له حاجبيه وهراً

^١ أحمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة، أبو العباس الأنباري. انظر في ترجمته:

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٨٥؛ ابن الجوزي: المتتظم، ج ٧، ص ٢١٥.

*) وقيل لأعرابي دخل همدان ثم انصرف إلى البادية: كيف رأيت همدان؟ فقال:
أما نهارها فرقاص وأما ليْلهم فحمال.

يعني أنهم بالنهار يرقصون لتدفا أزجلهم، وبالليل حمالون لكثرة دثارهم. ووقع
أعرابي إلى همدان في الربيع فاستطاب الزمان وأنس بالأشجار والأنهار، فلما جاء
الشتاء، ورد عليه ما لم يعهده من البرد والأذى فقال:

[الرجز]

بهمدان شقيت أموري عند انقضاء الصيف والحُرور
جاءت بشر شر من عقور ورمت الآفاق بالهريير
والثلج مقرون بزمهريير لولا شعار العاقِر النزور
أم الكبير وأبو الصغير لم يذف إنسان من التخصير

ولقد سمعت شيخاً من علمائكم وذوي المعرفة منكم أنه يقول: يربح أهل
همدان إذا كان يوم في الشتاء صافياً له شمس حارة، مائة ألف درهم، لأنهم
لا يحتاجون فيه إلى الوقود.

وقيمته في همدان ورسايتها في كل يوم مائة ألف درهم. وقيل لابنة
الخنس^١: أيها أشد الشتاء أم الصيف؟ فقالت: من يجعل الأذى كالزمانة^٢.

*) وقع هنا سقط بمقدار لوحتين تقريباً.

^١ ابنة الخنس: هند بنت الخنس بن حابس بن قريظ الإيادي، امرأة فصيحة جاهلية، كانت ترد سوق عكاظ ولها أخبار فيه، ولقبت بحكمة العرب. انظر أخبارها لدى: الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٥؛ ابن طيفور: بلاغات النساء، ص ٥٨-٦٩.

^٢ الزمانة: العاهة والآفة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٩٩.

وقيل لأعرابي: ما غاية البردِ عندكم؟ فقال: إذا كانت السماء نقيّة والأرض نديّة والريح شاميّة فلا تسأل عن أهل البريّة.

وقد جاء في الخبر أن همدان تحرّب لقلّة الحطب. ودخل أعرابي همدان فلما رأى هواءها وسمع كلام أهلها ذكر بلاده وقال: [الوافر]

كَيْفَ أُجِيبُ دَاعِيَكُمْ وَدُونِي جِبَالِ الثَّلْجِ مُشْرِفَةُ الرَّعَانِ
بِلَادِ شَكْلُهَا مِنْ غَيْرِ شَكْلِي وَأُنْسُهَا مُخَالِفَةُ لِسَانِي
وَأَسْمَاءُ النِّسَاءِ بِهَا زَنَانٌ وَأَقْرَبُ بِالزَّنَانِ مِنَ الزَّوَانِي

ودخل بغض الأعرابِ الجبل في الشتاء فجعل أنفه يرعم. فرفع يده ووجّاه فقال: لا والذي جلّ وعلا، ما رأيتُ عضواً أتت منك. إذا جمد كل شيء فأنت تذب، وإذا ذاب كل شيء فأنت تجمد. أبيت إلا خلافاً وقال شاعركم وهو أحمد بن بشار:

[البيسط]

قد آن من همدان السيرُ فانطلق
بئس اعتياض الفتى أرض الجبال له
أما الملوك فقد أودت سرائهم
ولا مقام على عيشٍ تُرثمه
قد كنت أذكر شيئاً من محاسنها
فاليوم لا بُد من نعتي مساوئها
لا خير فيها ولا في أن تُقيم بها
وازل على شعثٍ شملي غير مُتفق
من العراق وباب الرزق لم يضح
والغابرون بها في شيمة السوق
أيدي الخطوب وشرّ العيش ذو الرثي
أيام لي فنن كاس من الوريق
كما يغص بها الثاوي على سرق
ولو تقلبت بين التير والوريق

أَرْضُ يُعَذَّبُ أَهْلُهَا ثَمَانِيَةً
 ثُلْثِي حَيَاتِكَ مَا تَهْنِي بِنَافِعَةٍ
 فَإِنْ رَضِيَتْ بَثْلُكَ الْعَيْشِ فَارْضَ بِهِ
 إِذَا ذَوَى الْبَقْلُ هَاجَتْ فِي بِلَادِهِمْ
 تُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْبَلَوَى وَتُنذِرُهُمْ
 تَلْفَهُمْ فِي عَجَاجٍ لَا تَقُومُ لَهَا
 لَا يَمْلِكُ الْمَرْءُ فِيهَا كَوْرَ عِمَّتِهِ
 فَإِنْ تَكَلَّمَ لَاقَتْهُ بِمَسْكَنَةٍ
 فَعِنْدَهَا ذَهَبَتْ أَلْوَانُهُمْ جَزَعًا
 حَتَّى تَفَاجِحْتَهُمْ شَهْبَاءُ مُعْضَلَةٌ
 خَطْبُهَا بِهَا غَيْرُ هَيْبٍ مِنْ خُطُوبِهِمْ
 أَمَّا الْغَنِيُّ فَمَحْضُورٌ يَكَايِدُهَا
 يَقُولُ أَطْبِقْ وَأَسْبِلْ يَا غُلَامَ
 وَأَوْقِدُوا بَتَانِيرٍ تُذَكِّرُهُمْ
 وَالْمُخْلِقُونَ بِهَا سُبْحَانَ رَبِّهِمْ
 تَنْسُدُّ أَبْوَابَهُمْ بِالثَّلْجِ فَهُوَ لَهُمْ
 وَالْأَرْضُ تُصْبِغُ وَالذُّنْيَا لَهَا طَبَقٌ
 حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمَتْ بَرْدًا غَدَا طَبَقٌ
 يَنْهَلُ مِنْهَا عَلَيْهِمْ دَائِبًا دَيْبًا
 صَبِغُ الثِّيَابِ إِذَا حَلَّ الشِّتَاءُ بِهَا
 وَالذُّبُّ لَيْسَ إِذَا أَمْسَى بِمُحْتَشِمٍ
 فَوَيْلٌ مَنْ كَانَ فِي حَيْطَانِهِ قِصْرٌ

من الشهور كما عُدَّتْ بِالرَّهَقِ
 إِلَّا كَمَا انْتَمَعَ الْمَجْرُوضُ بِالرَّمِقِ
 عَلَى شَرَائِطٍ مِنْ يَقْتَعُ بِهَا يُسَقِّ
 مِنْ جَرِيَّائِهِمْ نَشَافَةُ الْعَرَقِ
 مَا لَا يُدَاوِي بِلَيْسِ الدُّزَعِ وَالذَّرَقِ
 قَوَائِمُ الْفَيْلِ قَبْلَ الْمَاقِطِ الشَّبِقِ
 حَتَّى تُطَيِّرَهَا مِنْ فَرْطٍ مَخْتَرِقِ
 مِلءَ الْحَيَاشِيمِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْحَدَقِ
 وَاسْتَقْبَلُوا الْجَمْعَ وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْعَلَقِ
 تَسْتَوِعِبُ النَّاسَ فِي سِرْبِهَا الْبَقِيقِ
 كَالْحَتِّقِ مَا مِنْهُ مِنْ مَلَجٍ لُمُخْتَرِقِ
 طُولَ الشِّتَاءِ مَعَ الْبِرْبُوعِ فِي نَفَقِ
 وَأَزِخِ السُّتْرِ وَاعْجَلِ بَرْدَ الْبَابِ وَأَنْدَقِ
 نَارَ الْجَحِيمِ بِهَا مِنْ يَضِلُّ يَخْتَرِقِ
 مَاذَا يَقَاسُونَ طُولَ اللَّيْلِ مِنْ أَرَقِ
 دُونَ الرِّتَاجِ رِتَاجٍ غَيْرِ مُنْطَبِقِ
 تَحَارٌ فِيهِ عُيُونُ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ
 مِنَ الضَّبَابِ فَقَدْ أَوْفَى عَلَى طَبَقِ
 بِالزَّمْهَرِيرِ عَدَابًا صَبَّ مِنْ أَفْقِ
 صَبِغُ الْمَاتَمِ لِلْحَسَانَةِ الْفُنُقِ
 مَنْ أَنْ يُحَالِطَ أَهْلَ الدَّارِ فِي النَّسِقِ
 وَلَمْ يُخْصَّ رِتَاجِ الْبَابِ بِالْعَلَقِ

يَدْعُو الثُّبُورَ عَلَى صِيَانِهِ فَرَقًا
 وَصَاحِبَ النُّسِكِ مَا تَهْدَا فَرَائِصُهُ
 أَمَّا الصَّلَاةُ فَوَدَّعَهَا سِوَى طَلَلِ
 تَمْسِيٍّ وَتُضْبِغُ وَالشَّيْطَانُ فِي قَرْنِ
 وَالْمَاءِ كَالْمِلْحِ وَالْأَنْهَارُ جَامِدَةٌ
 حَتَّى كَأَنَّ قُرُونَ الْعُقْرِ نَائِمَةٌ
 وَالنَّاسُ يَبْضُ اللَّحَى تَهْمِي أَنْوْفَهُمْ
 تِسْعِينَ يَوْمًا وَعَشْرًا أَكَلِمَتْ مِائَةً
 كَأَنَّهُمْ عَسْكَرٌ هَاجَ الْحَرِيقُ بِهِمْ
 كَأَنَّهُمْ حِينَ أَفْضُوا فِي نِيَابِهِمْ
 فَمَا تَرَى بَعْدَهَا يَلْقُونَ مِنْ عَذَابِ
 وَالْمَشْيِ شَهْرَيْنِ بِالْمِيزَانِ قَدْ زَهَقَتْ
 فَكُلُّ غَادٍ بِهَا أَوْ رَائِحٌ عَجَلٌ
 قَوْمٌ غِذَاوَهُمُ الْأَلْبَانُ مُذْ خُلِقُوا
 لَا يَعْبُقُ الطَّيْبُ فِي أَضْدَاغِ نُسُوتِهِمْ
 فَهَمُ غِلَاطٌ جَفَاءٌ فِي طِبَاعِهِمْ
 أَفْنِيَتْ عُمْرِي بِهَا حَوَاكِينِ مِنْ قَدْرِ

بعد العشاءِ وَيَدْعُوهُ مِنَ الْفَرَقِ
 وَالْمُسْتَعْيِثُ بِثُرْبِ الْحَمْرِ فِي عَرَقِ
 أَقْوَى وَأَقْفَرُ مِنْ سُلْمَى بِيْذِي الْعَمَقِ
 مُسْتَمْسِكًا مِنْ حِبَالِ الْكُفْرِ بِالرَّبِيقِ
 وَالْأَرْضُ أَضْرَاسُهَا تَلْقَاكَ بِالذَّبِيقِ
 تَحْتَ الْمَوَاطِئِ وَالْأَقْدَامِ فِي الطَّرِيقِ
 فَوْقَ الشُّوَارِبِ كَالْمَضْدُومِ ذِي الْبَلَقِ
 يَدْعُونَ لَيْلَةً تَمَّتْ لَيْلَةَ السَّدَقِ
 فَهَمُ يَمْوُجُونَ وَالضُّوْضَاءُ فِي فَرَقِ
 خَلْفَ الْعَرَايِلِ أَوْهَاهَا مِنَ الْحَرِيقِ
 مِنَ الْوَحُولِ الَّتِي طَمَّتْ عَلَى اللَّسْتِ
 نَفُوسُهُمْ فَرَقًا مِنْ خَشْيَةِ الرَّزَقِ
 يَمْشِي عَلَى أَهْلِهَا غَضْبَانَ ذَا حَنَقِ
 قَمَا لَهُمْ غَيْرَهَا مِنْ مَطْعَمِ أُنُقِ
 وَلَا جُلُودَهُمْ تَبْتَلُ مِنْ عَرَقِ
 إِلَّا تَعَلَّةٌ مَنْسُوبٌ إِلَى الْحُمُقِ
 لَمْ أَقْوَ مِنْهَا عَلَى دَفْعِ وَلَمْ أَطِقْ^١

* إلى هنا ينتهي السقط الذي وقع في نسخة الأصل. وقد وجدنا جزءاً منه في الصفحات الأولى من الكتاب ضمن مادة الكوفة، ويتبع النقول التي وردت في المختصر، ومعجم البلدان، أكملت المادة الخاصة بهذان على نفس النسق الذي نقله ياقوت بأكمله من ابن الفقيه.

^١ قارن: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٣٠-٢٣٣؛ معجم البلدان مادة: [همذان]، ج ٥، ص ٤١١-٤١٥.

فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْقَاهِرِ [إلى] هَذَا الْمَكَانِ التَّفَتَّ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرَتْ
 الْمَقَالِ وَأَسْرَفَتْ فِي الدَّمِّ وَأَطْلَتِ الثَّلَبَ وَطَوَّلَتْ الْحُطْبَةَ، وَوَلَوْلَا مَا أَجَزَتْ إِلَيْهِ مِنْ
 سُوءِ الْمَقَالِ وَكَثْرَةِ الْهَدْيَانِ لَكُنَّا عَنْ مَجَاوِبَتِكَ بِمَعْزِلٍ وَعَنْ مَحَاوِرَتِكَ فِي شُغْلِ فَمَهْمَا
 ٣ كَانَ فِينَا - أبا عَلِيٍّ أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي هَوَائِنَا وَأَرْضِينَا وَبَلْدِنَا وَصُعْقِنَا. فَلَيْسَ فِينَا جَفَاءُ
 النَّبِطِ وَعَجْرَفِيَّةِ أَهْلِ [١٢٢] السَّوَادِ وَأَخْلَاقِ الْخُوَزِ وَعَدْرُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَدِقَّةُ نَظَرِ
 ٦ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَبُخْلُ أَهْلِ الْأَهْوَازِ وَسُوءُ مَعَاشِرَةِ أَهْلِ بَغْدَادَ وَشِدَّةُ حِيلِهِمْ وَجَفَاءُ
 أَهْلِ الْجَزِيرَةِ^(٨) وَعِبَاوَةُ أَهْلِ الشَّامِ^(٩).

وَأَهْلُ الْجَبَلِ فَقَدْ سَلِمُوا مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الْبَصْرَةِ [وَمِنْ وَبَائِهَا]^(ب)، وَمِنْ كَثْرَةِ
 ٩ ذُبَابِ بَغْدَادَ، وَمِنْ بَقِيَّ الْبَطَائِحِ وَبِرَاغِيثِ الْكُوفَةِ، وَتَغْيِيرِ هَوَاءِ مِصْرَ، وَمِنْ جَرَّازَاتِ
 الْأَهْوَازِ وَسَائِمِهَا وَمِنْ عَقَارِبِ نَصِيِّينَ، وَثَعَالِبِينَ مِصْرَ وَمِنْ أَفَاعِي سَجِسْتَانَ.
 وَهَلِ الْخِضْبُ وَالْحَيْرُ وَالنَّعْمَةُ وَالِدَعَّةُ وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ إِلَّا [عِنْدَنَا]^(ب) فِي الشِّتَاءِ
 ١٢ الَّذِي فِيهِ تَغْيِبُ الْهَوَامِ وَتَنْحَجِزُ الْحَشْرَاتُ وَيَمُوتُ الذُّبَابُ وَيَتَلَكُّ الْبَعُوضُ
 وَيَبْرُدُ الْمَاءُ وَيَصْفُو الْجَوْ وَيَطِيبُ فِيهِ الْعِنَاقُ وَيَظْهَرُ فِيهِ الْفُرْشُ وَالْبِزَّةُ^(ج) وَالنَّعْمَةُ
 الْمُلُوكِيَّةُ وَالسَّرْوُ^(١) وَالْحُرَّهِيَّةُ^(٢).

(٨-٩) في المختصر: «وغلظ طبع أهل الشام وجهلهم». ^(ب) ساقطة من الأصل والتممة من المختصر.

^(ج) في المختصر: الكسوة.

^١ السرو: الجمال والنعمة، والسرو أيضًا: شجر ينبت بالجبال. انظر: ابن سيده: المخصص، ج ١، ص ٢٣٤؛
 وقارن: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٧٧.

^٢ الخرية: لفظة فارسية تعني: الطلاوة والكرم. انظر: ابن دريد الأزدی: جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٩٢٦.

وإذا مَيَّزَتْ^(أ) الأقاليم صُغفًا صُغفًا وبلدًا بلدًا و كُورَة كُورَة و طَسُوجًا طَسُوجًا،
عَلِمَتْ أَنَّهُ لَا يَخْلُو بَلَدٌ مِنَ الْبُلْدَانِ وَلَا إِقْلِيمٌ مِنَ الْأَقَالِيمِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ
وَعَرْبِهَا وَبَرْهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

٣

ولذلك قال أبو دُلْفٍ^١ (شعر):

إِنِّي أَمْرٌؤٌ كِسْرَوِيٌّ الْفِعَالِ أَصِيفُ الْجِبَالِ وَأَشْتُو الْعِرَاقِ
وَأَلْبَسُ لِلْحَرْبِ أَثْوَابَهَا وَأَعْتَنِقُ الدَّرَاعِينَ اعْتِنَاقًا
فَاخْتَارَ بِفَضْلِ رَأْيِهِ وَجُودَةِ تَمْيِيزِهِ أَنْ يَصِيفَ الْجِبَالَ لَيْسَلَمَ مِنْ سَمَائِمِ الْعِرَاقِ
وَدُبَابِهِ وَهَوَامِّهِ وَحَشْرَاتِهِ وَسُخُونَةِ مَائِهِ وَهَوَائِهِ، وَاخْتَارَ أَنْ يَنْشُتُو الْعِرَاقَ لَيْسَلَمَ مِنْ
رَمَهْرِيرِ الْجِبَالِ وَكَثْرَةِ أَنْدَائِهَا وَوَحُوحِهَا وَتُلُوجِهَا^٢.

٦

وقد قال أيضًا في غير هذا المعنى بل في ضِده لسبب دَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ (شعر):

[المقارب]

أَلَمْ تَرَ حِينَ حَالَ الزَّمَانِ أَصِيفُ الْعِرَاقِ وَأَشْتُو الْجِبَالَا
سَمُومُ الْمَصِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَاءِ حَتَانِيكَ حَالَا أَرَأَيْتَكَ حَالَا
فَصَبْرًا عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ^(ب) فَإِنَّ الْخَطُوبَ تَذُلُّ الرَّجَالَ^(ب)

٩

^(أ) في المختصر: سبرت.

^(ب-ب) في المختصر: «تأبى الحوادث إلا انتقالاً»

^١ القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، أبو دلف العجلي، أمير الكرج. كان شجاعاً سخياً فصيحاً شاعراً وله شعر كثير، ولاة الخليفة المعتصم إمارة دمشق، توفي ببغداد سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م. انظر في ترجمته وأخباره:

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٠٧-٤٠٦.

^٢ قارن مختصر الكتاب، ص ٢٣٣-٢٣٤.

وَالسَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قَالَ هَذِهِ الْآيَاتُ: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ الْآيَاتِ الْقَافِيَةَ الَّتِي كَتَبْنَاهَا قَبْلَهَا اتَّصَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ - وَكَانَ سَمِيُّ الرَّأْيِ فِي أَبِي دُلْفٍ - فَقَالَ

٣ (شعر): (١٢٢ظ)

[المقارب]

أَمْ تَرَى أَنَّا جَلَبْنَا الْعَنَاقَ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ قَبَا عِتَاقَا
فَمَا زِلْنَا يَعْسِفَنَّ بِاللِّدْرَاعِينَ طَوْرًا حَزُونًا وَطَوْرًا رِفَاقَا
إِلَى أَنْ دُوِينَ بِأَذْوَانِهَا قُلُوبَ رِجَالٍ أَرَادُوا الْبِنَاقَا
وَأَنْتَ أَبَا دُلْفٍ نَاعِمٌ تَصِيفُ الْجِبَالَ وَتَشْتُو الْعِرَاقَا

فَلَمَّا وَقَفَ أَبُو دُلْفٍ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَصِيفَ إِلَّا بِبَغْدَادٍ وَلَا

٦ يَشْتُو إِلَّا بِالْجَبَلِ^١.

فَإِذَا صَحَّ لَنَا مَا قُلْنَا وَتَبَيَّنَ مَا حَكَيْتُنَا ثُمَّ مَيَّرَتْ وَتَفَكَّرَتْ وَنَظَرَتْ وَأَنْصَفَتْ،
عَلِمَتْ أَنَّ الْبَرْدَ أَصْلَحُ مِنَ الْحَرِّ، لِأَنَّكَ إِذَا أَصَفْتَ الْبَرْدَ وَهُوَ الْجِبَالُ إِلَى مَا يُقَاسِيهِ
٩ أَهْلُ عُمَانَ وَأَهْلُ الْبَصْرَةَ وَسِيرَافَ وَبَغْدَادَ مِنْ أَدْنَى السَّهْمِ الْقَاتِلَةِ وَإِلَى مَا يَتَّبِعُ
السَّهْمِ مِنَ الْهَوَاءِ الْكَدِيرِ الْغَلِيظِ، وَالْمَاءِ السَّخِينِ الرَّعَاقِ، وَكَثْرَةِ الذُّبَابِ وَالْجِعْلَانِ^٢
وَالْحَنَافِسِ وَالْحَيَّاتِ وَالْعَقَّارِبِ وَالْجَرَّازَاتِ وَالنَّمْلِ وَالْبَعُوضِ، وَالْبَقِّ وَالْجُرْجَسِ
وغير ذلك مما يطول ذكره^٣، عَلِمَتْ أَنَّ الْعَيْشَ عَيْشُنَا وَالنِّعْمَةَ نِعْمَتُنَا.

١٢

^١ الخبر والآيات لدى ياقوت الحموي: انظر: [مادة: الجبال] ج ٢، ص ٩٩.

^٢ الجعلان: دوية تشبه الخنفساء. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ١١٢.

^٣ الجرجس: لفظة عامية يقصد بها القرقس: وهو حشرة تشبه البق. نفسه، ج ٦، ص ١٧٣.

وملوك الجبل لا يعدون العيش عيشًا والنعمة نعمة إلا في أيام الشتاء؛ لأنهم

يفرشون من الفرائش أسراه ويلبسون من الثياب أحسنها وأدقها.

٣ يلبسون الثعالب البيض والسود والحمر والفنك^١ والسمور^٢، والقاقم^٣،

والحواصل^٤ والوشق^٥ والدلق^٦، والفراء اليمانية.

٥) ويفرشون الخبز الرقيم^٧ والأرمني المخفور والميساني والقطوع والمرعزي^٨

٦ والسوسنجرد^٩. ولهم المصارب^{١٠} والأبينة^{١١} والستارات^{١٢} والشراذقات^{١٣}.

(٥-٨) في المختصر: « ويفرشون الخبز والأرمني والدياج والمرعزي، وغير ذلك من الخبز والخبز ».

١ الفنك: نوع صغير من الثعالب في حجم القطط فروته أجود أنواع الفراء. انظر: المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٧٠٣.

٢ السمور: حيوان ثديي ليلي يقطن شمالي آسيا، يتخذ من جلده فرو ثمين. نفسه، ج ١، ص ٤٤٨.

٣ القاقم: دوية تشبه السنجاب، يشبه جلده جلد الفنك، لكنه أعز قيمة من السنجاب. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج ٢، ص ٣٢٤.

٤ الحواصل: المراد بها جلود صدور النسور وبطونها بما عليه من الريش الزغبي يتخذ منها فراء خفاف طيبة الريح مدفئة. انظر: رينهاث دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٩ م. ج ٢، ص ٢٢١.

٥ الوشق: حيوان يشه القط، يتخذ فراءه للثدفة. انظر: المعجم الوسيط: ج ٢، ص ١٠٣٤.

٦ الدلق: لفظة فارسية معربة تطلق على فراء حيوان يشبه السمور، يقال إنه النمس. انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ١٤٧.

٧ الخبز الرقيم: الحرير المطرز. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٤٨-٢٥٠.

٨ جميعها فرش من الحرير الموشى بخيوط الذهب والفضة. انظر: الجاحظ: التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤ م. ص ٢١.

٩ قارن مختصر الكتاب، ص ٢٣٥.

وَالْقَبَابُ التَّرْكِيَّةُ^(٥) [وَأَنْوَابُ عَدَنَ وَثِيَابُ تَيْسَابُورَ وَمَرُو وَأَضْبَهُانَ وَالنُّعْمَةَ]^(٦)
عِنْدَنَا فِي الشِّتَاءِ أَظْهَرَ، وَالْحَيْزُ أَكْثَرُ.

٣ وَلَوْلَا الشِّتَاءُ وَتَلَجُّهُ وَبُرْدُهُ وَرِيحُهُ وَمَطَرُهُ لَمَا نَبَتَ لَنَا فِي الصَّيْفِ زَرْعٌ وَلَا دَرَّ
[لَنَا] صَرْعٌ وَلَا اخْضَرَّ [لَنَا] شَجَرٌ وَلَا اجْتَنِي [لَنَا] ثَمَرٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

[البسيط]

لَوْلَا الشِّتَاءُ وَلَوْلَا قُبْحُ مَنْظَرِهِ لَمَا بَدَأَ مِنْ رَبِيعٍ مَنْظَرٌ حَسَنٌ

٦ وَفِي الشِّتَاءِ يَسْتَلِذُّ الْمُلُوكُ شُرْبَ الْمُدَامِ لِطُولِ اللَّيْلِ وَقِلَّةِ الْهَوَامِ. وَالشَّرَابُ صَدِيقُ
النَّفْسِ وَحَيَاةِ الْأَبْدَانِ وَالسَّبَبُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَجْسَامِ، وَمُصَفَاةُ
الْأَلْوَانِ، وَمَهْضَمَةُ الطَّعَامِ، وَبَاعِثُ الْحَرَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمُرْتَبُّ الْأَعْضَاءِ الْيَابِسَةِ،
٩ وَطَارِدُ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ، وَالزَّائِدُ فِي ارْتِفَاعِ الْهَمَّةِ.

وله اتَّخَذَتِ الْقُصُورُ [١٢٣] الْمَشِيدَةَ وَالْمَجَالِسُ الْمُنْجِدَّةُ وَالنَّارِقُ الْمَهْدَةُ. هَذَا فِي
الشِّتَاءِ فَإِذَا جَاءَ الرَّبِيعُ فَلَنَا الْأَفْيَاءُ الْحَسَنَةُ وَالرِّيَاضُ الْحَضِرَةُ وَالْجِنَانُ الْمُتَّصِلَةُ وَالْمِيَاءُ
وَالْمُطْرِدَةُ وَالْأَرْوَاحُ الطَّيِّبَةُ وَالْمَوَاضِعُ النَّزْهَةُ. ١٢

ثُمَّ لَنَا مِنَ الْأَنْوَارِ وَالزَّهْرِ فِي الرِّيَاضِ وَالْعُدْرَانِ مَا لَا يَكُونُ فِي بِلَادِكُمْ وَلَا يُعْرَفُ
عِنْدَكُمْ حَتَّى لَقَدْ جَهَدَ مُلُوكُكُمْ وَكُتَّابُكُمْ وَدُووُ النُّعْمَةِ مِنْكُمْ أَنْ يَغْرِسُوهُ فِي
١٥ بَسَاتِينِهِمْ وَجَنَاتِهِمْ فَلَمْ يَسْتَوْ ذَاكَ لَهُمْ وَلَا أَفْلَحَ عِنْدَهُمْ^١.

(٥-٥) التمه من المختصر.

^١ راجع الخبر في المختصر: ص ٢٣٥.

من ذلك الزعفران والدردار^(a) والجازيآل^(b) والكسنج^(c) والسخالة^(d) والكركنيس،^(d) [الستروالندير والسوسن آزاد] ^(d) وغير ذلك من الأثوار الجليلة التي لا تكون إلا في بلادنا.

وما هو لنا من دونكم وينبت في بلادنا لا بلادكم الرباس^(d) الذي يتداون به^(d) وهو من أنفع ما يؤكل ويقال إنه يقوم مقام السكنجبين.

ولنا أنواع من الفواكه ليست لكم، وإذا جمل إليكم شيء منها تفتخرون به وتهاذونه منها: الكمثرى النهاوندي والصيني والتفاح الشيري.

^(a) رسمت في الأصل: الزردلال.

^(b) في الأصل: الجاولال.

^(c) في الأصل: كسج.

^(d-d) ساقطة من الأصل، والتتمة من المختصر.

^١ الدردار: شجر له زهر أصفر يعرف بلسان العصافير يستخدم للتداوي. انظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج ٤، ص ٣٢٣.

^٢ الجريال: نوع من الأصباغ، واسم من أسماء نبات شقائق النعمان. انظر: آدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨ م. ص ٤٠.

^٣ الكسنج: جنس من الكمأة ينبت في الرمال. نفسه ص ١٣٥؛ دوزي، المصدر السابق، ج ٩، ص ٨٩.

^(d) السخالة: نوع من التمر رقيق النوى صغير الجرم. الأزهري: تهذيب اللغة ج ٧ ص ٨٠.

^(e) الرباس: بالكسر نبات معمر ينبت في البلاد الباردة والجبال ذوات الثلوج تؤكل ضلوعه، وتريب ويعصر منه شراب الرباس ينفع الحصة، والجدرى، والطاعون، وعصارته تحذ النظر كحلاً. الزبيدي: تاج العروس ج ١٦ ص ١١٢؛ المعجم الوسيط ج ١ ص ٣٨٥.

ولنا أيضًا أشياء تَتَّخِذُهَا مِنَ الْأَلْبَانِ (a) لَيْسَتْ لَكُمْ بَلْ هِيَ مُسْتَطَرَفٌ عِنْدَكُمْ (a) ،
 مِنْهَا اللَّوْرُ^١ وَالشِّيرَازُ^٢ وَأَنْوَاعُ الشُّوَارِيرِ^٣ وَالْكَشْكُ^٤ الْمَعْمُولُ بِاللَّبَنِ .
 وَإِذَا دَخَلَ الْكَاتِبُ أَوْ الْعَامِلُ هَمْدَانَ ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهَا إِلَى بَلَدٍ وَسُئِلَ عَمَّا فِيهَا قَالَ :
 إِذَا كَانَ خُبْرُكَ مِنْ حِنْطَةِ أَرْزَانَوَهْ (b) مَعَ جُبْنِ الْمَهْرَوَانَ وَلَحْمِ الشَّرَاهِينِ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ
 شَيْءٍ آخَرَ ، (c) [وَحَسْبُكَ فَضِيلَةٌ بِشَيْءٍ يُنَادَى عَلَى الْخُبْزِ بِالْحَرَمِينَ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فِي
 أَيَّامِ الْمَوْسَمِ وَالنَّاسِ مَجْمَعُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقِ الْمَهْرَوَانِي الْمَهْرَوَانِي (c)] وَلَقَدْ دَخَلَ بِهَا
 الْمَعْتَصِدُ فَوَصَفَ لَهُ مَا يُتَّخَذُ بِهَا مِنَ الْأَلْبَانِ فَأَكَلَ مِنْهُ وَاسْتَطَابَهُ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ إِلَى
 الْعِرَاقِ أَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ . فَكَانَ يُوجِّهُ بِهِ مَعَ الْفَرَانَقِيِّينَ^٦ وَأَصْحَابَ الْبُرْدِ .

(a-b) فِي الْمَخْتَصَرِ : «وَيُؤْمَنَى عِنْدَكُمْ مِنْهَا» . (b) رَسَمَتْ فِي الْأَصْلِ : أَرْزَانَدَ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ يَاقُوتِ .

(c-c) سَاقَطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَالتَّمَتَةُ مِنَ الْمَخْتَصَرِ .

^١ اللور: خليط من اللبن والسمن متوسط الصلابة يشبه الجبن، وأهل الشام يسمونه قريشة. انظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج ٨، ص ٢٢٥ .
^٢ الشيراز: صنف من الجبن يتخذ من السمن والزبد وماء الجبن يغلي فيسخن جدًا يصير فيه هوضة. نفسه. ج ٩، ص ٢٨٦ .
^٣ الشوارير: أنواع من العسل. انظر: الزبيدي: تاج العروس، [مادة: ش و ر] ج ١٢، ص ٢٥٢ .
^٤ الكشك: لفظة فارسية معربة، وهو طعام يصنع من دقيق الحنطة أو الشعير مع اللبن ثم يجفف ويطبخ متى احتيج إليه. نفسه. ج ٢٧، ص ٣١٣ .
^٥ حنطة أرزناوه: نوع من القمح ينسب إلى قلعة الأجم وهي قلعة من نواحي همدان. معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٩ .
^٦ فروتق: كلمة محرفة من برونك الفارسية. ومعناها: مفتشو البريد المعنيون بملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات. انظر: نظير حسان سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مصر بالفضالة، ١٩٥٣م، ص ١٩-٢٠ .

ولما مَيَّزُ قَبَاذُ^١ إقْلِيمِ بَلَدِهِ وَجَدَ أَنْزَهُ بِقَاعِهِ ثَلَاثَةَ عَشْرَ مَوْضِعًا: الْمَدَائِنَ وَالشُّوسَ
وَجُنْدَيْسَابُورَ وَتُسْتَرَ وَسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ وَالرَّيَّ وَبَلْخَ وَ سَمَرْقَنْدَ وَبَاوَزَ وَمَا سَبَنْدَانَ
٢ وَمَهْرَجَانِقَنْدُقَ وَتَلَّ مَاسِيرَ وَبَطْنًا بِنَهَاوَنْدَ- تُسَمَّى رُوذْرَاوَرَ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ قَرَايِخٍ فِيهَا
ثَلَاثَةٌ وَتَسْعُونَ قَرْيَةً مُتَّصِلَةً مَعَ جِنَانٍ مُلْتَفِقَةٍ وَأَنْهَرٍ مُطْرَدَةٍ، نَبَاتُهَا الزَّعْفَرَانُ^٣
وَأَشْجَارُهَا جَمِيعُ الْفَوَاكِهِ^٤.

٦ وَقَالَ [لِي] بَعْضُ الدَّمَشْقِيِّينَ مَنْ قَدْ جَالَ الْأَفَاقَ وَدَارَ الْبُلْدَانَ: دَخَلْتُ غُوطَةَ
دِمَشْقَ وَأَبَلَّةَ الْبَصْرَةَ وَاسْكَنْدَرِيَّةَ مِصْرَ وَصَنْعَاءَ الْيَمَنِ وَرَأَيْتُ خَوْزَنْقَ الْكُوفَةِ وَتُرْبَتَهُ
المُسَمَّاةَ خَدَّ الْعَذْرَاءِ^٢ وَحَاقَتِي دِجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَبَغْدَادَ وَبَابَ الطَّاقِ وَبَابَ [١٢٣]ظ
٩ الْكَرْخِ مَعَ سَائِرِ الْأَسْوَاقِ، وَشَاهَدْتُ شَبْدِيرَ وَقَرْمِيسِينَ وَرَزَنْرُودَ^٣ وَأَصْبَهَانَ
وَجُنْدَيْسَابُورَ وَالْأَهْوَاذَ، وَدَخَلْتُ سَابُورَ فَارِسَ، وَنَظَرْتُ لِكِ شَعْبِ بَوَّانٍ وَمَاجَانَ
مَرْوَ، وَسَرْبَانَ الرَّيِّ، وَشَاهَدْتُ سَمَرْقَنْدَ وَالسُّغْدَ وَبَلْخَ فَمَا رَأَيْتُ بَلَدًا أَطْيَبُ هَوَاءَ
١٢ وَلَا أَعْدَبُ مَاءًا وَلَا أَكْثَرُ خَيْرًا مِنْ رُوذْرَاوَرَ^٣،^٤ [وَمَا ظَنَنْكَ بِلَدِّ حَشِيشِهِ الرَّيْحَانَ
وَالزَّعْفَرَانَ وَشَرَابَهُ الْعَسَلَ وَالسَّمْنَانَ وَثَمْرَهُ الْعِنَبَ وَالزَّمَانَ]^٤.

^(١-٢) في المختصر بزيادة: «... نباتها الزعفران وأشجارها جميع الفواكه العنب والرمان والجوز واللوز والتفاح

والكمثرى وغير ذلك...^٤.
^(ب) في الأصل: [قَبَالَ هَمْدَانَ].

^(٣-٤) ساقطة من الأصل والتممة من المختصر.

^١ مر هذا الخبر في ذكر مدينة قرميسين، نقلًا عن أبي المنذر هشام بن السائب الكلبي. قارن: فيا تقدم ص ٢٣٢.

^٢ انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، [مادة: خدوراء] ج ٢، ص ٣٤٨؛ [مادة: الكوفة] ج ٤، ص ٤٩٠.

^٣ زرنرود: اسم لنهر بأصبهان موصوف بعدوية الماء. انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٩.

^٤ انظر: مختصر الكتاب، ص ٢٣٤-٢٣٧.

فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ أَبِي سَرِحٍ هَذَا الْمَكَانَ قَالَ لَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ^١: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! مَا فَرَطْتَ وَقُلْتَ فِي الْجَبَلِ عَالَهُ وَعَلِيَهُ وَهَذَا وَقْتُ صَيِّقٍ وَقَدْ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ. وَالصَّوَابُ قَطَعُ هَذِهِ الْمَفَاخِرَةَ وَتَرَكَ هَذِهِ الْمُنَاطِرَةَ فَقَالَ: قَدْ قَطَعْتُ ذَلِكَ وَإِنْ عَادَ عُدْنَا ثُمَّ قَامَ وَهُوَ يَقُولُ (شِعْرًا):

[السريع]

إِنْ عَادَتْ الْعَقْرَبُ عُدْنَا لَهَا وَكَانَتْ النَّعْلُ لَهَا حَاصِرَةً
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

[الطويل]

^٢ [وَبِالْقَوْسِ لَمَّا حَلَّتِ الشَّمْسُ وَأُطْبِقَ أَزْوَنْدٌ عَلَى هَمْدَانَ
وَهَبَّتْ رِيَّاحُ الزَّمْهَرِيرِ فَأَحْرَقَتْ بِهَا كُلَّ ذِي جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ
فَمَا أَنْ تَرَى شَيْئًا بِهَا غَيْرَ جَامِدٍ مَعَ النَّفْطِ وَالنُّفَاطِ وَالْقَطْرَانِ
تَرَى النَّاسَ بَيْنَ السُّوقِ وَالدُّورِ جَمْدًا عَدَاهُمْ مِنَ التَّرْدَادِ وَالْجَوْلَانِ
فَطَرَقَهُمُ وَالدُّورِ مَطْمُوسَةٌ بِهِمْ يَزِيدُهُمْ طَمَسًا وَلَيْسَ بِقَانِ
تَرَى الطَّيْرَ فِي جَوْ السَّمَاءِ مُعَلَّقًا مِنْ الْبَرْدِ مَثْوَعًا مِنَ الطَّيْرَانِ
وَتَجْمُدُ بَيْنَ الْحَائِطَيْنِ كِلَابَهُمْ وَكَانَتْ تُبَارِي الْحَيْلَ يَوْمَ رِهَانِ
وَلَيْسَ يَبْقَى مِنْ بَرْدِهَا جِلْدٌ تُعَلَبُ بِخَوَارِزْمٍ مَدْبُوعٌ بِغَيْرِ تَوَانِي

^١ صاحب المنزل هو: والد مؤلف الكتاب، والذي تمت المناظرة في بيته بين عبد القاهر بن حمزة الواسطي،

والحسين بن أبي سرح.

وَلَا جِلْدُ سَمُورٍ وَلَا الْفَنَكِ الَّذِي يُوقَى بِهِ الْمَقْرُورُ حَرَّ عُمَانَ
 وَلَيْسَ يَقِيهِمْ مِنْهُ لَفْحُ جَهَنَّمَ وَمَا لَهُمْ بِالزَّمْهَرِيرِ يَدَانِ
 أَمَا مَهْرَبًا مِنْ ذَا الْعِدَارِ فَقَدْ وَهَتْ عِظَامِي وَلَا تَشْعُرُ بِهِ الْقَدَمَانِ
 لِي الْكَرَجِ الْحَسَنَاءِ دَارِ أَمِيرِنَا فَنُوسِعُهَا حَمْدًا بِكُلِّ لِسَانِ
 مُبَارَكَةٍ حَقَّتْ بِخَصْبٍ وَنِعْمَةٍ بِمَاءِ عُيُونِ عَذْبَةٍ وَجَنَانِ
 فَأَهْلُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالْفَضْلِ أَهْلُهَا وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْمَشْرِقَيْنِ مُدَانٌ^(a)

*

* *

٣

(a-a) زيادة من المختصر.

¹ انفرد صاحب المختصر بهذه الأبيات. ص ٢٣٧.

